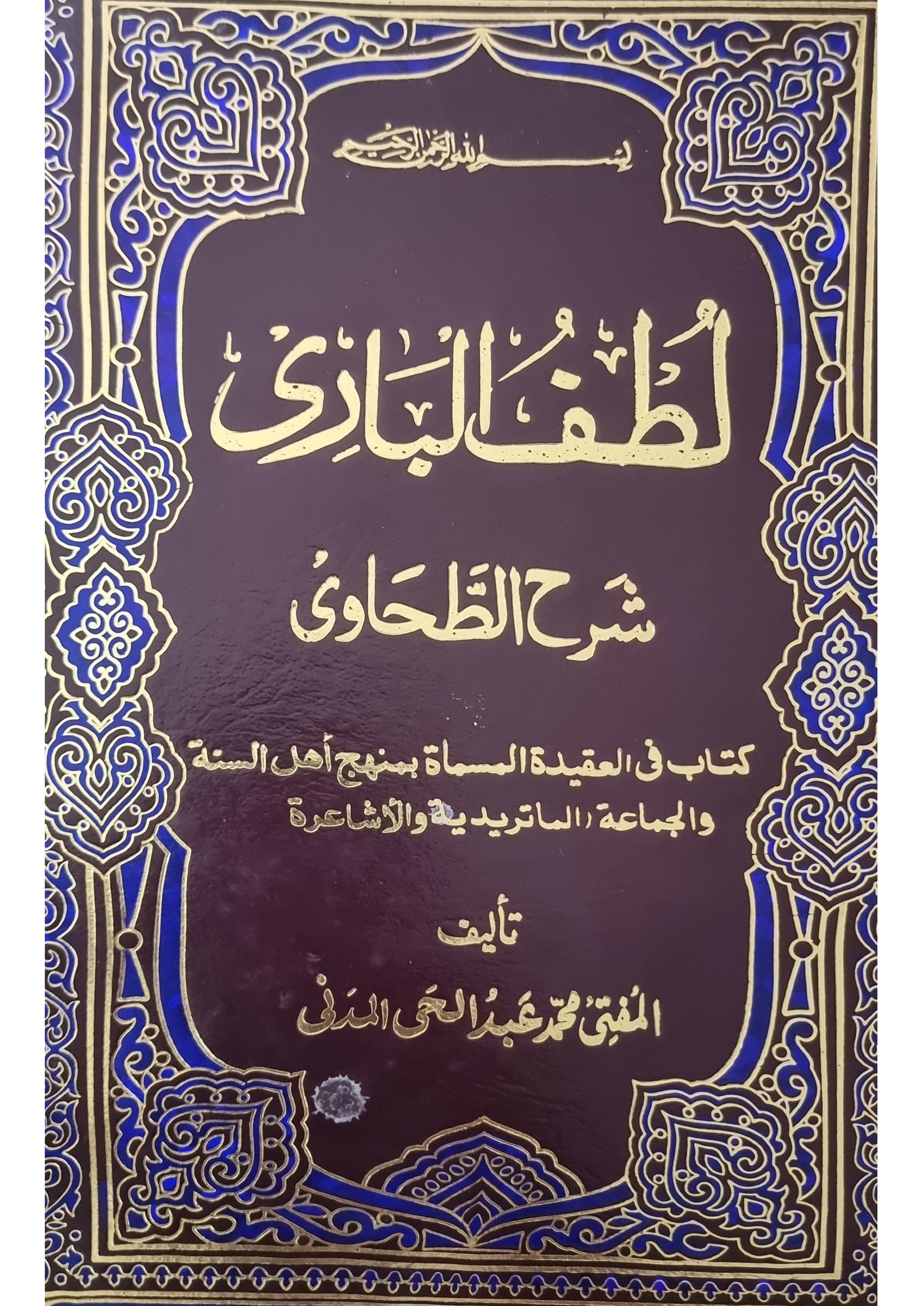

بسم الله الرحمن الرحيم
لطف البارى
شرح الطحاوى
كتاب فى العقيدة المسماة بمنهج أهل السنة
والجماعة (الماتريدية والأشاعرة
تأليف
المفتى محمد عبد الحى المدنى



لطف الباری

شرح الطحاوی

كتاب فی العقيدة المسماة بمنهج أهل السنة والجماعة (الماتريدية والأشاعرة)

تأليف

المفتی محمد عبد الحی المدنی

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ ٢٠٢٠م

إهداء

إلى روح المربي العظيم الحاج د. محمد "الخواجيزي" رحمه الله الذي كان يحب الدين والعلماء، وخط لأولاده صراطا سويا ليتبعوه، فهم على دربه رحمه الله الأب المشفق، واصلح معاش أولاده ومعاده ودر عليهم الخير الكثير، ووفق لما يحب ويرضى، وإني اشكرهم من أعماق قلبي على خير عونهم لي، وتشجيعهم لي على التأليف وغيره، فجزاهم الله خيرا.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين الأول بلا ابتداء و الآخر بلا انتهاء، صاحب نعوت الكمال ، من صفات الجلال و الجمال، المنزّه عن كل عيب و شين ، لم يزل و لا يزال أحد صمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد عز سلطانه ، و غلب حزبه، و ذل معانده ،والصلاة و السلام على من ارسل رحمة للعالمين، و شفع المخلوقين وكشف الغمة، و هدى الأمة صلاة تنحل بها العقد، و تنفرج بها الكرب، و تقضى بها الحوائج، و تنال بها الرغائب ،و على اله و أصحابه الطيبين الطاهرين الذين جاهدوا فى الله حق جهاده، و بلغوا الدين الحنيف إلى مشارق الأرض، و مغاربها فاحشرنا فى زمرتهم يا رحمان بفضلك، و منك و على اتباعه، و اشياعه من العلماء المخلصين والمجاهدين الربانيين و الصوفية القانتين إلى يوم الدين.

أما بعد : فيقول افقر العباد إلى رحمة ربه الكريم محمد عبد الحى بن شيخ القرآن والحديث عبد الحليمؒ عاملهما الله بلطفه و فضله: اعلم أن علم الكلام الذى اشتمل على مباحث التوحيد و متعلقاته من الصفات و غيرها من أصول الدين كبحث الإيمان ،وأركانه، و ضروريات الدين، والبحث فى رد الفرق الضالة، و غيرها بشرط أن لا يدخل فيه الفلسفة الباطلة من أفضل العلوم لأنه يبحث فيه عن التوحيد و هو أساس بناء الشرع المبين.

قال المحقق الكبير صاحب رد المحتار (٢٥/١):(وفضيلته "الفقه" كونه أفضل العلوم سوى الكلام والتفسير والحديث و أصول الفقه ...)

و أما الاشتغال بالاستدلاليات من الكلام والتوسع فيه ففيه تفصيل : و في "أحكام القرآن" (٢٢١) بعد أن نقل في هذا الموضوع أقوال العلماء ، و قول الإمام الغزاليؒ بالتفصيل قال (فثبت ما قاله الغزالي : إن الاشتغال بالاستدلاليات من الكلام والفلسفة المباحة لا يؤذن به أولاً لكونه بدعة أي غير الأحسن و خلاف طريقة السلف. نعم! بعد حدوث البدع يكون من فروض الكفاية لحرس الدين على قدرها و بقاءها و حكى عن السلف والخلف تحريم الكلام و المنطق و ألّف بعضهم رسائل قال القاري في مقدمة شرح الفقه الأكبر بعد بسط عن الغزالي : (فإن قلت فما المختار عندك. فأجاب بالتفصيل فقال : فيه منفعة و مضرة فهو بإعتبار منفعة في وقت الانتفاع حلال ، أو مندوب ، أو واجب كما يقتضيه الحال ، و هو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار و محله حرام ، و هو كلام حرى أن يعض عليه بالنواجذ) انتهى.

و كان كتاب الإمام الطحاوي في العقائد من الكتب الموثوقة و المعتمدة ، بلغت شهرته الآفاق ، و تداوله العلماء على مختلف الأدوار و الأزمان ، و أنه وصل إلينا بالتواتر.

و كان المتفق عليه بين أهل السنة والجماعة -الأشاعرة والماتريدية- و من خصائصه و مزاياه أن الإمام الطحاوي قال في ابتداء كتابه (اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف و محمد بن الحسن رحمهم الله تعالى)

قال الإمام الكوثری فی مقالاته (٢٢٣): و قد تلقی الطحاوی علوم هؤلاء فی الاعتقاد والعمل عن سليمان بن شعيب الكيسانی و بكار بن قتيبة و ابن أبی عمران و أبی حازم فالأول عن أبيه عن محمد عن أبی يوسفؒ و أبی حنيفةؒ و الثانی عن هلال بن يحيی عن زفرؒ وأبی يوسفؒ عن أبی حنيفةؒ والثالث عن ابن سماعة و بشر بن الوليد، فالأول عن محمدؒ و أبی يوسفؒ والثانی عن أبی يوسفؒ والرابع عن عيسی بن أبان عن محمدؒ، و عقيدة الطحاوی هذه مستفيضة عن أئمتنا متواترة إلی اليوم.

و لم يؤد العلماء حق هذا الكتاب ،وقد شرح هذا الكتاب و اشهر الشروح المتداولة بين الأوساط العلمية فيما يتعلق بعقائد أهل السنة والجماعة هو شرح العلامة الغنيمی إلا أن فيه الاختصار الشديد و لم يوضح ما يتعلق بمضامين علم الكلام و متطلباته ، و من شروحه شرح الشيخ علی بن أبی العز و هو شرح طويل مفصل اعتنی به فی البلدان العربية و غيرها ، و قد سلك الشارح فی بحث الصفات مسلك بعض الحنابلة الذين يثبتون لله تعالی علواً حسياً و فوقية حسية و أنه بائن ببينونة مسافة و أنه فی جهة ، و هذه النحلة قد اصدر فيهم الخليفة الراضی مرسوما فی حقهم سنة ٤٢٣ يردعهم عن ما هم فيه ، و فی منتصف القرن الخامس رفعوا رؤسهم من جديد فی بغداد حتی اجتمع العلماء الكبار و كتبوا محضراً عليه خطوطهم و رفعوه إلی نظام الملك ليكف هؤلاء عن آرائهم فی حق الله ، فاستتروا فی القرنين إلی أن ظهر الحافظ ابن تيمية منشر عقيدتهم و أذاع كتبهم ، و قوی شوكتهم و اعلن للناس أن هذا هو الحق الذی لا يحاد عنه و ما سواه من العقائد باطلة، و ضلالة، والعلماء الكبار الذين عاصروه ناظروه، و ردوا عليه بأحسن رد ، والشارح اورد فی شرحه فی بحث الصفات عقائد الحافظ

ابن تيمية نقله عن كتبه ، و كتب في اخر اسمه الحنفي ليغتر به الذين لا يعرفون العقائد ، و الأحناف ما تريديون في العقائد إلا الشرذمة فهم من المعتزلة في العقائد، وحنفية في الفروع، و لا يعبأ بهم ، و الشارح تيمي في العقائد، و لا ندري هل هو في الفروع حنفي أم لا؟

و إذا نظرنا إلى كتابه (التنبيه على مشكلات الهداية) فإنه اغرب ، و غرابته لا يخفى على أحد لأنه ابطل كل ما صحح صاحب الهداية الكتاب المثالي في الفقه الحنفي ، و هذا مما يؤسف له جداً .

و كيف يعرف الناس الحق من الباطل، و الصحيح من الخطأ في زمن قل اهتمام الناس بالعلم خصوصاً بعلم الكلام يتبعون الكتب، و يطالعونها، و لا يدرون ما فيها، و إلى الله المشتكى ، و كان من الواجب على العلماء أن يكثروا من شروح هذا الكتاب، و ينشروه حتى يبلغ القاصي والداني ، و يعرفوّا فيها دخائل الغير لئلا يغتروا بهم ، و هذا ليس ببسيط لأن تهديم العقائد شيئ عظيم، و على سبيل المثال ننقل لكم بعض أهم الموارد التي شذ فيها الشارح عن عقائد جمهور أهل السنة والجماعة حيث قال في كتابه:

١ ـ (فالحاصل أن نوع الحوادث هل يمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا ؟ أو في المستقبل فقط؟ أو الماضي فقط ؟ ... إلى أن قال : والثالث : قول من يقول : يمكن دوامها في الماضي والمستقبل كما يقوله أئمة الحديث) أي أئمة الحديث قالوا بذلك ؟

٢ ـ و قال : (أن كلام الله تعالى حروف و أصوات).

٣ ـ اثبت الحد لذات الله تعالى سبحانه وتعالى.

٤ـ اثبت الجهة لله تعالى و لم يعبأ بقول الإمام الطحاوى: (لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات).

٥ـ ساق الدلائل الكثيرة زعم أنها تدل على علو الله الحسى و عبر عنه أحيانا بفوق و بذاته و بجهة السماء.

٦ـ وقال: إن الله تعالى خارج العالم و قال: (لا نظن بالشيخ يعنى الإمام الطحاوى رحمه الله أنه ممن يقول إن الله تعالى ليس داخل العالم و لاخارجه بنفى التعينين).

٧ـ و قال : (فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم و هو على عرشه فوق سمواته ؟ أو يدنى إليه من يشاء من خلقه ؟ فمن نفى ذلك لم يقدره حق قدره) و هذا من عقائد الكرامية لامن أهل السنة وغيرها...

و لقد سهل هذا الموضوع بعض العلماء و منهم العلامة محمد تقى العثمانى حفظه الله حيث قال فى كتاب تكملة فتح الملهم (٢٤٩/٥) بعد أن ذكر التفويض والتأويل قال : و هناك مذهب ثالث ذهب إليه جماعة من السلف و اختاره الحافظ الذهبى والعلامة ابن تيمية و تلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى ، وهو أن المراد من الاصبع معناها الحقيقى و لكنها صفة لله تعالى و ليست جارحة ، و ليست مثل أصابع المخلوقات ،بل كيفيتها مجهولة إلى أن قال ... و هذه المذاهب الأربعة كلها محتملة ذهب إلى كل واحد منها جماعات من العلماء المحققين ، فإن المهمّ فى العقيدة هو تنزيه الله تعالى عن التشبيه و التعطيل ، و إن كل واحد من هذه المذاهب الأربعة جازم بذلك، و الاختلاف بينهما ليس اختلاف عقيدة ، فإن العقيدة هى التنزيه عن التشبيه التعطيل ،و إنما هو إختلاف رأى فى تعبير عن تلك العقيدة و تقعيدها على النصوص،

فليس شيئ من هذه المذاهب باطلا محضا أو ضلالا صرفا، و آن كانت المناظرات والمجادلات النظرية التى لم تزل جارية بينها منذ قرون، ربما وقع فيها التهويل والغلوّ والإفراط من جوانب المختلفة ، ربما ادّى بعضهم إلى التحاوز عن الإعتدال، و لكن الحق أن أصل الخلاف ليس إلا خلافاً اجتهاديا، نظير اختلاف الفقهاء فى مسائل الفقهية المجتهد فيها .... .إلخ). و لا يخفى أن العلماء الكبار من محققى الحنابلة ممن تقدموا بزمان على الحافظ ابن تيمية ردوا على هذا المذهب .

قال الحافظ ابن الجوزىؒ: فى كتابه الشهير صيد الخاطر (ص-١٣) تحت عنوان سلفيون جهال:

عجبت من اقوام يدعون العلم ، ويميلون إلى التشبيه بحملهم الأحاديث على ظواهرها ، فلو أنهم أمرُّوها كما جائت سلموا ، لأن من أمرّ ما جاء و مرّ من غير اعتراض ، فما قال شيئًا لا له و لا عليه و لكنّ اقواما قصرت علومهم ، فرأت أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل ، و لو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا . و ما هم إلا بمثابة قول الحجاج لكاتبه و قد مدحتهالخنساء فقالت :

إذا هبط الحجاج أرضًا مريضة

تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذى بها

غلام إذا اهز القناة شفاها

فلما اتمت القصيدة قال : لكاتبه اقطع لسانها ، فجاء ذاك الكاتب المغفل بالموسى فقالت له : ويلك إنما قال أجزل لها العطلة ثم ذهبت إلى الحجاج فقال : كاد

والله يقطع مقولي . فكذلك الظاهرية الذين لم يسلموا بالتسليم ، فإنه من قرأ الآيات والأحاديث و لم يزد ، لم ألمه و هذه طريقة السلف . فأما من قال الحديث يقتضي كذا ، و يحمل على كذا ، مثل أن يقول : استوى على العرش بذاته ، و ينزل إلى سماء الدنيا بذاته فهذه زيادة فهمها قائلها من الحس لا من النقل.

و لقد عجبت لرجل اندلسي يقال له ابن عبد البر ، صنف كتاب التمهيد ، فذكر فيه حديث النزول إلى سماء الدنيافقال : هذا يدل على أن الله تعالى على العرش لأنه لو لا ذلك لما كان لقوله ينزل معنى . و هذاكلام جاهل بمعرفة الله عزوجل لأن هذا استسلف من حسه ما يعرفه من نزول الأجسام فقاس من صفة الحق عليه فأين هؤلاء و اتباع الأثر؟و لقد تكلموا بأقبح ما يتكلم به المتأولون ، ثم عابو المتكلمين .

واعلم أيها الطالب للرشاد ، أنه سبق إلينا من العقل والنقل أصلان راسخان عليهما مر الأحاديث كلها . أما النقل فقوله سبحانه و تعالى :﴿ليس كمثله شيئ﴾ و من فهم هذا يحمل وصفا له على ما يوجبه الحس. و أما العقل فإنه قد علم مباينة الصانع للمصنوعات ، واستدل على حدوثها بتغيرها ، و دخول الانفعال عليها ، فثبت له قدم الصانع . و اعجبا كل العجب من رادّ لم يفهم طبيعة الكلام؟....)وانظر تمام العبارة في موضوع الصفات في كتابنا هذا.

ثم أن أصحاب المذهب الثالث متناقضون في موقفهم . قال محمد عبدالعظيم الزرقاني في "مناهل العرفان في علوم القرآن" [ج٢ـص١٨٨] .

ثم إن هؤلاء المتمسحين في السلف متناقضون ، لأنهم يثبتون تلك المتشابهات على حقائقها ، و لا ريب أن حقائقها تستلزم الحدوث و أعراض الحدوث كالجسمية

والتجزؤ والحركة و الانتقال ، لكنهم بعد أن يثبتوا تلك المتشابهات على حقائقها ينفون هذه اللوازم ، مع أن القول بثبوت الملزومات و نفي لوازمها تناقض لا يرضاه لنفسه عاقل فضلا عن طالب أو عالم. فقولهم من مسألة الاستواء الآنفة: إن الاستواء باق على حقيقته يفيد أنه الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز ، و قولهم بعد ذلك ليس هذا الاستواء على ما نعرف ، يفيد أنه ليس الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز . فكأنهم يقولون: إنه مستو غير مستو ، و مستقر فوق العرش غير مستقر ، أو متحيز غير متحيز و جسم غير جسم ، أو أن الاستواء على العرش ليس هو الاستواء على العرش والاستقرار فوقه ليس هو الاستقرار فوقه إلى غير ذلك من الإسفاف و التهافت ! ؛ ...لو أنصف هؤلاء لسكتوا عن الآيات و الأخبار المتشابهة واكتفوا بتنزيه الله تعالى عما توهمه ظواهرها من الحدوث و لوازمه ؛ ثم فوضوا الأمرفي تعيين معانيها إلى الله وحده، و بذلك يكونون سلفيين حقا لكنها شبهات عرضت لهم في هذا المقام ، فشوشت حالهم، وبلبلت أفكارهم... إلخ.

و تبع الشارح الحافظ ابن تيمية في التوسل بالذات و كذلك الاستشفاع بالرسول ﷺ على خلاف ما ذهب إليهما الجمهور و قد نقلنا أقواله و رددنا عليه لأن الأمة تشهد أنه لم يكن مانع التوسل قبل الحافظ ابن تيمية أحدا سواه و قال حكيم الأمة اشرف على التهانوي في التوسل " إن التوسل بالمقبولين عند الله في الدعاء، سواء كانوا أحياء أو أمواتاً، جائز. وقد ثبت توسل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه في الاستسقاء والتوسل برسول الله ﷺ في قصة الضرير بعد وفاة النبي ﷺ أيضا . فلا شبهة في الجواز . نعم، إذا ظهر في ذلك غلوّ في عامة الناس، و مُنعوا من أجل ذلك، فالمنع في

مثل ذلك صحيح أيضاً. و لكن الاعتقاد بأن الله تعالى تجب عليه الإجابة بالتوسل، أو هؤلاء المقربين المتوسل بهم يرجى منهم الإعانة ، أو أن أسماء هم كأسماء الله تعالى،إن كل ذلك زيادة على الشرع" و الله سبحانه و تعالى أعلم.[1]

و قد جمعت في هذا الكتاب ما يتعلق بموضوع علم العقائد و أشرحه على قدر بساطي و لم آل جهداً فيه، و جل ما نقلت فيه و ما ودعت فيه من الأبحاث المهمة من كتب شيوخ مشائخنا كفيض الباري شرح البخاري، فتح الملهم شرح مسلم، و غيرهما ،و كذلك نقلت بعض الأبحاث من الكتب المعتمدة من أئمة الأشاعرة ككتاب فتح الباري للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ، و شرح مسلم للإمام النووي ، و كذلك من كتب عقائدنا الماتريدية كشرح الملا على القاري للفقه الأكبر ،و شرح العقائد ،و العلائية ،و رد المحتار ، و أحكام القرآن للعلامة ظفر أحمد العثماني ،و كذلك أحكام القرآن للعلامة جميل أحمد التهانوي ،و كذلك أحكام القرآن للمفتي محمد شفيع العثماني، و امداد الفتاوى لحكيم الأمة مولينا اشرف على التهانوي ، و كذلك قد نقلت عن رسالة صغيرة للعلامة الشيخ المفتي فريد المفتي العام لجامعة دار العلوم الحقانية المسماة بـ "المقالات" و هي بالبشتو و نحن عربنا ما نقلنا عنها ، و هي مسائل ضرورية بالنسبة للجميع و قد بين فيها المسائل التي فيها اختلاف بين العلماء في هذه المنطقة بياناً واضحاً لا غموض فيه ، و هو مقبول بين العلماء في هذه المنطقة لا يردون قوله ، و غيرها من الكتب و أنا في هذا كله اتبع اساتذتي و شيوخي في كل ما

١ـ تكملة فتح الملهم (٣١٨/٥ـ٣١٩)

يقولون حذو النعل بالنعل و أقول فی آرائهم كما قال عمر بن عبد العزيز فی الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:"فإنهم على علم وقفوا و ببصرنافذ كفوا، و لهم على كشف الأمور كانوا اقوى و بفضل ما كانوا فيه اولى، فما دونهم من مقصر و ما فوقهم من محسر و قد قصر قوم دونهم فجفوا و طمح عنهم اقوام فغلوا، و انهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم" فأنا جامع لأبحاث هؤلاء المحققين . و ليس لی فيها رأی ، ومن أنا حتى يكون لی رأی.

و مما فعلت فی هذا الكتاب :

١ ـ شرحت الكتاب على قدر بساطی.

٢ ـ اوردت المسائل التی تتناسب الكتاب مما اشار إليه صاحب الكتاب.

٣ ـ رددت على الشارح بن أبی العز فی مسئلة الصفات والتوسل و غيرها.

٤ ـ رددت على حسن بن على السقاف الذی كان فيما مضى يدافع عن الأشاعرة فأصبح يرد عليهم و تكلم فی مثالب الصحابة ،و هذا خطأ جسيم لا ينجبر.

وفی أحكام القرآن ٢٤٠/٤ :"فمن نسب واحداً من الصحابة إلى كذب فهو خارج عن الشريعة، مبطل للقرآن ، طاعن على رسول الله ﷺ . و من ألحق واحدا منهم تكذيباً فقد سب، لأنه لا عار و لا عيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب ، و قد لعن رسول الله ﷺ من سب أصحابه؛ فالمكذب لأصغرهم ـ و لا صغير فيهم ـ داخل فی لعنة الله التی شهد بها رسول الله ﷺ ، و ألزمها كل من سب واحداً من أصحابه أو طعن عليه." و قد رد على الإمام الطحاوی رحمه الله كثيراً و دافعنا عنه و أجبنا عنه بالدلائل الدامغة ،و قد دافع السقاف عن المعتزلة فی المسائل المشهورة التی فند، دلائلها أهل

السنة والجماعة قبل مئاة السنين ثم ها هو ينقل عنهم و يطرحهم على العلماء بعناوين مختلفة مزخرفة، و وضحت عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال أقوال مشاهير العلماء من المتبحرين فی العقائد ، رجاء أن يجعلنی فی صف العلماء المخلصين الذين فازوا فی الدنيا و الآخرة و سميته "لطف الباری شرح الطحاوی" سائلا الله أن يرفع الراية الإسلامية البيضاء إنه على ذلك قدير و بالإجابة جدير.

..❁❁❁..

بسم الله الرحمن الرحيم

هـذا مـا رواه الإمـام أبـو جـعـفـر الـطـحـاوى فى ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والـجـماعة ، على مذهب فقهاء الملة : أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى ، وأبى يـوسف يـعـقوبَ بن ابراهيم الأنصارى و أبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى ، رضـوان الله تـعـالـى عليهم أجمعين ، و ما يعتقدون من أصول الدين ، و يدينون به لرب العالمين.

الشرح:۔

لـفـظ هذا فى المتن اشارة إلى ما حضر فى ذهن المصنف . والإمام : ما يُؤتَمّ به أو يـقـتـدى بـه... و قيـل: هو الذى له الرياسة العامّة فى الدين و الدنيا جميعاً . و أبو جعفر كنية المصنف والطحاوى نسبة إلى طحئة قرية بصعيد مصر ينسب إليها جماعة.

والاعـتـقـاد: مـصـدر: اعـتـقـد يعتقد، و الأصل العقد. قال ابن فارس : العين و القاف والـدال ، أصـل واحـد يدّل على شدّ و شِدّة وثوق فالاعتقاد افتعال من عقد القلب على الشيئ إذ لـم يـزل عـنـه وأصل العقد: ربط الشيئ بالشيئ۔ فالاعتقاد: ارتباط القلب بما انطوى عليه و لزمه ، ويطلق العلماء الاعتقاد على معنيين : الأول : التصديق مطلقاً : أعم مـن أن يـكـون جـازمًـا ، أو غير جازم ، مطابقًا أوغير مطابق ، ثابتًا او غير ثابت ـ الثانى: اليقين: و هو أعلى درجات العلم.(١)

---

١ ـ أنظر معجم المصطلحات و الألفاظ الفقهية (ج١/٢٢٨)

أهل السنة والجماعة:

وأهل السنة والجماعة: هم الموافقون لجماعة الصحابة والآخذون بعقائدهم المتمسكون برأيهم والمهتدون بسيرتهم في الأصول والفروع من أهل العلم والفقه الذين اجتمعوا على اتباع آثاره ﷺ في النقير والقطمير، ولم يبتدعوا بالتحريف والتغيير، وهذا هو الذي يميز أهل السنة عن غيرهم من أصحاب البدع، وفي الحديث الذي أورده الترمذي إشارة إليهم (ما أنا عليه وأصحابي)...

١ـ قال الخيالي في حاشيته على شرح العقائد: الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة وهذا مشهور في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار وفي ديار ما وراء النهر يطلق ذلك على الماتريدية أصحاب الإمام أبي منصور.

٢ـ وقال الإمام المحدث محمد مرتضىٰ الزبيدي في "اتحاف السادة المتقين شرح احياء علوم الدين" ج٢: "إذا اطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية."

٣ـ وقال خاتمة المحققين الإمام ابن عابدين في حاشيته المشهورة المسماة "ردالمحتار (١:١١٩) (قوله: (عن معتقدنا) أي عمّا نعتقده من غير المسائل الفرعية مما يجب اعتقاده على كل مكلّف بلاتقليد لأحد، وهو ما عليه أهل السنة والجماعة وهم الأشاعرة، والماتريدية وهم متوافقون إلا في مسائل يسيرة، أرجعها بعضهم إلى الخلاف اللفظي كما بين في محله.

بيان الماتريدية والأشاعرة:

(١) الماتريدية:

سُمّو بذلك نسبة لإمامهم الأعظم ناصر السنة أبي منصور محمد بن محمود

الماتريدي المعروف بإمام الهدى رحمه الله ولد الإمام الماتريدي بقرية ما تُريد بسمرقند في منتصف القرن الثالث الهجري ، و تلقّى الفقه الحنفي و الكلام على نصر بن يحيى البلخي ، و تخّرج من مدرسة أبي منصور العياضي و قد نبغ في الفقه والأصول و سائر علوم الدين و كان فصيحًا بليغًا. رحل إلى البصرة عدة مرات ناظر خلالها المعتزلة في العقائد فخصمهم بالحجة والدليل ، و قد تبنى المذهب الحنفي في الفقه والعقيدة ، حيث روى كتب أبي حنيفة : (الفقه الأبسط) و غيرها ، عن شيوخه أبي أحمد بن العباسي و أحمد بن اسحاق الجرجاني و نصر بن يحيى البلخي وغيره .

و قد عاصر الماتريديُّ الأشعريَّ ففي حين كان الأشعري يتصدّى للمعتزلة في بلاد العراق كان الماتريدي يتصدّى لهم في بلاد ما وراء النهر من خراسان و ما والاها حتى كثر اتباعه فكل من اتباع المذهب الحنفي يتبعون مذهبه في أصول الدين إلا من شذ منهم ممن لا يعبأ بهم.توفي رحمه الله تعالى سنة ٣٣٢.(كذا في النجوم اللامعة ـ ص: ٢٧١)

---

(٢) الأشاعرة:

سُمُّو بذلك نسبة إلى الإمام الأعظم ناصر السنة وقامع البدعة أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري رحمه الله تعالى و الذي يمتدّ نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ولد بالبصرة سنة ٢٦٠ هجرية في عصر ازدهار و قوة المعتزلة الذين اشتدت حملتهم على الفقهاء و المحدثين ، تتلمذ في علم الكلام لشيخهم في عصره أبي

علىّ الجُبائى حتى أجاد و أبدع و أصبح لفصاحته يتولى الجَدَلَ والمناظرة نائبًا عن شيخه الجبّائى و استمر الأشعرى على مذهب المعتزلة مدة أربعين سنة حتى اختلف مع شيخه فى مسائل منها وجوب الصلاح والأصلح.

فقال : أبو الحسن الأشعرى لأستاذه أبو على: ما تقول فى ثلاثة إخوة مات أحدهم مطيعا والآخر عاصيا و الثالث صغيرا؟ فقال: الأول يثاب بالجنة، والثانى يعاقب بالنار، والثالث لا يعاقب و لا يثاب. قال الأشعرى : فإن قال الثالث يا ربّ لم أمتنى صغيرا و ما أبقيتنى إلى أن أكبر فأومن بك و أطيعك فأدخل الجنة؟ فقال: يقول، الربّ إنى كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار فكان الأصلح لك أن تموت صغيرا، قال الأشعرى : فإن قال الثانى يا رب لم لم تمتنى صغيرا لئلا أعصى فلا أدخل النار ما ذا يقول الرب؟ فبهت الجبائى و ترك الأشعرى مذهبه. وعكف فى منزله مُدّةً من الزمان قارن فيها بين أدلة المعتزلة و أدلة أهل السنة حتى اقتنع بمبادئ أهل السنة والجماعة من الفقهاء والمحدثين. فكثر اتباعه من أهل السنة والجماعة فأهل السنة والجماعة هم الماتريدية والأشاعرة.[1]

و "مذهب" محل الذهاب و زمانه ، والمصدر ، والاعتقاد، والطريقة المتسعة، ثم استعمل فيما يصار اليه من الأحكام.[2]

١ـانظر "شرح الفقه الأكبر"، "كتاب النجوم اللامعة" فى ثقافية المسلم الجامعة (ص-٢٧٢-٢٧٣)

٢ـ المصطلحات والألفاظ الفقهية (ج ٢٥١/٣)

و "الـفـقـهـاء" جمع فقيه و الفقه لغة: "العلم بالشئ ثم خُص بالشريعة و فَقِهَ بـالـكسر فقهاً علم و فَقُهَ بالضم فقاهة صار فقيهاً."[1] و "الملة" : هي الشريعة من حيث أنها تملى أو من حيث أنها تجتمع عليها ملة ، و الجمع مِلَل بكسر الميم إفراداً و جمعاً.

ترجمة الأئمة العظام الذين ذكروا في متن الطحاوية :

١ .الإمام الهمام الجليل أبو حنيفة رحمه الله :

١ـ قـال فـي تـهـذيـب سيـر أعـلام النبلاء ج١ ـ ص ٢٤١ ـ الإمام فقيه الـمـلة عـالـم الـعراق أبو حنيفة النعمان من ثابت بن زوطى التيمي الكوفي ولـد سنة ثـمـانيـن في حياة صغار الصحابة ، و رأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة ....

و روى عـن عـطـاء بـن أبي رباح و هو أكبر شيخ له و أفضلهم على ما قال و عن الشعبي و غيرهم، و عنى بطلب الآثار و ارتحل في ذلك ، و أما الفقه و التدقيق في الرأى و غوامضه فإليه المنتهى و الناس عليه عيال في ذلك قال يحيى بن معين : كان أبو حنيفة ثـقة لا يـحـدث بـالـحديث إلا بما يحفظه ، ولا يحدث بما لا يحفظ ، و لقد ضربه ابن هبيـرة على القضاء ، فأبى ان يكون قاضيًا . و قال قيس بن الربيع : كان أبو حنيفة ورعًا تـقيًا ، مفضلاً على إخوانه ، طويل الصمت كثير العقل . و قال الشافعي : الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة . قلت : الإمامة في الفقه و دقائقه مسلمة إلى هذا الإمام و هذا أمر

١ـ كذا في متن الشامية (ج١ ـ ٩٩)

لا شك فيه ، توفي شهيدًا مسقيًا في سنة خمسين ومئة. و له سبعون سنة ، و عليه قبة عظيمة و مشهد فاخر ببغداد. انتهى.

٢ـ و نقل ابراهيم محمد حسن الجمل في كتابه "حياة الأئمة أبو حنيفة النعمان منارة العلم وافقه أهل الأرض" عن يحيى بن معين صيرفي الحديث : القراء ة عندى قراء ة حمزة ، والفقه فقه أبي حنيفة ، على هذا أدركت الناس ، والفقهاء أربعة: أبو حنيفة ، و سفيان ، ومالك ، و الأوزاعِيّ ، و سئل : هل حدث سفيان عن أبي حنيفة ؟ قال : نعم ، كان أبو حنيفة ثقة صدوقًا في الحديث والفقه، مأموناً على دين الله تعالى.

٣ـ و قال الحافظ ابن عبد البر ـ المالكي ـ في الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : "قال عبد الله بن أحمد الدورقي: سئل يحيى بن معين ـ و أنا أسمع عن أبي حنيفة ، فقال ابن معين : هو ثقة ما سمعت أحدًا ضعفه ، هذا شعبة بن الحجاج يكتب إليه أن يحدث ، و يأمره ، و شعبة شعبة!!" و قال الإمام على بن المديني ـ المعروف بتشدده في الرجال ، و الذي ضعف أباه و لم يحدث عنه و قال : هو الدين ، قال : أبو حنيفة روى عنه الثوري و ابن المبارك و هو ثقة لا بأس به. و كلمة لا بأس به . عند ابن المديني و أمثاله بمعنى "ثقة" و خاصة عند اقترانها بـ "ثقة"، و قال الحافظ ابن الأثير الجزري الشافعي :"كان إماماً في علوم الشريعة مرضياً" و في الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان لابن حجر الشافعي :"و قال شعبة : كان و الله حسن الفهم ، جيد الحفظ .[1]

١ـ اعلاء السنن (ج ١ ـ ص)

٢.الإمام القاضی أبو یوسف :

هـو الإمـام الـمجتهد العلامة المحدث قاضی القضاةأبو یوسف یعقوب بن ابراهیم بن حبیـب بـن حبیـش بـن سعد بن بُحیر بن معاویة الأنصاری الکوفی . ولد أبو یوسف فی سنة ثـلاث عشـرة و مائة حدث عن هشام بن عروة و یحیی بن سعید الأنصاری و هلال الرأی و ابـن سـماعة ، وعدة ، و حدث عنه یحیی بن معین و أحمد بن حنبل و عدد کثیر ... و قال النسائی فی طبقات الحنفیة : ثقة و قال أبو حاتم یکتب حدیثه . قال ابن معین : کان ابوه فـقیـرًا فـکـان أبو حنیفة یتعاهد أبا یوسف بالدراهم مائة بعد مائة و کان أبو یوسف صاحب حـدیث ، صاحب سنة ، و قد صحب أبا حنیفة سبع عشرة سنة ، و بلغ أبو یوسف من رئاسة العلم ما لا مزید علیه ، و کان الرشید یبالغ فی اجلاله . توفی أبو یوسف یوم الخمیس خامس ربیع الأول سنة أثنتین و ثمانین و مئة و عاش تسعا و ستین سنة.(١)

٣ـ **الإمام محمد بن الحسن** ابن فرقد ، العلامة فقیه العراق ، أبو عبد الله الشیبانی الـکـوفـی صـاحـب أبی حنیفة . ولد بواسط و نشأ بالکوفة و أخذ عن أبی حنیفة بعض الـفـقه و تمم الفقه علی القاضی أبی یوسف ، و روی عن أبی حنیفة و الأوزاعی و مالك بـن أنـس . أخذ عنه الشافعی فأکثر جدًا ، و أبو عبید و اخرون و لی القضاء للرشید بعد الـقاضی أبی یوسف ، و کان مع تبحره فی الفقه یضرب بذکائه المثل . توفی إلی رحمة الله سنة تسع و ثمانین و مئة بالریّ. (٢)

١ـ تهذیب سیر اعلام النبلاء (ج ١/ ص ٣٠٦)

٢ـ تهذیب سیر اعلام النبلاء (ج ١/ ص ٣٠٦)

٤ ـ صاحب المتن الإمام الطحاوی :

هـو الإمام العلامة الحافظ الكبير محدث الديار المصرية و فقيهها أبو جعفر أحمد بـن مـحـمـد بـن سـلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدى الحجرى المصرى الطحاوى الـحـنـفـى مـن أهـل قرية طحا من أعمال مصر مولده فی سنة تسع و ثلاثين و مئتين ، و سمع من عبد الغنى بن رفاعة ، و خاله أبی ابراهيم المزنى ، و بكار بن قتيبة ، و طبقتهم . و بـرز فـى عـلـم الـحديث ، وفى الفقه و تفقه بالقاضى أحمد بن ابن عمران الحنفى ، و جـمـع و صـنف ، حدث عنه يوسف القاسم الميانجى ، و أبو القاسم الطبرانى و محمد بن المظفر الحافظ و خلق سواهم من الدماشقة و المصريين و الرحالين فى الحديث.

قال أبو سعيد بن يونس : كان ثقة ثبتًا فقيهًا عاقلاً لم يخلف مثله و لد سنة ثمان و ثلاثين و مئتين ، و مات سنة احدى و عشرين و ثلاث مئة. قلت من نظر فى تواليف هذا الإمام علم محله من العلم و سعة معارفه.(١)

فائدة: ـ اعـلـم أن مبادئ كل علم عشرة نظمها ابن زكرى فى "تحصيل المقاصد" فقال :

فـأول الأبـواب فـى الـمبادى : و تلك عشرة على المراد الحد والموضوع ثم الواضع: و الاسم و استمداد حكم الشارع. تصور المسائل الفضيلة ، و نسبةٌ فائدة جليلة.

فنذكر المبادى العشرة لفن التوحيد:

١ ـ الحد : فتعريفه : هو علم يقتدر به على اثبات العقائد الدينية من أدلتها اليقينية.

٢ ـ الموضوع : و موضوعه ذات الله تعالى من حيث ما يجب له، و ما يستحيل عليه ، و

١ ـ تهذيب سير اعلام النبلاء (ج ٢: ص ٦٢)

ما يجوز فى حقه تعالى ، و كذلك ذات الرسل عليهم السلام و الممكنات من حيث أنه يتوصل بها إلى وجود صانعها و السمعيات من حيث اعتقادها.

٣ـالـواضع : و واضعه هو الله تعالى ، و الذى حرر أدلته و ألف كتبه و رد الشبه عنه هو الإمـام أبو منصور الماتريدى رحمه الله و من تبعه ، و الإمام أبو الحسن الأشعرى رحمه الله و من تبعه.

٤ـالاسـم : و اسمه أصول الدين ، علم العقائد ، علم التوحيد و الصفات ، علم الكلام ، الفقه الأكبر سماه الإمام الأعظم رحمه الله بهذا الاسم.

٥ـ الاستمداد : و استمداده من الكتاب والسنة .

٦ـ و حكم الشارع فيه أنه : فرض.

٧ـ المسائل : و مسائله فهى قضاياه الباحثة عن الواجبات و الجائزات و المستحيلات.

٨ـ الفضيلة : و فضيلته أنه أفضل العلوم.

٩ـ النسبة: و نسبته للعلوم الأخرى أنه أم العلوم و أشرفه لتعلقه بذات الله تعالى.

١٠ـالفائدة: و فائدته أنه بتحصيله يعرف الله عزوجل بالأدلة القطعية ، والفوز بالسعادة الأبدية.

نبذة يسيرة عن كتاب العقيدة الطحاوية:

كتاب العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوى و ما اشتمل عليه من المسائل مستفيضة متواترة :

١ـ قـال الإمـام تـاج الـديـن السبـكـى فـى كتابه الشهير معيد النعم (ص٥٧) (و بـالـجـملة عقيدة الأشعرى هى ما تضمنته عقيدة أبى جعفر الطحاوى التى تلقاها علماء

المذاهب بالقبول و رضوها عقيدة)

٢ـ و قال أبو معين النسفي فى النور اللامع (٢٩) إن أبا جعفر الطحاوى ممن احتوى على علوم سلف الأئمة على العموم ، و على علوم أبى حنيفة و أصحابه على الخصوص)

٣ـ و قال الإمام الكوثرى فى مقالاته ص(٢٢٣) و قد تلقى الطحاوى علوم هؤلاء فى الإعتقاد و العمل عن سليمان بن شعيب الكيسانى و بكار بن قتيبة و ابن أبى عمران و أبى حازم فالأول عن أبيه عن محمد عن أبى يوسف و أبى حنيفة.... إلى أن قال و عقيدة الطحاوى هذه مستفيضة عن أئمتنا متواترة الى اليوم.

٤ـ و قال الإمام الأنور الكشميرى كما يدل عليه قول الإمام الطحاوى هذا و هو أثبت شئى فى هذا الباب (فى بحث الإيمان و أنه يزيد و ينقص أم لا) (فيض البارى ج ١ـ) فلا عبرة بقول السقاف فى شرحه للعقيدة الطحاوية ص ١٧) : (مع ملاحظة أننى فى شك من ثبوت هذه العقيدة و نسبتها للإمام أبى جعفر الطحاوى لأن رأيه هذا لم يسبق إليه أحد من العلماء و المحققين ، و لم يأت بدليل و لو ركيك لثبوت دعواه.

وأصول جمع أصل و هو ما يبتنى عليه غيره و المراد هنا قواعد الدين و ضوابطه. و الدين فى اللغة الطاعة و العبادة، والجزاء ، و الحساب ، و فى الاصطلاح :هو ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه من الأحكام أو : هو وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة بإختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات. فخرج بهذا التعريف ما يضعه البشر ممن لا شرع لهم من تشريع.

قال الإمام و به قال الإمامان المذكوران رحمهما الله تعالى: نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : إن الله واحد لا شريك له

الشرح:۔

اعلم أن التوحيد في اللغة : هو العلم بأن الشئى واحد وفي الشرع : هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته و التصديق بها ذاتاً و صفاتٍ و أفعالاً .وهو مصدر من باب التفعيل و معناه الإنتساب و هو نسبة التوحيد إلى الله ككفرته فكفر و فسقته ففسق أى نسبته إلى الكفر و الفسق فكفر و فسق.

أقوال العلماء في التوحيد:

١ ـ قال الجنيدؒ: التوحيد إفراد القديم من المحدث ٢ ـ و قال الجرجانيؒ : التوحيد ثلاثة أشياءٍ: معرفة الله بالربوبية و الإقرار بالواحدانية ، و نفى الأنداد عنه جملة.

والتوفيق في اللغة :التسديد و في الاصطلاح: جعل الله فعل عباده موافقًا لما يحب و يرضى.

اعلم أن وجود الله اظهر حقيقة و لكن الإنسان قد تغشى نفسه غواش فلا بد من ذكر الأدلة التي يطمئن بها القلب.

و لما كان وجود التوحيد فرع وجود الله عزوجل أردنا أن نذكر الدلائل على وجود الله و إن كان وجود الله يتحلى لكل ذى لب لكن بعض الجهلاء قد ترهقهم غواش :

١ـأدلة وجود الله تعالى:

١. الدليل الأول:

دليل الحدوث : و هذا الدليل مبنى على المقدمتين والنتيجة و هو: العالم حادث

و كل حادث لا بد له محدث فالعالم لا بد له من محدث. اثبات هذا الكلام بالدليل:

المقدمة الأولى: ودليل حدوث العالم: هو أن العالم متركب من جواهر و اعراض و كل من الجواهر و الأعراض متغير فالعالم متغير.

و دليل حدوث الأعراض :

(١) هو تغيرها من عدم إلى وجود و من وجود إلى عدم كسواد بعد البياض و الحرارة بعد البرودة و غير ذلك كما نشاهدها.

(٢) تحتاج إلى جسم تقوم به .

دليل حدوث الجواهر:

لأنها للأعراض لازمة لا تنفك عنها والأعراض حادثة . فلزم أن يكون العالم المكون منهما حادثًا . و ما لا ينفك عن الحادث فهو حادث.

تنبيه:. الجوهر والعرض:

الجوهر ما قام بنفسه --- العرض ما قام بغيره

٢. المقدمة الثانية: ان أي مصنوع لو حدث بلا صانع لزم ان يكون المصنوع قد حدث بنفسه فيلزم أحد الأمرين المتساويين و هو الوجود والعدم على مساويه بلا سبب و هو محال بعد ثبوت المقدمتين سلمت النتيجة و هي : العالم لا بد له من محدث يحدثه .

٢. الدليل الثاني :

دليل الوجوب: موجد هذا الكون أما يكون ١. مستحيلا ٢. أو ممكناً ٣. او واجبًا و لا رابع لها .

١) بيان المستحيل : لا يجوز ان يكون موجد العالم مستحيلا : لأن المستحيل

لايتصور وجوده مطلقًا فهو عدم محض فلا يكون مصدرًا للوجود.

(٢) بيان الممكن: أما الممكن : فلا يجوز أيضاً أن يكون موجد العالم ممكنًا لأن الممكن لا يوجد الاإذا وجد سبب وجوده و هذا السبب يحتاج إن كان ممكناً إلى سبب اخر والسبب الأخر إلى سبب اخر و هكذا فيلزم منه الدور أو التسلسل و كلاهما باطل فلزم أن لا يكون موجد الكون ممكنًا ، و لما ثبت أن موجد العالم ليس بمستحيل و لا بممكن وجب أن يكون موجد العالم واجب الوجود فلايحتاج وجوده إلى سبب بل هو علة العلل و سبب وجود العالم.

معنى الدور: هو أن يكون شيئان كل منهما علة للآخر كقولك زيد أوجد عمرًا و عمر أوجد زيدًا فكل من زيد و عمر يتوقف وجود أحدهما على الأخر .

معنى التسلسل :و هوأن يستند الممكن فى وجوده إلى علة أخرى مؤثرة فيها و هلم جرًا إلى ما لا نهاية و هو منقوض بالمشاهدة لأن هناك مخلوقات انقرضت فلو صح أن الموجودات تتسلسل إلى ما لا نهاية بأن تكون كل حلقة فيها معلولاً لما قبلها و علة تامة لما بعدها لما انقرضت هذه الموجودات لأن الحلقة الأخيرة فيها معلولة فقط و ليست بعلة كسابقتها.

٣. الدليل الثالث :

دليل العناية و الاختراع :وهو أجلى الأدلة على وجود الله تعالىٰ ذكره ابن رشد فى مناهج الأدلة . ١ـالشق الأول دليل العناية: وهذايظهر فى العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله و يبنى على أصلين هما :

(١) إن جميع الموجودات فى الدنيا موافقة لوجود الإنسان .

(٢) إن هـذه الـمـوافـقة هى ضرورة من قبل قاصد لذلك مريد إذ ليس يمكن أن تـكـون هـذه الـمـوافـقة بـالإتـفـاق و الموافقة تحصل بإعتبار موافقة الليل و النهار و الشـمس و القمر لوجود الإنسان و كذلك موافقة الزمان و المكان الذى هو فيه أيضا ، والحيوان والنبات والجماد و الأمطار و الأنهار والبحار والنار و الهواء .

والآيات التى تحقق هذا الدليل :١. ﴿ تَبَارَكَ الَّذِىْ جَعَلَ فِىْ السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيْهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيْراً ﴾ (الفرقان:٦١) ٢. ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ .أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً .ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً . فَأَنبَتْنَا فِيْهَا حَبّاً .وَعِنَباً وَقَضْباً .وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً . وَحَدَائِقَ غُلْباً .وَفَاكِهَةً وَأَبّاً .مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (عبس:)

ب: الشق الثانى :دليل الاختراع :

و هو ما يظهر من اختراع جواهر الاشياء الموجودات كاختراع المياه فى الجماد والادراكات الحسية والعقل ، و يدخل فيه وجود الحيوان كله و وجود النبات و و جود السماوات و هذا الدليل يرجع إلى أصلين موجودين بالقوة فى جميع فطر الناس هما :

١ . أن هـذه الموجودات مخترعة فإنا نرى اجسامًا جمادية ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قـطـعًـا أن ههـنـا مـوجدًا للحياة و منعمًا بها ، و هو اللّٰه تبارك و تعالىٰ. و أما السموات فنعلم من قبل حركتها التى لا تفتر إنها مأمورة بالعناية بما ههنا و مسخرة لنا و المسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة.

٢ . أن كـل مـخـتـرع فـله مختَرِع فعلى من اراد ان يعرف اللّٰه حق معرفته ان يعرف جواهر الأشيـاء ليـعـرف عـلى الاختراع الحقيقى فى جميع الموجودات لأن من لم يعرف حقيقة الشيئ لـم يـعـرف حـقيقة الاختراع قال تعالى:﴿ أَوَلَـمْ يَـنظُـرُواْ فِىْ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ (الاعراف ـ ١٨٥)

تحدث الفلاسفة عن قدرة الله تعالى:

واليوم نرى فلاسفة الزمان اكتشفوا آفاق الفضاء و وقفوا على بعض اسرار الطبيعة في شتى المجالات فاجبروا ان يتحدثوا بقدرة الله تعالى:

١. اعلن الفلكيون عن رصدهم نجمًا يبعد عنا اثنى عشر و نصف بليون سنة ضوئية.

٢. شمسنا هذه يبلغ حجمها نحو مليون و ثلاثمائة قدر حجم الأرض ، و هي كتلة من صخور و معادن سائلة و غازات محترقة ، تبلغ درجة حرارة سطحهاستة آلاف درجة مئوية و درجة حرارة مركزها تبلغ عشرين مليون د رجه مئوية.

٣. و ملح الطعام الذي تستحيل حياة الإنسان بدونه يتكون من اخطر عنصرين هما الصود يوم الذي يدخل في تركيب المتفجرات و الكلور الغاز الخانق القاتل .

٤. إذا انظرت في المجهر إلى قطرة من المياه الآسنة تجد عالما من الأحياء فيه العجائب.

٥. بصمة الاصبع لأي شخص او امرأة أو طفل أو رجل ، لاتشبه بصمة أي شخص آخر و لذا تتخذ التحقيقات الجنائية بصمات الأصابع دليلًا على كشف هوية المجرمين.

الدليل الرابع :

الدليل الوجودي : و يسمى برهان الاستعلاء و الاستكمال أو برهان المثل الاعلى و هو أن العقل الإنساني كلما تصور شيئًا عظيما تصور ما هو أعظم منه لأن الوقف عند مرتبة قاصرة يحتاج إلى سبب و العقل الإنساني لا يعرف سبب القصور فما في شيئ

كامل إلا و العقل الإنسانى متطلع إلى أكمل منه ثم اكمل منه إلى نهاية النهايات ، و هى غاية الكمال المطلق التى لا مزيد عليها ، و لا نقص فيها ، و هذا الوجود الكامل موجود لا محالة ، لأن وجوده فى التصور أقل من وجوده فى الحقيقة فهو فى الحقيقة موجود لأن الكمال المطلق ينتفى عنه بسبب عدم الوجود و لا يبقى له شيئ من الكمال بل نقص مطلق و هو عدم الوجود ، فمجرد تصور هذا الكمال مثبت لوجوده [١].

الرد على الشيوعية:

بعد ايراد الدلائل الدامغة على وجود الله نرد على الشيوعية المضمحلة التى تقول مؤسسها:(لا اله والحياة مادة)، أو قوله:(أن العالم خلق صدفة) ، و كلامه باطل لا حقيقة له و قد رد علماؤنا الأوائل على هؤلاء الدهرية و من ذلك ١ ـ ما نقل عن الإمام أبى حنيفة انه كان شديدًا على دهرية زمانه ، و كانوا يترقبون الفرصة لقتله غيلة فبينما هو فى المسجد يومًا إذ هجم عليه جماعة منهم بسيوف فقال : اجيبونى عن مسئلة ثم افعلوا ما بدالكم ، قالوا : هات ، قال : ما تقولون فى سفينة مشحونة بالأحمال مملؤة بالأثقال ، فى لجة قد احتوشتها أمواج متلاطمة و هى تجرى بعينها على الإستقامة ليس لها ملاح يوجهها و لا دافع يدفعها ؟!! قالوا : هذا شيئ لا يقبله العقل ! قال : سبحان الله !! إذا لم يجز فى العقل سفينة تجرى من غير ملاح فكيف يجوز قيام الدنيا على اختلاف أعمالها ، و تغاير أحوالها وسعة أكنافها ... من غير صانع قالوا صدقت و تابوا [٢].

---

١ ـ انظر العقيدة الإسلامية للاستاذ الدكتور القحطان الدورى ص٢٠٨ و ما بعدها تجد هذه الدلائل مفصلة و قد اخذنا منه قدر الكفاية.

٢. أصول العقائد (ص ٤٤).

٢. سأل رجل جعفر الصادق رحمه الله تعالىٰ عن الله تعالىٰ، فقال: الم تركب البحر؟ قال: بلىٰ قال: فهل هاجت بكم الريح عاصفة ؟ قال نعم قال: و انقطع أملك حينئذٍ من الملاحين و وسائل النجاة؟ قال نعم. قال: فهل خطر ببالك و انقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع ان ينقذك إن شاء؟ قال: نعم. قال: فذلك الله.

٣.و قد استدل الإمام الشافعيّ عند ما سئل عن معرفة الله تعالى فقال ورقة الفرصاد (التوت) طعمها و لونها و ريحها وطبعها واحد عندكم، قالوا نعم، قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم والنحل فيخرج منها العسل والشاة فيخرج منها البعر و تأكلها الظبأ فينعقد فى نوافجها المسك، فمن ذا الذى جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد.

ثانيًا: هذا مؤسس الشيوعية مردخاى ماركس الذى انكر وجود الله فليست هذه فكرته التى ابتكرها من عند نفسه بل هى سرقة علمية سرقها من هيجل وفورباخ و هى فكرة متخلفة رجعية، ذلك لأن التحقيقات الجديدة انكرت كون المادة هى التى تقع عليه الحواس فمن خلال نظريات الثقب الأسود وصل العلم إلى أن ما تدركه الحواس من المواد لا يمثل إلا ٧/١٠٠ و أما ٩٣ %فهى مواد لم تدركها بعد الحواس فما ذا يصير قول ماركس عن المادة بمعيار العلم، و قوله فى كل مادة تناقضًا ايضا باطل لأن الملاحظ من الاستقراء أن ما فى المواد هو التزاوج و التكامل على النحو الذى نرى إبتداء من الذرة و إنتهاء إلى الحرم الكبير[1].

١ـ انظر "حاضر العالم الإسلامى" للدكتور على جريشة (ص: ٤٣).

٢ ـ وحدانية الله تعالى:

بعد أن ذكرنا دلائل اثبات وجود الله نذكر الآن اثبات وحدانية الله عزوجل:

١ ـ الدليل النقلي:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

٢ ـ وقال الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ١٦٣).

هذه الأيات و غيرها من الأيات الكثيرة التي تدل على وحدانية الله تعالى.

٢ ـ الدليل العقلي:

١. برهان التوارد: و هو أنه لو لم يكن الله واحدًا لكان متعددًا: بأن يكون هناك آلهان فأكثر، فلو كان آلهان أو أكثر فإما أن يتفقا و إما أن يختلفان فإن اتفقا على ايجاد شيئ مثلاً فإما أن يوجداه معًا وعندئذ لزم اجتماع مؤثرين تامين على أثر واحد و هو باطل بالبداهة، و أما أن يوجداه مرتبين بأن يوجده أحدهما ثم يوجده الآخر و عندئذ لزم تحصيل الحاصل و هو باطل بالبداهة. و أما ان يوجده أحدهما دون الآخر و عندئذٍ كان الموجود هو إلاله و الثاني باطل و أما ان يوجد كل منهما بعض الشيئ دون البعض الآخر و عندئذٍ لزم عجزهما لأنه لما تعلقت قدرة احدهما بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به فلا يقدر على مخالفته و هذا عجز، و كل ذلك باطل فبطل ما ادى إليه و هو وجود الهين متفقين لما فيه من تواردهما على شيئ (كذا في العقيدة الإسلامية).

٢. برهان التمانع : و هو أنه لو كان الهان يريد احدهما قيام زيد فى آن و يريد الآخر قعوده فى ذلك الآن فمحال نفوذ الإرادتين لإستحالة المراد و جمع الاضداد ، فإن غلبت إرادة أحدهما على الآخر فهذا الآخر عاجز مقهور فهو ليس باله و بقى واحد و هو الواحد المطلق الذى لا يعجزه شيئ فهو الله (١).

٣.الرد على عقيدة التثليث (عقيدة الشرك):

و بطلان قولهم بأن الله ثالث ثلاثة وأنه مركب من ثلاثة أجزاء الأب ،الإبن ،روح القدس.

ا_الرد من القرآن:

ا_ قد رد الله عزوجل عقيدة النصارى فى ايات كثيرة منها قول الله تعالى :

قال الله تعالى:﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(المائدة:٧٢).

وقال الله تعالى:﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾(النساء: ١٧١)

ب_الرد من التوراة:

ردت التورلة على عقيدة التثليث و فى سفر (تثنيه ص ٣٩) (الرب هو الالۀ فى السماء من فوق و على الأرض من أسفل ليس سواه)

١_ الله لسعيد حوى (ص ١٣٤).

جـ ـ الرد على عقيدة التثليث من كتاب النصارى على مزاعمهم:

يورد الاصحاح الخامس من إنجيل يوحنا قول السيد المسيح عليه السلام معنفًا قومه اليهود على عدم إيمانهم بالله الواحد بقوله : "كيف تقدرون أن تؤمنوا و انتم تقبلون مجدًا بعضكم من بعض و المجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه".

د ـ تصادم التثليث مع العقل:

بعد استعراضنا للنصوص فى موضوع التثليث نعرضه على العقل لأن هذه العقيدة الشركية تخالف العقل ايضاًفنقول :

لا يمكن للعقل أن يتصور إلهًا واحدًا مكونا من عناصر ثلاثة فالشيئ المركب لا يتكون إلا بعد وجود تلك العناصر والأجزاء فوجود الأجزاء يسبق تكونها و تركبها و الله لم يكن مسبوقًا بشيئ فهو الأزلى وحده و كذلك فان الشيئ المركب يفتقر فى تحققه إلى كل جزء من أجزائه فإن لم يفتقر بعض الأجزاء إلى الآخر لا يمكن أن تتألف منها الذات الأحدية والله لا يفتقر إلى شيئ ، و كذلك لا بد للمركب من مركب يتولى تركيب أجزائه حتى يتكون الكل والعناصر لا ينضم بعضها إلى البعض الآخر دون علة و هذا باطل فى الله. و كذلك فإن الشيئ المركب محدود بكمية أجزائه و عناصره و مقدارها فهو محدود بحدود الأجزاء التى ركب منها و بالتالى فمن الممكن رؤيته و تحديده فهو يتحيز بمكان و حيز معين و هو باطل فى الله.

قال العلامة الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه "اظهار الحق" : الواحد الحقيقى ليس له ثلث صحيح أما الثلاثة فلها ثلث صحيح و هو واحد و أن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة والواحد الحقيقى جزء الثلاثة ، فلو اجتمعا فى محل واحد يلزم كون الواحد ثلث

نفسه و الثلاث ثلث الواحد ، و كون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة فاستحال الجمع بين الوحدانية و التثليث لمخالفته للعقل.(١)

فائدة: قسم شارح العقيدة الطحاوية الشيخ ابن أبي العز التوحيد إلى ثلاثة اقسام:

١. توحيد الربوبية: و يعنى به بأنه افراد الله تعالى بالخلق و الملك.

٢. توحيد الألوهية: و يعنى به بأنه افراد الله سبحانه و تعالىٰ بالعبادة بحيث لا يتخذ مع الله احدًا يعبده .ويزعم أن بهذا التوحيد ارسل الرسل عليهم السلام .

٣. توحيد الأسماء و الصفات: و يعنى به افراد الله بماسمى به نفسه و وصف به نفسه فى كتابه أو على لسان نبيه باثبات ما أثبته لنفسه فى كتابه أو على لسانه نبيه باثبات ما اثبته لنفسه.

و هذا التقسيم الذى اورده فى شرحه رده العلماء الجهابذة و وجه الرد :

اولاً ـ أن الله اكتفى فى الأزل بتوحيد الربوبية ـ قال الله تعالى(ألست بربكم قالوا بلى).

فلو كان توحيد الربوبية قسيم توحيد الألوهية فكيف صح الاكتفاء بتوحيد الربوبية مع أن المراد ههنا من الربوبية ليست إلا الألوهية كما هو واضح فبطل التقسيم۔

ثانياً۔ إذا وضع الميت فى القبر و جاء ه النكير و المنكر يسألونه: من ربك؟ قال رسول الله ﷺ :(إن الملكين يسألان العبد فى قبره ، فيقولان له: من ربك؟) و لم يقولا له: من إلٰهك؟ لأن المراد من الرب هنا الله عزوجل۔

١ـ هذه النصوص كلها أخذتها من كتاب الله واحد ام ثالوث(١٣٧)و مابعدها۔

ثالثاً۔ أن هذا التقسيم ليس من التقسيمات الاصطلاحية الصناعية حتى يقال لامشاحة فى الاصطلاح بل رتب عليه الأمور الخطيرة منها تكفير المسلمين و تبديعهم بل الذين يدندون حول هذا التقسيم يشوهون سمعة علماء أهل السنة والجماعة و اعلامهم فإذا ما حققوا كتابًا من كتب العلماء الأعلام قالوا: أخل بتوحيد الألوهية فى هذا الكتاب حتى حرفوا كتب العلماء الأعلام، و فتحوا الابواب على مصراعيه لكل من هبّ و دبّ ليجعل هذا كافراً و ذاك مشركاً و هذا مبتدعاً و هذا ضالاً و لم يفلح منهم إلا من صَوّب آراؤهم و سلك مسلكهم ففى هذا فهم يخلمون الدين و الحنيفية السمحة البيضا بزعمهم و إلى الله المشتكى.

خطورة رمى المسلم بالشرك

١ـ عن أبى هريرة ان رسول الله ﷺ قال: "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها احدهما." [متفق عليه]

٢ـ عن سفيان بن نافع الواسطى قال: [illegible] رجل جابر بن عبد الله: (هل كنتم تسمون احدًا من أهل القبلة كافرًا ؟ قال معاذ الله ! قال فهل تسمونه مشركاً قال: لا) رواه أبو يعلى فى مسنده و قال الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية صحيح موقوف.

فعلم من هذين الحديثين و غيرهما أن رمى المسلم بالشرك والكفر إثم و معصية فكيف ينسب إلى الشرك من توسل بالأنبياء والرجال الصالحين وقد عَلَمّ رسول الله ﷺ الأعمى أن يقول: (اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى) رواه الترمذى و البهيقى، فى دلائل النبوة والحاكم و صححه على شرطهما و اقره الذهبى و غيرهم بأسانيد صحيحة . و قال أحمد فى منسكه الذى كتبه للمروذى صاحبه: (أنه يتوسل بالنبى ﷺ فى دعائه) وقد نقل هذه العبارة

الحافظ ابن تيمية فى فتاوه (ج١ ص ١٤٠) فأنى يؤفكون.

اعلم أنه أشار فى المتن إلى الشرك فنريد أن نبين الشرك :

أقسام الشرك

(١) الشرك فى الصفات : وهو اثبات صفة من صفات الله تعالى لغيره تعالى لأنه من المحال أن يتصف المخلوق بصفة من صفات الله تعالى.

بعض اقسام الشرك فى الصفات:

(١) الشرك فى القدرة:

و هو اثبات قدرة الله عزوجل لغيره تعالى كأن يعتقد أن فلاناً الشيخ أو الولى أو الشهيد أو غيره من المخلوق يمطر ، أو يهب الابن أو البنت ، أو يقضى الحاجات ، أو أن الحياة أو الموت بيده ، أو ينفع أو يضر فهذه كلها من أقسام الشرك فى القدرة.

(٢) الشرك فى العلم :

و هو اثبات صفة علمه تعالى لغيره : كأن يعتقد أن أحداً من الأنبياء أو الأولياء كان يعلم الغيب، أو أن يعتقد أن هؤلاء كانو يعلمون كل ذرة من الذرات فى الكون كما يعلمها الرب جلا و علا، أو يعلمون من البعيد أو القريب فهذا من الشرك فى العلم.

(٣) الشرك فى صفتى السمع و البصر :

وهو اشراك غيرالله عزوجل فى صفتى السمع و البصر معه كأن يعتقد أن فلاناً النبى أو الولى يسمع أقوالنا من مسافة بعيدة أو قريبة أو يرانا و يرى أعمالنا من أى مسافة و مكان فهذا من الشرك فى صفتى السمع و البصر.

(٤) الشرك فى الحكم:

"و هو تحكيم غير الله تعالى و تسليم حكمه كحكم الله كأن يأمره الشيخ بورد يقرأه قبل صلاة العصر فيلزمه على نفسه، و ينهمك فی الورد فلا يبالی بدخول الصلاة وقت الكراهية أو فوتها امتثالاً لأوامر الشيخ و ذلك لئلا يختل حكم الشيخ فهذا من الشرك فی الحكم." و فی "أحكام القران" (۱۸۰/٦) للإمام القرطبي : (قوله تعالى :"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" و (الظالمون) و (الفاسقون) نزلت كلها فی الكفار؛ ثبت ذلك فی صحيح مسلم من حديث البراء، و قد تقدّم . و على هذا المُعظَم . فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة. و قيل: فيه إضمار؛ أی و من لم يحكم بما أنزل الله ردًا للقرآن و جحداً لقول الرسول عليه الصلاة و السلام فهو كافر؛ قاله ابن عباس و مجاهد، فالآية عامة على هذا. قال ابن مسعود و الحسن: هی عامة فی كل مَنْ لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين و اليهود و الكفار أی معتقداً ذلك و مستحلاً له؛ فأما من فعل ذلك و هو معتقد أنه راكبُ مُحَرَّمٍ فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى إن شاء عَذّبه، و إن شاء غفر له) انتهى.

(٥) الشرك فی العبادات :

و هو استحقاق العبودية لغير الله عزوجل مثل الله عزوجل كالسجود للشيخ أو للقبر، أو الركوع لأحد، أو الصيام باسم الشيخ أو النبی أو الولی أو الإمام. و هذا بحث(بحث الشرك) قد أخذناه من رسالة لمفتی الهند الشيخ العلامة كفاية الله الدهلوی رحمه الله اسمها "تعليم الإسلام" و هی بالأردوية و قد عربنا ما أخذنا منها.

❁❁❁

بعض مزالق الشرک:

۱. الریاء من الشرک الخفی و قد یجر صاحبه إلی الشرک الأکبر إلا من یتوب منه و یسمی الشرک الأصغر قال رسول الله ﷺ : (من صام یرائی فقد اشرک و من صلی یرائی فقد اشرک ، و من تصدق یرائی فقد اشرک) رواه البهیقی.

۲. الحلف بغیر الله : قال رسول الله ﷺ (من حلف بغیر الله فقد کفر أو اشرک) "رواه الترمذی وحسنه."

۳. اسناد المطر إلی الأنواء :عن عبد الله بن عتبة قال صلی بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحدیبیة فی أثر السماء کانت من اللیل فلماانصرف اقبل علی الناس فقال:" هل تدرون ماذا قال ربکم؟"قالوا الله و رسوله اعلم: قال قال الله :"اصبح من عبادی مؤمن و کافر فأما من قال : مطرنا بفضل الله و رحمته فذلک مؤمن بی و کافر بالکواکب، و أما من قال مطرنا بنوء کذا فذلک کافر بی مؤمن بالکواکب".[رواه فی الصحاح]

٤. تعاطی السحر و اسناد التأثیر الذاتی له : عن أبی هریرة رضی الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من عقد عقدة ثم نفث فیها فقد سحر و من سحر فقد اشرک و من تعلق بشیئ و کل إلیه (رواه النسائی).(والتفصیل فی السحرات فی بحث الکهانة).

٥. التنجیم و اطلاع علی الغیب :

(۱) عن جابر رضی الله عنه عن النبی ﷺ قال : من أتی کاهنا فصدقه بما قال ، فقد کفر بما انزل علی محمد (رواه بزار بإسناد جید قوی).

(۲) عن أبی هریرة رضی الله عنه قاﷺل قال رسول الله ﷺ : من أتی عرافًا أو

كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بماانزل على محمد ﷺ (رواه أبو دادو والنسائى وابن ماجة)

والعراف : هو من يزعم انه يعرف الأمور بمقدمات و أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله و فعله و حاله .

والكاهن : هو من يدعى معرفة الغيب فى مستقبل الزمان و يكذب و يقول إنه يعرف الأسرار ، و ما فى الضمائر. و سيأتى تفصيله.

٦. العيافة و الطيرة والعدوى :

عن قطن ابن قبيصة عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : العيافة والطيرة والطرق من الجبت. (رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه).

فالعيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها و أصواتها و ممرها.

والطيرة : زجر الطير للتيمن بطيرانه جهة اليمن أو التشاؤم بطيرانه جهة الشمال.

والجبت: كل ماعبد من دون الله. والعدوى : انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بواسطة مّا.

٧. النذر و الذبح لغير الله:

١ـ عن عائشةؓ أن رسول الله ﷺ قال : من نذر أن يطيع الله فليطعه و من نذر أن يعصى الله فلا يعصه) رواه فى الصحيح .

٢ـ وعن علىؓ قال حدثنى رسول الله ﷺ بأربع كلمات : لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه لعن الله من آوى محدثًا ، لعن الله من غيّر منار الأرض) (رواه مسلم. كذا فى "العقيدة الاسلامية" و "تعليم الاسلام" لمولانا كفايت الله الدهلوىؒ)

١. قال ابن نجيم في البحر الرائق ج ٢/ص ٣٢٠ (النذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون للمخلوق).

٢. و قال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني في مكتوباته (ج ٣/ص ٧٠): و الحيوانات التي ينذرونها لأرواح المشائخ و يذبحونها على قبورهم، قد اثبت من الروايات الفقهية أن هذا الفعل من الشرك، و قد بالغ الفقهاء في منعها و جعلوا هذا الذبح من جنس ذبائح الجن و هذا العمل ممنوع في الشرع و هو داخل في دائرة الشرك فيجب الإجتناب منه لأنه يشوب الشرك.

قال: و لا شيئ مثله، و لاشيئ يعجزه و لاإلٰه غيره:

الشرح:

قوله و لا شيئ مثله: يعني أن الله ليس مثله شيئ في ذاته و صفاته وأفعاله قال الله تعالىٰ: ﴿ليس كمثله شيئ﴾

قوله: و لاشيئ يعجزه: أي لاشيئ موجود يثبت عجزه لأن قدرته تعالىٰ كاملة كل الكمال قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ (الفاطر: ٤١)

و قال تعالى:﴿وسع كرسيه السموات والأرض و لا يؤده حفظهما و هو العلى العظيم﴾(البقرة:٢٥٥)

وقال الله تعالى:﴿ و ما كان الله ليعجزه من شيئ في السموات و لا في الأرض انه كان عليمًا قديرًا﴾.(الفاطر:٤٤)

و قوله: (لا إلٰه غيره) وإلٰه على وزن فِعال بمعنى اسم المفعول مألوهٌ و هو بمعنى

المعبود و فیه اشاره إلی کلمه التوحید (لا إله إلا الله) و معناها لا إله معبودٌ موجود إلا الله.

قال (قدیم بلا إبتداء دائم بلاانتهاء)

الشرح:۔

قوله قدیم :القدم هو إشارة إلی الصفات السلبیة و هی التی دلت علی سلب ما لایلیق بالله تعالی ، و تسلب عن الأذهان أضدادها، و قد اشتهر وصفه تعالی بالقدیم علی المعنی اللائق به تعالی و إن لم یرد فی القرآن قال العلامة الزبیدی : (القدیم صفة ذات و قد أجمعت الأمة علی وصفه تعالی به، و لم یرد فی القرآن ولا أثر صحیح، إلا فی بعض الأدعیة المأثورة مثل یا قدیم الإحسان ، لکنه دل علیه القرآن بقوله تعالی: (وما نحن بمسبوقین ..... الخ) و معناه عدم الأولیة لوجوده تعالی: أی لا أول لوجوده تعالی ۔ والقدم إذا نسب إلی غیره تعالی یراد به طول المدة کما یقال : هذا بناء قدیم. و معنی: بلا ابتداء أن لا یکون مسبوقاً بالعدم. و معنی: دائم: أی باق. و معنی بلا انتهاء: أی محال علیه وقوع العدم.

الدلیل علی ذلک قال الله تعالی:﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(الحدید:٣)

و قال رسول الله ﷺ : اللهم أنت الأول فلیس قبلك شیئ و أنت الآخر فلیس بعدك شیئ)

و لما کان القدم من الصفات السلبیة فلا بد أن نذکر جمیع الصفات السلبیة:

فالصفات السلبیة خمس:

١ . الوحدانیة ٢ . القدم ٣ . البقاء ٤ . المخالفة للحوادث ٥ . القیام بالنفس .

و إليك التفصيل :

الدليل النقلى على وحدانية الله تعالىٰ:

١ـ قال الله تعالى:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ .لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَد. ﴾(سورة الاخلاص)

٢ـ وقال الله تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة ١٦٣:)

٣ـ وقال الله تعالى:﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(الأنبياء :٢٢)

٤ـ وقال الله تعالى:﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(المؤمنون ٩١)

الدلائل العقلية على وحدانية الله تعالى قد ذكرناها من قبل من دليل التوارد والتمانع فلا حاجة إلى إعادتها.

(٢)... القدم : و هو ان وجود الله غير مسبوق بالعدم و ليس له بداية ، و قد ذكرنا الدلائل النقلية على ذلك.

(٣)... البقاء: معناه ان الله ابدى ليس لوجوده آخر و يستحيل أن يلحقه عدم . الدليل على ذلك :

١. قال الله تعالىٰ:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾(القصص ٨٨) .

٢.وقال الله تعالى:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ .وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن ٢٦ـ٢٧)

(٤)...المخالفة للحوادث : أى المخلوقات : معناها ان الله تعالىٰ ليس مماثلاً لشيئ

من الحوادث الموجودة ، فذاته تعالىٰ: لا تشبه ذوات الحوادث و صفاته ليست كصفات الحوادث و أفعاله تعالىٰ: ليست كأفعال الحوادث و ضدها المماثلة فى الذات.و الصفات و الأفعال :

١ . الدليل النقلى : قوله تعالىٰ: ﴿ليس كمثله شيئ﴾.

٢ . الدليل العقلى : ان الله تعالى لو لم يكن مخالفًا للحوادث لكان مماثلاً لها و لو كان مماثلاً لها لكان حادثا مثلها و لو كان حادثا لاحتاج إلى محدث و محدثه يحتاج إلى محدث ...و هكذا فيلزم الدور أو التسلسل و كلاهما باطل فثبت مخالفته للحوادث.

إنكار الشيخ ابن أبى شارح العقيدة الطحاوية العز مخالفته تعالى للحوادث:

تنبيه :-

انكر شارح العقيدة الطحاوية الشيخ على ابن أبى العز مخالفته تعالىٰ للحوادث و شنع على القائلين بها و ردها بقوله:(أنه لم يرد نفيها و لا اثباتها فى كتاب و لا سنة) و ترك الحنفية(الماتريدية و الأشاعرة) وراء ه التى يدعيها و تبع فى ذلك الحافظ ابن تيمية و نقل فى الرد على ذلك من كتاب الحافظ ابن تيمية و اتبع المتبوع الكرامية فى ذلك فقال :(و حلول الحوادث بالرب تعالى المنفى عنه فى علم الكلام لم يرد نفيه و لا اثباته فى كتاب و لا سنة).

قال المحقق الشيخ شعيب الارنؤط فى تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية عند الجملة السابقة :جمهور المتكلمين من أشاعرة و ما تريدية و معتزلة و فلاسفة اتفقوا على منع قيام الحوادث بذاته تعالى و جوّز قيامها بذاته الكرامية ، و فرقوا بين الحادث و

الـمحدث ، فالأول عندهم ما يقوم بذاته من الأمور المتعلقة بمشيئته و إختياره و أما الثانى فهـو مـا يـخـلـقـه سبحانه منفصلاً عنه ، و قد تبعهم شيخ الإسلام ابن تيمية فى تجويز قيام الـحـوادث بـالـذات و الـمؤلف هنا ـ يريد شارح الطحاوية ـ يختصر كلامه المبسوط فى منهاج السنة ، و قـد غـلا رحـمـه الله تعالى فى مناصرة هذا المذهب و الدفاع عنه ضد مـخـالـفيه من المتكلمين و الفلاسفة ، و ادعى أنه مذهب السلف ، مستدلا بقول أحمد و غيره : لـم يـزل متـكـلمًا إذا شاء . بأنه إذا كان كلامه و هو صفة قائم بذاته ، لأن ما يتعلق بـالـمشيئة و الإختيـار لا يكون إلاحادثا. وقد انتهى به القول إلى أن كلام الله تعالى قديم حادث الافراد ، و كذلك فعله و إرادته ونحو ذلك من الصفات غير اللازمة للذات . و بما ان الـقـول بـذلك يستلزم التسلسل فقد جوزه فى الماضى و المستقبل جميعًا ، و ادعى ان مثـل هـذا التسلسل ليس ممتنعًا وغير واحد من العلماء يعدون هذا الذى ذهب إليه شيخ الإسـلام مـن جـمـلة مـانـدّ به عن الصواب و ينكرونه و يقولون : كيف يقول بقدم جنس الـصـفات و الأفعال مع حدوث آحادها ؟ و هل الجنس غير الافراد؟ و هل يتركب الكلى إلا من جزئياته ؟ فإذا كان كل جزئى من جزئياته حادثا فكيف يكون الكلى قديمًا؟ [١]

و قـال الـعـلامة الشيخ مـحـمـد زاهـد الـكـوثرى فى تعليقه على كلام السبكى : (اتـفـقـت فـرق المسلمين سوى الكرامية و صنوف المجسمة على أن الله سبحانه منزه مـن أن تـقدم به الحوادث ، و أن تحل به الحوادث ، و أن يحل فى شيئ من الحوادث ، بل ذلك مما علم من الدين ضرورة[٢].

١ـ عقيدة الإمام الشوكانى(ص ٢٩).

٢ـ عقيدة الإمام الشوكانى (ص ٣١).

(٥)...القيام بالنفس :

و معنى القيام بالنفس أمران :

(١) عدم افتقاره تعالى إلى محل و للمحل تفسيران :

(١) الذات التى يقوم بها لا بمعنى المكان لأن ذلك ... علم من مخالفة الحوادث.

(٢) الذات والمكان معًا.

(٣) عدم افتقاره إلى المخصص (اى الموجد يوجده) لوجوب قدمه تعالىٰ، و بقائه .

الدليل النقلى على قيامه تعالى بالنفس : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الفاطر:١٥). (١)

قال : لا يفنى و لا يبيد .

الشرح:۔

و هى تاكيد لقوله دائم ، فنى الشيئ فناء بادو انتهى وجوده ، معناه هنا : أى لا يزول بقاءه جل و علا ،و لايبيد : من باب باد يبيد بيداً و بيدودة و معناه الهلاك يقال : بادت القبيلة إذا انقطعت ، و المراد هنا : أى لا ينقطع بقاؤه جل و علا.

قال : و لا يكون إلا ما يريد :

الشرح:۔

أى لا يوجد فى ملكه إلا ما يشاء ،و الإرادة صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تخصص كل ممكن ببعض ما يجوز عليه و الإرادة من صفات المعانى فنذكر ههنا أولاً .

١ـ الهداية العلائية للعلامة علاء الدين ابن عابدين و شرحه لمحمد سعيد البرهانى (٤٢٩) و ما بعدها وانظر للتفصيل فيها العقيدة الإسلامية و مذاهبها للقحطان الدورى).

صفات المعانى :

وهى كل صفة موجودة قائمة بموجد يلزم من اتصافه بها ثبوت الصفات المعنوية و هى كالآتى:

١ ـ القدرة :

هى صفة ذاتية أزلية لله تعالى و ضدها عجز . الدليل عليها : قول الله تعالىٰ: ﴿إن الله على كل شيئ قدير﴾ (البقرة ـ ١٥٩)

٢ . الإرادة :

صفة ذاتية ازلية لله تعالىٰ: الدليل عليها : قول الله تعالى ﴿فعال لما يريد﴾ (هود ـ ١٥٦)

٣ـ٤ـالسمع و البصر :

فالسمع صفة ازلية ذاتيه لله تعالى شأنها إدراك ،والبصر صفة أزلية ذاتيه لله تعالى يبصر الله سبحانه بها الأجسام و الألوان و الأشكال من غير جارحة ، فبصره سبحانه و سمعه مخالفان لما عليه السمع و البصر فى المخلوقات .

والدليل عليه:﴿ليس كمثله شيئ و هو السميع البصير﴾.

٥ . العلم صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى انكشف بها كل من الواجب والجائز والمستحيل انكشافًا تاما على وجه الإحاطة من غير سبق خفاء .

الدليل عليه : ﴿إن الله بكل شيئ عليم﴾.

٦ . الحياة : صفة ذاتية ازلية لله تعالى.

والدليل عليها :

﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ (البقرة:٢٥٥)

﴿هو الحى لا إله الاهو﴾(الغافر:٦)

٧. الكلام:

فهو صفة ذاتية أزلية لله تعالىٰ: الدليل قال الله تعالىٰ﴿و كلم الله موسى تكليما ﴾(النساء:١٦٣)

و كلام الله نوعان :

ا. كلام نفسى :

و هو الكلام حقيقةُ المعبر عنه بألفاظ ليس من جنس الأصوات و الحروف بل صفة أزلية قائمة بذاته تعالى منافية للسكوت والآفة كما فى الخرس والطفولية و هو قديم (لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالىٰ). و الكلام النفسى هو : أنه غير العبارات : إذ قد تختلف العبارات بالأزمنة والأمكنة و الأقوام و لا يختلف فى ذلك المعنى النفسى ، بل قد يدل عليه بالاشارة والكتابة كما يدل عليه بالعبارة و الطلب الذى هو معنى قائم بالنفس واحد لا يتغير مع تغير العبارات ، و لا يختلف باختلاف الدلالات .

و غير العلم : إذ قد يخبر الرجل عما لا يعلم بل يعلم خلافه أو يشك فيه و غير الإرادة: إذ قد يأمر الرجل بما لا يريده كالمختبر لعبده هل يعطيه أم لا . والكلام النفسى صورة للعلم الذاتى فى النفس كما ان العلم صورة للمعلوم فيها ، و لذا كان كلامه تعالى لانهاية له كعلمه و ذلك لأن الكلام النفسى ثابت لغة و شرعا لأنه شاع اطلاق اسم الكلام ، والقول على المعنى القائم بالنفس والناس يقولون : (فى نفسى كلام) و قال عمر رضـ (إني زورت في نفسي مقالة) و قال الشاعر : إن الكلام لفى الفؤاد و إنما ...

جعل اللسان على الفؤاد دليلاً.

و قال الله تعالىٰ﴿ و يقولون فى أنفسهم﴾(المجادلة :٨)

ب:. كلام لفظى :

و هو عبارة عن أصوات و حروف ، و هذه يقولون بحدوثه و عدم قيامه بذاته تعالى و هو القرآن الكريم و سائر الكتب المنزلة . فالقرآن بمعنى الكلام النفسى ليس بحادث ، و أما القرآن بمعنى اللفظ الذى نقرؤه فهو حادث لكنه يمتنع أن يقال :القرآن حادث ، إلا فى مقام التعليم .

مذهب بعض الحنابلة:

قالوا كلام الله تعالى عبارة عن حرف وصوت يقومان بذاته تعالى و هو قديم حتى غلا بعضهم فى ذلك فقالوا: الجلد و الغلاف قديمان فضلاً عن المصحف ، و هذا الكلام مخالف مع أهل السنة والجماعة و باطل بداهة: لأن أصول كل حرف و وجوده لا يمكن تحقيقه إلا بعد انقضاء الحرف الذى قبله فيكون الحرف الأول منقضيًا و يكون الذى بعده أول ، و قد علم أن ما ينقضى ، أو يكون أول لا يمكن ان يكون قديمًا فيكون حادثاً ، و ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث.[1]

و هذه الصفات السبع هى التى اتفق عليها الأشاعرة و الماتريدية .

١ـ و لمزيد التفصيل فى هذه الموضوعات انظر كتاب شرح فقه الأكبر للإمام الملا على القارى، و العقيدة الإسلامية للعلامة قحطان الدورى.

٨ـ التكوين:

و هناك صفة أخرى ثابتة لله و هى التكوين يقول بها الماتريدية و لا يقول بها الأشاعرة لأن الأشاعرة قالوا فى نحو صفة الإحياء و الإماتة و الترزيق أنها عبارة عن تعلق القدرة بها فالإحياء عندهم عبارة عن تعلق القدرة والإرادة مع حياة أحد ، و كذلك أمثالها ، و أما الماتريدية فقالوا إن القدرة تكون على الجانبين ، أما الإرادة فأيضاً تتعلق بالجانبين . و إن كان بدلاً فتارة تتعلق بوجود الشيئ ، و أخرى بعدمه ، بخلاف التكوين ، فانه يتعلق بوجود الشيئ فقط ، و لا يتعلق بالعدم أصلاً ... فالقدرة والإرادة إذا تعلقتا بجانبى الشيئ ، و لم تفيدا فعلية وجوده ، احتاج إلى صفة تكون منشأ للفعلية ، و هى التكوين فإذا اراد الفعلية ، قال له : كن : أى جاء التكوين فأوجده [1].

و هذا التفصيل (لصفات الله تعالى) أخذناه من العقيدة الإسلامية و مذاهبها للاستاذ الدكتور قحطان عبد الرحمن الدورى و غيره من كتب الأشاعرة.

ثانيًا: الصفات المعنوية: و هى كل صفة ثبوتية لا توصف بالوجود ، كصفات المعانى، و لا بالعدم ، كالسلبية بل هى ملازمة لصفات المعانى لا تنفك عنها ، و هى : كونه تعالى قادرًا ، مريدًا ، عالمًا ، حيًا سميعًا ، بصيرًا ، متكلمًا [2].

قال : لا تبلغه الأوهام و لاتدركه الأفهام:

الشرح:ـ

لا تبلغه الأوهام : الأوهام جمع وهم و هو ما يقع فى الذهن من الخاطر ، و الأفهام

١ـ فيض البارى (ج ٦. ص ٥٧٢/٥٧٣)

٢ـ الهدية العلائية (٤٣٩.)

جمع فهم و فهمت الشيئ علمته . فما يقع عليه خاطرك و تظنه فهو جل و علا خلافه، فالوهم والعلم لا يدركان احاطة ذات الله جل و علا . لأن وهم البشر و فهمه عاجزعن ادراكه تعالى قال الله تعالىٰ: ﴿و لا يحيطون به علمًا﴾.

قال : و لا يشبه الأنام :

الشرح:۔

الأنام اسم جمع لا واحد له من لفظه . و هذا رد على المشبهة التى تقول أن الله له جسم لكن لا يشبه جسمه جسم البشر أوله صورة لكن لا يشبه صورته صورة البشرفرد عليه المصنف بقوله : إن الله لا يشبه البشر فى ذاته و صفاته . و فى الفقه الأكبر : لا يشبه شيئاً من خلقه و لا يشبهه شيئ من خلقه.

قال :حى لا يموت قيوم لا ينام:

الشرح:۔

أى أن الله موصوف بصفة الحياة فحياته أزلية كما انها أبدية كما صرح بقوله (لايموت) قيوم: أى قائم بنفسه و ذاته و ذكره بلفظ المبالغة اشارة بأنه القائم بنفسه ، المقيم لغيره بالتدبير ثم أكد هذه المبالغة بقوله (لا ينام) أى لا يعرض له ما يعرض للخلق من النوم لأن من يعرض له النوم فحياته ناقصة فالله لا تأخذه سنة و لا نوم . قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾ (طه : ١١١) قال الله :﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾(البقرة:٢٥٥)

قال:خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة:

الشرح:۔

يعنى أن الله خالق لجميع الخلق بدون احتياج إليهم كما أن الله خالقهم فكذلك رازقهم فضلاً منه و رحمة بلا تحمل المشقة التى تثقله لأنها عجز و نقص والله منزه عن ذلك.قال الله تعالى:

١. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:٢١)

٢. و قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(الفاطر:١٥)

٣. وقال الله تعالىٰ:﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾(الذريات:٥٨)

٤. وقال الله تعالىٰ:﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾(طه:١٣٢)

و قال رسول الله ﷺ قال الله تعالىٰ:"يا عبادى لو أن أولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئًا يا عبادى لو أن أولكم و اخركم و إنسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك فى ملكى شيئاً يا عبادى لو أن أولكم واخركم و إنسكم و جنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فاعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا ادخل البحر ." (رواه مسلم)

هل يسمى الحرام رزقا أم لا؟

قال فى "أحكام القرآن" (ص:٢٨٢): الحرام رزق أو لا؟

قال فى روح المعانى: استدل المعتزلة بالآية على ان الحرام ليس برزق (فإنه بين أن

من جعل الرزق حراما فهو مفتر فدل على أن الحرام ليس برزق.) و لا دليل لهم فيها اذا المعنى ما قدر لإنتفاعكم والمقدر للإنتفاع هو الحلال فيكون المذكور ههنا قسمان من الرزق لا مطلق الرزق الشامل للحلال و الحرام والكفرة إنما اخطأوا فى جعل بعض الحلال حراما و من جعل أهل السنة نظيرا لهم فى جعلهم الرزق مطلقا منقسما إلى قسمين فقد اعظم الفرية.

و فى شرح العقائد النسفية: و عند المعتزلة الحرام ليس برزق لأنهم فسروه تارة بمملوك يأكله المالك و تارة بما لا يمنع من الإنتفاع به ، و ذلك لا يكون إلا حلال لكن يلزم على الأول لا يكون ما تأكله الدواب رزقا ، (لأن المالكية غير متصورة و يلزم منه خلف وعد الله تعالى "و ما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها"). يلزم على الوجهين ان من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا و هو خلاف ما اجمع عليه الأمة قبل ظهور المعتزلة. و قد استدل عليه بقوله تعالى :"و مان من دابة" الآية. لأن وقوع النكرة بعد النفى مع من الإستغراقية يفيد عموم الحكم لكل دابة. و مبنى هذا الإختلاف على أن الإضافة إلى الله تعالى معتبرة فى معنى الرزق ، و أنه لا رازق إلا الله وحده ، و أن العبد يستحق الذم والعقاب على أكل الحرام و ما يكون مستندا إلى الله تعالى لا يكون قبيحا و مرتكبه لا يستحق الذم و العقاب . والجواب : ان ذلك لسوء مباشرة اسبابه باختياره. فالإضافة كإضافة الخير و الشر إليه تعالى فإنه خالق الذم والعقاب لأن العبد كسب بالاسباب الممنوعة . و اجيب أيضا : بأنه خص اسم الرزق فى الآية بالحلال على سبيل التشريف كما خص اسم العباد بالمتقين فى قوله : "عينا يشرب بها عباد الله" و إن كان الكافر أيضا من العباد.

و استدلوا أيضا بقوله تعالى :"و مما رزقناهم ينفقون" . و أجمع المسلمون على أنه لا يجوز للغاصب أن ينفق مما أخذه بل يجب ردّه فدلّ على أن الحرام لا يكون رزقا.

والجواب ، كما فى روح المعانى: تحته أن المراد بالرزق ههنا الحلال لأنه فى معرض وصف المتقى و لا مدح أيضا فى انفاق الحرام. و قال قبله : بعد بحث طويل عن الأدلة و ما لها و ما عليها ، و الأحسن الإستدلال بالإجماع قبل ظهور المعتزلة على أن من أكل الحرام طول عمره مرزوق طول عمره ذلك الحرام، و الظواهر تشهد بانقسام الرزق إلى طيب و خبيث ، و هى تكفى فى هذه المسئلة ... إلخ.

قال : مميت بلا مخافة باعث بلا مشقة.

الشرح:-

مميت من الإماتة يعنى يتوفى الخلق وقت انقضاء أجلهم بلا خوف يطرأ عليه فى ذلك و يبعثهم وقت إرادة بعثهم بلا مشقة تلحقه لأن هذه الأوصاف من سمات النقص والله منزه عنه .

الدليل :

١. قال الله تعالىٰ:﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ (الزمر:٤٢).

٢. وقال الله تعالىٰ:﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾(الروم:٤٠)

٣. وقال الله تعالىٰ:﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ .﴾(يسين:٧٨)

٤. وقال اللّٰه تعالیٰ:﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾(الحج:٧).

قال: ما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفاته :

الشرح:۔

و هذا رد على المعتزلة القائلين بأن اللّٰه صار قادرًا على الفعل بعد أن لم يكن قادرًا عليه لأنه صار الفعل ممكنًا بعد أن كان ممتنعًا. أی أن اللّٰه كان متصفًا بصفاته الكاملة قبل خلقه المخلوق و بعد خلقه الخلق ماحصلت أی زيادة فی صفاته تعالی لأنه كان قبل خلقه الخلق متصفًا بهذه الصفات إذ لو استفاد صفة لم يكن موصوفا بها فی الأزل لكان إذ ذاك ناقصا تعالی اللّٰه عنه فصفاته تعالى على قسمين:

الصفات الذاتية و الفعلية:

١ـ الصفات الذاتية :

ما تكون هی صفة اللّٰه تعالی دون ضدها ، كالعلم ، فإنه صفة اللّٰه تعالیٰ ، و ليس ضده. أعنی الجهل. صفة اللّٰه تعالی ، و هكذا فليقس عليه سائر الصفات

٢ـ الصفات الفعلية :

ما هی صفة للّٰه تعالی ، و كذلك أضدادها ، كالإحياء فإن ضده الإماتة ، و هو أيضاً صفة له تعالی والصفات بنحويها قديمة ذاتية كانت أو فعلية نعم تعلقهاتها حادثة. والصفات الفعلية تقول بها الماتريدية فقط و لا تقول بها الأشاعرة لأن الأشاعرة يعدونها من تعلقات القدرة و تلك التعلقات حادثة عندهم. (١)

١ـ فيض الباری(ج٦/١٥٧٣) و شرح الفقه الأكبر (٢٥٢).

فائدة:۔ اعلم أن صفات الله لايقال لها عين الذات و لا غيرها:

١۔ قال الإمام ملا على القارى فى كتابه شرح الفقه الأكبر(٣٢) "قد اجمعوا على أن كل صفة من صفات الله لا هو و لا غيره و المعنى:أنها لا هو بحسب المفهوم الذهنى و لا غيره بحسب الوجود الخارجى فإن مفهوم الصفات غير مفهوم الذات إلا أنها لا يغايرها بإعتبار ظهورها فى الكائنات..."

٢۔وقال العلامة شبير أحمد العثمانى فى كتابه الشهير "فتح الملهم شرح مسلم ج١/ ٣٢٨" : "و يظهر لك أيضاأن صفات الحق سبحانه و تعالى لا يقال لها عين الذات و لا غيرها ، ألا ترى أن الشعاع الواحد من أشعة الشمس لا يمكن أن يقال فى حقه: إنه عين النور العظيم الموجود فى جرم الشمس ، أى فى مرتبة، و لا إنه غيره ، مغايرة السواد و البياض للثوب، و سائر صفات الممكن لذاته ، بل الشعاع هو:تنزل النور الموجود فى جرم الشمس، فكذا ذات الحق سبحانه و تعالى هى مبدأ جميع صفاته، و وجود الصفات نازل عن وجود الذات، لا عين و لا غير ، بخلاف الممكن فإنه بنفس ذاته و حقيقته يكون عارياً عن الوجود و الكمالات الوجودية كلها، و إنما حصل له الوجود و سائر كمالاته من خارج كحصول النور للأرض من الشمس "۔ انتهى.

فما قال السقاف فى ذلك باطلٌ غيرصحيح.

قال الإمام الطحاوى رحمه الله تعالى: و كما كان بصفاته ازليًا كذلک لايزال عليها أبديًا :

الشرح:۔

أى أن صفات الله تعالى لا تنفك عنه لأنه تعالى أزلى أبدى فكذلك صفاته أزلية

أبدية لا نهاية لصفاته.

قال الإمام الطحاوى رحمه الله: ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق و لا بإحداثه البرية استفاد اسم البارئ له معنى الربوبية و لا مربوب ، و معنى الخالقية و لا مخلوق:

الشرح:۔

معنى اللغات :

١ـ الخلقُ : أصله التقدير المستقيم و يستعمل فى إبداع الشيئ من غير أصل ولا احتذاء.. و ليس الخلق الذى هو الإبداع إلا لله

٢ـ والبارئ : خص بوصف الله تعالى، والبرية الخلق.

٣ـ الربّ فى الاصل التربية و هو انشاء شيئ حالاً فحالاً إلى حد التمام، يقال ربّه و ربّاه ، و ربّبه ... فالرب مصدر مستعار للفاعل و لا يقال الربّ مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات (كذا فى المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى)

و معنى العبارة:

أن الله عزوجل كان خالقاً (موصوفاً بصفة الخلق) قبل خلقه المخلوق حقيقة لا مجازًا كما أفاده الإمام الملا على القارى.

قال الإمام الطحاوى رحمه الله: و كما أنه محى الموتى بعد ما احياهم استحق هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم.

الشرح:۔

والباعث لتكريره لهذه المعانى حتى لا يبقى مرتاب يرتاب فيه ، و لا يسلك أحد

مسلك المعتزلة و معناه واضح.

قال : ذلك بأنه على كل شيئ قدير و كل شيئ إليه فقير و كل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيئ ﴿ليس كمثله شيئ و هو السميع البصير﴾.

الشرح:۔

ذلك: أى ثبوت صفة الخالقيةو غيرها من الصفات كان لله فى الأزل و لم يخلق المخلوق لأنه على كل شيئ قدير و كل المخلوق يحتاج إليه لا يصعب عليه شيئ لأن كل شيئ سهل عليه و لا يحتاج أبداً إلى أحد، و ليس مثل الله شيئ، يسمع كل الأقول و يرى فى الكون كل الأفعال فسبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض و لا فى السماء .

و هنا اشكال فى كاف (كمثله) لأن الكاف الداخل على مثله ينفى مثل مثله تعالى مع أن الله ليس له مثل. وقالوا فى الجواب :

١. ان الكاف للتأكيد وهو زائد : فالمعنى ليس مثله شيئ .

٢. الكاف بمعنى الوصف فمعناه : ليس كوصفه شيئ .

٣. ان الكاف للمبالغة فمعناه لو فرض مثل الله فليس لمثله مثيل فكيف يوجد له تعالى المثيل . و ليس كمثله شيئ رد على المشبهة. و هو السميع البصير رد على المعطلة فالله عزوجل موصوف بصفات الكمال و الجمال و ليس له فيها شبيه فالمخلوق و ان كان يوصف بأنه سميع بصير فليس سمعه و بصره كسمع الله عزوجل و بصره.

قال : خلق الخلق بعلمه و قدرلهم اقدارًا و ضرب لهم آجالاً .

الشرح:۔

أى أن الله ابدع المخلوقات بعلمه الذاتى و عيّن لكل واحد منهم ما يلاقيه من

خير أو شر و قرر لكل واحد منهم وقت موتهم و قدرلهم اقدار خير وشر .

١ . قال الله تعالى .﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾(الفرقان_٢)

٢ . و عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : (كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات و الأرض بخمسين الف سنة و كان عرشه على الماء) رواه مسلم . و عين لكل منهم اوقاتا معينة لأخذ آجالهم قال الله تعالىٰ:

(١) ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ .قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. (البقرة : ٣١)

(٢) ﴿إن اجل الله إذ جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾(نوح:٤)

(٣)﴿إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (يونس:٤٩)

و قال الملا على القارى فى شرح الفقه الأكبر(١٢٥) فالمقتول ميت بأجله و قد علم الله و قدّر و قضى أن هذا يموت بسبب المرض وهذا يموت بسبب القتل ، و هذا بالهدم ، و هذا بالهرم ، و هذا بالغرق ...والله سبحانه خلق الموت و الحياة و خلق أسبابهما و لهذا كان أحمد بن حنبلؒ يكره أن يدعى له بطول العمر ويقول هذا أمرٌ قد فُرغ منه.

مسئلة الأجل:

و فى "أحكام القرآن" (ص:٢٦٩)

المسئلة الثالثة: موت المقتول بأجله. قال الرازى هو يدل على أن أحداً لا يموت

إلا بانقضاء أجله و كذا المقتول لا يقتل إلا على هذا الوجه و زعم المعتزلة: أن القاتل قد يقطع عليه الأجل أى لم يترك ليستوفيه كله و احتجت بأنه لو كان ميتا بأجله لما استحق القاتل ذماً و لا عقاباً و لا ديةً و لا قصاصاً إذ ليس موت المقتول بخلقه و كسبه والجواب أن وجود العقاب والضمان على القاتل تعبدى لارتكابه المنهى عنه، و كسبه الفعل الذى يخلق الله تعالى عقيبه الموت بطريق جرى العادة ، فإن القتل فعل القاتل كسباً و إن لم يكن خلقا و استدلوا بأحاديث إزدياد العمر ببعض الطاعات ...

و فى "روح المعانى":واستدل الكعبى بقوله تعالى : "فان مات او قتل" حيث جعل القتل قسيما للموت فالموت خاص بغيرالقتل ، و كان للمقتول اجلان ، القتل ، والموت۔ وهذا مخالف للمعتزلة و الأشاعرة فى اثبات الاجلين: بان القتل حال القاتل ، والموت حال المقتول ، فلو لم يقتل لعاش الى اجله الذى هوالموت ۔ والجواب : ان معنى الآية : "فان مات " حتف انفه بلا سبب أو مات بسبب القتل ، فتدل على أن مجرد بطلان الحياة موت . وذهب الفلاسفة إلى مثل ما ذهب إليه الكعبى. وبسط المسئلة.

و فى اليواقيت: وأما نحو حديث الطبرانى :"إن المقتول يتعلق بقاتله يوم القيامة ، ويقول يا رب أنه ظلمنى وقتلنى وقطع اجلى" فقد تكلم الحفاظ فى اسناده وبتقدير صحته ، فهو محمول على مقتول سبق فى علم الله تعالى انه لو لم يقتل لكان يعطى اجلا زائدا . لان معنى قولنا :"المقتول ميت بأجله" أن قتله لم يتولد من فعل القاتل وإنما ذلك من فعل الله تعالى ، وأنه لولم يقتل لم يقطع بموته ولا بحياته على ما ذكره فى شرح المقاصد.

قال : لم يخف عليه شيئ قبل أن خلقهم و علم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم.

الشرح:۔

قبل خلقه الخلق لم يخف عليه أى فعل للمخلوق ، و كان يعرف فى الأزل قبل أن يخلقهم ما يعملونه فى الدنيا .

قال : و أمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته .

الشرح:۔

أى أمر العباد ان يطيعوه فيما أمر به و منعهم عن معاصيه.

١ . قال اللّٰه تعالىٰ:﴿و ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾(الذاريات: ٥٦)

٢ .وقال اللّٰه تعالىٰ:﴿ قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾(آل عمران:٣٢)

٣ .وقال اللّٰه تعالىٰ:﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(النساء:١٤).

٤ .وقال اللّٰه تعالىٰ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾.(النساء:٥٩)

قال : وكل شيئ يجرى بتقديره و مشيئته و مشيئته تنفذلا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن.

الشرح:۔

و كل مايقع فى الكائنات فهو بإرادته تعالى ، و حكمه و إرادته نافذة ، لا اختيار لأى أحد فما أراد لأى مخلوق وجد وما لم يرده لا يوجد ، و فى هذا النص ردّ على

المعتزلة لأنهم يقولون أن القبائح و المعاصى والطاعات تقع بإرادة العبد على خلاف إرادة الله تعالى و عقيدتنا أن أفعال العباد المنقسمة إلى الطاعات و المعاصى كلها تقع بإرادة الله و مشيئته والكسب لهم لكن الله لا يرضى لعباده الكفر فايجاد شيئ غير الرضا به لأنه لا يلزم من ايجاد الكفر و الشر و المعاصى رضاؤه بإرتكاب هذه الأشياء .

قال الله تعالى:

١.﴿و ما تشاؤن إلا ان يشاء الله رب العالمين﴾(التكوير :٢٦)

٢.وقال الله تعالى:﴿ ما تشاؤن إلا ان يشاء الله ﴾(الدهر : ٣٠)

٣. و قال الله تعالى:﴿و من يشأ الله يضلله و من يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾(الانعام :٣٦)

تنبيه:۔ الرد على السقاف

اعلم أن السقاف شارح العقيدة الطحاوية قد دسّ بعض الخرافات والضلالات و الخزعبلات المعتزلية فى كتابه الذى سماه "صحيح شرح العقيدة الطحاوية" !!

و قد عمد إلى كتاب الامام الطحاوى الذى اتفق عليه جميع أهل السنة والجماعة ، وكلهم تداولوه ، وثبت لهم بطريق التواتر، و لم نر أحدا تكلم فيه إلا بعض أهل الزيغ والضلال فخطّأ الإمام الطحاویؒ و أساء الأدب فى حقه فى بعض المواضع صريحًا أو كناية ونسبه إلى الجبرية و غيرها من الفرق الباطلة التى رد عليها المصنف و تعقبها و لم يفلت منها واحدة ، وقد سلك السقاف مسلك المعتزلة فى حينٍ ، و فى البعض الآخر رأى رأى الشيعة الإمامية ، و رمى خلفه مسلك أهل السنة و الجماعة زاعماً أنه لا يقلد فى دين الله أحداً، و تبع فى مسئلة القدر القدرية .

و رد على المصنف الهمام في المواضع التي لا ينطح فيها عنزان لأن عليها اتفاق علماء أهل السنة و الجماعة و ها نحن نتعقبه في بعض تلك المواضع الخطيرة و نوضح مسلك أهل الجماعة و نبين زيغه و تجنيه على هذا الإمام و حقيته و أن ما قاله الإمام الطحاوي فهو الحق الذي لا يحاد عنه.

نبدأ بإعتراضات السقاف على مسلك أهل السنة في موضوع القدر و نجيب عنها بفضل الله:

❁... ١ ـ قال السقاف في صحيفة (٢٦٨) في قول الإمام الطحاوي :

(لا مشيئة للعبادِ إلا ما شاء لهم) إن أراد المصنف أنهم لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً إلا أن يكون سبحانه قد شاء هم له مثل كون بعض الناس لا يستطيعون فعل الطاعة لأن الله تعالى شاء لهم فعل المعصية فهذا كلام باطل مردوْد! لأن الله جل جلاله لا يرضى المعصية و لا يحبها و لا يُلجأ خلقه إليها حتى يعذبهم بالنار لأن هذه الأمور ظلم و الله تعالى منزّه عن الظلم ففكرة أن العباد لا يشاء ون المعاصي والكفر إلا لكون الله تعالى قد شاء ها و أرادها لهم وقدّرها عليهم و قضاها فكرة باطلة مردودة).

أقول: ايراد السقاف غير وارد و قول الإمام الطحاوي صحيح موافق مع الكتاب والسنة و هو عقيدة أهل السنة والجماعة .

قال الإمام القرطبي(١٩/ ٢٤٣) فقوله تعالى : ﴿و ما تشاؤن إلا ان يشاء الله رب العالمين﴾ بين تعالى بهذا أنه لا يعمل العبد خيراً إلا بتوفيق ، و لا شراً إلا بخذلانه و قال الحسن : و الله ما شاء ت العرب الإسلام حتى شاء ه الله لها....)

٢ ـ و قال رسول الله ﷺ : (ما من قلب إلا و هو بين أصبعين من أصابع الرحمن إن

شاء أن يقيمه أقامه ، و إن شاء أن يزيغه أزاغه) رواه الحاكم .

و قال : صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه و وافقه الذهبي. و لا يعلم من قول الإمام الطحاوي الإلجاء أو الجبر لا منطوقاً و لا مفهومًا فأينهما؟؟

فالهداية و الضلال بخلقه تعالى لأ ن الله خلق أقواماً للجنة و للرحمة فهداهم و وفقهم لأعمال أهل الجنة ، و خلق أقواماً للضلالة والنار فخذلهم و منعهم من الهداية كما صرح به الخازن في تفسيره في قول الله تعالى : (لأملئن جهنم من الجن والناس أجمعين). والله تعالى نفى الظلم عن نفسه لأنه يتصرف في ملك نفسه و من كان كذلك لم يكن ظالماً كما قال الإمام الواحدي و نقل عنه الإمام فخر الدين الرازي في التفسير الكبير ج٤ ص ٥٧٨).

۞-٢- و قال السقاف في صحيفة(٢٦٩) في قول الإمام الطحاوي :

(فما شاء لهم كان و ما لم يشاء لم يكن) هذا الكلام تأكيد للفكرة الغلط فهو يريد أن يثبت بأن الله شاء لهم المعاصي والكفر أو الطاعات والإيمان و لذلك شاء ه كما يدل عليه عبارته الآتية بعد هذا !)

أقول:ايراد السقاف غير صحيح قول الإمام الطحاوي صحيح و معه الكتاب والسنة: وقال الله تعالى:﴿وما تشاؤن إلا ان يشاء الله﴾(الدهر : ٣٠)

٢- و قال الله تعالى﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء ﴾(الأنعام:٢٥)

و في صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه "الشقي من شقي في بطن أمه و سعيد من وعظ بغيره)

قال : يهدي من يشاء و يعصم و يعافي فضلاً و يضل من يشاء و يخذل و يبتلي عدلاً.

حل بعض اللغات:

١ـو العصمة : هي ملكة تحمل صاحبها على اجتناب المعاصي مع التمكن منها [1] .

٢ـ والعافية : دفاع الله عن العبد (مختار) . والخذلان : ترك النصرة و العون .

الشرح:

يهدي الله من أراد هدايته ، و كذلك يحفظه لمن أراده و يعطي العافية لمن أراد بفضله و كرمه و منّه و احسانه ، و لمن أراد ضلالته و عدم نصره و امتحانه و ابتلائه بالمصائب فعل ذلك عدلاً منه و انصافاً و هذا فيه ردّ على المعتزلة لأنهم يقولون أنه يجب على الله الأصلح للعباد فأهل السنة يقولون أنه ليس هناك شيئ واجب على الله تعالى من عباده فمن هداه و حفظه و عافاه و احسن إليه فبمحض فضله جل و علا ، و من اضله و خذله و عرضه للفتن فبعدله لا أحد يعترض عليه أو ينكر عليه أو يرد عليه لأنه فعّال لما يريد.

(١) قال الله تعالىٰ:﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾(المدثر: ٣١)

(٢) وقال الله تعالىٰ:﴿من يشاء الله يضلله و من يشاء يجعله على صراط مستقيم﴾(الانعام .٣٦) .

(٣) وقال الله تعالىٰ:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(القصص:٥٦)

١ـ "التعريفات" للجرجاني.

قال في كتاب الإيمان :(ص٢٥٣) إن **الهداية قسمان** (١) . هداية إرشاد (٢). هداية إعانة. و أما هداية الإرشاد فهي كما يدل على الطريق الذي يصلك إلى البيت الذي تريده ثم يتركك فهو قد هداك إلى الطريق و ارشدك و رسل الله يقومون بهذه الهداية للبشرية فهم يرشدون الناس إلى الطريق الذي يوصلهم إلى الجنة قال الله تعالى مخاطبا رسول الله ﷺ :(و انك لتهدى إلى صراط مستقيم).

٢. و أما هداية الإعانة فمثلها كمثل شخص كريم رحيم و دود سألته عن الطريق إلى البيت الذي تريد فأرشدك إليه و طلبت منه العون فحملك على سيارته و أخذ بيدك إلى هدفك فهذه هداية اعانة وهذه لاتكون إلا لشخص قبل هداية الإرشاد وطلب العون ، و إذا كان الرسل يقومون بهداية الإرشاد فهم لا يملكون هداية التوفيق و المعونة لأن الله سبحانه لا يعطها إلا لمن يعلم أنه يستحقها قال تعالىٰ: مخاطبًا لنبينا محمدﷺ :﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فهو العادل الذي يهدى من قبل هداية الإرشاد بهداية التوفيق و الإعانة قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾(محمد:١٧) ولا يضل سبحانه إلا من يستحق الإضلال فمن رفض هداية الإرشاد و زاغ عن الطريق ...قال تعالىٰ:﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

..❁❁❁..

❁... ٣ـو قال السقاف في قول الإمام الطحاوي ؒ:

(يهدى من يشاء و يعصم و يعافى فضلا.....) الله يهدى الناس و لا يضلهم بمعنى يلجأهم إلى الضلال .... إلى قوله: و كلام المصنف يفهم منه أن الله

تعالى شاء أن يهدى طائفة من الناس من القدم و شاء أن يضل طائفة و هذه فكرة باطلة و غير صحيحة!)

أقول: انظر إلى تصوره ورده عقيدة أهل السنة والجماعة فإن الإمام الطحاوى قد بين رأى أهل السنة فى مسئلة التقدير و ليست هذه فكرة باطلة بل هى فكرة صحيحة و الفكر الباطل هو فكر السقاف الذى يبين رأى المعتزلة و يرد على أهل السنة و إليك الدلائل على عقيدة الإمام الطحاوىؒ:

١ ـ وفى الصحيحين عن النبى ﷺ "ما منكم من أحد [ما من نفس منفوسة] إلا كتب مكانها من [الجنة و] النار[و إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة]، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا و ندع العمل؟ فقال: "اعملوا فكلّ مُيسّر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسّرُ لعمل أهل السعادة و أما من كان من أهل الشقاوة فيُيسّر لعمل أهل الشقاوة" ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ـ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ـ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ـ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ـ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ـ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (اليل ـ ٥ ـ ١١)

٢ ـ و فى الصحيحين عن عمران بن حصين أن النبى ﷺ سئل: أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال: "نعم"، قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: "كلٌ مُيسّرٌ لما خلق له"

٣ ـ و فى الصحيحين عن ابن عباس، عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ قال: "الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرًا، و لو عاش لأرهق أبويه طغياناً و كفراً".

٤ ـ و فى صحيح مسلم عن عائشة، قالت: دعى رسول الله ﷺ إلى جنازة صبيّ من الأنصار، فقلت: يارسول الله! طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة! لم يعمل السوء و لم يدركه. قال: "أو غير ذلك" يا عائشة "إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها و هم فى

أصلاب آبائهم".

فـفـي ضـوء هذه النصوص كلام الإمام الطحاويؒ و رأى أهل والسنة و الجماعة صحيح أما رأى المعتزلة و السقاف فباطل؟!

قال : (و كلهم يتقلبون فى مشيئته بين فضله و عدله)

الشرح:۔

و كـل الناس يتصرفون فى كونه كما يريد الله فمن هداه بفضله و من اضله فبعدله فهو ملك يحكم على عباده كما يشاء لا راد لحكمه .

قال : و هو متعال عن الأضداد و الأنداد:

الشرح:۔

وليـس لـله تعالى مخالف فى الكون و لا له ضد و شركاء بل هو أرفع و اعلىٰ من هؤلاء.

قال : لاراد لقضائه و لا معقّب لحكمه و لاغالب لأمره.

الشرح:۔

لا أحـد فى الكون يرد قضاء الله تعالى و لا أحد يوجد فى الكون يؤخر حكمه ولا يغلب أمره غالب.

❁... ٤ ـ و قال السقاف فى قول الإمام الطحاويؒ :

" و كـلهم يتقلبون فى مشيئته" (هذا تصوير جبرى خطأ لحال الخلق يريد أن يصل من هـذه الـصيـاغة إلـى أن أفـعـال الخلق تحدث رغم أنفهم بإلجاء الله لهم و أنهم لا يستـطيعـون أن يـفـعـلـوا غيرها و لا يمكنهم ذلك فهو يغطى كل هذه العقيدة الفاسدة

بعبارته هذه مع أنها عقيدة غير مقبولة!)

أقول: انظر إلى هذه الإفتراء العظيم و شتان بين مسلك أهل السنة و الجماعة والجبر؟ و كيف يصف عقيدة أهل السنة و الجماعة بالعقيدة الفاسدة هذا القدرى فمسلك أهل السنة و الجماعة أن الله خالق كل شيئ و أن كل ما يقع فى الكون بإرادة الله تعالى و أما السقاف و أصحابه المعتزلة فيقولون أن المعصية تقع بغير إرادة الله ودافعهم السيئ نفى الجبر عن الإنسان لظنهم أن كل كون كل شيئ بمشيئة الله تعالى يقتضى كون الإنسان مجبوراً عليه ، و أين التعارض بين كون كل شيئ بمشيئة الله تعالى و كون الإنسان مختاراً؟ ألا ترى إلى قول الله تعالى (و ما تشاء ون إلا أن يشاء الله) اثبت فى هذه الاية الاختيار للعبد بإسناد المشيئة إليه (تشاء ون) و اثبت فيها كذلك اطلاق مشيئة الله تعالى(إلا أن يشاء الله .

واستدلاله بقول الله تعالى (فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر) لا يجديه شيئاً لأن فى الاية وعيد للعباد أن يرتدعوا عن الكفر لا الاختيار كما صرح به الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره، على أن من له إلمام بعلم البلاغة لا يخفى عليه ذلك .

۞ــ ٥ـ و قال السقاف فى صحيفة (٢٧٠) فى قول الإمام الطحاوى رحمه الله :

"بين فضله و عدله لارادّ لقضائه .... " (هذا حق يريد به تغطية الباطل الذى يريده لارضاء المحدثين المجسمة الذين يريدون أن يثبتوا عقيدة الجبر مكايدة منهم لمن ينبزونهم بالجهمة و القدرية من المعتزلة و أئمة الحق من ال البيت عليهم السلام الرادين على الجبر و المفندين له!)

أقول : انظر إلى هذا العاجز المسكين ما الذى يتفوه به؟ فهل يدرى ما يقول به أم

جن جنونه؟ يظن بإمام الأئمة أنه يرضى المجسمة فهل دينه رخيص يتاجر به و يرضى فلاناً و فلاناً؟ فإذا كان قوله حق فأى قوله الذى يدل صراحة او إشارة على ارضاء المجسمة؟

أو لم يكف رده على المجسمة بقوله : (وتعالى الله عن الجهات الست) نعم رد الإمام الطحاوى على الجبرية و القدرية من المعتزلة مع الجهمية و المجسمة لأن هذه الجماعات خارجة عن أهل السنة و الجماعة و بالتالى فهم ضالون ، و الإمام الطحاوى و أئمة أهل السنة و الجماعة كلهم فندوا آراء المعتزلة من القدرية و غيرها طيلة قرون حتى جاء السقاف وزين آرائهم ، يفترى على الأئمة و الله يراه. و يظن بالعلماء الربانيين الظنون الباطلة ألا ترى إلى إمامه النعمان رحمه الله الذى رفض القضاء مع أن القضاء ما كان اثما لإمام من أئمة المسلمين و خليفتهم حتى مات فى سبيل ذلك. فكيف يرضى الإمام الطحاوية المجسمة الذين يريدون أن يثبت عقيدة الجبر مكايدةً؟ و إلى المشتكىٰ.

قال: آمنا بذلك كله و ايقنا أنّ كلّا من عنده.

الشرح:.

يعنى صدقنا بالقضاء المقدر كله خيره و شره حلوه و مره، واستقر ذلك فى ذهننا أن كل كائن محدث من عند الله بإرادته و مشيئته ، و أن قضاؤه نافذ لا محالة.

قال فى شرح السنة : الإيمان بالقدر فرض لازم و هو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد خير ها و شرها كتبهافى اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم و الكل بقضائه و قدره و إرادته ومشيئته غير أنه يرضى الإيمان و الطاعة و وعد عليهما الثواب و لا

يـرضـى الكفر والمعصية و أوعد عليهما العقاب و القدر سرمن اسرار الله تعالى لم يطلع علـيـه مـلكا مقربًا و لا نبيًا مرسلاً، و لا يجوز الخوض فيه و البحث عنه بطريق العقل بـل يـجـب أن يعتقد أن الله خلق الخلق فجعلهم فرقتين فرقة خلقهم للنعيم فضلا و فرقة لـلـجـحـيـم عـدلًا و سـأل رجل على ابن أبى طالبؓ فقال: اخبرنى عن القدر فقال طريق عـظـيـم لا تسـلـكه فأعاد السؤال فقال بحر عميق لا تلجه فأعاد السؤال فقال سرا لله قد خفى عليك فلا تفتشه و لله در من قال:

تبـارك مـن أجـرى الأمـور بـحكمة — كـمـا شـاء لا ظـلـمًا أراد و لا هضمًا

فـمــالك شيىء غيـرمــا الله شـائـه — فإن شئت طب نفسًا و إن شئت مت كظمًا[1]

☆☆☆

۞ـــ ٦. و قال السقاف فى قول الإمام الطحاوىؒ:

"و أيقنا أن كلاً من عنده، كل ميسّرٌ لما خلق له" هذا ما يريد أن يصل إليه و يؤكد عليه من أن الشقاء مثلاً مقدرٌ على الإنسان قبل أن يخلق ...."

أقـول: و هـذا الإعـتـراض باطل لأن قول الإمام الطحاوى مأخوذ من النصوص و مـنـهـا مـقتبس: قال الله تعالى: (قل كل من عند الله) و فى الحديث الصريح الصحيح الذى نقلناه آنفا يوجد هذه العبارة (فكلّ ميّسرٌ لما خلق له).

١ ـقـال الـحـافـظ ابن حجر فى فتح البارى (١١ـ٤٩٨) هذا الحديث أى حديث على رضى الله عنه أصل لأهل السنة فى أن السعادة والشقاء بتقدير الله القديم. و فيه رد

١ـ بذل المجهود (ج٩. ص١٣٢).

على الجبرية لأن التيسير ضد الجبر، لأن الجبر لا يكون عن كره) فهل عقيدة أهل السنة الجبر كما يزعم السقاف ؟!!

٢ـو فى أحكام القرآن (٣٣٦) المسئلة الثالثة: السعادة والشقاوة أزليتان:

فى روح المعانى: وفى العدول عن (فالشقى ففى النار خالداً فيها ، الخ و أما السعيد أو المسعود ففى الجنة خالداً فيها الخ. إلى ما فى النظم الجليل . إشاره إلى سبق هذه الشقاوة والسعادة و أن ذلك أمر قد فرغ منه كما يدل عليه ما أخرجه أحمد والترمذى والنسائى ... الخ.

٣ـو قال الإمام الرازى: احتج به (أى بهذه الآية): (و ما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون (سورة يونس الآية ١٠٠) أصحابنا على صحة قولهم بأن خالق الكفر والإيمان هو الله تعالى...) فما قاله الإمام الطحاوى هو عقيدة أهل السنة والجماعة لا ما يتفوه به السقاف .

و قول السقاف :(يريد المصنف بهذه الجملة"و أيقنا أن كلًا من عنده" أن اعمال الخير والشر التى تقع من العباد كلها من عند الله) نعم من عند الله لأن عقيدة أهل السنة والجماعة أن كل شيئ بقضاء و قدر و للعبد اختيار فى أعماله التكليفية به يثاب وبه يعاقب فهذا المذهب هو الوسط بين القدرية المعتزلة التى تزعم أن التقدير الٰهى لا يتناول الشرور لأنها شرور واقعة بفعل العبد والجبرية التى تسلب عن الانسان الاختيار و تعتبر مجبراً فى كل شيئ ، واستشهاده بالآية لا يجديه شيئاً لأن المراد من الآية كسب الانسان و نحن لا ننكر كسب الإنسان بل نحن نقربه والمعتزلة تنكره فالآية حجة على السقاف لا على أهل السنة والجماعة.

قال: و إن محمدًا ﷺ عبده المصطفى و نبيه المجتبى و رسوله المرتضى

الشرح:۔

و إن بكسر الهمزة عطف على : إن الله واحد لا شريك له، و يعمل (نقول) في الجملتين : أي نقول في توحيد الله إن الله واحدلا شريك له و نقول إن محمدًا عبده المصطفى الخ. قوله : محمدًا : هو علم منقول من اسم المفعول المضاعف ، و سمي بذلك لكثرة صفاته الحميدة ، أو لأنه يحمد في السماء والأرض قوله : عبده : قدمه على الرسالة : لأنه احب الأسماء إلى الله تعالىٰ، ذكر الله نبيه ﷺ باسم العبد في اشرف المقام فقال : سبحان الذى اسرى بعبده (اسراء:١) وقدمه عليها لذلك امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم :(و لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم و إنما أناعبده و رسوله فقولوا عبد الله و رسوله) رواه البخارى.

والمصطفى والمجتبى و المرتضى الفاظ مترادفة المعانى :

النبي والرسول في اللغة والاصطلاح :

والنبي في اللغة:يجئ بهمزة وغير همزة : ١ ـ فإذا كان بهمزة : فهو مشتق من النبأ و هو الخبر والنبئ على وزن فعيل و فعيل يأتي بمعنى اسم الفاعل والمفعول فإذا كان بمعنى اسم الفاعل فمعناه المنبئ (اى المخبر) عن الله تعالىٰ، و إن كان بمعنى اسم المفعول فهو المنبأ : (أى المخبَر) فالملك ينبأه عن الله بالوحى ، ٢ـو إن كان بغير همزة : فمشتق من النبوة والنباوة بمعنى الإرتفاع ، و يأتي بمعنى اسم الفاعل بمعنى مرتفع الرتبة، اوبمعنى اسم المفعول بمعنى مرفوع الرتبة[1].

---

١ ـ انظر العقيدة للقحطانى(٣٣١).

الرسول: في اللغة : هو مأخوذ من قول العرب جاء ت الابل رَسَلاً : أى متتابعة فالرسول هو الذى يتابع اخبارالذى بعثه ، أو من رسل اللبن إذا تتابع درّه لأن الرسول هو الذى يتتابع عليه الوحى.

٢. **النبى والرسول فى الاصطلاح:** جاء القرآن الكريم بهاتين الكلمتين معاً فى قوله تعالى :(و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبى)[الحج ٥٢] و قد اختلف العلماء فى بيان معناهما على أقوال أهمها:

القول الأول: النبى : إنسان أوحى إليه بشرع (أى : أحكام) ، سواء أمر بتبليغه والدعوة إليه أم لا، فإن أمر بذلك فهو نبى رسول ، و إن لم يؤمر فهو نبى غير رسول.

فالفرق بينهما بالأمر بالتبليغ و عدمه.

فالنبى أعم من الرسول ، أى : يلزم من كونه رسولاً أن يكون نبيا، و لا عكس.

و هذا القول هو المشهور . و به قال الجمهور و عامة الأشاعرة و صححه المهدوى و القاضى عياض فى كتابه الشفاء، حيث قال:(والصحيح والذى عليه الجم الغفير، أن كل رسول نبى ، و ليس كل نبى رسولاً).

القول الثانى: النبى إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه ، و كذ الرسول ، فلا فرق بينهما ، بل هما بمعنى واحد . و هو الذى عزاه ابن الهمام إلى بعض المحققين.[1]

٣. **عدد الأنبياء :** لم يثبت عددهم بدليل قطعى يفيد اليقين ، والحديث الذى ذكر فيه أن عدد الأنبياء ١٢٤٠٠٠ فمداره على على بن يزيد وهو ضعيف.

---

[1] ـ العقيدة الإسلامية و مذاهبها" للأستاذ الدكتور قحطان عبد الرحمن الدورى (ص ٣٣٢)

٤. وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل صلوات الله عليهم : الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين فرض على كل مسلم قال الله تعالىٰ :﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(البقرة:١٣٦)

٥. والذين ذكروا في القرآن عددهم خمس و عشرين : و هم: (آدم ، ادريس ، نوح ،هود، صالح، ابراهيم، لوط، اسماعيل، اسحاق، يعقوب ، يوسف، ايوب، شعيب، موسى، هارون، ذوالكفل، داود، سليمان ، الياس، اليسع، يونس ، زكريا، يحيى، عيسى، محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ، صلوات الله عليهم اجمعين).

٦. الصفات الواجبة للرسل عليهم السلام: (١) الصدق: فيجب الإيمان بصدق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، و أنه يستحيل عليهم الكذب لأنهم لو كذبوا للزم الكذب فی خبره تعالی قال الله تعالىٰ:﴿و صدق الله و رسوله ﴾(الاحزاب : ٢٢) و كان أكثر المشركين يقرون بصدق النبی ﷺ و حين اخبر أمية بن خلف أن النبی ﷺ قد قال بأنه سيقتله قال : (و الله ما يكذب محمد ﷺ إذا حدث) رواه البخاری.

(٢) العصمة : و هی لطف من الله تعالی يحمله على فعل الخير و يزجره عن فعل شره مع بقاء الاختيار تحقيقًا للابتلاء . (المسامرة ٢٢٩) قال فی أحكام القرآن ص ٣٣٢ ، ج ٣ المقصد الخامس من شرح المواقف ما حاصله : أنه اجمع أهل الملل و الشرائع كلها على وجوب عصمتهم من تعمد الكذب فيما دل القاطع على صدقهم فيه كدعوى الرسالة و ما يبلغونه عن الله إلى الخلائق ، ... و كذلك اتفق الجمهور من المحققين والأئمة على عصمتهم من الكبائر عمدًا و لم يخالف فيه إلا الحشوية).

٣. التبليغ: هو ايصال الأحكام التى أمروا بتبليغها إلى المرسل إليهم ليرشدوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة و كل منهم لم يخف عن الناس من ذلك شيئًا عمدًا وسهوًا قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة:٦٧).[1]

٤. الفطانة: هى التيقظ والتفطن وحدة العقل وقوة الرأى فلا يجوز أن يكون النبى ﷺ مغفلاً أو بليدًا قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سليمان وكلًا آتينا حكمًا وعلمًا﴾ (الأنبياء:٧٩)

١ ـ اثبات رسالة سيدنا محمد ﷺ : تبشير الأمم السابقة ببعثة النبى ﷺ

١. اخبار الكهان: عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: ما سمعت عمر لشئ قط يقول إنى لأظنه كذا إلا كان كما يظن، بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال: لقد اخطأ ظنى، أو أن هذا على دينه فى الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، علىّ الرجل، فدعى له فقال له ذلك فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم قال: فإنى اعزم عليك إلا ما اخبرتنى قال: كنت كاهنهم فى الجاهلية، قال: فما اعجب ما جاءتك به جنيّتك؟ قال: بينما أنا يومًا فى السوق جاءتنى اعرف فيها الفزع فقالت: ألم تر الجن و إبلاسها و يأسها من بعد انكاسها و لحوقها بالقلاص و احلاسها؟ قال عمر رضـ صدق، بينما أنا عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم اسمع صارخًا أشد منه يقول: يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا إله إلا الله فوثب القوم

---

١ ـ العقيدة للقحطانى (٣٣٢).

قلت : لا ابرح حتی اعلم ما وراء هذا ثم نادی : یا جلیح ، أمر نجیح رجل فصیح یقول : لا إله إلا الله ، فقمت فما نشبنا أن قیل : هذا نبی(علامات النبوة).

۲. **تبشیر الیهود ببعثة النبی ﷺ** : عن حسان بن ثابت قال : و الله انی لغلام یفعة ابن سبع سنین أو ثمان اعقل کل ما سمعت ، إذ سمعت یهودیًا یصرخ بأعلی صوته علی اطمة بیثرب : یا معشر یهود ، حتی إذا اجتمعوا إلیه قالوا له : و یلك ما لك ؟ قال : طلع اللیلة نجم أحمد الذی ولد فیه ، رواه ابن اسحاق و اسناده حسن .

۳. **اخبار النصاری بمبعثه ﷺ** : جاء فی إنجیل یوحنا : (أن البار قلیط (المراد منه سیدنا محمد ﷺ أو معناه أحمد)لا یجیئکم ما لم أذهب فإذا جاء وبخ العالم علی الخطیئة و لا یقول من تلقاء نفسه شیئًا و لکن مما یسمع به یکلمکم و یسوسکم بالحق و یخبرکم بالحوادث و الغیوب).

(إنجیل یوحنا[الاصحاح السادس عشر])

ثم إن الله عزوجل أیده بالمعجزات الدالة علی صدقه لتطمئن لها قلوب الذین آمنوا به واتبعوه و تخضع بها اعناق المنکرین .و **المعجزة** : أمر خارق للعادة یظهره الله علی ید النبی علیه السلام مقرونًا بدعوی النبوة ، و یکون الأمر موافقًا لدعواه علی وجه یعجز المنکرین عن الإتیان بمثله و اعلی المعجزات القرآن انزله علی رسوله النبی الأمی الذی کان لا یعرف القراءة والکتابة فتحدی من انکره من الانس والجن ان یأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك مع توافر دواعی أعدائه علی معارضته و فصاحتهم و بلاغتهم ثم تحداهم بعشر سور منه فعجزوا ثم تنازل إلی التحدی بسورة من مثله فعجزوا عنه وهذا من أعظم المعجزات .

مميزات القرآن الكريم:

و من مميزاته :

١. ان الله تكفل بحفظه : فقد تكفل بحفظه من التحريف والتبديل والضياع فقال تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.(الحجر:٩)

٢. انتظام آيات السور: انزل الله القرآن على حبيبه محمد منجمًا فى مدة ثلاث وعشرين سنة فلما تم تم مترابطًا لا متنافرًا يقرأه القارئ من أوله إلى آخره فإذا هو دقيق السبك قوى الاتصال كأنه عقد لآلى نظم نظمًا لايكاد يوجد بين لآليه تفكك و لا تنافر كأنه فريد يأخذ بالابصار نظمت حروفه و كلماته و نسقت جمله ، فهذا التناسق المدهش و هذا التأليف المعجز محكم الاتصال متين النسج و السرد. أليس ذلك برهانًا على أنه كلام خالق السموات و مدبر الخلق و الكائنات قال تعالىٰ:﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

٣. و من أعظم اعجاز لهذا القرآن : امتناع اليهود من تمنى الموت: الاعجاز المستمر لهذا القرآن أنه جاء فيه أن اليهود لن يتمنوا الموت ابدًا بما قدمت ايديهم . فظلت اليهود باقية على الامتناع فلم يقع تمنى الموت منهم من سلفهم و لا خلفهم كلهم يأبون تمنى الموت.

٤. و كذلك النبوات القرآنية تحققت طبق ما جاء فى القرآن كلها : كتحقق وعد الله بظهور الروم على الفرس فى بضع سنين ، و تحقق وعد الله بموت أبى لهب و امرأته على الكفر ، و كذلك تحقق وعد الله بهزيمة المشركين فى بدر ، و تحقق و عدالله للنبى ﷺ بدخول المسجد الحرام ، و تحقق وعدالله عزوجل باستخلاف النبى ﷺ و

أصحابه فی الأرض . و كذلك غیر ها من النبوٴات تحققت و لم تتخلف احدًا ثم نذكر الآن هنا الآیات الكونیة فی القرآن والتی تصدقها الأبحاث العلمیة الحدیثة الیوم:

١ . اخبارالله عزوجل أن الضغط الجوی یقل بالإرتفاع عن سطح الأرض .

قال الله تعالیٰ:﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾و معلوم أن (الأوكسیجین الضروری للتنفس یقل كلما ارتفع الإنسان عن سطح الأرض، و یشعر أی أحد بالضیق كلما ازداد ارتفاعًا حتی یصل إلی درجة الاختناق ، و لم یعرف هذا إلا بعد صعود الإنسان فی طبقة الجو العلیا فی العصر الحدیث.

٢ . اخبار الله عزوجل ان الریاح لواقح قال الله تعالیٰ:﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ (الحجر:٢٢) تقوم الریاح بنقل حبوب اللقاح من الزهور المذكرة إلی الزهور المؤنثة فتحدث الثمرة بإذن الله تعالیٰ، و لم یكن لهذا العلم خطره فی عقول البشر.

٣. اخبار الله عزوجل أن الكون كان منضمًا . ثم بدأ یمتدد فی الفضاء : قال الله تعالی:﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (الأنبیاء:٣٠). والیوم اثبتت النظریة العلمیة الحدیثة أن المادة كانت جامدة و ساكنة فی أول الأمر و كانت فی صورة غاز ساخن كثیف متماسك ، و قدحدث انفجار شدید فی هذه المادة فبدأت المادة تتمدد و تتابعد اطرافها ، و نتیجة لهذا أصبح تحرك المادة أمرًا حتمیًا لابد من استمراره طبقا لقوانین الطبیعة .

(هذا و الآن نلفت النظر إلی بعض معجزات النبی ﷺ الحسیة)

١ . انشقاق القمر بمكة : اتفق العلماء علی ان انشقاق القمر حدث فی عهد

رسـول الـلـه صـلى الله عليه وسلم و وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة عـن عبـد الـلـه بـن مسـعودؓ قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسـلـم فـرقتيـن : فـرقة فـوق الـجبل و فرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اشهدوا) رواه البخارى.

٢. نبـع الـمـاء مـن بين اصابعه الشريفة:عن جابر رضى الله عنه قال : عطش الناس يـوم الحديبية و النبى ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ ، فجهش الناس نحوه فقال : (مالكم!) قـالـوا : ليس عندنا ماء نتوضأ و لا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده فى الركوة فجعل الـماء يثور بين اصابعه كأمثال العيون فشربنا و توضأنا . قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مأة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة) رواه البخارى .

٣. تسبيـح الـطـعام و هو يؤكل : عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : (كنا نعد الآيات بركة و انتم تعدونها تخويفًا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقل الماء فقال : (اطلبوا فضلة من ماء) فجاؤا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده فى الإناء ثم قـال : (حـى عـلى الطهور المبارك والبركة من الله) فلقد رأيت الماء ينبع من بين اصابع رسـول الـلـه صـلى الله عليه وسلم ، و لقد كنا نسمع تسبيح الطعام و هو يؤكل) . رواه البخارى.

شهادة جماعة من المستشرقين و النصارى المنصفين على صدق الرسول ﷺ :

١. قـال ادوار مونتيه المستشرق المستقل الفكر مدرس اللغات الشرقية فى مدرسة جـنيف الـجامعة فى مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن : (كان محمد نبيًا صادقًا كما كان

أنبياء بنى اسرائيل فى القديم كان مثلهم يؤتى رؤيا و يوحى إليه و كانت العقيدة الدينية و فكرة وجود الألوهية متمكنين فيه كما كانتا متكنتين فى أولئك الأنبياء اسلافه) الوحى المحمدى ص٥٩ .

٢. و قال الدكتور ليتز: إننى لأجرؤ ، بكل ادب أن اقول : إن الله الذى هو مصدر ينابيع الخير و البركات كلها لو كان يوحى إلى عباده فدين محمد هو دين الوحى ، و لو كانت آيات الإيثار و الأمانة والإعتقاد الراسخ القوى، ووسائل التمييز بين الخير و الشر و دفع الباطل هى الشاهدة على الإلهام فرسالة محمد هى هذا الإلهام)[الإسلام يتحدى ص ١٧٦].

قال خاتم الأنبياء و إمام الأتقياء و سيد المرسلين و حبيب رب العالمين:

الشرح:.

أن النبى ﷺ خاتم الأنبياء. وخاتم : آخر كل شيئ ، والإمام الذى يؤتم به أى يقتدى به . الاتقياء :جمع تقى و هو من اتصف بالتقوى. حبيب بمعنى محبوب على وزن فعيل. أى أن محمدًا آخر الأنبياء لانبى بعده إلى يوم القيامة نعم ينزل سيدنا عيسى عليه السلام فى آخر الزمان لكنه يتبع شريعة محمد ﷺ و يعمل طبق شرع سيدنا محمد ﷺ و نزوله متواتر من انكر ذلك فقد كفر كما فى رسائل الشيخ الأنورؒ و من ادعى دعوة النبوة بعد سيدنا محمد مهما كان دعواه متسترًا باى اسم كان بروزيا ظليًا غير تشريعى فقد كفر قال الله تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

❁❁❁

الأحاديث في أن سيدنا محمد ﷺ خاتم الإنبياء:

و جاء ت في هذا الموضوع أحاديث كثيرة نذكر بعضًا منها :

١ . قال ﷺ في قصة أهل العرص يوم القيامة و فزع الناس إلى الأنبياء : (أنا سيد الناس يوم القيامة) الحديث. و فيه : (فيأتوني فيقولون : يا محمد! أنت رسول الله و خاتم الأنبياء، و قد غفرلك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر، اشفع لنا إلى ربك.....) الحديث. متفق عليه.

٢ . و عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال :(مثلي و مثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا...) الحديث، و فيه : (فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء عليهم السلام) رواه مسلم.

٣ .عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثلي و مثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه و اجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفونه به و يعجبون له و يقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة و أنا خاتم النبيين) متفق عليه.

٤ . عن جبير بن مطعم رضي الله عنه : ان النبي ﷺ قال :(أنا محمد و أنا أحمد و أنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، و أنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي ، و أنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي) متفق عليه .

٥ . عن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : (انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) متفق عليه.

٦ .عن ثوبان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أنه سيكون في

امتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى و أنا خاتم النبيين لا نبىّ بعدى) رواه ابوداود.

۷.عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :(لا تقوم الساعة حتى يقتل فئتان فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة ، و لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله)رواه البخارى ، و مسلم ، و فى لفظ مسلم : (كلهم يزعم أنه نبى و أنا خاتم النبيين لا نبىّ بعدى).

اقوال العلماء فى أن سيدنا محمد خاتم الأنبياء:

۱.قال القاضى عياض فى الشفاء :(لأنه اخبرنا انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، واجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره ، و أن مفهومه المراد به دون تأويل و لا تخصيص ، فلا شك فى كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعًا إجماعًا) [الشفاء ص۳٦۲].

۲.و قال الحافظ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره و هذه الآية نص فى انه لا نبى بعده... إلى قوله و بذلك و ردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم.

۳.قال العلامة ابن حجر المكى فى فتاواه:(و من اعتقد و حيًا بعد محمدﷺ كفر بإجماع المسلمين.)

٤.و قال العلامة على القارى فى شرح الفقه الأكبر : (و دعوى النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم كفر بالإجماع.)

۵.وفى كتاب السير و الردة من الاشباه و النظائر ص ۹۵ : (إذا لم يعرف ان محمدًا ﷺ آخر الأنبياء فليس بمسلم ، لأنه من الضروريات ، ومثله فى

الفتاوى العالمكيرية (٢٦٢/٢)

(٢) سيدنا محمد ﷺ افضل الأنبياء و سيد ولد آدم :

١. روى الترمذي و صححه عن أبي سعيد و روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم و لا فخر)

٢. و عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (... أي رب خلقتني سيدَ ولد آدم و لا فخر...) رواه أبو يعلى و البزار و رجاله ثقات.

٣. و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد الناس يوم القيامة...) متفق عليه. نعم إن الرسول ﷺ نهى عن تفضيله على الأنبياء كما جاء في الحديث :(لا تخيّرو بين الأنبياء) رواه البخاري ٢. وقوله ﷺ :(لا ينبغي لعبد أن يقول انا خير من يونس بن متى) متفق عليه.

فهذه الأحاديث محمولة على أنه ﷺ قالها على سبيل التواضع و نفي العجب ، أو ان المقصود منها ان لا يفضل عليهم تفضيلاً يؤدي إلى تنقيص بعضهم أو الغض منهم.

قال : و كل دعوة نبوة بعده فغيّ و هوى:

الشرح:.

و كل من ادعى بعد سيدنا محمد ﷺ النبوة فدعواه ضلالة و ميل النفس إلى الشهوة.

مذمة الهوى:

والهوى كل ما خالف الحق و للنفس فيه حظ و رغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد ، قال الشاطبي سمى الهوى هوى ، لأنه يهوى بصاحبه إلى النار و روى هذا

عـن الشعبى و متبع الهوى لا بد ان يضل نفسه عالمًا كان أو جاهلًا لأنه كثيرًا ما يترك العـلـم اتبـاعًـا الـهـواه لـذلك حذر العلماء اجتنابه قال ابراهيم النخعى:(لا تجالسوا أهل الأهـواء فـإن مـجـالسهم تذهب بنور الإيمان). و قال مجاهد: لا تجالسوا أهل الأهواء فإن لهم عرة كعرة الجرب).

نذكر الآن فرق بعض المتنبئين الدجالين فى الزمن المتأخرة و جماعاتها القاديانية والأحمدية:

مؤسسها ميرزا غلام أحمد المولود عام ١٨٧٨م و فى ربوة من قاديان بإقليم البنجاب.. ، و ربوة مدينة أنشأها القاديانيون لأنفسهم لتشملهم الآية الكريمة: ﴿و آويناهما إلى ربوة ذات قرار و معين﴾. أعلن دعوته رسمياًعام ١٩٠٠ م فادعى أنه نبى مرسل ، و أن منكر رسالته كافر ، لا تؤكل ذبيحته ، و لا يصلى عليه ، و لا يدفن فى مقابر المسلمين ، و لما مات ولده و كان لا يؤمن به امتنع والده ميرزاً و أتباعه من الصلاة عليه. و كانت مجلة الأديان التى تصدر بالإنجليزية فى قاديان شهريًا منذ عام ١٩٠٢ لسان حال هذه الجماعة . ألف كتابه(براهين الأحمدية) و صدر القسم الأول منه عام ١٨٨٠ و فيه ادعى أنه المهدى المنتظر ، و يعرف عن نسبه فى كتابه الاستفتاء ص ٧٢ فيقول: أنا المسمىٰ بغلام أحمد بن ميرزا مرتضى ، سمعت من أبى أن آبائى كانو من الجرثومة المغولية ، و لكن الله أوحى إلى أنهم كانو من بنى فارس، لا من الأقوام التركية، و مع ذلك أخبرنى ربى بأن بعض أمهاتى كن من بنى فاطمة. و هذا يؤكد أنه ينتسب إلى المغول. اشتغل ما بين عام ١٨٦٤ ـ ١٨٦٨ كاتباً فى المحكمة الابتدائية بسيالكوت، و كان يتقاضى مرتباً زهيداً، و ما أن أصبح زعيم حركة دينية حتى

أغدق عليه الإنجليز حكام الهند المستعمرين لها و على جماعته بالمرتبات العالية ، و المراكز الرفيعة ، و عرفاناً بهذا الجميل يثنى على الحكومة البريطانية فيقول :(لقد بالغت هذه الحكومة فى الإحسان إلينا و لها عندنا أياد و أى أياد) نقلاً عن الملفوظات الأحمدية.

كان عليل الجسم ، أصيب بالهستريا، و كان يسميها أحياناً بالمراقى ، كما كان مصاباً بنوبات عصبية تصل به إلى الإغماء، و كذا أصيب بالسكرى ، و بصداع شديد مزمن ، و توفى فى مايو عام ۱۹۰۸ بعد أن أصيب بالكوليرا التى أودت بحياته ، فخلفه الحكيم نور الدين.

عقائد القاديانيين:

١ ـ ادعاؤه النبوة : و رد فى (كتابه هامش حقيقة الوحى) ص ٧٢ قوله : (أنا أفضل من جميع الأنبياء والرسل) كما ورد فى إعلانات الغلام ص ۱۸۰ ما يلى:(أقسم بالله الذى أرسلنى والذى لا يفترى عليه أحد إلا الملعونين أنه أرسلنى و جعلنى مسيحاً موعوداً) و فى كتابه (حقيقة الوحى) ص ١٦٣ يقول الغلام (الذى لا يؤمن بى لا يؤمن بالله ورسوله) و ادعاؤه النبوة يقتضى أن ينكر عقيدة الإسلام فى ختم النبوة والرسالات والكتب السماوية.

٢ ـ يفسر القاديانيون (وخاتم النبيين) من الآية بمعنى : زينتهم وختمهم و طابعهم ، ليفتح الغلام باب النبوة ، كى يحشر نفسه استجابة لأمر أسياده الإنجليز. جاء فى كتاب الشهاذتين صفحة ٤١ للغلام قوله :(إن النبى محمداً له ثلاثة آلاف معجزة ، و لكن معجزاتى زادت على مليون معجزة) و رد فى جريدتهم الفصل ٢٢ مايو ١٩٢٢

(الخاتم هو الطابع فإذا كان النبى طابعاً فكيف يكون طابعاً إذا لم يكن فى أمته نبى) و رد فى كتاب حقيقة النبوة لابن غلام بشير ص ٢٨٨ ما يلى : و مما هو واضح كالشمس فى رابعة النهار أن باب النبوة لا يزال مفتوحاً بعد النبى ﷺ.

٣ـ أما تصور الغلام عن الله الذى يوحى إليه فهو يصوم و يصلى ، و ينام و يخطئ و يصيب ، قال فى كتابه البشرى الجزء الثانى ص ٧٩ :(قال لى الله إنى مع الرسول محيط إنى مع الرسول أجيب أخطئ و أصيب). وفى ص ٩٧ يقول :(قال لى الله إنى أصوم و أصلى و أصحو و أنام) و صدق الله إذ يقول :﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه و أضله الله على علم﴾ و لعل الغلام أراد أن يصف الله بصفات البشر حتى يسهل عليه القفز من مرتبة النبوة إلى مرتبة الألوهية ، إن وجد من يسلم بنبوته ، و قد كتب فيهم الدكتور محمد إقبال فيلسوف الهند فى رسالته الشهيرة (الإسلام و الأحمدية) ردًا على أباطيلهم.

٤ ـ ادعاؤه أن عيسى بعث من قبره ، و هاجر إلى كشمير، و توفى هناك عن عمر يناهز المائة و العشرين عاماً ، و أنه قد حل فيه هو و محمد على السواء ، فهو بذلك جمع النبوتين ، و أنه أوحى إليه بالإنجليزية ، و رد فى كتابه براهين أحمدية ص ٤٨٠ قوله :(أنا ألهمت عدة مرات بالإنجليزية فظننت من اللهجة كأنه إنجليزى قائم على رأسى يتكلم).

٥ـ و لا بد لمدعى الرسالة من أن يخترع كتابًا لذا ألف كتابًا مقدساً سماه "الكتاب المبين" و ادعى أنه أوحى به إليه ، و هو يتضمن مجموع الإلهامات التى يدعى أنه أوحى إليه بها و هو مقسم إلى عشرين جزءاً و سمى الإلهام الواحد آية. قال

الخليفة الغلام أحمد فى جريدة الفضل فى عددها بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٢٤ ما يلى :(لا قرآن سوى القرآن الذى قدمه المسيح الموعود) وبهذا يصرحون بنسخ القرآن و بنبوة الغلام و بإنكار ختام الرسالات والنبوات.)

٦ ـ يرى أن الجهاد فى سبيل الله قد نسخ ، و أنه أصبح بعد م استخدام العنف و الأدوات بل بالوسائل السلمية و الإقناع . و رد فى مجموعة إعلانات الإمام الجزء الرابع ص ٤٩ ما نصه (اتركوا الآن فكرة الجهاد لأن القتال للدين قد حرم و جاء الإمام والمسيح و نزل نور الله من السماء فلا جهاد بل الذى يجاهد فى سبيل الله فهو عدو الله) فماذا يريد المستعمرون والإنجليز أكثر من هذه الخدمة . إنها دعوة صريحة لتمكين الاستعمار والقبول بحكمة . لقد أمر أتباعه صراحة بطاعة الإنجليز المستعمرين الذين يحكمون الهند امتثالاً لأمر الله و أطيعوا الله و رسوله و أولى الأمر منكم) فهو يأمرهم بطاعة الإنجليز أولى الأمر منهم.

يقول العلامة أبو الحسن على الندوى فى رسالته القاديانية: لقد تحقق علمياً و تاريخياً أن القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية . فقد أهم بريطانيا وأقلقها حركة المجاهد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ١٨٤٢ م ، و كيف ألهب شعلة الجهاد والفداء ، وبث روح النخوة الإسلامية و الحماسة الدينية فى صدور المسلمين فى الربع الأول من القرن التاسع عشر المسيحى ، و كيف التفت حوله و حول دعوته آلاف المسلمين ، عانت منهم الحكومة الإنجليزية فى الهند مصاعب عظيمة. و اقتنعت أخيراً أنه لا يؤثر فى المسلمين و فى اتجاههم مثل ما يؤثر قيام رجل منهم ، باسم منصب دينى رفيع يجمع حوله المسلمين، و يخدم سياسة الإنجليز ، و يؤمنهم من جهة المسلمين و

عائلاتهم، و قد وجدت الحكومة الإنجليزية ضالتها فى ميرزا غلام أحمد القاديانى.

الأحمدية:

انشقت القاديانية بعد نشأتها شعبتين عرفت الأولى باسم الأحمدية أو جماعة لاهور و زعيم هذا الفرع (خواجة كمال الدين) و (مولوى محمد على) و لهذا الفرع نشاط كبير فى آسيا و أفريقيا و أوربا. ترجم محمد على القرآن إلى اللغة الإنجليزية عام ١٩٢٠ و ألف كتابه الإسلام عام ١٩٢٦، و انتشرت هذه الدعوة فى أفريقيا و خاصة فى المستعمرات البريطانية و فى أوربا، و لا عجب فإن لهذه الحركة فى أفريقيا وحدها ما ينوف عن خمسة آلاف مرشد و واعظ، متفرغون للدعوة والإرشاد، تخرجوا جميعاً من قاديان، و لها دائرة معارف خاصة بها، و لها مئات الكتب بالأوربية والعربية والإنجليزية مما يؤكد الدعم الأجنبى لهذا الحركة عامة والإنجليزى خاصة.

القاديانية:

و أما الفرع الثانى فهو القاديانية بزعامة غلام أحمد ميرزا و خليفته من بعده الطبيب نور الدين، ثم خليفته الثانى ابنه بشير الدين محمود، والفرق بين الأحمدية و القاديانية أن القاديانيين يؤمنون بنبوة غلام أحمد ميرزا، بينما تنظر إليه الأحمدية على أنه مصلح دينى فحسب.

و بالجملة فهما حركة واحد تستوعب الأولى ما ضاقت به الثانية و بالعكس، كما أن كلمة القاديانية التى يسميهم بها الناس كانت نسبة الى قاديان مدينة مؤسس الحركة غلام أحمد ميرزا. أما الفرقة الثانية فهم يسمون أنفسهم أحمديين كذلك تسمية أحمديين يطلقها الطرفان على أنفسهم.

القاديانية ربيبه الاستعمار الإنجليزى:

يروى المرزا غلام أحمد قصة عمالة والده فى كتابه التحفة القيصرية ص ١٦ فيقول :(إن والدى من الموالين المخلصين للحكومة الإنجليزية و قد أمد الحكومة السامية خلال الثورة الكبرى- التى ثار فيها الشعب الهندى ضد الاستعمار الإنجليزى عام ١٨٥٧ - بخمسين فرساً اشترها بماله الخاص و بخمسين فرساً و كان هذا العون أكثر بكثير من طاقته) كما ساهمت عائلة الميرزا فى دعم حكم السيخ أحقد فئة باغية على الإسلام - حين استولوا على مقاطعة البنجاب و ما حوله قبل الاحتلال الإنجليزى.

و فى كتاب شهادة القرآن ص ١٠ يقول الميرزا غلام أحمد :(لقد قضيت عمرى فى تأييد الحكومة الإنجليزية و مؤازرتها و لقد ألفت فى منع الجهاد و وجوب طاعة أولى الأمر من الإنجليز فى الكتب والنشرات ، لو جمع ما فيها أولو جمع بعضها إلى البعض لملأ خمسين خزانة و لقد نشرت جميع هذه الكتب فى البلاد العربية و مصر و الشام و كابل و الروم).

و فى عام ١٩٣١ زار الهند ولى عهد الملك البريطانى فرحب به بشير الدين محمود بن الميرزا غلام أحمد قائلاً : يا نجل ملكنا المعظم و ولى عهد المملكة البريطانية- أنا إمام الجماعة الأحمدية و خليفة مؤسسها المسيح الموعود عليه السلام - يعنى والده - أرحب بك بالنيابة عن أفراد الجماعة الأحمدية أجمعين و أؤكد لك بأن الجماعة الأحمدية هى و فية للحكومة البريطانية و ستبقى و فية لها بإذن الله تعالى . عن كتاب تحفة شاه زاده و يلز تأليف ميرزا بشير الدين محمود أحمد و ورد فى

صحيفة الفضل ١٩١٨/١١/٧ كلمة لابن الغلام أحمد بشير قال فيها : لماذا لا نفرح بدخول الإنجليز الشرق الأوسط وقد قال إمامنا الغلام أحمد بأنني أنا المهدى المنتظر و حكومة إنكلترا سيفي . نحن نبتهج بهذا الفتح ، و نريد أن نرى لمعان هذا السيف و بريقه فى العراق و الشام و فى كل مكان . إن الله أنزل ملائكة لتأييد الحكومة ومساعدتها.

رأى العالم الأسلامى فى القاديانية و الأحمدية:

إزاء هذه المخالفات الصريحة لتعاليم الإسلام فى الإيمان بمدع للنبوة و الوحى ، و فى عدم الإيمان بختم النبوة ، و فى إيمانهم بنسخ القرآن ، و فى إعلان تبعيتهم لأعداء الإسلام المستعمرين . أجمع علماء المسلمين على اعتبار هذه الطائفة خارجة عن الإسلام ، و كان ذلك حين انعقد فى كراتشى مؤتمر عام ١٩٥٣ اشتركت فيه نخبة من العلماء يمثلون كافة الطوائف الإسلامية فى باكستان الشرقية والغربية و قدموا اقتراحاً إلى المجلس التشريعى يطالبون فيه اعتبار القاديانيين أقلية غير مسلمة ، و أن يخصص لهم مقعداً واحداً فى مجلس الشعب عن مقاطعة البنجاب . كما اتخذ المؤتمر الإسلامى المنعقد فى باكستان قراراً باعتبار القاديانية حركة غير إسلامية ، و كذا اتخذ المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى عام ١٣٩٣ هـ قراراً بإخراج القاديانية من دائرة الإسلام لكفرهم و عمالتهم للمستعمرين و كان خاتم هذه القرارات مجلس النواب الباكستانى باعتبار القاديانيين غير مسلمين .

تعاونهم مع اليهود:

لقد اختار القاديانيون الأحمديون مركزهم فى يافا ليبقوا تحت الحماية الإنجليزية

قبل تأسيس إسرائيل ، و ما أن قامت دولة إسرائيل حتى منحتهم إنكلترا جوازات سفر بريطانية، و منحتهم إسرائيل حرية الدعوة والتبشير بالأحمدية. و رد فى كتاب القاديانية لمحمد خير القادرى ما يلى : (يقع مكتب التبشير الأحمدى فى جبل الكرمل فى حيفا فى إسرائيل و لنا فيه مسجد و دار اللنشر و مكتبة عامة لبيع الكتب و مدرسة يصدر عنها مجلة شهرية اسمها البشرى التى توزع فى البلاد العربية ، و قد قام هذا المكتب بنقل الشئ الكثير من تعاليم المسيح الموعود إلى اللغة العربية . وقبل مدة قابل مبشرنا رئيس بلدية حيفا و ناقش معه عدة مسائل منها إنشاء مدرسة بقرب جبل الكبابر، و قد شرفنا رئيس البلدية يرافقه أربع شخصيات هامة ، و استقبلهم رجل فرقتنا و عقدوا لهم حفلة ترحيبية .) (لما أراد مبشرنا محمد شريف العودة إلى مركز الأحمدية فى باكستان أرسل إليه رئيس إسرائيل رسالة طلب فيها أن يزوره قبل سفره إلى باكستان) والأحمديون يمارسون حقوقهم و نشاطاتهم فى إسرائيل بتشجيع من حكومة العدو. (١)

وقد قام الشيخ المفتى محمود رحمه الله بمناقشة زعيمهم مرزا ناصر أحمد فى البرلمان المركزى فى باكستان و استمرت المناقشة قرابة الثلاثين ساعة عجز فيها ناصر أحمد عن الأجوبة و رفع النقاب عن كفر هذه الطائفة ، فأصدر المجلس قرارًا باعتبار القاديانية اقلية غير مسلمة.

١ـ المذاهب والأفكار المعاصرة فى التصوّر الاسلامى ـ لمحمد الحسن ـ (ص من ٣١١ إلى ٣١٧)

الفرقة الذكرية:

مؤسس هذه النحلة ملا محمد اتكى ادعى أنه مهدى ثم ادعى أنه نبى ثم ادعى أنه خاتم النبيين ، قصد أولاً ايران فأخرجه العلماء ثم جاء إلى مكران فراه مناخا صالحًا للدعوة لأن اكثر الناس كانوا سذج جهال ، ولم يرد عليه أحد هنا فاتخذ هذا المكان مقرًا له . عقائدهم:

١. كلمة التوحيد عندهم : لا اله إلا الله نور پاك محمد مهدى مراد الله . أو محمد مهدى رسول الله .

٢. ينكرون الصلاة. ٣. ينكرون صيام شهر رمضان إلا بعض أيام خاصة لهم يصومون فيها. ٤. ينكرون الحج و حجهم إلى (كوه) مراد يبعد حوالى ميل عن مكران فهولاء خارجون عن ملة محمد ﷺ لأنهم يؤمنون بمحمد مهدى و ينكرون أصول الإسلام فى الصلاة و الزكاة و الصيام. ٥. لا يصلون على الميت فقط يدعون له. (١)

عموم رسالة محمد ﷺ:

قال : وهو المبعوث إلى عامة الجن و كافة الورى المبعوث بالحق والهدى:

الشرح:

إن الله عزوجل ارسل سيدنا محمد ﷺ إلى الجن عمومًا و إلى جميع الناس على اختلاف الوانهم و اجناسهم و لغاتهم بالحق والهداية .

---

١ ـ انظر "دروس العقائد" (ص:١١٦).

١ .قال الله تعالىٰ:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(الأنبياء.١٠٧)

٢. قال الله تعالىٰ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ (الاعراف ١٥٨)

٣.وقال الله تعالىٰ:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾(سبأ:٢٨)

و قاتل الرسول ﷺ أهل الكتاب و ضرب عليهم الجزية و نشر الإسلام فى بقاع الأرض الخلفاء الراشدين و من بعدهم بينما كان الأنبياء السابقون ارسلوا إلى اقوامهم خاصة .

و فى الحديث الصحيح : اعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة و بعثت إلى كل أحمر و أسود (رواه البخارى).

والجن مكلفون بالتكاليف الشرعية كالانس :

١. قال الفخر الرزاى : اطبق الكل على ان الجن كلهم مكلفون .

٢. قال القاضى عبد الجبار : لا نعلم خلافًا بين أهل النظر أن الجن مكلفون.

٣. قال ابن عبد البر : الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالىٰ:﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ولقوله تعالى:﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ [1] . و اختلف العلماء فى دخولهم الجنة بعد أن اتفقوا أن كفارهم يدخلون النار .

١ ـ وقاية الإنسان (ص:٣٠).

قال الحافظ : على أربعة أقوال: احدها نعم و هو قول الأكثر. ثانيها : يكونون فى ربض الجنة و هو منقول عن مالك و طائفة .ثالثها : أنهم أصحاب الاعراف .رابعها : التوقف عن الجواب فى هذا.

قال : (و إن القرآن كلام الله ، منه بدأ بلا كيفية قولاً ، و انزله على رسوله وحيًا و صدقه المؤمنون على ذلك حقًا، و ايقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، و قد ذمه الله تعالى و عابه ، و أوعده بسقر ، حيث قال : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (المدثر :٢٥) علمنا و ايقنا أنه قول خالق البشر ، و لا يشبه قول البشر ، و من وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر ، فمن ابصر هذا اعتبر ، و عن مثل قول الكفار انزجر ، و علم انه بصفاته ليس كالبشر)

الشرح:۔

و إن القرآن... هذه العبارة عطف على قول المصنف : (إن الله واحد) فأصبحت تحت قول المصنف : (نقول) أى نقول: و إن القرآن كلام الله الخ .و لا شك أن القرآن كلام الله تعالى ظهر منه ، و أنه كيف ظهر منه فلا ندرى كيفيته قوله:انزله الله تعالى كلامه على نبيّه محمدﷺ بواسطةالوحى والمؤمنون آمنوابكلامه تعالى و سلموه حقًا و سلموا أنه كلام الله تعالى حقيقتًا و ليس كلامه تعالى بمخلوق ككلام المخلوق ، فمن سمع كلامه تعالى ثم انكر أن يكون هذا كلام الله فقد كفر لأن القرآن كلام الله و هو له صفة أزلية و قد ذم الله تعالى و عابه و هدده بنار جهنم (سقر) حيث قال جل و علا:﴿سأصليه سقر﴾:اى سأدخله سقر لمن قال :﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ .

والقائل هو الوليد بن المغيرة و ذلك ان قريشًا اجتمعوا فى دار الندوة ليد بروا فى

أمر محمد ﷺ و قالوا هذه أيام الموسم والناس مجتمعون ، و قد فشا قول هذا الرجل في الناس و هم سائلون عنه فماذا تجيبون و تردون عليهم فقالوا : نقول إنه مجنون فقال بعضهم: إنهم يأتونه ويكلمونه فيجدونه فصيحًا عاقلاً فيكذبونكم فقالوا: نقول إنه شاعر، قال بعضهم هم العرب و قد رأوا الشعراء و قوله لا يشبه الشعر فيكذبونكم ، قالوا : نقول إنه كاهن قال بعضهم : إنهم لقوا الكهان و إذا سمعوا قوله و هو يستثني في كلامه المستقبل فيكذبونكم ففكر الوليد بن المغيرة ثم ادبر عنهم ، ثم رجع إليهم و قال فكرت في أمره فإذا هو ساحر يفرق بين المرء و زوجه و أقربائه ، فاجتمع رأيهم على أن يقولوا : انه ساحر [1] فنزلت هذه الآيات. لذلك فنحن نعلم يقينًا و نسلم أنه قول الذي خلق الخلق و لايشبه قوله قول المخلوق ابدًا ذلك لأن لكلامه تعالى. خصائص و مميزات ليست في كلام البشر.

و من خصائصه :

١. انه محفوظ من الضياع و التحريف كما ذكرنا لأن الله عزوجل تولى حفظه قال الله تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر:٩)

٢. تيسيره و سهولة حفظه قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

٣. شفاعته لأهله يوم القيامة قال رسول الله ﷺ : اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه(رواه مسلم)

١ـ تفسير السمرقندي(٤٩٣/٣)

بعض التفصيل في كلام الله تعالىٰ:

و فى أحكام القرآن للمفتي جميل أحمد التهانوى (٢٢٣) : (و حاصل مافى كتب الكلام فى هذه المسئلة :أن فيها ثلاثة مذاهب: ١ ـ الأول : مذهب أكثر أهل السنة والجماعة: أن كلام الله قسمان ١ ـ نفسى ٢ ـ ولفظى ـ فالنفسى قديم واللفظى حادث.

والثانى: مذهب المعتزلة: أن كلام الله حادث : والمراد به عندهم الكلام اللفظى لأنهم لم يقولوا بوجود النفسى والمذهب الثالث : للحنابلة: أن الكلام اللفظى أيضاً قديم حتى إن بعضهم قالوا : أن الغلاف والجلد ايضاً قديم...) كما ذكرناه.

آراء أئمة الإسلام فى كلام الله تعالى:

١ ـ قال الإمام أبو حنيفةؒ فى كتابه فقه الأكبر(و القرآن فى المصاحف مكتوب و فى القلوب محفوظ و على الألسن مقروٌّ و على النبى ﷺ منزل و لفظنا بالقرآن مخلوق و كتابتنا و قراء تنا له مخلوق).

٢ ـ و قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتابه فتح البارى ج ٤٩٣/١٣) : (والذى استقر عليه قول الأشعرية أن القرآن كلام الله غير مخلوق مكتوب فى المصاحف محفوظ فى الصدور مقروءٌ بالألسنة.... ثم قال : و أما قولهم (إنه منزه عن الحروف والأصوات) فمرادهم الكلام النفسى القائم بالذات المقدسة فهو من الصفات الموجودة القديمة و أما الحروف فإن كانت حركات أدواة كاللسان والشفتين فهى أعراض ، و إن كانت كتابة فهى أجسام ، و قيام الأجسام و الأعراض بذات الله محال، و يلزم من أثبت ذلك أن يقول بخلق القرآن و هو يأبى ذلك و يفرّ منه ، فالجأ ذلك

بعضهم إلى إدعاء قدم الحروف كما التزمته السالمية)

٣ـ و قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره القويم (ج٢٠٤/٦):"أن القرآن اسم يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله تعالى ، و على هذه الحروف و الأصوات ، و لا نزاع في أن الكلمات المركبة من هذه الحروف و الأصوات محدثة مخلوقة".

٤ـ و في "شعب الإيمان" : إن كلام الله تعالى ليس بحرف و لا صوت ، و الكلام الحقيقي هو كلام النفس ، فالأصوات والحروف إنما وُضعت دلالات على كلام النفس ، و من قلتَ له : اكتب أرضا أو فرساً أو آدمياً ، فكتب الذى أمليتَ عليه في ورقة أو لوح ثم زعم أن الأرض و الآدمي والفرس هو المكتوب فاقطع طمعك في عقله و اقضِ بحماقته ، و من زعم أن حركة شفته أو صوته أو كتابته بيده في الورقة هو عين كلام الله تعالى القائم بذاته ، فقد زعم أن صفة الله تعالى قد حلّت بذاته و مست جوارحه و سكنت قلبه ، و (أيّ فرق بين من يقول هذا و من يزعم من النصارى أن كلمة الله تعالى اتّحدت بعيسى عليه السلام . اهـ (١)

٥ـ قول الإمام الأنور في الكلام و رده على الحافظ ابن تيمية:

و قال الإمام الأنور:فاعلم أن الكلام إما كلام نفسيّ، أو لفظيٌّ والأول أقرّ به الأشعري و انكره الحافظ ابن تيمية .قلت:. أما إنكار الحافظ ابن تيمية ، فتطاولٌ ، فإنه ثابت بلا مرية وتفصيله: أن في الكلام ثلاث مراتب :

١ـ نظرة علميّة في نسبة كتاب الإبانة جميعه.... (ص :١٩)

الأولى: عبارة عن حالة بسيطة اجمالية غير متجزئة ، من شأنها الإفادة ، فلا تقدم فيها و لا تأخر كالقرآن فى ذهن من حَفِظَهُ ، فإنه يحضر فى ذهنه جملة ، حتى إنه يدركه أيضاً إلا أنه لا تفصيل فى تلك المرتبة و هى مبدأ للتفصيل .

والثانية: عبارة عن الصور المخيّلة المنفعلة فى الذهن تعرض إليها بحر العلوم فى (شرح مسلم الثبوت)و فى تلك المرتبة يحضره تفصيله ، نحو أ ن تقرأ القرآن فى نفسك ففيها انكشاف تام و تفصيل كامل ، و إن لم يشعر به المخاطب.

والثالثة: عبارة عن إجراء تلك الكلمات على اللسان فالكلام ما دام دائر فى النفس بسيط ، فإذا نزل فى الخيال صار عبارة عن كلمات مخيّلة ،ثم إذا نزل على اللسان صار كلمات ملفوظة فالكلام النفسى ثابت عقلاً ، نعم كلام المصنف ليس إلا فى اللفظى و مع ذلك تلك الحوادث القائمة ليست مخلوقة و استبعده الحافظ :

فقال :إن فى اثبات حدوثها و نفى كونها مخلوقة تناقضا ، لأنه لا فرق بين الحادث والمخلوق .

قلت:. و هذا إنما نشأمن عدم اطلاعه على اصطلاح القدماء ، فإن المخلوق عندهم هو المحدث المنفصل ، أما إذا كان قائما لفاعله ، فلا يقال له : إنه مخلوق ، و هذا عين اللغة فإنك تقول : قام زيد ، وقعد عمرو،ولا تقول: خلق زيد القيام ، و خلق عمرو القعود و ذلك لأن القيام و العقود و إن كانا حادثين ، إلا أنهما ليسا بمنفصلين عن زيد و عمرو فالشيئ إذا قام بفاعله فهو حادث غير مخلوق.

والعجب من الحافظ حيث خفى عليه هذا الاصطلاح الجليُّ فإن بين اللفظين بونًا بعيدًا ألا ترى أن المُحدَث قد أطلقه القرآن بنفسه ، فقال تعالى :﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحدثٍ﴾ ...الخ (الأنبياء) .

و أما المخلوق فقد نقل عن أبى حنيفة و صاحبيه: أن من قال بخلق القرآن فقد كفر ، هكذا نقله البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات فالمُحدث وَرَد فى القرآن و اطلاق المخلوق أفضى إلى الكفر و إذا دَريتَ الفرق بينهما هان عليك اطلاق الحادث على القرآن مع نفى المخلوق عنه و لم يبق بينهما تناقص أما الكلام اللفظى فى دائرة البشر فهو حادث و مخلوق.

مسئلة اللفظية : امتحن مأمون الناس بخلق القرآن و كتب إلى اسحق ابن إبراهيم بأن يحضر الفقهاء و مشائخ الحديث فاشخصوا إليه فأمتحنهم فمنهم من اجابه و منهم من منع ، و كان أحمد بن حنبل ممن منع فأمر به فسجن وعذب فصبر فلذلك اشتد إنكار الإمام أحمد على من قال لفظى بالقرآن مخلوق مع أنه كلام صحيح كما قال الحافظ ابن حجر فرده حسمًا لمادة الإختلاف و صونا للقرآن فابتلى البخارى بنيسابور بمن يقول : أصوات العباد غير مخلوقة حتى بالغ بعضهم بغضًا و عنادًا فقال و المداد والورق بعد الكتابة أيضا غير مخلوقة فكان أكثر كلام البخارى فى الرد على هؤلاء فصرح بأن اصوات العباد مخلوقة حتى نسب إلى اللفظية ،و أول من قال هذا الكلام الحسين بن على الكرابيسى فلما بلغ ذلك إمام أحمد بدعه وهجره ، وصنف الإمام ابن أبى حاتم كتابًا سماه الرد على الجهمية و جمع فيه أسماء الأئمة فبلغوا عددًا كثيرا من الأئمة و فصل ذلك الإمام ابن حجر فى الفتح و لمزيد التفصيل فارجع اليه.

تحريف الأناجيل كلها:

و نـذكر الآن نبذة من الأناجيل التى تتشبث بها الصليبية الحاقدة ومعها اذنابها من المستشرقين تنفث سمومهم بين حين و آخر تشكك تارة فى القرآن و تارة تدعوا إلـى ديـنهـا و كتـابهـا المحرف و تقول أن كتابها (الإنجيل) الحقيقى هو هذا الذى بأيديهم وهذا كذب صراح نأتى إلى أناجيلهم ونلقى نظرة عابرة عليها ليعرف الناس حقيقة أناجيلهم:

١. إنـجيل متى : اتفقت كلمة النصارى على أن متى من الحواريين الاثنى عشر و قـالـواأن إنـجيـلـه أول مـا بشـر به بعد رفع عيسى عليهالسلام بثمانية اعوام و كان بـالـلغة الـعبرانية وهذا مذهب قدمائهم كافة والكثير من المتأخرين و لهذا الكلام شـواهـد لـكـن الـمـوجـود مـنـه الـترجمة اليونانية والتى توجد الآن ترجمة ترجمة اليـونـانية والـنسـخة الأصلية كانت مفقودة ثم ظهرت ترجمتها و لم يعلم إلى الآن كيف تـرجم هذا الإنجيل و من ترجمه و ما حاله أهو ثقه ام ضعيف فى الدين و هل هـو يهـودى أم مسيـحـى فـإذا لـم يـعـرف حال المترجم إلى الآن فكيف يوثق به و يـعتمد عليه و يتخذ دستورًا للدين ، و كيف يجزم بأنه لمتى و لا يعلم المترجم حتى الآن ، و قـد اقـر نـور تـن عالمهم الكبير وغيره بوجود التحريف فى هذه الترجمة و يـحتـمـل احتـمـالاً قـويًـا وصول هذا الإنجيل إلى أيدى الضالين أعداء النصارى و تـحريف أصل الترجمة فلذلك وجد فيه التناقضات الكثيرة الظاهرة والباطنة و أوردَ و جمع هذه التناقضات الشيخ عبد الرحمن باجه جى فى كتابه "الفارق بين الخالق والمخلوق" .

٢. إنجيل مرقس:

قداختلف النصرانية فی تاريخ تأليف إنجيلها قال صاحب كتاب مرشد الطالبين و لفظه فی صحيفة ١٧٠ : (قد زعم ان إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١م لنفع الأمم الذين كان تنصرهم بخدمته)، و قوله زعم يدل على أن هذا القول لا أصل له، و كذلك رده أكابر علماء النصارى وقالوا أنه ليس كتاب الهامی :

١ ـ قال ريس فی المجلد التاسع عشر من كتابه المشهور بانسائی كلوبيديارس الذی كتبه بإعانة كثير من العلماء المحققين نقلاً عن مسر كدل فی الفصل الثانی من رسالته فی بيان الإلهام ما ملخصه :(أن الكتب التی كتبها تلاميذ الحواريين مثل إنجيل مرقس و لو قا و كتاب الأعمال ليست بإلهامية).

٢. قال وارد كاتلك فی كتابه (صرح جيروم) فی مكتوبه : أن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون فی الباب الآخر من إنجيل مرقس. فثبت أن تأليفه ليس بأنجيل الهامی بل هو تاريخ نقل عن بطرس فقط . كذا فی كتاب الفاروق لعبد الرحمن الباچه جی.

٣. إنجيل يوحنا:

ذكر جرجيس زوين الفتوحی اللبنانی تلميذ الرهبان اليسوعيين فی ترجمته المطبوعة فی بيروت سنة ١٨٧٣ سبب تأليف إنجيل يوحنا فقال :(ان شيرنطوس و ابيسون و جماعتهما لماكانو يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنسانًا و أنه لم يكن قبل أمه مريم فلذلك فی سنة ٩٦ اجتمعوا عموم أسافقة آسيا وغيرهم عند يوحنا و التمسوا منه أن يكتب عن المسيح و ينادی بإنجيل مما لم يكتبه الإنجليون الآخرون و

أن يكتب بنوع خصوصى لا هوت المسيح فلم يسعه أن ينكر اجابة طلبهم) و قال فى مرشد الطالبين : أنه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التى فيها كتب يوحنا إنجيله فإن بعضهم يزعم أنه كتبه فى سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم و آخرون ممن يوجد فيهم بعض الاقدمين. يروون بكتابته فى سنة ٩٨ و ذلك بعد رجوعه من النفى .

٣. قال يوسف الخورى فى مقدمة تفسيره أن يوحنا صنف إنجيله فى آخر حياته بطلب من اسافقه كنائس آسيا وغيرها و السبب أنه كانت طوائف تنكر لا هوت المسيح فطلبوا منه اثباته و ذكر ما أهمله متى و مرقس و لو قافى أناجيلهم)

فهذا دليل على أن الطبقة الأولى إلى نهاية القرن الأول كانت تنكر لاهوت المسيح كما أن الأناجيل الثلاثة لم تذكر شيئًا من لاهوته و هو اساس دين النصرانية فحيث اهملوا هذا الأمر المهم فقد سقطت أناجيلهم و عدالتهم و اصبح خبرهم لا يعتمد عليهم . و حيث أن إنجيل يوحنا كتب بالالتماس فلا يصح أن يقال أنه من الالهام.

٤ ـ إنجيل لوقا

١ ـ إن واتسن صرح و هو من العلماء المشهورين عند النصارى فى المحلد الرابع من كتابه فى رسالة الهام التى اخذت من تفسير داكتر بنسن بأن عدم كون إنجيل لوقا الهاميًا يظهر مما كتب فى دياجته و ذكر الدياجه برمتها ... إلى أن قال : و هكذا قال القدماء من العلماء ايضا أى بأنه ليس الهاميًا.

٢ ـ قال : كلى مى شيس :(أن متى و مرقس يتخالفان فى التحرير و إذا اتفقا ترجح قولهما على قول لوقا) و يظهر من هذا أن هذه الأناجيل الثلاثة ليست بإلهامية و إلا فلا معنى لترجيح الأولين على الثالث ، و قد اقر هذا الفاضل بصراحة قوله ان هذه الأناجيل

وقـع فيهـا الاخـتـلاف و قد حقق الفاضل لاردن أن لوقا كتب إنجيله بعد ما حرر مرقس إنـجيله و ذلك بعد موت بطرس و بولس فتبين أن إنجيله ليس إلهاميًا كما يزعمون ، مع أن الـنـصارى اختلفوا فى لوقا اختلافًا كليًا بحيث يمكننا أن نلحقه فى الجهالة بمترجم إنـجـيـل متى. و هذا كله نقلناه من "الفارق بين المخلوق و الخالق" فمن أراد التفصيل فـليـرجـع إليـه . هذه أحوال أناجيلهم و صدق الله : ﴿افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾ فثبت أن القرآن المنزل على الرسول المكتوب فـى الـمـصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة هو الحق و أن الإنجيل المزعوم هو عبـارة عـن قـول الـلـه تـعـالـى الذى لايعدو عن هذا شيئًا و هو :﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيدهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً﴾.

و مـنـاظـرات الصليبيين مع الموحدين مشهورة . و لقد ناظر أحد العلماء مع القسس فى نصوص كتبهم و اقام لهم الحجج على تحريف أناجيلهم و ضياعهم وعدم ثبوتهم فقالوا فى الجواب : أن جماعة منكم يقرّون بتحريف القرآن و أوردوا له من كتابهم "الكافى" نصًا تبطل هذا القرآن الذى بأيدينا وهى:

١. عن جابر الجعفى قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول :(ما ادعى أحد من الناس أنه جـمـع الـقرآن كله كما أنزل إلا كذاب ، و ماجمعه و حفظه كما أنزله إلا على بن أبى طالب والأئـمة مـن بعده) فأجابهم هذا العالم أن من انكر القرآن الكريم خرج عن الإسلام لأنه انكر متواترًا و منكر التواتر كفره لاخلاف فيه بين المسلمين .

تنبيه:-و ما نسب إلى ابن مسعودؓ أن المعوذتين لم تكونا عنده من القرآن فهذا كذب عـلـى ابن مسعودؓ ، و نقل عن القاضى أبى بكر أنه لم يصح هذا النقل عنه ، ولا حفظ عنه ، و

قال النووی : اجمع المسلمون علی أن المعوذتین والفاتحة من القرآن ، و أن من جحد شيئًا منها کفر. و ما نقل عن ابن مسعود باطل غیر صحیح ، و قال ابن حزم : هذا کذب علی ابن مسعودؓ موضوع ، و إنما صح عنه قراءة عاصم عن زرّ و فیهما المعوذتان و الفاتحة ، و کان یقتدی بإمام یقرء هما فی کل شهر رمضان فی مسجد رسول الله صلی الله علیه وسلم فی صلاة التراویح ، و لم ینکر علیه قط ، و هذا اسند عاصم : أنه قرأ علی أبی عبد الرحمن عبد الله بن حبیب ، و قرأ علی أبی مریم زر بن حبیش الاسدی ، وعلی سعید بن عیّاش الشیبانی . و قرأ هؤلاء علی عبد الله بن مسعود و قرأ هو علی رسول الله صلی الله علیه وسلم، و لعاصم سند اخر ایضا ، و سند حمزة والکسائی و خلف ینتهی إلی ابن مسعود ، و فی هذه القراءا ت المعوذتان ، و داخل فیه فنسبة إنکار کونها من القرآن إلیه غلط فاحش ، فلا یعبأ بسند الإنکار إلی ابن مسعودؓ عند معارضة هذه الأسانید الصحیحة بالإجماع و لمتلقاة بالقبول عند العلماء الکرام بل والأمة کلها[1].

اعتراضات السقاف علی الإمام الطحاوی فی بحث الکلام والجوابات عنها:

أقول نأت الآن إلی اعتراضات السقاف علی الإمام الطحاوی فی موضوع الکلام و أنها کاالهباء المنثور .

و قد أخذ آراء المعتزلة التی فندت من جانب أهل السنة وردت بأحسن رد وها هو یتفوه بها و یذیلها فی عقیدة إمام الأئمة و یزینها کأن الأمة لا تعرف الاعتزال والحق.

---

١ ـ انظر حاشیة بذیل فیض الباری(ص: ٤٧٥ ـ ٤٨٦)

١ ـ قال السقاف في صحيفة (٢٩٤) في قول الإمام الطحاوي رحمه الله : "و أما قوله : (وايقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة أن الله نطق و تلفظ به فهذا كلام باطل فاسد و إلا فالقرآن كلام الله تعالى حقيقة ، و قد اتبع المصنف قوله السابق بقول آخر أفسد منه و هو قوله :(ليس بمخلوق) و هذا مخالف للعقل و النقل او مخالف لصريح قول تعالى :(و ما يأتيهم من ذكر من الرحمان محدث إلا كانوا عنه معرضين) [الشعراء: ٥] و القرآن هو هذا الكتاب المقروء المنزل من رب العالمين و هذا محدث مخلوق رغم أنف كل معاند مكابر معرض عن العقل و النقل راكن إلى التقليد)

أقول للإمام الطحاوي‎ؒ عبارة واضحة لا غموض فيها فلإى وجه يقوم بالتخديش ؟ و من أين علم أنه يريد بالحقيقة أن الله تلفظ به أو نطق به؟ وتقييده (بالحقيقة) لدفع المجاز وخفى هذا على السقاف فبادر إلى الإعتراض.

قال الإمام ملا على القارى رحمه الله فى شرح الفقه الأكبر :(والقرآن كلام الله تعالى) أى بالحقيقة كما قال الطحاوى لا بالمجاز، و أفاد ذلك المطلب فى "اللآلى" (١٠٢) ـ ثم ها هو يقر بقول الإمام الطحاوي‎ؒ ويسلمه "و إلا فالقرآن كلام الله تعالى حقيقة؟؟" فأين الاعتراض؟! و فى كتاب الوصية للإمام أبى حنيفة‎ؒ :(و نقر بأن القرآن كلام الله و وحيه و تنزيله و صفته لا هو و لا غيره بل هو صفته على التحقيق، والحبر والكاغذ والكتابة مخلوقة ، لأنها أفعال العباد، و كلام الله تعالى غير مخلوق . لأن الكتابة والحروف والكلمات ، والآيات دلالة القرآن لحاجة العباد إليها و كلام الله تعالى قائم بذاته ، و معناه مفهوم بهذه

الأشيـاء . كذا نقل فى شرح الفقه الأكبر (ص ٣٠) و بهذا النص بطل الإعتراض الـذى أشـار إليه السقاف بقوله :(فإن قال قائل :"عنى المصنف ههنا بالقرآن أو بكلام الله تعالى على الحقيقة الصفة النفسية ..... الخ)

۞..٢ـ وقـال السـقـاف فى قول الإمام الطحاوى رحمه الله (و أن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً)

أمـا كـون الـقـرآن كـلام الله تـعـالى فهذا مما لا ريب فيه و أما على ما أراد الـمـصنف فـكـلام غير صحيح فقوله (منه بدأ بلا كيفية قولاً) يفيد أن الله تعالى تـكـلـم بـه أى نطق و تلفظ لكن بلا كيفية كما يقولون (بلا كيف) و هذه عقيدة مردودة فاسدة!! و قد بناها المصنف على حديثين موضوعين تتداولهما الحنابلة المحسمة و المشبهة .... الخ)

أقـول : قـول السـقـاف لا يحق أن يرد عليه لأنه يصدق عليه قول الشاعر : و كـم مـن عـائـب قـولا صـحيـحاً : وافته من الفهم السقيم)يخطّأ صريح الفاظه و يـؤولها حسب مرامه ولا أدرى دافعه هذا؟ و ما يكنه فى صدره للأئمة و لمسلك الأئـمة و مـن ذا الـذى يعرف كيفية تكلمه تعالى به؟ و ليته رجع إلى كتب الأئمة الـذيـن شرحوا عبارات هذا الكتاب و بينوا ما فيه و أى عقيدة فاسدة مردودة فى كتـاب الإمـام الطحاوىؒ! و كيف عرف السقاف أن عقيدته مبنية على الحديثين الضعيفين و خاصتاً الأحاديث التى تتداولهما الحنابلة المحسمة؟ و أىّ ربط بينه و بين المشبهة؟

قـال الملا على القارىؒ فى شرح الفقه الأكبر (٣١) : (فإن الطحاوى يقول

كلام الله منه بدأ بلا كيفية : أى لا نعرف كيفية تكلمه به ، و كذا قال غيره من السلف : منه بدأ و إليه يعود ، و إنما قالوا منه بدأ، لأن الجهمية من المعتزلة و غيرهم كانوا يقولون : إنه خلق الكلام فى محل فقدر الكلام فى ذلك المحل ، فقال السلف منه بدأ أى هو المتكلم به فمنه بدأ : أى لا من بعض المخلوقات كما قال الله تعالى ؟ "تنزيل من الرحمن الرحيم"....) انتهى.

فعلم من هذا النقل أن السقاف لما رأى رد الإمام الطحاوىؒ على المعتزلة اساء ه ذلك فرمى الإمام الطحاوىؒ بعقيدة المجسمة و المشبهة ثم بنى فاسده على فاسد اخر و هو قوله (و قد بناها المصنف على حديثين موضوعين ...) و هل يعرف السقاف الغيب ؟! أم يعرف الحديث الصحيح أكثر مما يعرفه الإمام الطحاوىؒ أليس هذا هو اللعب بالأئمة الكرام و كتبهم؟!

٣ـ و قول السقاف : "و قد اتبع المصنف قوله السابق بقول اخر أفسد منه ...." باطل و ذلك لأن الإمام الطحاوى يبين عقيدة الإمام النعمان رحمه الله مع صاحبيه فكيف يكون كلامه مخالفًا للعقل و النقل قال الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه فى الفقه الأكبر : (و كلام الله غير مخلوق).مع مانقلناه من كتاب الوصية فى رد هذا الادعاء.

و أما ما استدل السقاف بحدوث القرآن فالحواب: قال الإمام فخر الدين رازى فى تفسيره القويم (ج ٨/ ١١٩) المعتزلة احتجوا على حدوث القرآن بهذه الآية فقالوا : القرآن ذكر و الذكر محدث فالقرآن محدث....

بيان أن القرآن ذكر قوله تعالى فى صفة القرآن : إن هو إلا ذكر للعالمين)

ص٨٧ و قوله :(ص والقرآن ذى الذكر) ص :١) و قوله (إنا نحن نزلنا الذكر) (الحجر :٩) .... و بيان أن الذكر محدث قوله فى هذا الموضع :(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) و قوله فى سورة الشعراء:(وما يأتيهم من ذكر من الرحمان محدث) (الشعراء:٥) ثم قالوا : فصار مجموع هاتين المقدمتين المنصوصتين كالنص فى أن القرآن محدث والجواب من وجهين : الأول : أن قوله : (إن هو إلا ذكر للعالمين) و قوله : (و هذا ذكر مبارك) إشارة إلى المركب من الحروف و الأصوات و ذلك مما لا نزاع فيه بل حدوثه معلوم بالضرورة ، و إنما النزاع فى قدم كلام الله تعالى بمعنى آخر).

ثم ذكر الوجه الثانى و فند آراء المعتزلة الباطلة التى تمسك بها هؤلاء و من سلك مسلكهم كالسقاف وغيره.

۞..٤ـو قال السقاف فى قول الإمام الطحاوىؒ:

(فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ... الخ) "هذا تهويل فارغ فإن الله يقول فى كتابه العزيز أيضا (إنه لقول رسول كريم و ما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون و لا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) (الحاقة : ٤٠ ـ ٤٣) و قال تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) [التكوير]."

أقول أن هذه الشبهة و غيرها من الشبهات ليست للسقاف بل للمعتزلة.

و قد أجاب عنها الأئمة:

و من الأئمة الإمام ملا على القارى فى كتابه شرح الفقه الأكبر (٤١):

(فإن قيل قال الله تعالى (إنه لقول رسول كريم) و هذا يدل على أن الرسول أحدثه إما جبريل إو محمد ﷺ ..... فالرسول فى إحدى الآيتين جبريل و فى أخرى محمدﷺ فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر، و أيضاً فإن الله قد كفرّ من جعله قول البشر فمن جعله قول محمد ﷺ بمعنى أنه أنشأه فقد كفر و لا فرق بين أن يقول أنه قول بشر أو جنّ أو ملك إذا الكلام كلام من قاله مبتدئا لا من قاله مبلغاً أما ترى أن من سمع قائلاً يقول:(قفانبك من ذكر ى حبيب و منزل). قال هذا شعر امرئ القيس ، و أما من سمعه يقول : (إنما الإعمال بالنيات) قال هذا كلام الرسول و أن من سمعه يقول:(الحمد لله رب العالمين) و (قل هو الله أحد) قال هذا كلام لله و بالجملة فأهل السنة كلهم من أهل المذاهب الأربعة و غيره من السلف والخلف متفقون على أن القرآن غير مخلوق) انتهى فما معنى التهويل إذن ؟! فما قاله الإمام الطحاوى حق لا إرتياب منه.

۞... ٥ـ و قال السقاف فى صحيفة (٢٩٥) فى قول الإمام الطحاوىؒ :

(علمنا و ايقّنا أنه قول خالق البشر، و لا يشبه قول البشر) نعم هو كلام الله تعالى خالق البشر لكنه يشبه قول البشر ...... فكلام المصنف هنا خطأ!)

أقول : إن الإمام الطحاوى يقصد من هذا الكلام أن كلام الحق لا يشبه كلام الخلق من حيث أنه كلام لله و كلامه صفة من صفاته تعالى كسائر الصفات و القرينة على هذا القول أنه بعد هذا القول قال : (و من وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد

كفر) فكما أن صفاته و منها كلامه لا يشبه المخلوق فكذلك الله جل و علا لا يشبه البشر، فقول الطحاوی صحيح لا غبار عليه.

و فهم السقاف فيه كلام لا فی قول الإمام الطحاویؒ.

٦ـو قوله: "و بعد كل هذا الجدل بالكلام الباطل الفاسد الذی بينا زيفه يقول المصنف (و لا نجادل فی القرآن) و ما هو هذا الذی يخوض فيه إذن؟"

أقول: أن الإمام الطحاویؒ بيّن مسلك أهل السنة و الجماعة، و بيّن العقيدة الصحيحة و قد أحسن فی ذلك و لم يسئ إلى أحد و قوله صحيح و أين الزيف؟ و لم يجادل أحداً فی القرآن إلا المجادلة التی تمسك فيها بالكتاب و السنة: و هذا لا شيئ فيها بل هی ممدوحة.

قال العلامة جميل أحمد التهانوی فی أحكام القرآن (٢٤٧): (حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام المجادلة ثم مدحه فدل على أن المجادلة بتمسك النصوص مرضی عنه) أما المجادلة بالباطل كما يسوقها السقاف و رؤساؤه من المعتزلة فهذا هو الذی أشار إليه الإمام الطحاویؒ.

و بدون التمسك بالنصوص فحرام، و كذلك حرم حمل كلام الأئمة على محامل غير مرضية، و التوجيهات البادرة التی لا ترضى بها قائلها.

۞... ٧ـقال السقاف فی قول الإمام الطحاویؒ فی صحيفة (٢٩٥):

(و لا نقول بخلقه) خطأ من القول لأنه معارض لقول الله تعالى: (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ)(الأنبياء:٢)فهو محدث و مخلوق و ليس قديماً بصريح نصوص القرآن! فما بال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديث!!)

أقول : إن قول الإمام الطحاوی صحیح لا ریب فیه لأنه صرح فی ابتداء کتابه أنه یذکر فیه اعتقاد أهل السنة والجماعة علی مذهب فقهاء الملة أبی حنیفة و أبی یوسف ، و أبی عبد الله محمد رضوان الله علیهم أجمعین ، و ما یعتقدون من أصول الدین ، و یدنیون به لرب العالمین ، و ما قاله فقد وفّی به فإن اعتقاد هؤلاء الأئمة و جمیع أئمة أهل السنة والجماعة هو ما ذکره فی کتابه و إلیك الدلیل :

قال الملا علی القاری فی کتابه شرح الفقه الأکبر (۳۱):

"و قال فخر الإسلام قد صح عن أبی یوسف أنه قال ناظرت أبا حنیفة فی مسئلة خلق القرآن فاتفق رأیی و رأیه علی أن من قال بخلق القرآن فهو کافر. و صح هذا القول أیضا عن محمد ..."

ثم قال (ملا علی القاری) فی صحیفة (۴۱-۴۲):

(و بالجملة فأهل السنة کلهم من أهل المذاهب الأربعة و غیرهم من الخلف والسلف متفقون علی أن القرآن غیر مخلوق)

۲- و فی العقائد النسفیة للإمام عمر النسفی:

(والقرآن کلام الله تعالی غیر مخلوق) شرح العقائد النسفیة(۴۶) :

فما قاله الإمام الطحاوی هو عقیدة الماتریدیة و الأشاعرة و هی حق و أما سقاف فقد سلك مسلك الاعتزال و قد أجبنا عن الآیة التی أوردها.

ثم أن السقاف و من اتبعهم ممن قبله لم یفرق بین المحدث والمخلوق بید أن بینهما بوناً شاسعاً .

قال الإمام الأنور الکشمیری فی صدد رده علی الحافظ ابن تیمیه :

(فالكلام النفسی ثابت عقلاً ، نعم كلام المصنف(أی البخاری) لیس إلا فی اللفظی ، و مع ذلك تلك الحوادث القائمة لیس مخلوقة و استبعده الحافظ فقال : إن فی اثبات حدوثها و نفی كونها مخلوقة تناقضا ، لأنه لا فرق بین الحادث والمخلوق قلت : و هذا إنما نشأ من عدم اطلاعه علی اصطلاح فإن المخلوق عندهم هو المحدث المنفصل ، أما إذا كان قائماً لفاعله فلا یقال له : إنه مخلوق، و هذا عین اللغة فإنك تقول قام زید ، و قعد عمرو، و لا تقول : خلق زید القیام و خلق عمرو القعود ، و ذلك لأن القیام و القعود و إن كانا حادثین إلا أنهما لیسا بمنفصلین عن زید و عمرو فالشئ إذا قام بفاعله فهو حادث غیر مخلوق، والعجب من الحافظ حیث خفی علیه هذا الاصطلاح الجلیُّ ، فإن بین اللفظین بوناً بعیداً. ألا تری أن المحدث قد أطلقه القرآن بنفسه، فقال تعالی:(مایأتیهم من ذكر ربهم محدث) ....إلخ [الأنبیاء:٢] ، وأما المخلوق، فقد نُقِلَ عن أبی حنیفة وصاحبیه: أن من قال بخلق القرآن فقد كفر، هكذا نقله البیهقی فی كتاب "الأسماء والصفات" . فالمحدث ورد فی القرآن ، وإطلاق المخلوق أفضی إلی الكفر. وإذا دریتَ الفرقَ بینهما، هان علیك إطلاقُ الحادث علی القرآن، مع نفی المخلوق عنه، ولم یبق بینهما تناقضٌ). (١)

۞...٨ـوقال السقاف : (و أحمد بن حنبل و من قال بقوله قد اخطأوا خطأ كبیراً و غالطوا فی هذه المسئلة لأنهم خالفوا العقل و النقل)

أقول : لم یخطأ الإمام أحمد رحمه الله و ما كان متفرداً فی هذه المسئلة بل جمیع

١ـفیض الباری (ج٦/ ص٥٨٩) كما ذكرناه من قبل.

أئمة أهل السنة والجماعة كانوا على رأيه، و كان من أئمة المسلمين الكبار، و كان يكرمه الامام الشافعي رحمه الله و كان من رؤس السنة في زمانه، امتحن من جهة الخلفاء ظلماً في موضوع خلق القرآن، و كان الحق معه بالاتفاق لم يشذ عن رأيه إلا الشذاذ من المعتزلة الذين أوقدوا نار الفتنة و اذوا علماء الإسلام فشردوهم و فرقوا جمع المسلمين و توغلوا في الفلسفة الباطلة حتى اطفأ الله شرهم.

و أما سبب انكار الإمام أحمد على الكرابيسي و غيره.

هوسد هذا الباب، حتى لا يتجرء أحد بالقول بخلق القرآن:

١ ـ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: [1] و الذي يتحصل من كلام المحققين أنهم أرادوا حسم المادة صونا للقرآن أن يوصف بكونه مخلوقًا و إذا حقق الأمر عليه لم يفصح أحد منهم بأن حركة لسانه إذ اقرأ قديمة.

٢ ـ و قال البيهقي في كتاب الأسماء والصفات مذهب السلف و الخلف من أهل الحديث و السنة: أن القرآن كلام الله و هو صفة من صفات ذاته، و أما التلاوة فهم على طريقتين منهم من فرق بين التلاوة والمتلو، و منهم من أحب ترك القول فيه، أما ما نقل عن أحمد بن حنبل أنه سوى بينهما فإنما أراد حسم المادة لئلا يتذرع أحد إلى القول بخلق القرآن، ثم اسند من طريقتين إلى أحمد أنه أنكر على من نقل عنه أنه قال لفظي بالقرآن غير مخلوق، و أنكر على من قال لفظي بالقرآن مخلوق، و قال القرآن كيف تصرف غير مخلوق فأخذ بظاهر هذا الثاني من لم يفهم مراده و هومبين في

---

١ ـ فتح الباري (ج١٣/٤٩٢).

الأول .... ثم قال الحافظ : و المعروف عن أحمد و أهل العلم أن كلام الله غير مخلوق ، و ما سواه مخلوق لكنهم كرهوا التنقيب عن الأشياء الغامضة و تجنبوا الخوض فيها و التنازع إلا ما بينه الرسول عليه الصلاة والسلام) فأين مغالطة الإمام أحمد رحمه الله و مخالفته للعقل و النقل؟!!

فمسلك الإمام أحمدؒ في مسئلة كلام الله عين مسلك السلف والخلف من أهل الحديث و السنة كما صرح به الإمام البيهقيؒ ، و لا فرق بين المسلكين فأين وجد السقاف التفاوت بين المسلكين ؟! و لم يبين ما خالف الإمام أحمد النقل و العقل؟! فلأى شيئ يتكلم بدون حجة على هذا الإمام و يسلك الإعتزال الممقوت؟

۞ـ ٩ ـ و قال السقاف في صحيفة (٢٩٨):

(ما ذهبت إليه الأشعرية في ذلك نقول به إلا أننا نخالفهم في اثبات الصفة النفسية لأنه لا دليل عليها)

أقول: مسلك السقاف في أكثر المسائل في هذا الكتاب مسلك المعتزلة ،إلا أنه في كتبه الأخر كان يدافع عن الأشعرية.

و لا ندرى أى دافع له على ذلك و لعله في يوم من الأيام عسى أن يتبع الفرق الأخرى غير ذلك.

و نأت إلى جوابه مختصراً فنقول أنه ثبت بالتواتر و الإجماع أن الله جل و علا متكلم و لا معنى لكلامه سوى اتصافه بالكلام، و قيام اللفظى الحادث بذاته تعالى ممتنع فتعين النفسى إذ لا ثالث و ثبت كذلك بالنقل ألا ترى إلى قوله تعالى في الحديث القدسي المشهور: (أنا عند ظن عبدى بى و أنا معه إذا ذكرنى فإن ذكر في

نفسه ذكرته في نفسي)

وقال:" الإمام الألوسي" صاحب "روح المعاني" كما نقل عنه العلامة جميل أحمد التهانوي في كتابه أحكام القرآن و فصل فيه.

و اختصر قول الإمام الألوسي:(و فيه دليل على أن للعبد كلاماً نفسياً بالمعنيين و للرب ايضاً كلاماً نفسياً كذلك .... الخ) فلماذا ليس عليه دليل؟!

۞ـ ١٠ ـ و قال السقاف في صحيفة (٣٠٠) :

(فرب العالمين سبحانه قرر أن هذا الذكر محدث و ليس قديماً (و دعني من أقوال المؤوّلين للآية و افهم هذه المسئلة بعقلك لا بعقل غيرك و لاتقليداً و بالتالي هو مخلوق!! و بذلك قال البخاري و مسلم و ابو ثور و الكرابيسي...)

أقول : يريد السقاف أن يخلط مسلك أهل السنة والجماعة مع الإعتزال و يغالط فيه !!

و قوله :(أن هذ الذكر محدث ، لِمَ لا يكون المراد منه وعظ الرسول إياهم و تحذيره من المعاصي لذلك سماه ذكراً و أضافه إليه إذ هو فاعله، أو أن مرجع الأحداث إلى الإتيان لا إلى الذكر القديم لأن نزول القرآن على رسول الله ﷺ كان منجماً فكان نزوله حيناً بعد حين كما في فتح الباري. فلم هذا الفرار من التأويل الصحيح الذي هو معنى الآية والذي يرتبط به مسلك أهل السنة والجماعة ،

فإذا تركنا مسلك أهل السنة و سلكنا مسلك الإعتزال فنحن أخذنا بعقولنا لا بعقل غيرنا؟!! ثم إن الإمام البخاري رحمه الله و غيره لم يعن ما كان يقوله في كلامه تعالىٰ إلا اللفظي الذي يتلى و هو خارج عن البحث فكلامنا في القديم .

قال الحافظ الذهبی فی سیر أعلام النبلاء ج ٢ ص ٨٢:(و لا ریب أن ما ابتدعه الكرابیسی و غیره فی مسئلة التلفظ و أنه مخلوق هو حق لكن الإمام أحمد أباه لئلا یتذرع به إلی القول بخلق القرآن فسّد الباب)

و أما الذی لا اختلاف فیه بین السلف و الخلف والذی نثبته كما قال سلطان العلماء الإمام العز بن عبد السلامؒ الذی قلل شأنه السقاف :(أن القرآن كلام الله صفة من صفاته قدیم بقدمه لیس بحرف و لا صوت) كما فی "مقالات الإمام الكوثریؒ ص ٣٦".انتهی بحث الكلام و ردود السقاف علی مسلك أهل السنة والجماعة والكتاب.

قال : والرؤیة حق لأهل الجنة بغیر احاطة ولا كیفیة كما نطق به كتاب ربنا حیث قال : وجوه یومئذ ناضرة إلی ربها ناظرة ، و تفسیره علی ما أراده الله تعالیٰ و علمه ، وكل ما جاء فی ذلک من الحدیث الصحیح عن رسول الله ﷺ و عن أصحابه رضوان الله علیهم أجمعین فهو كما قال، و معناه و تفسیره علی ما أراد ، لا ندخل فی ذلک متأولین بآرائنا ولا متوهمین بأهوائنا ، فإنه ما سلم فی دینه إلا من سلم لله تعالی ولرسوله ﷺ ، و ردّ علم ما اشتبه علیه إلی عالمه .

الشرح:۔

ونقول الرؤیة إلی الذات المقدسة ثابتة لكن من غیر احاطة بجوانب المرئی لتعالیه جل و علا عن الاتصاف بالجوانب و لا كیفیة من اتصال شعاع، و مقابلة و ثبوت مسافة بین الرائی و المرئی ، و تحصل هذه الاشیاء فی رؤیة الأجسام و تعالی الله عن الجسم ، فرؤیته لیست كرؤیة الأجسام والصور.

و هذا التفسیر نقل عن أبی بكر و علی و ابن عباس و حذیفة و ابن مسعود

رضوان لله عليهم... و خلق آخرون و روى مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ من طرق شتى فالنظر إلى ذات الله حق كما قال قائله على المعنى الذى أراده ، وإنه من باب المتشابه نكل علمه إلى الله تعالىٰ، فحقيقته و مراده لا يعرفه إلا الله و نحن البشر فهمنا و علمنا قصير لأن نبين هذه الرؤية بآرائنا نؤولها أونظن بأهوائنا أن الرؤية لله يوم القيامة هكذا أوهكذا ...، نحن لا حق لنا الدخول فى هذه اللحة لأنها من المتشابهات ، ولأنه لا يخلص دين أحد من شائبة إلا من انقاد لله و لرسوله ﷺ و فوض علم ما اشتبه عليه علمه إلى الذى يعرفه) .

ثبوت رؤية الله عزوجل فى الآخرة من الكتاب و السنة والإجماع:

اثبتت هذه الرؤية فى القرآن حيث قال الله تعالى :﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ من النضارة : أى حسنةٌ بهيةٌ مشرقةٌ مسرورةٌ. إلى ربها ناظرة: أى تراه عيانًا . فبيانه هو الذى أراده الله لا يعلمه ذلك إلاالله.

ثبوت الرؤية فى الأحاديث :

جاء فى الأحاديث الصحاح عن سيدنا محمد ﷺ من طرق متواترة عند أئمة الحديث.

١ ـ كحديث أبى سعيد و أبى هريرة و هما فى الصحيحين : أن ناسًا قالوا يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ، فقال : (هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟) قالوا : لا قال : (فإنكم ترون ربكم كذلك)

٢ . و فى الصحيحين عن جرير رضي الله عنه قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر، فقال: (إنكم ترون ربّكم كما ترون هذا القمر ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل

طلوع الشمس و لا قبل غروبها فافعلوا).

٣. و في الصحيحين : عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : (جنتان من ذهب آنيتهما و ما فيهما و جنتان من فضة آنيتهما و ما فيهما ، و ما بين القوم و بين أن ينظروا إلى الله إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)

٤. و في افراد مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تعالى : تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة و تنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ، و هي الزيادة) ، ثم تلا هذه الآية : "للذين أحسنوا الحسنى و زيادة".

٥. روى البخاري في صحيحه : إنكم سترون ربكم عيانًا.[1]

و كذلك ما نقل عن أصحابه الكرام رضوان الله عليهم احمعين كما نقل القرطبي : أن أبا موسى الاشعري رض .

قال على منبر البصرة : إن الله عزوجل يبعث يوم القيامة ملكًا إلى أهل الجنة فيقول: هل انجزكم الله وعده ؟ فينظرون : الحلي و الحلل و الآثار و الأنهار والأزواج المطهرة ، فيقولون : نعم قد انجزنا الله ما وعدنا فيقول الملك : هل أنجزكم وعدكم؟ ثلاث مرات فلايفقدون شيئًا مما وعدوا فيقولون : نعم فيقول : قد بقي لكم شيئ إن الله تعالى يقول : "للذين احسنوا الحسنى و زيادة" ألا إن الحسنى الجنة و الزيادة النظر إلى الله تعالى[2] .

١ـ انظر تفسير ابن كثير (ج ١٤/ص١٩٨).
٢ـ شرح العقيدة للميداني(ص:٧١)

قال : ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم و الإستسلام ، فمن رام علم ماحظر عليه و لم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد و صافى المعرفة و صحيح الإيمان ، فيتذبذب بين الكفر و الإيمان والتصديق والتكذيب و الإقرار و الإنكار موسوسًا تائهًا زائغًا شاكاً لا مؤمنًا مصدقًا و لا جاحداً مُكذّبًا .

الشرح:۔

يجب على المؤمن الحقيقى أن يفوض معانى النصوص التى خفى مرادها عليه إلى الله فلن يكون راسخًا فى الإسلام إلا بالانقياد والتفويض فمن أراد العلم الذى منع منه ، وترك الإنقياد و التسليم إلى الله وترك عقله يهم هنا أو هناك ، واتبع مايؤدى إليه فكره حرم عن الوصول إلى التوحيد الخالص و المعرفة الصافية و الإيمان الصحيح ، فإذا لم يصل إلى التوحيد الخالص يصير مترددًا بين الكفر والإيمان و التصديق و التكذيب والإقرار و الإنكار حال كونه واقعًا فى الوسوسة حيران ضالاً فى طريقه يشك فيما أدى إليه ذهنه و تعب فيه جاعلاً نفسه بحيث لا يصدق الله ولا يؤمن به و لا يجحده و لاينكره و هذا دأب كل من لم يؤمن بالله و اياته و نصوصه حق الإيمان . فخبط فى ذلك خبط عشواء و من لم يجعل الله له نورًا فماله من نور.

قال : و لا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دارالسلام لمن اعتبرها منهم بوهم ، أو تأولهابفهم و تأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ، و لزوم التسليم و عليه دين المرسلين و شرائع النبيين ، و من لم يتوقّ النفى والتشبيه زلّ ، و لم يصب التنزيه فإن ربنا جل و علا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس بمعناه أحد من البرية .

الشرح:۔

رد الإمـام الـطـحاوی رحمه الله فی هذا النص علی الذین : یوولون الرؤیة فیرون الـرؤیة لـکـنهـم یشبهـون الرؤیة برؤیة الخلق ، أو ینکرون الرؤیة تمامًا فیولون الأیات و الأحـادیـث بـأفهامهم القاصرة الخالیة عن الإدراك و العلم علی مزاعمهم فرد الإمام هنا علـی الـفـرقتیـن : أما الأولی لأنها وقعت فی تشبیه الله بخلقه و هذا باطل. و أما الثانیة فوقعت فی التعطیل و هو أیضا باطل فقال:و لا یصح إیمان من فرض رؤیة الله للمؤمنین فـی الـجنة بوهمه توهمه بأن انکر الرؤیة ، أو یری لکن بشکل خاص و صورة خاصة أو تـأول الـرؤیة بـفـهـم لها تأویلا یخالف ظاهر ها فیضل بفهمه من حیث لا یدری فتأویل الـرؤیة بـل و تأویل کل معنی لا یدرك بأفهامنا القاصرة مما یضاف إلی الربوبیة الواجب فیـه تـرك التـأویـل الـفاسد لأنه بمنزلة التحریف و اللازم علی المسلم المذعن الإنقیاد و الـطـاعة و علی ذلك دین المرسلین و شرائع النبیین و علیه الصحابه و هو عقیدة السلف الصالح علیهم الصلوات .

و مـن لـم یصن نفسه عن نفی صفات الله من صفات الذات کالمعطلة الذین ینکرون صفات الله یزعمون أنهم ینزهون الله عن مثل هذه الصفات. و المشبهة الذین یصفون الله بـمـخـلـوق ، فـمـن یـفـعـل هـذا أو ذاك فقد ضل عن سواء السبیل و لم یصل إلی الهدف المنشود الذی هو تنزیه الله .

و الـعـبـارات الآتیة تأکید لما قبلها من اثبات الصفات و نفی التشبیه : فإن ربنا عظم و ارتـفـع عـن مـا لا یناسبه موصوف بصفات الوحدانیة فهو متوحد فی ذاته منعوت بنعوت الفردانیة و متفرد فی صفاته إذ لیس بمعناه أحد یشبهه من الخلق.

...﴿مغالطات السقاف فى رؤية الله تعالى و إنكاره عنها﴾...

اعلم أن هذه مسئلة ثالثة غالط فيها السقاف و قلل من شأنها و هى رؤية الله فى الآخرة و رد على الإمام الطحاوىؒ فى ثبوته للرؤية ثم أنه افترى على الإمام أبى حنيفة رحمه الله و لم يأت بثبوت و لو بنقل ضعيف يثبت منه أنه أنكر الرؤية.

والإمامؒ كان له أعداء ينافسونه و كانو يتهمونه تارة بحدوث القرآن ، و تارة بإنكار الرؤية و غيرها من الاتهامات ،

وقد قام العلماء الأجلاء بدفاعه ، و تكذيب من افترى عليه فجزاهم الله عن الإسلام خيراً، والسقاف جمع هذه الاتهامات القديمة التى لم تثبت ورمى بها الإمامؒ من جديد.

نأت الآن إلى أقوال السقاف و نناقشها فى موضوع الرؤية:

...١ ـ قال السقاف فى صحيفة (٥٨٢) فى قول الإمام الطحاوى رحمه الله :

(ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبر ها منهم بوهم أوتأولها بفهم). اضطراب فى الكلام يثبت أنه ينفى الرؤية بعد قوله (والرؤية حق).

الجواب: أن الإمام الطحاوى رحمه الله اثبت الرؤية بقوله (والرؤية حق) و هو عقيدة أهل السنة والجماعة و قول أئمة الإسلام من سلف و خلف ما حاد و لا شذ عنها أحد و على رأسهم الإمام النعمانؒ و أصحابه الأجلاء وأما قول الإمام الطحاوىؒ(لا يصح الإيمان ... الخ) ففيه الرد على المؤولين الذين يقولون بالرؤية لكن كما يرى المخلوق لا الخالق، و كذلك فيه الرد فى هذا النص على الذين ينكرون الرؤية فالأولى وقعت فى التشبيه و هو ممنوع و أما الثانية ففى التعطيل وشرهما لا يخفى على أحد فلذلك رد على هاتين الفرقتين فأين الاضطراب؟

۞-٢-و قول السقاف : (و نفی الرؤية معز و إلى الإمام أبی حنيفة رحمه الله وعليه جماعة من أئمة الحنفية و منه الحصاص) أقول : كيف يسوغ الافتراء على هذا الإمام الجليل و لم يأت بنقل ليثبت هذا الكذب عليه كما قلنا و معاذ الله أن يكون الإمام من المنفين و إليك النص الصريح الذی لايقبل التأويل من الإمام على اثبات الرؤية:

١ ـ قال الإمام أبو حنيفة فی الفقة الأكبر :(و يُرى فی الاخرة و يراه المؤمنون و هم فی الجنة بأعين رؤسهم بلا تشبيه و لا كيفيّة و لا كميّة و لا يكون بينه و بين خلقه مسافة).

٢-و فی كتابه الوصية (و لقاء الله لأهل الجنة بلا كيف و لا تشبيه و لا جهة حق) هذا و كما افترى عليه أنه كان ينكر الرؤية

فكذلك قد افترى السقاف على الإمام الأعظم أنه كان يقول بخلق القرآن وأن نفی الرؤية معزو إليه و إلى أصحابه.

و لنرد هذه الإفتراء ات المختلقة المكذوبة عليه و على أصحابه إليكم هذا النص الجليل ليعرف كل ذی عينين أن ما اختلق عليه و على أصحابه كذب صريح لا يحتاج إلى تأويل مأوول :

(قال فخر الإسلام:" العلم نوعان علم التوحيد والصفات ، و علم الشرائع و الأحكام، والأصل فی النوع الأول هو التمسك بالكتاب و السنة ، و مجانبة الهوى ، والبدعة ، و لزوم طريق السنة والجماعة الذی كان عليه الصحابة و التابعون و مضى عليه الصالحون ، و هو الذی كان عليه مشائخنا و كان على ذلك سلفنا ، أعنی أبا حنيفة و أبا يوسف و محمداً و عامة أصحابهم رحمهم الله ـ و قد صنف أبو حنيفة رضی الله عنه فی ذلك كتاب (الفقه الأكبر) و ذكر فيه اثبات الصفات ، و اثبات تقدير الخير و الشر من الله ، و

أن ذلك بمشيئته ، و أثبت الإستطاعة مع الفعل ، و أن أفعال العباد مخلوقة بخلق الله تعالى إياها كلها ، و رد القول بالأصلح و صنف (كتاب العالم و المتعلم) و (كتاب الرسالة) و قال فيه :(لا يكفر أحد بذنب،و لا يخرج به من الإيمان ، و يترحم له) و كان في علم الأصول إماماً صادقاً ، و قد صح عن أبي يوسف أنه قال :"ناظرت أبا حنيفة في مسألة خلق القرآن ستة أشهر فاتفق رأيي و رأيه على أن من قال بخلق القرآن فهو كافر) و صح هذا القول عن محمد رحمه الله ، و دلت المسائل المتفرقة عن أصحابنا في المبسوط و غير المبسوط على أنهم لم يميلوا إلى شيئ من مذاهب الإعتزال ، و إلى سائر الأهواء) و أنهم قالوا بحقية رؤية الله تعالى بالأبصار في دار الآخرة و حقية عذاب القبر لمن شاء) و حقية خلق الجنة و النار اليوم ، حتى قال أبو حنيفة لجهم: أخرج عني يا كافر. و قالوا بحقية سائر أحكام الآخرة على ما نطق به الكتاب والسنة ، و هذا فصل يطول تعداده) [١]

فظهر من هذا النص أن الإمامؒ لم يكن قائلا بعدم الرؤية و خلق القرآن كما يقوله السقاف ، بل الحق الذي يعول عليه أنه كان له أعداء كثيرة ، و كانوا يحسدونه ، و كانوا يختلقون عليه الافتراء ات التي كان منها بريئاً.

و نقل في فتح الملهم (١٤٩/١) عن الإمام ابن عبد البر رحمه الله بعض ما رمي به الإمام منه: ما قال الساجي عن سفيان الثوريؒ: (استتيب أبو حنيفة مرتين) و عن محمد بن يونس قال : (إنما استتيب أبو حنيفة لأنه قال : القرآن مخلوق) قال ابن عبد البر (و الساجي ممن كاينافس أصحاب أبي حنيفة) و أما محمد بن يونس فإن كان الكديمي

---

١ ـ فتح الملهم للعلامة شبير أحمد العثماني(ج١٥١/١).

البصري فقال الذهبي في الميزان :(أحد المتروكين) و قال ابن عدي :(اتهم بالوضع) و قال ابن حبان (لعله وضع أكثر من ألف حديث) .

و قال ابن عدي: (ادعى الرواية عمن لم يرهم ترك عامة مشائخنا الرواية عنه ، و مع ذلك روى عنه ابن الفضل ، قال سمعت عبد الله بن داود الخريبي يوماً و قيل له يا أبا عبد الرحمان ، إن معاذا يروى عن سفيان الثوري أنه قال : استتيب أبو حنيفة مرتين . فقال عبد الله بن داود : هذا والله كذب ، قد كان بالكوفة علي والحسن ابنا صالح بن حي ، و هما من الورع بالمكان الذي لم يكن مثله ، و أبو حنيفة يفتي بحضرتهما ، و لو كان من هذا شيئ ما رضيا به، و قد كنت بالكوفة دهراً فما سمعت به) ، و ما نقلنا عن فخر الإسلام يثبت أن أئمتنا الكبار لم يميلوا إلى شيئ من الاعتزال).

و الجصاص الرازي من أئمتنا العظام فما يقال عنه أنه كان من منكري الرؤية فمدسوس عليه ، وكم رأينا فيما مضى من العلماء كان أعداؤهم يدسون في كتبهم ألا ترى إلى الإمام الشعراوي وقد دسوا في كتابه و هو حي حتى وصل الأمر إلى الأزهر فردوا عليه و أنكروا ذلك منه ، و لما بلغ ذلك إليه جاء إلى الأزهر و قال هذا لم اكتبه و لم أقل به بل مدسوس عليّ فرضوا عنه و اصلح ما افترى عليه ،

و ما فعلوا بكتب صاحب الفص فغير غائب عنا.

۞...٣ـو قال السقاف :(أن نصوص الشريعة نصّت على أن رؤية الله سبحانه و تعالى في الدنيا لا تقع لأحد إطلاقاً ، لعموم قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) و لقوله تعالى لسيدنا موسى(لن تراني) [الأعراف:١٤٣] فسيدنا موسى نبي مرسل طلب الرؤية لِيُعلِم قومه أن رؤية الله لا تجوز لإنسان حينما قالوا له كما في القرآن (أرنا الله جهرة) [النساء:١٥٢] و

نـحـوهـا من الآيات الدالة على أنهم طلبوا منه أن يروا الله تعالى فلم ير الله هو فضلاً عن أن يَرَوْه هم)

الـجـواب:إن أهل السنة والجماعة يقولون بإمكان رؤية الله سبحانه و تعالى فى الدنيا و أما مـراوغة السـقـاف ، و ذكـره الآيـات فـى غير موضعها فباطلة لأن الإدراك ليس هو الرؤية الـمـطـلـقة ، إنـمـا هو الرؤية على نعت الإحاطة بجوانب المرئى. والرؤية المكيفة بكيفية الإحـاطة . أخـص مـطـلقاً. من الرؤية المطلقة ، و لا يلزم من نفى الأخص نفى الأعم كما قال الإمام الألوسى فى روح المعانى فهذا كان جواب الآية الأولى.

و أما جواب الآية الثانية : فهو أن تمسكه بها باطل : لأن الآية تدل على إمكان الرؤية مـن وجهيـن :الأول أن مـوسـى عـليـه السـلام سـألهـا بقوله : ربِّ أرنى الخ ، و لو كانت مستـحيـلة فـإن كـان مـوسـى عليه السلام عالماً بالاستحالة فالعاقل فضلا عن النبى مطلقاً فضلاًعمن هو من أهل العزم لا يسأل المحال و لا يطلبه ، و إن لم يكن عالماً لزم أن يكون احاد المعتزلة و من حصل طرفاً من علومه أعلم بالله و ما يجوز عليه و ما لا يجوز من النبى الـصـفى و القول بذلك غاية الجهل والرعونة ، و حيث بطل القول بالاستحالة تعين القول بـالـجـوازوالثانى :أن فيها تعليق الرؤية على استقرار الجبل و هو ممكن فى نفسه و ما علق على الممكن ممكن.(١)

٤ ـ و قـولـه : فسيـدنا موسى نبى مرسل طلب الرؤية ليعلم قومه....) باطل لا دليل عليه و هى شبهة قديمة من شبهات المعتزلة وقد رد العلماء هذه الشبهة و غيرها قال التفتازانى فى

---

١ ـ روح المعانى (٤٥/٥).

شرح العقائد (٥٧) : (و قد اعترض بوجوه أقواها أن سؤال موسى عليه السلام كان لاجل قومه حيث قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فسأل ليعلموا امتناعها كما علمه هو .... و بأنا لا نسلم أن المعلق عليه ممكن بل هو استقرار الجبل حال تحركه و هو محال و أجيب : بأن كلا من ذلك خلاف الظاهر و لا ضرورة فى إرتكابه على أن القوم إن كانو مؤمنين كفاهم قول موسى عليه السلام أن الرؤية ممتنعة ، و إن كانو كفاراً لم يصدقوه فى حكم الله تعالى بالامتناع و أيا ما كان ، يكون السؤال عبثاً) انتهى.

٥ـو قوله : (و أما حديث :(واعلموا أنكم......) (الذى أورده مسلم عقب الحديث [٢٢٤٥/٤] فإنه من مدرجات الزهرى و قد رواه أبو داود فى سننه[٤٣٢٠] دون هذه الزيادة فهى شاذة مردودة) غير صحيح لأن فيه اثبتت الرؤية و هو ينكرها.(١)

(قال المارزى هذا الحديث فيه تنبيه على اثبات رؤية الله فى الأخرة، و هو مذهب أهل الحق ، و لو كانت مستحيلة كما يزعم المعتزلة لم يكن للتقييد بالموت معنى ، و الأحاديث بمعنى هذا كثيرة سبقت فى كتاب الإيمان جملة منها ، مع ايات من القرآن و سبق هناك تقرير المسألة ، قال القاضى ، و مذهب أهل الحق أنها غير مستحيلة فى الدينا ، بل ممكنة ثم اختلفوا فى وقوعها ، فإتباع الإمام المارزيؒ و الإمام النووى أحسن فى فهم الحديث من اتباع السقاف و خصوصا فيما يلعب بمذهب أهل الحق.

و أما دعوى الشذوذ بمجرد أنه لم يذكر فى سنن أبى داود ففيه نظر بل باطل.

١ـ قال الإمام النووى فى شرح مسلم فى ذيل شرح هذا الحديث(٢٨٥/٩) الذى رده السقاف.

٦ــ و قال السقاف فی حاشية كتابه (٥٨٢) (و قول أبی حنيفة رحمه الله بحدوث القرآن أمر مشهور نقله كثير من المتقدمين فی التشنيع عليه ! و هو الصواب الموافق لكتاب الله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث....)

أقول هذا القول باطل من وجوه : أما اولاً فلأن السقاف يقر أن هذا الافتراء من الذين يشنعون عليه فكيف يكون مورداً للقبول؟ ثانياً: روى البيهقی فی "الأسماء و الصفات" بإسناده عن الحارث بن ادريس قال سمعت محمد بن الحسن يقول : "من قال ! القرآن مخلوق فلا تصّل عليه" قال : "و قرء ت فی كتاب أبی عبد الله محمد بن يوسف بن ابراهيم اللقاق و روايته عن القاسم بن أبی صالح الهمذانی ،عن محمد بن أبی أيوب الرازی قال سمعت محمد بن سابق يقول : سألت أبا يوسف فقلت : أكان أبو حنيفة يقول : " القرآن مخلوق ؟ فقال معاذ الله ، و لا أنا أقوله ، فقلت : أكان يرى رأى جهم فقال : معاذ الله ، و لا أنا أقوله ".

قال البيهقی رواته ثقات ثم روى باسناده من أبی يوسف : (كلمت أبا حنيفة سنة جرداء فی أن القرآن مخلوق أم لا ، فاتفق رأيه و رأيی على أن من قال : القرآن مخلوق فهو كافر) قال البيهقی رواته كلهم ثقات اهـ فهل يبقى بعد هذه النصوص الصريحة الصحيحة أی ريب أن الإمام أبا حنيفة إمام اهل السنة والجماعة و أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة قائل بخلق القرآن۔

ثالثا: و لما نأخذ آراء الإمام فنحن لا نلتفت فی ذلك إلى قوله و لا إلى أقوال أصحابه و لا إلى الروايات الصحيحة المنقولة عنه بل نذكر ما قال فيه أعداء ه أهذا من الانصاف؟!!

٧ـ و قال السقاف في صحيفة(٥٨٣) :"و أما سيدنا محمد ﷺ فبين أهل السنة والجماعة خلاف في أنه هل رأى الله تعالى ليلة الإسراء أم لا و الصحيح عندنا أنه لم يره"

أقول : والصواب عندنا أنه راه و إليك الدلائل :

١ـ عن انس رضى الله عنه قال : رأى محمد ربه) رواه ابن خزيمة ـ

٢ـ و روى الخلال في كتابه السنة عن المروزي قلت لأحمد :" إنهم يقولون : إن عائشة رضى الله عنها قالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، فبأى شيئ يدفع قولها؟ قال : بقول النبي ﷺ :(رأيت ربي) قول النبي ﷺ اكد من قولها."

٣ـ حدثنا اسود ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال قال رسول الله ﷺ : (رأيت ربي عزوجل) رواه أحمد في المسند و صححه الهيثمي و أحمد شاكر.

٤ـ و روى عن ترجمان القرآن أنه كان يقول:(إن محمداً ﷺ رأى ربه مرتين: مرة ببصره و مرة بفؤاده) رواه الطبراني في الأوسط، و رجاله رجال الصحيح خلا جهور بن منصور الكوفي، و جهور بن منصور ذكره ابن حبان في الثقات كذا ذكره في الزوائد.

أقوال الأئمة في رؤية النبي ﷺ ربه:

١ـ و قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :(اختلف السلف في رؤية النبي ﷺ ربه ، فذهبت عائشة و ابن مسعود إلى إنكارها ، و اختلف عن أبي ذر ، و ذهب جماعة إلى إثباتها ، و حكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن :(أنه حلف أن محمداً ﷺ رأى ربه) و أخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير اثباتها، و كان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة رضـ ، و به قال سائر أصحاب ابن عباس ، و جزم به كعب الأحبار، والزهري ، و صاحبه معمر و

أخرون، و هو قول الأشعری و غالب اتباعه.

٢ ـوفی فیض الباری(٤٠٣/٥) :(والصواب عندنا أنه ﷺ رأی ربه لیلة المعراج، و فی قوله تعالی(لا تدرکه الأبصار) نفی للإحاطة لا لنفس الرؤیة، و لا یلزم منه نفی رؤیته فی المحشر أیضا، إلا أنه لما کانت رؤیة قلب و نظر معاً صدق الأمران).

۞ـ ـ٨ـو قول السقاف فی الذیل :(و الأحادیث التی منها "نورٌ أنی أراه" و حدیث "رأیت نوراً" و ما شابه هذا کلها أحادیث متعارضة فیما بینها و مضطربة رُغم أن بعضها فی الصحیح فلا تدل علی شیئ) وقوله هذا باطل لأن الإضطراب. مدفوع فی مثلها لأن النور کلی مشکک.

قال الإمام الألوسی فی روح المعانی (٢٣٢/٥) فقد روی أنه قال : "رأی محمد ﷺ ربه" فقال له عکرمة : ألیس الله یقول : لا تدرکه الأبصار فقال : "لا أم لك ذاك نوره الذی هو نوره إذا تجلی بنوره لا یدرکه شیئ" الحدیث۔

و بإثبات هذین النورین یجمع بین جوابیه علیه السلام لأبی ذر حیث سأله هل رأیت ربك؟ فقال فی أحد جوابیه "نور أنی أراه" و فی الجواب "الآخر" "رأیت نوراً" فیقال : النور الذی نفی رؤیته فی الاستفهام الإنکاری المدلول علیه بأنی هو نوره أعنی النور الذی یذهب بالأبصار و لا یقوم له بصر، و النور الذی اثبت رؤیته هو النور الذی لا یذهب بالأبصار)

۞ـ ـ٩ ـ وقول السقاف :(و رؤیة الله فی النوم فالصحیح عندنا أنها لا تصح)

باطل. نقل العلامة بدر عالم فی حاشیة فیض الباری (٤٤/٦؟(جوّز أهل التعبیر رؤیة الباری عزوجل فی المنام مطلقاً).

٢ـ و قال الإمام ملا على القارى فى شرح الفقه الأكبر (١٥٢) (منها رؤية الله سبحانه و تعالى فى المنام فالأكثرون على جوازها من غير كيفية وجهة و هيئة فى هذا المرام:

۞ــ ١٠ـو قال السقاف فى صحيفة (٥٨٤) :(و ذهب جمهور أهل السنة إلى اثبات رؤية الله تعالى للمؤمنين فى الجنة).

فإذا كان الجمهور على هذا الإعتقاد فلأى وجه العدول عنهم ؟؟! وإذا كان مذهب الجمهور فأى مبرر لاختيار مذهب المعتزلة؟ و لا ندرى بذلك!! تعالوا نناقش دلائل المعتزلة التى اوردها السقاف:

١ـقال : (وخالفهم فى ذلك جماعة من أهل السنة و غيرهم كالسيدة عائشة رضى الله عنها و مجاهد و أبى السمان و عكرمة و غيرهم ، و كذا المعتزلة و الاباضية والزيدية و احتجوا بقول الله تعالى (لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار):

أقول: و لم يخالف فى هذه المسئلة جماعة من أهل السنة و الجماعة بل هذه المسئلة اتفاقية بين أهل السنة وأما الذين ذكرهم فى قائمة المنفين فنأتى عليهم ونذكر الحقيقة :

١ـ عائشة رضى الله عنها :

١ـ الجواب الأول (عن قولها):

استدلت بقول الله تعالى: (لا تدركه الأبصار) و خالفها ابن عباس رضـ : عن ابن عباس ، قال "رأى محمد ربه، قلت: (عكرمة) أليس الله يقول : لا تدركه الأبصار) قال وبحك ، ذاك ، إذا تجلى بنوره الذى هو نوره،و قد رأى محمد ربه مرتين ، كما مر .

٢ـ الجواب الثاني:

و قد جمع بعض العلماء بين قولی ابن عباس و عائشة رضی الله عنهما و أن قول عائشة رضی الله عنها محمول علی نفی رؤيته تعالی فی نوره الذی هو نوره المنعوت بأنه لا يقوم له بصر، و قول ابن عباسؓ محمول علی ثبوت رؤيته تعالی فی نوره الذی لا يذهب بالأبصار بقرينة قوله فی جواب عكرمة عن قوله تعالی :(لا تدركه الأبصار). (ويحك ، ذاك إذ تحلّی بنوره الذی نوره) والأبصار، فی قوله تعالی : جمع محلی بالألف و اللام فيقبل التخصيص، و قد ثبت دليل ذلك فی قوله تعالی:(كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالی) فی الآية الأخری (وجوه يومئذ ناضرة إلی ربها ناظرة) فتح الملهم (١٩/١٢)

٣ـ الجواب الثالث:

و نقل فی الفتح الباری (٤٢٦/٣) عن ابن بطال :(قال و تعلقوا بقوله تعالی:(لا تدركه الأبصار) و بقوله تعالی لموسی (لن ترانی)

والجواب عن الأول:أنه لا تدركه الأبصار فی الدنيا جمعاً بين دليلی الآيتين، و بأن ی الإدراك لا يستلزم نفی الرؤية لإمكان رؤية الشیئ من غير احاطة بحقيقته)

و قد حقق معنی الآية :(لا تدركه الأبصار و اثبت الرؤية منها فمن أين إنكار عائشة رضی الله عنها؟! فمن أراد التفصيل فليرجع إلی الفتح الباری (٣٠٣/٥)

٢ـ و أما إنكار عكرمةؒ: فقد قال الحافظ فی الفتح (٤٢٤/١٣) و أخرج بسند صحيح إلی يزيد النحوی عن عكرمة فی هذه الآية قال :"تنظر إلی ربها نظراً" ... ثم قال و قد أخرج عبد بن حميد عن عكرمة من وجه اخر إنكار الرؤية ، و يمكن الجمع بالحمل علی غير أهل الجنة) . و فی الفتح : و أورد الطبری الاختلاف فقال الأولی عندی بالصواب ما

ذكرناه عن البصرى و عكرمةؒ و هو ثبوت الرؤية لموافقته الأحاديث الصحيحة) فأين انكار عكرمةؒ؟

٣۔ و أما إنكار مجاهدؒ: فقد رد الإمام ابن عبد البرؒ رأى مجاهدؒ و عبر عن رأيه بالشذوذ أو يحمل على غير أهل الجنة.

٤۔ وأما أبو صالح السمان: فلعله أول و تأويله لآية فى كتاب الله لا يلزم منه أنه ينكر الرؤية البتة أو يحمل رأيه على غير أهل الجنة لأن الرؤية ثبتت فى الأحاديث الصحيحة الكثيرة و أقوال جميع علماء الإسلام من السلف والخلف.

و اما ما ذكر السقاف من مخالفة المعتزلة و الأباضية والزيدية فلا عبرة بمخالفة المعتزلة و الإباضية والزيدية فى الفروع فضلاً عن الأصول.

قال الإمام النووى فى شرح مسلم واحتجاج هذه الفرق بقول الله تعالى(لا تدركه الأبصار) باطل و قد ذكرنا وجوهه فلا حاجة إلى الإعادة.

١١۔وقال السقاف فى صحيفة (٥٨٤) : فى قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) و أوّلو الآيات التى احتج بها جمهور أهل السنة بأن المراد بالآية هو وجوه ناضرة مسرورة لأنها تنتظر ثواب ربها و عطاء ه و جنته و إنعامه ، كما أنه هناك بالمقابل (وجوه يومئذ باسرة) عابسة (تظن أن يفعل بها فاقرة)..... الخ)

أقول : و قولهم هذا باطل لأن الآية توافق الأحاديث الصحيحة الصريحة ، و فى الآية اثبات الرؤية و كذلك فى الأحاديث إلا أن المعتزلة ينكرون الأحاديث و يقللون من شأنها و يفرون منها بزعم أنهم يأخذون من القرآن إلا أن القرآن يؤولونه طبقاً لمزاعمهم الباطلة الفاسدة فإى دافع لهم لإهما لهم الأحاديث الصحيحة الصريحة الموافقة للآية مع

أن الإعمال أولى من الإهمال .

١٢ـ و قـول السقاف :(و ردّ هؤلاء على من قال من أهل السنة (بأن لفظ (ناظرة) لا يـأتـي عربية بمعنى منتظرة) فقالوا : إن ذلك ليس صحيحا بل ورد القرآن الكريم بإثبات أن معنى ناظرة منتظرة!!..... الخ

بـاطل أما أولاً :لأن النظر الوارد بمعنى الانتظار كثير في القرآن لكنه لم يقرن بحرف إلى كقوله تعالى:(انظرونا نقتبس من نوركم) (الحديد:١٣) و قوله:(هل ينظرون إلا تأويله) (الأعراف:٥٣) فالنظر المقرون بحرف إلى المعدى إلى الوجوه ليس إلا بمعنى الرؤية .

و أمـا ثـانيـاً: فـلو سلمنا أن النظر المعدى بحرف إلى المقرون بالوجوه جاء في اللغة بمعنى الإنتظار لكن لا يمكن حمل هذه الآية عليه لأن لذة الانتظار مع يقين الوقوع كانت حـاصلة فـي الـدنيـا ، فـلا بد و أن تحصل في الآخرة شيئ أزيد منه حتى يحسن ذكره في مـعـرض الـتـرغيـب فـي الآخر ة ، و لا يجوز أن يكون ذلك هو قرب الحصول ، لأن ذلك معلوم بالعقل فبطل هذا التأويل ، و لما بطل قولهم أن النظر في الآية بمعنى الإنتظار بطل ما فـي ضـمـنـه و هـو الـثـواب لأنـه عـدول عن الظاهر كذا ذكره الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الشهير.

١٣ـ قـوله :" كذلك قالوا بأن المراد بقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي عـن ثواب ربهم ...... الخ" باطل لأن المفسرين قالوا هذا عدول عن الظاهر لأن في الآية دليـل عـلـى أن الـمـؤمنين يرون ربهم و إلا لا يكون التخصيص مفيداً، و لأن الله لما ذكـر الـحـجـاب في معرض الوعيد للكفار و ما يكون وعيداً للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمنين.

١ـ قال الحسن: "لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لايرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا".

٢ـ و سئل مالك عن هذه الآية فقال: "لما حجب الله أعدائه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى أروه"

٣ـ و قال الشافعيؒ في قوله :(كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) دلالة على أن أولياء الله يرون الله جل جلاله"

و عنه "كما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا." (١)

۞ــ١٤ـوقال السقاف في صحيفة (٥٨٥) (و احتج "أي الأشعري" في مسئلة الرؤية بقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال: و هذا يدل على أن المؤمنين بخلافهم، و قال جماعة من المتكلمين و منهم القاضي و جماعة من حذاق الفقهاء و منهم ابن سريج أن ذلك لا دلالة له و هو الأوجه عندنا، و يدل عليه مسالك...)

أقول: انظر إلى مغالطة السقاف و وضعه هذا الدليل القوي في سلك منع الرؤية و يا للعجب!!

هذه العبارات التي أوردها في معرض الاستدلال لتكثير دلائل المنفين فيه بيان المفهوم المخالف (البحث المشهور في علم الأصول) و هل يعتبر المفهوم المخالف أم لا؟ ففيه إختلاف.

فذهب إليه الإمام مالكؒ و الإمام الشافعيؒ و لم يعتبره الإمام النعمان رحمه الله و

١ـ تفسير الخازن(٢٢١/٤).

أصحابه . إلا أن متأخريهم اعتبروه فى كلام الناس لا فى كلام الشارع كما قال العلامة ابن عابدين فى مجموعة رسائله . فالإمام الغزالى رحمه الله ذكر فى كتابه الشهير المستصفى(١٩٢/٢) الإختلاف الدائر بين الإمام الشافعىؒ و بعض أصحابه فى المفهوم هل يُعتبر أم لا؟

ثم ذكر بعض من يراه من أصحاب الإمام الشافعىؒ و ممن يقول بقول إمامه الإمام الأشعرىؒ من كبار أئمة أهل السنة و الجماعة و رئيسهم

استدل الإمام الأشعرىؒ برؤية الله تعالى بهذه الآية و اعتبر المفهوم فحجب الكفار عن الرؤية يدل على أن المؤمنين يرون ربهم، والقاضىؒ و غيره ممن ذكرهم الإمام الغزالىؒ إختلفوا و قالوا لا اعتبار للمفهوم فالكلام هنا فى المفهوم فى أنه هل يعتبر فى مذهب الإمام الشافعىؒ أم لا؟و من يراه و من لا يراه فى مذهب الشافعىؒ.

و اوردوا لتوضيحه هذه الآية مثلاً له لا أنهم ينكرون الرؤية، فالأكثر من العلماء يعتبرونه و أما البعض فلا يعتبرونه و ليس معناه أن المتكلمين و الحذاق من الفقهاء و الإمام الغزالىؒ و القاضىؒ ينكرون الرؤية. كما غالط هنا السقاف. بل لكل من هؤلاء النصوص فى كتبهم فى ثبوت رؤية الله تعالى.

هذا و لا يلزم من إبطال الدليل بطلان المدلول.

۞---١٥ـ و ما ذكر السقاف : (و قالوا بأن قوله تعالى (لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار) لا يمكن تأويله إلا بتأويل بعيد مستثقل، و لكن تأويلات الآيات التى أوردها جمهور أهل السنة قريب سائغ غير مستهجن) فباطل و غير صحيح لأن تأويل أهل السنة والجماعة قريب سائغ و ذلك لأن فى اللغة الإدراك عبارة عن الإحاطة بجميع جوانب

المرئى و لا بحث لنا فيه بل كلامنا فى الرؤية و هى ثابتة بالآيات و الأحاديث ، و أقوال أئمة الإسلام من السلف و الخلف ، و فى إنكارها ترك الأحاديث الصحيحة بغير موجب و تحريفها و إهمالها و بتأويل أهل السنة [يعمل بالأصولين (الكتاب و السنة)]

۞ـــ١٦ـ وقال السقاف فى صحيفة (٤٨٥): و ذكروا ما رواه البخارى(٦٠٦/٨) ومسلم (١٥٩/١) عن مسروق عن السيدة عائشة رضى الله عنها ، قال مسروق (قلت لعائشة رضى الله عنها : يا أمتاه ، هل رأى محمد ربّه ؟ فقالت :"لقد قفّ شعرى مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدّثكهنّ فقد كذب:من حدّثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرءت "لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير" و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب....."

أقول : فقول أمنا عائشة رضى الله عنها يتعلق بالدنيا لا بالآخرة ، و يفهم ذلك من فحوى الكلام لأن السائل سألها بقوله: هل رأى محمد ﷺ ربه؟ (أى فى المعراج) فأسلوب سؤال السائل يقطع شغب كل شاغب و بالنظر إلى أقوال العلماء فإن العلماء قد أوردوا إنكار أمنا عائشة من الرؤية ليلة الإسراء.

قال القاضى عياض رحمه الله اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ربّه ليلة الإسراء ؟ فأنكرته عائشة رضى الله عنها[1] فأين الذى ذهب إليه السقاف؟

و أما استدلال أمنا عائشةؓ بالآية، كما كررناه مراراً ، فإن فى الآية نفى الإدراك . و هو الإحاطة و الله لا يحاط به ، و بنفى الإحاطة لا تنفى الرؤية بغير إحاطة.

١ـ شرح صحيح مسلم للإمام النووى (٩/٢)

و أما استدلالها رضى الله عنها بقوله الله تعالى:(و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) فالجواب أولاً: أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز الرؤية من غير كلام و أما ثانياً: أنه عام مخصوص كذا ذكر الإمام النووى (فى شرح مسلم ج١١/٢)

--١٧- و قول السقاف:(لقد استدلت بعموم ايتين على نفى رؤيته ﷺ ليلة الإسراء و يبقى العموم على عمومه عندها و قولكم (إنما قصدت نفى رؤية الله تعالى فى الدنيا لا فى الآخرة) تحكم و قول بلا دليل و لو كان كذلك لذكرته) باطل و غير صحيح، و كما ذكرت فإن سياق السؤال و سباقه يقطع شك كل شاك و كما سئل السائل اجابت أمنا وفق السؤال و أين التحكم ؟ و كما قلنا أن تطبيق الآيات و الأحاديث الواردة فى الرؤية لا يمكن أن تعمل إلا أن نثبت الرؤية »، و لما كان من ديدن المعتزلة عدم الالتفات إلى الأحاديث مهما كثرت فى اثبات شيئ ما انكروها وردوها بدون دليل و وعى فأين فى السؤال بيان الآخرة حتى تنفى منها الرؤية؟

--١٨- و قول السقاف: وردّ نفلة الرؤية بعد ذلك الأحاديث الواردة فى الرؤية و حتجوا بأنها آحاد و لا تثبت العقائد بالآحاد و هو احتجاج مسوّغ مقبول) باطل و غير صحيح لأن الآحاد إذا كثرت تحصل منها التواتر المعنوى فأنى يكون هذا الإحتجاج مسوّغا و مقبولاً قال العلامة عبد العلى الأنصارى فى شرح مسلم الثبوت (١٠٢) (مسئلة كثرة الآحاد المتفقة فى معنى و لو التزاماً) أى و لو كان المعنى التزامياً (توجب العلم بالقدر المشترك) بين تلك الآحاد و لا يحتاج فى ذلك إلى الدليل لأن هذا العلم ضرورى يعلم تحققه عند الرجوع إلى الوجدان و لو وجد منكر لا يلتفت إليه و يكذب ببداهة

العقل (و هو التواتر المعنوى فى الاصطلاح) .

و فى هذا الكتاب فى صحيفة(١٢٠) و قال ابن الجوزى تتبعت الأحاديث المتواترة فبلغت جملة منها حديث الشفاعة و حديث الحساب و حديث النظر إلى الله تعالى فى الآخرة) فانظر إلى الإمام ابن الجوزى رحمه الله تحقق فى أحاديث الرؤية إلى أن وصل تحقيقه فى أن أحاديث الرؤية متواترة "مع أنه مشهور فى تشدده فى الأحاديث."

۞---١٩- و قول السقاف:(و قد ادعى بعض العلماء بأن أحاديث الرؤية متواترة والواقع أنها ليست كذلك) باطل لأن القائلين برؤية التواتر ليسوا بصغار من العلماء بل من الذين لا يستهان بهم فى علم الحديث والتفسير.

أقوال الأئمة القائلين بتواتر الرؤية:

١-قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم(٢٠/٢) اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم : أن رؤية الله ممكنة غير مستحيلة عقلاً ، و اجمعوا أيضا على وقوعها فى الأخرة و أن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين ، و زعمت طائفة من أهل البدع : المعتزلة والخوارج و بعض المرجئة ، أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه ، و أن رؤيته مستحيلة عقلاً ، و هذا الذى قالوه خطاء صريح و جهل قبيح ، و قد تظاهرت أدلة الكتاب و السنة و إجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على اثبات رؤية الله فى الاخرة للمؤمنين ، و رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله ﷺ و ايات القرآن فيها مشهورة و اعتراضات المبتدعة لها أجوبة مشهورة فى كتاب المتكلمين من أهل السنة)

٢-و فى تفسير الخازن (٤١٣/٦) قال علماء أهل السنة رؤية الله سبحانه و تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا و اجمعوا على وقوعها فى الاخرة و أن المؤمنين يرون الله سبحانه

دون الكافرين ..... ثم قال : و قد تظاهر أدلة الكتاب و السنة و إجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على اثبات رؤية الله تعالى و قدروا ها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله ﷺ .

٣- و قال في تفسير ابن كثير (٦/ ١٢٤) و أما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد ، و أبي هريرة و أنس ، و جرير ، و صهيب ، و بلال و غير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات و في روضات الجنات)

٤- و قال الملا على القاري في شرح الفقة الأكبر (١٠٢) و قد تواترت أحاديث إثبات الرؤية تواتراً معنوياً فيحب قبولها نقلا و لا يلتفت إلى ما يتوهمه أهل البدعة عقلاً)

فالإمام النووي و الإمام ابن كثير و الخازن و الإمام رئيس المفسرين و ابن الحوزي، و الإمام ملا على القاري كما نقلنا عباراتهم أنفا يقرون بإجماع و تواترى الرؤية و هم أمناؤنا و أئمتنا في العقيدة و أنى يكون لرجل يحقق هذه المسئلة في هذا الزمن زمن الفتن و يرد على أئمتنا و يثبت جاهداً عقيدة أهل البدعة و الضلال و أى تتبع هذا ؟!

٥- و في شرح العقائد النسفية للإمام التفتازاني (٥٨) بعد أن أورد الدلائل من الكتاب والسنة على رؤية الله في الأخرة قال :(رواه أحد و عشرون من أكابر الصحابة رضوان الله عليهم و أما الإجماع فهو أن الأمة كانو محمعين على وقوع الرؤية في الآخرة و أن الآيات الواردة في ذاك محمولة على ظواهرها ....) فالإمام التفتازاني إمام في العقيدة و كتابه مشهور بين الأنام ، و هو يقول بإجماع الرؤية .

٦- و في العقيدة الإسلامية للإستاذ الدكتور القحطان الدوري:(و بعد أن ذكر النسفيّ واحداً و عشرين من الصحابة منهم: ابن عمر و ابن مسعود و ابن عباس وصهيب و انس

...... قال : كلهم رووا عن رسول الله ﷺ في اثبات الرؤية، فمن ردّ هذا فقد قصد تكذيب هؤلاء. فالصحابة اتفقوا على: أن الله يرى فى الآخرة لابتهالهم إلى الله سبحانه فى طلب لذة النظر إلى وجهه الكريم و اعتقادهم بذلك، و قد فهموا ذلك بقرائن من أحوال رسول الله ﷺ و جملة من ألفاظه الصريحة التى لا تدخل تحت الحصر.

٧ـ و فى التفسير المنير (٢٨٦/١٥):(و أيدت الأحاديث المتواترة ما فهمه الجمهور من دلالة الآية على رؤية الله تعالى، فقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عزوجل فى الدار الآخرة فى الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها و لا منعها، كما قال ابن كثير، ثم أورد الأحاديث و قال : و هذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين و سلف هذه الأمة و هداة الأنام و كذلك قال الشوكانى فى تفسيره العظيم (فتح القدير) بعد أن فسّر اية (إلى ربّها ناظرة) بقوله : أى إلى خالقها، و مالك أمرها، ناظرة، أى تنظر إليه هكذا تواترت الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون ربهم يوم القيامة، كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر) .

و بعد هذه النقول من هؤلاء العلماء الأعلام فهل يبقى أى ريب فى تواتر الرؤية ؟ فهذا شيئ قليل نقلنا من هؤلاء الأعلام و لئن نقلنا من هداة الأمة ما قالوا فى تواتر الرؤية لكثر و لكن العاقل يكفيه هذا الذى نقلناه.

٢٠ـ و أتعجب للسقاف فى نقل قول الحافظ ابن حجر ثم رده عليه (قال الحافظ ابن حجر فى (الفتح) (٤٣٤/١٣) :(جمع الدار قطنى طرق الأحاديث الواردة فى رؤية الله فى الآخرة فزادت على العشرين، و تتبعها ابن القيم فى "حادى الأرواح" فبلغت الثلاثين و

أكثرها جياد ، و أسند الدار قطنى عن يحيى بن معين قال : عندى سبعة عشر حديثاً فى الرؤية صحاح) انتهى .

قلت (القائل هو السقاف) ليست الأحاديث بجياد و لا صحاح....) .أقول: إن أمامنا تحقيق الإمام الحافظ ابن حجرؒ و تحقيق السقاف فبأى تحقيق نأخذ فهل نأخذ بتحقيق الحافظ أم بتحقيق السقاف؟ الذى يعلل الأحاديث الصحيحة لنصرة المعتزلة ، و كان يعترض على الألبانى فيما مضى و قال إنه يضعف الأحاديث الصحيحة لنصرة مذهبه و يرد على الأئمة الكبار النقاد.

و ها هو الآن أخذ منصب الألبانى يعلل هذا و يضعف ذاك لنصرة مذهب المعتزلة و الشيعة و غيرها من الفرق الباطلة فأى فرق بينه و بين الألبانى ؟

والمثال الواضح الذى أمامنا هو مافعل السقاف بأحاديث الرؤية فجعل بعضها شاذة و بعضها معلولة و بعضها منكرة و تالفة بزعمه و لم يوضحها أكثر من ذلك و لم يفصل فيهافلذلك طوينا الكشح نحن أيضا عن الكلام فيها لأن ما قال السقاف فى هذه الأحاديث دعاوى فقط.

۞--- ٢١ - و قول السقاف: (فالمسألة ظنية ليست من أصول العقيدة و إنما هى من الفروع ، و فيها خلاف بين أهل السنة أنفسهم كما تقدم ، و كذا بين جمهور أهل السنة و بين من ينفيها كالمعتزلة و الإباضية والزيدية وغيرهم ، و قد اخطأ من ادعى الإجماع فيها) باطل غير صحيح أما أولاً :فلأن الأدلة الظنية إذا اجتمعت تفيد القطع قال فى النبراس :(قيد الجمهور الأدلة (أى أدلة علم الكلام) بالقطعية لأن اتباع الظن فى العقائد مذموم، و لكن فيه بحثان الأول : أنه قد يجتمع الأدلة الظنية فتفيد القطع بالتحدس فلا يكون من باب

اتباع الظن ....) (١)

و أما ثانياً : فإن هذه المسئلة ليست من الفروع ، وقد ذكرنا ماقال فی اختلاف أهل السنة و أن هذا لم يقع و أنا رددنا بدلائل واضحة و دامغة كما تقدم، و أن أهل السنة و الجماعة بينها اتفاق ، و أما النفاة من المعتزلة و الاباضية و الزيدية و غيرها من أهل البدع فلا عبرة باختلافها والذين قالوا فی هذه المسئلة بالإجماع هم الأئمة و هداة الأمة و ليسوا رعاع حتی نقول فيهم أنهم أخطأوا لأنهم حققوا فی هذه المسئلة بما لا مزيد فيها فكيف لنا أن نخطئهم.

قال الإمام الطبری : (فتحصل فی الباب ممن روی عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث و عشرون نفساً منهم علی و أبو هريرة ، أبو سعيد ، و جرير ، و أبو موسی و صهيب ، و جبار ، و ابن عباس ، و انس ، و عمار بن ياسر ، و أبی بن كعب ، و ابن مسعود ، و زيد بن ثابت ، و حذيفة بن اليمان ، و عبادة بن الصامت ، و عدی بن حاتم ، و أبو رزين العقيلی ، و كعب بن عجرة ، و فضالة بن عبيد ، و بريدة بن الحصيب رضی الله عنهم، و رجل من أصحاب النبی ﷺ) و قال الدار قطنی : انبأنا محمد بن عبد الله حدثنا جعفر بن محمد الأزهر حدثنا مفضل بن غسان قال سمعت يحيی بن معين يقول : (عندی سبعة عشر حديث فی الرؤية كلهم صحاح)

و قال البيهقی: روينا فی اثبات الرؤية عن أبی بكر الصديق و حذيفة بن اليمان و عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس و أبی موسی و غيرهم رضی الله عنهم، و لم يُرو عن

١ـ احكام القران للعلامة جميل أحمد (١٥١/١٥٠)

أحدمنهم نفيها و لو كانو فيها مختلفين لنقل اختلافهم فی ذلك إلينا كما أنهم لما اختلفوا فی رؤية الله بـالأبصار فی الدنيا نقل اختلافهم فی ذلك إلينا ، فلما نقلت رؤية الله سبحانه و تعـالـى بـالأبـصـار فـی الأخـرة و لم ينقل عنهم فی ذلك اختلاف كما نقل عنهم فيها اختلاف فـی الـدنيـا عـلـمـنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار فی الأخرة متفقين مجتمعين. (۱) كذا فی الحادی (۲۷۴)

❀❀❀

جدول اسماء الذين يقولون بالرؤية

رقم	القائل	العبارة
۱	ابو بكر الصديق رضى الله عنه	قرأ أبو بكر الصديق (للذين آمنوا الحسنىٰ و زيادة) فقالوا ما الزيادة يا خليفة رسول الله؟ قال: النظر إلى وجه الله تبارك و تعالى.
۲	علیؓ	من تمام النعمة دخول الجنة و النظر إلى وجه الله تعالى من جنته
۳	حذيفةؓ	الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك و تعالى
۴	ابن عباسؓ	قيل لابن عباس: كل من دخل الجنة يرى الله عزوجل؟ قال نعم
۵	ابن مسعودؓ	الزيادة النظر إلى وجه الله
٦	معاذ بن جبلؓ	يحشر الناس يوم القيامة فی صعيد واحد فينادی أين المتقون ؟ فيقـومـون فـی كـنـف مـن الرحمان لا يحتجب الله واحد منهم و لا يستتر
۷	ابو هريرةؓ	لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت
۸	فضالة بن عبيدؓ	دعاءه: و فيه و لذة النظر إلى وجهك

٩	ابو موسى الاشعریؓ	"الزيادة" النظر إلى وجه الله
١٠	أنس بن مالكؓ	يظهر لهم الرب تبارك و تعالى يوم القيامة
١١	جابر بن عبد اللهؓ	فإذا تجلى لهم خروا له سجداً
١٢	سعيد بن المسيبؒ	"الزيادة" النظر إلى وجه الله
١٣	الحسنؒ	"الزيادة"النظر إلى وجه الله تعالى
١٤	عمر بن عبد العزيزؒ	في نصيحته لأحد عماله و نظروا إلى خالقهم
١٥	الأعمشؒ	إن اشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى لله تبارك و تعالى غدوة و عشية
١٦	كعبؒ	فينظرون إليه
١٧	هشام بن حسانؒ	فإذا راه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة
١٨	بن ابی لیلیؒ	و"الزيادة" النظر إلى وجه ربهم عزوجل
٢٠	شريكؒ	النظر إلى وجه الرحمان تبارك و تعالى
٢١	حماد بن زيدؒ	و"الزيادة" النظر إلى وجه ربهم عزوجل
٢٢	عبد الله ابن مباركؒ	من أراد النظر إلى وجه الله خالقه فليعمل عملا صالحاو لا يشرك بعبادة ربه أحد
٢٣	عبد الله ابن مباركؒ	ما حجب الله عزوجل احداً عنه إلا عذبه
٢٤	شريك بن عبد اللهؒ	أن أهل الجنة يرون ربهم
٢٥	الإمام أبو حنيفةؒ	و يُرى في الآخرة و يراه المؤمنون
٢٦	مالك بن أنسؒ	الناس ينظرون إلى ربهم عزوجل يوم القيامة بأعينهم
٢٧	ابن الماجشونؒ	فو رب السماء و الأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثواباً

٢٨	الأوزاعیؒ	إنی لأرجو أن یحجب اللّٰه عزوجل جهما و أصحابه عن أفضل ثوابه
٢٩	اللیث بن سعدؒ و غیره	قالوا عن الأحادیث التی فیها الرؤیة فقالوا تمر بلا کیف
٣٠	جریرؒ	أنه ذکر حدیث ابن سابط فی الزیادة أنها : النظر إلی وجه اللّٰه
٣١	سفیان بن عیینةؒ	لا یصلی خلف الجهمی الذی یقول : لا یری ربه یوم القیامة
٣٢	وکیعؒ	یراه تبارك و تعالی المؤمنون فی الجنة
٣٣	قتیبة بن سعیدؒ	قول الأئمة المأخوذ به فی الإسلام والسنة الإیمان بالرؤیة
٣٤	أبو عبید القاسمؒ	أنه ذکرت عنده هذه الأحادیث التی فیها الرؤیة فقال :هی عندنا حق
٣٥	اسودؒ	سئل اسود عن أحادیث الرؤیة فقال: احلف علیها الطلاق و بالمشی إنها حق
٣٦	الشافعیؒ	فی قوله تعالی:(کلا إنهم عن ربهم یومئذ لمحجوبون) دلالة علی أن اولیاء اللّٰه یرونه یوم القیامة بأبصارهم و وجوههم
٣٧	احمد بن حنبلؒ	من لم یقل بالرؤیة فهو جهمی
٣٨	المزنیؒ	و سئل أتقول: إن اللّٰه یری یوم القیامة قال : نعم
٣٩	إمام اللغة ثعلبةؒ	أجمع أهل اللغة علی أن اللقاء ههنا لا یکون إلا معاینة و نظرا بالأبصار

و هذا الجدول الذی کتبناه نقلنا بحثه عن کتاب "حادی الأرواح" للعلامة ابن القیم.

قال : و تعالى الله عن الحدود و الغايات و الأركان و الأعضاء و الأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات .

الشرح:۔

رد الإمام الطحاوىؒ قبل هذا النص على المعطلة و المشبهة الذين ينكرون عن صفات الله أوالذين يصفون الله بمخلوق و هذا كله ذكرها فى ضمن مسئلة الرؤية ، و أما ههنا و فى هذا النص. وضح بجلاء تنزيه الله من صفات البرية فقال : رفع عن ما لا يليق به و تنزه عن جميع أوصاف المحدثات من الحدود : أى الأبعاد المحدودة والغايات : أى النهايات والأركان: إلى شئ يقومه ، و الأدوات : أى الجوارح ذوات الأداة، و لا تحيط به الجهات الست إذ هى مخلوقة، و الله كان قبل خلق الجهات و أما سائر المخلوقات فإنها فى الجهات الست التى خلقها الله.

مذهب أهل السنة والجماعة فى صفات الله:

و مذهب أهل السنة والجماعة فى صفات الله هو كما نقل فى المرقاة قال فى المرقاة : قال : النووى فى شرح مسلم فى هذا الحديث (حديث النزول) و شبهه من أحاديث الصفات و اياتها مذهبان مشهوران :

١ ـ فمذهب جمهور السلف و بعض المتكلمين : الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالىٰ، و أن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ، و لا نتكلم فى تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث.

٢ ـ والثانى : مذهب أكثر المتكلمين و جماعة من السلف ، و هو محكى عن مالك ، و الأوزاعى ، إنما يتأول على ما يليق بها بحسب بواطنها ... و بكلامه و بكلام الشيخ الربانى أبى اسحاق الشيرازى و إمام الحرمين والغزالى و غيرهم من ائمتنا و غيرهم يعلم : أن

المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجئ و الصورة و الشخص ، و الرجل و القدم و اليد و الوجه و الغضب و الرحمة و الإستواء على العرش و الكون فى السماء و غير ذلك مما يفهم ظاهرها ، لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان ، تستلزم اشياء يحكم بكفرها بالإجماع ، فاضطر ذلك جميع الخلف و السلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره ، إنما اختلفوا : هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله و عظمته من غير أن نؤوله بشيئ اخر ، و هو مذهب أكثر أهل السلف و فيه تأويل اجمالى ، أو مع تأويله بشيئ آخر و هو مذهب اكثر الخلف، و هو تأويل تفصيلي و لم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح معاذ الله أن يظن بهم ذلك و إنما دعت الضرورة فى أزمنتهم لذلك لكثرة المجسمة و الجهمية و غيرهما من فرق الضلال و استيلائهم على عقول العامة فقصدوا بذلك ردعهم و بطلان قولهم... و قد علمت أن مالكا و الأوزاعى و هما من كبار السلف أولا الحديث تأويلاً تفصيليًا و كذلك سفيان الثورى أول الإستواء على العرش بقصد أمره و نظيره ، ثم استوى إلى السماء أى قصد اليها و منهم الإمام جعفر الصادق ......) (١)

١ ـ قال الشيخ بن أبى العز شارح العقيدة الطحاوية [ص ٢٣٩] فى باب الصفات : (فما اثبته الله ورسوله اثبتناه ، و ما نفاه الله و رسوله نفيناه)فكلامه هذا كلام نفيس و عنوان خلاب ليته وقف على هذا الكلام و اكتفى به لكنه اثبت لذات الله الحد و قال : (فإنه ليس و راء نفيه إلا نفى وجود الرب ونفى حقيقته) و هذا بعينه مذهب الكرامية المجسمة فكيف به و هو يشرح العقيدة الطحاوية التى نقلت من أئمة أهل السنة و الجماعة

١ـ فتح الملهم (ج ٤/ص١٦٧)

من إمام الأئمة النعمان و أبى يعقوب و محمد رحمهم الله ونقل إلينا هذه العقيدة بالتواتر . و ها هو صرح هذا الإمام بقوله : (تعالى الله عن الحدود) و لا يلتفت إليه الشيخ و لا يعبأ به .

فنحن بعد أن اثبتنا وجوده تعالى فبنفى الحد عنه كيف تنفى حقيقته تعالى جل شأنه (و قد اجمع أهل السنة على تنزيه الله سبحانه عن المكان) كذا فى لسان الميزان ج ١١٤/٥).

٢_اثبت شارح العقيدة بن أبى العز الجهة لله

فقال: (و أما لفظ الجهة فقد يراد به ما هو موجود و قد يراد به ما هو معدوم و من المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق و المخلوق) . و هذا قياس مع الفارق لأن قياس الخالق على المخلوق باطل . فالله موجود و ليس فى جهة والمخلوق فقط هو فى الجهة.

اعلم أن الجهات كلها حادثة و هى أمور اعتبارية فإن الدار المبنية بين دارين علو بالنسبة إلى ما تحتها سفل بالنسبة إلى ما فوقها وجهة الفوق بالنسبة إلى الإنسان ما يحاذى رأسه من فوق وجهة السفل ما يحاذى رجليه من تحتها.

فائدة_ و الذين يقولون بأن نفى الجهة عنه تعالى نفيه تعالى فى الحقيقة فقول باطل : لأنه قياس الغائب على الشهادة و قياس الغائب على الشاهد فاسد لأن الله ليس يشبه خلقه حتى يكون حكمه كحكمهم فى وجوب أن يكون له جهة من الجهات الست ما دام موجوداً.

٢_ و لأن الله كان موجوداً قبل خلق العرش و السماء والأرض و قبل أن يخلق الزمان و المكان و الجهات الست و هو الآن على ما عليه.

٣ـإعتراض الشارح على قول الإمام الطحاوى:

و اعترض الشارح على الإمام الطحاوى فى قوله :(لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) فقال : : "لكن بقى فى كلامه شيئان أحدهما : أن اطلاق مثل هذا اللفظ مع ما فيه من الاجمال والاحتمال كان تركه أولى و إلا تسلط عليه و ألزم بالتناقض فى اثبات الإحاطة والفوقية و نفى جهة العلو" و هذا الإعتراض باطل لأن الإمام الطحاوىؒ قد صرح بعبارة واضحة لا غموض فيها و لا تأويل فقال:"لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات فأى شك بقى فى هذا الكلام؟ ثم إنه معلوم قطعاً و بداهة لكل أحد أن عقيدة أهل السنة هى نفى الحد والجهة والفوقية الحسية عن الله سبحانه و تعالىٰ قال الله تعالى :(ليس كمثله شيئ) و قال الله تعالىٰ :(و لم يكن له كفواً أحد) فهذه الآيات محكمات فأين ذهب عنها.

٤ـالرد على شارح العقيدة بن أبى العز فى قوله:

(و لا نظن بالشيخ يعنى الإمام الطحاوى رحمه الله أنه ممن يقول إن الله ليس داخل العالم ولا خارجه بنفى التعينين) الإمام الطحاوىؒ من السلف الصالح و من أئمة أهل السنة والجماعة و هذا النص المذكور من قوله: و هو قوله(لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) دال على قوله بأن الله ليس داخل العالم ولا خارجه. و الله تعالىٰ ليس كمثله شيئ.أفكلما يصدق على المخلوق من الأوصاف يصدق على الله لا محالة تلك إذن قسمة ضيزى) و إليك نصوص الأئمة من علماء الإسلام بتنزيه الله تعالى عن أن يكون داخل العالم أو خارجه:

١. قال الإمام الغزالى فى الاحياء [ج ٤/ص٤٣٤] :(الله مقدس عن المكان و منزّه

عن الأقطار والجهات ، و أنه ليس داخل العالم و لا خارجه ، و لا هو متصل بالعالم و لا هو منفصل عنه ، قد حيّر عقول اقوام حتى انكروه إذ لم يطيقوا سماعه و معرفته).

٢. وقال إمام الحرمين فى الارشاد [ص ٦١]: (ثم نقول : إن سميتم البارى تعالى جسمًا و اثبتم له حقائق الأجسام فقد تعرضتم لأمرين : إما نقض دلالة حدث الجواهر ، فإن مبناها على قبولها للتأليف والمماسة و المباينة . و إما تطردوها و تقضوا بقيام دلالة الحدث فى وجود الصانع ، و كلاهما خروج عن الدين ....)

٣. وقال الإمام العز بن عبد السلام فى كتابه القواعد [ص ٢٠١] :(أن من جملة العقائد التى لا تستطيع العامة فهمها هو أنه تعالى لا داخل العالم و لا خارجه و لا منفصل عن العالم و لا متصل به).

٤. وقال الإمام الحافظ ابن الجوزى الحنبلى فى كتابه :" دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه" [ص ١٣٠] (كذا ينبغى أن يقال ليس بداخل فى العالم و ليس بخارج منه لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات) . فهذه أقوال العلماء صرحوا بأن الله لا يوصف بأنه خارج العالم ولا داخله فكل ما سوى الله مخلوق اتفق كل أهل الإسلام على أن كل شيئ سوى تعالى مخلوق فالقول إن الله خارج العالم بدعة من القول و لم نر فى الكتاب والسنة أن الله خارج العالم فكان الأنسب كما قلنا أن يلتزم الشيخ قوله :(إنا لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه ، إلا انه لم يلتزمه) و قلد فى العقائد الحافظ ابن تيمية ، و قد كفّر الحافظ من لم يثبت لله الحد قال فى الموافقة [ج٢ ص ٢٩] : (فهذا كله و ما اشبهه شواهد و دلائل على الحد ، و من لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله و جحد ايات الله) .

و أما تلميذه فقد خالفه فقال فى سير اعلام النبلاء [ج١٦ ص٢٧] (و تعالى الله أن يحدّ

أو يوصف إلا بما وصف به نفسه...)

ورد العلماء الجهابذة على مثل هذه العقائد وعلى الذين ينتحلون هذه العقائد:

ومن بينهم الإمام سلطان العلماء العز بن عبد السلام فقال : والحشوية المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ضربان : أحدهما لا يتحاشى من اظهار الحشو... والآخر يتستّر بمذهب السلف لسحت يأكله أو حطام يأخذه: اظهروا للناس نُسكاً : و على المنقوش دارو ...... و مذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه ، دون التجسيم والتشبيه و لذلك جميع المبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف فهم كما قال القائل : و كل يدعّون و صل ليلى: و ليلى لا تقر لهم بذاكا. و كيف يدعى على السلف أنهم يعتقدون التجسيم و التشبيه ، أو يسكتون عند ظهور البدع و يخالفون قوله تعالى :﴿وَلَا تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾... و العلماء ورثة الأنبياء فيجب عليهم من البيان ما وجب على الأنبياء....

و من انكر المنكرات التجسيم و التشبيه ، و من افضل المعروف التوحيد و التنزيه و إنما سكت السلف قبل ظهور البدع فو ربِّ السماء ذات الرجع و الأرض ذات الصدع ، لقد تشمر السلف للبدع لماظهرت فقمعوها أتم القمع و ردعوا أهلها أشد الردع ، فردوا على القدرية و الجهمية والجبريةوغيرهم من أهل البدع ، فجاهدوا في الله حق جهاده والجهاد ضربان : ضرب بالجدل و البيان و ضرب بالسيف و السنان ، فليت شعرى ، فما الفرق بين مجادلة الحشوية و غيرهم من أهل البدع. طبقات الشافعية للسبكى [ج ٨. ص٢٢٣].

و قال الشيخ ابن باز فى تعليقاته على العقيدة الطحاوية[ص ١١] :و من قال من

السلف بإثبات الحد في الاستواء أو غيره فمراده حد يعلمه الله سبحانه و لا يعلمه العباد).

أقول :فإذا لم يثبت الحد في الكتاب والسنة فمن أتى بكلام يخالف الكتاب و السنة فقوله مؤول أو مردود ، و الله منزه عن الحد ألا يكفي في هذا قول الله تعالىٰ: ﴿ليس كمثله شيئ﴾

المعراج:

قال والمعراج حق ، وقد اسرى بالنبي ﷺ و عرج بشخصه في اليقظة إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله تعالى من العُلا ، و اكرمه الله تعالى بما شاء ، فأوحى إلى عبد ه ما اوحى.

الشرح:۔

ونقول المعراج لرسول الله ﷺ ثابت بالخبر المشهور وقد اسرى به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كماجاء في القرآن قال الله تعالىٰ:﴿سُبْحَانَ الَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(الإسراء:١) و منه عرج بشخصه في اليقظة (و في هذا رد على الذين يقولون أنه عرج بروحه لابالجسم ، و كذلك رد على الذين يقولون انه كان في النوم كما نقل عن عائشة رضى الله عنها و معاوية رضى الله عنه . فمقصده أن المعراج كان بالجسم و الروح معًا) إلى السماء ثم بعد السماء توجه إلى حيث شاء الله تعالى إلى الجنة أو إلى العرش و اكرمه الله برفع مكانته ثم أوحى إليه : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ ﴾ و أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها و على الأمم حتى تدخلها أمتك كما جاء في تفسير ابن كثير . و نذكر ههنا الحديث الذى

اتفق عليه الشيخان واللفظ لمسلم في المعراج : قال رسول الله ﷺ " أتيت بالبراق (وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه) فركبته فسار بی حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء قال : ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين ، ثم خرجت فجاء نی جبريل بإناء من خمر و إناء من لبن ، فاخترت اللبن ، قال جبريل : أصبت الفطرة ، قال : ثم عرج بی إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل ، قيل : من أنت ؟ قال : جبريل قيل : و من معك؟ قال محمد ، قيل و قد بعث اليه؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بی و دعا لی بالخير ، ثم عرج بی إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من انت؟ قال : جبريل قيل و من معك؟قال محمد قيل و قد بعث إليه ؟ قال بعث إليه ففتح لنا ، فإذا أنا بابنى الخالة يحيى و عيسى ، فرحبا بی و دعوا لی بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال جبريل قيل من معك؟ قال محمد فقيل و قد ارسل إليه ؟ قال : قد ارسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف و إذا هو اعطى شطر الحسن ، فرحب بی و دعا لی بخير . ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال : جبريل فقيل و من معك ؟ قال محمد ، فقيل : و قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحبّ بی و دعا لی بخير . ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت قال : جبريل فقيل و من معك ؟ قال محمد ، فقيل : و قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث اليه؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا بهارون فرحب بی ودعا لی بخير . ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت قال : جبريل فقيل و من معك ؟ قال محمد ، فقيل : و قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث اليه؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بموسیٰ ،

فرحّب بی و دعا لی بخیر . ثم عرج بی إلی السماء السابعة فاستفتح جبریل ،فقیل من أنت قال : جبریل فقیل و من معك ؟ قال محمد ، فقیل : و قد بعث إلیه ؟ قال : قد بعث الیه؟ قال: و قد بعث إلیه ففتح فإذا أنا بإبراهیم ، فإذا هو مستند إلی البیت المعمور ، و إذا هو یدخله كلّ یوم سبعون ألف ملك ثم لا یعودون . ثم ذهب بی إلی سدرة المنتهی فإذا أوراقها كآذان الفِیلة و إذا ثمرها كالقِلال فلما غشیها من أمر اللّٰه ما غشیها تغیرت ،فما أحد من خلق اللّٰه یستطیع أن یصفها من حسنها ، قال : فأوحی الیّ ما أوحی ، و فرض علیّ فی كل یوم و لیلة خمسین صلاة فنزلت حتی انتهیت إلی موسی فقال : ما فرض ربّك علی أمتك ؟ قلت خمسین صلاة فی كل یوم و لیلة قال: ارجع إلی ربك فسأله التخفیف فإن أمتك لا تطیق ذلك ، و إنی قد بلوت بنی اسرائیل و خبّرتُهم . قال : فرجعت إلی ربی . فقلت : أی ربّ خفف عن أمتی فحطّ عنی خمسًا فرجعت إلی موسی قال : ما فعلت ؟ فقلت قد حطّ عنی خمسًا ، قال : إن أمتّك لا تطیق ذلك فارجع إلی ربك فاسأله التخفیف لأمتك قال : فلم ازل ارجع بین ربّی تبارك و تعالی و بین موسیٰ و یحطّ عنی خمسا خمسًا حتی قال : یا محمد هی خمس صلوات فی كل یوم و لیلة بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة من هم بحسنة ولم یعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرًا ، و من هم بسیئة و لم یعملها لم تكتب ، فإن عملها كتبت له سیئة واحدة فنزلت حتی انتهیت إلی موسیٰ فأخبرته فقال : ارجع إلی ربك فاسأله التخفیف ، فقلت قد رجعت إلی ربی حتی استحییت منه".

حكم منكر الإسراء والمعراج:

وقال الملا علی القاری رحمه اللّٰه فی شرح الفقه الأكبر[ص ١٦٥ ـ ١٦٦] (و

في كتاب الخلاصة من انكر المعراج ينظر : إن انكر الإسراء من مكة إلى بيت المقدس فهو كافر ، ولو انكر المعراج من بيت المقدس لا يكفر ، وذلك لأن الإسراء من الحرم إلى الحرم ثابت بالآية ،و هى قطعية الدلالة و المعراج من بيت المقدس إلى السماء ثبت بالسنة، و هى ظنية الرواية والدراية).

الردود على السقاف فى رده الأحاديث الصحيحة:

قال السقاف فى ذيل صحيفة كتابه (٥٩٥):(أنا أنزه سيدنا موسى عليه السلام من هذا فهو لا يسمى و لا يصف سيد الخلق و شفيعهم و من أخذ منه العهد و الميثاق على الإيمان به بغلام ، و خاصة أن سيد محمداً ﷺ أكثر ممن يتبعه هو ؟!!) أقول إذا ثبت الحديث عن رسول الله ﷺ و كان سنده و متنه صحيحاً بلا نزاع و ما كان منكراً ، و لا شاذاً و لا مضطرباً فلا يجوز لأحد أن يرد الحديث و من نحن حتى نتكلم فى التنزيه و أى تنزيه هذا؟ و لم يقل به أحد من العلماء من السلف والخلف و ما هو معيار التنزيه؟ لنذوق هذا و نلفظ ذاك أليس هذا تلاعب بشريعة الرسول عليه ازكى الصلاة و السلام ولم نجعل فى الدين العقل حكما؟ و لم لانفعل بالعكس؟ قال الإمام أبو اسحاق الشاطبيؒ فى كتابه الاعتصام (٣٢٦/٢) ما خلاصته: للعاقل أن لا يجعل العقل حاكما بإطلاق ، و قد ثبت عليه حاكم بإطلاق و هو الشرع بل الواجب عليه أن يقدم ما حقه التقديم و هو الشرع. و يؤخر ما حقه التأخير . و هو نظر العقل لأنه لايصح تقديم الناقص حاكما على العاقل لأنه خلاف المعقول و المنقول.

و كذلك يجب عليه إذا وجد في الشرع أخباراً تقتصر ظاهراً خرق العادة الجارية المعتادة فلا ينبغى له أن يقدم بين يديه الإنكار بإطلاق ، بل له سعة فى أحد أمرين : إما أن

يصدق به على حسب ما جاء و يكل علمه إلى عالمه، و إما أن يتأوله على ما يمكن حمله عليه مع الإقرار بمقتضى الظاهر لأن إنكاره إنكار لخرق العادة فيه ثم ذكر أن الصراط و الميزان و عذاب القبر و سؤال الملكين في القبر ، و تطاير الصحف، و إنطاق الجوارح و رؤية الله في الأخرة و غيرها على خلاف العادة المستقرة في نفوس البشر والمعتاد مختص بالمخلوق من حيث هو عبد مقصور محصور ممنوع و الله تعالى ما يمنعه شيئ ، و لا يعارض أحكامه حكم، فالحاصل من هذه القضية أنه لا ينبغي للعقل أن يتقدم بين يدي الشرع ، فإنه من التقدم بين يدي الله و رسوله بل يكون ملبياً من وراء وراء ثم ذكر أن دأب الصحابة كان التسليم للشرع، و لم ينكر أحد منهم ما جاء من ذلك، بل أقروا لكلام الله و كلام رسوله ﷺ و لم يصادموه و لا عارضوه بإشكال.

قال مالك بن أنس:(الكلام في الدين اكرهه....) و عن الحسن قال إنما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السبل و حادوا عن الطريق ، فتركوا الآثار و قالوا في الدين برأيهم فضلوا و أضلوا.....) ثم قال :(فهذه وأشباهها تشير إلى ذم إيثار نظر العقل على آثار النبي ﷺ) فأين السقاف من هؤلاء الأئمة الذين كانو يؤمنون بقول الرسول ﷺ بدون ريب و شك؟

ونأت الآن إلى أقواله و نناقشها:

قوله:١ ـ ذكر موسى عليه السلام لسيدنا محمد ﷺ بغلام؟

والحواب :ـ أن هذا ما كان على سبيل النقص بل كان على سبيل التنويه بقدرة الله وعظم كرمه إذ اعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه أحد قبله ممن هو أسنّ منه قال الخطابي :

(العرب تسمى الرجل المستجمع السن غلاماً ما دامت فيه بقية من القوة).

٢ـ قوله: (هل يجوز لنبى أن يتحسّر....)

الجواب: قال العلماء لم يكن بكاء موسى حسداً معاذ الله فإن الحسد فى ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالىٰ، بل كان أسفا على ما فاته من الأجر الذى يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره لإن لكل نبى مثل أجر كل من اتبعه، و لهذا كان من أمته فى العدد دون من اتبع نبيّنا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة[1]

٣ـو قوله: (جعلوا تجارب سيدنا موسى متفوقة على تجارب سيدنا محمد ﷺ....)

أقول هذا الإعتراض غير صحيح ذلك لأن سيدنا موسى على نبينا و عليه الصلاة و السلام مر عليه التجارب الكثيرة مع قومه، و اذوه، و لم يصيغوا إلى أقواله مع أنهم امنوا به إلا أنهم لم يطيعوه فى كثير من أقواله، و كانو قد كلفوا بالتكاليف الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثوب، و احراق الغنائم، و تحريم السبت، و قطع الأعضاء الخاطئة، و تعين القصاص فى العمد و الخطأ من غير شرع الدية كما قال المفسر الشهير صاحب روح المعانى، و قد ذكر الله لنا قصة موسى على نبينا و عليه السلام فى القرآن فى مواضع متعددة، و قال القرطبى: "الحكمة فى تخصيص موسى عليه السلام بمراجعة النبى ﷺ فى أمر الصلاة لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلوٰت بما لم تكلف به غيرها من الأمم فثقلت عليهم، فاشفق موسى على أمة محمد ﷺ من مثل ذلك، و يشير

١ـ فتح البارى: (٢١٣/٧)

إلى ذلك قوله :"إنى قد جربّت الناس قبلك" انتهى و قال غيره : لعلها من جهة أنه ليس فى الأنبياء من له اتباع أكثر من موسى و لا من له كتاب أكبر و لا أجمع للأحكام من هذه الجهة مضاهياً للنبى ﷺ فناسب أن يتمنى أن يكون له مثل ما أنعم به عليه من غير أن يريد زواله عنه ، و ناسب أن يطلعه على ما وقع له و ينصحه فيما يتعلق به .(١)

و فى التفسير الكبير (١١٢/٤) قال المفسرون : إن الله فرض عليهم خمسين صلاة ، و أمرهم بأداء ربع أموالهم من الزكاة ، و من أصاب ثوبه نجاسة فى الدنيا و كانوا إذا نسوا شيئاً عمل لهم العقوبة فى الدنيا و كانوا إذا أتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام و بعض ما كان حلالاً لهم.....)

۞...٤ـو قال السقاف فى صحيفة(٥٩٧) "فالنهران الظاهران والباطنان مثلاً خرافة اسرائيلية لا شك فى ذلك لأن هذه القضية فى هذا الحديث معارضة للقرآن الكريم الذى نص على أن الله أخرج الأنهار والعيون من ينابيع سلكها فى الأرض"

أقول : و الآية لاتدل على أن ما فى الينابيع ليس إلا ذلك الماء قال الإمام الألوسى فى تفسيره (٢٤٥/٨): (فيجوز أن يكون بعض ما فيها هو الماء المنزل من السماء والبعض الآخر حادثا من الهواء البخارى بإنقلابه ماء بأسباب يعلمها الله عزوجل)

و إذا جاء الإحتمال بطل الاستدلال.

٥ـ وقوله :" من أن منابع نهر النيل و الفرات و دجلة من أماكن معروفة و مشهورة يعرفها."

١ـ نفس المرجع.

أقول : و نحن نؤمن بكل ما أخبرنا به النبي ﷺ ، و نعتمد على أحاديث النبي ﷺ ، و لو راجع السقاف شروح الأئمة لوجد فيها ما يحل مشكلته:

١ـ و في" الفتح الباري ١ـ" قال الإمام النووي ؒ :(١)

(١) في هذا الحديث أن أصل النيل و الفرات من الجنة، و أنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى ، ثم يسيران حيث شاء الله ، ثم ينزلان إلى الأرض ، ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها ، و هذا لا يمنعه العقل ، و قد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد)

(٢) و في فيض الباري(٥٣٢/٤): "قوله نهران باطنان ، و نهران ظاهران" أن الظاهران فقد تسلسلت مبادئهما من ههنا إلى هناك حتى ظهرا على وجه الأرض) فأي بعد في هذا؟

٦ـ قوله : (و بالسؤال والتتبع وجدنا أن أصل هذه القصة موجود في كتب أهل الكتاب اليهود والنصارى.)

أقول: و كيف نترك الحديث الصحيح الذي ليس فيه أي علة من الشذوذ و النكارة و الاضطراب و غيرها ، من علل الحديث التي بها ترد الحديث و لم يعترض عليه أحد من السلف و الخلف حتى جاء السقاف، و وجده مغايراً مخالفاً للعقل ، و أورد لبطلان هذا الحديث الصحيح الذي روى في أصح الكتب بعد كتاب الله من الأسفار القديمة عند اليهود ما يصحح به دعواه الباطلة ، و نحن متيقنون أن الأسفار القديمة محرفة ردها القرآن والرسول عليه ازكى التسليمات و كذلك السلف والخلف، و لا مناسبة في شيئ من

١ـ فتح الباري :(٢١٤/٧)

الأشياء للحديث الصحيح مع كتاب اخنوخ، و لم يذكر السقاف لنا أى نقل صحيح فى ذلك إلا إحالته على تفسير القرطبى مع أن فى تفسير القرطبى لا شيئ مما يثبته السقاف و إليكم ما فى تفسير القرطبى الموضع المستشهد به(١٠٨/١١) (قال: و كذا وقع فى السيرة أن نوحاً عليه السلام ابن لامك بن متوشخ بن اخنوخ و هو ادريس النبى فيما يزعمون والله أعلم)

أقول: أهذا هو التتبع و هذه هى القصة !! ألا يكفى فى رد ما نقله هذه النكات:

١ـ أن ما نقله الإمام القرطبى من السيرة ، والسيرة منها الغث والسمين من الروايات.

٢ـ الإمام القرطبى بعد نقل هذا القول قال :(فيما يزعمون) أفلا يدل هذا القول على أنه ضعيف مما لا يلتفت إليه ـ

٣ـ ثم إننا نرى العلماء الثقات لا يذكرون نسب الرسول ﷺ فوق عدنان فكيف نصدق هذا القول الذى ليس فيه إى سند صحيح فرد الحديث الصحيح بسفر التكوين من عجائب السقاف و من تحقيقاته القوية التى لا ترد.

٧ـقوله :" وهو أن مثل حديث (خلق الله التربة يوم السبت) الوارد فى صحيح ..... هو فى الواقع أو فى الأصح كما قال الإمام البخارى شيخ مسلم فى "تاريخه الكبير" (٤١٣/١ـ٤١٤) من روايةأبى هريرةعن كعب الأحبار اليهودى الأصل . فانقلب بعد ذلك على الرواة فأصبح عن رسول الله ﷺ بدل أن يظل من كلام كعب الأحبار اليهودى الأصل الخ".

أقول : هذا الشاهد الذى ذكره السقاف غير صحيح لأن كتاب التاريخ الكبير ليست صحته و ثبوته مثل الجامع الصحيح كما قال الإمام الكوثرى فى "فقه العراق و حديثهم"

ثم إننا لو سلمنا هذا الشاهد فلا يمكن أن يكون قاعدة أصولية تطبق على كل الأحاديث ، لأن الجهابذة بينوا كل حديث عليحدة و لا يطبق هذا الشاهد هنا لأن هذا الحديث أورده الإمام البخارى فى الجامع الصحيح (حديث النيل و الفرات) و لم يقل فيه ما قال فى حديث (التربة) فإذا جاء شيئ فى مورد فأنى لنا القياس عليه و خاصة فى مورد يخالف طبيعة السقاف ، والإمام البخارى لم يجعل هذه قاعدة كلية تعمل بها فى كل الأحاديث حتى نعمل بها هنا و نطبقها على هذا الحديث.

بيان الحوض:

قال: والحوض الذى اكرمه الله تعالى به غياثًا لأمته حق .

الشرح:.

و نقول الحوض لرسول ﷺ الذى يشرفه الله به يوم القيامة إذ يستغيث به أمته شاكين العطش ثابت بالأحاديث التى تبلغ مجموعها التواتر المعنوى : قال رسول الله.

١ . (حوضى مسيرة شهر ، و زواياه سواء ، ماؤه ابيض من اللبن ، و ريحه أطيب من المسك ، و كيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبداً)واللفظ لمسلم .

٢ . وقال رسول الله ﷺ : (حوضى مسيرة شهر زواياه سواء و ماؤه ابيض من الوَرِق). متفق عليه.

٣ . عن انس رضى الله عنه : بينا رسول الله ﷺ بين أظهر نا إذ اغفى اغفاءة فى المسجد ثم رفع رأسه مبتسمًا فقلنا : ما اضحكك يا رسول الله ؟ قال : (انزلت على آنفًا سورة) فقرأ : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ .فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ .

إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . ﴾ ثـم قـال : (أتدرون ما الكوثر ؟) قلنا : الله و رسوله اعلم . قال : (فـإنـه نهـر و عـدنيـه ربى عزوجل عليه خير كثير ، هو حوضى ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيتـه عـدد نـجوم السماء آنيته كعدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتى فيقول : ما تدرى ما احدث بعدك) [رواه الإمام مسلم وابو داود والنسائى]

٤. و عـن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ:(إن لكل نبى حوضًا، و إنهم يتباهون أيهم أكثر وارداً ، و إنى أرجو أن أكون أكثرهم وارداً).[رواه الترمذى و حسنه]

اعتراضات السقاف على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والجواب عنها:

❁ـ١ ـ وقـال السقـاف فى صحيفة(٥٦٣) عند نقله حديث مسلم :"أعرفهم و يعرفونى ثم يحال بينى و بينهم" ففى قوله(يعرفوننى) دلالة واضحة على أنهم من أصحابه ﷺ.

أقـول تـكلم السقاف فى أصحاب الرسول عليه الصلاة و السلام من غير موجب ، و لم يحد غيرهم مع أن عدالتهم ، طهارتهم لا يحتاج إلى بيان و تحقيق .

و مـا حمل أحد من الأئمة قوله ﷺ (يعرفونى) على أصحابه الكرام الذى صحبوه و جـاهدوا معه بل هم رجال من أمته من جفاة الأعراب الذين ارتدوا بعد وفاة الرسول و كل الناس يعرفونهم و لا كلام فيهم قال الإمام الخطابى رحمه الله (لم يرتد من الصحابة أحد ، وإنـما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة لهم فى الدين ، و ذلك لا يوجب قدحاً فى الصحابة المشهورين ، و يدل عليه قوله (أصيحابى) بالتصغير على قلة عددهم[1]

---

١ ـ تكملة فتح الملهم : (٣٤/٥).

فحال الذين ارتدوا بعد الرسول عليه الصلوة والسلام و محاربتهم في إمارة أبي بكر رضي الله لا يخفى على أحد و الحديث الذي نقله السقاف يدل دلالة واضحة على ذلك أنهم هم المراد: (إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى)

فالذين ارتدوا بعد الرسول و حاربو الإسلام و حاربهم الصحابة هم المراد.

و لا يوجد على وجه البسيطة مسلم من أهل السنة والجماعة يقول بإرتداد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. سوى جفاة الأعراب كما نقلنا.

۞—٢—و قال السقاف في صحيفة (٥٦٤) "و هذا هو مصداق الحديث الآخر الذي رواه مسلم ..... (أن النبي ﷺ قال: "في أصحابي اثنا عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط...) الحديث و هذا محمول عند جماعة من الأئمة و أكابر من محققين العلماء على أن هؤلاء هم رؤوس القوم الذين قاتلوا سيدنا علياً و نازعوه الخلافة و الأمر ... و قد عين هؤلاء المقصودين بالخروج على سيدنا على عليه السلام والرضوان الحديث الاخر الصحيح المتواتر المُخرّج في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: "عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة، و يدعونه إلى النار" انظر البخاري (٣٠/٦) و في لفظ عند البخاري (٥٤١/١) أيضا "يدعوهم إلى الجنة و يدعونه إلى النار" و سيدنا عمار رضوان الله تعالى عليه قُتِل في صفين و هو يقاتل " سيدنا معاوية رضي الله عنه" مع سيدنا على رضي الله عنه و أرضاه) انتهى.

و قوله هذا باطل مردود سرق هذا الفكر من الشيعة الذين يتكلمون في اعراض الصحابة و لا يقول به شخص من أشخاص أهل السنة والجماعة فضلا عن عالم أو محقق، و قول الرسول صلوات الله عليه في هذا الحديث "من أصحابي" فمعناه الذين

ينسبون إلى صحبتي في الظاهر كما قال في الرواية الأخرى و التي ذكرها السقاف :(و إن في أمتي اثنا عشر منافقاً)، و لا يسمى المنافق صحابياً ، و هذا الحديث يتعلق بقصة مخصوصة مرت في زمن الرسول ﷺ فأين هذا من ذلك ، و أي إمام أو محقق من أهل السنة والجماعةصرح بأن المراد من هذا الحديث رؤوس القوم الذين قاتلوا سيدنا علياً رضي الله عنه؟؟؟ ، فمن قال بهذا القول و تكلم في مثالب الصحابة فقوله مردود عليه ، لا يعتد به بل هو مجروح و فاسق يجب عليه التوبة فوراً و إليك فيما أقوله أقوال العلماء:

١ـ قال الخطيب البغدادي في الكفاية:(١٩٦ تعليقا على الآيات و الأحاديث التي تزكي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:"و جميع ذلك يقتضي : طهارة الصحابة و القطع على تعديلهم و نزاهتهم فلا يحتاج أحدمنهم مع تعديل الله تعالى المطلع على بواطنهم. إلى تعديل أحد من الخلق له ... و أنهم أفضل من جميع المعدّلين و المزّكين الذين يجيؤن من بعدهم أبدالأبدين.... هذا مذهب العلماء كافة و من يعتّد بقولهم من الفقهاء).

٢ـ و قال ابن حزم في الأحكام في أصول الأحكام" (٨٩/٥) عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين :"و كلهم عدل إمام فاضل رضيّ، فرض علينا توقيرهم و تعظيمهم و أن نستغفرلهم ونحبهم"

و لو نقلنا أقوال الأئمة لكثرت و لكنا نكتفي بهذين القولين لأن هذين القولين كاف للمنصف.

۞...٣ـو قول السقاف: (و سيدنا عمار رضي الله عنه قتل في الصفين و هو يقاتل معاوية "رضي الله عنه" مع سيدنا علي "رضي الله عنه" و أرضاه).

فالجواب أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة، و هم مجتهدون لا لوم عليهم في

اتباع ظنونهم ، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها و هو طاعة الإمام ، و كذلك كان عمارؓ يدعوهم إلى طاعة علىؓ و هو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، و كانو هم يدعون إلى خلاف ذلك لكنهم معذورون للتأويل الذى ظهر لهم) [1] و لم يقل الحافظ ابن حجر بتواتر هذا الحديث نعم قال فيه : "و غالب طرقها صحيحة أو حسنة"، والحديث و إن قال البعض بتواتره إلا أنه لا يفيد دعوى السقاف شيئاً لأن مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة هو أن الصحابة كلهم عدول ثقاة و أن الذى يبحث عن مثالبهم يرتكب الإثم العظيم فالتكلم فى أعراضهم حرام قال رسول الله ﷺ :(لا تسبوا أصحابى) و لا تجد أحداً من أهل السنة إلا و يثنى عليهم خيراً ، و أما الفرق الباطلة من الشيعة و غيرها فديدنهم إطالة اللسان فى أعراضهم لأن أساس دينهم قائم على بغضهم و أن دينهم قائم على بغضهم والتكلم فى أعراض الصحابة و ذمهم ذريعة للتشكيك فى الدين والطعن فيه والواجب على العلماء أن يظهروا علمهم فى إزاء بهتانات أهل الضلال عليهم فإنه بمثابة الدفاع عن الدين القويم قال رسول الله ﷺ:(إذا حدث فى أمتى البدع ، و شتم أصحابى فليظهر العالم علمه ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله و الملائكة والناس أجمعين) و رحم الله الأئمة الذين ادركوا هذا الأمر و ردوا عليهم زيغهم و ضلالهم ففى الإصابة(١٠/١)

١ـ (قال الإمام أبوزرعة استاذ الإمام مسلمؒ:(إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، لأن الرسول ﷺ حق ، والقرآن حق و إنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، و إنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى و هم زنادقة).

١ـ فتح البارى (٥٤٢/١)

٢ ـ(و قال أيوب السختياني: و من أحسن الثناء على أصحاب محمد ﷺ فقد برئ من النفاق و من انتقص أحداً منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح و أخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعاً و يكون قلبه سليماً .)

٣ ـ(و قال مالك بن أنس وغيره : من أبغض الصحابة و سبّهم فليس له في فيء المسلمين حقّ.)

٤ ـ (و قال سهل بن عبد الله التستري: لم يؤمن بالرسول من لم يوّقر أصحابه و لم يعزّز أوامره.)

و ظن السقاف أن الناس لا يعرفون موقف أئمة أهل السنة والجماعة من الحروب التي كانت بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فكتب ما كتب ، و أريد أن ابين لكم مسلك أهل السنة والجماعة في حروبهم بينهم و هو مسلك جميع أهل السنة والجماعة لم يشذ عنه إلا غوى:

١ ـ قال الإمام النووي رحمه الله :(و أما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها ، و كلهم عدول رضى الله عنهم ، و متأولون في حروبهم و غيرها، و لم يخرج شيئ من ذلك أحداً منهم من العدالة، لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الإجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء و غيرها، و لا يلزم من ذلك نقص أحدمنهم ، و أعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم ، و صاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالإجتهاد أن الحق في هذا الطرف و مخالفه باغ، فوجب عليهم مساعدته و قتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ، و لم يكن يحل لمن هذه صفة التأخر عن

مساعدة إمام العدل فی قتال البغاة فی اعتقاده.و قسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالإجتهاد أن الحق فی الطرف الأخر ، فوجب عليهم مساعدته و قتال الباغی عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ، و لم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل فی قتال البغاة فی اعتقاده. و قسم ثالث اشتبهت عليهم القضيه و تحيروا فيها ، و لم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين و كان هذا الاعتزال هو الواجب فی حقهم ، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ..... فكلهم معذورون رضى الله عنهم، و لهذا اتفق أهل الحق و من يعتد به فی الإجماع على قبول شهاداهم و رواياتهم و كمال عدالتهم رضى الله عنهم أجمعين. (١)

ثبوت الشفاعة و دلائلها:

قال : والشفاعة التی ادخرها الله لهم حق كما روی فی الاخبار .

الشرح:۔

و نقول الشفاعة العظمى لرسول الله ﷺ وهی التی خبأها الله لهم كما روی ذلك فی الأخبار الصحيحة حق و هذه الشفاعة لإراحة الخلق يوم القيامة من هول الموقف و طول الانتظار ففريق فی الجنة وفريق فی السعير و هذا هو المقام المحمود قال الله تعالى :﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(الاسراء:٧٩)

١. و قال رسول الله ﷺ : (إن لكل نبی دعوة و إنی اختبأت دعوتی شفاعة لأمتی يوم القيامة) رواه البخاری و مسلم و أحمد.

١۔ تكملة فتح الملهم (٥:١٣٥)

٢. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع. وكانت تعجبه. فنهس منها نهسة وقال: (أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد يوم القيامة، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي، وتدنوا منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس: ألا تنظرون إلى ما انتم فيه وإلى ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبو كم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدو لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي! إذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدًا شكورًا ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كان لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي، نفسي، نفسي، إذهبوا إلى غيري، إذهبوا إلى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولم يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات، فذكرها نفسي، نفسي، نفسي! إذهبو إلى غيري، إذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى موسىٰ. فيأتون موسىٰ فيقولون: يا موسىٰ أنت رسول الله،

فضلك الله برسالاته و بكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ،أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، و إنى قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها ، نفسى ، نفسى ، نفسى! إذهبوا إلى غيرى إذهبوا الى عيسى . فيأتون عيسى فيقولون : ياعيسى ، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم و روح منه ، وكلمت الناس فى المهد ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول : عيسى : إن ربّى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله و لم يذكر ذنبًا ، نفسى ، نفسى ، نفسى! إذهبوا إلى غيرى ، إذهبوا إلى محمد ﷺ! فيأتونى فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله ، و خاتم الأنبياء ، و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا فى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فانطلق فآتى تحت العرش ، فأقع ساجدًا لربى ، ثم يفتح الله على من محامده ، و حسن الثناء عليه شيئًا لم يفتح على أحد قبلى ، ثم يقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسى ، فأقول : أمتى يا ربّ أمتى يا ربّ ، فيقال: يا محمد ، ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب لأيمن من أبواب الجنة ، و هم شركاء فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال : والذى نفسى بيده ، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة و بصرى . متفق عليه.

۞...و قال السقاف (فى صحيفة(٥٦٩): " و الشفاعة تكون للمسلمين فقط .... كما لا يشفع فى صاحب كبيرة" و هذا الذى قاله السقاف هو قول المعتزلة و هو باطل و الشفاعة لصاحب الكبيرة ثابتة عند أهل السنة والجماعة.

الأحاديث التى تثبت منها الشفاعة لأصحاب الكبائر:

١-يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة و يسمّون الجهنميين (رواه أحمد)

٢-يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثعارير (متفق عليه) والثعارير: نبات كالهليون.

٣- يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم (رواه الترمذى)

٤-يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته (رواه ابو داود)

٥- و فى حديث أبى سعيدؓ عند الشيخين: (فيشفع النبيون و الملائكة و المؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتى، فيقبض قبضة من النار فيخرج اقوامًا قد امتحشوا (احترقوا) فيلقون فى نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة ...)

١- و فى أحكام القرآن للعلامة جميل أحمد التهانوى(١١٠):"و ملخص ما قال الرازى فى المسئلة: تحت قوله تعالى:"وَاتَّقُوا يَوْماً لَّا تَجْزِىْ نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ" أجمعت الأمة على أن لمحمد ﷺ شفاعة فى الآخرة . و حمل على ذلك قوله "وَلَسَوْفَ يُعْطِيْكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى" ثم اختلفوا بعد هذا أن شفاعته أتكون للمؤمنين المستحقين للثواب أم تكون لأهل الكبائر؟ فذهبت المعتزلة إلى الأول . و تأثير الشفاعة فى أن تحصيل زيادة من المنافع على قدر ما استحقوه . و قال أصحابنا: تأثير ها فى اسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب واتفقوا أنها ليست للكفار .)

٢- وقال النووى فى شرح مسلم: (و اجمع السلف الصالح و من بعدهم من أهل السنة على صحة الشفاعة فى الآخرة لمذنبى المؤمنين. و منعت الخوارج و بعض

المعتزلة منها ..... ثم ذكر الأيات التى تمسك بها المعتزلة و الإجابة عنها إلى أن ذكر: "و قال كل واحد من هذه الاخبار و إن كان مروياً بالآحاد إلا أنها كثيرة جداً . و بينها قدر مشترك واحد. و هو خروج أهل العقاب من النار بسبب الشفاعة فيكون هذا المعنى مرويا على سبيل التواتر، فيكون حجة . و الله اعلم)

و قال النووى قد جاء ت الآثار التى بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة فى الآخرة لمذنبى المؤمنين ثم قال:" والشفاعة خمسة. أولها : مختصة بنبينا ﷺ و هى الإراحة من هول الموقف و تعجيل الحساب الثانية : فى ادخال قوم الجنة بغير حساب ، و هذه ايضا وردت لنبيناﷺ.

الثالثة: الشفاعة لقوم استوجب النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ و من يشاء الله تعالى.

الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاء ت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينّا ﷺ؟ ، و الملائكة و إخوانهم من المؤمنين . ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله . كما جاء فى الحديث(لا يبقى فيها إلا الكافرون)

الخامسة : الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها و هذه لا تنكرها المعتزلة و لا ينكرون ايضا شفاعة الحشر الأولى و لا يلتفت إلى قول من قال أنه يكره أن يسئل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة النبى ﷺ لكونها لا تكون إلا للمذنبين فإنها قد تكون كما قدمنا تخفيف الحساب و زيادة الدرجات . ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج ى العفو غير معتمد بعمله مشفق من أن يكون من الهالكين. و يلزم هذا القائل أن لا يدعوا بالمغفرة والرحمة لأنها لأصحاب الذنوب و هذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف. ثم نقل عن الحافظ ابن حجرؒ: قال ابن بطال : انكرت المعتزلة

والخوارج الشفاعة فی إخراج من ادخل النار من المذنبين و جاءت الأحاديث فی اثبات الشفاعة المحمدية متواترة و دل عليها قوله تعالى :(عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) والجمهور على أن المراد به الشفاعة).

إزالة أوهام على بن أبى العزشارح الطحاوية:

١ ـ رد شارح العقيدة الطحاوية الاستشفاع بالنبی ﷺ وقال : (ففيه تفصيل فإن الداعی تارة يقول بحق نبيك أو بحق فلان يقسم على الله بأحد من مخلوقاته فهذامحذور من وجهين احدهما : أنه اقسم بغير الله . والثانی :اعتقاده أن لأحد على الله حقًا ... إلخ) أقول: و هذا فيه نظر بل باطل بشقيه أما أولاً فإن قوله : أنه اقسم بغير الله محاولة لرد التوسل بتصور دخوله فی الحلف بغير الله و أی علاقة توجد للتوسل بالحلف؟لأن التوسل شيئ والحلف شيئ اخر و هل التوسل بمعنى الحلف يدل عليه مطابقة أم تضمنا أم التزاماً ؟ و أما ثانيًا: فإن المراد من الحق الحرمة فيكون من باب الوسيلة والتوسل بالذوات احياءً و امواتًا ثابتٌ بالكتاب والسنة ، و أقوال علماء الأمة: كما قال الإمام الكوثریؒ و قبل أن نثبت التوسل بالكتاب والسنة و أقوال العلماء نريد أن نبين معنى التوسل.

التوسل فی اللغة قال الجوهری فی الصحاح مادة (وسل)(٨٤١/٥) الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير .... والتوسيل و التوسل واحد: يقال: فلان إلى ربه وسيلة و توسل إليه بوسيلة : أی تقرب إليه بعمل)

و قال القرطبی فی تفسيره ص (٥٦) : الوسيلة هی القربة و قال عنترة:(إن الرجال لهم إليك وسيلة : أن يأخذوك تكحلی و تخضبی)

والتوسل على قسمين :

١ ـ ما أتفق عليه بين العلماء فلا نريد الخوض فيه.

٢ ـ ما اختلف فيه : و هو السؤال بالنبی أو الولی أو بالحق أو بالحرمة أو بالذات و ما فی معنی ذلك و هذا النوع لم يقل بحرمته أحد من السلف و لم يقع إنكاره إلا فی القرن السابع. (١)

أما الكتاب :

قال الله تعالىٰ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾(المائدة: ٣٥) روی : ابن عبد البر فی الاستيعاب) عن عمر رضي الله عنه أنه قال : بعد أن استسقى بالعباس رضی الله عنه وسقوا: (هذه ـ والله ـ الوسيلة إلى الله عزوجل) وفی فتح الباری ـ نقل عن انساب الزبير بن بكار قول عمر رضي الله عنه : واتخذوه يعنی ـ العباس وسيلة إلى الله) وبعد هذين النقلين لا يمكن أن يكون التوسل بمعنى اطلبوا الدعاء منه ، و بعد طلب امير المؤمنين منه الدعاء و تقدمه للدعاء اجابة لطلب عمر رضي الله عنه لا يكون قول عمر رضي الله عنه هذا إلا بمعنى (توسلوا به إلى الله) كما فعل عمر رضي الله عنه نفسه ... و قد يدعوا المتوسل به للمتوسل لكن ليس هذا مدلولاً لغويًا و لا شرعيًا للتوسل ، و اين التوسل من الدعاء كما قال الإمام الكوثری رحمه الله.

(٢) ثبوت التوسل فی الأحاديث:الحديث الأول:

١ . عن عثمان بن حنيف : أَنَّ رجلاً ضريرًا أتى النبیَّ ﷺ فقال : ادع الله أن يعافينی قال إن شئت أخرتَ ذلك و هو خيرٌ ، و إن شئتَ دَعَوْتُ ، قال : فادعُهُ ، فأمرهُ أن يتوضأ فيحسن وُضُوءهُ و يصلی ركعتين ، و يدعوا بهذا الدعاء فيقول : (اللهم إنی اسألك و

١ ـ انظر "رفع المنارة" (ص ١٤).

أتوجّهُ إليك بنبيك محمدٍ نبی الرحمة يا محمد إنی توجهت بك إلی ربی فی حاجتی هذه فتقضی لی ، اللهم شفعّه فیّ و شَفِعْنی فيه)[رواه الترمذی] وقال : حديث حسن صحيح غريب و كذا (رواه الحاكم وابن ماجه و فی رواية قال : عثمان : فوالله ما تفرقنا و لا طال بنا الحديث حتی دخل الرجل و كأنه لم يكن به ضُرٌّ قَطّ [رواه فی المستدرك للحاكم]. فلفظ (اللهم إنی اسألك و أتوجه اليك بنبيك محمد) فی الحديث يدل صراحة بإستحبابه فی الدعاء.

جميع الإعتراضات على هذا الحديث والجواب عنها:

و اعترض على هذا الحديث : ١ ـ ان التوسل نوعان : النوع الأول : يكون بدعائه ﷺ أی بطلب الدعاء منه و هو مشروع فی حياته فقط . الثانی : يكون بسؤال الله به كقول الداعی "اللهم إنی اسألك بنبيك محمد" و هذا غير مشروع ، بل هو بدعة ضلالة و حديث الضرير دلت الأدلة بزعمهم . على أنه من النوع الأول لا الثانی .

والجواب : أن الموجود فی الحديث ليس لفظ التوسل الذی ينقسم إلی نوعين ، بل الموجود هو لفظ السؤال به ، و هو النوع الثانی نفسه ، فلا ينقسم هذا الانقسام ، و لا يحتمل أن يكون من النوع الأول أصلاً ، فالتماس الأدلة على معنی لا يحتمله اللفظ يشبه بمالو أولنا قول الرسول ﷺ : (صل ركعتين) بأنه دعا له .

٢. الإعتراض الثانی : أن من أجاز هذا التوسل و من منعه يتفقان على تقدير مضاف إما (بدعاء نبيك) كما يقوله المانعون و إما (بذات نبيك أو بجاه نبيك) كما يقوله المجيزون ، وطلبه الدعاء من النبی ﷺ و وعد النبی ﷺ له به يدلان على أنه (بدعائه) كأنه قال : (اللهم إنی طلبت من نبيك الدعاء فاشفنی) فيكون هذا التوسل الذی علمه إياه من النوع الأول المشروع ، لا النوع الثانی الممنوع .

والجواب : أما أولاً : أن الثابت في الحديث هو لفظ النوع الثاني و هو لا يحتمل النوع الأول ، فالتماس الأدلة على معنى لا يحتمله اللفظ ليس له فائدة . و أما ثانيًا: أن الذين يجيزون التوسل بذاته لا يحتاجون إلى تقدير مضاف ، لأن لفظ (نبيك) يدل على الذات بنفسه صراحة ، دون حاجة إلى تقدير ، و لا داعي لدليل يقويه ، بينما التقدير الأول فيه زيادة على النص ، و النص لا يحتملها فهو تأويل محرد فيسقط .

٣. الإعتراض الثالث : أن قوله في الحديث (اللهم شفعه فِيّ) يوجب حمله على النوع الأول لأن الشفاعة لاتجئ إلا بمعنى : (طلب المرء من المسؤل حاجة لآخر)

والجواب عن هذا الإعتراض : أما أولاً : أن اللفظ الصريح في النوع الثاني لا يحتمل المعنى الأول ، فهذا الإستدلال ليس له فائدة. و أما ثانيًا :

فلو سلمنا بأنه دعا له فلا يصح هذا التأويل ، الذي لا يحتمله اللفظ ، بل يجب تفسير ذلك حينئذٍ بأنه (دعا له ، و علمه التوسل بذاته و مكانته ـ زيادة على ما طلبه ـ كما علمه أن يتوضأ و يصلي ركعتين زيادة على الدعاء ليكون توسلا بالعمل الصالح مع سؤال الله نبيه ﷺ.

ثبوت الزيادتان اللتان توجبان بقاء الحديث على حاله:

ثم إن ههنا و في هذا الحديث زيادتان توجبان بقاء الحديث على حاله دون أي ويل. نذكرها و نناقش دلائلهم:

١. الزيادة الأولى: ذكر ابن تيمية في كتابه قاعدة جليلة [ص ٩٧] : أنه روها ابن أبي خيثمة في تاريخه من طريق حماد بن سلمة ، و فيها أن النبي ﷺ قال للضرير ـ بعد

ما علمه ذلك الدعاء :(و إن كانت حاجة فافعل مثل ذلك) و هذا إذن منه ﷺ للرجل أن يدعو بهذا الدعاء كلما كانت حاجة و ذلك يشمل حالة غياب النبى ﷺ و بدون أن يطلب منه الدعاء .

الإعتراضات على هذه الزيادة والجواب عنها :

١ . أن هذه الزيادة ضعيفة ، لأنها خالفت رواية شعبة الخالية منها ، و هو أوثق من حماد ، فتكون زيادة حماد شاذة.

الجواب : هذه دعوى لاتثبت بل هى معاكسة للقواعد الحديثية ، لأن هذه الزيادة تتفق مع ظاهر الحديث فى المعنى ، و لا تخالفه إلا بعد تأويلهم ، فأيها أحق بالرد : ١ـ تأويلهم ٢ ـ أم زيادة الثقة المروية عن النبىﷺ والزيادة لاترد بمجرد كونها زيادة بل بمخالفة معناها لأصل الحديث لأنه ليس الشذوذ أن يروى الثقة ما لا يرويه الأوثق ، بل الشذوذ أن يروى ما ينافى رواية الأوثق ، بحيث لايمكن العمل بهما معًا كما جاء فى مقدمة ابن الصلاح [ص٢٣٧] وغيرها .

٢ . الإعتراض الثانى : لو ثبتت فالاشارة فى قوله : "افعل مثل ذلك" راجعة إلى مجموع القصة أى ائتنى و اطلب الدعاء وادعو لك و اعلمك " و هذا التأويل باطل لا يصح لأن حكاية مجيئة وطلبه . فى الرواية ـ ليست من كلام النبىﷺ و لا من كلام الضرير حتى تعود الاشارة إليها بل من كلام عثمان راوى القصة حين روايتها ، فلا يصلح أن تعود اشارته ﷺ إليها أصلا و لأنه مبنى على تأويل (اسألك بنبيك) على معنى أتوسل إليك بنبيك ، و هو لا يحتمله ، كما تقدم ، و هذا التأويل أدى إلى اختلاف الروايتين والتأويل يقبل إذا أدى إلى اتفاق الروايات و يسقط إذا أدى إلى اختلافها.

الزيادة الثانية والإعتراضات الأربعة والجواب عنها:

٢. الزيادة الثانية : رواية الطبراني في معجميه الصغير (١٨٣/١) والكبير (٣٠/٩) أن راوي الحديث عثمان بن حنيف علّم هذا الدعاء رجلاً كانت له حاجة عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فدعا بهذا الدعاء فقضاها له ، و ذلك يدل على أن قوله : (اسألك بنبيّك) ليس توسلاً بدعائه ﷺ ، لأن الفتوى بعد وفاته ، و طلب الدعاء عند هؤلاء ممنوع بعد الموت ، فيبقى الحديث على ظاهره دون تأويل ، والصحابي أفقه في السنة منّا . و أوردوا على هذه الروايات أربعة إعتراضات واهية ننقلها ثم نردها بدلائل و حقائق دامغة :

الإعتراض الأول : أنه تفرد بها شبيب بن سعيد و في حفظه ضعف . الجواب : أن الضعف في حفظه لا يضره ، لأنه يسير عبر عنه ابن عدي بقوله : (لعله يخطئ ويهم إذا حدث من حفظه ، و ارجوا أنه لا يتعمد ، فإذا حدث عنه إبنه أحمد بأحاديث يونس فكأنه يونس آخر ، يعني يجود) و هذا كلام صريح في أنه إذا حدث من حفظه كان ضعفه يسيرًا ، و أنه يكون تام الضبط كيونس إذا حدث عنه ابنه أحمد بأحاديث يونس ، و بهذا الطريق روى عنه البخاري.

وقال الذهبي : (صدوق يغرب) لذلك لم يضعفه أحد من الأئمة ، بل وصفوا حاله بقولهم ثقة أو لا بأس به كما في تهذيب التهذيب لابن حجر ، و قد و ثقه الطبراني عند رواية الحديث والقصة عنه . و قال : (الحديث صحيح) فزعموا أنه لم يصحح القصة و هذا باطل ، لأنه بنى التصحيح على توثيق شبيب و سندهما واحد ، و هم ضعفوا القصة بناءً على تضعيفه فالسبب الذي اعتمدوه منفي عن كلامه.

الإعتـراض الثـانـى و الثـالـث : أنـه خالف روايـة شعبة الذى لم يذكرها فهى زيادة شاذة لأن شعبة أوثـق مـنه و أنها مضطربة لأن بعض الرواة عن شبيب ذكرها و تركها بعضهم.

الـجواب : زعمهم أنه خالف رواية شعبة فهذه قصة ليست من أصل الحديث حتى يجب أن يرويها كل من رواه ، فلا تكون روايتهاشاذة و لا مضطربة ثم هى لا تخالف إلا تـأويـلهم ، و هى توافق ظاهر الحديث ، فأيهما هو الشاذ زيادة الثقة أم تأويلهم . و ليس الشذوذ أن يـروى الثـقة مـا لم يروه غيره ، إنما الشذوذ أن يروى ما ينافى روايتهم ، أى يتناقض معها كما مر.

الإعتـراض الـرابـع : أنهـا تطعن فى عدالة عثمان بكونه لا يقضى حوائج الناس إلا بـواسـطة : الـجـواب : لأنـه كان ناسيًا ، و صرحت الرواية بقوله : (ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة)

فبعد دفع التأويلات الوهمية التى دفعت عنها شبهات التضعيف .

ظهر أن قول الإنسان فى دعائه : (اللهم إنى اسألك بنبيك) دل على مشروعية قول الـنبى ﷺ و عـمـل أحـد الصحابة و لا مخالف له ، و فقد سبقونا إلى هذا فهو خير بلا ريب ، و لم يكن من مذهبهم تأويل السنة و تضعيفها بالشبهات.

الإعتراضات على المتن والجواب عنه:

هذه الإعتراضات كانت على سند الحديث و أما الإعتراضات على متن الحديث فـقـالـوا : أولًا ١ـ إن الصحابة تركوا طلب الدعاء من النبى ﷺ و طلبوا من العباس فدل عـلى أنه لا يجوز ، إذ لا يتركون الأفضل إلى المفضول و هذا باطل من وجوه: أولًا: أن

فعل الأفضل ليس واجبًا ، حتى يكون تركه دالًا على التحريم و قد تركوا التوسل بالعشرة المبشرين بالجنة مع أنهم أفضل من العباس ، و تركوا التوسل بالأسماء الحسنى مع أنها أفضل من النبى ﷺ .

ثانيًا: هذا الترك دعوى لم تصح فهذا الأثر ينقضها . ثالثًا : أن فعل أحد الأمرين المشروعين لا يدل على منع الآخر ، كما أن التوسل بالأسماء الحسنى مشروع ، و لم يرد أنهم فعلوه فى هذه الحادثة . فلا يكون طلبهم الدعاء من العباس دليلا على رد عمر الذى طلب الدعاء من النبى ﷺ بعد وفاته ، و أقره عمر على هذا الطلب ، و لم يعلم له مخالف من الصحابة و كيف يتعارض هذان الأمران و كلاهما ثابت عن عمر رض .

رابعًا : و لو ورد الترك لكان نفيًا ، و إقرارعمر رض اثبات مقدم على النفى . ثانيا: قالوا: لو طلب من النبى ﷺ الدعاء فهو لا يسمعه ، لأن الله تعالى قال : ﴿إنك لاتسمع الموتى﴾(النحل. ۸۰) وهذا باطل لأن المفسرين اتفقوا على أن المراد بالآية تشبيه الكافرين ، والكافرون يسمعون صوت النبى ﷺ حين كان يدعوهم إلى الإسلام لكن لايؤمنون به عنادًا ، فلا يستجيبون فهم يشبهون الموتى فى عدم الإجابة ، والسماع المنفى هنا لايحتمل إلا معنى واحدًا و هو السماع الذى يراد به الرد على من يكلمهم كالرد المعهود بين الاحياء لاادراك الأصوات ، فالموتى كلهم حتى الكفار يدركون الأصوات ، لكن لايجيبون جوابًا مسموعًا للأحياء كما صرح به النبى ﷺ فى حديث مسلم حين خاطب قتلى المشركين فى بدر فسأله بعض أصحابه كيف يكلم أجسادًالا أرواح فيها ؟ ! فقال : (والذى نفسى بيده ما انتم بأَسْمَعَ لما أقول منهم و لكنهم لا يقدرون أن يجيبوا) و فى البخارى : (ماانتم بأسمَعَ منهم و لكن لا يجيبون)

فهذاالحديث يصرح بسماعهم كالأحياء و يبين الفرق بينهما ، وقد ثبتت مخاطبة الموتى فى قوم صالح لقومه بعد الهلاك ، وفى مخاطبة شعيب لقومه بعد الهلاك . و فى توبيخ النبى ﷺ لقتلى المشركين فى بدر كماسبق ، و رواية عائشةؓ فى نفى ذلك مخالفة لرواية من حضر الغزوة و هم أكثر عددًا ، و ليسوا أقل حفظًا و علمًا فروايتهم مقدمة .

الحديث الثانى فى التوسل وجواب الإعتراضات عليه:

الحديث الثانى : عن مالك الدار قال : (أصاب الناس قحط فى زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال : " إيت عمر فأقرئه منى السلام و أخبرهم أنهم مسقون و قل له : عليك بالكيس بالكيس " فأتى الرجل فأخبر عمر فقال : يا رب لا آلو إلا ما عَجزت عنه) . قال ابن كثير فى البداية و النهاية (٩٤/٤) عن رواية البيهقى : هذا اسناد صحيح و قال ابن حجر فى فتح البارى (٥٨٢/٣) : روى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح. من رواية صالح أبى السمان عن مالك الدار و كان خازن عمر ... إلى آخر الرواية فهذا إقرار ممن أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نلزم سنته . وهوأحد الخلفاء الراشدين المهديين فقال : (عليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين المهديين) رواه الترمذى و قال هذا حديث حسن صحيح ـ و من المستحيل أن يكون فعلهم بدعة ـ و لو خطأ اجتهاديًا ثم يأمرنا باتباعهم و بين الحديث أن اتباعهم عصمة من البدعة لأنه جاء فى تمام الحديث نفسه : (إياكم و محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة فى النار) والذين منعوا طلب الدعاء من

النبي ﷺ وغيره بعد الموت رفضوا العمل بهذا الأثر ، معتمدين على تضعيف غير وجيه فضعفوا هذا الأثر بوجوهات باردة فقالوا أولاً : أنه لم يذكر فيه اسم طالب الدعاء ، بل قيل فيه : (أن رجلاً أتى قبر النبي ﷺ) ، و هذا لا يضر لأن الرجل المبهم ليس في السند ، بل هو في المتن و إبهام الأسماء في متون الروايات لا يضر ، و هو في الأحاديث كثير ، ثم ليس الاعتماد عليه وحده بل على إقرار عمر رضى الله عنه وأما ثانيًا : زعموا أن الراوي للقصة مالك الدار مجهول و هذا غير صحيح لأنه وثقه الخليلي في الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٣١٣/١) و ابن حبان في الثقات (٣٨٤/٥) .

ذكره باسم مالك بن عياض ، و ذكر له الحافظ ابن حجر في الإصابة أربعة من الرواة ، و لم يعرف العلماء له أخطاءً في الرواية ، فلا جرح في حفظه و استعمال عمر رضي الله عنه له يدل على ثقته بدينه و تقواه .

ثالثا قالوا : إن فيه الاعمش و هو مدلس ، و هذا غير صحيح لأن ابن حجر عده في المرتبة الثانية من الموصوفين بالتدليس و هو ممن احتمل الأئمة تدليسه و أخرجوا له في الصحيح لإمامته و قلة تدليسه في جنب ما روى ذكره في تعريف أهل التقديس [ص ٦٢].

٣ـ **حديث:** "لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب اسألك بحق محمدٍ لما غفرت لي، فقال الله : يا آدم و كيف عرفت محمداً ولم أخلقه ، قال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمتُ أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال

الله صدقتَ يا آدم إنه لأحبُّ الخلق إليّ ادعني بحقه فقد غفرتُ لك ولولا محمدٌ ما خلقتُك."

قال الحاكم في المستدرك (٦١٥/٢) هذا حديث صحيح الإسناد.

وله شاهد قوي.

فقد أخرج الحافظ أبو الحسن بن بشران قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو، حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح، ثنا محمد بن صالح، ثنا محمد بن سنا العوقي، ثنا إبراهيم بن طهمان، عن يزيد بن ميسرة، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبيا؟ قال: "لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهُنّ سبع سموات، وخلق العرش، كتب على ساق العرش: محمد رسول الله خاتم الأنبياء، وخلق الجنة التي أسكنها آدم وحواء، فكتب اسمي على الأبواب والأوراق، والقباب والخيام، وآدم بين الروح والجسد، فلمّا أحياه الله تعالى: نظر إلى العرش، فرأى اسمي فأخبره الله أنه سيد ولدك، فلما غرهما الشيطان، تابا واستشفعا باسمي إليه".

وأخرجه ابن الجوزي في الوفا بفضائل المصطفى من طريق ابن بشران، نقله عنه ابن تيمية في الفتاوى (١٥٠/٢) مستشهداً به.

وذكره شيخنا العلامة المحقق السيد عبد الله بن الصديق الغماري. نور الله مرقده. في الرد المحكم المتين (ص١٣٨-١٣٩) وقال: إسناد هذا الحديث قوي، وهو أقوى شاهد وقفت عليه لحديث عبد الرحمن بن زيد. اهـ وكذا قال الحافظ ابن حجر.

قلت: إسناده مسلسل بالثقات، ماخلا راوٍ واحد صدوق.

فأبو جعفر محمدبن عمرو، هو ابن البختري الرزاز ،ثقةثبت، وله ترجمة في تاريخ بغداد (١٣٢/٣).

وأحمدبن إسحاق بن صالح ، هوأبو بكرالوزّان ، صدوق على الأقل ، وله ترجمة في تاريخ بغداد أيضا (٢٨/٤).

ومحمد بن صالح هو أبوبكرالأنماطي المعروف بكيلَجة، ثقة حافظ من رجال التهذيب، ويمكن أن يكون هو محمد بن صالح الواسطي كعب الذراع،ثقة أيضا ، ومترجم في تاريخ الخطيب (٣٦٠/٥) ، والاختلاف في تعيين الثقة لا يضر.

ومحمد بن سنان العوفي فمن فوقه ثقات من رجال التهذيب .

فالصواب أن هذا الإسناد من شرط الحسن على الأقل ،ويصححه من يدخل الحسن في الصحيح من الحفاظ.(١)

زعمهم أن الموتى مشغولون بأنفسهم والجواب عنه:

ثالثاً: زعموا أن الموتى مشغولون بأنفسهم لا يدعون للأحياء و استدلوا على ذلك بقوله ﷺ : (إِذَا مَاتَ ابْنِ آدَمَ إِنْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صدقة جَارِيَةٌ ، أَو علم يُنْتَفَعُ بِهِ أَو وَلَدٌ صَالِحٌ يَدعُوا لَهُ) و من انقطع عمله انقطع دعاؤه ، لأنه من جملة عمله ، و هذا قول باطل لأنه استدلال بالحديث في غير موضعه ، لأن الانقطاع عام ، والأدلة المثبتة للدعاء بعد الموت خاصة فهي مقدمة على العام مخصصة له، عكس ما يريد هؤلاء و إليك

١ ـ هذا الحديث مع تحقيقه نقلته من كتاب "رفع المنارة لتخريج الأحاديث التوسل والزيارة" و كانت ورقة غير ملصقة بالكتاب.

الدلائل قد جاء في القرآن الكريم اهتمام الصالحين باقوامهم بعد موتهم و دعاؤهم لهمفي قوله تعالى ١ ـ:﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾

٢. و جاء في حديث المعراج قوله ﷺ عند ذكر كل نبي (فرحب و دعا لي بخير) رواه مسلم و أحمد.

٣. حديث الشهداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (إن إخوانكم قد قتلوا و إنهم قالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك وَ رَضِيتَ عَنّا) رواه مسلم. فنزل قوله تعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ الخ فهم مهتمون بأمر من بعدهم و يدعون لهم بقولهم: ربَّنا بَلِّغْ عَنَّا إِخْوَانَنَا...) إلى آخر الحديث و قد جاء حديث خاص في هذا الموضوع قوله ﷺ :(تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَمَا وَجَدت من خير حَمِدْتُ الله وَ مَا وَجَدْتُ مِنْ غَيْرِ ذَٰلِكَ اسْتَغْفَرتُ لَكُمْ).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج(٨/ص ٥٩٥) رواه البزار و رجاله رجال الصحيح، و قد اعترض على هذا الحديث المعارضون فزعموا أن هذا الحديث ضعيف لأنه روى مرسلاً بسند أصح، و هذا الادعاء باطل لأن السند المرسل يقويه، و لا يضعفه، لأنهما يتعاضدان إن كان السند ضعيفًا لكن الذين تحاملوا على الرواية المرفوعة اختاروا في الراوي المتكلم فيه أشد الأقوال حتى لا يصلح للتعضيد، و قد قال العلماء: لا تعارض بين الرفع و الارسال، والمرسل وحده حجة عند مالك و أحمد و أبي حنيفة رحمهم الله و ردّ هذا الحديث بحديث: إنَّكَ لَا تدري ما أحدثوا بعدك... إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدين على اعقابهم ...) باطل لأن الذين يستغفر لهم

هم أمته و المراد في الحديث المرتدون وليسوا من أمته فلاتعارض بين الحديثين و حسب الذين يريدون الاقتداء بأئمة الهدى من السلف الصالح في هذا الأمر أن ينظروا إلى إقرار امير المؤمنين عمر مع عدم دليل شرعي يعارضه.

ثبوت التوسل من أقوال الأئمة:

١.حث الإمام أحمد على التوسل بالذوات:قال: (فإذا أردت الخروج فائت المسجد وصل ركعتين و ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل سلامك الأول، و سلم على أبي بكرو عمر رضي الله عنهما وحول وجهك إلى القبلة وسل الله حاجتك متوسلاً إليه بنبيه ﷺ تقضى من الله عزوجل) [1] فقول الإمام أحمد هنا : (سل الله حاجتك متوسلاً إليه بنبيه ﷺ) ..... و قد نقل ابن تيمية التوسل عن الإمام أحمد رغم أنه يخالفه ويقول : بأن ذلك لايجوز و من أراد اتباع السنة فحسبه الإمام أحمد قدوة، لكمال علمه بالسنة، ولكونه من كبار أئمة الاجتهاد، و فهمه للسنة احذر بالإتباع، فإن كان مصيبًا. و هو حقيق بذلك فله أجران وتابعه مأجور أيضا لأنه بأمر الله اتبعه : ﴿فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾(الأنبياء :٧) و إن لم يكن مصيبًا فله أجر، و تابعه مأجور أيضا لأنه بأمر الله اتبعه، و قد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بعض من يحفظ السنة لا يفقهها فقال: (و رب حَامل فِقه لَيسَ بِفَقِيهٍ) [رواه الترمذي] وغيرفقيه لا يسعه إلا أن يسأل أهل الذكر عن فقه السنة النبوية، و حسبه الإمام أحمد بن حنبل إمام السنة مع أنه وافقه على ذلك آخرون من أئمة الهدى وليس الاكتفاء بنقل قوله من باب التقليد الأعمى، كمايزعم المخالفون بل لأن هذه المسئلة تحتاج بحثًا موسعًا يدفع عنها الشبهات و يكشف

---

١ ـ استحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية الرد على الاخنائي(ص:٥٣٦).

سداد قول الإمام أحمد و موافقيه ، ويذكر الموافقين له أو أكثرهم ، و ليس لمن اختار قولاً آخر و فهمًا آخر أن يضللهم او يبدعهم.

٢.و قال موفق الدين بن قدامة الحنبلي ففى كتابه المغنى (٣/٥٩٠): ثم تأتى القبر فتولى ظهرك للقبلة ، و تستقبل وسطه ، و تقول ؛ السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته ! إلى أن يقول :(اللهم إنك قلت و قولك الحق : ﴿و لو أنهم إن ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله و استغفرلهم الرسل لوجد والله توابًا رّحيمًا﴾(النساء :٦٤) و قد اتيتك مستغفرًا من ذنوبى ، مستشفعًا بك إلى ربى ، فاسألك يا رب أن توجب لى المغفرة كمن أتاه فى حياته ، اللهم اجعله أول الشافعين وانجح السائلين و أكرم الأولين و الآخرين برحمتك يا ارحم الراحمين) . فأظهر معانى الاستشفاع به : أن يطلب منه الشفاعة إلى الله فى قضاء حوائجه و يمكن أن يكون بمعنى سؤال الله به . كما تقدم

٣. وقال الإمام النووى فى المجموع (٨/٢٧٤):(ويتوسل به فى حق نفسه ، ويستشفع به إلى ربه سبحانه و تعالىٰ، و من احسن ما يقوله ماحكاه الماوردى والقاضى أبو الطيب ، و سائر أصحابنا . عن العتبى مستحسنين له . قال : كنت جالسًا عند قبر النبى ﷺ فجاء اعرابى ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ،سمعت الله يقول :﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾(النساء :٦٤) و قد جئتك مستغفرًا من ذنبى مستشفعًا بك إلى ربى ، ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالبقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

ثـم انـصـرف فـحـملـتـنى عيناى ، فرأيت النبى ﷺ فى النوم فقال : يا عتبى الحق الأعـرابـى فبشره بأن الله قد غفرله) . و الإمام النووى و غيره ممن ذكره هذه الحكاية غرضهم أن هذه المشروعية ثابتة ، و هذه الحكاية تعبير حسن عن ذلك المشروع.

٤ـ و فـى "أنـجـح الـمـسـاعـى" قال ابن قدامة فى المغنى: ويباح التوسل بالأولياء والصالحين أحياء وأمواتاً باتفاق المذاهب الأربعة.

ثم أن سبب إنكارهم التوسل هو الإغماض عن القاعدة المشروعة:

ثـم إن الـذين ينكرون التوسل يغمضون عن القاعدة المشهورة و هى : نسبة الفعل إلـى الـمتسبب به وهى القاعدة المأخوذة من كتاب الله و سنة الرسول ﷺ ، و اسلوب عـربى مشهور وليست مخاطبة المخلوق به دعاء لغير الله و شركاً أكبر يستحق صاحبه الـقـتـل لأنـه مـرتـد كـما يزعم المتسرعون فى التكفير ، بل هو طلب دعاء ، و إن كانت الفاظه فيها طلب الحاجة من النبى ﷺ وغيره من الصلحاء :

و بـنـوا الـقاعدة المنقوضة التى بها منعوا التوسل و هى أن التوسل بمخلوق لا يجوز و هـذا بـاطل ألا ترى إلى التوسل بالعمل الصالح فإنه مشروع و هو مخلوق ، و التوسل بدعاء الـنبى ﷺ مشروع و هـو مـخـلـوق ، والتبرك نوع من التوسل ، و هو توسل بمخلوق ، بل حـقـيـقـة التـوسـل بـدعـائه ﷺ هى أنه توسل بذاته ، إذ ليس الفرق بين دعائه و دعاء غيره إلا صدوره من ذاته الشريفه ﷺ التى يحبها الله فذاته هى الوسيلة ﷺ و إليك الدلائل:

١. عـن ربيـعة بـن كـعب الأسلمى رضی الله عنه أنه قال للنبى ﷺ : (اسألك مرافقتك فى الجنة) رواه مسلم . و ادخاله الجنة برفقته ﷺ هو بيد الله خصوصًا .

٢. أن عـمـر بـن الـخـطـاب رضی الله عنه سمع النبى ﷺ يقول لبعض أصحابه (رحمه الله) ، فعرف أنه

يستشهد فقال : (يا رسول الله لو لا امتعتنا به) [رواه البخارى] أى لو ابقيته لنا والابقاء بيد الله ،لكن المراد أن يدعو له بالبقاء و إن كان لفظه الطلب منه ﷺ و لا يقال إن هذا و إن كان جائزًا فالأفضل تركه لأنه يوهم الشرك . فالجواب أن النبى ﷺاحرص منا على دفع هذا التوهم، ولم يطلب ترك هذا لأسلوب فى طلب الدعاء. و قد ثبت أن النبىﷺ ذكر وقوع طلب الحاجة المختصة بالله . من نبى الله موسى عليه الصلاة و السلام و أقره النبى ﷺ ،بل حث على الاقتداء بمن فعله فى قوله ﷺ : (اعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بنى اسرائيل) ؟! الحديث و فيه : (طلبت من موسى عليه السلام حكمها و هو مرافقته فى الجنة).و أمثلته فى النصوص كثيرة.ألا ترى إلى ما ١ . قال الله تعالى فى حكاية قول جبريل لمريم :﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً﴾(مريم: ١٩) ٢ . و جاء نسبة الملائكة القدر إلى انفسهم فى قصة قوم لوط فقال : ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾(الحجر: ٦٠) وهو منسوب إلى الله تعالى مباشرة فى آية أخرى قال الله :﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾(النمل:٥٧)(١)

بعد ثبوت التوسل بالذوات بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة نأت مرة أخرى إلى قول بن أبى العز شارح العقيدة و نناقشه:

٢ ـرد شبهة الشارح بن أبى العز فى التوسل بعد موته ﷺ:

يقول فى صحيفة (٢٦٣) :فإنه لو كان هذا التوسل الذى كان الصحابة يفعلونه

---

١ ـ هذا التفصيل اكثره فيما يتعلق بالتوسل أخذناه من رسالة لشيخ الدكتور أحمد زين من رسالته "التوسل فى سنة النبى ﷺ و أصحابه" مع بعض زيادتنا و اختصارها.

في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته... الخ) ونقول نعم فقد فعل الصحابة بعد موت الرسول ﷺ فقد جاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فطلب منه الدعاء، و أخبر عمر فأقره كما ثبتت الرواية و قد ذكرنا آنفا و دفعنا الشبهات عنها في بيان هذا النوع من التوسل، و إنما لجأ الصحابة إلى التوسل بالعباس لأن من السنة عند انقطاع المطر صلاة الاستسقاء و صلاة الاستسقاء سنتها أن يدعو أحد المصلين، فهذا هو سبب الطلب من العباس رضي الله عنه فلا يدل على أنه لا يجوز الطلب من النبي ﷺ و على كل حال فالعلماء متفقون على أن فعل أحد الأمرين المشروعين الثابتين لا يمنع من الآخر و هذا بدهي، و من جملة العلل التي اعتمدوا عليها في منع التوسل بذات النبي ﷺ و جاهه كما في قوله :(اللهم إني اسألك و أتوجه اليك بنبيك) أنهم قالوا: إذا طلب من النبي ﷺ أو غيره دعاءً يكون ذلك الطلب سببًا معقولاً في قضاء حاجتي، لأنه كما لو قلت : اللهم إني اسألك بصلاتي أو بمحبتي لنبيك ﷺ، أما عمله هو أو مكانته عند ربه أو ذاته فليس لي بها تسبب حتى تكون سببًا معقولاً في قضاء حاجتي عند الله . و هذا تعليل معارض للسنة، أما ذاته الشريفة فقد ثبت الاستشفاء بمس آثارها، و ذلك قضاء بسبب ذاته، فأي تسبب للمتبرك يقتضي شفاءه بها سوى المس ؟! و هل هو أقوى من قوله : (سألك بنبيك)؟! و أما كون عمله الصالح ﷺ أو عمل غيره من الصالحين هو الوسيلة قضاء حوائج فقد دل عليه قوله ﷺ (إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم و صلاتهم و اخلاصهم) . رواه النسائي . حيث ذكر اسباب النصر فعدّ مع (دعائهم صلاتهم و اخلاصهم) و هذا نص في كون صلاتهم و اخلاصهم و سيلة كدعائهم و واية التي بعدها (إنّما تزرقون و تنصرون بضعيفكم) و كلاهما لهماسندان صحيحان و

قد جعل النسائى عنونهما : (الاستنصار بالضعيف) و هما يوضحان أن عمل الغير . حين يدعو لنا هو الوسيلة فى الحقيقة.[١]

٣-رد شبهة بن أبى العز شارح العقيدة الطحاوية و ثبوت الاستغاثة بالرسول ﷺ:

و قول بن أبى العز فى صحيفة (٢٦٥):" فإذا كان سيد الخلق و أفضل الشفعاء يقول لأخص الناس به :(لا املك لكم من الله من شيئ) فما الظن بغيره؟"

فقوله ﷺ لأخص الناس به لا يدل على منع الاستغاثة كيف و لم ينهه النبى ﷺ عنها ولكن قال :" لا املك لك من الله شيئًا" فقد أمرتك أن لا تعصى ، لأن الشفاعة ينهى عنها إلا أن تكون بإذن الله . و هذا محروم من الشفاعة ، أى الإغاثة بها- حسب تعبير الحديث - لأنه عاند الانذار ، و قد ثبت فى صحيح البخارى التعبير بالاستغاثة عن طلب العباد الشفاعة من الرسل عليهم الصلاة و السلام فقال ﷺ : (استغاثوا بآدم ...) الحديث ،فلا يجوز النهى عن الاستغاثة بعد ثبوتها فى السنة فى أعظم المواقف فى التوحيد ، فما يقال أن طلب الحاجة التى لايقدر عليها إلاالله من أى مخلوق هو استغاثة و الاستغاثة بغير الله شرك لأنه قال : ﷺ :(إنه لا يستغاث بى ، إنما يستغاث بالله) باطل أولًا لأن هذا الحديث من رواته ابن لهيعة وقد اختلف فيه ثم إنه مخالف لحديث رواه البخارى فى استغاثة الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ثانياً: أنا نحمع بين الحديثين على افتراض صحته و ذلك بأن نفسر الاستغاثة المنفية عنه ﷺ

١ـ انظر "التوسل فى سنة النبى ﷺ" للدكتور أحمد زين.

المثبتة لله تعالى أنها طلب فعل الاستغاثة بأن يكون النبى ﷺ هو الذى يعطى السائل تلك الحاجة المختصة بالله ، و ذلك لا يكون إلا من الله ، و لا يكون من نبيه ﷺ.(١)

٤ـ دفع شبهة على بن أبى العز شارح العقيدة الطحاوية فى قوله أبى حنيفةؒ:

وقال الشيخ بن أبى العز فى صحيفة (٢٦٢) :(لهذا قال أبو حنيفة و صاحباه رضى الله عنهم : يكره أن يقول الداعى : أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ... حتى كره أبو حنيفة و محمد رضى الله عنهما أن يقول الرجل : اللهم إنى اسألك بمعقد العز من عرشك ، و لم يكرهه أبا يوسف رحمه الله لمابلغه الأثر فيه ...) فالحواب عن ذلك قال فى رد المحتار تحت قول صاحب در المختار: (و كره قوله : بحق رسلك...) (٥/٢٥٤)

قد يقال أنه لاحق لهم وجوبًا على الله لكن الله سبحانه و تعالى جعل لهم حقًا من فضله أو يراد بالحق الحرمة والعظمة فيكون من باب الوسيلة و قد قال تعالى :﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ و قد عَدّ من آداب الدعاء التوسل ... إلى أن نقل عن العلامة المناوى قول السبكى: يحسن التوسل بالنبى ﷺ إلى ربه و لم ينكره أحد من السلف و لا الخلف إلا ابن تيمية فأبتدع ما لم يقله عالم قبله).

و ذكر فى رد المحتار ٢٥٣/٥ : وجه كراهية الداعى فى دعائه بمعقد العز فقال : إنما كره لأنه يوهم تعلق عزه بالعرش و العرش حادث و ما يتعلق به يكون حادثا '

١ـ أنظر التوسل فى سنة النبى ﷺ وأصحابه للدكتور أحمد زين.

ضرورة و الله تعالى متعال عن تعلق عزه بالحادث سبحانه بل عزه قديم لأنه صفته و جميع صفاته قديمة قائمة بذاته لم يزل موصوفًا بها فى الأزل و لا يزال فى الأبد . و لم يزد شيئًا من الكمال لم يكن فى الأزل بحدوث العرش و غيره زيلعى و حاصله أنه يوهم تعلق عزه تعالى بالعرش تعلقًا خاصًا و هو أن يكون العرش مبدأ و منشأ لعزه تعالى كما توهمه كلمة من فإن جيمع معانيها ترجع إلى معنى إبتداء الغاية و ذلك المعنى غير متصور فى صفة من صفاته تعالى فإن مؤدّاه أن صفة العزّ ناشئة من العرش الحادث فتكون حادثة ...) فالحاصل أن كراهية هذا الدعاء لا لنفى التوسل(كما سيق الكلام لاجله الثابت بالكتاب والسنة) بل لمعنى آخر و هو ايهام تعلق عزالله تعالى بالعرش الحادث.

و فى الأخير نذكر قائمة أسماء العلماء والفقهاء والمحدثين والأئمة الكبار المتوسلين حتى لا يبقىٰ أىّ ريب لأحد فى ذلك و ليعرف الأمة الإسلامية أنّ التوسل ليس بكفر و لا شرك و لا بدعة مهما شغب الشاغبون و شوشوا بدون علم وفكر:

-۞۞۞-

جدول اسماء المتوسلين:

رتبة المتوسل	المتوسل	اسم الكتاب	لفظ التوسل
١-محدث و فقيه	الكمال ابن الهمامؒ	فتح القدير ج٣/ص ١٨١	و يسئل الله حاجته متوسلا إلى الله بحضرة نبيه
٢-مجتهد مطلق	الإمام مالكؒ	الشفاء لقاضى عياضؒ ج٢/ص ٤٠-٤١	هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى
٣-مجتهد مطلق	الإمام الشافعيؒ	البيهقى ج١ / ص ٦٨-٦٩	آل النبى ذريعتى و هم إليه وسيلتى
٤-مجتهد مطلق	الإمام أحمد بن حنبلؒ	التوسل انواعه و احكامه ص٧٦	وسل الله حاجتك متوسلا إليه بالنبى ﷺ تقضىٰ
٥-حجة الإسلام	الإمام الغزالىؒ	الأحياء ج٢/ص٧٤٧	و كل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته
٦- إمام كبير	الحاج المالكىؒ	المدخل لابن الحاج ج ١/ص ٢٤٩	فمن توسل به أو استغاث أو طلب حوائجه منه فلا يرد إن شاء الله تعالى
٧- إمام كبير	تقى الدين السبكىؒ	شفاء السقام فى زيارة خير الأنام ص ١٧١	و اقول أن التوسل بالنبى ﷺ جائز فى كل حال
٨-حافظ محدث كبير	ابن حجر العسقلانىؒ	الإغاثة بأدلة الاستغاثة ص ٢١	نبى الله يا خير البرايا بجاهك اتقى فصل القضاء

٩_المحدث	الشوكانىؒ	الدرالنضيد ص٦	أن التوسل به ﷺ يكون فى حياته و بعد موته
١٠_ المحدث الفقيه	شهاب الدين أحمد الرملىؒ	حاشية الفتاوىٰ الكبرىٰ ج ٤/ص٣٨٢	بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين و الأولياء والعلماء والصالحين جائز
١١_المحقق العلامة	حسن العدوى الحمزاوىؒ	مشارق الأنوار ص ٦٧	و إنما يجعلونه فى نياته وسيلة إلى مولاهم
١٢_ الإمام الكبير	السامرىؒ	كشاف القناع ج٢/ ص ٢٩	و لا بأس بالتوسل للاستسقاء بالشيوخ والعلماء المتقين
١٣_المحدث الكبير والفقيه	الإمام النووىؒ	المجموع ج ٨/ ص ٢٧٢	و يتوسل به فى حق نفسه
١٤_المحدث الكبير الفقيه	علاء الدين المرداوى الحنبلىؒ	الانصاف ج ٢/ ص ٤٥٦	يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب
١٥ _ العارف بالله	الشيخ يوسف النبهانىؒ	شواهد الحق ص ١٤٣	على استحسان الاستغاثة والتوسل والتشفع بالنبى ﷺ لقضا الوائج
١٦_ العالم الكبير	محمد الحامدؒ	ردود على اباطيل ص٢٥	يجوز التوسل بهم إلى الله تعالى
١٧_العارف بالله	الشعرانىؒ	فى العهود المحمدية ص ٢٨٠_٢٨١	ونصلى على النبى ﷺ قال الخواص إذا سألتم الله حاجة فسئلوه بمحمد ﷺ

قبر معروف الكرخي هو الترياق المجرب	تاريخ بغداد ج ۱/ ص ۱۲۲	ابراهيم الحربيؒ	۱۸ـحافظ محدث
توسل أهل سبتة بقبر الإمام محمد ابن عبيد الله الحجري	سير أعلام النبلاء ج ۲۱/ ص ۲۵۲	ابو الربيع ابن سالمؒ	۱۹ـحافظ محدث
والشكوى إلى رسول الله ﷺ من الجوع	سير أعلام النبلاء ج ۱٦/ ص ٤۰۰	ابو الشيخ الاصبهانيؒ	۲۰ـحافظ محدث
توسل بقوله محمد سيد المرسلين الخ	ذيل التقيد ج ۱/ص ٦۹	أبو الطيب المكى الفاسيؒ	۲۱ـحافظ محدث
توسل بقوله بجاه المصطفى	ذيل تذكرة الحفاظ ج ۱/ ص ۳۱۵	أبو المحاسين ابن حمزةؒ	۲۲ـحافظ محدث
حدثنا بحق آبائك	تاريخ بغداد ج ۱: ص ۱۲۰	أبو زرعة الرازيؒ	۲۳ـحافظ محدث
موسیٰ ابن جعفر فتوسلت به	تاريخ بغداد ج ۱/ ص ۱۲۰	أبو على الخلالؒ	۲٤ـمحدث كبير
أتى قبر النبى ﷺ و قال أنا جائع	المنتظم ابن الجوزى ج ۹/ ص ۷٤ـ۷۵	أبو زرعة العراقيؒ	۲۵ـحافظ محدث
توسل بقوله بحق النبى	قرى الضيف ج ۵/ ۲۲۵	ابن أبى الدنياؒ	۲٦ـحافظ محدث
توسل بقوله يا شافع البرية أن تشفع فيها لبارئ النسم	الحلة السيراء ج ۲/ص ۲۸٤	ابن الأبارؒ	۲۷ـحافظ محدث
توسل بقوله بحق محمد ﷺ	زاد الميسر ج ٤/ص ۲۵۳	ابن الجوزيؒ	۲۸ـحافظ محدث
توسلوا به إلى الله تعالى	تذكرة الحفاظ ج ٤/ص ۳۷۱	ابن القيسرانيؒ	۲۹ـحافظ محدث

٣٠ـ حافظ محدث	ابن المقری الاصبهانیؒ	سیر اعلام النبلاء ج ١٦: ص ٤٠٠	التوسل عند القبر والشکوی إلی الرسول من الجوع
٣١ـ حافظ محدث	ابن حبانؒ	ثقات ج٨/ ص٤٥٧	کان إذا همه أمر قصد قبر الإمام علی ابن موسیٰ الرضا فینکشف همه قال و هذا شیئ جربته مراراً
٣٢ـ حافظ محدثؒ	ابن عساکرؒ	تاریخ دمشق ج٦/ ص ٤٤٣	کتب فی اربعیناته حدیث یا محمد إنی أتوجه بك إلی ربی
٣٣ـ حافظ محدث مفسر	ابن کثیرؒ	البدایه والنهایه ج١٣/ص١٩٢	توسل بقوله بمحمد ﷺ
٣٤ـ حافظ محدث	البیهقیؒ	المنتظم ج١١/ ص٢٨١	من مناقب أحمد استجابة الدعاء إذا توسل الداعی بقبره
٣٥ـ حافظ محدث	الحاکمؒ	تهذیب التهذیب ج٧ـ ص ٣٨٨ ج١١ـ ص٢٩٩	روی تعظیم ابن خزیمة لقبر علی الرضاؒ و توسل شیوخه بقبر یحییٰ بن یحییٰ
٣٦ـ حافظ محدثؒ	الخطیب البغدادیؒ	الجامع لاخلاق الراوی والسامع ج٢/ص٢٦١	توسل بقوله بحق محمد ﷺ
٣٧ـ حافظ محدثؒ	السخاویؒ	فتح المغیث شرح الفیة الحدیث ج٤ / ص٤١٠	توسل بقوله و وسیلتنا و سندنا

٣٨۔حافظ محدثؒ	السيوطیؒ	الاتقان ج ٢۔ ص ٥٠٢	توسل بقوله بمحمد ﷺ و اله
٣٩۔حافظ محدث	الطبرانیؒ	سير أعلام النبلاء ج ١٦۔ ص ٤٠٠	التوسل عند القبر والشكوى إلى الرسول من الحوع
٤٠۔حافظ محدث	العحلونیؒ	كشف الخفاء ج٢۔ ص ٥٥	توسل بقوله و بخير خلقك لم ازل متوسلاً
٤١۔حافظ محدث	ابن الابار القضاعیؒ	التكملة لكتاب الصلة ج٢۔ ص ٢٨١	توسلوا به إلى الله فی ترجمة عبد الله الححری
٤٢۔حافظ محدث	الكلاباذیؒ	التعرف لمذهب أهل التصوف ج ١ ۔ ص ٢١	توسل بقوله و بنبيه اتوسل
٤٣۔حافظ محدث	الكلاعی	كشف الظنون ج٢/ ص١٧٠٦	المستغيثين بخير الأنام فی اليقظة والمنام
٤٤۔المحدث العلامة الفقيه	اللكنوی أبو الحسناتؒ	الرفع والتكميل ص٢٧	توسل بقوله متوسلاً بنبيه
٤٥۔حافظ محدث	المحاملیؒ	تاريخ بغداد ج١۔ص ١٢٣	كان ياتی قبر معروف الكرخی و يتوسل به
٤٦۔حافظ محدث	المنذریؒ	هدية العارفين ج٥۔ ص ٥٨٦	استغاث برسول الله ﷺ من شدة
٤٧۔حافظ محدث	الهيثمیؒ	مجمع الزوائد ص ٤٢٠۔ج٩	توسل بقوله بمحمد و آله
٤٨۔حافظ مخدث	محمد عابد السندیؒ	حصر الشارد فی اسانيد محمد عابد ج١۔ ص٥٩	له رسالة فی حواز التوسل والاستغاثة و فيها رد على الحافظ ابن تيميه

٤٩_حافظ محدث	عبد الحق الاشبيلىؒ	فيض القدير للمناوى ج ١/ص ٢٣٠	و يسكن فى جوار قبور الصالحين تبركا وتوسلاً
٥٠_حافظ محدث	محمد بن موسىٰ التلمسانىؒ	كشف الظنون ج٢/ ص١٧٠٦	صاحب كتاب مصباح الظلام فى المستغثين بخير الأنام
٥١_حافظ محدث	أحمد عبد اللطيف الزبيدىؒ	التجريد الصريح لاحاديث جامع الصحيح ص٩	توسل بقوله بجاه سيدنا محمد و اله
٥٢_حافظ محدث	ابن ماكولاؒ	الاكمال ج١ ـ ص ٢٦٧	قال عن قبر أحد الصالحين قبره يتبرك به قد زرته
٥٣_حافظ محدث	ابن نقطةؒ	التقيد ج١_ص ٣٧٠	قبره بالقرافة يتبرك به
٥٤_حافظ محدث	الذهبىؒ	سير أعلام النبلاء ج ١٨ـ ١٠١	ذكر أحد الصالحين و قال و كان و رعاً تقياً محتشمًا يتبرك بقبره
٥٥_تابعى جليل حافظ محدث	محمد بن المنكدرؒ	ابن عساكر	قال استعين بقبر النبى ﷺ
٥٦_حافظ محدث	السلفىؒ	معجم السفر	له توسل فى معجم السفر
٥٧_فقيه	ابو اسحاق الخجندى الحنفىؒ	التحفة اللطيفة ج١_ص ٨٣	كان من شعره خافت النار الها فانتحت تشفع لائذة بالرسول

۵۸۔فقیه	أبو الاخلاص الشرنبلالی الحنفیؒ	نور الایضاح ج۲ ص ۶۷۸	توسل بقوله جئنا كما تتوسل بكما إلى سيدنا رسول الله ﷺ
۵۹۔مجتهد مطلق	الإمام الشافعیؒ	تاريخ بغداد ج۱۔ ص ۱۲۳	إني لا تبرك بأبى حنيفةؒ إذا عرضت لى حاجة
۶۰۔فقيه أصولی ربانی	أبو حامد الغزالی الشافعیؒ	احياء علوم الدين ج۱۔ ص ۲۶۰	توسل بقوله و قصدنا نبيك مستشفعين به
۶۱۔فقيه	أبو الحسن المالكیؒ	كفاية الطالب ج۔ ۱۔ ص۔ ۶۷۸	توسل بقوله بمحمد و اله و صحبه
۶۲۔فقيه	أبو عبد الله السامری الحنبلیؒ	شفاء السقام	يا محمد إني توجه بك إلى الله ربی
۶۳۔فقيه محدث	أبو منصور الكرمانی الحنفیؒ	المكتوبات ص۳	أن فلاناً و فلاناً يستشفع بك يا رسول الله ﷺ
۵۹۔فقيه	ابن أبی الوفاء الحنفیؒ	طبقات الحنفية ج۱۔ ص ۳۵۳	توسل بقوله بجاه رسول الله ﷺ
۶۰۔فقيه	ابن الحاج المالكیؒ	الشواهد ص ۸۵	قال بالتوسل
۶۱۔فقيه	ابن الخطيبؒ	وسيله الإسلام ج ۱۔ ص ۳۱	توسل بقوله و من توسل إليه بمحمد نجاه و نفعه
۶۲۔فقيه محدث	ابن الزملكانی الشافعیؒ	شواهد الحق ص ۳۸۳	توسل بقوله يا صاحب الجاه
۶۳۔فقيه	ابن الملقن الشافعیؒ	خلاصة البدر المنير ج۱۔ ص ۵	توسل بقوله بمحمد و اله

٦٤ـفقيه	ابن جزيٌّ	القوانين الفقهية ج١ـ ص٩٥	توسل بلفظ يستشفع به
٦٥ـفقيه محقق	ابن عابدين الحنفيٌّ	حاشية ابن عابدين ج ٨ـ ص ٥١١	توسل بقوله بجاه سيد الأنبياء والمرسلين
٦٦ـفقيه	ابن عاشر المالكيٌّ	المرشد المعين ج ٢ـ ص ٣٠٠	توسل بقوله بجاه سيد الأنام
٦٧ـفقيه متصوف	ابن عجيبة الحسينيٌّ	ايقاظ الهمم شرح الحكم ص٤	توسل بقوله بجاه نبينا المصطفىٰ
٦٨ـفقيه	ابن عطاء السريٌّ	لطائف المنن ص ١١ـ ١٢	توسل بقوله بجاه محمد
٦٩ـفقيه	ابن عقيل الحنبليٌّ	التذكرة ص٨٧	يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي
٧٠ـفقيه	ابن علانٌّ	شرح الاذكار ص٢٩ ـ ج ٢	توسل بقوله بجاه نبيك سيد المرسلين
٧١ـفقيه	ابن قاضي شهبة الشافعيٌّ	طبقات الشافعية ص١٥٥ـ ٢	توسل بقوله والدعاء عند قبره مستجاب
٧٢ـفقيه	ابن قدامة الحنبليٌّ	المغني ج٣ـ ص ٢٥٩	ثم ذكر قصة العتبي وما فيها من توسل بالنبي ﷺ
٧٣ـفقيه	ابن مفلح الحنبليٌّ	المبدع ج٣٢ـ ص ٢٥٩	ذكر قصة العتبي و اقرها
٧٤ـفقيه	ابن ميارة المالكيٌّ	الدر الثمين و المورد المعين ج٢ـ ص ٣٠٢	توسل بقوله نتوسل إليك بجاه احب الخلق
٧٥ـفقيه	البهوتي الحنبليٌّ	كشف القناع ج٢ـ ص ٥١٦	ذكر قصة العتبي و اقرها

٧٦_فقيه	الحاوی محمد نوویؒ	نهاية الزين ج١ـ ص٧٧	توسل بقوله بجاه النبی المختار
٧٧_فقيه	الرافعی القزوینی الشافعیؒ	التدوين فی اخبار قزوين ج ٢ـ ص ٧٦	توسل بقوله متوسلاً بشفاعته من عنده يوم الجزاء
٧٨_فقيه	الحطابؒ	مواهب الجليل ج٢ـ ص٥٤٥	قال و أمرنا بسؤال الوسيلة
٧٩_فقيه	الزرقانیؒ	شرح الزرقانی ج٢ـ ص ٢٩٧	توسل بقوله بجاه افضل الأنام
٨٠_فقيه	السمهودیؒ	خلاصة الوفا ج٢ـ ص ١٩٤	التوسل والتشفع به ﷺ و بجاهه و ببركته
٨١_فقيه	السيد البكریؒ	اعانة الطالبين ج٤ـ ص ٣٤٤	توسل بقوله بجاه سيدنا محمد ﷺ
٨٢_فقيه	الشربينی الشافعیؒ	الاقناع للشربينی ج١ـ ص ٢٥٨	قال و يتوسل به فی حق نفسه
٨٣_فقيه	الشروانی الشافعیؒ	حواشی الشروانی ج ٦ـ ص ٣٨١	توسل بقوله بجاه محمد سيد الأنام
٨٤_فقيه محدث و أصولی	الشوكانیؒ	البدر الطالع ج ١ـ ص ٤٢٢	توسل بقوله بجاه المصطفیٰ
٨٥_فقيه كبير	الطحطاوی الحنفیؒ	حاشية الطحطاوی جـ ١ـ ص ٣٥٧	توسل بقوله بجاه سيدنا محمد ﷺ
٨٦_فقيه محدث و عالم ربانی	العز ابن عبد السلامؒ	تحفة الاحوذی ص٢٥ ـ ج ١٠	احاز الاقسام بالنبی ﷺ ان صح الحديث والحديث صحيح باعتراف الحافظ ابن تيميه

٨٧_فقيه	الغزى الشافعىؒ	فتح القريب المجيب ص ٧١	توسل بقوله بجاه سيد المرسلين
٨٨_فقيه	القاضى ابو الطيبؒ	المجموع شرح المهذب ج٨_ ص ٢٥٦	ذكر قصة العتبى و اقرها
٨٩_فقيه	القسطلانى الشافعىؒ	المواهب اللدنية ج ٨_ ص٣٠٨	قال و يسأل الله بجاهه
٩٠_فقيه و محدث	الماوردى الشافعىؒ	المجموع شرح المهذب ج٨_ ص ٢٥٦	ذكر قصة العتبى و اقرها
٩١_فقيه	المحب الطبرىؒ	ذخائر العقبى ج ١_ ص ٢٦١	توسل بقوله بمحمد و اله و صحبه
٩٢_فقيه	اليافعىؒ	مرآة الجنان ج٤_ ص ٣٦٢	توسل بقوله وبرسوله
٩٣_فقيه	تقى الدين أبو الفتحؒ	طبقات الشافعية الكبرىٰ ج ٩_ ص ١٨١	توسل بقوله و ارغب إليه بالنبى المصطفى
٩٤_فقيه ومحدث	تقى الدين السبكى الشافعىؒ	شفاء السقام	له كتاب مشهور فى الرد على ابن تيمية فى مسئلة التوسل
٩٥_حافظ محدث	تقى الدين بن دقيق العيد الشافعىؒ	طبقات الشافعيه ج٩_ ص ٢٢١	توسل بقوله اعدلها جاه الشفيع المشفع
٩٦_حافظ محدث	زكريا الانصارى الشافعىؒ	فتح الوهاب ج١_ ص ٢٥٧	قال و يتوسل به فى حق نفسه و يستشفع به إلى ربه
٩٧_المحقق اللغوى	سعد الدين التفتازانىؒ	شرح المقاصد ج٢_ ص ٣٢	و لهذا ينتفع بزيارة القبور

٩٨ـعالم سلفی	صدیق حسن خان	ابجد العلوم ج٣ـ ص ٢٨٠	توسل بقوله بجاه خیر البریة
٩٩ـعالم ربانی و صوفی عظیم	عبد القادر الجیلانی الحنبلیؒ	شواهد الحق ص٩٨	توسل بقوله یا رسول اللّٰه انی أتوجه بك إلی ربی لیغفر لی
١٠٠ـمحدث حافظ	عبد الوهاب الشافعیؒ	طبقات الشافعیه	فیما ذهب إلیه من استحباب التوسل و اقره علیه
١٠١ـمحدث حافظ	عماد الدین عطارؒ	مواهب الجلیل ج٢ـ ص ٥٤٤	قال و امرنا بسوال الوسیلة والسؤال بجاهه
١٠٢ـمحدث فقیه	محمد عمیم الاحسانؒ	قواعد الفقه ج١ـ ص ٢٥٦	توسل بقوله بحرمته سیدنا محمدﷺ
١٠٣ـحافظ محدث	ملا علی القاری الحنفیؒ	مرقاة المفاتیح ج ٣ـ ص ١٦٧٦	قال و كان یستشفع به ﷺ عند الجدوی
١٠٤ـحافظ محدث	القرافیؒ	الذخیرة ج٣ـ ص ٣٧٥	قال بالتوسل و اقر قصة العتبی
١٠٥ـحافظ محدث	السهیلیؒ	الروض الأنف ج١ـ ص ٢٠٨	قال إن عمر اقسم علی اللّٰه بالعباس و بالنبیﷺ
١٠٦ـمحدث	البیضاویؒ	فتح الباری ج١٢ـ ص ٦٢٦	رخص باتخاذ مسجد فی جوار قبور الصالحین بقصد التبرك
١٠٧ـمحدث	ابن عماد الحنبلیؒ	شذرات الذهب ج ١٠ـ ص ١٥٢	قال و قبره یزار و یتبرك به

۱۰۸ـمحدث	الفخر التبريزیؒ	فيض القدير ج٥ـ ص ٤٨٧	كان إذا اشكلت عليه المسائل ذهب إلى قبر شيخه التاج التبريزى و يفكر فيها
۱۰۹ـمحدث	ابراهيم اللقانیؒ	خلاصة الأثر ج١ـ ص ٨	قال و ليس للشدائد مثل التوسل به ﷺ
۱۱۰ـمحدث	أحمد زروق مالكیؒ	شواهد الحق ص٤٥٢	له رد على ابن تيميةؒ مما انكر من مسائل التوسل و الاستغاثة
۱۱۱ـمفسر	الثعالبیؒ	تفسير الثعالبى ج٤ـ ص ٢٥٨	توسل بقوله بجاه عين الرحمة
۱۱۲ـمفسر	الإمام القرطبیؒ	التفسير القرطبى ج٨ـ ص ٢٤٠	توسل بقوله بحق محمد و اله
۱۱۳ـمفسر و فقيه	النسفیؒ	التفسير النسفى	اثبت التوسل بقصة العتبى
۱۱٤ـمفسر وفقيه	الالوسیؒ	روح المعانى ج١ـ ص ٨٢	توسل بقوله بحرمة سيد الثقلين
۱۱٥ـمفسر	الرازیؒ	فيض القدير ج ٥ـ ص ٤٨٧	اقر زيارة القبور و فسر فائدتها
۱۱٦ـ إمام اللغة	ابن منظورؒ	لسان العرب ج١١ـ ص ٧٨	توسل بقوله بمحمد و اله
۱۱۷ـاللغة والفقه	الفيروز آبادیؒ	القاموس	قال بالتوسل فى كتابه الصلاة و البشر فى الصلاة على خير البشر
۱۱۸ـ عالم لغوى	فيومیؒ	مصباح المنير ص٧١٢	توسل بقوله بمحمد و اله

١١٩ـعالم لغوى	هوربنى	اصطلاحات قاموس ص ٢٧	توسل بقوله بجاه النبى
١٢٠ـعالم	الابشهى	كتاب المستطرف ج٢ـ ص ٥٠٨	توسل بقوله سألتك بحق محمد
١٢١ـعالم لغوى	ابن حجة الحموى	خزانة الأدب ج١ـ ص ٢٧٧	توسل بقوله بمحمد و اله
١٢٢ـعالم	قلقشندى	صبح الاعشى ج١ـ ص ٣٠٢	توسل بقوله بمحمد و اله
١٢٣ـالشيخ الكبير	المقرى التلمسانى	نفح الطيب ج١ـ ص ٣٢	توسل بقوله بجاه نبينا
١٢٤ـإمام اللغة	الصرصرى	شواهد الحق للنبهانى ص ٣٦٠	وسل الله عنده و توسل بذاك الضريح
١٢٥ـالشاعر	النابغة		روى ابن عبد البر عنه شعراً فى الاستغاثة
١٢٦ـعارف بالله	البصيرى	صاحب البرده الشريفة	يا اكرم الخلق مالي من الوذ به سواك عند الخ
١٢٧ـالمؤرخ	ابن خلكان	وفيات الاعيان ج٦ـ ص ١٣٢	توسل بقوله بمحمد النبى و صحبه و ذويه
١٢٨ـالمؤرخ	ابن الأثير	الكامل ج١ـ ص ٤٣٣	توسل بقوله بمحمد ﷺ و اله
١٢٩ـالمؤرخ	طاشكبرى	الشقائق النعمانيه ج١ـ ص ٢٣٣	توسل بقوله بحرمة نبيك
١٣٠ـالمؤرخ	ياقوت الحموى	معجم البلدان ج ٥ـ ص ٨٧	توسل بقوله بمحمد و اله
١٣١ـالمؤرخ	ابن تغرى بردى	النجوم الزاهره ج ١١ـ ص ١٠٣	توسل بقوله بمحمد و اله
١٣٢ـالمؤرخ	العيدروس	النور السافر ج١ـ ص ١١٥	توسل بقوله إنى أتوسل بالمصطفىٰ

١٣٣ـ المؤرخ	ابن العديمؒ	بغية الطلب فى تاريخ حلب ج ٧ـ ص ٣٢٤٢	توسل بقوله ببركة سيد المرسلين وأهل بيته
١٣٤ـ المؤرخ	البصرویؒ	تاريخ البصروی ج ١ـ ص ١٥٧	توسل بقوله بمحمد و صحبه
١٣٥ـ المؤرخ	ابن جبيرؒ	راحلة ابن جبير ج ١ـ ص ٩٨	توسل بقوله بحرمته الكريم و بلده الكريم
١٣٦ـ المؤرخ	ناصر خسروؒ	سفرنامه ج ١ـ ص ٦٠	توسل بقوله بحق محمد و اله الطاهرين
١٣٧ـ المؤرخ	نظام الملكؒ	سيات نامه ج ١ـ ص ٤٤	توسل بقوله بحق محمد و اله
١٣٨ـ المؤرخ	البريهیؒ	طبقات ملحاء اليمن ج ١ـ ص ٢٤٨	توسل بقوله بمحمد و اله آمين
١٣٩ـ المؤرخ	الجبرتیؒ	عجائب الآثار ج ١ـ ص ٣٤٤	توسل بقوله و يتوسل إليه فی ذلك بمحمدﷺ
١٤٠ـ المؤرخ	أبو العباسؒ	المغرب الاقصیٰ ج ٣ـ ص ٢٩	توسل بقوله بجاه جده الرسول
١٤١ـ المؤرخ	الواقدیؒ	فتوح الشام ج ٢ـ ص ٩١	توسل بقوله فادعوا و توسلوا إليه بمحمد
١٤٢ـ المؤرخ	حاجی خليفةؒ	كشف الظنون ج ٢ـ ص ٢٠٥٦	توسل بقوله بحرمته آمين
١٤٣ـ المؤرخ	المرادیؒ	سلك الدرر ج ١ـ ص ٢	توسل بقوله فنتوجه اللهم إليك به ﷺ إذ هو الوسيلة العظمى
١٤٤ـ إمام اللغة	الاصفهانیؒ	كتاب الاغانی ج ١٠ـ ص ٣٧٥	توسل بقوله نسألك ...و بحق رسول الله

و هذا الجدول الذى رتبناه لقد نقلنا المعلومات من كتاب "التوسل" للدكتور الشيخ عيسى فمن اراد التفصيل فليرجع إليه.

الميثاق الذى أخذه الله من ذرية آدم:

قال : والميثاق الذى أخذه الله تعالى من آدم و ذريته حق :

الشرح:۔

و نقول العهد الذى أخذه الله من آدم و أولاده ثابت بالكتاب و السنة: قال الله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾(الاعراف:١٧٢) قال الإمام ابن كثير فى تفسيره القرآن العظيم (ج٦/ص ٤٣٣) يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم ، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم و مليكهم ، و أنه لا إله إلا هو ، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك و جبلهم عليه ، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾و فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة) انتهى . و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيئ أكنت مفتديًا به ؟ قال : فيقول : نعم فيقول قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك فى ظهر آدم أن لا تشرك بى شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بى) متفق عليه .

وعن أبى عباس عن النبى ﷺ قال : (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان ، يعنى عرفة ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قِبَلًا .

قال : ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذاغافلين أو تقولوا) إلى قوله المبطلون) رواه أحمد كمانقل ابن كثير ج٦/٤٣٦ . في تفسيره .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة و جعل بين عيني كل إنسان منهم و بيصًا من نور ثم عرضهم على آدم فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلامنهم فأعجبه و بيص ما بين عينيه فقال : أي رب من هذا؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك ، يقال له : داود قال : رب ، و كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة قال : أي رب ، قد وهبت له من عمري اربعين سنة ، فلما انقضى عمر آدم ، جاء ه ملك الموت قال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة قال : أو لم تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته ، و نسي آدم فنسيت ذريته، و خطئ آدم فخطئت ذريته) رواه الترمذي .

و نقل الميداني عن التلويح للسعد في صحيفة ٨١ : ذهب جمع من المفسرين إلى أن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من بعض ، على حسب ما يتوالدون إلى يوم القيامة في أدنى مُدّة كموت الكُل بالنفخ في الصور ، و حياة الكل بالنفخة الثانية ، فصوّرهم واستنطقهم و أخذ ميثاقهم ثم أعادهم في صلب آدم ثم أنسانا بتلك الحالة ابتلاء لنؤمن بالغيب.

و قول السقاف :(في صحيفة ٦٠٦) (و أحسن ما تكلم به على هذه الآية ما فسر به الزمخشري قال : هي من باب التمثيل و التخييل و معنى ذلك أنه تعالى نصب لهم الأدلة على ربوبيته ... الخ)

و هذا التوجيه قد رده الإمام ملا على القاریؒ فقال : و أغرب الدلجی فی أنه بعد ما ذكر الميثاق على الوجه المسطور المطابق لمذهب أهل السنة المؤيد بالأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة مال إلى مذهب المعتزلة و تبع الزمخشری و سائر أهل البدعة حيث قالوا قوله تعالى : (ألست بربكم قالوا بلى) تخييل و تصوير للمعنى ...) و تمامه فی شرح الشفاء للملا على القاری (ج۔ ١ ص۔ ٢٦٣)

مسئلة القدر:

قال: و قد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة و عدد من يدخل النار جملةً واحدةً لايزاد فی ذلک العدد و لا ينقص منه و كذلک أفعالهم فيماعلِم منه أنّهم يفعلونه ، و كل ميسرٌ لما خلق له ، و الأعمال بالخواتيم ، والسعيد من سعد بقضاء الله تعالى والشقی من شقی بقضاء الله تعالى وأصل القَدَرِ سِرُّ الله فی خلقه لم يطلع على ذلک ملکٌ مقرّبٌ و لا نبیٌّ مرسلٌ و التعمق والنظرفی ذلک ذريعة الخذلان ، و سُلّم الحرمان و درجة الطغيان ، فالحذر كُلّ الحذر من ذلک نظرًا أو فكرًا اووسوسة فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ، و نهاهم عن مرامه كماقال فی كتابه (لا يسأل عمايفعل و هم يسألون) فمن سأل : لم فعل فقد ردّ حكم كتاب الله ، و من رَدّ حكم كتاب الله تعالى كان من الكافرين :

الشرح:۔

و لما كانت مسئلة القدر من أساسيات الإسلام و ضرورياتها ، اورد بيانها الإمام الطحاوی فی كتابه منجماً ، ليعتبر بها المسلم و يعض عليها بالنواجذ و يهتم بها و يقدمها على كل شيئ فقال : و نقول قد علم الله تعالى فی علمه الأزلی الذی لم يزل

عليه عدد الذين يدخلون الجنة من الجن والانس فضلاً منه و احسانًا و عدد من يدخلون النار من الجن و الإنس عدلاً منه لا يزاد فى ذلك العدد المعلوم له تعالى و لا ينقص من ذلك العدد و كذلك قد علم الله ما يفعلونه من نفع أو ضرر أو حسنة أو سيئة فكل فريق من الصنفين ييسرون للذى خلقوا له فالذين في علم الله من السعداء يسهل لهم عمل السعداء والذين هم فى علم الله من الاشقياء ييسيرون لعمل الاشقياء، و اعتبار أعمال الإنسان بالخاتمة فالسعادة والشقاء بيد الله و قضائه فهو الذى جعل الإنسان سعيدًا و هو الذى جعل الإنسان شقيًا و حقيقة القدر: علم الله تعالى بما يكون فى مخلوقاته ، ثم إيجاده ما سبق فى علمه أنه يوجد و يعبر عن هذا بقضائه تعالىٰ.

لم يطلع على هذا العلم الذى استأثر الله به أى ملك مقرب إلى الله و لا أى نبى ارسل من جانب الله إلى الخلق لأن الله استبد بهذا العلم الخصوصى والمخلوق أى مخلوق كان بأى صفة كان غير عالم بهذا العلم الخاص بالله ، فمن وجد و اجتهد فى إدراك هذا العلم و كنهه فقد أتخذ سبيلاً لا تعصمه من الشبهة و تَرَقَّى إلى الشقاوة التى لا تصيبه الخير من أىّ وجه أو طريق يتوجه إليه ، و صعدإلى مرقاة الذلل، و أعرض عما عليه الراسخون فى العلم فاجتنب كل الاجتناب من الخوض فى ذلك نظرا فيه أو تفكرًا فيه أو وسوسة تقع فى خلدك فإذا وقعت فى خاطرك فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم و فوض العلم لعالمه بالتصديق فإن الله قد كتم علم القدر عن مخلوقه و نهاهم أن يخوضوا فيه أو أن يطلبوه فقال فى كتابه الكريم : ﴿لا يسأل عما يفعل و هم يسألون﴾(الأنبياء : ٢٣) : أى هو الحاكم الذى لا معقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد ، لعظمته و جلاله و كبريائه و علمه و حكمته و عدله و لطفه ... و هو سائل خلقه عما

يعملون .(تفسير ابن كثير (٣٩٧/٩)

فمن سأل : لم فعل الله ذلك ؟ فقد ضل لأنه قد رد حكم كتاب الله تعالى ، و من رد حكم كتاب الله تعالى كان من الكافرين ، لأن الإيمان بالقضاء والقدر خيره و شره حلوه و مره هو أحد أركان الإيمان الستة .

بعد أن فرغنا من شرح المتن نأت الآن إلى القضاء و القدر لغة و شرعًا ثم نذكر الآيات و الأحاديث و الآثار و أقوال الأئمة في ذلك لنذكر لهذه المسئلة بعض جوانبها المهمة حتى لا تبقى فيها كثير شيئ:

(١) القدر و القضاء لغةً و شرعًا:

ا. القدر لغة : مقدار الشيئ و حالاته المقدرة ووقت الشيئ أو مكانه المقدر له . ففي القدر معنى تبيين الشيئ بمقدار مخصوص. والقضاء لغة: الحكم والأداء ، و جميع معانيه اللغوية ترجع إلى معنى انقطاع الشيئ و تمامه.

ب:. أما معنى القضاء و القدر شرعًا :.فكل من القضاء والقدر يدل على علم الله تعالى بالأشياء منذ الأزل ، ثم التصرف فيها إيجادًا أو اعدامًا بإرادته و قدرته تعالى على وفق علمه القديم بها. قال الله تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ . وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (القمر:٤٩ـ٥٠) فيفهم من الآية الأولى علم الله بمقادير الأشياء في لأزل ، ومن الآية الثانية تصرفه بالأشياء بإرادته و قدرته و كثيرًا ما تستعمل كلتا الكلمتين بمعنى مترادف و لأجل ذلك فقد اختلف العلماء في تحديد معنى كل واحد منهما منفردًا و أيهما يكون أولى ، و لكن بناءً على المعنى اللغوى و ربطه بالمعنى الشرعي فالظاهر أن القدر بمعنى التقدير . يكون أولا والقضاء بمعنى الاتمام و الفراغ

من الشيء أو الأداء والحكم يكون متأخرًا) و لذلك يكون القضاء حتميًا. فالقدر بمنزلة مخطط البناء و القضاء بمنزلة إقامة البناء.

(٢) بعض الآيات في القضاء والقدر:

١. قال الله تعالى:﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الانعام:٥٩)

٢. و قال الله تعالى:﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى .الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى .وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى .وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى.فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾(الأعلى:١،٢،٣،٤)

٣. و قال الله تعالى:﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ .لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد: ٢٢،٢٣)

٤. و قال الله تعالى:﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾(فصلت: ١٢)

٥. و قال الله تعالى:﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ. وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾(القمر:٥٢،٥٣)

(٣) بعض الأحاديث في القضاء والقدر:

١. عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في جنازة فأخذ شيئًا فجعل ينكت به الأرض ، فقال : (مامنكم من أحد إلا و قد كُتب مقعده من النار و مقعده من الجنة) . قالوا : يا رسول الله ! (أفلا نتكل على كتابنا و ندع العمل؟ قال : (اعملوا فكل مُيسر

لما خُلق له ، أما مَن كان مِن أهل السعادة فيُيسر لعمل أهل السعادة و أما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة) ثم قرأ : ﴿فأما من اعطى و اتقى و صدق بالحسنى﴾ (الليل: ٥، ٦)

٢. عن نافع قال : (كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه ، فكتب إليه عبد الله بن عمرؓ : إنه بلغنی أنك تكلمت فی شيئ من القدر ، فإياك أن تكتب الیّ فإنی سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (سيكون فی أُمتی أقوام يكذبون بالقدر) رواه أبو داود.

٣. عن طاوس اليمانی قال سمعت ابن عمرؓ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل شيئ بقدر ، حتى العجز و الكيس) رواه أحمد.

٤. عن أبی هريرةؓ أن النبی ﷺ قال :(المؤمن القوی خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف و فی كل خير ، احرص على ما ينفعك و استعن بالله و لا تعجز ، و إن أصابك شيئ فلا تقل لو أنی فعلت كذا كان كذا و كذا ، و لكن قل : قدر الله و ما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم.

٥. عن علیؓ بن أبی طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا اله و أنی رسول الله ، بعثنی بالحق و يؤمن بالموت و يؤمن بالبعث بعد الموت ، و يؤمن بالقدر خيره و شره) . رواه الترمذی.

٦. عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ (إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات و الأرض بخمسين ألف سنة)رواه مسلم .

٧. و فی حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : (واعلم أن

الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء ، لم يكتبه الله لك ، لم ينفعوك و لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يكتبه الله عليك ، لم يضروك . جفت الاقلام،وطويت الصحف) رواه أحمد.

٨. وثبت من دعاء عمرؓ: اللهم إن كنت كتبتنى فى أم الكتاب شقيًا فامحنى و اثبتنى سعيدًا فإنك تمحو ما تشاء و تثبت.(الدر المنثور)

٩. عن ثوبان أن النبى ﷺ قال : لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر و أن الصدقة لتدفع ميتة السوء) رواه ابن حبان .

أقوال الأئمة فى القضاء والقدر:

١. قال الشاه ولى الله الدهلوى فى حجة الله البالغة: إنما القدر الذى دلت عليه الأحاديث المستفيضة و مضى عليه السلف الصالح و لم يوفق له إلا المحققون ويتجه عليه السوال بأنه متدافع مع التكليف و أنه فيم العمل هو القدر الملزوم الذى يوجب الحوادث قبل وجودها فيوجد بذلك الايجاب لا يدفعه هرب و لا تنفع منه حيلة وقد وقع ذلك خمس مرات :(١). فأولها أنه أجمع فى الأزل أن يوجد العالم على أحسن وجه ممكن مراعيًا للمصالح مؤثرًا لما هو الخير النسبى حين وجوده ، و كان علم الله ينتهى إلى تعيين صورة واحدة من الصور لا يشاركها غيرها فكانت الحوادث سلسلة مترتبة مجتمعًا وجودها لا تصدق على كثيرين فإرادة ايجاد العالم ممن لا تخفى عليه خافية هو بعينه تخصيص صورة وجوده إلى آخر ما ينجر إليه الأمر.

(٢).وثانيها : أنه قدر المقادير ، و يروى أنه كتب مقادير الخلائق كلها والمعنى واحد قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة و ذلك أنه خلق الخلائق حسب

العناية الأزلية فی خيال العرش فصور هنالك جميع الصور و هو المعبر عنه بالذكر فی الشرائع فتحقق هنالك مثلا صورة محمد ﷺ و بعثه إلى الخلق فی وقت كذا و انذاره لهم، و إنكار أبی لهب و احاطة الخطيئة بنفسه فی الدنيا ثم اشتعال النار عليه و هذه الصورة سبب لحدوث الحوادث على نحو ما كانت هنالك كتأثير الصورة المنتقشة فی انفسنا فی زلق الرجل على الجذع الموضوع فوق الجدران و لم تكن لتزلق لو كانت على الأرض.

(٣). ثالثها : أنه لما خلق آدم عليه السلام ليكون أبًا للبشر و ليبدأ منه نوع الإنسان احدث فی عالم المثال صور بنيه و مثل سعادتهم و شقاوتهم بالنور و الظلمة و جعلهم بحيث يكلفون و خلق فيهم معرفته و الإخبات له و هو أصل الميثاق المدسوس فی فطرتهم فيؤخذون به و إن نسوا الواقعة إذا النفوس المخلوقة فی الأرض إنما هی ظل الصور الموجودة يومئذ فمدسوس فيها ما دس يومئذ .

(٤). و رابعها : حين نفخ الروح فی الجنين فكما أن النواة إذا القيت فی الأرض فی وقت مخصوص و أحاط بها تدبير مخصوص علم المطلع على خاصية نوع النخل و خاصية تلك الأرض و ذلك الماء و الهواء إنه يحسن نباتها و يتحقق من شأنه على بعض لأمر فكذلك تتلقى الملائكة المدبرة يومئذ و ينكشف عليهم الأمر فی عمره و رزقه، و هل يعمل عمل من غلبت ملكيته على بهيميته أو بالعكس ، و أی نحو تكون سعادته و شقاوته .

(٥).و خامسها :قبيل الحدوث الحادثة فينزل الأمرمن حظيرة القدس إلى الأرض و ينتقل شيئ مثالی فتنبسط أحكامه فی الأرض . اهـ

٢. و قال الإمام النووي : في شرحه على صحيح الإمام مسلم : اعلم أن مذهب أهل السنة اثبات القدر ، و هو أنه سبحانه و تعالى قدر الأشياء في القدم و علم سبحانه و تعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالىٰ، و على صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه و تعالى و أنكرت القدرية هذا و زعمت أنه سبحانه و تعالى لم يُقدّرها في سابق علمه و أنها مستأنفة العلم ، أي يعلمها سبحانه و تعالى بعد وقوعها ، تعالىٰ ربنا عن أقوالهم الباطلة علوًا كبيرًا ، و سميت هذه الفرقة القدرية لإنكارهم القدر ،و قد انقرضت هذه الفرقة و صارت القدرية في هذا الزمان تعتقد أن الخير من الله و الشر من غيره تعالىٰ الله عن ذلك[1].

٣. يقول الشيخ العارف جلال الدين الرومي :(إن الإنسان مفطور على عقيدة الاختيار و هو يمثل هذه العقيدة و يطبقها في حياته اليومية و يقرر بعمله و سلوكه الاختيار و ينكر الجبر فلا يعاقب الجماد و لا يغضب على الحجر و الخشب و السيل و النار و الريح مهما لحقه الأذى و العنت من هذه الأشياء ، أما إذا اتعرّض إنسان لاهانتك أو هتك عرضك ثرت عليه ، عاقبته عقابًا شديدًا . فدل ذلك على أنك تميّز بين المجبور والمختار ، و تعتقد أن الإنسان صاحب اختيار و ارادة فتحاسبه و تعاتبه و تعاقبه و تشكوه ، و تلومه ، و لا تقبل له عذرًا لأنه مخيّر ليس بمجبور[2].

١ـ شرح العقيدة للميداني (ص ٨٥).

٢ـ عن رجال الفكر والدعوة (ج :١) للسيد أبي الحسن الندوي.

٤. قال الإمام أحمد السرهندى مجدد الف الثانى رحمه الله تعالى: اعطى الحق سبحانه عباده قدرةً و إرادةً يكتسبون بهما الأفعال باختيارهم، فخلق الأفعال منسوب إلى الله سبحانه، و كسبها إلى العباد، و عادة الله جارية على أن العبد إذا اقصد فعل شيئ من أفعاله و تشبث بأسبابه يتعلق بذلك الفعل خلقه سبحانه و تعالى، فإذا كان صدور الفعل من العبد بقصده و اختياره يكون متعلق المدح و الذم و الثواب و العقاب بالضرورة) (الرسالة ٢٦٦)

و قال رحمه الله فى نفس الكتاب فى مكان آخر و فى صفحة ٢٨٩ (إن الاختيار لو لم يكن ثابتًا للعبد حقيقة لما نسبَ الله تعالى الظلم إلى العباد ...)

هل الإنسان مسيرٌ أم مخير:

والإنسان مسيّر و مخيّر فى وقت واحد مسيّر فى الأمور التى لا يملك الاختيار فيها فى لحظة ولادته و لون بشرته، و فى شروق الشمس و غروبها، و مخيرٌ فيما اعطاه الله القدرة فيه على الاختيار، كالإيمان والكفر، والطاعة والعصيان، فالثواب العقاب على ما يجرى فيه اختيار الإنسان، فلا يحاسبه الله سبحانه على عدد دقات قلبه، و لا حركة تنفسه مثلاً لكن يحاسبه على مشيه الاختيارى إلى المسجد أو ملهى، فإذا انعدم الاختيار عند الإنسان لسبب من الأسباب (كاالاكراه والجنون أو صغر السن) فلا ثواب و لاعقاب فالواجب على الإنسان فعل الطاعات و اجتناب المعاصى فالذى يحتج بالقدر على فعل المعاصى خاطئ لأن ذلك الفعل من شأن الكافرين قال تعالى مبينًا قولهم: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ

عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾

و لما جئ إلى عمر بن الخطاب بسارق قد سرق واعترف فقال له عمر ماحملك على السرقة ؟ فقال : حملني عليها قضاء الله و قدره . فقال : و أنا اقطع يدك بقضاء الله و قدره ، ثم أمر به فقطعت يده . فالذى يحتج بالقدر يريد أن يبطل الأمر والنهى اللذين عليهما مدار العبادات و أمور الحلال و الحرام ، و قد أمر الله العباد أن يأخذوا حذرهم من العدو فقال :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ و قال ايضا : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، وقد ظاهر النبى ﷺ بين درعين فى الحرب ، و قد أمر الإنسان بإبتغاء الرزق : قال تعالى :﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾وقال :﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ و كان من هدى النبى ﷺ فعل التداوى و الأمر به لمن اصابه مرض ففى الحديث أن النبى ﷺ قال :(ما نزل من داء إلا و له دواء علمه من علمه و جهله من جهله) .و قال (تداوو لا تداوو بالحرام) فكل ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته و أمر به فإن الواجب على أمته اتباعه ، فالمرض بقدر الله و العلاج والتداوى أيضا بقدرالله كما قال امير المومنين عمر لمابلغه أنه قد وقع الطاعون بشام فامتنع عن دخول الأرض الموبؤة فقال له ابوعبيدة : افرارًا من قدر الله يا عمر! قال :(نعم نفرمن قدر الله إلى قدرالله) و من دعاء النبى ﷺ : (اللهم إنى اعوذبك من العجز والكسل و اعوذبك من الجبن و البخل واعوذبك من غلبة الدين و قهر الرجال) . فالعجز لايعد من التوكل ، فإذا صارحت الشخص مثلاً و قلت له اترك اللحية لأن ترك اللحية سنة اعتذر اليك و قال : إنه أمر مكتوب على ادع الله أن يوفقنى على تركها ، فهذا كذب على القدر من الذى اجبره على أخذ الموسى و حلق لحيته ، و إذا مرض طرق اقطار الأرض مشارقها و مغاربها يبحث عن

طبيب يعالج مرضه و لا يقول لك أن هذا المرض مكتوب عليه فمن يستدل بأنه مسير فإنه من الجبرية القائلين أن الإنسان مجبور محض فى جميع أفعاله كالريشة المعلقة فى الهواء تقلبها الرياح اضطرارًا لا اختيارًا و هذا خطأ فإنه لو كان الإنسان مجبورًا فى تصرفاته فأى فائدة فى ارسال الرسل ؟ و انزال الكتب؟

الفرق بين الإرادة والمحبة والرضا:

فالفرق بين الإرادة والمحبة و الرضا واضح تمامًا فإن الطبيب مثلا يكره أن يجرح يد المريض فيسبب له الآلام، و لكنه يريد ذلك و يفعله ، لأنه يعلم أن هذا الجرح لمصلحة المريض فى استخراج الورم، و لما قدّر الله أن يكون البشر مختارين مريدين ، فقد شاء الله كفر الكافر و عصيان العصاة لمّا اختاروا هم ذلك ، بمعنى أنه أذن لهذا الكفر و العصيان بالوقوع فى ملكه و سلطانه ، و لكن لم يحبّ ذلك منهم ، و لم يأمر هم به قال تعالى :﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (الزمر ٧) و كان الله بإمكانه أن يصرفهم عنه:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(القصص :٥٦) و لكن لما أختاروه هم لأنفسهم أراده منهم بمعنى السماح له بالوقوع فى ملكه و سلطانه .

فلو اختاروا هم الكفر و المعاصى و لم يوقعهما فقد سلبهم حرية الاختيار، و عند ذلك يبطل الثواب والعقاب. و على سبيل المثال : لو أن الله تعالى منع كل من يكفر به من شرب الماء أو من تنفس الهواء فهل يبقى على وجه الأرض كافر حينها؟

و قد قال الله تعالى:﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(الانعام :١٤٩) و لكنه تعالى لم يرد هذا حتى يظهر من يؤمن بإرادته و يفعل الصالحات

باختياره ممن يرتكب الموبقات ، و يؤثر العصيان على الطاعات . و الله تعالى ليس بظلام للعبيد ، و المرء إما أن يسعد نفسه بالطاعة أو يشقيها ، و قال تعالى :﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى .وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى .فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى.وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾(الليل:٥ـ١٠).

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه فى الصحيح: (كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) . و الله تعالى رحيم بخلقه ، لا يضيع إيمانهم و أعمالهم ، فمن أراد الهداية هداه ، ووفقه و أعانه قال تعالى :

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ .﴾(البقرة :١٤٣)

و قال تعالى:﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(يونس:٢٥)

و لأجل ذلك ارسل الرسل و الانبياء و انزل الكتب و الصحف [1] بعد بيان القضاء و القدر و بعض شيئ فى تفصيله نعود إلى قول الإمام و هو: (إنما الأعمال بالخواتيم) فنذكر شيئًا فى الخاتمة:

بعض التفصيل فى الخاتمة

قد نبه الله فى كتابه الكريم جميع المؤمنين إلى أهمية حسن الخاتمة فقال فى محكم كتابه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(آل عمران :١٠٢) .

١ـ و لزيادة التوضيح و التفصيل انظر كتاب "توضيح و بيان" للنداف (١٢٥ إلى ١٥٦) فقد اجاد و افاد و نحن نقلنا منه مع الاختصار و بعض زيادات عليها.

و قال تعالی ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (سورة الحجر:۹۹) فأمرنا الله بامتثال ما أمر به و اجتناب ما نهی عنه ، و الالتزام عليها إلى أن نموت عليها و لرب رجل يجتهد فی الطاعة و يبتعد عن المعصية و لكنه قبيل وفاته يعمل السيئات مما تكون هی السبب فی أن يختم له بخاتمة السؤ و العياذ بالله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (و إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) متفق عليه . و كان فی جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقاتل بشجاعة نادرة ، و كان المسلمون يتعجبون من شجاعته و اصفين شجاعته أمام الرسول صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنه من أهل النار) ثم لما نظروا إليه جرح فی غضون ذلك فقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك :(إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، و هو من أهل النار ، و إن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس ، وهومن أهل الجنة ، (فتح الباری شرح صحيح البخاری ۵۳۸/۷)و كان علی ابن أبی طالب يخاف من اثنين :

طول الأمل ، و اتباع الهوى ، قال : (فأما طول الأمل فينسی الآخرة ، و أما اتباع هوی فيصّد عن الحق و كان يقول :ألا و إن الدنيا قد وّلت مدبرة و الآخرة قد سرعت مقبلة ، و لكل واحدة منها بنون فكونوا من ابناء الآخرة و لا تكونوا من ابناء الدنيا فإن اليوم عمل و لاحساب و غدًا حساب ولاعمل)

و قد كان السلف الصالح يخافون من سوء الخاتمة كثيرًا قال سهل التستریؒ : خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة و عند كل حركة و هم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال :﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ (المؤمنون: ۲۰)

فيجب على الإنسان الابتعاد عن المعاصي لأنه إذا ألف المعاصي فإن الشيطان يستولي بها على قلبه و على تفكيره إلى الموت فإذا حضره الموت و لقن الشهادة طغت المعصية على تفكيره و العياذ بالله فإذا قيل له حين احتضاره قل لا إله إلا الله قال :ما يدور في ذهنه فاحيانا يقول أربعة و نصف أربعة و نصف كما نقل ، وقيل لرجل قل لا إله إلا الله فقال : يا رب قائلة يومًا و قد تعبت : كيف الطريق إلى حمام منجاب ، وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فجعل يغني .

و قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات على شيئ بعثه الله عليه) رواه الحاكم و وافقه الذهبي و صححه على شرط مسلم.

لذلك يجب الحذر من الذنوب أشد الحذر فإن الكبائر موبقات و إن الصغائر مع الإصرار تتحول إلى كبائر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم و محقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود ، و جاء ذابعود حتى انضجوا خبزتهم و إن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه) رواه أحمد.

لذلك على المسلم أن يذكر الله في كل أحيانه فمن داوم على ذكر الله و كان اخر ما يقول عند رحلة من الدنيا لا إله إلا الله ، نال بشارة النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من كان آخر كلامه لا إلا الله دخل الجنة) رواه أبو داود ، و سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال افضل قال : (أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله) . ذكره في المغني لابن قدامة ٢/ ١٤٥ اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها و اجعلنا مع الذين انعمت عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا.

الجوابات لأباطيل السقاف:

نعود مرة أخرى إلى اعتراضات السقاف على أهل السنة والجماعة و نأخذ واحدا بعد واحد و نرد عليها لأنها كالهباء المنثور و لئلاينخدع بها الناس لأن الناس يظنون بكتابه أنه حق مع أن ما ادخره فيه كثير من الباطل و أشرنا إلى أباطيله في أكثر المواضع.

۞-١ . قال السقاف في قول الإمام الطحاوي في صحيفة (٢٧١): "والسعيدمن سعد بقضاء الله و الشقي من شقي بقضاء الله، كلام باطل مردود".

أقول قول الإمام الطحاوي صحيح مطابق مع النصوص : ١ ـ ففي الصحيحين : عن أنس بن مالك رضي الله عنه و رفع الحديث ـ قال : "إن الله (قد) و كلّ بالرحم ملكا فيقول :أي ربّ ! نطفة. أي ربّ! علقة. أي ربّ ! مضغة. أي ربّ ذكرٌ أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمّه" .

٢ ـ و في صحيح مسلم عن طاؤوس : أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : "كل شيئ بقدر حتى العجز والكيس".

٣ ـ و في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :" كتب لله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات و الأرض بخمسين ألف سنة [قال] : و عرشه على الماء."

فكلام السقاف و اعتراضه باطل مردود لأن اعتقاد أهل السنة والجماعة هو أن أفعال العباد من الخير و الشر مخلوقة لله و مع ذلك مكتسبة للعباد و أن لهم نوع اختيار في كسبها و إن كان ماله في الحقيقة إلى إرادته تعالى و خلقه. و مذهبنا لا جبر فيها قطعاً قال الإمام ملا على القاريؒ: و هذا أوسط المذاهب و أعدلها في القضاء والقدر و أوفقها

للنصوص، فهو الحق والصواب ، لا كما ذهب الجبرية إلى أن العباد مجبورون على أفعالهم فيلزمهم أنه لا تكليف.) والآيات التي أوردها السقاف للاستشهاد لا تخالف مسلكنا.

۞-٢. و قول السقاف في عبارة الإمام الطحاويؒ:(وأصل القدر سر) إنما يقولون هذا الكلام لأن تقدير أفعال العباد بالصورة التي يقولونها لا يمكن أن تفهم : لأنها مبنية على التناقضات و هم محتارون في كونها هل هي أفعال العباد أم أفعال الله .....). باطل و نحن كررنا مذهب أهل السنة ، ليس فيه أي تناقض و من يحتار فيه كالسقاف هرع إلى رأي المعتزلة لأن المرء يقيس على نفسه.

۞-٣.و قال السقاف في صحيفة(٢٧١) في قول الإمام الطحاويؒ:(والتعمق والنظر في ذلك ذريعة إلى الخذلان، و سلّم الحرمان... و درجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً.....)" لا أدري كيف يقول المصنف هذا كله بعد ما بين لنا ذلك السرّ.... " .و قوله هذا باطل لأن تصوير المسئلة و بيانها و توضيحها شيئ والتعمق فيها شيئ اخر و الإمام الطحاويؒ علمنّا طريقة الإيمان بالقدر لئلا يذهب أحد إلى مسلك الاعتزال كما ذهب إليه السقاف، و أما التعمق فلم يذهب إليه و هو ممنوع كما قال الإمام و في الحديث إشارة إلى قول الإمام :(إذا ذكر القدر فامسكوا) فكل ما بين لنا الشرع يجب أن نكتفي به، و أما التنقير عن كنهه والتعمق في أبعاده فغير مشروع فما بين لنا الإمام فهو بيان المسئلة و تصويرها و تفهيمها كما جاء ت في الكتاب والسنة.

نقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٧٧/١١) عن ابن السمعاني قال : سبيل معرفة هذا الباب (أي: القدر) التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل (

كـمـا يستعمله السقاف و من اتبعه) فمن عدل عن التوقيف فيه ضل و تاه في بحار الحيرة، و لم يبلغ شفاه العين ، و لا ما يطمئن به القلب ، لأن القدر سر من اسرار الله، اختص العليم الـخبير بـه ، و ضـرب دونـه الأستـار، و حـجبه عن عقول الخلق و معارفهم لما علمه من الـحـكـمة ، و قيـل : إن سـر الـقـدر يـنكشف لهم إذا دخلوا الجنة و لا ينكشف لهم قبل دخولها) . فأهل السنة كلهم متفقون على أن القدر سر من اسرار الله.

۞ـ ٤ .و قـول السقاف : (و كل ذلك ليس إلا فكر الأمويين) فمن أعجب العجاب إذ كيف يـرتبـط عـقيدة أهل السنة والجماعة بفكر الأمويين و ظنه أن أئمة الدين و الفقهاء كـان دينهـم رخيـصاً إلى حد يجعلونه عرضة لا شباع غرائز الحكام، و أكثر هذه التهم تخرج من رؤس الروافض الذين هدموا الدين.فما لهذه الشبهة والسقاف؟!

۞ـ ٥ .و قـال السـقـاف فـي قـول الإمـام الطحاوي رحمه الله (كما قال تعالى في كتـابـه:(لا يسئل عما يفعل و هم يسئلون) فمن سأل لم فعل...) (لا علاقة للآية الكريمة فـي الـقـضية التـي نـحن بصددها و لا في الموضوع الذي نبحث فيه! والتكفير هنا سلاح ارهابي فاشل ينم على أن صاحبه غارق في مصادرة قول مخالفيه بالباطل....)

والـجـواب: أن للآية الـكـريـمة دخـل في هذا الموضوع لأن الغرض من نقل الآية أن كل الـمخلوقات بيد الله و أن الله قدّر كل ما يفعله العباد في الأزل ، و لا أحد من المخلوقات يـعتـرض عـليـه فيـما يفعله لأن المالك الأعلى الخالق الآمر لا يعترض عليه إذا تصرف في ملكه بما يشاء و إنما يعترض على المخلوق المأمور.

و ليـس الإمـام فريداً في نقل هذه الآية في موضوع القدر ألا ترى إلى الحديث الذي روي فـي صحيح مسلم :(عن أبي أسود الدؤلي قال : قال لي عمران بن حصين : أرأيت ما

يعمل الناس اليوم و يكدحون[فيه] أشيئ قضى عليهم و مضى عليهم من قدرٍ قد سبق ، أو فيما يُستقبلون [به] مما أتاهم به نبيّهم و ثبتت به الحجة[عليهم؟] قال : قلت : لا ، بل شيئ قضى عليهم و مضى [عليهم] قال :أفيكون ذلك ظلماً ؟ قال : ففزعت [من ذلك] فزعاً شديداً، و قلت: كل شيئ خلق الله و ملك يده فـ "لا يسئل عما يفعل و هم يسئلون" (الأنبياء :٢٣) فقال : سدّدك الله إنما سألتك لأحرز عقلك ، إن رجلاً من مزينة. أو جهينة أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس [اليوم و يكدحون فيه، أشيئ قضى عليهم ، و مضى فيهم من قدرٍ قد سبق، أ و فيما يستقبلون به] مما أتاهم به نبيّهم [و يثبت الحجة عليهم؟] قال : لا ، بل شيئ قضى عليهم و مضى فيهم و تصديق ذلك فى كتاب الله عزوجل:"و نفس و ما سواها فألهمها فجورها و تقوٰها" [الشمس:٧ـ٨)

فالإمام رحمه الله بيّن العقيدة الصحيحة و نورّها بالآيات و الآثار لكن يحتاج فى فهمها الفهم السليم لا السقيم.

و قوله (والتكفير....) أقول قد رد الإمامؒ على الذين كذبوا بالعلم السابق ، و نفوه ، و قالوا أن الله تعالى لم يقدر الأمور أزلاً و أن الأمر أنفٌ و ليس الإمام فى تزجيرهم وحيداً ففى المؤطأ (٩٠/٢) قال أبو سهيل بن مالك : كنت أسيرمع عمر بن عبد العزيز فقال : ما رأيك فى هؤلاء القدرية؟ فقلت رأيى أن تستتيبهم، فإن تابوا و إلا عرضتهم على السيف ، فقال عمر : و ذلك رأيى ، و قال الإمام مالك و ذلك رأيى)

قال : فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله وهى درجة الراسخين فى العلم لأن العلم علمان علم فى الخلق موجود و علم فى الخلق مفقود فإنكار العلم الموجود كفر و إدعاء العلم المفقود كفر ، و لا يصح الإيمان إلا بقبول

العلم الموجود و ترک طلب العلم المفقود.

الشرح:.

معنى المتن : فهذا الذی ذکرناه و بيناه من التسليم لقضاء الله و حكمه هو الذی يحتاج إليه من الذين طهر الله قلوبهم من أهل الله و خاصته و صفة التسليم مرقاة الذين رسخوا فی العلم الحقيقی لأنهم يعرفون التسليم لقضاء الله و حكمه جيدًا.

قال الله تعالى:﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾(آل عمران:۷).

لأن العلم فی الحقيقة علمان : العلم الموجود المبثوث فی الخلق والعلم المفقود فی الخلق و هذا استأثر بعلمه الرحمن فإنكار العلم الموجود بردّه كفر و جحود بلا خلاف و ادعاء العلم المفقود و هو العلم الخاص به تعالى كفرٌ أيضاً و لا يصح الإيمان إلا بقبول العلم الموجود و العمل بمقضاه و ترك طلب العلم المفقود : بالتسليم و التفويض إلى عالمه.

مسئلة علم الغيب

اعلم أنه أشار الإمام الطحاوی فی عبارته إلى علم الغيب بقوله (علم فی الخلق مفقود) فأود أن أبين علم الغيب لأن اليوم قد كثرفی هذا البحث القيل و القال وضل وتاه فيه كثيرمن العلماء فضلاً عن العوام وأخذوا يقولون ما لا يجوز شرعاً ولاعرفاً فضلوا وأضلوا وأحسن ما كتب فی هذا الموضوع هوصاحب أحكام القرآن ونحن نلخص ما قال فيه فمن رام التفصيل فليرجع إليه (۱٤٥/۳)

(وفيه : الغيب على قسمين ۱ ـ الغيب فی اللغة: هو الغائب عن الحواس قال تعالى

:(أم كـان مـن الـغـائبيـن) ٢ ـ والـغـيـب فـى الشرع : هوما لايدرك بالحواس ، ولايدرك بالدلائل العقلية ، أو التجريبية ، أو الحساب ، أو بشيئ من الأسباب العادية أو الطبيعية .

وعـلـم الـغـيـب الشـرعـى مـخصوص بذاته تعالى وهو مما اتفق عليه جميع فقهاء الأمصار وعلى هذا هو الإجماع، فما يدرك بإحدى الحواس أو بالدليل العقلى أو التجربة أو الـحسـاب أو شيئ من الأسباب العادية أو الطبيعية لم يكن غيباً بهذا المعنى ١ ـ قال فى الـنبـراس ،حـاشية شـرح الـعقائد : والتحقيق أن الغيب ما غاب عن الحواس والعلم الـضـرورى والـعـلـم الاسـتـدلالى ، و قد نطق القرآن بنفى علمه عمن سواه تعالى ، فمن ادعـى أنـه يعلمه كفر و من صدق المدعى كفر ، و أما ما علم بحاسة أو ضرورة أو دليل فـليـس بـغـيـب ، و لا كـفـر فى دعواه و لا فى تصديقه على الجزم فى اليقين و الظن فى الـظـنـى عـنـد المحققين ، و بهذا التحقيق اندفع الاشكال فى الأمور التى يزعم أنها من الغيب و ليست منه ، لكونها مدركة بالسمع أو البصر أو الدليل :.

١ :. فـاحـدها: أخبار الأنبياء عليهم السلام لأنها مستفادة من الوحى ، أو من خلق العلم الضرورى منهم أو من انكشاف الكوائن على حواسهم .

٢ :. ثانيها : خبر الولى لأنه مستفاد من النبى اومن رؤيا صالحة ، أو من الهام أو من النظر إلى اللوح المحفوظ ، هو ثابت من أهل الكشف و إن منعه بعض الفقهاء .

٣ :. ثالثها :. اخبار الحاسب بالكسوف و الخسوف لأنه بدلائل هندسية قطعية.

٤ :.رابـعها :اخبار المنجم و الرمال : لأن النجوم و الرمل علمان استدلاليان منزلان عـلى بعض الانبياء ثم اندرسا و خلط الناس فيهما ، فمن استدل بقاعدة نبوية اصاب فى الخبر.

٥:.خامسها : خبر الكاهن لأنه مما يخبره الجن عن مشاهدة أو سماع عن الملائكة الذى عرفوا الكوائن المستقبله بالوحى .

٢ـ وفى روح المعانى : (وبالجملة : فعلم الغيب بلا واسطة كلا أوبعضا مخصوص بالله جل وعلا لا يعلمه أحد من الخلق أصلا)

والأيات الواردةفى ذلك كثيرةترجع إلى ثلاثة أصول :

١ ـ ما ذكرفيه إختصاصه تعالى بعلم الغيب مطلقاً من دون استثناء .

٢ ـ ما ذكر فيه استثناء من رسول .

٣ ـ ما ذكرفيه إختصاصه جل وعلا بمفاتيح الغيب الخمسة أوببعض منها خاصة وكل ذلك متناسق يفسر بعضهم بعضاً.

الدليل من الكتاب والسنة وفقهاء الاسلام على أن الغيب الشرعى مختص بالله عزوجل :

١ .الأيات:

١:.﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(الأنعام)

٢:.و قوله تعالى:﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(لقمان)

٣:.و قال تعالى:﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة)

٤:.و قال تعالى:﴿لَا يَعْزُبُ عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض و لا فى

السماء﴾(یونس)

٥:.و قال تعالی:﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (الطلاق)

٦:.و قال تعالی:﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾(الجن)

فهـذه الآيات وغيرها تدل علی أن العلم المحيط الكلی بحيث لا يعزب عنه مثقال ذرةمما كان أو يكون مطلقاً إنما هو من صفات الله المخصوصة الممنوعة عن الغير .

٢ـومن السنة :

١ ـ عن عائشة رضی الله عنها فی حديث طويل قالت:(من حدثك أن محمدًا صلی الله عليه وسلم يعلم الغيب فقد كذب و هو يقول : لايعلم الغيب إلا الله).[رواه البخاری)

وفی رواية عنها:(من زعم أنه يخبر الناس بما يكون فی غد فقد أعظم علی الله الفرية ، والله يقول: ﴿لا يعلم من فی السموات و من فی الأرض الغيب إلا الله﴾ ([تفسير ابن جرير ، سورة النمل]

٣ـ أقوال الفقها فی ذلک :

١ـقال الإمام النووی فی فتاويه : معناها لا يعلم ذلك استقلالا وعلم إحاطة بكل المعلومات(لا يعلم) إلا الله تعالی ، وأما المعجزات والكرامات فبإعلام الله تعالی لهم (كما)علمت و كذا ما علم بإجراء العادة (كذا فی الفتاوی الحديثية). وقال العلامة ابن حجر المكی فی الفتاوی الحديثية بمثله (ص۔٢٢٣).

٢ ـ وقال العلامة المفتی أبوالسعود فی تفسير قوله تعالی : "عالم الغيب فلا يظهر علی غيبه

أحـداً" : الـفـاء لتـرتيب عدم الإظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الإطلاق أى فلا يطلع علـى غيبـه اطـلاعـاً كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافاً تاماً موجباً لعين اليقين أحداً من خلـقـه إلا مـن ارتـضى من رسول ، أى إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسـالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقاً تاماً ، إما لكونه من مبادئ رسالته بأن يـكون معجزة دالة على صحتها ، وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التـى أمـر بهـا المكلفون، و كيفيات أعمالهم وأجزيتهم المترتبة عليها فى الآخرة ، وما تتوقف عـليه من أحوال الآخرة التى بيانها من وظائف الرسالة [وأما ما لايتعلق بها على أحد وجهين مـن الـغيـوب و من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحداً أبداً على أن بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التى يدورعليها تلك الرسالة ، وليس فيه ما يدل على نفى كرامات الأولياء الـمتعلقة بالكشف ولا يدعى أحد من الأولياء ما فى مرتبةالرسل عليهم السلام من الكشف ، الكامل الحاصل بالوحي الصريح- انتهى.

٣ـ قـال العلامة العابدين الشامى بعد نقله فى رسالته ـ سل الحسام الهندى- حاصله : أن الله سبـحـانـه وتعالى منفرد بعلم الغيب المطلق المتعلق بجميع المعلومات ،وإنه إنما يطلع رسله على بعض غيوبه المتعلقة بالرسالة اطلاعاً جلياً واضحا لاشك فيه بالوحى الصريح، ولا ينافى ذلك أن يـطـلـع بـعـض أوليـائه على بعض ذلك إطلاعاً دونه فى الرتبة، فمن ادعى علم بعض الـحـوادث الغائبة بالوحى من أهله أوبكشف من ذوى الكرامات فهوصادق ، ودعواه جائزة لأن مـا اختص به تعالى هوالغيب المطلق على أن ما يدعيه العبد ليس غيباً حقيقة ، لأنه يكون بإعلام من الله تعالى ـ انتهى.

٤ـ وقـال الـنسـفـى فـى تفسيرقوله تعالى : "إلا من ارتضى من رسول": أى رسولا قد ارتضاه

لعلم بعض الغيب (مدارك). وقال ابن رشد : ليس قول الرجل : الشمس تكسف غداً بعلم الحساب ، كقول فلان يقدم غداً في جميع الوجوه، لأن دعوى الكسوف ليست من علم الغيب، لأنه يدرك بالحساب فلا ضلال فيه ولا كفر لكن يكره الاشتغال به،لأنه مما لا يعني ولأن الجاهل إذا سمع به ظن أنه من علم الغيب ، فيزجرفاعله ويؤدب عليه ـ انتهى (كذا في رسائل ابن عابدين ٢:٥:١٣١٥).

٥ـ وقال العلامة علي القاري رحمة الله في المرقاة: إن للغيب مبادي ولواحق فمبادية لايطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وأما اللواحق فهوما أظهر اللّٰه تعالى على بعض احبابه من لوحة علمه ، وخرج ذلك عن الغيب المطلق وصارغيباً إضافياً ـ انتهى.

٦ـ وقال الإمام ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى :"لا يجليها لوقتها إلا هو" : إنه أمرمن الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ بأن يجيب سائليه عن الساعة ، بأنه لا يعلم وقت قيامها إلا الله الذي يعلم الغيب ، وأنه لا يظهر لوقتها ولا يعلمها غيره جل ذكره(كذا في ابن جرير٩: ٨٨).

٧ـ وقال الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثيرفي تفسير قوله تعالى : " يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله " : يقول تعالى مخبراً لرسوله صلوات الله وسلامه عليه : إنه لا علم له بالساعة، وإن سأله الناس عن ذلك ، وأرشده أن يرد علمها إلى الله عزوجل كما قال في سورة الاعراف وهي مكية وهذه مدنية فاستمرالحال فيرد علمها إلى الذي يقيمها (تفسيرابن جرير) ـ و بمثله صرح عامةالمفسرين .

٨ـ وقال العلامةعلي القاري في شرح الشفاء : والحاصل أن الأنبياء لم يعلموا المغيبات من الأشياء إلا بما أعلمهم الله تعالى أحياناً ،وقد صرح علمائنا الحنفية بتكفير من اعتقد أن النبي

ﷺ يعلم الغيب ، لمعارضة قوله تعالى :"قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله" كذا فى المسامرة لابن الهمام (شرح شفا ص-٤٦٩).

٩-وقال البغوى فى تفسيرقوله تعالى :"ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء": فيطلعه على بعض علم الغيب- انتهى.

١٠- وقال البيضاوى فى تفسير هذه الآية : لكن الله يجتبى لرسالته من يشاء فيوحى إليه ويخبره ببعض المغيبات .

١١- وقال فى الموضوعات الكبيرلملا على القارئ : ومن اعتقد تسوية علم الله تعالى ورسوله يكفر إجماعاً .

١٢- وقال فى الروضة فى كلام طويل على هذه المسئلة : وينتج من هذا فالخواص يجوز أن يعلموا الغيب فى قضية أو قضايا كما وقع لكثير منهم واشتهر،والذى اختص إنما هو علم الجميع وعلم مفاتيح الغيب (كذا فى رسائل ابن عابدين ٢:٣١٥).

(التوضيحات و أجوبة بعض الإعتراضات فى مسئلة علم الغيب):

١- الأول : فما يخبر به بعض الأطباء عن ذكر أوأنثى بحسب التجارب والعلامات والأسباب الطبية ، وما يخبر به أهل الفلسفة الحديدة من وقت نزول الغيث ، ومكانه ومقدار المطر بواسطة ما يشاهد من الأبخرة المرتفعة من البحر، ثم حركتها إلى قطرمن الأقطارو كيفية حركتها وثقلها ، وكذلك ما تدعيه أصحاب القوة الخيالية المساة بالمسمريزم من العلم بالمغيبات فإنها ليست من الغيب المذكورفى شيئ وليس علمهم بها علما حقيقياً يقينياً ، وإن هم إلا يظنون ظناً، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً . فإن كل ما يخبرون به من المغيبات هو بدلالة التجارب والعادات بواسطةالقوة الخيالية فلم يكن غيباً بالمعنى المذكور . ثم العلم

الحاصل به أيضا ليس العلم الحقيقي بل أكثرما يدعونه أوهام وضلال اتخذوه أحبولة لصيد الجهلة من الناس .

٢ـ الثاني: الفرق بين الغيب وانباء الغيب :

إن اختصاص الله تعالى بعلم الغيب لا ينافي اطلاع نبيناﷺ وسائرالأنبياء عليهم السلام على آلاف آلاف مغيبات بإيحائه سبحانه وتعالى إليهم ، وقد وردت به نصوص القرآن حيث قال تعالى في غيرآية :"تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك " فظهر أن أنباء الغيب يؤتى للأنبياء وهي غيرعلم الغيب المختص به تعالى.

نعم ! لايوصل لهم العلم الكلي المحيط بجميع المغيبات مما كان أويكون ، حتى يساوي علمهم بحسب الكمية بعلم الله تبارك وتعالى . وذلك لدلالة النصوص على اختصاصه تعالى بالعلم المحيط الكلي بحيث لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، كماثبت اختصاصه تعالى بعلم الغيب بالذات . فالآن لم يبق إلا إثبات هذين الاختصاصين بنصوص القرآن والحديث.

٣ـالثالث : أن حصول بعض المغيبات لبعض العباد أمر، وتسميته لأجل ذلك "عالم الغيب" أمر آخر، فالأول جائز ثابت كما مر، والثاني لايجوز أصلا . وحاصله : أن الرسل والأولياء الذين يعلمون بعض المغيبات بإعلام الله سبحانه وتعالى لا يجوز تسمية أحدهم عالم الغيب .

٤ـالرابع: استدلال بعض الجهلة على أن نبيناﷺ يعلم الغيب كله مما كان أويكون ، بحيث لا يعزب عنه مثقال ذرة بقوله تعالى : "وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً " زعماً منه أن لفظة "ما" عامة يقتضي شمول جميع ما كان وما يكون باطل وجهل بأساليب القرآن ،أولا يرى إلى قوله تعالى : "علم الإنسان ما لم يعلم" و إلى قوله تعالى : ويعلمكم ما لم

تكونوا تعلمون " و إلى قوله تعالى :"وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباء كم"؟ فإنها إن كان كما زعم ذلك الجاهل لزم أن يكون كل إنسان علمه محيطاً لجميع ما كان ومايكون، وهو كما ترى يمجه كل طبع سليم.

واستدلاله أيضا بقوله تعالى :"ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيئ" وقوله تعالى: "مافرطنا فى الكتاب من شيئ " وقوله تعالى :"ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيئ " . يظهر جهله بأساليب القرآن بل ومن المحاورات الرائجة فى كل مكان.

أولا ترى إلى قوله تعالى فى ملكة سبا "وأوتيت من كل شيئ" أفكان عند بلقيس جميع دواب البحر والبر ،وجميع حشرات الأرض ،وجميع الأشياء التى تكونت بعدها من المراكب الدخانية والبابور والراديو والتلفون وأمثال ذلك؟ ومثله قوله تعالى :"ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن وتفصيلا لكل شيئ " "وكتبنا له فى الألواح من كل شيئ موعظة وتفصيلا لكل شيئ " فإنه يستلزم على زعم ذلك أن يكون موسى عليه السلام أيضا يعلم جميع ما كان وما يكون مع أن واقعته مع خضر عليه السلام ترده رداً واضحا . فظهر أن المراد كل شيئ يناسبها ، فكذلك القرآن العظيم نزل تبياناً لكل شيئ يحب معرفته ويناسب شأنه ، لا بأن فى يوم كذا تتولد من الذباب كذا ومن البعوض كذا وتموت كذا . على أنه لوسلمنا عموم الأشياء كلها فكان معناه أن القرآن نزل ببيان كل شيئ،وحينئذ لايختص هذا العلم بالنبى الكريم ﷺ بل يعم لكل من قرأ القرآن وعلمه مؤمناً كان أوغيرذلك ،وهو كما ترى.

وتمسك بعضهم بما ذكره القسطلانى فى المواهب "إن الله تعالى رفع إلى الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة " رواه عن ابن عمررضى الله عنه ، وبما فى

المشكوة عن معاذ بن جبل رضى الله عنه فى رؤيا النبى ﷺ قال فيه: " فإذا أنابربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة فقال :يا محمد قلت : لبيك رب ، قال: فيم تختصم الملأ الأعلى قلت :لاأدرى ـقالها ثلاثاً . قال : فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله بين ثديى فتجلى لى كل شيئ وعرفت ،فقال : يا محمد ،قلت :لبيك رب قال : فيما تختصم الملأ الأعلى؟ قلت فى الكفارات " الحديث (مشكوة آداب المساجد)

قلت أولا: إنها روايات ضعيفة لايحتج بمثلها ولا سيما فى معارضة نصوص القرآن والأحاديث الصحاح، فقد قال فى كنز العمال فى الحديث الأول المروى عن ابن عمررضى الله عنهما : إن سنده ضعيف ، وكذلك البيهقى ضعف الحديث الثانى ، وقال : قد روى من طرق كلها ضعاف ، وفى ثبوته نظر . وثانياً بعد تسليم الصحة : فهما من أخبارالآحاد لايعارضان الكتاب.

وثالثا: إن المراد بكل شيئ هى الأشياء المناسبة لذلك المقام لا جميع الخلائق بحيث لاتشذ عنها شاذ كما يشهد له حديث الرؤية ، فإن الكلام كان فيما تختصم فيه الملأ الأعلى وفيه كان قوله عليه السلام : "لا أدرى" ثم بعد وضع كفه تعالى تجلى له كل شيئ من ذلك حتى عرف أن خصامهم فى الكفارات.

ورابعاً بعد تسليم الكل : لا يستلزم تجلى الأشياء كلها عند أحد إحاطته بقضها وقضيضها ،وعلمه بما فى بواطن الأشياء أوظواهرها . فإن التجلى معناه الظهور فربما يظهر لأحد بلدة كبيرة بتمامها ، إذا صعد إلى منارة أو جبل والبلد جميعه يكون بمرآى عين منه ، ويجوز له أن يقول : رأيت البلدة بتمامها ، ولكنه لا يستلزم إحاطته علما بجميع ما فيها ، ولا سيما ما فى بواطن البيوت وطبقات الأرض.

وخامساً: لو سلم إحاطته بالجميع في حين التحلى ، فلا يستلزم ذلك بقائه أبداً. كيف وقد تواتر النصوص وروايات الحديث بأشياء لم يكن ﷺ مطلعاً عليها إلى وفاته بل وفي الحشر أيضا . انظر إلى قوله تبارك وتعالى :"يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لاعلم لنا" الآية كيف خرج جميع الرسل صلوات الله عليهم أجمعين في المحشر بعدم اطلاعهم على تفاصيل أعمال أممهم ، وقد روى البخارى عن سهل بن سعد رضى الله عنه وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهم بأسانيد متعددة واللفظ لأبى هريرة "أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : "يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى فيحلئون عن الحوض فأقول : يا رب أصحابى فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك" الحديث (كذا في البخارى كتاب الحوض ٢:٩٧٤).

وقد روى عنه ﷺ في غزوة الأحزاب "أنه كان يريد أن يعلم أخبار الأحزاب في ليلة باردة ممطرة فجعل ينادى مرة بعد مرة من يذهب إلى الأحزاب فيخبرنى ما ذا صنعوا؟ حتى سمى حذيفة رضى الله عنه فذهب وجاء بخبرهم" وكذلك روى البخارى وغيره "أنه عليه الصلوة والسلام كان يبعث جواسيس ليعلم أحوال الكفار" وكذلك في غزوة حديبية "لما اشتهر الخبر عن قتل عثمان رضى الله عنه أساءه عليه الصلاة والسلام ذلك، وأخذ البيعة من المؤمنين على الموت ثم ظهر أنه حى".

وقد لبث عليه الصلاة والسلام في غم وهم في واقعة الإفك، ولم يطلع على حقيقة حال إلا بعد مجئ الوحى ونزول البراءة ، وكان عليه الصلوة والسلام في قلق لما سأله قريش عن أصحاب الكهف حتى نزل الوحى ، وكذلك لما تعنت القريش في السوال عن أحوال بيت المقدس قلق حتى كشفه الله تعالى عليه فكانت معجزة ، وأمثال ذلك من

الحوادث الكثيرة الواردة في صحاح الروايات، ولا حاجة إلى استيعابها . فلو كان ﷺ (يعرف) جميع ما كان وما يكون بحيث لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ،كيف وقعت هذه الوقائع التي صرحت بعدم إطلاعه ﷺ على أشياء؟

و أما تكفير من أثبت علم الغيب لغير الله:

و أما تكفير من أثبت علم الغيب لغير الله تعالى ففيه تفصيل : وهو أن من ادعى لأحد غير الله سبحانه و تعالى علم الغيب بلا واسطة، أو علما محيطاً كلياً بجميع ما كان و ما يكون ، بحيث لا يعزب عنه مثقال ذرة، علما مساوياً للحق جل مجده في الكيف أو الكم ، و لم يحتمل كلامه تأويلا ، فهو كافر إجماعاً لإشراكه بالله تعالى في صفة من صفاته المخصوصة غيره تعالى ، و لمعارضته الآيات الدالة على اختصاصه تعالى بالغيب.

و من ادعى علم بعض الغيوب بإعلام الله تعالى لأحد من رسله أو أصفياء عباده ، و سماه لأجل ذلك"عالم الغيب" أو قال : "إنه يعلم الغيب" فهو مبتدع آثم ، لأنه أساء الأدب في حق الله سبحانه و تعالى في هذه التسمية كما يقول السيد لمملوكه :"عبدي" أو المملوك لسيده:"ربي" أو كما يسمي بعض الخلائق :"رحمانا" أو :"رزاقاً" و أمثال ذلك من الأسماء التي اختصت بذاته تعالى و سبحانه ، و لم يرد الشرع بإطلاقها على غير الله تعالى مثل الرؤف و الرحيم و أمثالها. و هذا كما في الفتاوى الحديثية لابن أمير الحاج المالكي في من قال : النجوم تدل على كذا لكن بفعل الله تعالى يجري الأمر في خلقه : إنه بدعة من القول منهي عنه ، فيؤدب و لا يكفر . و مثله ما مر عن ابن رشد أن الجاهل إذا سمع به ظن أنه من علم الغيب فيزجر فاعله ، و يؤدب عليه (كذا في رسائل ابن عابدين ٢:٣١٥) . فما وقع في كتب الحنفية و غيرهم من حكم التكفير على من أثبت الغيب لأحد فهو محمول على

الصورة الأولى لا الثانية). انتهى

٢ـ و قال الشيخ العلامة مفتى فريدؒ فى "المقالات" (ص:١٢): (اعلم أن علم الله ذاتى و دائم و محيط و علم ما سوى الله من المخلوقات غير ذاتى . قال الله تعالى : (و ما بكم من نعمة فمن الله)[سورة النحل] و ليس علم المخلوقات دائمى لأنهم لا يعلمون قبل خلقهم و بعد خلقهم زماناً، و كل إنسان يساوق النسيان ، و لما يصل الإنسان إلى أرذل العمر يبدأ علمه بالزوال ، و ليس علم المخلوقات كلى قال الله تعالى: (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) [سورة الأنعام] وقال رسول الله ﷺ :(مفاتيح الغيب خمس، إن الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الارحام و ماتدرى نفس ما تكسب غدا ، و ما تدرى نفس بأي أرض تموت). (رواه البخارى)

وقال رسول الله ﷺ : (قال خضر لموسى و ما علمك و علمى و علم الخلائق فى علم الله إلا مقدار غمس هذا العصفور منقاره . (رواه البخارى) ففى هذا الحديث التصريح أن علم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام و معلوماتهم بالنسبة لعلم الله و معلوماته كالعدم، و قال رسول الله ﷺ : (اللهم إنى اعوذبك من علم لا ينفع.(رواه مسلم) فبناء على تعوذ الرسول ﷺ من العلم الذى لا ينفع كيف يكون علم الرسول ﷺ كليا. فمن اراد التفصيل فى هذا الموضوع فليراجع له كتاب "المقالات".

و فى "المقالات" (ص: ٢٠) : (أقسام النداء لغير الله: ١ ـ أن يرى النبى ﷺ أو غيره اسطة الكشف فيناديه فهذا جائز. ٢ـ أن ينادى رسول ﷺ بإعتقاد أن الملائكة يبلغون نداء ه و هذا جائز فى الصلاة و السلام فقط. ٣ـ أن ينادى غير الله بزعم أن الله يبلغ ندائى إليه فهذا موهم للشرك. ٤ ـ أن ينادى شوقا و محبة كأنه حاضر عنده(المنادى) فيخاطبه فهذا

ليس بشرك و لا موهم الشرك بل هو معمول و متعارف عند الجميع ٥ ـ أن يناديه بإعتقاد أن مناديه يعلم الغيب أو العلم الكلي فهذا شرك جلي يجب الاجتناب عن أهل البدع و الشرك.

و لما كانت البريلوية تثبت علم الغيب للرسول ﷺ نود أن نذكر فيها بعض الأسطر حتى لا يغتر بها أحد ولأن فيها إنحرافاتٌ إعتقادية و عملية.

البريلوية:

كانت نشئتها شبه القارة الهندية في أواخر القرن التاسع عشر مؤسسها : أحمد رضا خان ولد في مدينة بريلي عام ١٨٦٥م في ولاية اترپرديش و توفي ١٩٢١م . عاش في العصر الذي استولى الإنكليز على الهند ، و كانت سياسة الإنكليز شراء ضمائر أو التنكيل و تفريق كلمة المسلمين حتى يشتغلوا بأنفسهم ، و يحكمهم بالسهولة فاختاروا لمهمّتهم غلام أحمد القادياني ، و أحمد رضا البريلوي فكان أحمد رضا يسمي مخالفيه الذين يدعون الناس إلى جهاد الإنكليز الوهابية ، و كتب فتوى بعدم جواز الجهاد ضد الإنجليز هم

معتقدات البريلوية :

١ ـ إن الله اعطى القدرة للانبياء والأولياء والصالحين و يقول البريلوي : (إن مفاتيح الكون في يد رسول الله و هو مالك الكل، إنه النائب الأكبر للقادر و هو الذي يملك كلمة كن فيكون) (عن الأستمداد على أجيال الارتداد ص ٢٢) و عقيدتنا أن الإختيار الكلي مع الله سواء كان تكوينيا او تشريعيا لم يعطِ الإختيار بما فوق الاسباب لأحد.

٢ ـ علم الغيب للأنبياء وقد قال في(جاء الحق ص ٤٣) إن رسول الله يعلم الغيب الماضي والمستقبل و يعلم أكثر ما في اللوح و يعلم علم الساعة)

٣ ـ الرسول ليس بشراً بل نور الله: يقول البرياوي: الحمد لله الذي خلق الأشياء نور نبينا من

نوره، وفتق الأنوار جميعاً من لمعان ظهوره ، فهو من نور الأنوار ، و ممد جميع الشموس والأقمار، سماه ربه في كتابه الكريم نوراً و سراجاً منيراً ، فلو لاه لما استنارت شمس ، و لا تبين يوم من أمس ، و لا تعين وقت الخمس (نفى الطب من مجموعة رسائله ص١٩٩)

٤ـ إن الرسول حاضر في كل مكان و زمان و ناظر كل شيئ: يقول البريلوى في (الملفوظات ص١١٣) ما يلي : إن الأولياء يستطيعون الحضور في عشرة آلاف مدينة في آن واحد و ثانية واحدة إن شاؤا و أرادو. و يقول: أما روح النبي فانها حاضرة في بيوت أهل الإسلام(خالص الاعتقاد ص ٤٠) و يقول : إن نظرة رسول الله ﷺ على كل ذرة من ذرات العالم في كل حين، و إنه يحضر تلاوة القرآن ، و قراءة المولد ، و قراءة القصائد ، كما أنه يحضر جنازة الصالحين بجسمه الأطهر.(جاء الحق ص ١٥)

٥ـ يعتنون أشد الاعتنان بالبناء على المقابر والمشاهد و يفرضون عليها النذور والقرابين ثم يقيمون عليها الأعياد و الأفراح و يضيؤن القناديل والشموع على هذه المشاهد و يلتزمون بالقيام على المولود النبوى .

٦ـ تكفير المسلمين : هذه النحلة لم يفلت منها أحد إلا و كفرها حتى كفروا فيلسوف الإسلام محمد اقبالؒ و كفرت كل من يخالفها أو يعترض عليها في اعتقادها و كفرت ندوة العلماء و كل أهل السنة والجماعة .

و مما قال البريلوى عن جماعة ندوة العلماء من آل الندوى:("آل الندوى هى الشركة المبيدة ـ أى المهلكة ـ و كلهم يروحون إلى الجحيم . و أصدر فتوى أخذ عليها تواقيع أكابر طائفته في تكفير علماء ندوة العلماء ، و سماها "إلجام السنة لأهل الفتنة" (تجانب أهل السنة ص ٩٠)

٧- تعطيل الجهاد ضد الإنكليز و ذلك بوسليتين:

الأولى : كان عصر البريلوى عصر الثورة على الإنكليز لإخراجهم من الهند، و ذلك لأن الإنكليز وعدوا الهند بالحرية عام ١٩١٧، و فى نهاية الحرب ١٩١٨ نكسوا لعهدهم فتحركت القوى الوطنية: كحزب الخلافة، و المجاهدين الموحدين، جمعية العلماء، و مجلس أحرام الإسلام، و حزب الرابطة المسلمة، و نيلى بوش من المسلمين و حزب الغاندين، و آزا و هند فوج و حزب غاندى من غير المسلمين، مما أقض مضجع الإنكليز فحرك أتباعه البريلويين و ذلك بالهجوم على كافة القوى الوطنية المسلمة فكفروهم و أنصارهم و ركزوا هجومهم على الوهابيين،(أهل السنة والجماعة) فأفتوا بأخذ الجزية منهم، و استرقاق نسائهم، و حرمة مناكحتهم، و عدم أكل ذبائحهم، و عدم الصلاة على ميتهم، كما لا يجوز محادثتهم و مجالستهم، حتى لا يتأثر أحد بدعوة الجهاد التى قادوها .

أما الوسيلة الثانية ففتواه بتحريم الجهاد و من فتاويه:

أ - إن الهند ليست بدار حرب إنما هى دار إسلام فلا يجوز إعلان الجهاد فيها و ألّف فى ذلك رسالة سماها (إعلام الأعلام بأن هندوستان دار الإسلام).

ب- و رد على المطالبين بجهاد المستعمرين لإعادة الخلافة: بأن الخلافة لا تكون إلا فى قريش، و العثمانيون ليسوا قريشيين، لذا فان دعوة الجهاد لإعادة الخلافة ليست مشروعة.

جـ- و ردّ على دعوة الفئات الإسلامية المجاهدة بمقاطعة الإنكليز و عدم التعامل معهم بفتواه التى ضمنها كتيبه (المحنة المؤتمنة فى أية الممتحنة ص ١١٥) بقوله : إن المعاملة الدنيوية التى لا تضر بالدين ليست ممنوعة مع أحد سوى

المرتدين...(و مراده الديوبندية).(١)

الإيمان باللوح والقلم:

قال : و نؤمن باللوح و القلم بجميع ما فيه قد رقم.

الشرح:ـ

و نؤمن باللوح المحفوظ و كذلك نؤمن بالقلم ، و نؤمن بكل ما كتبه الله في اللوح المحفوظ .

واللوح : جسم عظيم نوراني كتب فيه القلم بإذن الله ما هو كائن إلى يوم القيامة .

والقلم: جسم عظيم نوراني خلقه تعالى .

فنؤمن بأنهما مخلوقان لله تعالى موجودان ثابتان كما جاءت النصوص فيهما:

أما الكتاب : قال الله تعالى :﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ـ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾(البروج :٢٢/٢١) وقال تعالى:﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (القلم:١)

و أما السنة :

١:. أخرج أبو الشيخ بسند جيد عن ابن عباس قال : خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق : اكتب علمي في خلقي فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة.[الدر المنثور للسيوطي]

و أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : إن لله لوحًا محفوظًا مسيرة خمسمائة عام،

---

١ ـ انظر المذاهب والأفكار المعاصرة في التصوّر الإسلامي لمحمد الحسن ص ١٧١ و ما بعدها مع التصرف.

من درة بيضاء، له دفتان من ياقوت، والدفتان لوحان، لله كلّ يوم ثلاث و ستون لحظة يمحوا ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب.[الدر المنثور للسيوطى]

و أخرج الحاكم و صححه عن ابن عباس قال: لا ينفع الحذرُ من القدر، و لكنّ الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر.[الدر المنثور للسيوطى]

و قال رسول الله ﷺ: (إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب فقال: رب و ما ذا اكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيئ حتى تقوم الساعة) رواه أبو داود .و له شواهد فى مسند أحمد و البيهقى فى الأسماء و الصفات وغيرهما.

دفع الإعتراض على شعر الإمام البوصيرى:

تنبيه: الذين يعترضون على شعر الإمام البوصيريؒ و يقولون أى علم ابقى لله فى قوله:

فإن من جودك الدنيا و ضرتها
و من علومك علم اللوح و القلم

فليس بشيئ لأن علم الله غير مختص باللوح والقلم فقط (و معلوم أن ما كتب فى اللوح إلى قيام الساعة) و لأن علم الله غير محدود.

أورد الحافظ ابن حجر حديث خضر و موسى عليهما السلام ثم قال: (و قد وقع فى رواية ابن جريج بلفظ احسن سياقًا: (ما علمى و علمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره من البحر).

و قال الإمام الكوثرى فى مقالاته فى معرض رد المعترضين على الإمام البوصيريؒ:

[ص٢٨١] و ليس الغيب كله و لا العلم كله ما فى اللوح فقط حتى يلزم من نفى العلم بالغيب نفى علم ما فى اللوح، لأن النفى فى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾

مع فرض التغاضي عن الاستثناء مسلط على مصدر مضاف ـ اعني غيبه ـ و هو من ألفاظ العموم فيفيد سلب العموم لا عموم السلب، فيكون المعنى نفى علم جميع الغيب لا نفى علم شيئ من الغيب كما حققه السعد في شرح المقاصد، على أن العلم بإعلام الله لا يكون من الغيب في شيئ.

بحث القدر:

قال: فلو اجتمع الخلق كلهم على شيئ كتبه الله فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، جفّ القلم بماهو كائن إلى يوم القيامة. و ماأخطأ العبد لم يكن ليصيبه، و ماأصابه لم يكن ليخطئه و على العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل شيئ كائن من خلقه، و قدر ذلك بمشيئته تقديرًا محكمًا مبرمًا، ليس فيه ناقض و لا معقبّ و لا مزيل و لا مغيّر و لا محول و لا زائد و لا ناقص من خلقه من سمٰواته و أرضه و ذلك من عقد الإيمان و أصول المعرفة و الاعتراف بتوحيد الله و ربوبيته، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وخلق كل شيئ فقدره تقديرًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ ،فويل لمن صار لله في القدر خصيمًا، و احضر للنظر فيه قلبًا سقيمًا لقد التمس بوهمه في محض الغيب سرًا كتيما و عاد بما قال فيه أفاكًا اثيمًا.

الشرح:ـ

فلو احتمع المخلوق كلهم على شيئ من الأشياء المكتوبة الثابتة في اللوح ليمحوه عنه لم يستطيعوا ان يفعلوا ذلك حف مداد القلم الذى كتب الصحف التى فيها مقادير الكائنات إلى يوم القيامة، و فيه اشارة إلى قطعة الحديث الذى رواه الترمذى و

قال فيه حسن صحيح : "رفعت الأقلام و جفت الصحف" ، و نؤمن بأن نجاة العبد من مشكلة أو مصيبة لاجل أنها لم تكن مقدّرة عليه لتصيبه لكونها غير مقدرة عليه ، و ما اصابه من المقدرات [المصائب] لم تكن مقدرةً على غيره بل كانت له فى تقديره لذا لم ينج منه إذ لا يصيب الإنسان إلا ما قدر له من خير أو شر ، ذلك لأن المقدرات سهام صائبة و جهت من الأزل فلا بد أن تقع مواقعها و فى قول الإمام اشارة إلى الحديث الذى رواه أحمد أنه ﷺ قال :

(إن لكل حق حقيقة و ما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، و ما اخطأه لم يكن ليصيبه و يدل على قوله قول الله تعالى :﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾،و قول الله تعالى:﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾.

و فى رواية الحاكم: (احفظ الله تجده أمامك ، تعّرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة) . و فى الترمذى: (إن الله إذا احب قومًا ابتلاهم فمن رضى فله الرضا و من سخط فله السخط) .

و قال الإمام الشافعىؒ :

و لرب حادثة يضيق بها الفتى	ذرعًا و عند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها	فرجت و كان يظنها لا تفرج

❁❁❁

فالواجب على عبد الله أن يعلم ذلك جيدًا أن الله عالم بما قدر له من الحكمة و بين كمية كل شيئ موجود من جميع خلقه قدره و قضاه ذلك بإرادته تقديرًا مضبوطاً محكما

أمره ، و أنه ليس لأحد أن ينقض حكمه .

١. و النقض : انتشار العقد من البناء والحبل ٢. والعقد وهو ضدالابرام. ولا أحد يبحث عن فعله و لامزيل و لا مبدّل و لا مغيّر و لا زائد و لا ناقض من جميع خلقه في سماواته و أرضه فمعرفة الرب على هذه الصفات من عقد الإيمان، و من أصول المعرفة الاعتراف بتوحيد الله بأنه هو الخالق للمخلوقات بأسرها من غير تأثير لأحد غيره في ربوبيته فإنه المتصرف في ملكه كما يشاء كما قال تعالى:في كتابه العزيز:(وخلق كل شيئ فقدره تقديراً أي كل شيئ مما سواه مخلوق مربوب ، و هو خالق كل شيئ و ربه و مليكه و إلهه و كل شيئ تحت قهره و تسخيره و تدبيره و تسخيره .(ابن كثير ٢٨٤/١٠)

و قال تعالى (و كان أمر الله قدرًا مقدورًا) أي و كان امره الذي يقدره كائنًا لا محالة وواقعًا لا محيد عنه و لا معدل فما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن (تفسيرابن كثير ١/٤/١١) فتبأ للذي صار يجادل الله عزوجل في القدر و يحضر قلبًا مريضًا للتفكر فيه فإنه بذلك لقد طلب بوهمه العاجز عن إدراك كل شيئ في الغيب المحض السر المكتوم الذي لايعلمه إلا الله و عاد بما قال في القدر كذابًا مفتريًا على الله عزوجل عاصيًا لم يلتزم حكمه تعالى في عدم الخوض في هذه المسائل الغامضة .

وبعد أن فرغنا من شرح المتن ننقل اليك بعض أقوال العلماء في مسئلة القدر لإزدياد البصيرة في هذه المسئلة العميقة:

١. قال العارف الكبير جلال الدين الرومي : إن الله وهب الإنسان الأعضاء والجوارح و مواهب و طاقات ، فدّل ذلك على أنه يريد منه السعي و الجهد ...فالتوكل الصحيح أن لا نقصّر في جهدنا ، ثم نعتمد في نتيجة السعي على الله تعالى، فالسعي

شكر لنعمة القدرة و الجبر كفران لهذه النعمة ...فاكسب و صّب عرق الجبين ، ثم توكل على الرزاق ذى القوة المتين إن السعي والكسب سنة الأنبياء والمرسلين. و إن الدنيا ليست الذهب و الفضة والأهل و الأولاد إن الدنيا المذمومة الغفلة عن الله ، قال رسول الله ﷺ (نعم المال الصالح للرجل الصالح)

إنّ تعطل الصالحين و قعودهم عن الجهاد ، و توّكلهم العجمى الذى لايتفق و تعاليم الإسلام أفضى إلى سيادة الفساق و الظالمين ، الذين سفكوا دماء الأبرياء و قتلوا العلماء و الصلحاء ، و جاروا فى الحكم، و خانوا فى أموال الناس(١).

فوائد الإيمان بالقضاء والقدر:

١. الإيمان بالقضاء والقدر يورث القلب الطمأنينة ، فما دام المرء يعلم أن كل شيئ بقدر الله تعالى و الله حكيم رحيم ، فحينئذٍ تطمئن النفس ، فلا تخاف من المجهول ، تتجه إلى احسان العمل حتى تستمطر الطاف الله تعالى فى قضائه وقدره.

٢. الإيمان بالقضاء والقدر يحارب الخوف و الجزع عند المصائب ، و ينمى الصبر والتحمل للشدائد: فمن يؤمن بأن حدوث الحوادث خاضع لإرادة الله الحكيمة و مستند إلى التقدير و القضاء الالٰهى لا يخشى الأحداث المؤلمة ، و لا ينهار أمامها ، و لا يتملكه الجزع واليأس . لذا رأينا الانتّحار يقلّ فى الأمم المؤمنة بالقضاء رغم فقرها . فى حين يكثر فى الأمم الكافرة رغم غناها... كالدول الغربية .

٣. والإيمان بالقضاء والقدر يورث المؤمن الشجاعة والإقدام ، لأن المؤمن يعتقد أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له .

١ـ المثنوى ٢٧ـ٣٨ـ١٣١ من كتاب رجل الفكر لسيد الندوى الجزء الأول.

٤. و الإيمان بالقضاء والقدر يحمي المؤمن من الكبر والغرور والخيلاء: فالمؤمن بأقدار الله لا تخدعه ملذّات الحياة و أفراحها، ولا يصيبه الغرور والخيلاء عندها، لأنه يعلم أنها حصلت بتقدير الله و توفيقه فلا يتخذ النعم الإلهية سُلّمًا للتفاخر و الإستعلاء [1].

جوابات إعتراضات السقاف فى بحث القدر

۞-١- و قال السقاف فى قول الإمام الطحاوى :(فلو اجتمع الخلق كلهم على شيئ قد كتبه الله تعالى فيه..........) ما قاله هنا صحيح إلا كلمة"كتبه".

أقول: و كلمة "كتبه" صحيحة لا شك فيها و هى وفق النصوص، والمراد منها الكتابة المعهودة فى صحيفة الإنسان.

ففى صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبى ﷺ قال:"يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقّر فى الرحم بأربعين أو خمسة و أربعين ليلة، فيقول أى ربّ:أذكر أم أنثى؟ فيكتبان و يكتب عمله و أثره [و أجله] و رزقه، ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها و لا ينقص" و الأحاديث فى هذا الباب كثيرة فلم يحرف السقاف كتاب الإمام الطحاوى و عباراته؟!!

و لم يقل الإمام بالجبر لأن عقيدة أهل السنة أن الجبر الذى يسلب الإختيار غير صحيح.

و قال الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله فى كتابه فتح البارى(١١/٤٧٧) فى شرح أحاديث القدر :"والمراد أنه يكتب لكل أحد إما السعادة و إما الشقاء.... ثم قال: و أما صفة الكتابة فظاهر الحديث أنها الكتابة المعهودة فى صحيفة، ووقع ذلك صريحاً فى

---

١. انظر كتاب "توضيح و بيان للنداف" (ص: ١٢٨)

رواية لمسلم فى حديث حذيفة بن أسيد "ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها و لا ينقص" و فى رواية الفريابى "ثم تطوى تلك الصحيفة إلى يوم القيامة" ووقع فى حديث أبى ذر "فيقضى الله ما هو قاض فكتب ما هو لاقٍ بين عينيه".

فبطل اعتراض السقاف و توجيهه و تصحيحه بدون مبرر. و بطل كذلك مذهب القدرية التى يثبتها السقاف.

۞ـ٢ـ و قول السقاف عند قول الإمام الطحاوىؒ: "جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة" إذا أريد بذلك علم الله تعالى بما سيحدث و ما هو مدوّن فى اللوح المحفوظ فنعم".

أقول: نعم علم الله مع تقديره الخير و الشر للعباد فيما يفعلونه معاً، وإنه اتبع فى القدر المعتزلة الذين يفسرون بأهوائهم القضاء بعلم الله تعالى زاعمين أن العبد يخلق أفعال نفسه الإختيارية، و إرادة الله لا تتعلق بها، لإستقلال قدرة العبد عندهم بالإيجاد و التأثير فى أفعاله لذلك فسر السقاف هنا القضاء بالعلم طبقاً لمسلك المعتزلة وأتهم مسلك أهل السنة والجماعة بالجبر مع أنى كررت مراراً أن عقيدة أهل السنة و الجماعة هى أن الله سبحانه و تعالى مريد لجميع الكائنات بمعنى أنه خالقها و مقدرها و أن جميع الخير و الشر بتقدير الله و إيجاده لا كما تقول القدرية أن فعل العبد من قبل نفسه و لا كما تقول الجبرية أن الكل فعل الله و ليس للمخلوق فيه تأثير أصلا فمذهب أهل السنة هو التوسط بين هاتين النحلتين. فيرون أن كل شيئ بقضاء و قدر الله و للعبد اختيار فى أعماله التكليفية، و به يثاب و يعاقب.

۞ـ٣ـ و قول السقاف:(أن هذا حديث أحاد لايرد ماقررناه).

فالجواب: أن ما ثبت بهذا هو الذى ثبت بالكتاب و بكثير من الأحاديث الأخرى و هو عقيدة أهل السنة والجماعة ،و قد تلقته الأمة بقبول هذا الحديث فلا يضره هذا الوصف و إجماع الأمة على ذلك سوى من شذ و لا يضرنا مخالفتهم.

۞..٤ ـ و قول السقاف :(وفى سنده الزهرى و راويه أبو هريرة الزهرى مشهور بالإدراج)

فالجواب: أولا: أن الحافظ ابن حجر قال فى فتح البارى (٤٩٢/١١) : (و وقع لفظ "جفّ القلم" ايضا فى حديث جابر عند مسلم "قال سراقة يا رسول فيم العمل أفيما جفّت الأقلام و جرت به المقادير) "الحديث".

وفى حديث عبد الله بن جعفر عند الطبرانى فى حديث "و اعلم أن القلم قد جُفّ بما هو كائن" و فى حديث الحسن بن على عند الفريابى "رفع الكتاب و جَفّ القلم" فبنفى الزهرى عن هذه الرواية نفى اعتراضه.

ثانياً : و أما اشتهار الزهرى بالإدراج لايلزم منه أن هذا الحديث مدرج لأن أحداً من المحدثين لم يصرح بأن هذا الحديث مدرج ، و إذا رفع الأمان من أحاديث الزهرى فلم نفل الجهابذة أحاديثه علا أنه راوى الصحيحين؟

و أما أبو هريرة رضى الله عنه صحابى مشهور لا يقدح فى عدالته أحد

۞..٥ ـ و قال السقاف فى قول الإمام الطحاوى رحمه الله :(و ما أخطأه لم يكن ليصيبه، و ما أصابه لم يكن ليخطئه) هذه هى قضية الكتب و الكتابة التى يزعمونها بالمعنى الذى يريدون ! و أصلها الإختلاف فى معنى قوله تعالى(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) و نحن نقول بأن معنى كتب"علم" لاننا نعلم أن العبد غير مجبر...)

أقول :إن قول الإمام الطحاوى قطعة من الحديث و قد أخذ غالب عبارات كتابه من القرآن فى كتابه أو الحديث و قد نقل فى الفتح البارى(٤٩٠/١١) الحديث بسندين صرح بهذا اللفظ و إليك ما فيه:"و قد أخرج أحمد و أبو يعلى من طريق أيوب بن زياد عن عبادة بن الوليد بن العبادة بن الصامت حدثنى أبى قال : "دخلت على عبادة و هو مريض فقلت أوصنى فقال : إنك لن تطعم طعم الإيمان و لن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره و شره و هو أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك و ما أصابك لم يكن ليخطئك" (الحديث) و فيه إن مت و لست على ذلك دخلت النار" و أخرج الطبرانى من وجه اخر بسند حسن عن أبى إدريس الخولانى عن أبى الدرداء مرفوعاً مقتصراً على قوله:"إن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و ما اخطاه لم يكن ليصبيه"

و قوله : (بأن معنى علم كتب) فى قول الله تعالى :"قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) باطل هل يدل على هذا المعنى بالمطابقة أم بالتضمن أم بالالتزام؟ و لو رجعنا إلى التفاسير لوجدنا خلاف قوله هذا.

قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره (/ ٦٦) : "ثم قال تعالى:(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) القول الأول : أن المعنى أنه لن يصيبنا خير و لا شر، و لا خوف و لا رجاء، و لا شدة و لا رخاء، إلا و هو مقدر علينا مكتوب مقضياً به عند الله، فإن ما سواه ممكن، و الممكن لا يترجح إلا بترجيح الواجب، و الممكنات بأسرها منتهية إلى قضائه و قدره و اعلم أن أصحابنا يتمسكون بهذه الآية فى أن قضاء الله شامل لكل المحدثات و أن تغير الشيئ عما قضى الله به محال.... إلى أن قال : و لهذا المعنى قال النبى ﷺ

جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.....

و ثانيها : "أن الله تعالى لما كتب جميع الأحوال في اللوح المحفوظ فقد علمها و كتبها ، فلو وقع الأمر بخلافها لزم انقلاب العلم جهلا".

فأين الذين ذهب اليه السقاف و أصحابه المعتزلة؟

و قوله : (و قد ورد في القرآن استعمال كتب بمعنى علم قال الله تعالى:"و الله يكتب ما يبيتون"(أي يعلم ما يبيتون).

أقول : و هذا مما لا اتفاق عليه، و قد نقل الإمام فخر الدين الرازي عن إمام اللغة في هذه الآية وجهين:(أحدهما أن معناه ينزل إليك في كتابه. والثاني : يكتب ذلك في صحائف أعمالهم ليجازوا به)

فهذا إمام التفسير نقل عن إمام اللغة أن معناه خلاف ما يقوله السقاف، و إن ذهب أحد المفسرين إلى هذا المعنى فرضاً ففي الشاهد الذي أورده و لا يضرنا لا في أصل الآية التي فيها نزاعنا و هو (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) فهي باقية على المعنى الذي يقول به أهل السنة لا المعتزلة علا أن السقاف لم يذكر التفسير الذي ذكر هذا المعنى الذي أخذه من هذه الآية.

و قوله : (معناها التشجيع والحث....) ، قلنا لا نسلم سوق الآية لهذا الغرض بل إذا علم الإنسان أن الذي وقع امتنع أن لا يقع زالت المنازعة عن النفس و حصل الرضا به ، فلا دلالة فيه ما يريده السقاف.

و قوله :(العلم عندنا لا يقتضي الجبر...)

أقول : و لم يقل الإمام بالجبر قط حتى يتوجه قوله إلينا.

۞-٦- و قال السقاف: (في قول الإمام الطحاوي رحمه الله: فقدّر ذلك تقديراً محكما مبرماً ليس فيه ناقض) التقدير بمعنى الجبر و الإلجاء و نفي الاختيار أمر مرفوض بل باطل).

أقول:أن مذهبنا هو أوسط المذاهب كما كررنا و أوفق للنصوص ، ولا نذهب إلى ما ذهب إليه الجبرية أن العباد مجبورون على افعالهم فيلزم أنه لا تكليف و إليك الدليل قال الله تعالى:(ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في انفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) أي نخلقها فالله قدر الكائنات في الأزل. و في صحيح مسلم :"كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات و الأرض بخمسين ألف سنة، قال و عرشه على الماء" و لما ثبت ما قال الإمام الطحاوي بالقرآن والحديث بطل ما قال السقاف في رمينا بالجبر و هو افتراء على أهل السنة و الجماعة ، وكما بطل ذلك بطل إخراج أفعال العباد عن الآية والحديث الذي ذكرنا هما.

۞-٧- واستدلال السقاف بقوله تعالى :(اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) فصلت : ١١٤) غير صحيح فإن المراد فيها التهديد لا التخيير و نظيره ما يقوله الملك المهيب عند الغضب الشديد إذا أخذ يعاقب بعض عبيده ثم يقول لهم اعملوا ما شئتم فإن هذا مما يدل على الوعيد الشديد كما قال في التفسير الكبير(٥٦٨/٩)

۞-٨- و قال السقاف في قول الإمام الطحاوي رحمه الله :(و ذلك من عقد الإيمان و أصول المعرفة و الاعتراف بتوحيد الله و ربوبيته) ليس كذلك إلا أنه ليس من الإيمان حقاً الإعتقاد أن العبد مجبور مكره لا يستطيع أن يعمل باختياره)

أقول: لم يقل الإمام الطحاوي أن العبد مجبور لا يستطيع أن يعمل بإختياره و قد رددنا هذا الإدعاء بالدلائل الدامغة، و قول الإمام الطحاوي وفق النصوص :(و في مجمع الزوائد: و قال

النبى ﷺ :"القدر نظام التوحيد، فمن وحدّ الله ، و امن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى)
فهذا ما قاله الإمام الطحاوى رحمه الله و اثبته فماله يخطأ صحيح الكتاب؟!

۞-٩- و تمسك السقاف والمعتزلة بقول الله تعالى :"و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و ما شاء فليكفر" باطل لأن المراد من الآية التهديد والوعيد لا التخيير كما ذكر فى التفاسير.

۞-١٠- و أما استدلاله بالآية :(إنا هديناه السبل إما شاكراً و إما كفوراً) غير صحيح لأن الآية دليلنا ذلك لأن فيها أن الشكر بتوفيق الله تعالى و الكفران بخذلانه قال فى التفسير الكبير(٧٤٢/١٠): "و يتأكدُ هذا التأويل بما روى أنه قرأ أبو السمال بفتح الهمزة فى (أما) و المعنى أما شاكر فبتوفيقنا و أما كفوراً فبخذلاننا، قال المعتزلة هذا التأويل باطل).

۞-١١- و قال السقاف فى قول الإمام الطحاوى رحمه الله :(كما قال تعالى فى كتابه :(و خلق كل شيئ فقدّره تقديراً) هذه الآية الكريمة ليست دليلاً لما يريده المصنف اثباته من أن أعمال العباد مقدّرة عليهم و هم مجبورون.........)

والجواب أن فى الآية دلالة على أنه سبحانه و تعالى خالق لأعمال العباد من وجهين:
١ . أن قوله :(و خلق كل شيئ) يتناول جميع الأشياء و تأتى فى جميع الأشياء أفعال العباد
.٢ـ أن الله تعالى بعد أن نفى الشريك ذكر ذلك و بقى جواب سؤال و هو أن هناك أقوام يعترفون بنفى الشركاء و مع هذا يقولون إنهم يخلقون أفعال أنفسهم فذكر الله هذه الآية لتكون جواباً لهذا السؤال المقدر.[1]

١ـ انظر التفسير الكبير (٤٣٠/٨)

۞ ١٢٠ ـ و قال السقاف : (فالكلام ليس على ظاهره بل مخصوص إن قلنا بأن معنى (تقديرا) أى بقدر ، بأن المراد بذلك غير أفعال العباد لأن ما قبلها و هو قوله تعالى:(خلق كل شيئ) مخصوص أيضا و مستثنى منه ! فالله شيئ(قل أى شيئ أكبر شهادة قل الله) والقرآن شيئ و هم يغالطون و يقولون بأن القرآن غير مخلوق.....)

أقول : هذا الاستدلال الذى قدمه السقاف من أعجب العجائب و هو من المغالطات التى يتفطن لها كل أحد فقوله (و خلق كل شيئ) مخصوص لأن هذه الآية مثل قول الله تعالى(إن الله على كل شيئ قدير) و الآيتان تتعلقان بالمخلوقات قال الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين (٢٥/١) : (قوله (على كل شيئ قدير شاءه) قيد بذلك لإخراج الواجب ،و هو ذاته و صفاته فإنهما من جملة الشيئ إذ هو الموجود لكنهما ليسا من متعلقات الإرادة فالمراد بقوله (شاءه) أن من شأنه أن يشاءه و ذلك هو الممكن)

و لا يخفى على أحد أن الكلام فى الممكنات لا فى الواجب ، و قولنا أن كلام الله غير مخلوق صحيح لأن القرآن بالمعنى القديم وصف الله و الله مع صفاته قديم فأى اشكال فى هذا و فى عون المريد(٥٦٣/١) والعجيب أن المعتزلة في استدلالهم على بدعة خلق القرآن قالوا: إن الله تعالى قال :(الله خالق كل شيئ) والقرآن شيئ فيكون داخلاً فى عموم (كل) فيكون مخلوقاً و فى أفعال العباد قالوا: (إنما يخلقها العباد، و لا يخلقها الله تعالى، إذ ليست بشيئ ، و لا تكون على هذا داخلة فى عموم (كل) فهم قد اخرجوا أفعال العباد فى المخلوقات و كأنها ليس بشيئ وادخلوا القرآن كلام الله فيها واعتبروه شيئاً يطالبه عموم (كل) مع أن القرآن صفة من صفات الله ، و ليست بمخلوقة صفاته و عموم (كل) فى كل موضع بحسبه ، و يعرف هذا بالقرينة ، ففى قوله تعالى "الله

خالق كل شيئ" أي: كل شيئ مخلوق فالعموم يشمل أفعال العباد ، لأنها حادثة ، و لعموم تعلق القدرة، و في قوله تعالى "تدمرّ كل شيئ بأمر ربها" أي :كل شيئ يقبل التدمير بالريح عادة ، فلم تدخل الريح نفسها في التدمير)

و في فتح الباري(١١-٤٧٧) و أخرج مسلم من طريق طاوس:"أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيئ بقدر وسمعت عبد الله بن عمر يقول"قال رسول الله ﷺ كل شيئ بقدر حتى العجز و الكيس"…. ثم قال: و معناه أن كل شيئ لا يقع في الوجود إلا و قد سبق به في علم الله و مشيئته ، و إنما جعلها في الحديث غاية لذلك للإشارة إلى أن أفعالنا و إن كانت معلومة لنا و مرادة منا فلا تقع مع ذلك منا إلا بمشية الله ، و هذا الذي ذكره طاؤوس مرفوعاً و موقوفاً مطابق لقوله تعالى "إنا كل شيئ بقدر خلقناه" فإن هذه الآية نص في أن الله خالق كل شيئ و مقدره و هو أنص من قوله تعالى "خالق كل شيئ" و قوله تعالى :" والله خلقكم و ما تعملون"

و اشتهر على ألسنة السلف و الخلف أن هذه الآية نزلت في القدرية….. و مذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله) فثبت أن ما اعترض السقاف على الإمام الطحاويؒ باطل و أن الآية دليل لأهل السنة و الجماعة لذا يفر منه السقاف و يحملها على محامل غير صحيحة انتصاراً لمذهب الاعتزال.

۞-١٣- و قال السقاف: (وقوله تعالى "و كان امر الله قدراً مقدوراً" هنا الكلام عن أمر الله تعالى بأفعال العباد؟! و هل معاصي الإنسان و فسقه من أمر الله ؟! "قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون" … إلى أن قال "ففسد بذلك استدلال المصنف على ما يريد!!)

أقول : استدلال المصنف بهذه الآية صحيح لاغبار عليه و ذلك لأن المراد من الآية أن كل شيئ بقضاء و قدر لأن الله خلق المكلف بحيث يشتهي و يغضب ، ليكون اجتهاده في تغليب العقل و الدين عليهما مثابا عليه بأبلغ وجه فأفضى ذلك في البعض إلى أن زنى و قتل فالله لم يخلقها فيه مقصوداً منه القتل و الزنى و إن كان ذلك بقدر الله). (١)

۞-١٤- و قال السقاف في قول الإمام الطحاوي رحمه الله :"فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً" هذا تهويل فارغ لا معنى له و هو مبني على حديث باطل......)

والجواب أن مسئلة القدر مهولة جداً و على قول الإمام الطحاويؒ قد دلت النصوص الكثيرة ، و أقوال السلف و أئمة الإسلام، و ليس في هذا الموضوع حديث واحد حتى يبطل به دعواه ، و ببطلان حديث واحد لا يلزم منه نفي حقية الإمام الطحاوي رحمه الله.

١. ففي صحيح مسلم : (نقل جواب ابن عمر رضي الله لرجال رؤا القدر : قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريئٌ منهم ، و أنهم برآء مني . والذي يحلف به عبد الله ابن عمرؓ ! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.....)

٢. و في سنن أبي داؤد : عن نافع قال : كان لابن عمرؓ صديق من أهل الشام يكاتبه فكتب إليه ابن عمرؓ أنه بلغني أنك تكلمت في شيئ من القدر فإياك أن تكتب إليّ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنه سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر)

فمقصد الإمام الطحاويؒ و ابن عمرؓ شيئ واحد و هو أن هذه المسئلة مبهمة لا يجوز

١- و للتفصيل في هذا الموضوع انظر التفسير الكبير (١٩ : ١٧٠).

الخوض فيها و لا التعمق فيها ، و لأهمية المسئلة فإنها لاشك فيها أنها مهولة واقعية حقيقية وتلخص من هذا أن الذى يقول بالقدر والجبر صارلله تعالى خصيماً.و استدلال السقاف و إخوانه من المعتزلة بهذه الأية و رمى أهل السنة بالجبر باطل لأن في صدر الأية الرد على الجبرية لأن فيها أن للعبد إختياراً و قدرة على وجه يقطع محبته و عذره فى المخالفة و العصيان و أما عجز الأية فإن فيها الرد على القدرية و يثبت فيها نفوذ مشيئة الله تعالى فى العبد و أن جميع أفعاله طبق المشيئة الالهية. (١) فعصم الله أهل السنة من شر الجبر والقدر معاً و بطل افتراء السقاف على أهل السنة و رميهم بالجبر.

۞-١٥- و قال السقاف فى قول الإمام الطحاوى رحمه الله (و قول المصنف عائبا على من لا يقول بخلق الأفعال و لا بالجبر (لقد التمس بوهمه فى فحص الغيب سراً كيتما) من العجب العجائب!! إذ كيف يكون مخالفوه عندما يتكلمون فى هذه المسئلة قد خاضوا فى سر كتيم و لا يكون هو و من يوافقه فى رأيه يخوضون فى سر كتيم الذين يخوضون فى الجبر و يحتجون بالغيب و علم الله ....) الخ.

أقول : نعم الذين يخوضون فى الباطل من الجبرية والقدرية و يخالفون أهل السنة فى عقيدتهم و يحرفون الأيات والأحاديث و أقوال الأئمة والفقهاء و ينكرون عقيدة السواد الأعظم و يردون على العقيدة التى اتفق عليها أهل السنة و الجماعة فهم الذين يخوضون فى الباطل و أما أئمة أهل السنة كالإمام الطحاوىؒ فهو يبين لنا العقيدة الصحيحة لئلا يغتر أحد برأى المعتزلة القدرية والجبرية فإعطاء الحق لشيئ و تبيينه و توضيحه للناس غير

١ـ انظر تفسير روح المعانى (٢٩٥/٤).

الذى ينشر الباطل و الآراء الهوائية ، و الضلالة فمن لم يعرف الفرق بين الحق و الباطل تاه و لم يحصل المراد فأهل الحق يردون على الجبر و القدر معاً قال الإمام النووى رحمه لله فى شرح مسلم(١٩:١) واعلم أن مذهب أهل الحق اثبات القدر و معناه أن الله تبارك و تعالى قدر الأشياء فى القدم و علم سبحانه أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه و تعالى و على صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها سبحانه تعالى ، و انكرت القدرية هذا و زعمت أنه سبحانه و تعالى لم يقدرها.....) فهذا هو مذهب أهل الحق و أين الذى ذهب إليه السقاف؟!!

بيان العرش والكرسى:

قال : والعرش والكرسى حق . و هو عزوجل مستغن عن العرش و ما دونه ، محيط بكل شيئ و بما فوقه ، و قد اعجز عن الاحاطة خلقه .

الشرح:.

و نقول العرش والكرسى ثابتان بالكتاب و السنة ،والله عزوجل مستغن بذاته عن العرش غير محتاج إليه و لا إلى غيره من المخلوقات محيط علمه بكل شيئ حواه و بما فوقه وبما تحته و ما والاه و هو سبحانه قد اعجز عن الاحاطة بكنهه خلقه سبحان من لا يبلغ الواصفون وصفه، و قد ورد ذكر العرش فى القرآن الكريم فى ايات كثيرة :

١ . قال الله تعالى:﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(التوبة:١٢٩) و قال جل و علا :﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾(البروج :١٥) و قال عزوجل :﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾(الزمر:٧٥) و قال سبحانه و تعالى:﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾(غافر:٧) و غيرها من الايات.

قال الحافظ الإمام البیهقی فی کتابه (الأسماء و الصفات ص٣٩٢) : " وأقاویل أهل التفسیر علی أن العرش هو السریر، و أنه جسم مجسّم ، خلقه الله تعالی و أمر ملائکته بحمله و تعبدهم بتعظیمه و الطواف ، کما خلق فی الأرض بیتًا و أمر بنی آدم بالطواف و استقباله فی الصلاة و فی أکثر هذه الآیات دلالة علی صحة ماذهبوا إلیه و فی الأخبار و الآثار الواردة فی معناه دلیل علی صحة ذلك" انتهی

صفة العرش والعرش اعلی المخلوقات و أعظمها:

ا:. عن أبی هریرة رضی الله عنه أن النبی ﷺ قال : (إذا سألتم الله عزوجل فسلوه الفردوس ، فإنّه وسط الجنة و أعلی الجنة و فوقه عرش الرحمن و منه تفجّرُ أنهار الجنة) رواه البخاری.

ب:. والعرش حسن المنظر: قد وصفه الله تعالی بأنه (کریم) کما فی قوله تعالی :﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾(المؤمن:١١٦) و أفید معنی الکریم هنا من قوله تعالی :﴿ فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾(لقمان: ١٠)أی من کل زوج من النبات کریم أی حسن المنظر و التفصیل فی تفسیر ابن کثیر (٣:٤٤٣)

ج:. أنه واسع عظیم:قال الله تعالی :﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾(البروج :١٥) والمجد الاتساع و عظم القدر.

د:. أن له قوائم: (عن أبی سعیدالخدریؓ أن النبی ﷺ قال : لا تخیروا بین الأنبیاء فإن الناس یصعقون یوم القیامة فأکون أول من یفیق ، فإذا أنا بموسی آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدری أفاق قبلی أم جوزی بصعقة الطور).(متفق علیه)

ه:. و أنه عظیم الوزن : (عن ابن عباس رضی الله عنهما أن النبی ﷺ قال لأم المؤمنین

جويرية رضي الله عنها: (لقد قلتِ بعدك اربع كلمات لو وزنت بما قلتيه لوزنتهنّ: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته) (رواه مسلم).

فقد قرن زنة العرش بمداد كلماته تعالى التي لاتنقضي، و ذلك بعدد المخلوقات، فدل على أن وزنه أثقل الأوزان.

و:. و له حملة من الملائكة حافون به يسبحون بحمد الله و يؤمنون به و يستغفرون لعباده المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ (الزمر:٧٥) و قال جل جلاله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر:٧) و عدد هؤلاء الحملة يوم القيامة ثمانية قال الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة:١٧).

ز:. حملة العرش عظام الخلقة: عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (أذن لي أن أحدِّث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقة مسيرة سبع مائة عام. (رواه ابوداود).

٢:ـ والكرسي:

هو جسم عظيم بين يدي العرش ملتصق به لا قطع لنا بحقيقته، فلا نخوض فيها لعدم العلم بها. قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (البقرة:٢٥٥).

قال الحافظ الإمام البيهقي في كتابه الأسماء والصفات ص ٣٩٢: و روينا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في معنى كرسيه: علمه و سائر الروايات عن ابن

عباس وغيره تَدُلُّ على أن المراد به الكرسى المشهور المذكور مع العرش.(١)

و جاء فی حديث طويل لأبی ذرالذی صححه ابن حبان وله شاهد من مجاهد، أخرجه سعيد بن منصور فی التفسير بسند صحيح عنه : أن رسول الله ﷺ قال : (يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسی إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، و فضل العرش على الكرسی كفضل الفلاة على الحلقة) .

و قال ابن جرير الطبری فی تفسيره : اختلف أهل التأويل فی معنى الكرسی الذی اخبر الله تعالى ذكره فی هذه الآية أنه وسع السموات والأرض ، فقال بعضهم : هو علم الله تعالى ثم ذكر الروايات و فی هذه الروايات جعفر ابن أبی المغيرة و قد قال فيه الذهبی صاحب ميزان الاعتدال فی صحيفة ج ٤٢٠/١ :جعفر بن أبی المغيرة القمیّ صاحب سعيد بن جبير رأى ابن عمر و كان صدوقًا . روى عنه: يعقوب القمیّ و مندل بن على ، جماعة ....ثم قال : قلت قد روى عمار الدهنی ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضی الله عنه .قال : كرسيه موضع قدمه . والعرش لا يقدر قدره .

ثم قال ابن جرير الطبری فی نفس الصفحة : و قال آخرون : الكرسی : موضع القدمين ثم ذكر الروايات فيه .قال الإمام السيوطی فی تفسيره الدر المنثور : بعد أن ذكر الروايات فی الكرسی و أنه موضع القدمين : قلت هذا على سبيل الاستعارة تعالى الله عن التشبيه ، و يوضّح ما أخرجه ابن جرير عن الضحاك فی الآية قال : (كرسيه) الذی

---

١ ـ انظر "النجوم اللامعة فی ثقافة المسلم الجامعة" تأليف : عماد الدين بن أحمد بن أبی حجله، (ص: ٢٤١) و مابعدها.

یوضع تحت العرش ، الذی تجعل الملوك علیه اقدامهم. و قال الإمام ابن جریر الطبری : و أما الذی یدل علی صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذی رواه جعفر بن أبی المغیرة عن سعید بن جبیر عنه أنه قال : هو علمه و ذلك لدلالة قوله تعالی ذكره (و لایؤده حفظهما) علی أن ذلك كذلك فأخبر أنه لا یؤده حفظ ما علم .

ثم قال و أصل الكرسی العلم و منه قیل للصحیفة یكون فیها علم مكتوب كراسة ...الخ و قال العلامة السید عبد الله بن الصدیق الغماری فی تعلیقه علی التمهید (۱۰۷/۷) عند قوله : (الكرسی موضع القدمین) : لم یرو هذا مرفوعًا و لكنه كلام ابن عباس رواه ابن خزیمة فی كتاب التوحید و مثل هذا لا یقبل إلا من معصوم.

مذهب أهل السنة والجماعة فی الصفات المتشابهة:

و مذهب أهل السنة والجماعة كما اسلفنا فی مثل قوله تعالی :﴿الرحمن علی العرش استوی﴾ و غیرها من الصفات المتشابهة فیه مذهبان مشهوران:

۱ـ مذهب السلف : و هو الإیمان بما أراد الله تعالی، و تفویض علمه إلیه تعالی و الإیمان بحقیقتها ، و أن ظاهرها المتعارف فی حقنا غیر مراد.

۲ـ مذهب الخلف: و هو التأویل المناسب الذی یناسب قواعد اللغة و السیاق القرآنی و القرائن و عذر الخلف فی التأویل أنه لما انتشر الإسلام فی شتی بقاع الأرض انتقلت إلی المسلمین فلسفات متعددة نتیجة لامتزاج الحضارات و كثر الفلاسفة و الزنادیقة و بدء وا یشككون الناس و خاصة العوام فدفعاً لهؤلاء المخالفین و الرد علیهم شرعوا یفسرون التفسیر الاجمالی فی النصوص الموهمة للناس بعض المتشابهات لئلا یقعوا فی الضلالة وفی احكام القرآن للعلامة جمیل أحمد التهانوی(۱/٤) و قرر شیخنا تقریراً أنیقاً علی

المتشابهات فى رسالته :(التواجه بما يتعلق بالتشابه) جزء بوادر النوادر و على هامش تفسيره بيان القرآن . و قال فى حاشية تفسيره لسورة الأعراف قوله :"جو اسكى شان" الخ أى كما هو شأنه هذا هو الذى عليه جمهور السلف من حمل الإستواء على الحقيقة المبهمة لنا ثم تفويضها إلى الله تعالى ، و المنع عن الخوض فيها ، و الكلام على الاستواء مع أقسام المتشابه ، و أحكامه مفصلا فى رسالتى "التواجه" المذكورة فى حاشية اية المتشابهات من ال عمران مع ضميمة الرسالة ، هذا المنع معقول ، لأن إدراكنا قاصر عنه ، كما يمنع الأئمة عن الخوض فى كنه اللون بعين هذه العلة و إياك أن تقيس استوائه مثلاً على بعض التفاسير على استواء ك، لأن الصفة تختلف حقيقتها باختلاف الموصوف ، كما أن استقرار زيد على شيئ يغاير بكنهه ، استقرار الرأى على أمر ، و كما أن طول الخشبة يغاير بكنهه طول اليل مع كون كل من الإستواء والطول حقيقياً . و إذا كان المستوى غير معلوم الكنه، فكان الاستواء لا محالة غير معلوم الكنه. فأى وجه يقاس مجهول الكنه على معلوم الكنه و كيف؟ و مثل استوائك يستحيل عليه تعالى للدلائل العقلية عند الخواص (و هى مذكورة فى الكتب الكلامية) و عند العوام . لأن استواء أعظم الجبال ، بل اصغرها على جزء الذى لا يتجزى ليس بإستواء فى لغة نزل بها القرآن مع كونها متناهيين ، فكيف إذا كان أحد الشيأين متناهياً . و الآخر غير متناه. و هذا كله كان على مذهب السلف. و اختار الخلف مسلك التأويل، لمصلحة سهولة فهمه العوام. و لهذا التأويل وجوه: أقربها إلى العربية ، و أوفقها لقوله تعالى (يدبّر الأمر) و نحوه حمله على التدبير ، فقوله تعالى :(يدبّر الأمر) تفسير للاستواء عند الخلف و بيان للحكمة عند السلف" .

١ـ و قال ابن حجر المكي الشافعي:(في الفتاوى الحديثية) مطلب على أنه لا خلاف بين السلف و الخلف) فى أنه لا بد من التأويل الاجمالي فى النصوص الموهمة . فقال : إمتن الله على الأمة من توفيق سلفها و خلفها ، إلى صرف تلك النصوص عن ظواهرها. و إنما الخلاف بين السلف والخلف فى التأويل التفصيلي . فالسلف يرجحون أولوية الإمساك عنه، لعدم احتياجهم إليه، و اصلاح زمنهم ، والخلف يرجحون أولويته ، بل وجوب الخوض فيه لفساد زمنهم ، و كثرة مبتدعته ، و قوة شوكتهم، ثم قال : بعد اسطر ، قلت : بعد أن قرر الأئمة ، و علماء الأمة ، و حفاظ الملة ، تلك الآيات ، والأحاديث ، وصرفوها عن ظواهرها ، كما تقرر لم يبق لأحد عذر فى اعتقاد ظواهرها.)

٢ـو نقل الإمام ملا على القارى فى شرح الفقة الأكبر(٣٨) عن فخر الإسلام: (و أهل السنة والجماعة اثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص:أى بالآيات القطعية والدلالات اليقينية ، و توقفوا فيما هو المتشابه و هو الكيفية ، و لم يجوّز الاشتغال بطلب ذلك كما وصف الله به الراسخين فى العلم فقال: (يقولون كل من عند ربنا و ما يذكر إلا أولوا الألباب)، ثم نقل عن الإمام الأعظم من كتابه الوصية:(نقر بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه و استقرار عليه، و هو الحافظ للعرش و غير العرش.....) ثم قال : و توسط ابن دقيق العيد فقال : يقبل التأويل إذا كان المعنى الذى أوّل به قريباً مفهوماً من تخاطب العرب ، و يتوقف فيه إذا كان بعيداً . و جرى ابن الهمام على التوسط بين أن تدعو الحاجة إلى التأويل لخلل فى فهم العوام، و بين أن تدعو الحاجة لذلك المرام بحسب اختلاف المقام).

٣ـو قال الإمام أبو عيسى الترمذى (٤:٦٩٢) فى جامعه : (والمذهب فى

هـذا عـنـد أهـل العلم من الأئمة مثل سفيان الثورى و مالك بن أنس و ابن المبارك و ابن عيينة و وكيع وغيرهم أنهم رَوَوا هذه الأشياء ثم قالوا تروى هذه الأحاديث و نؤمن بها و لا يقال : كيف و هذاالذى اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كماجاء ت و يؤمن بها و لاتفسّر و لا تتوهم و لا يقال : كيف وهذا أمر أهل العلم الذى اختاروه و ذهبوا إليه .

الرد على شارح العقيدة فيما خالف الجمهور فى العقيدة:

إن المسلك الذى ذكره الإمام الطحاويؒ فى كتابه العقيدة الطحاوية هو الذى اتفق عليه جمهور العلماء والفقهاء و المحدثين والأئمة من الذين اتبعوا المذاهب الأربعة فى جميع الأقطار والبلاد الإسلامية فهؤلاء هم السواد الأعظم ، والذين قال فيهم الرسول ﷺ :(لا تجتمع أمتى على ضلالة). و هذا الكتاب شرحه أحد من الذين يروجون عقيدة بعض الحنابلة الذين يقولون بعلو الله الحسى و يثبتون لله عزوجل أحد الجهات الست فهم فى ذلك خالفوا الجمهور لأن الجمهور لايثبتون لله الجهة و يقولون بنفى الجهة عنه تعالى.

وهذا الشارح قاتل و دافع عن هذه المسئلة قتال مستميت ، و لم يبخل فى سبيل ذلك عن خيل ولا ركاب حتى زعم أنه يوجد ألف دليل على علو الله تعالى الحسى، و رمى الجمهور بالمعطلة ، و أتى فى هذا الشرح بالطامات خلط الحق بالباطل و البس الباطل لباس الحق ، و لم يتفطن لشرحه أكثر العلماء فصار هذا الشرح مشهوراً بين الناس و لم يتوجه أحد إلى هذا السّم الذى فيه بل يتداوله أكثر جماعات العلماء و نحن لضيق و قتنا و لخوف طول هذا الشرح الذى نحن بصدده أخذنا دلائله النقلية فى ثبوته العلو الحسى لله تعالى و تركنا الدلائل العقلية التى ساقها لثبوت العلو الحسى و اذا سقط

الأصل بطل الفرع وحكمنا فى ثبوت الأحاديث التى نقلها فى ثبوت العلو الحسى إمام العصر للسلفيه الشيخ الألبانى، و القائل بثبوت العلو الحسى الذى اجتهد فى ضعف سراج الأمة الإمام النعمان بن ثابت ، و ضعّف بعض الأحاديث طبقا لأهوائه ، و أهواء السلفية ورددنا كذلك على السقاف الذى زملّ بثياب أهل السنة و اتبع المعتزلة و الرافضة و رد على الإمام الطحاوى رحمه الله فى كل نقير و قطمير، و على موقف أهل السنة و الجماعة.و من الله التوفيق.

فنقول :

١ـ قال ابن أبى العز فى صحيفة (٣١٣) (و إنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا لأنه لما ذكر العرش و الكرسى ، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش و مادون العرش ليبين أن خلقه العرش لاستوائه عليه....)

أقول هذا هو التمهيد الذى وضعه ليثبت علو الله عزوجل الحسى ، فمن أين علم الشارح أن خلقه العرش لاستوائه عليه ، و ليس إلا لهذا؟ ثم أين الدليل عليه؟ و نحن بينا مذهب السلف والخلف فى الاستواء فمن أخذ الاستواء بمعنى أنه تعالى مستقر بذاته العلية استواءاً حقيقياً و أن استواءه مخالف لاستوائنا فهذا فاسد كما قال ابن بطال و غيره لأن الاستقرار من صفات الأجسام و يلزم منه الحلول و التناهى و هو محال فى حقه تعالى و لائق بالمخلوقات لقوله تعالى :﴿فإذا استويت أنت و معك على الفلك﴾ و قوله تعالى :﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾.

فالاستواء الحقيقى من صفات الأجرام كما صرحت فى هذه الأيات فإذا كان من

صفات الأجرام كان منافيا للمخالفة الواجبة له تعالى إذا المخالفة نفى الجرمية

والعرضية و لوازمهما . والجرم عند أهل التوحيد هو ما عمر قدر ذاته من الفراغ مركبا كان أم لا . والعرش جسم كبير متحيز حادث محمول كما صرح بذلك القرآن و الأحاديث الصحاح فإذا كان الله جل جلاله جالسًا على هذا العرش المتحيز كان تعالى جرمًا متحيزًا ما هو عليه يعمر الفراغ منه جميعه أو بعضه بقدر ما هو جالس عليه منه ضرورة أن ما كان على متحيز لابد أن يكون متحيزًا وهذا هو عين المماثلة المستحيلة عليه تعالى التى قد قام الدليل العقلى و النقلى على استحالتها عليه تعالى[1].

بطلان قياس شارح العقيدة الطحاوية:

٢ـ و قال الشارح :(و كون العالى فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاويًا للعالى ...الخ) نعم هذا فى المخلوقات كما مثل له بالسماء فإن السماء مخلوق و الله أعلى شأنا من السماء وغيره فإن الله منزه عن الجهات كلها ، و قياس المخلوق على الخالق باطل.

٣ـ و قول ابن أبى العز:(و نفاة العلو أهل التعطيل لو فصلوا بهذا التفصيل، لهدوا إلى سواء السبيل وعلموا مطابقة العقل للتنزيل ، و لسلكوا خلف الدليل و لكن فارقوا الدليل ضلوا عن سواء السبيل). باطل غير صحيح لأننا ننفى الجهة عن الله عزوجل فعلو الله معنوى لا حسى لأن الدلائل التى اوردها الشارح من الكتاب ليثبت بها علو الله تعالى الحسى فنحن سنجيب عن كلها لإن هناك من النصوص فى الكتاب والسنة تنفى العلو الحسى عن الله عزوجل و إليكم النصوص :

١ـ انظر "استحالة المعية بالذات" (ص: ٣٢٥) و مابعدها.

(أ) الكتاب:

۱. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص: ۳۰)

فالمنادى هو الله الذى كلم موسى عليه السلام ناداه من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة: إنى أنا الله رب العالمين و يعلم من ظاهر هذه الأية نفى العلو الحسى.

۱ـ و قال الله تعالى: (و هو معكم أينما كنتم) (الحديد: ٤) و لا بد فيها من التأويل.

۳ـ و قال سيدنا ابراهيم عليه السلام و هو على الأرض و بين بنى قومه: ﴿إنى ذاهب إلى ربى سيهدينى﴾ (الصفات: ۹۹)

٤ـ و قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦)

٥ـ و قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور: ۳۹)

والكلام هنا فى إنسان يكون على الأرض.

٦ـ وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ (الواقعة: ۸٥) فأقربية الله إلى الإنسان بأى اعتبار؟

۷ـ وقال تعالى لسيدنا موسىٰ و أخيه سيدنا هارون: ﴿إننى معكما اسمع و أرى﴾ (طه: ٤٦) فكيف كانت معية الله معهما مع أنهما كانا على سطح الأرض فإذا كنت تلجأ فى هذا إلى التأويل و لم تنكر على الغير إذا آوى إلى التأويل؟ أفهذا من الإنصاف

مع أن معهم فی تأویلهم جمهور أهل السنة.

۸ـو قال تعالی:﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾(المجادلة:۷) المعية المعهودة التی نعرفها هی کون أحد بقربك فهل يتصور هذه المعية مع الله فإن کان و لا بد من التأويل فإذا أولت و نفيت عنه تعالی الجهة الحادثة فلمَ رمی الناس بالضلالة؟

۹ـ قال الله تعالی: ﴿والله معكم و لن يتركم اعمالكم﴾(محمد :۳۵)

۲ـ الأحاديث التی فی الصحيحين و غيرها و هی تضاد الأحاديث التی تدل علی العلو الحسی التی تسميها السلفية بأحاديث العلو:

۱:. وعن أبی هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلی الله عليه وسلم : (اقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد ، فأكثروا الدعاء) رواه مسلم.

۲:. و عن أبی موسی الأشعری رضي الله عنه قال رسول الله صلی الله عليه وسلم : (الذی تدعونه أقرب إلی أحدكم من عنق راحلة أحدكم)رواه البخاری و مسلم .

۳:. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلی الله عليه وسلم قال : (اذا كان يصلی فلا يبصق قِبَل وجهه فإن الله قِبل وجهه إذا صلی) رواه البخاری و مسلم.

٤:. عن انس بن مالك رضی الله عنه أن رسول الله صلی الله عليه وسلم قال : (إن أحدكم إذا قام فی صلاته فإنه يناجی ربه أوإن ربه بينه و بين القبلة فلا يبزقن أحدكم قِبَل قبلته و لكن عن يساره أو تحت قدمه) رواه البخاری.

۵:. و عن أبی هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلی الله عليه وسلم كان يقول فی دعائه :(اللهم أنت الأول فليس قبلك شیئ و أنت الآخر فليس بعدك شیئ و أنت الظاهر فليس فوقك

شي و أنت الباطن فليس دونك شيئ إقض عنا الدين واغننا من الفقر) رواه مسلم .

٤٦. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا ركب دابته و أراد السفر :(.اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل...) رواه مسلم

والصحبة تستلزم التلازم بالذات قال الله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾!! فإن في هذا النص لا بد فيه من التأويل فما هو جوابهم هنافي التأويل فهو جوابنا في تأويلنا.

٤٧. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أُذن لي أن احدّث عن ملكٍ قد مرقت رجلاه في الأرض السابعة و العرش على منكبه ، و هو يقول سبحانك أين كنت و أين تكون)

صححه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد و قال : (رواه أبو يعلى و رجاله رجال الصحيح) فهذه النصوص من آيات قرآنية و أحاديث نبوية صحيحة ظاهرها تقابل تلك النصوص الآتية التي يسميها شارح العقيدة و من سلك مسلكه بنصوص العلو فمن أخذ بظاهر تلك النصوص لزمه أن يأخذ بظاهر هذه النصوص أيضا و إلا وجب عليه تأويل الكل لأنه ترجيح بلا مرجح.

٤ .طعن شارح العقيدة الطحاوية لأهل السنة ووصفهم بأهل التعطيل والرد عليه :

قال شارح العقيدة الطحاوية :(أهل التعطيل) و قصده من هذا اللفظ أهل السنة والجماعة يسمهم بهذا اللقب تشهيرًا بهم لأنهم بزعمه يؤولون الصفات المتشابهة ولذلك فهم عنده معطلة و قد تأولها بعض السلف تأويلاً تفصيليًا و كذلك جمهور العلماء من الفقهاء والمحدثين والمفسرين واللغويين أولوا بعض صفات الله تعالى و

إليك الجدول الذى فيه قائمة الأسماء المأولين :

رقم	العالم	رتبته	الكتاب	النص	المأوّل فيه
١	ابن عباس رضي الله عنه	صحابى ، فقيه مفسر	مجموعة الفتاوى (٣٩٤/٦)	يوم يكشف عن ساق	قال الحافظ ابن تيمية قال ابن عباس و طائفة ان المراد به الشدة إن الله يكشف الشدة فى الأخرة
٢	مجاهد رحمه الله	تابعى جليل	عقيدة السلف الصالح ص٢٦	//	هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة
٣	أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه	صحابى فقيه	عقيدة السلف الصالح ٢٨	//	كناية عن نور عظيم
٤	الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله	مجتهد فقيه	عقيدة السلف الصالح ٣٤	و جاء ربك	أنه جاء ثوابه
٥	الإمام الشافعى رحمه الله	مجتهد فقيه	الأسماء والصفات للبيهقى(٣٩)	فأينما تولوا فثم وجه الله	يعنى... فثم الوجه الذى وجهكم إليه الله
٦	الإمام مالك رحمه الله	مجتهد فقيه	سير أعلام النبلاء(١٠٥/٨)	إن الله ينزل إلى سماء الدنيا	ينزل ربنا تبارك و تعالى أمره ، فأما هو فدائم لا يزول
٧	الإمام ابو حنيفة النعمان رحمه الله	فقيه العالم مجتهد و الناس عيال عليه فى الفقه	سير أعلام النبلاء (٢٠٢/٧)		أتانا من المشرق و المغرب رأيان خبيثان جهم معطل و مقاتل مشبه
٨	مجاهد رحمه الله	تابعى جليل و مفسر للقرآن	الأسماء و الصفات للبيهقى(٣٠٩)	فأينما تولوا فثم وجه الله	قبلة الله فأينما كنت فى شرق أو غرب فلا تتوجهنّ إلا إليها
٩	الإمام محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله	المحدث الشهير صاحب الصحيح	فتح البارى ٨٢/٧	يضحك الله إلى رجلين	قال ضحكه رحمته

١٠	ابن حبانٌ	الإمام الحافظ صاحب الصحيح	صحيح ابن حبان(١/٢/٥٠)	حتى يضع الرب قدمه فيه (أي جهنم)	..... لأن العرب تطلق في لغتها اسم القدم على الموضع .. لا أن الله جل و علا يضع قدمه في النار جل ربنا و تعالى عن مثل هذا و أشباهه
١١	الإمام الحافظ ابن جريرٌ	مفسر مشهور و مجتهد	جامع البيان عن تأويل آي القرآن	فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا	ففي هذا اليوم و ذلك يوم القيامة ننساهم يقول نتركهم في العذاب
١٢	ابن عطيه المالكيٌ	مفسرقال الحافظ ابن تيمية (تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري... بل لعله أرجح هذه التفاسير	المحرر الوجيز ١٥ /٤٤٥-٤٤٦	و جاء ربك	و جاء قدره و سلطانه و قضاؤه
١٣	//	//	/١٥ ٢-٣	تبارك الذى بيده الملك	عبارة عن تحقيق الملك و ذلك أن اليد في عرف الآدميين هي آلة تملك ، فهي مستعارة لذلك
١٤	//	//	/١٢ ٤٨٧	مما عملت أيدينا	و هذه كلها عبارة عن القدرة والقوة و عبر عن هذا المعنى بذكر اليد تقريبا على السامعين
١٥	//	//	المحرر الوجيز ٥٠٩/٤ و ما بعدها	بل يداه مبسوطتان	العقيده في هذا المعنى نفي لاتشبيه عن الله تعالى. و أنه ليس بجسم و لا جارحة . و لا يشبه و لا يكيف ولا يتحيز في جهة كالجواهر و لا تحله الحوادث
١٦	//	//	المحرر الوجيز /١٤ ٢٧٤-٢٧٥	و نحن أقرب إليه منكم و لكن لا تبصرون	يحتمل أن يريد ملائكته و رسله ، و يحتمل أن يريد ، بقدرتنا و غلبتنا

١٧	//	//	المحرر الوجيز ١٣/ ٤٤٢	يد الله فوق أيديهم	قال الجمهور المتأولين اليد بمعنى النعمة أي نعمة الله تعالى في نفس هذه المبايعة لما يستقبل من محاسنها
١٨	//	//	المحرر الوجيز ١٥/ ١٥	ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور	من في السماء جار على عرف تلقى البشر أوامر الله تعالى و نزول القدر بحوادثه و نعمه و نقمه و آياته من تلك الجهة
١٩	//	//	المحرر الوجيز ١٤/ ٧٦	فإنك بأعيننا	و معناه بإدراكنا و أعين حفظنا لك و حيطتنا ، كما تقول : فلان يرعاه الملك بعين و هذه الآية ينبغي أن يقدرها كل مؤمن في نفسه
٢٠	//	//	المحرر الوجيز ١٤/ ٣٦	والسماء بنيناها بأيد	والأيد القوة قال ابن عباس ، و مجاهد وقتادة
٢١	//	//	المحرر الوجيز ١٤٨/٥	وهو القاهر فوق عباده	أي : و هو عزوجل المستولي المقتدر ، و (فوق) نصب على الظرف لافي المكان بل في المعنى الذي تضمنه لفظ (القاهر) كما تقول : زيد فوق عمرو في المنزلة
٢٢	//	//	المحرر الوجيز ٥٦/١٢	أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله	و قوله (في جنب الله) معناه : في مقاصدي إلى الله و في جهة طاعته ، أي في تضييع شريعته و الإيمان به
٢٣	//	//	المحرر الوجيز ٥٦٣/١٢ و ما بعدها	والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه	والقبضة و كل ما ورد عبارة عن القدرة والقوة

٢٤	الحافظ ابن کثیرؒ	مفسر و محدث و مؤرخ مشهور	تفسیر ابن کثیر ٢٦٦/٤	و أنه هو العلی الکبیر (الحج:٦٢)	فکل شئی تحت قهره و سلطانه و عظمته لا إله إلا هو و لا رب سواه، لأنه العظیم الذی لا أعظم منه
٢٥	//	//	تفسیر ابن کثیر ١٣٨/٤	و هو الذی فی السماء إله و فی الأرض إله	أی هو إله من فی السماء و إله من فی الأرض یعبده أهلهما و کلهم خاضعون له أذلاء بین یدیه
٢٦	//	//	تفسیر ابن کثیر ١٥٠/١	فأینما تکونوا فثم وجه الله	قال عکرمة عن ابن عباس: قبلة الله أینما توجهت شرقاً أو غرباً
٢٧	//	//	تفسیر ابن کثیر ٣٨٩/٣	کل شیئ هالك إلا وجهه (القصص:٨٨)	إخبار بأنه الدائم الباقی الحی القیوم الذی تموت الخلائق و لا یموت،
٢٨	//	//	تفسیر ابن کثیر ٣٢٦/٩	و لتصنع علی عینی (طه:٣٩)	قال ابن کثیر :(قال أبو عمران الجونی : تربی بعین الله،و قال قتادة: تغذی علی عینی) و قال معمر بن المثنی "و لتصنع علی عینی" بحیث أری ، و قال عبد الرحمن بن زید بن أسلم یعنی أجعله فی بیت الملك ینعم و یترف و غذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة)
٢٩	//	//	تفسیر ابن کثیر ١٤٤/٢	واصنع الفلك بأعیننا(هود:٣٧)	أی بمرأی منا
٣٠	//	//	تفسیر ابن کثیر ٤٢٦/٢	فإنك بأعیننا (الطور:٢٨)	أی اصبر علی أذاهم ولا تبالهم فإنك بمرأی منا ، و تحت کلاء تنا
٣١	//	//	تفسیر ابن کثیر ٢٦٦/٤	تجری بأعیننا (القمر:١٤)	أی بأمرنا بمرأی منا و تحت حفظنا و کلاء تنا
٣٢	//	//	تفسیر ابن کثیر ٦٢/٤	أن تقول نفس یا حسرتی علی ما فرطت فی جنب الله (الزمر:٥٦)	أی یوم القیامة یتحسر المجرم المفرط فی التوبة و الإنابة و یود لو کان من المحسنین المخلصین المطیعین لله عزوجل

٣٣	النووىؒ	الإمام الحافظ شيخ الإسلام	صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/ ٢٦ و ٢٧	والذين تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم "	أنه مجاز كقوله تعالى:"و نحن أقرب إليه من حبل الوريد" والمراد: تحقيق سماع الدعاء
٣٤	//	//	صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ٢٧	قوله ﷺ "فيكشف عن ساق"	أى يكشف عن شدة و أمر مهول
٣٥	//	//	صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ١١٦	لا ينظر إليهم	أى يعرض عنهم و نظره سبحانه و تعالى لعباده رحمته و لطفه بهم
٣٦	//	//	صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ١٦٦	إن الله خلق آدم على صورته	و قال المازرى: و قد غلط ابن قتية فى هذا الحديث فأجراه على ظاهره، و قال لله تعالى صورة لا كالصور، و هذا الذى قال ظاهر الفساد ، لأن الصورة تفيد التركيب ، و كل مركب محدث ، و الله تعالى ليس بمحدث
٣٧	//	//	صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ١٤	قوله ﷺ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه	معنى سبحات وجهه نوره و جلاله و بهاؤه
٣٨	//	//	صحيح مسلم بشرح النووى ٥/ ٢٤	قوله ﷺ أين الله؟ قالت: فى السماء	كان المراد امتحانها هل هى موحدة تقر بأن الخالق.. هو الله وحده، و هو الذى إذا دعاه الداعى استقبل السماء .. و ليس ذلك لأنه منحصر فى السماء، كما انه ليس منحصراً فى جهة الكعبة

٣٩	//	//	صحيح مسلم بشرح النووى ٦/ ٣٦	قوله ﷺ :"ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا..."	أحدهما تأويل مالك بن أنس و غيره ، معناه تنزل رحمته و أمره و ملائكته ، كما يقال فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره و الثاني : أنه على الاستعارة
٤٠	//	//	صحيح مسلم بشرح النووى ٦/ ٣٧	ثم يبسط يديه سبحانه و تعالى"	هو إشارة إلى نشر رحمته ، و كثرة عطائه و إجابته و إسباغ نعمته
٤١	//	//	صحيح مسلم بشرح النووى ٥/ ٣٨	"فلا يبصق قبل وجهه ، فان الله قبل وجهه"	أى الجهة التى عظمها ، و قيل : فإن (فيها) قبلة الله ، و قيل ثوابه و نحو هذا
٤٢	//	//	صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/ ٣٦	"يضحك الله إلى رجلين... الخ"	الضحك هنا استعارة فى حق الله تعالى ، لأنه لا يجوز عليه سبحانه الضحك المعروف فى حقنا، لأنه إنما يصح من الأجسام ، و ممن يجوزعليه تغير الحالات
٤٣	//	//	صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ٢٠٤	"إن قلوب بنى آدم ... الخ"	أنه سبحانه و تعالى متصرف فى قلوب عباده و غيرها كيف شاء ، لا يمتنع عليه منها شئ و لا يفوته ما أراده.. أن هذا مجاز و استعارة فوقع التمثيل بحسب ما اعتادوه غير مقصود به التثنية والجمع
٤٤	الحسن البصرىؒ	من كبار التابعين	تفسير الحسن البصرى ١٣٥/٢	إلا أن يأتيهم الله	قال :أمر الله و هو الحساب
٤٥	//	//	تفسير الحسن البصرى ١٨٧/٥	يوم يكشف عن ساق	قال: يبدو عن الأمر الشديد الفظيع من هول القيامة أو ... ساق الآخرة

٤٦	//	//	تفسير الحسن البصرى ٢٨٧/٥	و جاء ربك (الاية: ٢٢)	جاء عذاب ربك، أو جاء أمر ربك، و قضا ربك
٤٧	//	//	تفسير الحسن البصرى ٧٨/٢	فأينما تولوا فثم وجه الله	قال: حيث ما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها للكعبة
٤٨	الشوكانيؒ	عالم ـ مفسر ـ أصولى ـ إمام السلفية	فتح القدير ٦٣/٣	ثم استوى على العرش (الرعد: ٣)	أى استولى عليه بالحفظ والتدبير، أو استوى أمره أو أقبل على خلق العرش
٤٩	//	//	فتح القدير ٤٧٩/٤	إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه	قبوله له، أو صعود الكتبة من الملائكة بما يكتبونه من الصحف
٥٠	//	//	فتح القدير ١٥٠/٢	و هو القاهر فوق عباده	و معنى (فوق عباده) فوقيه الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم، لا فوقيه المكان كما تقول: السطان فوق رعيته
٥١	//	//	فتح القدير ٦٠٦/٥	سبح اسم ربك الأعلى	أى نزّهه عن كل ما لا يليق به
٥٢	//	//	فتح القدير ٣٩٤/٢	إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته	و قال [عند ربك] والله عزوجل بكل مكان لأنهم قريبون من رحمته، و كل قريب من رحمة الله عزوجل فهو عنده
٥٣	//	//	فتح القدير ٥١٦/٣	و لتصنع على عينى	و تفسير (على عينى) بمرأى منى صحيح، قال النحاس: و ذلك معروف فى اللغة، و لكن لا يكون فى هذا تخصيص لموسى، فان جميع الأشياء بمرأى من الله

٥٤	//	//	فتح القدير ٦٦١/٤	أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرّطت في جنب الله	ومعنى(على ما فرطت في جنب الله) : على ما فرّطت في طاعة الله ، قاله الحسن. و قال الضحاك : على ما فرّطت في ذكر الله
٥٥	//	//	فتح القدير ٦٣٢/٥	و جاء ربك	أى جاء أمره و قضاءه و ظهرت آياته
٥٦	//	//	فتح القدير ٤٨١/٥	فإذا قرأناه (القيامة:١٨)	أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل
٥٧	//	//	فتح القدير ٥٣٣/٢	نسوا الله فنسيهم(التوبة: ٦٧)	تركوا الله فتركهم من كرامته و ثوابه
٥٨	//	//	فتح القدير ٢٩٦/٢	فاليوم ننساهم (الأعراف:٥١)	أى نتركهم في النار
٥٩	//	//	فتح القدير ٣٤٩/٣	و من كان في هذه أعمى (الإسراء : ٧٢)	أى كان من المدعوين في هذه الدنيا أعمى ، أى فاقد البصيرة ،
٦٠	//	//	فتح القدير ٥١٢/١	و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين (آل عمران :٥٤)	و مكر الله: استدراجه لعباده من حيث لا يعلمون
٦١	//	//	فتح القدير ٥٢٠/٣	قال لا تخافا إنني مع كما أسمع و أرى (طه :٤٦)	أرى بالنصر لهما ، والمعونة على فرعون ، و معنى أسمع و أرى : إدراك ما يجرى بينهما و بينه بحيث لا يخفى عليه سبحانه من خافية و ليس بغافل عنهما
٦٢	ابن الحجر العسقلانيؒ	الإمام الحافظ المؤرخ صاحب فتح الباري	فتح الباري ٤١٦/١٣	تعرج الملائكة و الروح إليه ـ إليه يصعد الكلم الطيب (فاطر:١٠)	قال البيهقي : صعود الكلام الطيب و الصدقة الطيبة: عبارة عن القبول وعروج الملائكة : هو إلى منازلهم في السماء.

٦٣	//	//	فتح الباری ٤٤٥/١١	فيأتيهم الله فی غير الصورة التی يعرفونه،	و أما نسبة الاتيان إلى الله تعالى، فقيل هو عبارة عن رؤيتهم إياه لأن العادة أن كل من غاب عن غيره، لا يمكنه رؤيته إلا بالمجیئ إليه
٦٤	//	//	فتح الباری ٨٩٤/٨	فيضع الرب تبارك و تعالى قَدَمه عليها، فتقول : قط قط	و خاض كثير من أهل العلم فی تأويل ذلك فقال : المراد إذلال جهنم، فإنها بالغت فی الطغيان و طلب المزيد، أذلها الله فوضعها تحت القدم، و ليس المراد حقيقة القدم
٦٥	//	//	فتح الباری ٤٦١/١٠	"إذا أحب الله عبداً نادى جبريل"	المراد بمحبة الله : إرادة الخير للعبد و حصول الثواب له
٦٦	//	//	فتح الباری ٣٤١/١١	و ما (ترددت) عن شيئ أنا فاعله (ترددی) عن نفس المؤمن، يكره الموت و أنا أكره مساء ته	قال الخطابی: التردد فی حق الله غير جائز، والبداء عليه فی الأمور غير سائغ . ولكن له تأويلان... قال : و حقيقة المعنى على الوجهين : عطف الله على عبده و لطفه به و شفقته عليه.
٦٧	//	//	فتح الباری ١٥٦/١	و أما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه،	أی رحمه و لم يعاقبه
٦٨	//	//	فتح الباری ٤٠/٦	يضحك الله إلى رجلين	أن المراد بالضحك : الإقبال بالرضا
٦٩	//	//	فتح الباری ٦٣٢/٨	عجب الله من قوم يدخلون الجنة فی السلاسل	و قال الخطابی: إطلاق العجب على الله محال. معناه : الرضا فكأنه قال : إن ذلك الصنيع حل من الرضا عند الله حلول العجب عندكم

قال الكرماني: لما قامت البراهين على استحالة هذه الأشياء في حق الله تعالى ، وجب أن يكون المعنى : من تقرب إليّ بطاعة قليلة جازيته بثواب كثير ، و كلما زاد في الطاعة أزيد في الثواب ،... و لفظ "القرب و الهرولة" مجاز	إذا تقرب العبد إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، و إذا تقرب إلى ذراعاً تقربت منه باعاً، و إذا أتانى يمشى أتيته هرولة	فتح البارى ٥١٣/١٣	//	//	٧٠
قال ابن بطال: احتجت المجسمة بهذا الحديث ، و قالوا: في قوله: "و أشار بيده إلى عينه" دلالة على أن عينه كسائر الأعين . و تعقب: باستحالة الجسمية عليه لأن الجسم حادث و هو قديم . فدل على أن المراد : نفي النقص عنه.	و أشاره بيده إلى عينه	فتح البارى ٣٨٩/١٣	//	//	٧١
والسماء بنيناها بأيد : بقوة و قدرة	و السماء بنيناها بأيد و إنا لموسعون (الذاريات:٤٧)	معالم التنزيل ٢٣٤/٤	عالم ربانى يلقب بمحى السنة ، مفسر	الإمام الحسين ابن مسعود البغويؒ	٧٢
أى بمرأى منا. قال ابن عباس : نرى ما يعمل بك. و قال الزجاج: معناه أنك بحيث نراك و نحفظك فلا يصلون إلى مكروهك	واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا (الطور: ٤٨)	معالم التنزيل ٢٤٣/٤	//	//	٧٣
أى بمرأى منا ، و قال مقاتل بن حيان : بحفظنا ، و منه قولهم للمودّع: عين الله عليك . و قال سفيان: بأمرنا	تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر(القمر:١٤)	معالم التنزيل ٢٦٠/٤	//	//	٧٤
قال ابن عباس رضى الله عنهما: يد الله بالوفاء لما وعدهم من الخير فوق أيديهم	يد الله فوق أيديهم	معالم التنزيل ١٩٠/٤	//	//	٧٥

٧٦	//	//	معالم التنزيل ٤٥٩/٣	كل شيئ هالك إلا وجهه	أى إلا هو، و قيل إلا ملكه ، قال أبو العالية: إلا ما أريد به وجهه
٧٧	//	//	معالم التنزيل ٨٥/٤	أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله(الزمر:٥٦)	(فى جنب الله) قال الحسن: قصرت فى طاعة الله . و قال مجاهد : فى أمر الله. و قال سعيد بن جبير: فى حق الله. و قيل: ضيعت فى ذات الله. وقيل : معناه قصرت فى الجانب الذى يردنى إلى رضاء الله ، والعرب تسمى الجنب جانباً.
٧٨	//	//	معالم التنزيل ٤٨٦/٤	و جاء ربك و الملك صفاً صفاً (الفجر :٢٢)	قال الحسن : جاء أمره و قضاؤه . و قال الكلبي : ينزل حكمه
٧٩	//	//	معالم التنزيل ٣٨١/٤	يوم يكشف عن ساق و يدعون إلى السجود فلا يستطيعون (القلم:٤٢)	... قال سعيد بن جبير:(يوم يكشف عن ساق) : عن شدة الأمر
٨٠	الإمام القرطبیؒ	المفسر، العالم، العارف (و قال ابن تيمية فى الفتاوى(٣٨٧/١٣): بعد أن ذكر تفسير الزمخشرى:"وتفسير القرطبى خير منه بكثير ، و أقرب إلى طريقة أهل الكتاب ، والسنة ، و أبعد عن البدع".	الجامع لأحكام القرآن ١٥٠/١	غير المغضوب عليهم و لا الضالين (الفاتحة)	و معنى الغضب فى صفة الله تعالى، إرادة العقوبة فهو صفة ذات و إرادة الله تعالى من صفات ذاته أو نفس العقوبة

٨١	//	//	الجامع لأحكام القرآن ٢٣٧/١٥	و إن تشكروا يرضه لكم (الزمر:٧)	و يرضى بمعنى يثيب و يثني ، فالرضا على هذا ،
٨٢	//	//	الجامع لأحكام القرآن ٢٤٢/١	إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها (البقرة:٢٦)	و أصل الاستحياء الانقباض عن الشيئ و الامتناع منه خوفاً من مواقعة القبيح
٨٣	//	//	الجامع لأحكام القرآن ٢٥٥/١	هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات و هو بكل شيئ عليم(البقرة٢٩)	والقاعدة في هذه الآية و نحوها منع الحركة والنقلة
٨٤	//	//	الجامع لأحكام القرآن ٢٦/٣	هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة(البقرة: ٢١٠)	و لا يجوز ان يحمل هذا و ما أشبهه مما جاء في القرآن والخبر على وجه الانتقال والحركة والزوال، لأن ذلك من صفة الإجرام و الأجسام تعالى الله الكبير المتعال عن مماثلة الأجسام علواً كبيراً
٨٥	//	//	الجامع لأحكام القرآن ٥٥/١٠	هل ينظرون إلا أن يأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك (الأنعام:٨	(أو يأتي ربك) قال ابن عباس ، والضحاك: أمر ربك فيهم بالقتل أو غيره ، و قد يذكر المضاف إليه والمراد به المضاف

٨٦	//	//	//	و جاء ربك والملك صفا صفا	أى أمره و قضاؤه ، قاله الحسن و هو من باب حذف المضاف
٨٧	//	//	الجامع لأحكام القرآن ٢٧٤/٤	و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون	فيه حذف مضاف تقديره عند كرامة ربهم
٨٨	//	//	الجامع لأحكام القرآن ٢٤٠/٦	بل يداه مبسوطتان (المائدة :٦٣)	أى بل نعمته مبسوطة فاليد بمعنى النعمة
٨٩	//	//	الجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٥	قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين(ص: ٧٥)	أى صرفك و صدك أن تسجد أى عن أن تسجد لما خلقت بيدى ، أضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له و إن كان خالق كل شيئ
٩٠	//	//	الجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/١٦	يد الله فوق أيديهم	قيل يده فى الثواب فوق أيديهم فى الوفاء ، و يده فى المنة عليهم بالهداية فوق أيديهم فى الطاعة ، و قال الكلبى معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة
٩١	//	//	الجامع لأحكام القرآن ٢٣٧/١٧	و هو معكم أينما كنتم (الحديد:٤)	يعنى بقدرته و سلطانه و علمه أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير

٩٢	//	//	الجامع لأحكام القرآن ٣٩٩/٣	وهو القاهر فوق عباده و هو الحكيم الخبير (الأنعام:١٨)	فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم ،أى هم تحت تسخيره ، لا فوقية مكان كما تقول السلطان فوق رعيته أى بالمنزلة والرفعة
٩٣	//	//	الجامع لأحكام القرآن ١١٣/١٠	يخافون ربهم من فوقهم (النحل: ٥٠)	أى عقاب قدرة ربهم التى هى فوق قدرتهم، ففى الكلام حذف
٩٤	//	//	الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/١٧	أينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم (البقرة: ١١٥)	فقال الحذاق : ذلك راجع إلى الوجود ، والعبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام ،
٩٥	الحافظ ابن تيمية	عالم فقيه مشهور	مجموعة الفتاوى ٢٢٨/٢	كل شيئ هالك إلا وجهه	قال كل شيئ إلا ما أريد به جهة الله تعالى ثم قال و هكذا قال جمهور السلف

فهؤلاء الذين ذكرناهم من المؤلين فيهم الصحابةوالأئمة الكبار من المحتهدين والمفسرين والفقهاء على إختلاف طبقاتهم فهل هؤلاء على الضلال؟! إذ يصف بعض من لا يعرف سوى التقليدالتأويل ضلالة ، و قد عرفت فيما نقلنا من العلماء والجهابذة والكبار من المفسرين أن التأويل حق فى مكانه، و للتفصيل فى هذا الموضوع انظر "عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة فى آيات و أحاديث الصفات كما روها الثقات من العلماء" إعداد: الدكتور محمد عادل عزيزة الكيالى الحسينى ، فإنه أفاد و أجاد و جزاه الله خيراً.

تأويل الحافظ ابن تيمية و هل يجوز له و لا يجوز لغيره؟

روى الحافظ ابن تيمية عن جعفر الصادق تأويل (الوجه) في قوله تعالى:﴿كل شيئ هالك إلا وجهه﴾بالدين ،وما رواه عن الضحاك من تأويله (الوجه) في الآية ذاتها بذات الله تعالى و الجنة و النار والعرش ، أما الحافظ فقد رجح أن يؤول (الوجه) بمعنى الجهة ، فيكون المعنى : كل شيئ هالك إلا ما أريد به جهة الله تعالى.ثم قال وهكذا قال جمهور السلف (مجموع فتاوى ابن تيمية٢/٤٢٨)

قال الدكتور سعيد رمضان في كتابه السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب ديني بعد أن نقل تأويلات السلف و تأويل الحافظ : (و لعل ما قد رأيت من صنيع ابن تيمية في البحث عن تأويل سائغ للوجه في قوله عزوجل :﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ.وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ هو الذي ينحي باللائمة على الخلفيين في تأويلهم لمثل هذه الآيات . من شأنه أن ينهي كل لجج و يقطع دابر كل خصومة و خلاف في هذا الموضوع ولا وجه لمن يبحث عن عذر لتأويل ابن تيمية هذا يميزه عن التأويلات الأخرى و يعطيه من دونها الأرجحية و الحق ، بأن الوجه في الآية المذكورة لا يتعين أن يكون من الصفات ، ولذلك فلا خير في اقتحام التأويل إليه .**نقول** : لا وجه لهذا الكلام ، إذ هو مصادرة على المطلوب ، فإن الذي جعل (الوجه) محتملا أن لا يكون من الصفات ، هو التأويل الذي فتح ابن تيمية بابه إليه و لولا التأويل الذي هو محل النظر و البحث ، لما خطر في البال أن يكون الوجه إلا صفة من صفات الأسماء ، اثبتها الله عزوجل لذاته كما شاء ، و كما يليق بجلال (وجهه) و عظيم سلطانه ولو جاز الاعتماد على هذا المسّوغ في تأويل آيات الصفات و أحاديثها لكان هذا المسوغ حجة بيد

كـل متـأول ، و لـما جاز أن يتمتع به ابن تيمية دون غيره ، إنما المهم أن نلاحظ أن هذه التأويلات التى نقلناها من السلف ، بما فيها التأويل الذى أخذ به ابن تيمية للوجه ، متبعًا فيـه رأى مـن ذكره من السلف لا تستلزم أى تعليل أو أى تعسف فى فهم اللغة و التعامل بهـا بـل هـى مستظلة بمبادئ العقيدة و أحكام الشريعة دائرة ضمن قواعد اللغة خاضعة لدلالتها.

٥ـ نقل شارح العقيدة الطحاوية لقول مالك وعدم نفعه له فى سوق دعواه:

ثـم نـقـل شـارح العقيدة الطحاوية قول إمام مالكؒ و هذاالنقل ما افاده شيئًا لأن الشـارح أخـذ الاستـواء الحقيقى لذات اللّٰه تعالى و الإمام مالكؒ ما كان يحب احدًا يقتحم فى مثل هذا لأن الذى سأله رده و قال السؤال عنه بدعة .

أخرج البيهقى بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال : كنا عند مالك فدخل رجل فـقـال : (يـا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فأطرق مالك فأخذته الـرُّحـضاء ، ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ، و لا يقال كيف . و كيف عنه مرفوع و لا أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه) اهـ

و من طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أم سلمة ، لكن قال فيه : و الإقرار به واجب والسؤال عنه بدعة . اهـ

و مـا روى عـن مـالكؒ و أم سـلـمةؓ و ربيعة الرأى معناه أن الاستواء معلوم من لغة الـعرب محامله التى تصح فى حق الله تعالى . و المراد فى الآية منهامجهول لنا لا نعلمه

. و معنى جهل الكيف هو أن كيفية فهم الآية بحملها على معين مجهول . هذا هو المراد من الكلام . و ليس المراد منه ما يظنه البعض من أن الاستواء معلومة حقيقته و كيفيته مجهولة.

فهذا هو عين الكيف الذى قال مالك: إنه مرفوع عن الله تعالى لا يوصف به الاستواء فكيفية الاستواء مختلفة فى الحوادث فى حال استوائهم على ما هم مستوون عليه مجهولة لمن لم يكن حاضرًا للواحد منهم ، بعضهم متربع ، وبعضهم مضطجع وبعضهم مقع إلى غيره ذلك .

فلو كان المراد بجهل الكيف ما وصف مع الاستواء الحقيقى لم يكن الله ممتازًا عن البشر فى جهل كيفية الاستواء بشيئ تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا .

و معنى قول مالك: إن السؤال عن هذا بدعة هو أن السؤال عن تعيين مالم يرد فيه نص من الشارع بتعيينه بدعة و صاحب البدعة رجل سوء تجب مجانبته و اخراجه من مجالس العلم ، لئلا يدخل على المسلمين فتنة بسبب اظهار بدعته ، كما يظهر فعل عمر بصبيغ (١).

٦- و أما قول الشارح فى (صحيفة ٣١٤) (محيط بكل شيئ وفوقه ، و فى بعض النسخ : محيط بكل شيئ فوقه، / بحذف الواو/ من قوله: فوقه ، و النسخة الأولى هى الصحيحة، و معناها : أنه تعالى محيط بكل شيئ و فوق كل شيئ. و معنى الثانية: أنه محيط بكل شيئ فوق العرش. و هذه - و الله اعلم- إما أن يكون أسقطها بعض النساخ سهواً ، ثم استنسخ بعض الناس من تلك النسخة ، أو أن بعض المحرفين

---

١ - استحالة المعية الذاتية للشيخ خضر ٣١٧و مابعدها.

الضالين أسقطها قصداً للفساد، و إنكاراً لصفة الفوقية). فباطل. لأن التحريف في النسخة الأولى التي اعتمد عليها و ذلك لأن في هذا الكتاب عقيدة أهل السنة والجماعة و هم ينكرون الفوقية الحسية لله والعبارة الصحيحة هي التي نقلناها في المتن و هي (.... محيط بكل شيئ و بما فوقه) والغرض من الحذف ليجعل العبارة دالة على أن الله تعالى فوق العرش. والثابت إنما هو (على العرش استوى).

٧ـ اثبات بن أبي العز شارح العقيدة الطحاوية لصفة الفوقية الحسية لله والرد عليه:

قول الشارح : (و انكارًا لصفة الفوقية الخ) باطل ١ ـ قال حكيم الأمة اشرف علي التهانوي‌ؒ في "امداد الفتاوى"(٤٩/٦) في صدد بيانه لمسلك أهل السنة والجماعة:(و قوله بالأردية و نحن عربناه): إن مسلك السلف هو أن النصوص (في الصفات) على حقيقتها و كنهها غير معلوم و لا فرق بين مسلك الصوفية والسلف رحمهم الله لأن الصوفية تثبت حقائق الصفات إلا أنهم ينكرون الجهة و نفي الجهة عن الله ثابت نقلا و عقلاً:

أ:ـ أما النقل : فقوله تعالى :(ليس كمثله شيئ) و أما العقل : فلان الجهة مخلوقة حادثة و الله تعالى منزه عن الاتصاف بالحادث لأن محل الحادث حادث والحكم بالاستواء والعلو لا يستلزم الجهة لأنه لو أثبت الجهة لتعين كنه الاستواء و هذا يخالف مذهب السلف (لأن السلف لا يعينون كنهه) و يصرحون عدم تعيين الكنه فعلم مما نقلنا أن في الاستواء والعلو حيثيتان:

١ ـ مع عدم الحكم بالجهة ٢ ـ مع عدم الحكم بالجهة بل مع الحكم بعدم الجهة

فالأول مذهب المجسمة والثاني فمذهب أهل السنة و فيهم المحدثون والصوفية.

٢ـ وقال الراغب ، (فوق) يستعمل في المكان والزمان والجسم والعدد و المنزلة والقهر ، فالأول باعتبار العلو و يقابله تحت نحو :﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

والثاني : باعتبار الصعود و الانحدار نحو:

﴿ إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾.

والثالث : في العدد نحو:﴿فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ ﴾.

والرابع: في الكبر والصغر كقوله :﴿ بعوضة فما فَوْقَهَا﴾.

والخامس : يقع تارة باعتبار الفضيلة الدنيوية نحو:﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾. أو الأخروية نحو:﴿وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾.

والسادس : نحو:﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾:﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾.

٣ـ و قال الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى في شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى : و أما مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى على العرش علوّ عظمة و ربوبية لا علوّ ارتفاع مكان و مسافة. قال أبو حنيفة رضي الله عنه: (و ذكره من أعلى لا من أسفل) لأن الأسفل ليس من الربوبية والألوهية في شيئ. اهـ.(١)

٨ـ و قول الشارح مرفوعًا فيه نظر لأنه لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ بل هو موقوف على مالك رحمه الله أو أم سلمة رضي الله عنها.

١ـ "نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه" (لأبي الحسن الأشعري...) للمحقق وهبي سليمان غاوجي:

(ص ـ ٨٠).

٩-ابطال قول شارح العقيدة الطحاوية "ليس فوق العرش شيئ من المخلوقات" والرد عليه:

قوله:(و إلا فقد قام الدليل على أن العرش فوق المخلوقات وليس فوقه شيئ من المخلوقات). فيه نظر ... لأنه قد ثبت في الحديث الصحيح الذى رواه البخارى و مسلم : عن أبى هريرة ؓ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبر أن الله كتب كتابًا فيه أن رحمتى سبقت غضبى وهو فوق العرش). قال الحافظ ابن حجر فى (الفتح) (٥٢٦/١٣) : و الغرض منه الاشارة إلى أن اللوح المحفوظ فوق العرش) فتبين أن قوله ليس فوقه شيئ من المخلوقات ليس بشيئ.

١٠- استدلال شارح العقيدة الطحاوية بحديث ضعيف والرد عليه:

و قوله :و فى حديث أبى رزين المشهور الذى رواه عن النبى ﷺ فى رؤية الرب تعالى:(فقال له أبو رزين : كيف يسعنا - يا رسول لله- و هو واحد و نحن جميع؟ فقال : سأنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله : هذا القمر، آية " من آيات الله ، كلكم يراه مُخليا به ، و الله أكبر من ذلك ، و إذا أفل تبين أنه أعظم و أكبر من كل شيئ) قال مخرج أحاديث الشرح الألبانى ضعيف الإسناد (فهو حديث إسناده ضعيف لايحتج به فى باب الطهارة فضلاً عن العقيدة).

١١- بطلان الدلائل التى ساقها لفوقيته تعالى حساً والرد عليها:

ثم ساق الشارح الدلائل لفوقيته تعالى حسًا فقال : و أما كونه فوق المخلوقات ، فقال تعالى : ﴿و هو القاهر فوق عباده﴾ ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ و هذا الدليل فيه نظر بل باطل .

١ ـ قال ابن عطية في تفسيره : (قال الحافظ ابن تيمية في تفسيره : (تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري و أصح نقلا و بحثًا ، و أبعدمن البدع بل هو خير منه بكثير ، بل لعله ارجح التفاسير(و قوله تعالى (و هو القاهر فوق عباده) الآية. يعني فوقية المكانة والرتبة لا فوقية المكان والجهة ، على ما تقدّم بيانه أول السورة (١).

٢ ـ و قال القرطبي في تفسيره(٣٩٩/٣) عند قوله تعالى: و هو القاهر فوق عباده و هو الحكيم الخبير) فوقية الاستعلاء بالقهر و الغلبة عليهم ، أي هم تحت تسخيره ، لا فوقية مكان كما تقول : السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة و في القهر معنى زائد ، ليس في القدرة و هو منع غيره عن بلوغ المراد .

٣ ـ و قال الإمام ملاعلي القاري في شرح الفقه الأكبر(ص ١١٤).

و أما علوه تعالى على خلقه المستفاد من نحو قوله تعالى (و هو القاهر فوق عباده) فعّلو مكانة و مرتبة لا علومكان كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة بل و سائر طوائف الإسلام من المعتزلة والخوارج و سائر أهل البدعة إلا طائفة من المجسمة و جهلة من الحنابلة القائلين بالجهة تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فبطلت حجته بهذه الآيات و قال عند قوله تعالى:(هو القاهر فوق عباده و يرسل عليكم حفظة) يعني فوقية المكانة و الرتبة لا فوقية المكان والجهة.

٤ ـ و قال القرطبي في تفسيره (١١٣/١٠) عند قوله تعالى ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ أي عقاب قدرة ربهم االتي هي فوق قدرتهم ففي الكلام حذف و قيل معنى

---

١ ـ تفسير القرطبي (١٠/٧) .

يخافون ربهم من فوقهم ، يعنى الملائكة يخافون ربهم و هى من فوق ما فى الأرض من دابة ، و مع ذلك يخافون فلأن يخاف من دونهم أولى ، دليل هذا القول قوله تعالى:﴿و يفعلون ما يؤمرون﴾ يعنى الملائكة .

٥ـو فى كتاب "نظرةعلمية فى نسبة كتاب الإبانة جميعه..." للمحقق سليمان الغاوجى(ص:٧٤) نقل: البيهقى فى "الأسماء والصفات" عن الفراء فى قوله تعالى:(و هو القاهر فوق عباده) قال : (كل شيئ قهر شيئاً فهو مستولٍ عليه).

٦ـقوله تعالى(يخافون ربهم من فوقهم) قال القاضى بدرالدين بن جماعة الأشعرى رحمه الله تعالى ـ المسألة الثانية قوله تعالى:(و هو القاهر فوق عباده) و قوله تعالى :(يخافون ربهم من فوقهم).

اعلم أن لفظة (فوق) فى كلام العرب تستعمل بمعنى الحيّز الثابت العالى ، و تستعمل بمعنى القدرة ، و بمعنى الرتبة العلية، فمن فوقية القدرة(يد الله فوق أيدهيم) (و هو القاهر فوق عباده) فإن قرينة ذكر القهر يدل على ذلك. و من فوقية الرتبة (وفوق كل ذى علم عليم) لم يقل أحد أن المراد فوقية المكان. بل فوقية القهر والقدرة والرتبة). انتهى.

١٢ـ ذكر الشارح لحديث الأوعال والرد عليه:

قوله : (و قال صلى الله عليه وسلم فى حديث الأوعال المتقدم ذكره والعرش فوق ذلك، والله فوق ذلك كله) حديث الأوعال غير صحيح.

١ ـ قال الإمام الكوثرى : و قد تواردت نصوص ابن معين و أحمد و البخارى و مسلم و ابراهيم الحربى و النسائى و ابن عدى و ابن العربى و ابن الحوزى و أبى

حيان على أنه غير صحيح .

٢ـ و قال الألبانى : ضعيف و قد تقدم ذكره. فبطلت حجته بهذا الحديث.

١٣ـ استدلال الشارح بحديث ضعيف والرد عليه:

قوله : و قدانشد عبد الله بن رواحة شعره المذكور . بين يدى النبى ﷺ ، و أقرّه على ما قال، و ضحك منه). قال الألبانى ضعيف . فبطلت حجته به.

١٤ـ استدلال الشارح بحديث ضعيف والرد عليه:

قوله : و كذا أنشده حسان بن ثابت رضى الله عنه قوله :

شهدت بإذن الله أن محمداً — رسول الذى فوق السموات من عل

و أن أبا يحيى و يحيى كلاهما — له عمل من ربه متقبل

و أن الذى عادى اليهود ابن مريم — رسول أتى من عند ذى العرش مرسل

و أن أخا الأحقاف إذ قام فيهم — يجاهد فى ذات الإله و يعدل

فقال النبى ﷺ :"و أنا أشهد"

قال الألبانى : ضعيف ، رواه ابن سعد فى "الطبقات" بسند ضعيف و منقطع. فبطلت حجته به .

١٥ـ استدلال الشارح بحديث فيه (عندوغيره...) غير صحيح

نقل الشارح حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش : أن رحمتى سبقت غضبى) متفق عليه . قال فى الفتح البارى : [٤١٣/١٣] قال الخطابى : المراد بالكتاب أحد الشيئين : إما القضاء الذى قضاه كقوله تعالى ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ أى

قضى ذلك، قال و يكون معنى قوله (فوق العرش) ، أى عنده علم ذلك فهو لا ينساه و لا يبدله ، كقوله تعالى:﴿فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى﴾ و إما اللوح المحفوظ الذى فيه ذكر أصناف الخلق و بيان أمورهم و آجالهم و أرزاقهم وأحوالهم و يكون معنى (فهو عنده فوق العرش) أى ذكره و علمه و كل ذلك جائز فى التخريج) اهـ.فبطلت حجته به .

١٦ـاستدلال الشارح بحديث ضعيف :

قوله : وروى ابن ماجه عن جابر يرفعه ، قال "بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا إليه رؤوسهم ... إلخ"و هذا الحديث ضعيف ضعفه الألبانى محقق الكتاب ... فبطلت حجته به .

١٧ـاستدلال شارح العقيدة بالحديث الذى ذكره وشاهده غير صحيح:

قوله : "و روى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسيره قوله تعالى:﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾(الحديد:٣) بقوله (أنت الأول فليس قبلك شيئ و أنت الآخر فليس بعدك شيئ و أنت الظاهر فليس فوقك شيئ و أنت الباطن فليس دونك شيئ) و المراد بالظهور هنا العلو و منه قوله تعالى:﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾(الكهف :٩٧) أى يعلوه".

أقول : وهذا فيه نظر ...

١ ـلأن يحيى ابن زياد الفراء النحوى المشهور ذكر فى كتاب(معانى القرآن) معنى الظاهر: فقال : الظاهر على كل شيئ علما و الباطن على كل

شيئ علمًا [١]، و إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال .

٢ـ و قد نقل الحافظ ابن كثير استاذ الشارح ما قاله يحيى قوله الذى ذكرناه آنفا فى تفسيره لهذه الآية (٤٠٢/١٣) (هو الأول والآخر و الظاهر و الباطن).فأين الذى ذهب إليه الشارح ؟

وأما بطلان شاهده: فقد نقل الإمام ابن جرير فى تفسيره فى قوله تعالى:﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ قال : مااستطاعوا أن ينزعوه (٩/٩٥ـ٥٧) فبطل استدلاله بهذا الشاهد أيضاً لأنه جاء فيه الاحتمال.

١٨ـاستدلال الشارح بحديث ضعيف :

وقال :(روى أبو داود عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه ، عن جده ، قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابى ، فقال يا رسول الله ، جهدت الأنفس ، و ضاعت العيال، و نهكت الأموال، و هلكت الأنعام، فاستسق الله لنا... إلخ) قال الألبانى:(هذا الحديث ضعيف) و قد تقدم و كثيرا ما يستشهد به المصنف فلا حجة له فيه.

١٩ـو موضع استشهاد شارح العقيدة الطحاوية فى الحديث ضعيف:

و قال: و فى قصة سعد بن معاذ يوم بنى قريظة ، لما حكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم و تسبى ذراريهم، فقال النبى ﷺ :"لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات". قال الألبانى:(صحيح بدون قوله "من فوق سبع سموات" .كذلك هو فى "الصحيحين" و "المسند" و أما هذه الزيادة فتفرد بها محمد بن

١ـ وانظر فتح البارى(٣٦٢/١٣)

صالح التمار، كما في "العلو" (١٠٢) وقال :" و هو صدوق" و في "التقريب" "صدوق يخطئ"، قلت فمثله لا يقبل تفرده، و إن صححه المؤلف.) فموضع استشهاد الشارح قد ضعف فلا يتم الاحتجاج به.

٢٠-تمسك شارح العقيدة الطحاوية بهذا الحديث و بطلانه:

قال: (و روى البخارى عن زينب رضي الله عنها : أنها كانت تفخر على أزواج النبى ﷺ، و تقول :" زوجكن أهاليكن، و زوجني الله من فوق سبع سموات" و موضع استشهاده :(فوق سبع سموات) ...إلى آخر الحديث):والجواب أن الله منزه عن الحلول في المكان ولكن لما كانت جهة العلو أشرف من غيرها أضافها إليه اشارة إلى علو الذات والصفات رتبة.[1] فبطل استدلاله به.

٢١-استشهاد شارح العقيدة الطحاوية بحديث ضعيف:

قال:(وعن عمر رضي الله عنه أنه مربعجوز، فاستوقفته فوقف معها يحدثها ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين، حبست الناس بسبب هذه العجوز؟ ...الخ) قال الألباني ضعيف . أخرجه أبو سعيد الدارمي في "الرد على الجهمية" (ص ٢٦ طبع المكتب الاسلامي) من طريق أبي يزيد المدني عن عمر به. قال الذهبي:(١١٣)"و هذا اسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عمر". فلا يقوم الاحتجاج بهذا الحديث الضعيف . فبطل الاستدلال به.

١- انظر ذيل تفسير ابن كثير (٢٦٩/٦)

٢٢-في استدلال شارح العقيدة الطحاوية نظرٌ:

قال: (و روى عكرمة عن ابن عباس ، في قوله تعالى :﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ﴾[الاعراف:١٧] قال : و لم يستطع أن يقول من فوقهم ، لأنه قد علم أن الله سبحانه من فوقهم). و هذا فيه نظر .

لأن هذه الرواية أخرجها ابن جرير (١٤٣/١٢/٢) من طريق حفص بن عمر ثنا الحكم بن أبان به ، و حفص بن عمر ضعيف و تابعه ابراهيم ابن حكم أيضا ضعيف فبطل استدلال الشارح بهذا الأثر .

نعم نقل الإمام السيوطي في الدر المنثور عن عبد بن حميد و ابن جرير واللالكائي عن ابن عباسؓ في (هذه) الآية قال : (لم يستطع أن يقول : من فوقهم علم أن الله من فوقهم) . و في لفظ :(لأن الرحمة تنزل من فوقهم) فلو فرضنا صحة الرواية التي نقلها المصنف فإنها محمولة على الرحمة لأن الروايات الأخر تدل على ذلك و إليك هذه الروايات:

١ ـو أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله :......وعن شمائلهم : زين لهم السيئات و المعاصي و دعاهم إليها و أمرهم بها . أتاك يا ابن أدم من قبل و جهك غير أنه لم يأتك من فوقك لا يستطيع أن يكون بينك و بين رحمة الله.

٢ ـ و أخرج أبو الشيخ عن عكرمة قال : يأتيك يا ابن آدم من كل جهة غير أنه لايستطيع أن يحول بينك و بين رحمة الله ، إنما يأتيك الرحمة من فوقك.

٣ ـو أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي قال : قال : ابليس (لآتينهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن إيمانهم و عن شمائلهم) قال الله :﴿أنزل عليهم

الرحمة من فوقهم﴾ و الكل من الدرالمنثور (٣٣٩/٦).و مابعدها فهذه الروايات تفند تمسك الشارح فى ثبوته الفوقية الحسية لله تعالى جل شأنه لأن الروايات التى نقلناها كلها تدل على أن سبب عدم اتيان ابليس من جهة فوق وجهه: أن رحمة الله تواجه ابن آدم من هذه الجهة لا أن الله فوقه فوقية حسية كما يستدل له الشارح.

٢٣ـاستدلال شارح العقيدة الطحاوية بالعروج فى فوقية الله تعالى الحسى باطلٌ:

قال : الثالث : التصريح بالعروج إليه نحو : (تعرج الملائكة والروح إليه) المعارج :٤ و قوله : صلى الله عليه وسلم (يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم).

فالجواب:و فى "تفسير القرطبى ٢٨١/١٨" قال فى قوله تعالى (تعرج الملائكة)[والمعارج:٤]. أى تصعد فى المعارج التى جعلها الله تعالى لهم ثم قال : (إليه) أى المكان الذى هو محلهم و هو السماء، لأنها محل برّه و إكرامه. و قيل هو كقول إبراهيم عليه السلام:(إنى ذاهب إلى ربى) أى الموضع الذى أمرنى ربى إليه. فبطل استدلاله به.

٢٤ـ استدلال شارح العقيدة الطحاوية بالصعود إليه باطل:

قال : (الرابع: التصريح بالصعود إليه كقوله تعالى:﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾قال الحافظ ابن حجر فى الفتح [٤١٦/١٣]: و قال البيهقى : صعود الكلام الطيب و الصدقة الطيبة عبارة عن القبول و عروج الملائكة هو إلى منازلهم فى السماء......)فبطل استدلاله به.

٢٥- استدلال شارح العقيدة الطحاوية برفع بعض المخلوقات إليه باطل:

قال : (الخامس : التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله تعالى:﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾(النساء :١٥٨) و قوله:﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾(آل عمران :٥٥) وإستدلاله بهذه الأيات باطل . قال في "نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه للمحقق وهبي سليمان غاوجي حفظه الله (ص ٦٨) و أما قوله تعالى : (بل رفعه الله إليه) في حق عيسى عليه السلام ، فقد قال الإمام القرطبي الأشعري : و قال الحسن و ابن جريج : معنى(متوفيك) قابضك و رافعك إلى السماء من غير موت، مثل توفيت مالي أي قبضته . ثم قال بعد كلام : والصحيح أن الله رفعه إلى السماء من غير وفاة و لا نوم ، كما قال الحسن و زيد ، و هو اختيار الطبري ، و هو الصحيح عن ابن عباس.

قلت : ثبت في البخاري أن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء الثانية ، أو غيرها . وقد رآه رسول الله ﷺ هناك.

والعرش فوق السموات و(الرحمن على العرش استوى) كما قال والكيف غير معقول كماقالت أم سلمة وأما قوله تعالى على لسان فرعون (لعلي أبلغ الأسباب) .. الآيةفليس في الآية و ما قبلها أن موسى عليه السلام قال لفرعون إن الله عزوجل فوق السموات ، فمن أين نقول ما لم يُقل ، و ندعي دون برهان و حجة ؟!.)انتهى.

٢٦-استدلال الشارح بالآيات التي ذكرها غير صحيح:

قال:(السادس التصريح بالعلو المطلق ... كقوله تعالى:﴿و هو العلي العظيم﴾﴿ و هو العلي الكبير﴾(البقرة :٢٥٥) و استدلاله بهذه الأيات باطل قال

الحافظ ابن كثير الذى هو استاذ الشارح فى معنى هذه الآية الكريمه : (٤٤٤/٢):
فقوله : ﴿و هو العلى العظيم﴾ كقوله : ﴿الكبير المتعال﴾ و هذه الآيات و ما فى
معناها من الأحاديث الصحاح :الأجود فيها طريقة السلف الصالح، امرارها كما جاء
ت من غير تكييف و لا تشبيه هذا هو تفسير لهذه الآية و أين فيها ما يريده الشارح؟

والآية الثانية: قال الراغب فى المفردات (٣٤٥) والعلىّ هو الرفيع القدر من عَلِيَ
و إذا وصف الله تعالى به فى قوله: ﴿إنه هو العلىّ الكبير﴾ ﴿إنّ الله كان عليًا كبيرًا﴾
فمعناه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين. فلا حجة له فيه أيضا.

٢٧ـتشبث الشارح بتنزيل الكتاب و غيره باطل:

قال : (السابع : التصريح بتنزيل الكتاب منه ...الخ) و استدلاله بهذه الآيات غير صحيح
لأن الايات تثبت منها أن القرآن نقله سيدنا جبريل عليه السلام من السماء أو من اللوح
المحفوظ إلى الأرض بأمر الله أو أن الملائكة تنزل من السماء مسكنهم الأصلى إلى الأرض .

قال الإمام على القارى فى شرح الفقه الأكبر ص١١٥ :(و قد اغرب الشارح حيث
قال فى قوله تعالى :﴿نزل به الروح الامين على قلبك﴾ فى ذلك اثبات صفة العلو لله تعالى
انتهى و غرابته لا تخفى إذ النزول و التنزيل تعديتها بعلى ، و المراد بنزوله ههنا من جهة
السماء على أن الكلام فى علو الكلام على قلب الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، و لا نزاع
فى هذا المقام و لا يلزم من ذلك علوا المكان للملك العلام.)

٢٨ـاستدلال شارح العقيدة الطحاوية بإختصاص بعض المخلوقات و أنها عنده باطل:

قال:(الثامن :التصريح : بإختصاص بعض المخلوقات و أنها عنده و أن بعضها

أقرب إليه من بعض قوله:(إن الذين عند ربك).

و هـذا لا حجة له فيه لأن أهل الإسلام يعتقدون أن الله سبحان منزه عن المكان و نسبتـه إلـى الأمكنة سواء و ليس القرب منه بالمسافة و لا بالبعد عنه بالمسافة، قال اللـه تـعـالى:﴿واسجد واقترب﴾ و قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم :(أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد) أخرجه النسائي وغيره[1].

و قـال الـراغب في مفردات القرآن ص٣٤٩ (عند) : لفظ موضوع للقرب فتارة يستعمل فـي المكان و تارة في الاعتقاد نحو أن يقال عندي كذا، و تارة في الزلفى والـمـنـزلة و عـلـى ذلك قـولـه:﴿بل احيـاء عـنـد ربهـم﴾:﴿ ان الـذيـن عـنـد ربك﴾:﴿يسبحون له بالليل والنهار﴾ و قال رب ابن لي عند ك بيتا في الجنة ، و على هـذا الـنـحو قيل :(الملائكة المقربون عند الله). وجواب عند المذكور في الحديث المستشهد به قدمناه آنفًا.

٢٩ـقول شارح العقيدة الطحاوية (بأنه تعالى في السماء) واستدلاله بالآيات

الجواب عنها:

قال : (التاسع:التصريح بأنه تعالى في السماء ...) أقول : هذا لا حجة له فيه.

١ـقـال وهبـي سـليـمـان غـاوجـي فـي كـتـابـه "نـظـرة علمية في نسبة كتاب الابانة جميعه..." إلى أبي الحسن الإشعري (ص ٧٠) : أن "في" في قوله تعالى:

---

١. انظر المقالات للكوثري (ص ٢٣١)

(فى السماء) تفيد الظرفية فى أصل استعمال اللغة مثل(و فى أنفسكم أفلا تبصرون) و "ألا إن فى الجسد مضغة" كما فى حديث البخارى، و قد تستعمل فى غير الظرفية لقرينة كما فى قوله تعالى:(و لأصلبنكم فى جذوع النخل) على قول بعض المفسرين.

و أن "السماء" يراد به المفرد بدليل جمعه على السموات، و قد يرد و يراد به الجنس بدلالة و قرينة . أما العرش فلم يرد ذكره فى الآية فكيف يقال المراد الذى على العرش فوق السموات. .

اللهم إنه تأويل لا يحتاج إليه المؤمن المستسلم والآخذ بقول السلف الصالح.. و إلا فما يؤول به قول تعالى: (وهو الله فى السموات و فى الارض) و قوله سبحانه : (و هو الذى فى السماء إله و فى الأرض إله) و قوله سبحانه : (و هو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) و قوله: (و هو معكم أين ما كنتم) و أمثالها.

٣ـوقال الإمام النووىؒ : فى شرح مسلم (٢٤/٥) : قال القاضى عياض:.

(لا خلاف بين المسلمين قاطبة فقيهم و محدثهم و متكلمهم و نظارهم و مقلدهم أن الظواهر الواردة بذكر الله تعالى فى السماء كقوله تعالى:﴿أء منتم من فى السماء أن يخسف بكم﴾ ونحوه ليست على ظاهرها بل متأولة عند جميعهم) اهـ ٠

٣ـ و قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الفتح (ص ٤١٢/١٣) قال الكرمانى قوله (فى السماء) ظاهره غير مراد إذ الله منزه عن الحلول فى المكان لكن لما كانت جهة العلو اشرف من غيرها اضافها إليه اشارة إلى علو الذات والصفات .

فمعنى الآية (أء منتم من الجبار أن يخسف بكم الأرض أو المراد جبريل عليه

السلام أو أيّ ملك يرسله الله للعذاب .

۳۰۔ و استدلال الشارح بالإستواء فی صدد بیانه لعلو الله الحقیقی غیر صحیح:

قال : (العاشر:التصريح بالاستواء) أقول : و فى "المقالات" للإمام الكوثرىؒ (ص:٢٢٥) نقلا عن "العارضة" لابن العربى :والذى يحب أن يعتقد فى ذلك أن الله كان و لا شيئ معه، ثم خلق المخلوقات من العرش إلى الفرش ، فلم يتعين بها و لا حدث له جهة منها، و لا كان له مكان فيها ، فإنه لا يحول و لا يزول قدوس لا يتغير و لا يستحيل.

و للاستواء فى كلام العرب خمسة عشر معنى ما بين حقيقة و مجاز: منها ما يجوز على الله فيكون معنى الأية . و منها ما لا يجوز على الله بحال و هو ما إذا كان الاستواء بمعنى التمكن أو الاستقرار أو الاتصال أو المحاذاة ، فإن شيئا من ذلك لا يجوز على البارى تعالى و لا نضرب له الأمثال فى المخلوقات. و إما أن لا يفسر كما قال مالكؒ و غيره: إن الاستواء معلوم يعنى مورده فى اللغة ، و الكيفية التى أرادها الله ، مما يجوز عليه من معانى الاستواء مجهولة فمن يقدر أن يعينها؟ و السؤال عنه بدعة لأن الاشتغال به قد يثير طلب المتشابه ابتغاء الفتنة. فتحصل لك من كلام إمام المسلمين مالك أن الاستواء معلوم ، وأن ما يجوز على الله غير متعين و ما يستحيل عليه هو منزه عنه ... و قد حصل لك التوحيد و الإيمان بنفى التشبيه والمحال على الله سبحانه و تعالى فلا يلزمك سواه..) فالاستواء الحقيقى من صفات الأجرام كما ذكرنا و كذلك قد فصلنا القول فى معنى الاستواء فيما قبل و لا دليل له فيه.

٣١ـ استدلال الشارح برفع الأيدى إلى السماء غير صحيح :

قال : (الحادى عشر:التصريح برفع الأيدى إلى الله .... والقول بأن العلو قبلة الدعاء فقط . باطل بالضرورة الفطرة ، و هذا يجده من نفسه كل داع).

و فى قوله نظر بل باطل.

أما أولاً : فالذى يقول بأن العلو(السماء) قبلة الدعاء هوالرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يرفع يديه و كفيه فى دعائه إلى جهة السماء :

١ .قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٢٣٣/٢) : قال ابن بطال : اجمعوا على كراهة رفع البصر فى الصلاة ......ثم قال لأن السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة.

٢ .و قال الإمام الحافظ النووى فى شرح صحيح مسلم (٢٤/٥):لأن السماء قبلة الداعين كما أن الكعبة قبلة المصلين .

٣. و قال الإمام الغزالى و المحدث الزبيدى كما فى (شرح الاحياء) (١٠٤/٢): فأما رفع الأيدى عند السؤال) والدعاء (إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء) فالسماء قبلة الدعاء بداهة و ضرورة.

و دليله الفطرى أيضا غير صحيح:

و قد ردّ الإمام ملا على القاريؒ فى كتابه : و قد ردّ عليه الإمام ملا على القارى فى كتابه شرح فقه الأكبر بقوله :و من الغريب أنه استدّل على مذهبه الباطل برفع الأيدى فى الدعاء إلى السماء و هو مردود ، لأن السماء قبلة الدعاء بمعنى أنها محل نزول الرحمة التى هى سبب انواع النعمة ، و هو موجب دفع اصناف النقمة ، و لو

كان الأمر كماقال هذا القائل فى مدّعاه الباطل لوقع التوجه بالوجه إلى السماء ، وقد نهانا الشارع عن ذلك حال الدعاء لئلايتوهم أن يكون المدعو فى السماء كما يشير إليه قوله تعالى :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ وقوله تعالى :﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾.و قد ذكر الشيخ ابومعين النسفى إمام هذا الفن فى التمهيد له ، من أن المحققين قرروا أن رفع الأيدى إلى السماء فى حال الدعاء تعبد محض.

قال الشارح العلامة السغناقى : هذا جواب عما تمسك به غلاة الروافض و اليهود والكرامية و جميع المجسمة فى أن الله على العرش ، هذا ، و قيل إن العرش جعل قبلةللقلوب عند الدعاء كما جعلت الكعبة قبلة للأبدان فى حال الصلاة، و قد سبق أن هذا مما لا وجه له ، فإنه مأمور بإستقبال القبلة أيضاً حال الدعاء و برفع الايدى إلى السماء و بعدم رفع الوجه إلى جهة العلوّ ، فالوجه ما قدمناه ، مع أن التوجه الحقيقى إنما يكون بالقلب إلى خالق السماء ، نعم نكتة رفع الأيدى إلى السماء أنها خزائن ارزاق العباد كماقال الله تعالى:﴿وفى السماء رزقكم﴾(الآية) مع ان الإنسان مجبول على الميل إلى التوجه إلى جهة يتوقع منها حصول مقصوده ، كالسلطان إذا وعد العسكر بالارزاق ، فإنهم يميلون إلى التوجه نحو جنوب الخزينة و إن يتقنوا أن السلطان ليس فيها) و دليلهم الفطرى هذا عجيب و ذلك بأن الإنسان والحيوان يعلم بالفطرة بأن اللّٰه فى السماء.

قال الحافظ ابن قيم الجوزية فى كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية) [ص ۲۱۲] تحت عنوان (اكرموا البقر): (و ذكر شيخ الإسلام الهروى باسناده عن عبد

الله بن وهب قال : اكرموا البقر فإنها لم ترفع رأسها إلى السماء منذ عبد العجل حياء من الله ثم قال : والمقصود أن هذه فطرة الله التى فطر عليها الحيوان حتى أبلد الحيوان الذى تضرب ببلادته المثل و هو البقر).

و ليس الكلام كما يزعمون. فهذا الدليل الفطرى الذى يزعمون أنهم أخذوه من الآية والحديث ليس بشيئ لأن للآية والحديث غير المعنى الذى أخذوه منها.

١ـ قال الراغب: "الفطرة" هو إيجاد الله الشيئ و إبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال، فقوله : "فطرة الله التى فطر الناس عليها" إشارة منه تعالى إلى ما فطر أى أبدع و ركز فى الناس من معرفته تعالى ، و فطرة الله هى ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان ، و هو المشار إليه بقوله تعالى : "و لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله"انتهى. و نصب "فطرة الله" على حذف الفعل أى الزموا واتبعوا فطرة الله ، و هو أرجح الأقوال فيه.

٢ـ و قال الطيبى:" المراد بالفطرة ههنا التمكن من الهدى فى أصل الجبلة، و التهيؤ لقبول الدين ، فلو ترك المرأ عليها لاستمر على لزومها و لم يفارقها إلى غيرها ، لأن حسن هذا الدين ثابت فى النفوس . و إنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد، قال تعالى :"أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى" انتهى.

٣ـ وقال الإمام التوربشتى رحمه الله تعالى: "ذهب بعضهم إلى المراد بالفطرة: الإسلام، ، و ذهب بعضهم إلى أن المراد بالفطرة ههنا ، ما فطر الله الخلق عليه، من الهيئة مستعدة لمعرفة الخالق و قبول الحق و التميز بين حسن الأمر و قبيحه، بما ركبه فى الناس من العقول . و إلى هذا المعنى أشار بقوله سبحانه "فطرة الله التى فطر

الناس عليها " والقائلون بالتأويل المبدد بذكره يستدلون بهذه الاية ، و هي تدل على . خلاف ما فهموا ، لأنه سبحانه و تعالى يقول: "لا تبديل لخلق الله" فلو كان المراد بالفطرة نفس الإسلام، للزم من الحديث تبديل خلق الله ، لأن النبي ﷺ قال : "فأبواه يهودانه" الحديث. إلخ." فالفطرة الحقيقة غير التي يزعمونها. (١) فأين الذى ذهب إليه هؤلاء ؟؟!

٣٢- اثبات الشارح النزول لله من علو إلى سفل والرد عليه:

قال : (الثاني عشر:التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل) و هذا لا دليل له فيه :

١ - قال الإمام البيضاوى : (و لما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز : امتنع عليه النزول على معنى الإنتقال من موضع إلى موضع اخفض منه فالمراد دنّو رحمته)

٢- و أول الإمام ابن العربى أحاديث النزول بوجهين:إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، و إما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين ، و الاجابة لهم ،و نحوه ، وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض المشائخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول ،أى ينزل ملكا و يقويه ما رواه النسائى عن طريق الأغر عن أبى هريرة و أبى سعيد بلفظ : (إن الله يمهل حتى يمضى شطر الليل ، ثم يأمر مناديا يقول : هل من داع فيستجاب له ...) فهذا الحديث صحيح رواه النسائى و فى حديث عثمان بن أبى العاص (ينادى : مناد: هل من داع يستجاب له (٢) الحديث .

١-احكام القرآن (٣/١٥٠-١٥١)

٢- انظر فتح الملهم للشيخ شبير أحمد العثمانى (٤/١٦٦)

و قد ثبت في اللغة أن النزول على وجهين : نزول حركةو نزول إحسان و بركة ، فإن من اعطاك قد نزل اليك إلى درجة النيل المحبوبة عندك عن درجة المنع المكروهة ، كما أنه نزل في وده لك عن حال البغضاء والاعراض عنك و و نزول حقيقة في بابه كما أن نزول المرء عن الجبل إلى السفح حقيقة في بابه قال عنترة:

و لقد نزلت فلا تظني غيـــره

مني بمنزلة المحبّ المكـــرم

❁❁❁

و قال عمرؓ في الإسلام : ما ينزل بعبد مسلم من منزل شدة ...الخ و هومعنوى لا حركة فيه و لا انتقال [1] والنزول المحسوس من فوق إلى تحت خاصية الأجسام تعالى الله عن الجسمية .

٤ـ و في "الاعتقاد و الهداية إلى سبيل الرشاد" للإمام البيهقي (ص ١١٧) "يجب أن يُعلَم أن استواء اللّٰه سبحانه و تعالى ليس باسواء اعتدالٍ عن اعوجاج، و لا استقرار في مكان، و لا مماسّة لشيئ من خلقه ، لكنه استوى على عرشه كما أخبر، بلا كيف، بلا أين ، بائن من جميع خلقه. و أنّ إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان. و أن مجيئه ليس بحركة. و أنّ نزوله ليس بنقلة . و أنّ نفسه ليس بجسم . و أن وجهه ليس بصورة. و أن يده ليست بجارحة. و أن عينه ليست بحدقة. و إنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف فقلنا بها ، و نَفَينا عنها التكييف فقد قال تعالى :(ليس كمثله شيئ)

١ـ استحالة المعية بالذات للشيخ الخضر (٢٦/١)

، و قال سبحانه: (و لم يكن له كفوا أحد) ، و قال عزوجل :(هل تعلم له سمياً)

٥ـ و قال الإمام الكوثري في "المقالات" ص ٢٦١ :(و من حاول أن يستدل على إثبات الحركة لله سبحانه بحديث النزول تغافل عن الدليل العقلي القاضي باستحالة ذلك على الله ، مما يحتم الحمل على الإسناد إلى السبب الآمر أو المجاز في الطرف ، و تجاهل اختلاف الروايات في النزول من إنزال وتنزل ، و غير ذلك و معانيها في لسان العرب ، و تغاضى عن حديث النسائي الدال على إنزال ملك ينادي في الثلث الأخير من الليل كل ليلة ، المعين لإرادة الإسناد المجازي من قائله ﷺ ، و تناسى أيضا أن الثلث الأخير من الليل مستمر في ليالي السنة كلها في أقطار الأرض على اختلاف المطالع حتى عند ابن حزم الظاهري على ظاهريته، فيستمر النزول بل الكون في السماء الدنيا على هذا الزعم الباطل .

٣٣ـ اثبات شارح العقيدة الطحاوية الاشارة إليه تعالى حساً و الرد عليه:

قال: (الثالث عشر: الاشارة إليه حسًا ...فكأنا نشاهد تلك الاصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله) و لا حجة له فيه قال القرطبي :(هذه الاشارة إما إلى السماء لأنها قبلة الدعاء ، و إما لعلو الله تعالى المعنوي : لأن الله لا يحويه مكان ، و لا يختص بجهة ، و قد بين ذلك قوله : (و هو معكم أينما كنتم)[1].

٣٤ـاستدلال الشارح بحديث(أين الله) والجواب عنه:

قال : (الرابع عشر: التصريح بلفظ : الأين ، كقول اعلم الخلق به ... و افصحهم بيانا عن المعنى الصحيح بلفظ لا يوهم باطلاً بوجه :"اين الله " في غير موضع).

١ـ فتح الملهم (٦٨/٦)

وهذا لا حجة له فيه لأن هذا الحديث فيه اضطراب :

١ـ قال الإمام الحافظ البيهقي : في الأسماء والصفات (ص :٤١٢) و هذا صحيح قد أخرجه مسلم مقطعًا من حديث الأوزاعي و حجاج الصواف عن يحيى بن أبي كثير دون قصة الجارية ، و أظنه إنما تركها من الحديث لاختلاف الرواة في لفظه و قد ذكرت في كتاب الظهار من السنن مخالفة من خالف معاوية بن الحكم في لفظ الحديث.

٢ـ و قال الإمام الكوثري في "المقالات" ص ٢٦٢ :"و أما حديث الجارية في السؤال بأين ففي سنده و متنه اختلاف و اضطراب كما شرحت ذلك في تكملة الرد على نونيه ابن القيم"٩٠ـ٩٥"و فيما علقت على الأسماء والصفات (ص ٤٢٢) على أن سمت الرأس الآن ينقلب إلى سمت أخمص القدم بعد ساعات حيث يتجدد سمت الرأس كل آن . فادعاء أن الله في مكان في سمت الرأس الآن يناقض الإشارة إلى سمت الرأس بعد ساعات فإنه سمت القدم بالنظر إلى الأول.

و قد أغنى الله سبحانه العلم عن اتخاذ أصحاب تلك الطامات قدوة فيه ، فمن حاول المناصرة لهؤلاء الزائغين في آخر الزمن قد غفل عن أن الجو لن يصفو لعقيدة التشبيه ما دام للإسلام عرق ينبض ، و أن عقيدة التنزيه أرسخ في النفوس مما يتصوره شخص ذلك المحاول المتعود أن يهرف بما لا يعرف.

ثانياً: الرواية الراجحة هي التشهدين:

رواه مالك في الموطأ بسند عال عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة

قال الهيثمي رواه أحمد و رجاله رجال الصحيح و لهذه الرواية شواهد عديدة.

و قد روى بروايات متنوعة فالرواية الراجحة هي رواية: أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت: نعم . قال (أتشهدين أن محمدًا رسول الله ؟) قالت : نعم . قال : (أتشهدين أن محمدًا رسول الله؟) قالت : نعم . قال(أتوقنين بالبعث بعد الموت؟)قالت : نعم . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعتقها فإنها مؤمنة).

ثالثًا:حديث أين الله مأولٌ

لقد أول كثير من العلماء المحققين لفظ (اين الله) و لم يقولوا بظاهره البتة دون أن يتكلموا على السند ، و منهم:

١ . الحافظ تقي الدين السبكي في كتابه (السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل ص: ٩٤)

٢ . الحافظ النووي في شرح صحيح مسلم (٢٤/٥)

٣ . القاضي عياض كما نقله عنه الإمام النووي في شرح مسلم (٢٤/٥)

٤ .الحافظ ابن الجوزي : في كتابه (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه) (١٨٩)

٥ .الحافظ أبو بكر المالكي في (شرح سنن الترمذي)(٢٧٣/١)

٦ .الحافظ ابن حجرالعسقلاني في فتح الباري (٢٢١/١)

٣٥ـ تمسك شارح العقيدة الطحاوية بالحديث المذكور..

قد بينا وجه بطلانه:

قال :(الخامس عشر: شهادته صلى الله عليه وسلم ...الخ. و قد بينا في الرابع عشر حال هذا الحديث فلاحجة له فيه.

٣٦-رمى شارح العقيدة الطحاوية أهل السنة بالجهمية وجواب ابن العربي لهم:

قال : (السادس عشر:اخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلّع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السموات ، فقال : (يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلّع إلى إله موسى ، و إنى لأظنه كاذباً) المؤمن :٣٦ .فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعونى ، و من اثبته فهو موسوى). ننقل فى الجواب قول الإمام ابن العربى لهذه الشبهة و غيرها من الشبهات و نذكر القول الذى ذكره كاملا لتعم الفائدة نقل الإمام الكوثرى فى المقالات عن ابن العربى (ص٢٢٤) :

قال ابن العربى فى العارضة (٢٣٢/٢) قد تعدى إليه"أى حديث النزول" قوم ليسوا من أهل العلم بالتفسير فتعدوا عليه بالقول بالنكير و قالوا" فى هذا الحديث دليل على أن الله فى السماء على العرش من فوق سبع سماوات " قلنا هذا جهل عظيم، و إنما قال ينزل إلى السماء ، و لم يقل فى هذا الحديث من أين ينزل و لا كيف ينزل؟ قالوا"وحجتهم ظاهر قول الله تعالى:(الرحمن على العرش استوى) قلنا و ما العرش فى العربية؟ و ما الاستواء قالوا"كما قال الله تعالى:(لتستوا على ظهوره) قلنا إن الله تعالى أن يمثل استواؤه على عرشه باستوائنا على ظهور الركائب. قالوا" و كما قال : (و استوت على الجودى) قلنا تعالى الله أن يكون كالسفينة جرت حتى لمست فوقفت ، قالوا " و كما قال :(فإذا استويت أنت و من معك على الفلك) قلنا معاذ الله أن يكون استواؤه كاستواء نوح و قومه ، لأن هذا كله استواء مخلوق

بارتفاع و تمكن في مكان و اتصال ملامسة و قد اتفقت الأمة من قبل سماع الحديث و من بعده على أنه ليس استواؤه على شيئ من ذلك، فلا يضرب له المثل بشيئ من خلقه. قالوا "قال الله عزوجل :(ثم استوى إلى السماء) قلنا تناقضت ! تارة تقول إنه على العرش فوق السماء، ثم تقول إنه في السماء لقوله (ءَ أمِنتُم من في السماء) و قلت إن معناه على السماء . قالوا "اجتمعت الموحدة على أنهم يرفعون أيديهم في الدعاء إلى السماء و لو لا ما قال موسى "إلهي في السماء " لفرعون ما قال : "ياهامان ابن لي صرحا" قلنا كذبتم على موسى ما قالها قط، و من يوصلكم إليه إنما أنتم أتباع فرعون الذي اعتقد أن الباري في جهة فأراد أن يرقى إليه بسلم فيهنئكم أنكم من أتباعه و أنه إمامكم. قالوا "و هذا أمية بن أبي الصلت يقول:

فسبحان من لا يقدر الخلق ... و من هو فوق العرش فردٌ موحَّدُ

مليكٌ على عرشِ السَّماءِ مهيمنٌ ... لعزَّته تعنُو الوجُوهُ و تسجُدُ

و هو قرأ التورلة والانجيل و الزبور " قلنا هذا الذي يشبه جهلكم أن تحتجوا بقول فرعون ، و قول ملحد جاهلي و تحيلون به على التوراة والإنجيل المبدلة المحرفة . واليهود أعرق خلق الله كفرا و تشبيها لله بخلق .

و الذي يجب أن يعتقد في ذلك أن الله كان و لا شيئ معه ، ثم خلق المخلوقات من العرش إلى الفرش ، فلم يتعين بها و لا حدث له جهة منها ، ولا كان له مكان فيها ، فإنه لا يحول و لا يزول قدوس لا يتغير و لا يستحيل.

٣٦-تمسك شارح العقيدة الطحاوية بواقعة المعراج والجواب عنه:

قال :(السابع عشر:إخباره صلي الله عليه وسلم أنه تردد بين موسى عليه السلام

و بين ربه ليلة المعراج ...الخ) و لاحجة له فيه لأن معناه : ارجع إلى المكان الذى خاطبت فيه رب العزة و كلمك عنده و اسأله أن يخفف عن أمتك ،وهذا كما كان موسى عليه السلام يكلم الله تعالى ، وكان يكلمه الله فى منطقة بجانب الطور و لم يخطر ببال أحد أن رب العالمين فى تلك المنطقة إذ هو منزه عن المكان لأن المكان يتعلق بالممكن .

٣٧-تمسك شارح العقيدة الطحاوية بحديث ضعيف أو موضوع كرره مراراً:

قال:(الثامن عشر:النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى ...) ثم ذكر الحديث يستدل به على دعواه و هذا الحديث و فى اسناده أبو عاصم قال الذهبى واه و قد ذكرهذا الحديث ابن الجوزى فى الموضوعات ، و قد نقل البخارى عن ابن عيينة: ليس أهل أن يروى عنه فكيف يستدل فى العقائد بمثل هذا الحديث . و قال الألبانى أن هذا الحديث ضعيف.

٣٨-طعن شارح العقيدة الطحاوية على مسلك الأحناف وغيرهم و ذكره مذهبهم مذبذباً والجواب عنه:

ثم قال :(و صار من اثبت الرؤية و نفى العلو مذبذبًا بين ذلك ، لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء) فالجواب :و لما كانت أحاديث الرؤية من المتشابهات فأهل السنة والجماعة تؤمن بها و لا تبين كيفيتها فأى تذبذب فيها بعد أن يؤمنوا بها بلا بيان كيفيتها و هى عقيدة السلف الصالح روى الذهبى بإسناده فى مختصر العلو (ص ١٤٢) عن الوليد قال سألت الأوزاعى و الليث بن سعيد و مالكا والثورى عن هذه

الأحـاديث التى فيها الرؤية و غير ذلك فقالوا : امضها بلا كيف) فأهل السنة لها قدوة فى العقائد و هم الصحابة و السلف الصالح والحمدلله.

٣٩ـاستدلال شارح العقيدة الطحاوية برجل وضاع:

قـال : (و كـلام السـلف ...فـى اثبات صفة العلو كثير جداً : فمنه ما روى شيخ الإسـلام أبـو اسـمـاعيـل الأنـصـارى فـى كتابه الفاروق بسنده إلى أبى مطيع البلخى ...)الخ .

والشيخ قال و كلام السلف فى اثبات صفة العلو كثير جدًا فنقل رواية راويه عند الـمحدثين أحد الوضاعين ، و العجب من الشيخ غفر الله لنا وله كيف يروى لنا هذه الـرواية وقـد قـال الإمـام مـلا عـلـى الـقـارى فى شرح فقـه الأكبر ص ١١٥ و أمـا قـولـه(الشـارح) : و كـلام السـلف فى اثبات صفة العلو كثير جدًا بعد ما ذكر بعض الآيات و الأحاديث الدالة على صفة الفوقية و نعت العلوية فمسلم ، إلا أنه مؤول كله بعلوّ المكانة ثم قال و منه ما روى عن أبى مطيع البلخى ....

والـجـواب أنـه انـكـر الشيخ الإمام ابن عبد السلام فى كتاب حل الرموز : أنه قال الإمام أبوحنيفة رحمه الله : من قال لا أعرف الله تعالى فى السماء هوأم فى الأرض كفر ، لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانًا ، و من توهم أن للحق مكانًا فهو مشبه انتهى .

و لاشك أن ابن عبد السلام من اجّل العلماء و أوثقهم فيجب الاعتماد على نقله لا عـلـى ما نقله الشارح مع أن أبا مطيع رجل و ضاع عند أهل الحديث كما صرح به غيـر واحـد والحاصل أن الشارح يقول بعلو المكان مع نفى التشبيه ، و تبع فيه طائفة مـن أهل البدعة ، و قد تقدم عن أبى حنيفة رحمه الله أنه يؤمن بالصفات المتشابهات

و يعرض عن تأويلها ، و ينزه الله تعالى عن ظواهرها ، و يكل علمها إلى عالمها كما هو طريقة السلف و كثير من الخلف ، مذهبهم أسلم و أعلم و أحكم ، و لقد أغرب حيث قال : المكانة تأنيث المكان و أراد أنهما واحد فى المعنى .

و لم يفرّق بين المنزلة المعنوية و بين المرتبة الحسية مع أنه اورد ما جاء فى الأثر ......ثم قال : فهو من قبيل ما ورد فى قوله عليه الصلاة و السلام (حبك الشيئ يعمى و يصم) و قد ثبت عن إمام الحرمين فى نفى صفة العلو قوله :كان الله و لا عرش و هو الآن على ما كان ، و مما ينقض القول بالعلوّ المكانى و ضع الجهة على الأرض مع أنه ليس فى جهة الأرض اجماعًا.

و قول الشارح:" و هذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل ، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله! و هيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك!"

غير صحيح ليته بسط أفرادها .. و هذا منه مبالغة عظيمة يعرفها كل أحد، و نحن أجبنا عن كل ما قدمه إلينا من الدلائل و جوابنا جواب صحيح إن شاء الله و لم يبق فيها شيئ. و أى باعث كان لهذا الشيخ حتى ترك مسلك الماتريدية و اختار مسلك شيخ لم يوجد له اتباع إلا بعدد الأصابع.

٤٠ـ الجواب لشارح العقيدة الطحاوية من قول قاله:

قال : (و قصة استتابة بشر المريسى... مشهورة) : أقول : نعم و قصة عمرؓ فى استتابة صبيغ أكثر شهرة منها ، و معاذالله أن يصدر من تلميذ الإمام أبى حنيفة خلاف إمامه . و قد قال : البياضى [1] فى اشارات المرام : قال أبو حنيفة من قال : لا أعرف ربى

[1] ـ انظر المقالات للإمام الكوثرى .

في السماء أم في الأرض فهو كافر، و كذا من قال إنه على العرش و لا ادرى العرش أفي السماء أم في الأرض، ثم ذكر وجه اكفاره وقال : لكونه قائلا باختصاص الباري تعالى بجهة و حيز و كل ما هو مختص بالجهة والحيز فإنه محتاج محدث بالضرورة ، و هو قول بالنقص الصريح في حقه تعالى ، والقائل بالجسمية والجهة منكر وجود موجود سوى الأشياء التي يمكن الاشارة إليها حسًا فهم منكرون لذات الإله المنزه عن ذلك...)

كما نقلناه أنفاً ، و قال الإمام ابوجعفر الطحاوي في صدر كتابه كما مر (اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة و أبي يوسف و محمد بن الحسن) : و قد قال الإمام الطحاوي في عقيدة هؤلاء :(تعالى الله عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات و لا تحوية الجهات الست كسائر المبتدعات)

والعجب أن الشيخ غفر الله لنا و له لايتحاشى أن يذكر أثراً لا يعرف أصله و لا يعرفعه حتى حامل لواء شيعته الشيخ الألباني و هو : (إذا أحب أحدكم أن يعرف...) فإذا كان هذا حال الدليل فأنّى يكون ثبوت المدعى؟ و قد فرغنا من دليله الفطري ، و كونه تعالى لا داخل العالم و لا خارج العالم فيما مضى و قبلة الدعاء ، و أما قياساته العقلية فسفسطات لاطائل تحتها و لو لا خوف الإطالة لأتينا على كلها. و الله اعلم.

و نقول : إنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيْلاً وَكَلَّمَ اللّٰهُ مُوسَى تَكْلِيْماً إيمانًا و تصديقًا تسليمًا.

الشرح:-

قال الله تعالى:﴿وَاتَّخَذَ اللّٰهُ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلاً﴾.

بيان الخلة:

قال الإمام ملا على القارى فى شرح الفقه الأكبر (ص ١١٦) و اعلم أن الخلة كمال المحبة و أنكر الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين زعمًا منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب ، و أنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة ، و كان أول من ابتدع هذا فى الإسلام هو الجعد بن درهم فى أوائل المائة الثانية ، فضحى به خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق و المشرق بواسط ، خطب الناس يوم الأضحى فقال :يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإنى مضحّ بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ثم نزل فذبحه ، و كان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء الدين.

والمعتقد أن محبة الله و خلته كما يليق به كسائر صفاته و نقل بعضهم الاجماع على ذلك . قال العلامة ابن كثير فى التفسير (٢٩٣/٤) و سمى سيدنا ابراهيم عليه السلام خليل الله لشدة محبة ربه عزوجل ، له لما قام له به من الطاعة التى يحبها و يرضاها ، و لهذ ثبت فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطبهم فى آخر خطبة خطبها ، قال : (أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً ، لا تخذت أبا بكر بن أبى قحافة خليلا و لكن صاحبكم خليل الله).

ثم نقل حديث مسلم : عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً) و قال تعالى:﴿وَكَلَّمَ اللّٰهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ و قد فصلنا فيما سبق (الكلام مع ملحقاته) .

قال : ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين و نشهد أنهم كانو على الحق المبين .

الشرح:۔

و نؤمن بالملائكة الذين هم مأمورون بخدمة العباد، و عبادة رب العباد و كذلك نؤمن بالأنبياء الذين جاء وا من عند الله لتبليغ الدين و نؤمن بالكتب التى انزلت على الرسل و نشهد أن هؤلاء كانوا على الحق الواضح و المحجة البيضاء.

صفات الملائكة عليهم السلام:

١:۔هم اجسام نورانية: خلقهم الله عزوجل من نور ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(خلقت الملائكة من نور و خلق الجان من مارج من نار و خلق آدم مما قد وصف لكم) رواه مسلم.

٢:۔ يمكنهم أن يتشكلوا و يظهروا بأمر الله تعالى بمظهر الأجسام الكثيفة الشريفه كما كان سيدنا جبريل عليه السلام يظهر فى شكل الصحابى دِحية الكلبيّ رضى الله عنه.

٣:۔لا يأكلون و لا يشربون و لا يتناسلون.

٤:۔ لا يوصفون بالذكورة و لا بالأنوثة : قال الله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى ـوَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾(النجم :٢٧ ـ٢٨)

٥:۔ دأبهم الطاعات و هم معصومون من الذنوب.

(ا).اصناف الملائكة ووظائفهم:

أكابر الملائكة و رئيسهم:

١. هو جبريل عليه السلام و هو صاحب الوحی و الموّكل بالخسف و هو عظيم الخلقة فی صورته الحقيقية له ستمئة جناح كل جناح منها قد سدّ الأفق.

٢. منهم ميكائيل : و هو الموكل بارزاق العباد من مطر و سحاب و نبات مثمر و غير مثمر كما جاء فی الحديث.

٣. و منهم اسرافيل : و هو صاحب الصور الذی ينفخ فيه بأمر الله كما جاء فی الحديث و هو عظيم الخلقة .

٤. و منهم ملك الموت : و هو الموكل بقبض الأرواح .

(ب)۔حملة العرش عليهم السلام :

قال تعالى:﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾(الحاقة:١٧)

(ج)۔خزنة الجنة:

ورئيسهم رضوان عليه و عليهم السلام...

(د)۔خزنة النار:

و رئيسهم مالك عليه السلام : قال تعالى:﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾(الزخرف:٧٧)

(ه)۔الحافظان:

و هما الموكلان بإحصاء ما اكتسبه الإنسان من حسنات أو سيئات و الموصوف كلٌّ منهما بأنه رقيب عتيد والكتابة حق يكفر منكرها قال الله تعالى:﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَاماً كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(الانفطار: ١٠ ـــ ١٢)

(و)۔الحفظة و المعقبات عليهم السلام:

و هم الذين يحفظون الناس بأمر الله من شر كل ذى شر، خفى أو ظهر قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾(الرعد:١١)

(ز)۔منكر و نكير عليهما السلام :

و هما الموكلان بسؤال الأموات كما جاء فى الحديث . و سيأتى بعض التفصيل فى بحث عذاب القبر.

(ح)۔الملک القرين:

و هذا الملك موّكل فى تذكير الإنسان بمتابعة طريق الحق التى فيه صلاحه فى الدنيا و الآخرة ، و يقابله قرين الجنّ و هو شيطان يوسوس للإنسان فيزين له طريق الشر و الضلال .

روى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما منكم من أحد إلا و قد وكل به قرينه من الجن و قرينه من الملائكة) قالوا و إياك يا رسول الله؟ قال : (و اياى) إلا أن الله أعاننى فأسلمُ فَلا يأتينى إلا بخير)

ما يجب اعتقاده فى حق الملائكة:

إن مما يجب اعتقاده فى حق الملائكة عليهم السلام أنهم معصومون عن معاصى الذنوب بعصمة الله تعالى لهم و حفظه إيا هم فقد ثبت بالأدلة القرآنية الصريحة ما يدل على عصمتهم .

و أما قصة هاروتُ و ماروت الواردة فى القرآن الكريم فليس فيها ما يطعن فى

الملائكة أو يخل بعصمتهم ، و ذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ثم يمضون إلى ما سمعوه أكاذيب يلفقونها و يلقونها إلى الكهنة من الانس و جعلت الكهنة يُدّونونها في كتب ويقرؤنها و يعلمونها للناس ، و فشا ذلك في عهد سيدنا سليمان عليه السلام حتى صاروا يقولون : إنّ الجن يعلمون الغيب ، و إن هذا العلم هو علم سليمان عليه السلام و إنه ما تم لسليمان مُلكُه إلا بهذا العلم و به سخرت الجنّ له و الانسُ و الطير فأنزل الله هذين الملكين لتعليم السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس و للتميز بين السحر و بين المعجزة و اظهار الفرق بين كلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام و بين كلام السحرة.

والنبي والرسول: و قد تقدم تعريفهما. ولايعرف عدد الأنبياء كما اسلفناو قد روى ابن حبان أنهم مائة ألف و أربعة و عشرون ألفًا ، منهم ثلاث مائة و ثلاثة عشر رسولاً ، و قد رد هذا الحديث الوليّ العراقي و حقق و ضعه و بطلانه .

و قد رد على ابن حبان ، جماعة من العلماء الحفاظ و انتقدوا عليه إدخال هذا الحديث في صحيحه .

و قد حقق ابن الجوزى : بأنه موضوع واتهم بوضعه ابراهيم بن هشام و كذلك الإمام الحافظ ابن كثير. و هذا بالنسبة للانبياء[كذا في النجوم اللامعة]، فاما الرسل فقد جاء في عددهم الحديث الصحيح: و عن أبي أمامة الباهلي : أن رجلا قال : يا رسول الله أنبيّ كان آدم قال : (نعم) قال : كم بينه و بين نوح ؟ قال : عشرة قرون قال : كم بين نوح و ابراهيم؟ قال: عشرة قرون) قال يارسول الله كم كانت الرسل قال :(ثلاث مائة وخمسة عشر)قال جامعه رواه الطبراني في

الاوسط و رجاله رجال الصحيح.

فالأولى التوقف فى الأنبياء و ترك الاقتصار على عدد معيّن ، فنؤمن بهم جميعًا دون حصر عدد و نؤمن تفصيلاً بخمسة و عشرين ذكرهم الله تعالى فى القرآن الكريم.

عصمة الأنبياء:

و عصمة الأنبياء ثابتة كما اسلفنا بلا ريب قال فى شرح المقاصد فى المقصد الخامس ما حاصله :

أنه أجمع أهل الملل و الشرائع كلها على وجوب عصمتهم من تعمد الكذب فيما دل المعجز القاطع على صدقهم فيه كدعوى الرسالة و مايبلغونه عن الله إلى الخلائق ، إذا لو جاز التقول والافتراء فى ذلك عقلاً لأدى إلى ابطال دلالة المعجزة و هو محال...و كذلك اجمعت الأمة على عصمتهم من الكفر و الشرك قبل البعثة و بعدها ، لا خلاف لأحد فى ذلك سوى ما يلزم على الخوارج حيث زعموا أن كل ذنب كفر ثم جوزوا الذنب على الانبياء عليهم السلام ، فلزمهم القول بجواز الكفر عليهم نعوذ بالله منه.

و كذلك اتفق الجمهور من المحققين و الأئمة على عصمتهم من الكبائر عمدًا لم يخالف فيه إلا الحشوية فهذه ثلاثة اصناف من المعاصى والذنوب . أعنى الكذب فى الرسالة عمدًا والكفر و الشرك و صدور الكبائر قصدًا . اتفقت كلمة الأمة على عصمة الأنبياء عليهم السلام منها و صدور الكبائر قصداً . اتفقت كلمة الأمة على عصمة الانبياء عليهم السلام فيها .

و أما صدور الصغائر سهوًا فهو جائز اتفاقًا لا الصغائر الخسية التي تلحق فاعلها بالارذال و السفل[(١)].

الإيمان بالكتب السماوية:

والإيمان بالكتب السماوية يشمل الإيمان الاجماليّ و الإيمان التفصيلي، فالإيمان الإجمالي أن تؤمن بكل كتاب أنزله الله سبحانه على كل نبي و رسولٍ على الاطلاق و دون حصرها بعدد معينّ، و أما الإيمان التفصيلي فهو الإيمان بالكتب السماوية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وهي :

التوراة و الانحيل و الزبور و صحف ابراهيم و موسى و القرآن الكريم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في كتابه (البداية و النهاية ١:٧) و لسنا نذكر من الاسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم و هو القسم الذي لا يصدّقُ ولا يكذَّب مما فيه بسط لمختصر عندنا أو تسمية لمبهم و رد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكر على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج إليه و الاعتماد عليه و إنما الاعتماد و الاستناد على كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

۞...... **والكتب السماوية المذكورة في القرآن الكريم هي :**

(١) التورلة :انزلها الله عزوجل على رسوله موسى عليه الصلاة و السلام قال الله تعالى:﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾(المائدة:٤٤)

---

١. أحكام القرآن للإمام ظفر أحمد العثماني(٣٣٤/٣) و مابعدها.

(٢) الزبور: أنزله الله سبحانه و تعالى على رسوله داود عليه السلام قال تعالى:﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾(النساء:١٦٣)

(٣) الإنجيل: أنزله الله تعالى على رسوله عيسى عليه السلام قال تعالى:﴿وأنزل التوراة والإنجيل﴾

(٤) صحف ابراهيم و موسى : قال تعالى:﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَى ـ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾(الأعلى:١٨،١٩)

(٥) القرآن الكريم: و هو آخر الكتب السماوية أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى:﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾(المائدة:٤٨).

قال: و نسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ، ما داموا بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم معترفين وله بكل ما قال و أخبر مصدقين غير مكذبين .

الشرح:۔

و من صلى صلاتنا و استقبل قبلتنا نسميهم أهل الإسلام و الإيمان بشرط أن يقروا بما جاء به النبى ﷺ من الشرع و البيان و بشرط أن يصدقوا بكل ما جاء به النبى ﷺ ولا يكونون مكذبين بشرعه ودينه الكريم.

١:. عن انس بن مالك رضى الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى صلاتنا و استقبل قبلتنا و أكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله و ذمة رسوله فلا تخفروا الله فى ذمته) . رواه البخارى .

٢:. وعن انس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن

أقاتل الناس حتى يقولوا :لا إله إلا الله فإذا قالوها و صلوا صلاتنا واستقبلو قبلتنا و ذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم و أموالهم إلا بحقها و حسابهم على الله) رواه البخارى.

حكم التكفير و شرائطه:

اشار الإمام الطحاوىؒ إلى موضوع التكفير و هو بحث مهم عظمت فيه المحنة وزلت فيه الأقدام فى القديم والحديث و الناس فيه فريقان كما قال فى إحكام القرآن:

فريق يتسرع فى اطلاق الكفر كالخوارج و من سلك مسلكهم و فريق فرط و منع التكفير منعًا باتًا .و قالوا أن المتأول فى الكلمات الكفرية لا يكفر و هذه كلمة حق انتحلها بعض الملحدين وقاية لأنفسهم من تكفير المسلمين، و قد كثر هؤلاء أوان الاستعمار البريطانى للهند فتصدى لهم شيخ مشائخنا الإمام الشاه محمد أنور الكشميرى فصنف فى الموضوع مصنفًا سماه (اكفار الملحدين و المتأولين فى شيئ من ضروريات الدين) نقتبس شيئا من كتاب تلميذه الذى نقل منه فى كتابه [أحكام القرآن ١٧٣/٤] قال :

و حاصل ما فيه : إن هذه الكلمة لو جعلت ضابطة كلية لكل متأول لم يسغ تكفير أحد من اليهود النصارى بل المشركين عبدة الأصنام أيضاً فإنهم كلهم يتأولون فى الشرك بأنواع التأويلات الباطلة كما حكاها سبحانه و تعالى فى القرآن حيث قالوا:﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

و فى الحديث عن النبى صلى الله عليه و سلم أن المشركين فى حجهم كانوا يلبون بقولهم : (لا شريك لك إلا شريكا هولك) فعلم أن مطلق التأويل لاينقذ المتأول

من التكفير ، بل المراد بالتأويل ما لم يكن مخالفًا لما ثبت في الدين قطعًا و ضرورة ، فإذا ثبت معنى بشيئ من القرآن و الحديث بالقطعية و الضرورة الشرعية ثم جاء أحد يؤوله إلى غير ذلك المعنى فما هو بمزحزحه من العذاب أن يؤول.

نعم ! إذا لم يثبت المعنى بالقطعية والضرورة فمن أول ذلك الكلام إلى خلاف ما عليه جمهور الأمة كان ذلك بدعة لا كفرًا ، ففي العقائد النسفية و شرحها للتفتازاني ما نصه : و النصوص من الكتاب و السنة تحمل على ظواهر ما لم يصرف عنها دليل قطعي ، كما في الآيات التي تشعر بظواهرها بالجهة الجسمية و نحو ذلك ، و العدول عنها إلى معانٍ يدعيها أهل الباطل و هم الملاحدة إلحاد أي ميل و عدول عن الإسلام ، و اتصال و التصاق بكفر ، لكونه تكذيبًا للنبي صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه به بالضرورة .

و أما ما ذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص مصروفة على ظواهرها و مع ذلك فيها اشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها و بين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان و محض العرفان ، و رد النصوص بأن ينكر الأحكام التي دلت عليها النصوص القطعية من الكتاب و السنة كحشر الأجساد مثلاً كفر ، لكونه تكذيبًا صريحًا لله تعالى و لرسوله عليه السلام ، فمن قذف عائشة رضي الله عنها بالزنا كفر انتهى.

ثم ترجم قول الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي من الفتاوى العزيزية المنقول عن كتاب الإمام الأنور :

سؤال يذكر زيد في بيان معنى الحديث الشريف توجيهات ركيكة واهية

حتی تفضی إلى انكار الحديث النبوی فليبينوا الاثم الذی يلزم بضوء المسائل الفقهية .

جواب : و بعد تحقيق أنيق فی هذا الباب يقول (شاه عبد العزيز الدهلوی رحمه الله تعالى عنه) : و إن حمل (زيد) مفهوم الحديث على خلاف ما فهمه القرن الأول(الصحابة) فهو مبتدع ، فلينظر فی بدعته ، فإن أراد من الحديث معنى يخالف الأدلة القطعية يعنی النصوص المتواترة و الاجماع القطعی فهو كافر، و إن كان يخالف الأدلة الظنية القريبة إلى اليقين مثل الاخبار المشهورة و الاجماع العرفی فهو ضال دون الكفر ، و إلا فهو من قبيل (اختلاف امتی رحمة) ولا يمكن الامتياز بين هذه المراتب إلا بعلم غزير فالظاهر أن مخترع هذه التوجيهات من الجهلاء فليمنع مثل هذا الجاهل عن هذا العمل الشنيع بالتخويف عن استحقاقه النار و زجره والتشديد عليه فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر و يؤكد عامة الناس بترك الصحبة و المجالسة معه و أن لا يسمعوا كلامه.

ثم قال الإمام الأنور الكشميری رح :

إنا أثبتنا فی الفصول الآتية اجماع أهل الحل والعقد على أن تأويل الضروريات و اخراجها عن صورة ما تواتر عليه و كما فهمه و جرى عليه أهل التواتر إنه كفر. (و جمع فيه ما لا مزيد عليه من المنقول).

ثم قال فی آخره :

و أما التأويل (أی على خلاف ماعليه النصوص) فهو استدراك على تحقيق

الشارع، و أنه سطحى و إنما التحقيق ما حققه المأول ، و هذا كفر بلا ريب فمن زعم أنه أعلم بالحقائق من الشارع فى الشرع و مباديه و غاياته فهو كافر ولو لم يخطر بباله كذبه . والعياذ بالله تعالى فتأويل المتواتر ما لم يضم دليل قاطع عليه تجهيل للشارع و اصلاح لخلل وقع منه ، و هذا الاعتقاد لا يحتاج فى التكفير به إلى وسط آخر و هو بنفسه كفر .انتهى

والمراد بالضروريات ـ على ما اشتهر فى الكتب ـ ما علم كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة ، بأن تواتر عنه و استفاض و علمته العامة كالوحدانية والنبوة ختمها بخاتم الأنبياء و انقطاعها بعده ، والمراد بعلم العامة به أن يستفيض علمه حتى وصل إلى دائرة العوام و علمه كواف منهم . لا أن كلًا منهم يعلمه و إن لم يرفع لتعلم الدين رأسًا و حرم توفيقه ، فإن جهله كواف منهم بعدم رغبتهم فى تعلم الدين و علمه كواف منهم فهو ضرورى. انتهى

قال : و لا نخوض فى الله ، و لا نمارى فى دين الله تعالى و لا نجادل فى القرآن و نعلم أنّه كلام رب العالمين ، نزل به الروح الامين فَعَلِمَهُ سَيِّدُالمرسلين محمّدًا صلى الله عليه وسلم و على آله و صحبه اجمعين و لا نقول بخلق القرآن .

الشرح:۔

و لا نتحدث فى ذات الله تعالى ولا نحاج فى دين الله تعالى و لا نخاصم الناس فى القرآن و نعلم يقينا بأنه كلام رب العالمين انزله الله بواسطة روح لأمين ففهمه و علمه سيد المرسلين محمداً و على آله و أصحابه اجمعين، و لا

نقول : أن القرآن المعبر عنه بالكلام النفسی أنه مخلوق.

المراء حرام:

و عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا زعيم ببيت فی رُبض الجنة ، و بيت فی وسط الجنة و بيت فی اعلى الجنة لمن ترك المراء و إن كان محقا . رواه الطبرانی و اسناده حسن كما قال فی الجامع .

وعن زيد بن ثابت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تماروا فی القرآن ، فإن المراء فيه كفرٌ) رواه الطبرانی و رجاله موثقون .

و قال فی شرح السنة [٢١٦/١] واتفق علماء السلف من أهل السنة على النهی عن الجدال والخصومات فی الصفات ... سأل رجل عمربن عبد العزيزعن شیئ من الأهواء ، فقال : الزم دين الصبی فی الكتاب والأعرابی و اله عما سوى ذلك .

و قال أيضًا: من جعل دينه عرضًا للخصومات أكثر التنقل .

الابتعاد عن أهل البدعة:

١ـو قال مالك بن انس : إياكم والبدع ، قيل يا أبا عبد الله و ما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون فی أسماء الله و صفاته و كلامه و علمه و قدرته و لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

٢ـ حدثنا سعيد بن عامر عن اسماء بن عبيد قال دخل رجلان من أصحاب الأهواء على ابن سيرين فقالا يا أبا بكر نحدثك بحديث ؟ قال لا ، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله فقال لا ، لتقومان عنی، أو لأقومنّ ، قال : فخرجا ، فقال

بعض القوم : يا أبابكر و ما كان عليك أن يقرأ عليك آية من كتاب الله ؟ قال : إنى خشيت أن يقرآ عليّ آية فيحرفانها فيقر ذلك فى قلبى) نقله فى سلسلة الآثار الصحيحة ١٢٠.

٣ـ نقل البيهقى فى كتابه الاعتقاد (٣٢٠) عن مصعب بن سعد أنه قال (لاتجالس مفتونًا فإنه لن يخطئك خصلتين إما أن يفتنك فتتابعه أو يؤذيك قبل أن تفارقه.

٤ ـ ورى الدارمى (١٠٨/١) عن أبى قلابة قال : لاتجالسوا أهل الأهواء و لا تجادلوهم فإنى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون .

٥ـ روى اللالكائى (٢٣٣) عن مجاهد : قال : لا تجالسوا أهل الأهواء فإن لهم عرة كعرة الجرب .

٦ـ وعظ عبد الله بن مسعودؓ أصحابه و قال فيه : و ستجدون اقوامًا يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله و قد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم و إياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق .ذكره صاحب الآثار الصحيحة رقال اسناده صحيح (٥٦)

٧ـ و قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم : (... تكون بعدى أئمة لا يهتدون بهدى و لا يستنون بسنتي و سيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس).

البحث المهم والمفيد فى كلام الله:

وقال الحافظ ابن حجر فى كتابه المعروف فتح البارى (٤٩٢/١٣ـ٤٩٤)

و صرح البخارى بأن أصوات العباد مخلوقة و أن أحمد لا يخالف ذلك فقال فى كتاب (خلق أفعال العباد):ما يدعونه عن أحمد ليس كثير منه بالبيّن ولكنهم لم يفهموا مراده و مذهبه والمعروف عن أحمد و أهل العلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق و ماسواه مخلوق لكنهم كرهوا التنقيب عن الأشياء الغامضة ، و تجنبوا الخوض فيها و التنازع إلا ما بينه الرسول عليه الصلاةو السلام .

ثم نقل عن بعض أهل عصره أنه قال : القرآن بألفاظنا و ألفاظنا بالقرآن شيئ واحد فالتلاوةهى والقراء ة هى المقرؤ . قال : فقيل له : إن التلاوة فعل التالى ، فقال:ظننتها مصدرين . قال : فقيل له : أرسل إلى ما كتب عنك ما قلت . فاسترده فقال : كيف و قد مضى؟ انتهى.

ثم نقل أقوال أهل الكلام فى هذه المسئلة ثم قال :والذين استقر عليه قول الأشعرية ، أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، مكتوب فى المصاحف محفوظ فى الصدور مقروء بالألسنة . قال الله تعالى :﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ و قال تعالى :﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِيْ صُدُوْرِ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ﴾

و فى الحديث المتفق عليه عن ابن عمر :(لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو ، كراهية أن يناله العدو).و ليس المراد ما فى الصدور ، بل ما فى الصحف و أجمع السلف على أن الذى بين الدفتين كلام الله .

و قال بعضهم : القرآن يطلق و يراد به المقرؤ و هو الصفة القديمة ، و يطلق و يراد به القرأةوهى الألفاظ الدالة على ذلك . و بسبب ذلك وقع الاختلاف و أما قولهم : أنه منزه عن الحروف و الأصوات فمرا دهم الكلام النفسى القائم

بالذات المقدسة فهو من الصفات الموجودة القديمة و أما الحروف فإن كانت حركات أدوات كاللسان والشفتين فهي أعراض و إن كانت كتابة فهي أجسام و قيام الأجسام و الأعراض بذات الله تعالى محال ويلزم من اثبت ذلك أن يقول بخلق القرآن و هو يأبى ذلك و يفر منه ، فالجأ ذلك بعضهم إلى ادعاء قدم الحروف ، كما التزمته السالمية .

ومنهم من التزم قيام ذلك بذاته و من شدة اللبس في هذه المسئلة ، كثر نهى السلف عن الخوض فيها واكتفوا باعتقاد أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولم يزيدوا على ذلك شيئًا وهو أسلم الأقوال والله المستعان.

قال : و لا نخالف جماعة المسلمين:

الشرح:۔

جماعة المسلمين هم الذين سموا بأهل السنة والجماعة وفى الحديث اشارة إليهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم (من كان على مثل ماأنا عليه اليوم و أصحابى)

وبعد انتشار الإسلام فى ربوع الأرض مع نهايةالقرن الثالث الهجرى و فتح بلاد الروم وغيره انتقلت أشياء كثيرة من فلسفة اليونان إلى بلاد المسلمين ، و كثر الزنادقة و الملاحدة و كثر الكلام فى مسألة القدر والآيات المتشابهة فقام علماء المسلمين بالتصدى لهذه الفرق الضالة و كان على رأس هؤلاء العلماء الإمامان:

ابومنصور الماتريدى وابو الحسن الأشعرى رحمهما الله .

١ . قال الإمام تاج الدين السبكى فى كتابه (معيد النعم ص ٧٥)

(و هؤلاء الحنفية و الشافعية و المالكية وفضلاء الحنابلةو لله الحمد فى

العقائد يدٌ واحدة ، كلهم على رأى أهل السنة والجماعة ، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبى الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى، لا يحيد عنها إلا رَعاعٌ من الحنيفة والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال ، وو رَعاعٌ من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم و بَرأ الله المالكية فلم نر مالكيًا إلا اشعريًا عقيدة وبالجملة عقيدة الأشعرى هى ما تضمنته عقيدة أبى جعفر الطحاوى التى تلقاها علماء المذاهب بالقبول و رضوها عقيدةً.

و قد ختمنا كتابنا (جمع الجوامع) بعقيدة ذكرنا أنّ سلف الأمةعليها و هى عقيدة الطحاوى و عقيدة أبى القاسم القُشيرى والعقيدة المسماة بالمرشدة مشتركات فى أصول أهل السنة والجماعة.) انتهى.

٢. وقال الإمام المحدث محمد مرتضى الزبيدى فى (اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين) (٢:٦) :(إذا اطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية).

٣. و قال خاتمة المحققين الإمام ابن عابدين فى حاشيته الشهيرة المسماة ردالمحتار (١:٥٠) (قوله : (عن معتقدنا) أى عمّا نعتقده من غير المسائل الفرعية مما يحب اعتقاده على كل مكلّف بلاتقليد لأحد ، و هو ما عليه أهل السنة والجماعة والماتريدة) و أهل السنة والجماعة . لله الحمد والمنة . هم جماهيرأهل الإسلام.[كذا فى النجوم اللامعة]

الخروج عن جماعة أهل السنة والجماعة حرامٌ:

و فيماذكرنا من الأدلة وضح أن الأشاعرة والماتريدة هم أهل الحق لأن

النبى صلى الله عليه وسلم قال فيماتواتر عنه معناه :

١. (لاتجتمع امتى على ضلالة) و فيه : (و عليكم بالسواد الأعظم ، و من شَذ شُذَ فى النار) .

قال الإمام السخاوى فى (المقاصد الحسنة ص:٤٦٠) بعد أن خرجه : (و بالجملة فهو حديث مشهور المتن ، ذو أسانيد كثيرةٍ و شواهدَ مُتعدِدة فى المرفوع وغيره).

٢. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من فارق الجماعة شِبرًا فمات مات مِيتةً جاهليّة) رواه البخارى و مسلم والخطيب وغيره عن ابن عباسؓ وغيره) و مفارقة الجماعة قد جاء فيها و عيد شديد فقد جاء فى ورواية: فقد خلع ربقة الإسلام من عُنُقِهِ . وفى رواية : دخل النار . و فى رواية : فلا تسئل عنهم . و فى روايةفاقتلوه و فى رواية: فاضربوا عنقه كائنا من كان . و فى رواية : فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض و فى رواية: اقتلوا الفذّ من كان من الناس و فى رواية: التارك لدينه المفارق للجماعة وفى رواية : و أما ترك السنة فالخروج من الجماعة.)

٣.و عن أبى الشعثاء قال : خرجنا مع أبى مسعود الانصاريؓ فقلنا له : اعهد إلينا فقال :(عليكم بتقوى الله و لزوم الجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة و إن دين الله واحد و إياكم و التّلون فى دين الله و عليكم بتقوى الله و اصبروا حتى يستريح برّ أو يستراح فاجرٌ) رواه صاحب سلسلة الآثار الصحيحة (ص ٧٠) .

٤.و عن عبد الله بن مسعودؓ أنه قال : (أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل

الله الذى أمر به و إن ما تكرهون فى الجماعة خير مما تحبون فى الفرقة) رواه صاحب سلسلة الآثار الصحيحة (ص ٧١) .

أصناف أهل السنة والجماعة:

قد جعل الإمام عبد القاهر البغدادى أهل السنة والجماعة على ثمانيه أصناف فى كتابه (الفرق بين الفِرَق ص ٣٠٠-٣٠٣)

قال:(اعلموا أسعدكم الله أنّ أهل السنة والجماعة ثمانية اصنافٍ من الناس:

صنف منهم: أحاطوا العلم بأبواب التوحيد و النبوة و أحكام الوعد والوعيد والثواب والعقاب....و سلكوا فى هذا النوع من العلم طرق الصفاتية من المتكلمين الذى تبرّؤا من التشبيه والتعطيل و من بدع الرافضة والخوارج والجهمية والنجارية و سائر أهل الأهواء الضالة.

والصنف الثانى منهم: أئمة الفقه من فريقى الرأى والحديث الذين اعتقدوا فى أصول الدين مذاهب الصفاتية فى صفاته الأزلية و تبرءوا من القدر و الاعتزال، و أثبتوا رؤية الله بالأبصار من غير تشبيه و لا تعطيل...ثم قال :

و هذه الجماعة هم أصحاب مالكٍ و الشافعى و الأوزاعى والثورى و أبى حنيفة و ابن أبى ليلى و أصحاب أبى ثور و أصحاب أحمد بن حنبل و أهل الظاهر و سائر الفقهاء الذى اعتقدوا فى الأبواب العقلية أصول الصفاتية و لم يخلطوا فقههم بشيئ من بدع أهل الأهواء الضالة.

والصنف الثالث منهم: الذى أحاطوا علمًا بطرق الأخبار و السنن المأثورة عن النبى عليه السلام و ميزوا بين الصحيح و السقيم منها ، و عرفوا أسباب الجرح والتعديل و لم

يخلطوا علمه بذلك بشيئ من بِدَع أهل الأهواء الضالة .

والصنف الرابع منهم: قومٌ أحاطوا علمًا بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف ،وجَرَوا على سَمْتِ أئمة اللغة كالخليل و أبی عمرو بن العلاء و سيبويه و الفراء و الأخفش و الأصمعیّ و المازِنیّ و أبی عبيد و سائر أئمة النحو من الكوفيين والبصريين ، الذی لم يخلطوا علمهم بذلك بشيئ من بِدَع القدرية أو الرافضة أو الخوارج و من مال منهم إلی شيئ من الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة و لا كان قوله حجة فی اللغة والنحو.

والصنف الخامس منهم: الذين أحاطوا علمًا بوجوه قراءات القرآن و بوجوه تفسير آيات القرآن و تأويلها علی وِفقِ مذاهب أهل السنة دون تأويلات أهل الاهواء الضالة .

والصنف السادس منهم: الزُّهاد الصوفية الذين ابصروا فأقصروا فاعتبروا و رضوا بالمقدور و قنعوا بالميسور و علموا أن السمعَ و البصرَ و الفؤاد كلّ أولئك مسؤل عن الخير والشر و محاسَبٌ علی مثاقيل الذّرّ ،فأعَدّوا خيرَ الاعداد ليوم المعاد ،و جری كلامُهم فی طريق العبارة و الإشارة علی سَمْت أهل الحديث ، دون من يشتری لَهوَ الحديث ، لا يعلمون الخيرَ رياءً ، و لا يتركونه حياء، دينهم التوحيد و نفی التشبيه ، و مذهبهم التفويض إلی الله تعالی و التوّكل عليه ، والتسليم لأمره و القناعة بما رُزقوا والاعراض عن الاعتراض عليه.

والصنف السابع منهم: قومٌ مرابطون فی ثغور المسلمين فی وجوه الكفرة يجاهدون أعداء المسلمين و يَحمُون حِمیَ المسلمين و يذُبُون عن حريمهم و

دیارهم و يُظهِرون فی ثغورهم مذاهبَ أهل السنة والجماعة .

والصنف الثامن منهم: عامّةُ البلد ان التی غَلَبَ فیها شعائر أهل السنة دون عامّةِ البقاع التی ظهر فیها شعائرُ أهل الأهواء الضالة ، و إنما أردنا بهذا الصنف من العامة عامّة اعتقدوا تصویبَ علماء السنةوالجماعة فی أبواب العدل والتوحید والوعد و الوعید و رجعوا إلیهم فی معالم دینهم و قلدّوهم فی فروع الحلال و الحرام ولم یعتقدوا شیئًا من بِدَعِ أهل الأهواء الضالة .

و هؤلاء هم الذین سمّتهم الصوفیةُ حَشوَ الجنة .فهؤلاء اصناف أهل السنة والجماعة و مجموعهم أصحابُ الدین القویم والصراط المستقیم ، ثبتهم الله تعالی بالقول الثابت فی الحیاة الدنیا و فی الآخرة ، إنه بالاجابة جَدیر ، و علیها قدیر).

قال : ولا نقول لا یضر مع الإسلام ذنبٌ لمن عمله :

الشرح:۔

یعنی لا نقول بقول المرجئة الذین یقولون إن ارتکاب الذنب لا یضر الإسلام لأن هذا القول باطل و مذهب أهل السنة والجماعة أن الأعمال لابد منها و تارکها فاسق ، فمذهب أهل السنة بین المعتزلة والمرجئة. قال الإمام الأنور : العمل هل هو جزء للإیمان أم لا؟

فالمذاهب فیه أربعة : . قال الخوارج و المعتزلة : إن الأعمال أجزاء للإیمان ، فالتارك للعمل خارج عن الإیمان عندهما . ثم اختلفوا ، فالخوارج أخرجوه عن الإیمان ، و ادخلوه فی الکفر ، والمعتزلة لم یدخلوه فی الکفر بل قالوا بالمنزلة بین المنزلتین .

والثالث : مذهب المرجئة فقالوا: لا حاجة إلی العمل و مدار النجاةهو التصدیق فقط فصار

الأولون والمرجئة على طرفی نقیض و الرابع : مذهب أهل السنة و الجماعة وهم بین بین ، فقالوا: إن الأعمال أیضاً لا بد منها ، تارکها مُفَسّقٌ لا مُکفّر. فلم یشددوا فیها کالخوارج والمعتزلة ، و لم یهوّنوا أمرها کالمرجئة.ثم هؤلاء افترقوا فرقتین، فأکثر المحدثین إلى أن الإیمان مرکب من الأعمال و إمامنا الأعظم رحمه اللّٰه تعالى و أکثر الفقهاء والمتکلمین إلى أن الأعمال غیر داخل فی الإیمان ، مع إتفاقهم على أن فاقد التصدیق کافرٌ و فاقد العمل فاسق، فلم یبق الخلاف إلا فی التعبیر فإن السلف و إن جعلوا الأعمال أجزاء ، لکن لا بحیث ینعدم بإنعدامها بل یبقى الإیمان مع انتفائها و إمامنا و إن لم یجعل الأعمال جزأ لکنه اهتم بها حرّض علیها و جعلها اسبابًا ساریة فی نماء الإیمان فلم یهدُرها هدَر المرجئة ، إلا أن تعبیر المحدّثین القائلین بجزئیة الأعمال ، لما کان أبعدمن المرجئة المنکرین جزئیة الأعمال ، بخلاف تعبیر إمامنا الأعظم رحمه الله تعالى ، فإنه کان اقرب إلیهم من حیث نفی جزئیه الأعمال ،رمی الحنفیة بالإرجاء ، وهذا کما ترى جور علینا فالله المستعان . و لو کان الاشتراك بوجه من الوجوه التعبیریة کافیًا لنسبة الإرجاء الینا ، لزم نسبةالإعتزال إلیهم ،فإنهم قائلون : بجزئیة الأعمال أیضاً کالمحدثین و لکن حاشا هم و الإعتزال ، و عفا الله عمن تعصب و نسب الینا الإرجاء ، فان الدین نصح کله ، لامراماة منا بذة بالألقاب و لا حول ولا قوة إلا بالله العلی العظیم[1] .

دفع الافتراء على الإمام أبی حنیفة ؒ أنه من المرجئة:

قال الإمام أبو زهرة فی کتابه الشهیر (أبو حینفة ؒ) : إن الفرق کانت بالنسبة لمرتکب

١ـ فیض الباری (١٢٨/١).

الكبائر على ثلاث شعب إحداها الطوائف التى لا تعده من المؤمنين، و هؤلاء هم الخوارج والمعتزلة، وثانيها الذين قالوا إنه لايضر مع الإيمان معصية و إن الله يغفر الذنوب جميعًا و هؤلاء هم المرجئة المذمومون، والثالثة جمهرة العلماء الذين يرون أنه لا يكفر عاص و الحسنة بعشرة امثالها، والسيئة و عفو الله لا قيد يقيده، ولا حد يحده، و أبو حنيفة من هؤلاء و هو فيما أحسب رأى جمهور المسلمين، فإن كان من يرى هذا الرأى من المرجئة فجمهور المسلمين مرجئون... إلى أن قال: (و لقد جاء فى الخيرات الحسان ما نصه: (قد عد جماعة الإمام أبا حنيفة رحمه الله من المرجئة، و ليس هذا الكلام على حقيقته، أما أولا فقد قال شارح المواقف كان غسان المرجئ يحكى ما ذهب إليه من الارجاء عن أبى حنيفة و يعده من المرجئة و هو افتراء عليه قصد به غسان ترويج مذهبه بنسبته إلى هذا الإمام الجليل الشهير و أما ثانيا فقد قال الآمدى لعل عذر من عده من مرجئة أهل السنة أن المعتزلة كانوا فى الصدر الأول يلقبون من خالفهم فى القدر مرجئاً، أو لأنه لما قال أن الإيمان لا يزيد و لا ينقص ظن به الارجاء بتأخير العمل عن الإيمان، وليس كذلك، إذ عرف منه المبالغة فى العمل و الاجتهاد فيه، و أما ثالثًا فقد قال ابن عبد البر: كان أبو حنيفة يحسد و ينسب إليه ما ليس فيه و يختلق عليه ما لا يليق به .اهـ.

قال: و نرجوا للمحسنين من المؤمنين، و لا نأمن عليهم و لا نشهد لهم بالجنة، و نستغفر لمسيئهم و نخاف عليهم و لا نُقنّطهم و الأمن و الإياس ينقلان عن الملة و سبيل الحق بينهما لأهل القبلة.

الشرح:۔

يعنى و نرجو النجاة و الجنة و الغفران للمطيعين من أهل الإيمان لكن لا نأمن

عليهم من مكر الله لأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون و لا نشهد لأحد بالجنة لأن الخاتمة مستورة (إلا الذين استثنوا في الأحاديث فإنه سيأتي بيانهم) و نستغفر للذين اجترحوا السيئات و نخاف عليهم عقاب الله و لكن لا نقنطهم لأن الأمن من عذاب الله و مكره و كذلك الإياس من رحمة الله يخرجان الشخص عن الإسلام ، و الصراط المستقيم ، و طريق الحق لأهل الإسلام بين الأمن و اليأس.

قال الإمام ملا على القاري في شرحه الفقه الاكبر (ص:١٥٦) بعد أن نقل قول الإمام الطحاوي هذا: و إنما استعمل الرجاء لظاهر إحسانهم في الحال لا على تحقيق الايقان في المآل ، و لأن العمل الصالح ليس بموجب للجزاء ، بل الجزاء بفضل الله و برحمته كما قال صلى الله عليه و سلم : لن يدخل احدكم الجنة بعمله ، فقيل و لا أنت يا رسول الله ؟ قال : و لا انا إلا أن يتغمدني الله برحمته)... ثم قال : و ليس شيئًا يكون سببًا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة ، كمال قال الله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ و هذا مختص بمن تاب من الكفر فإن الله لا يغفر أن يشرك به ، و لذا قال الله تعالى ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ و قال بعدها ﴿أنيبوا إلى ربكم﴾.

ثم اعلم أن التوبة لغة هي الرجوع ، و لها مراتب : توبة عن المعصية ، و هي توبة العوام، و توبة عن الغفلة و هي للخواص... و توبة عن ملاحظة غير الله تعالى : و لو خطرت لي في سواك ارادة . على خاطري سهوًا حكمت بردتي. و في الشريعة هي الندم على المعصية من حيث هي معصية مع عزم أن لا يعود إليها إذا قدر عليها ....

ثم قال : اعلم أن من اراد ان يكون مسلمًا عند جميع طوائف الإسلام ، فعليه أن

يتوب من جميع الآثام صغيرها و كبيرها سواء ما يتعلق بالأعمال الظاهرة أو بالأخلاق الباطنة، ثم يجب عليه أن يحفظ نفسه في الأقوال و الأفعال و الأحوال من الوقوع في الإرتداد، نعوذ بالله من ذلك، فإنه مبطل للأعمال و سوء خاتمة المآل.

و في الخلاصة: إيمان اليأس غير مقبول، و توبة اليأس المختار انها مقبولة انتهى. و لا يخفى أن هذه الرواية مخالفة لظاهر الدراية حيث ورد قوله عليه الصلاة والسلام (ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) بل النص الصريح في قوله سبحانه ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّيْ تُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذِيْنَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ فيجب على كل أحد معرفة الكفريات (وأنها) أقوى من معرفة الاعتقاديات. و قال في (ص:١٤٩) و منها: أن اليأس من رحمة الله كفر لقوله تعالى: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ و كذا الامن من عقوبته كفر لقوله تعالى ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ و الأنبياء مأمونون لا آمنون، بل خائفون منه اكثر من غير هم، لأنهم اعرف بما له من صفات الجلال و كونهم مأمونين إنما هو من قبله سبحانه تفضلا في شأنهم وعلوّ مكانهم.

عدم قبول الإيمان والتوبة وقت اليأس:

و في أحكام القرآن (ص:٣٧٠) :"الأولى: عدم قبول الإيمان وقت اليأس. و في السورة آيات تدل على هذه المسئلة منها الماضية "أثم اذا ما وقع آمنتم به آلئن و قد كنتم به تستعجلون" و أخرى "و اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم" و منها الآتية "ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون" "و لو جائتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم" و قال تعالى في سورة النساء:"وليست التوبة للذين يعملون

السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن و لا الذين يموتون وهم كفار أولـئك اعتدنا لهم عذاباً أليما" و فيها التوبة أعم من أن تكون من الكبائر أو من الكفر .
فانقسم المسئلة إلى مسئلتين: التوبة من الكبائر وقت اليأس ، والإيمان وقت اليأس.

فـقـال : في رد المحتار : تحت قول الدر : و اختلف في قبول توبة اليأس والمختار قبـول تـوبتـه لا ايـمانه. والفرق في البزازية و غيرها أقول قال في أواخر البزازية قبل توبة اليأس مقبولة لا إيمان اليأس . و قيل لا تقبل كإيمانه. لأنه تعالى سوى بين من اخّر التوبة إلى حضور الموت من الفسقة والكفار، و بين من مات على الكفر في قوله "وليست التوبة" الأية كما في الكشاف والبيضاوي والقرطبي. و في الكبير للرازي قال المحققون : قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع منه مشاهدة الأهوال التي يحصل العلم عندها على سبيل الإضطرار . فهذا كلام الحنيفة والمالكية والشافعية من المعتزلة والسنية والأشاعرة ان توبة اليأس لا تقبل...إلى أن قال :

ولله در شيخنا التهانوي قدس الله سره: قد فصل المسئلة في تفسيره باغرب تفصيل فقال : اعلم أن للقرب حالتين . الأولى: أن ييئس من حياته لكنه لما يرى أحوال ذلك العالم و أهواله و الأنسب تسميتها حالة اليأس بالياء المثناة التحتانية.

والثانية: أن يرى أحواله و أهواله و لتسم حالة الباس بالباء الموحدة.(قلت: لعله مأخوذ من قوله تعالى"لما رأو بأسنا") . في الأولى: إيمان الكافر و توبة الفاسق مقبولان. وفي الثانية: غير مقبولين و هذا هو مذهب المحققين و هو المفهوم من ظاهر القرآن كذا في الكبير . و قال في الحاشية : و لا يشكل كونه مخالفا لما في بعض

كتب الفقه لأن محل التقليد هى الأحكام الفقهية المتعلقة بالدنيا لا غير. و قال فى المتن بعد أسطر: أن معنى عدم قبول توبة العاصى الحاضر موته أنه لا يترتب عليه وعد المغفرة و إلا فلا مانع من أن يتفضل عليه المشية .

قلت :بل الراجح عند فقهاء الأحناف ما قاله الشيخ من عدم قبولهما وقت اليأس بمعنى مشاهدة الأهوال الذى سماه حالة الباس كما سبق من قول الشامى والرازى.

و قال الطحطاوى تحت قول الدر المختار : و المختار لم يذكر فى النهر هذا الإختيار و إنما ذكر القولين عن البزازية ثم قال : نقلا عن البزازى والمسطور فى الفتاوى و ذكر ما ذكره الشرح و كونه فى الفتاوى كذلك لا يقتضى اختياره بل الذى تدل عليه عبارة العلامة القارى عدم القبول فيهما كما هو ظاهر العبارة السابقة.

و رجحه الشيخ عبد الحق الدهلوىؒ فى شرح المشكوة تحت حديث "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" قال ظاهر الحديث أن التوبة عند حضور الموت سواء كان من الكفر أو من المعصية لا تقبل و ظاهر اٰية "إنما التوبة" الاٰية هذا أيضا.

قال :و لا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما ادخله فيه

الشرح:۔

إذا دخل الإنكار فى قلب أحد خرج منه الإيمان لأن بين الإيمان و الإنكار تضاد فإذا دخل أحد خرج الآخر فلايجتمعان فى قلب مسلمٍ ، والإنكار سبب الكفر ، و يجب الاحتياط فى ذلك . فليس من الدين تكفير المسلم و لا من الدين الإغماض عن الكافر كما قال الأنورؒ.

حكم تكفير المسلم و الإغماض عن الكفر:

قال الإمام الأنور في "فيض الباري": واعلم أنّ في كتب فقهنا أن مَنْ كان فيه تِسعٌ و تسعون وجهًا من الكفر، ووجهٌ من الإسلام، فإنه لا يحكم عليه بالكفر، والتبس ذلك على بعض مَنْ لا دراية لهم في الفقه، فغلطوا في مراده. فزعموا أنّ احدًا لو أتى على افعال الكفر عدد ما ذكرنا و أتى بفعل و احدٍ من الإسلام، فانه لايكفر، و هو باطلٌ. ليس فيه أدنى ريب و ريبة، كيف! و اَن مسلمًا لو أتى بفعل من أفعال الكفر فإنه يكفر فكيف إذاكانت جلّ أفعاله كفرًا و انما كانت مسألة الفقهاء في جنس الأقوال، فنقلوه في الأفعال، و مرادهم أنّ احداً منهم لو قال كلمةً احتملت وجهًا من الإسلام، نحملها عليه، و لا نحملها على اوجه الكفر و إن كثرت، لأنا ما لم نتبين الحال، و لم ندر أنه اراد هذا الاحتمال، لا نحكم عليه بالكفر بتلك الكلمة المحتملة، ولا نبادر إلى الاكفار أمّا إذا تبيّن غيّه من رشده و انفصل اللبن عن الرغوة حصحص الحقّ، و ظهر الباطل، و لم يبق أمره كالافواه، تنقل من بلد إلى بلدٍ، بل اعلن بكفره على المنائر و المنابر، و سَوَّد به الصحائف و الدفاتر، فانه كافر مكفّر بلا ريب، و لا يتأخر عن إكفاره إلا مصابٌ أو مجهول و لو كان معنى كلامهم ما فهموه لَمّا ساغ حكم الكفر على أحدٍ أبدَ الدهر، و من يعجز عن إخراج إحتمالٍ ضعيف و هذا مسيلمة الكذاب، قد كان يشهد بنبوة سيدنا و نبيّنا محمد صلى الله عليه و سلم الاأنّه كان يحب أن يشترك معه في الأمر، فهل انقذه ذلك من الكفر و الضلال، فليتنبه العلماء لهذه الدّقيقة، و لا يتأخروا في مثل هذه المحال و ليخش العزيز الجبار، فانه شديد المحال.

و كتب العلامة بد الرشيد في موضوع التكفير كتابًا و شرح كتابه الملا على القاري

وو ضـح الـفـاظـه والـذی يتمعن فی مسائله كما قال محقق الكتاب يدرك ان ضوابط التـكـفير و الالـفاظ الكفرية المستنبطة من الأدلة الشرعية التی جمع فی هذا الكتاب لا تخلو من استلزام أحد ثلاثة اشياء :

١. إما الاستهزاء بالدين و لوازمه و ملحقاته.

٢. وإما الاستخفاف بالدين و لوازمه و ملحقاته.

٣. وإما استحلال الشيئ الحلال حرامًا .و قد علم تحريمه من الدين ضرورةً.

اعتراض الشيخ بن باز:

و اعتـرض سـمـاحة الشيـخ بـن بـاز عـلـى هـذه الـعبارة فی تعليقاته على هذا الـكتـاب قـال: (هذا الحصر فيه نظر...) ثم ساق الدلائل لبطلانه... و لا يخفى أن هذا القول أخذه الإمام الطحاویؒ من الحديث كما أخذ بعض الأقوال الأخرى من الأحـاديـث كـمـا مـر وهـذا الحديث رواه الطبرانی و صاحب المجمع وهو :(لن يـخـرج أحـد مـن الإيـمـان إلا بجحود ما دخل فيه) نعم فی أحد رواته كلام و هو اسـمـاعيـل التميمی فلينظر فی إسناده من غير هذين الكتابين أما اسماعيل فقد قال فيه ابن عدی : عامة ما يرويه بواطيل. و لا أدری هل متابعه موجود أم لا؟ فإن كان إعتـراضـه متـوجهاً إلى ضعف الحديث لبين ، و أما على قول الإمام فإنه لا شيئً فيه لأن الرسولؐ قال:(لا يحل قتل مسلم إلا بأحدى ثلاث) و جاء فی الحديث الآخر: (حد الساحر القتل)

أقسام الكفر:

٤:. و قـال الـواحـدی: و هو كفر إنكارٍ ، و جحود، و معانَدةٍ ، و نفاقٍ ، فمن لقيه

بشيئ من ذلك لم يغفر له أما كفر الإنكار : فهو أن يكفر بقلبه و لسانه ، و لا يعتقد بالحق ، ولا يقر به و أما كفر الجحود : فهو أن يعرف الحق بقلبه ، و لا يقر بلسانه ، ككفر ابليس ،وهو قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ﴾(البقرة :٨٩)يعنى كفرُ الجحود. و أما كفر المعاندة : فهو أن يعرف بقلبه ، و يقر بلسانه ، و لا يقبل و لا يتدين به ككفر أبى طالب[1] .

ثانيًا : أن هناك بعض الأفعال تقوم مقام الجحود ، نحو العلائم المختصة بالكفر ، و إنما يجب فى الإيمان التبرؤ عن مثلها أيضاً ، كما يجب التبرؤ عن نفس الكفر ، و لذا قال تعالى :﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾(التوبة: ٦٦) فى جواب قولهم : ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾(التوبة: ٦٥) لم يقل أنكم كذبتم فى قولكم ، بل أخبرهم بأنهم بهذا اللعب و الخوض الذين من أخص علائم الكفر خلعوا ربقة الإسلام عن أعناقهم و خرجوا عن حماه إلى الكفر ، فدل على أن مثل تلك الأفعال إذا وجدت فى رجل يحكم عليه بالكفر ، و لا ينظر إلى تصديقه فى قلبه ، و لا يلتفت إلى أنها كانت منه خوضاً و هزأً فقط أو كانت عقيدة و من ههنا تسمعهم يقولون : إن التأويل فى الضروريات غير مقبول ، و ذلك لأن التأويل فيها يساوق الجحود و بالجملة : إن التصديق المجامع مع أخصّ أفعال الكفر، لم يعتبره الشرع تصديقًا فمن أتى بالأفعال المذكورة فكأنه فاقدُ التصديق عنده ...)

كذا أفاده الشيخ الإمام الأنور فيما املاه فى شرح البخارى.

---

[1] - فيض البارى(ج:١/ ص١٤٤)

تعريف الإيمان لغةً و شرعاً:

قال: و الإيمان هو الإقرار باللسان و التصديق بالجنان.

الشرح:

(ا)الإيمان في اللغة: هو عبارة عن التصديق، و قد يجئ بمعنى الوثوق و بابه إفعال من الأمن و همزة الإفعال إذا دخلت على الفعل المتعدى فإما أن يعديه إلى مفعول ثانٍ أو يجعله لازمًا على معنى الصيرورة فالتصديق منقول من الأفعال المتعدية، يقال: آمنته فلانًا، أى جعلته آمنا منه و آمنته غيرى، أى جعلته غيرى آمنا منه فإنك إذا صدقت المخبر فقد امنته من تكذيبك إياه و المعنى الثانى منقول من الأفعال اللازمة، بمعنى صار ذا امن فيتعدى بالباء، يقال: آمن به، أى وثق به لأن الواثق بالشيئ صار ذا أمن منه كذا فى فيض البارى .

(ب)و الإيمان فى الشرع: هو التصديق بما علم مجئ النبى صلى الله عليه وسلم به ضرورة، تفصيلا فيما علم تفصيلا، و اجمالا فيما علم اجمالاً و هذا هو مذهب جمهور المحققين. فتح الملهم ج١/ ص ٣٠٢.

(ج) الحكم الشرعى للإيمان والإسلام: و للإسلام و الإيمان حكمان: أخروى و دنيوى أما الاخروى فهو الإخراج من النار و منع التخليد. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان) و قد اختلفوا فى أن هذا الحكم على ما ذا يترتب؟ و عبروا عنه بان الإيمان ماذا هو؟ فيقول البعض: إنه مجرد العقد و شهادة باللسان و يقول البعض: إنه عقد بالقلب و شهادة بالله و يقول البعض الآخر: هو العمل بالأركان فمن جمع بين الثلاثة فلاخلاف فى أن مستقره الجنة و هذه

درجة والدرجة الثانية أن يوجد اثنان و بعض الثانى وهو القول و العقد و بعض الأعمال ، و لكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر ، فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل فى الكفر، بل اسمه فاسق، و هو على منزلة بين المنزلتين ، و هو مخلد فى النار، و قال الخوارج : انه خرج من الإيمان و دخل فى الكفر، فصارمخلدًا فى النار كسائر الكفار .

الدرجة الثالثة: . أن يوجد التصديق بالقلب و الشهادةباللسان ، دون الأعمال بالجوارح ففيه إختلاف بين الجمهور و إمامنا الأعظم و الإختلاف صورى لا حقيقى بل من باب مقتضيات الأحوال فالسلف يقولون أن الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب و العمل بالأركان وإمامنا أخرج الأعمال عن حقيقة الإيمان و هوأمر النجاة الذى ليس بعده إلا الكفر فأفرز بالبحث حصة منه و هو التصديق بمعنى انتفاء الشك وغيرعنوان السلف السائد عندهم وفصل فيه و أعطى كل ذى حظ حظه لأن نظر السلف فيه إجمال أقاموا الأصل و الفرع فى صف واحد فما قاله السلف الصالح صحيح و ما قاله الإمام أيضاً صحيح لأن كل منهما مؤدٍ إلى وجهٍ صحيح و لا يترتب فى الحقيقة على الإختلاف كبير شيئ لأن الناجى عند واحد ناج عند آخر و كذلك الهالك فللإيمان اطلاقين الأول الإيمان الذى هو مدار الأحكام فى الدنيا و لا ريب أنه عبارة عن الإعتقاد فقط والثانى ما هو مدار للأحكام فى الآخرة و هى النجاة السرمدية ولا ريب أنه عبارة عن مجموع الأعمال و الأخلاق كما قال الإمام ولى الله الدهلوى.

ودليل الإمام رحمه الله:

١:. أن الله تعالى كلما ذكر الإيمان فى القرآن أضافه إلى القلب و ظاهره أن فعل

القلب هو التصديق .

٢:. أنه تعالى عطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى و لو كان ذلك داخلاً فيه ، لكان مجرد ذكره عبثا فضلاً عن أن يكون بطريق العطف .

٣:.أنه سبحانه و تعالى ذكر الإيمان في مواضع وصفًا للعصاة مقترنًا بالمعاصي ، فلو كانت الطاعة داخلة في الإيمان ، لكانت المعصية منافية له ممتنعة الاجتماع معه قال تعالى ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ (الحجرات :٩).

فوصف المقتتلين بالإيمان ، مع أن تقاتل المؤمنين حرام ومعصية (هذه خلاصة أقوال الشيخان الشيخ الأنور والشيخ شبير أحمد العثماني في شرحيهما على البخاري ومسلم في بحث الإيمان).

شبهة وجوابه:

و ما قيل عن العطف : ان الأعمال و إن كانت داخلة في قوله آمنوا ، إلا أنها عطفت عليه استيفاءً للبيان و لئلايذهل عنه فعلم منه أن التخصيص بعد التعميم قد يكون لزيادة اهتمام الأدنى فالجواب :أنه ينهض في العطف فما الجواب في آية كمثل هذه ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾(النحل: ٩٧) فجعل الإيمان قيدًا للأعمال وليس فيها عطفًا . فالحقيقة أداها القرآن والحديث ورد على الاعتبار ، لأن القرآن يؤدي الحقيقة و يوفي حقها و الحديث قد يردُ على المصالح ويراعيها أيضاً و القرآن لا يجعل الأعمال اجزاء للإيمان و لماامكن ان يفرط فيه مفرط ازاحه الحديث و اطلق الإيمان على الأعمال تنبيهاً على اهمية الأعمال و تلافياً لما قد يسبق من عطف الأعمال على الإيمان من المغايرة و إطلاق الأعمال على الإيمان مما لايمكن إنكاره

فقد تواتر به الحديث لكن صنيع القرآن خلافه كما قدمنا كذا أفاده الإمام الأنور.

(د) حكم الاقرار :

قال المرجئة إن الاقرار ليس بشطر و لا شرط للإيمان ، فالتصديق وحده يكفي للنجاة عندهم حتى اشتهر القول عنهم : بأنه لا تضر مع الإيمان معصية ، و على خلافهم الكرامية ، فانهم زعموا أن الاقرار باللسان يكفي للنجاة عندهم، سواء وجد التصديق أم لا ، فكأنهما على طرفي نقيض و عندنا لا بد من الإقرار أيضاً ، أما شطرًا أو شرطاً .

قال التفتازاني :.إن الاقرار لو كان شرطاً لاجراء الأحكام فلا بد أن يكون على وجه الاعلان و الاظهار للإمام و غيره من أهل الإسلام ، و إن كان لإتمام الإيمان ، فإنه يكفي مجرد التكلم به و إن لم يظهر على غيره ، و من جعل الإقرار ركنًا كالتصديق فرّق بينهما بكون التصديق لا يحتمل السقوط في حال، بخلاف الإقرار ، فإنه يسقط عند الاعذار، (و في المسايرة) و جعل الإقرار بالشهادتين ركنا من الإيمان هو الاحتياط بالنسبة إلى جعله شرطاً خارجًا عن حقيقة الإيمان ، ثم أنه شرطاً كان أو شطراً لا بد منه عند المطالبة عند الكل ، وإن طولب به و لم يقر فهو كافر كفر عناد. كذا أفاده الإمام الأنور.

ذكر بعض الأحاديث التي تدل على أنّ الإيمان هو التصديق القلبي مع الإقرار بغض النظر عن العمل :

١. عن رجل من الأنصار أنه جاء بأمة سوداء ، فقال : يارسول الله ، إن عليّ رقبة مؤمنة ، فإن كنت ترى هذه مؤمنة فأعتقها؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم:(

أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت : نعم ، قال : أتشهدين أنى رسول الله؟) قالت: نعم ، قال: (أتؤمنين بالبعث بعد الموت ؟) قالت : نعم ، قال : (اعتقها) . (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح كما ذكرناه من قبل)

٢. و فى بعض طرق حديث جبريل بعد قوله عليه الصلوة و السلام: (الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه ورسله و الجنة و النار و القدر خيره و شره و حلوه و مُرّه من الله تعالى ، قال : فإذا فعلتُ ذلك فأنا مؤمن؟ قال : نعم ، قال :(صدقت) رواه الطبرانى و رجاله موثقون .

٣. و فى حديث أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خمس من جاء بهنّ مع إيمان دخل الجنة ...) . الحديث رواه الطبرانى فى الكبير و اسناده جيد .

٤. وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بحسب امرئ من الإيمان أن يقول : رضيت بالله ربًا ، و بمحمد رسولا و بالإسلام دينًا (رواه الطبرانى فى الاوسط).

تعليق الشيخ بن باز:

علّق سماحة الشيخ ابن باز على عبارة الإمام الطحاوىؒ و قال : هذا التعريف فيه نظر و قصور ... ثم قال :(و إخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة...) ولا يخفى أن من قال... أن العمل ليس بداخل فى الإيمان فقد اراد بهذا التعبير سدا لذرائع إلى بدع هؤلاء الأشقياء من الخوارج و المعتزلة ، و إمامنا الأعظم كان قد ابتلى بمقابلة الخوارج و مناظرتهم كثيرًا فلم يجد بدًا من اختيار هذا التعبير الدافع فى نحورهم بأصرح وجه فغير عنوانهم لئلا ينخدع أحد من عبارة السلف فيجعل الأعمال داخلة فى

الإيـمان فينفى النجاة بترك الأعمال كقول الخوارج ان مرتكب الكبيرة مخلد فى النار فـلـو قـال فـى مقابلتهم أيضاً كما قال السلف الإمام لكان إعانة عليهم. كما أن السلف ارادوا الـردّ عـلـى المرجئة الآخذين من الإيمان التصديق فقط، والقائلين بأنه لا يضر مع الإيـمـان معصية فكأنهم حطوّا الأعمال عن مرتبتها، و عطلوها و جعلوها كالمطروح فـى البيـن، و هـذا جهـل عـظيم فردّ السلف عليهم حتى اوهم بجزئيتها و إنتفاء الإيمان بـإنتهـائها، فكأنهم أرادوا بهذاالقول أن لا يتهاون الناس فى أمر الأعمال، ولذا تواتروا بـذلك الـقـول، و مـن خـالـفهـم فـى هـذا القول رموه بالإرجاء لأنهم ابتلوا بهم، فمن خـالـفهـم و لـو فى التعبير ادخلوه فى زمرتهم كذا أفاده الإمام الأنور، و الإمام البخارى لّما غيّر عنوان السلف فى لفظ القرآن ماذا كان رد العلماء عليه؟ بدعوه و هجروه مع أن الحق كان معه. انظر كتاب إبن أبى حاتم ترى فى مثله عجائب.

بعض التفصيل فى الإيمان و أن الإختلاف بين الأحناف والسلف لفظىٌّ:

قـال فى "أحكام القرآن" (ص:٢٨) : (الإيمان غير العمل. إن العمل ركن الإيمان أو لا؟ قـال الـعـيـنـى: مـا تـلـخـيـصه، قد اختلف أهل القبلة فى مسمى الإيمان فى عرف الشرع على أربع فرق.

فرقة، قالوا: الإيمان فعل القلب فقط، و هؤلاء قد اختلفوا على قولين. احدهما: و هـو مـذهب المحققين، و إليه ذهب الأشعرى، و أكثر الأئمة كالقاضى عبد الجبار، و الاستـاذ أبـى اسحاق الاسفرائينى، والحسين بن الفضل، و غيرهم. أنه مجرد التصديق بـالـقـلـب . أى تصديق الرسول عليه السلام فى كل ما علم مجيئه به بالضرورة تصديقا

جازما مطلقا. أى سواء كان لدليل أو لا. والقول الثانى : أن الإيمان معرفة الله تعالى وحده بالقلب ، و الإقرار باللسان ليس بركن فيه ، و لا شرط ، حتى أن من عرف الله بقلبه ، ثم جحد بلسانه و مات قبل أن يقربه ، فهو مؤمن كامل الإيمان ، و هو قول جهم بن صفوان . و إنما معرفة الكتب ، والرسل ، واليوم الآخر، فقد زعم أنها غير داخلة فى حد الإيمان ، و هذا بعيد من الصواب لمخالفة ظاهر الحديث. والصواب ما حكاه الكعبى (عن جهم) أن الإيمان معرفة الله تعالى مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد ﷺ .

والفرقة الثانية: قالوا : أن الإيمان عمل باللسان فقط و هم أيضا فريقان .

الأول : أن الإقرار باللسان هو الإيمان فقط ، و لكن شرط كونه إيمانا حصول المعرفة فى القلب. (و هو قول غيلان بن مسلم الدمشقى والفضل الرقاشى).

الثانى: أن الإيمان مجرد الإقرار باللسان . (و هو قول الكرامية).

والفرقة الثالثة ، قالوا : أن الإيمان عمل القلب واللسان معا. أى فى الإيمان الإستدلالى دون الذى بين العبد و بين ربه. و قد اختلف هؤلاء على أقوال ....

الأول : أن الإيمان إقرار باللسان ، و معرفة بالقلب . و هو قول أبى حنيفةؒ و عامة الفقهاء و بعض المتكلمين.

الثانى: أن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان معا . و هو قول بشر المريسى وابى الحسن الأشعرى .

الثالث: أن الإيمان إقرار باللسان و إخلاص بالقلب ، و معنى المعرفة بالقلب على قول أبى حنيفةؒ . أما الإعتقاد الجازم سواء كان تقليديا ، أو كان علما صادراً عن

الدليل. و هو الأكثر والأصح . و أما الصادر عن دليل و هو الأقل . ثم اعلم أن لهؤلاء الفرقة اختلافا في موضع آخر . و هو أن الإقرار باللسان هل هو ركن الإيمان ، أم شرط له ، في حق اجراء الأحكام ؟ قال بعضهم : هو شرط لذلك حتى أن من صدق الرسول ﷺ في جميع ما جاء به من عند الله تعالى فهو مؤمن في ما بينه و بين الله تعالى ، و إن لم يقر بلسانه. و قال حافظ الدين النسفي: هو المروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه ، و إليه ذهب الأشعري في أصح الروايتين ، و هو قول أبي منصور الماتريدي . و قال بعضهم : هو ركن ، لكنه ليس بأصل له كالتصديق بل هو ركن زائد. و لهذا يسقط حالة الإكراه و العجز . و قال فخر الإسلام : إن كونه ركنا زائدا مذهب الفقهاء ، و كونه شرط لإجراء الأحكام مذهب المتكلمين.

والفرقة الرابعة ، قالوا : أن الإيمان فعل القلب واللسان مع سائر الجوارح ، و هم أصحاب الحديث ، و مالك ، والشافعي ، و أحمد ، و الأوزاعي . و قال الإمام : و هو مذهب المعتزلة والخوارج والزيدية.

أما أصحاب الحديث فلهم أقوال ثلثة:

القول الأول:

أن المعرفة إيمان كامل و هو الأصل ، ثم بعد ذلك كل طاعة إيمان عليحدة ، و زعموا أن الجحود و إنكار القلب كفر ، ثم كل معصية بعده كفر عليحدة ، و لم يجعلوا شيئا من الطاعات إيمانا ما لم توجد المعرفة والإقرار ، و لا شيئ من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والإنكار . و هو قول عبد الله بن سعيد.

القول الثاني : أن الإيمان اسم للطاعات كلها ، فرائضها و نوافلها و هي بجملتها

إيمان واحد إلا أن من ترك النوافل لا ينقص إيمانه.

القول الثالث:

الإيمان اسم للفرائض ، دون النوافل . أما المعتزلة فقد اتفقوا على أن الإيمان إذا عدى بالباء فالمراد به في الشرع التصديق ، و إذا ذكر مطلقا غير معدى فقد اتفقوا على أنه منقول نقلا ثانيا إلى معنى آخر ... ثم اختلفوا فيه على وجوه . احدها : أن الإيمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة ، أو مندوبة ، أو من باب الاعتقادات ، أو الأقوال ، أو الأفعال. و هو قول واصل بن عطاء ، و أبي الهذيل ، والقاضي عبد الجبار .

والثاني: أنه عبارة عن فعل الواجبات فقط ، دون النوافل. و هو قول أبي علي الجبائي و أبي هاشم .

والثالث : أن الإيمان عبارة عن اجتناب كل ما جاء في الوعيد ، و هو قول النظام و من أصحابه . من قال شرط كونه مؤمن عندنا و عند الله اجتناب كل الكبائر.

و أما الخوارج : فقد اتفقوا على أن الإيمان بالله يتناول معرفة الله تعالى ، و معرفة كل ما نصب الله عليه دليلا عقليا أو نقليا ، و يتناول طاعة الله تعالى في جميع ما أمر به و نهى صغيرا كان او كبيرا.

ثم قال بعد بحث الفرق هذه المذاهب مجيباً عما يرد على الشوافع، في أن المخل بالعمل فاسق ، بأن العمل اذا كان ركنا لا يتحقق الإيمان بدونه . قلت : قد اجيب عن هذا لاشكال ، بأن الإيمان في كلام الشارع قد جاء بمعنى أصل الإيمان. و هو الذي لا يعتبر فيه كونه مقرونا بالعمل كما في حديث جبريل عليه السلام و قد جاء بمعنى الإيمان الكامل . و هو المقرون بالعمل كما في حديث وفد عبد القيس ، و هو المراد

بالإيمان المنفى فى قوله ﷺ: "لا يزنى الزانى حين يزنى و هو مؤمن" (الحديث) و هكذا كل موضع جاء بمثله، فالخلاف فى المسئلة لفظى، لأنه راجع إلى تفسير الإيمان. و أنه فى أى المعنيين منقول شرعى، و فى ايهما مجاز، و لا خلاف فى المعنى. فإن الإيمان المنجى من دخول النار، هو الثانى باتفاق جميع المسلمين. و الإيمان المنجى من الخلود فى النار. هو الأول باتفاق أهل السنة، خلافا للمعتزلة والخوارج. فالحاصل أن السلف، والشافعيّ إنما جعلوا العمل ركنا من الإيمان بالمعنى الثانى، دون الأول. و حكموا بفوات العمل ببقاء الإيمان بالمعنى الأول.

ثم قال بعد البحث عن معنى التصديق و الأدلة على أن مراد الشرع من الإيمان "التصديق بالقلب"... إلى أن قال..

وقال ابن حجر: فا السلف قالوا، هو اعتقاد بالقلب، و نطق باللسان، و عمل بالأركان، و أرادوا بذلك أن الأعمال شرط فى كماله. و من ههنا نشأ لهم القول بالزيادة، و النقص، ثم قال: و هذا كله كما قلنا بالنظر إلى ما عند الله تعالى، أما بالنظر إلى ما عندنا فالإيمان هو الإقرار فقط ، فمن اقر اجريت عليه الأحكام فى الدنيا.

فالحاصل أن اختلاف الأحناف والسلف لفظى. فمن شرط العمل، شرط لكماله، و من نفى، نفى عن أصله. نعم! الخلاف مع أهل الباطل كما رئيت. (والله تعالى اعلم) والبسط فى كتب الكلام.

و قال القارى: فى شرح الفقه الأكبر، أن العمل مغاير للإيمان عند أهل السنة والجماعة، لأنه جزء منه، و ركن مع الأركان كما يقوله المعتزلة. فمن جعله مركبا جعله كالكلى المشكك، و من جعله بسيطا جعله كالمتواطى.

العمل بالأحاديث النبوية:

و جميع ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع و البيان كله حق.

الشرح:۔

فجميع ما صح عن رسول الله ﷺ يجب الإيمان به و يحرم أن نضرب له الأمثال أو نستعمل له العقل أو نزنه بميزان العقل فإن هذا من دأب المعتزلة. قال في "الاعتصام" (ص: ٣٣٦) : فالحاصل من مجموع ما تقدم أن الصحابة و من بعدهم لم يعارضوا ما جاء في السنن بآرائهم ، علموا معناه أو جهلوه ، جرى لهم على معودهم. أولا ، و هو المطلوب من نقله ، و ليعتبر فيه من قدم الناقص ۔ و هو العقل۔ على الكامل ۔ وهو الشرع ۔ و رحم الله الربيع بن خُثَيم حيث يقول : يا عبد الله ! ما علمك الله في كتابه من علم فاحمد الله ، و ما استأثر عليك به من علم فَكله إلى عالمه ، لا تتكلف ، فإن الله يقول لنبيه : (قل ما أسالكم عليه من أجر و ما أنا من المتكلفين) إلى آخرها.

و عن معمر بن سليمان عن جعفر عن رجل من علماء أهل المدينة ، قال : ان الله علم علماً علمه العباد ، و علم علماً لم يعلمه العباد ، فمن تكلف العلم الذى لم يُعلِّمه العباد لم يزدد منه إلا بعداً. "قال" : والقدر منه.

و قال الاوزاعي : كان مكحول والزهرى يقولان : أمِرُّوا هذه الأحاديث كما جاءَت و لا تتناظروا فيها: و مثله عن مالك ، و الأوزاعي ، و سفيان بن سعيد ، و سفيان بن عيينة ، و معمر بن راشد ، في الأحاديث في الصفات أنهم أمِرُّوهَا كما جاء ت ... نحو حديث النزول ، و خلق آدم على على صورته ، و شبه، و حديث مالك في السؤال عن الاستواء مشهور.

١ـ وجوب العمل في أحاديث الأحكام هو ما قرره الفقهاء المجتهدون لا الأخذ عن كل من هب و دب و سار في الطريق أو أخذ عن انترنيت:

و يجب أن نعرف أن أخذ الأحكام لا بد فيها أن نرجع إلى فقه الفقهاء لأن الناسخ والمنسوخ والمجمل والمشكل لا يعرفه إلا المجتهدين قال في "أثر الفقه في الحديث الشريف" للدكتور نزار محمود قاسم الشيخ (ص ٣٠) الأمر الأول : أحاديث الأحكام مضلة إلا للفقهاء: و مشى على هذا المبدأ السلف الصالح ، و بيان ذلك أنه لا يجوز استنباط الأحكام الشرعية من حديث رسول الله ﷺ إلا بعد عرض الحديث على علم أصول الفقه ، و هذا من عمل الفقهاء و اختصاصهم.

فالحديث منه العام و منه الخاص ، و منه الناسخ والمنسوخ، و منه المشكل الذي يقتضي ظاهره التشبيه ، و له دلالات ... و لا يعرف معنى هذه الأمور إلا الفقهاء ، بخلاف من لا يعرف إلا مجرد الحديث فإنه يضل فيه ، و بهذا يعلم فضل الفقهاء المستنبطين على المحدثين غير المستنبطين.

و من شواهد ما سبق ما رواه أحمد بن علي بن ثابت البغدادي عن أبي نعيم أنه قال : كنت أمر على زفر (ابن الهذيل من كبار أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله) و هو محتب بثوب ، فيقول : يا أحول تعال حتى أغربل لك أحاديثك ، فأريه ما قد سمعت ، فيقول : هذا يؤخذُ به ، و هذا لا يؤخذ به ، و هذا ها هنا ناسخٌ ، و هذا منسوخٌ.

و ممن مشى على هذا إمام أهل الكوفة و شيخ فقهائها إبراهيم النخعي رحمه الله [ت ٩٦هـ] ، فقد روى الخطيب البغدادي أن مغيرة الضبي قال : أبطأتُ على إبراهيم فقال : يا ميغرة ما أبطأ بك؟

قال : قلت : قدم علينا شيخ فكتبنا عنه احاديث.

فقال إبراهيم : لقد رأيتنا و ما نأخذ الأحاديث إلا ممن يعلم حلالها من حرامها ، و حرامها من حلالها ، و إنك لتجد الشيخ يحدث بالحديث ، فيحرف حلاله عن حرامه ، و حرامه عن حلاله و هو لا يشعر.

هذا وعدَّ السلف الصالح الجهل بالفقه من الضلال ، فقد روى الخطيب وغيره عن ابن وهب رحمه الله أنه قال : كل صاحب حديث ليس له إمام فى الفقه فهو ضال ، لقيت ثلاثمائة و ستين عالماً ، و لولا مالك بن أنس و الليث بن سعد لهلكت ،فقيل له كيف ذلك ؟ فقال : أكثرت من الحديث فحيَّرنى؛ كنت أظنُّ أن كلَّ ما جاء عن النبى ﷺ يُعملُ به ، فكنت أعرض ذلك على مالك و الليث ، فيقولان خذ هذا و دع هذا... إلى أن قال:

الأمر الثانى : كمال العالم بالجمع بين الرواية والدراية:

استيقن لدى السلف الصالح أن الرواية مرتبة تسبق الدراية فلا يوقف عندها ، بل يجب المضى إلى علم الفقه و علم أصوله ، و ذموا الاقتصار على أحدهما ، و لهذا المبدأ شواهد كثيرة تدل على أهمية الجمع بين رواية الحديث و فقهه ، ومن ذلك:

ما رواه الرامهرمزى عن أبى عاصم النبيل أنه قال : الرياسة فى الحديث بلا دراية ، و رياسة نذلة.

و روى أيضا أن امرأة وقفت على مجلس فيه يحيى بن معين و أبو خيثمة و خلف بن سالم فى جماعة يتذاكرون الحديث ، فسمعتهم رسول الله ﷺ ، ورواه فلان ، و ما حدث به غير فلان ، فسألتهم المرأة عن الحائض تغسل الموتى ، و كانت غاسلة ، فلم

يحبها أحد منهم، و جعل بعضهم ينظر إلى بعض، فأقبل أبو ثور، فقيل لها : عليك بالمقبل، فالتفتت إليه و قد دنا منها فسألته، فقال : نعم تغسل الميت ؛ لحديث عثمان بن الأحنف عن القاسم عن عائشة أن النبى ﷺ قال لها : أما إن حيضتك ليست فى يدك، و لقولها : كنت أفرق رأس رسول الله ﷺ بالماء و أنا حائض، قال أبو ثور : فإذا فرقت رأسَ الحى بالماء، فالميتُ أولى به، فقالوا : نعم : رواه فلان، و نعرفه من طريق كذا، و خاضوا فى الطرق والروايات، فقالتِ المرأة فأين كنتم إلى الآن.

هذا وعاب السلف كتبة الحديث من غير فهم، تحرجوا فى الأخذ عنهم، و من ذلك ما رواه ابن عبد البر رحمه الله عن يحيى بن يمان أنه قال : يكتب أحدهم الحديث، ولا يتفهم و لا يتدبر، فإذا سئل أحدهم عن مسألة، جلس كأنه مكاتبٌ، وقال ابن عبد البر رحمه الله : فمن كان همه تحصيل الرواية بلا دراية، كان كقول الشاعر:

زوامل للأسفار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدرى البعير إذا غدا بأحماله أو راح ما فى الغرائر

و ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى عن ابن حبان رحمه الله تعالى: أن الثقات الحفاظ إذا حدثوا من حفظهم، و ليسوا بفقهاء، أنه لا يجوز الاحتجاج بحديثهم، لأن همتهم حفظ الأسانيد، و الطرق دون المتون.

٢ـالترتيب بين الصحاح :

قال فى فيض البارى (٥٢/١):(و بالجملة فالمقدم: "صحيح البخارى" ثم "صحيح مسلم"، وبعدهما عندى "صغرى النسائى" على خلاف ما عندهم، لأنه قال : كل ما أخرجت فى "الصغرى" فهو صحيح عندى بخلاف أبى داود، فإنه لم يشترط

الصحة بل قال : كل ما أخرجت في كتابي فهو صالح للعمل عندي ، فيعم الحسن . و أما الحافظ فلا يترك أحاديث النسائي "والموطأ" بالنقد ، كأنه يشير إلى أن أحاديثهما تحتاج إلى النقد جزئياً ، و لا يحكم عليها بالصحة كلياً ، و عندي النسائي كله مستغني عن النقد. قالّ السبكي و الذهبي : إن النسائي أحفظُ من مسلم.)

قلت: هذا الفرق في أشخاصهما لا في كتابيهما ، فإن كتاب مسلم أصح من النسائي ، و قصته أن السبكي كان يتعلم على الذهبي ، فلما رجع يوماً قال لأبيه الشيخ تقي الدين : إن أستاذي قال اليوم قولاً عجيباً ! قال : ما هو؟ قال : قال : إن النسائي أحفظُ من مسلم ! فقال الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى : أصاب الذهبي ولا ريب أنه كذلك . و بعده أبو داود ، فإنه و إن اشتمل على أحاديث ضعافٍ إلا أن ضعفها يسير ، و قد أخرج أبو داود رواية عن جابر الجعفي أيضا ، و هو أجمع كتاب في السنن ، حتى قال الخطابي : إنه أجمع كتاب في الدين ، و يقرب عندي كتاب الطحاوي المشهور "بشرح معاني الآثار" ، فإن رواته كلهم معروفون ، و إن كان بعضهم متكلما فيه أيضا .

ثم الترمذي ، و كتابه و إن اشتمل على غرائبَ و ضعافٍ لكنه ينبه عليه في كل موضع ،و هو و إن كان أقل حديثاً باعتبار السرد في الأبواب إلا أنه جَبَرَهُ بالإيماء إليها ضِمن قوله : و في الباب . ثم إن الترمذي ليس عنده إسناد مذهب الإمام أبي حنيفة ، فلذا لا يَذكر اسمه صراحة ، بخلاف مذاهب الأئمة الأخر فلها عنده أسانيد سردها في كتاب العِلَل ، و يَظُنُّ من ليس عنده علمٌ أنه لا يذكر اسمه لعدم رضاه عنه. و بعده ابن ماجه ، و فيه نحوٌ من عشرين حديثاً مُتَّهَم بالوضع.

و أما "الموطأ" لمالك؛ فلكونه مشتملاً على الآثار كثيراً لم نتكلم عليه ، قال ابن

حزم: لقد أحصيتُ ما في موطأ مالك، فوجدتُ فيه خمسمائة و نَيِّفاً مسنداً، ثلاثمائة ونيفاً مرسلاً، و فيه نيفٌ و سبعون حديثاً قد ترك مالكٌ نفسه العمل بها، و فيها أحاديث ضعيفة أوهاها جمهور العلماء. قال الخطيب: إن "الموطأ" مقدّم على كل كتاب من الجوامع و المسانيد.

مراتب الصحيح:

والصحيح عندى على أربعة أنحاء:

الأول: ما يكون رواته ثقاتٍ و عدولاً مع تعاضُدِه بالتوارث و التعامل، و هو أعلى الصحاح عندى.

ثم ما صححه أحدٌ من الأئمة صراحةً.

ثم ما أخرج فى الكتب التى التزم فيها بالصحة، و إن لم يصحح جزئياً، كصحيح ابن خُزيمة، و صحيح ابن السَّكن، و صحيح ابن حبان، والنسائى.

ثم ما يكون رواته سالمين من الجرح.

٣- اقسام التواتر:

و فى "فيض البارى" (١٤٤/١): ثم إن التواتر قد يكون من حيث الإسناد و هو معروفٌ، كحديث: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار". و قد يكون من حيث الطبقة كتواتر القرآن، فإنه تواتر على البسيطة شرقاً وغرباً، درساً و تلاوةً، حفظاً و قراءةً، و تلقاه الكافةُ عن الكافة، طبقة عن طبقة، فهذا لا يحتاج إلى إسناد معين، يكون عن فلان عن فلان. و قد يكون تواترَ عملٍ و توارث، بتواتر العمل على شيئ من لدن صاحب الشريعة إلى يومنا هذا، كالسواك. والرابع: تواتر القدر المشترك، كتواتر

المعجزات ، فإن مفرداتها و إن كانت آحاداً، لكن القدر المشترك متواترٌ قطعاً ، كسخاء حاتم ، فإن اخباره و إن كانت آحاداً ، إلا أن سخاء ه معلومٌ متواتر. و قد يجتمعُ أقسام منها في شيئ واحد.

و على هذا نقلو : إن الصلاة فريضةٌ ، و اعتقاد فريضتها فرضٌ ، و تحصيل علمها فرض ، وجحدها كفر، و كذا جهلها ، والسواك سنة ، و اعتقاد سنيته فر ، لأنه ثبت متواترا بأنحاء التواتر و تحصيل علمه سنةٌ ، جحوده كفرٌ ، و جهله حرمانٌ ، و تركه عتابٌ أو عقاب.

٤-ضوابط العمل بالحديث الضعيف:

قال في "أثر الفقه"(ص٤٣): من المشهور عند طلبة العلم اليوم أن الحديث الضعيف لا يصلح للاحتجاج به في الأحكام ، و يؤخذ به عند أكثر أهل العلم في فضائل الأعمال و مستحباتها بشروط وهي:

الأول : أن لا يشتد ضعفه.

الثاني: أن يندرج تحت أصل معمول به.

والثالث : أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، بل يعتقد الاحتياط.

و عدم الاحتجاج بالضعيف للأحكام ليس على إطلاقه ، فأحياناً يلزم الأخذ بالحديث الضعيف للاستدلال به في الأحكام ، و ذلك في حالات ، و من أهمها

الحال الأولى : خلو الحكم الشرعي عن دليل صحيح.

الحال الثاني: ترجيح الآراء الفقهية عند التعارض.

الحال الثالث : الاستدلال بالحديث الصحيح غير الصريح.

الحال الرابع : العمل بالحديث الضعيف في باب الاحتياط.

الحال الخامسة: عمل الأمة بموجب الحديث الضعيف.

٥.حكم العمل بخبر الآحاد:

قال في أحكام القرآن (٢١٢): بعد أن ذكر أقوال العلماء في خبر الواحد و قول صاحب المنار"خبر الواحد كل خبر يرد به الواحد أو الاثنان فصاعدا ، و لا عبرة للعدد فيه بعد أن يكون دون المشهور المتواتر و إنه يوجب العمل دون العلم اليقين". قال : (و استدل أيضا على حجية الخبر الواحد بآيات أخر . كما في نور الانوار. قوله تعالى : "و إذا أخذ الله ميثاق الذين أوتو ا الكتاب لتبيننه للناس و لا تكتمونه" فقد اوجب على كل من اوتي علم الكتاب بيانه و وعظه للناس و لا فائدة منه إلا قبول الناس تلك الموعظة فيكون خبر الواحد حجة للعمل. وفي الحاشية لأن الجمع إذا قوبل بالجمع يقتضي انقسام الأحاد على الأحاد اه.

(٣) و استدل أيضا بقوله تعالى : "إن الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى" الاية. قال في روح المعاني : فيها دليل على وجوب قبول خبر الواحد لأنه لا يجب عليه البيان إلا و قد وجب قبوله.

(٤) و استدل أيضا بقوله تعالى :" و كذلك جعلناكم أمة و سطا لتكونوا شهداء على الناس" والمخبر عن الرسول شاهد على الناس و لا يجوز أن يجعله الله شاهدا على الناس و هو غير مقبول القول.

(٥) و استدل أيضا بقوله تعالى : " فاسئلوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" فإنه لم يفرق بين المجتهد و غيره. و سؤال المجتهد منحصر في طلب الاخبار دون الفتوى ، و

لو لم يكن القبول واجباً لما كان السوال واجبا.

(٦) و استدل أيضا بقوله تعالى: "يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله" أمر بالقيام بالقسط و الشهادة لله و من أخبر عن الرسول فقد قام بالقسط و شهد لله فكان ذلك واجباً و إنما يكون ذلك واجب أن لو كان القبول واجباً و إلا كان وجود الشهادة كعدمها و هو ممتنع.

(٧) و استدل أيضا بقوله تعالى : "إن جآء كم فاسق بنبأ فتبينوا" . قال الكرماني : إنه أوجب الحذر عند مجيئ فاسق بنبأ أى بخبر و أمر بالتبين عند الفسق فحيث لا فسق لا يجب التبين فيجب العمل به.

قال ابن حجر : و احتج بعض الأئمة بقوله تعالى : "يا ايها الرسل بلغ ما أنزل إليك من ربك" مع أنه كان رسولا إلى الناس كافة و يجب عليه تبليغهم فلو لا كان خبر الواحد غير مقبول لتعذر ابلاغ الشريعة إلى الكل ضرورة لتعذر خطاب جميع الناس شفاها و كذا تعذر ارسال عدد التواتر إليهم.

ثم نقل الآثار و ورد ما تمسك به المخالف أو اورد الشبهة فلينظر . و لما كان محل البسط أصول الفقه لم اشتغل برد ما اورد عليها فعليك بتفاسير الآيات و كتب الأصول و الله تعالى أعلم.

و قال ابن حجر : و احتج من منع بأن ذلك لا يفيد إلا الظن ، و اجيب بأن مجموعها يفيد القطع كالتواتر المعنوى ، و قد شاع فاشيا عمل الصحابة و التابعين بخبر الواحد من غير نكير و فاقتضى الاتفاق منهم على القبول .

و فى التوضيح : والرسول عليه السلام قبل خبر بريرةؓ وسلمانؓ فى الهدية والصدقة

و ارسل الافراد إلى الآفاق . قال التفتازانی : تفاصيل ذلك و إن كانت أحاد إلا إن جملتها بلغت حدا لتواتر كشجاعة علی، وجود حاتم، و إن لم يلزم التواتر فلا أقل من الشهرة.

و قال البخاری : و كيف بعث النبی ﷺ امراء ه واحدا بعد واحد فإن سها أحد منهم رد إلى السنة ثم أتى بأحاديث عديدة على قبول خبر الواحد . و قال ابن حجر : والمراد بقوله : واحدا بعد واحد ، تعدد الجهات البعوث إليها بتعدد المبعوثين . و حمله الكرمانی على ظاهره ، فقال : فائدة بعث الآخر بعد الأول ليرده إلى الحق عند سهوه و لا يخرج بذلك عن كونه خبرا لواحد و هو استدلال قوی لثبوت خبر الواحد من فعله ﷺ لأن خبر الواحد لو لم يكف قبوله ما كان فی رساله معنى ، و قد نبه عليه الشافعی أيضا ، و ايده بحديث "ليبلغ الشاهد الغائب" و هو فی الصحيحين ، و بحديث "نضر الله إمرأ سمع منی حديثا فأداه" و هو فی السنن.

قال العينی : و عادة الصحابة رضی الله عنهم قبول ذلك و هو مجمع عليه من السلف و معلوم بالتواتر من عادة النبی ﷺ فی توجيهه و لاته و رسله احاداً إلى الآفاق يعلموا الناس دينهم و يبلغوهم سنة رسولهم. انتهى.

٦- حكم الإستدلال بالظنيات :

قال فی أحكام القرآن (ص : ١٥١):قال العينی : و قوله تعالى: "و كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم" يدل على أنه لم ينه عن جميع الظن ، و الظن على أربعة أوجه: محضور و مأمور به ، و مباح ، و مندوب إليه. فالمحظور : هو سوء الظن بالله تعالى و كذلك الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم عدالة محظور. و المأمور به : هو ما لم ينصب

عليه دليل يوصل إلى العلم به و قد تعبدنا بتنفيذ الحكم فيه و الإقتصار على غالب الظن و اجراء الحكم واجب، و ذلك نحو ما تعبدنا به من قبول شهادة العدول، و تحرى القبلة، و تقويم المستهلكات، و أروش الجنايات التى لم يرد مقاديرها بتوقف من قبل الشرع، فهذا و نظائره قد تعبدنا فيه بغالب الظن المباح: كالشك فى الصلوة اذا كان إماما فإن النبى ﷺ أمر بالتحرى والعمل بغالب الظن فإن فعله كان مباحا، و أن عدل إلى غيره من البناء على اليقين جاز. والظن المندوب إليه: كإحسان الظن بالأخ المسلم يندب إليه و يثاب عليه.

و فى النبراس تحت قول التفتازانى: و لا عبرة بالظن فى باب الإعتقاديات إلخ. و عندنا: فى اطلاق نفى العبرة نظر. لأن المشائخ ذكروا الظنيات فى عقائدهم كتفاصيل الملك و البشر، و السلف نقلوا الأحاديث الافراد فى أحوال المعراج، و القبر، والجنة و النار، مع أنه لا حظ للعمل فيها. فلو لم يعتقدها كان روايتها عبثا، و وجودها وعدمها متساويا، وذا باطل. بل الحق: أن المذموم هو الظن الفاسد أو الظن فيما يمكن فيه اليقين بالإستدلال مع التكليف باليقين فيها كوجود الواجب و وحدته و صدق النبى ﷺ. و أما الظن: بحكم الدليل الظنى مع عدم امكان تحصيل اليقين فغير مذموم فاحفظه. فكثيرا ما يقع فيه الخطأ عن النحارير. و قال فى موضع آخر: قيد الجمهور الادلة (أى أدلة علم الكلام) بالقطعية لأن اتباع الظن فى العقائد مذموم، و لكن فيه بحث بحثان: الاول: أنه قد يجتمع الادلة الظنية فتفيد القطع بالتحدس فلا يكون من باب اتباع الظن. الثانى: أن العقائد قسمان قسم لا بد فيه من تحصيل اليقين كوجود الواجب و وحدته. و قسم ظن لا يمكن فيه تحصيل اليقين كفضيلة الرسل

على الملك فلا بأس فيه باتباع الظن لإجماعهم على ايراد هذا القسم فى كتب العقائد.

فلعلك حصلت مع تصاريح هؤلاء الاعلام أن النصوص التى فيها المنع عن اتباع الظن . فالمراد فى بعضها : الظن الغير الشرعى بمعنى التهمة و غيرها ، و فى بعضها : الظن الفاسد ، و فى بعضها : الظن المحض الغير المستند إلى دليل شرعى. و أما الظن الشرعى : المستند إلى النصوص فلا يمتنع اتباعه . و إن سلم فلا نسلم: المنع فى العلميات و العمليات جميعا بل هو لا يغنى عن العلم فتعتبر فى الظنيات الإعتقادية والعملية للإجماع على عبرته فى الظنيات .

هل الإنسان مكلف قبل أن يصل إليه الشرع أم لا؟فنبين لك ذلك :

٧ـ بحث الحسن العقلى والقبح العقلى:

قال فى أحكام القرآن (ص:٣١٤) : و فى روح المعانى ، فى الإستدلال على مذهب الأحناف : و قد صرح غير واحد من علمائهم بأن العقل حجة من حجج الله و يجب الإستدلال به قبل ورود الشرع واحتجوا فى ذلك بما اخبر الله تعالى به عن ابراهيم عليه السلام من قوله : لأبيه و قومه "إنى أراك و قومك فى ضلال مبين" حيث قال ذلك ، ولم يقل اوحى إلىّ ، و من استدلاله بالنجوم و معرفة الله تعالى بها و جعلها حجة على قومه ، و كذلك كل الرسل حاجوا قومه بحجج العقل كما ينبئ عنه قوله تعالى : "قالت رسلهم أفى الله شك" الاية . و بقوله تعالى : " و من يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به " . حيث لم يقل : " و من يدع مع الله إلها آخر بعد ما اوحى إليه أو بلغته الدعوة". و بقوله سبحانه خبرا عن اهل النار : " و قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير " حيث اخبروا أنهم صاروا فى أهل النار لتركهم الإنتفاع بالسمع

والعقل، و فيه أنهم لو انتفعوا بالعقول فی معرفة الصانع قبل ورود الشرع لم يصيروا فی النار و بأن الحجج السمعية لم تكن حججا إلا باستدلال عقلی، و بأن المعجزة علی أنها من الله فلما كان بالعقل كفاية معرفة المعجزة كان به كفاية معرفة الله تعالی من طريق أولی و بأن دعاء جميع الكفرة إلی دين الإسلام واجب علی الأمة و معلوم أن الدهرية لا يحتج عليهم بكلام الله تعالی و رسوله عليه الصلوة و السلام فلم يبق إلا حجج العقول إلی غير ذلك . ثم قال بعد بحث : والذی يميل إليه القلب إن العقل حجة معرفة الصانع تعالی و وحدته و تنزهه عن الولد سبحانه قبل ورود الشرع للأدلة السابقة و غيرها و إن كان فی بعضها ما يقال و إرسال الرسل و إنزال الكتب و رحمة منه تعالی أو أن ذلك لبيان ما لا ينال بالعقول من أنواع العبادات والحدود فلا يرد أنه لو كان العقل حجة ما ارسل الله تعالی رسولا و لا اكتفی به. وقيل فی جوابه: لما كان امر البعث والجزاء مما يشكل مع العقل وحده إلا بعظيم تأمل فيه حرج يعذر الإنسان بمثله و لا ايمان بدونه، بعث الله تعالی الرسل عليهم السلام لبيان ما به تتمة الدين، لا لنفس معرفة الخالق فإنها تنال ببداية العقول .فالبعرة تدل علی البعير، و الأثر علی المسير، فسماء ذات ابراج، و أرض ذات فجاج، و بحار ذات أمواج ألا تدل علی اللطيف الخبير. و أيضا أن الله تعالی لم يدعنا و رسولا من أولی الأمر إلی آخره، و الحجة كانت قائمة بالواحد كما بقيت بمحمد ﷺ إلی يوم القيامة. و لم يدل ذلك علی أن الأول لم يكن حجة كافية. و كذلك لم يدعنا سبحانه البيان بآية واحدة بل من علينا جل شانه بآيات متكررة و لا يدل أن الآية الواحدة لم تكن حجة كافية، و قوله تعالی خبرا عن قول الخزنة لأهل النار "أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات" توبيخ بالأظهر و

هو لا يدل على الآخر ليس بحجة . و قوله تعالى "لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل" على معنى لئلا يكون لهم احتجاج بزعمهم بأن يقولوا: "لو لا ارسلت إلينا رسولا" و قوله تعالى :"ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم و أهلها غافلون" محمول على الإهلاك بعذاب الإستيصال فى الدنيا على تكذيب الرسل . و أما جزاء الكفار فالنار فى العقبى ، و كذا يقال فى الاية التى نحن فيها لكثرة ما يدعوا إليه (هى : "ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" و يؤيده ما بعدها : "وإذا أردنا إن نهلك قرية" إلى قوله تعالى : "فدمرنها تدميرا") . فلا عذر لمن لم يعرف ربه سبحانه من أهل الفترة إذا كان عاقلا مميزا متمكنا من النظر و الإستدلال. لا سيما إذا بلغته دعوة رسول من الرسل عليهم السلام و لا يكاد يوجد من لم تبلغه كما سمعت عن الحليمي ، و قيل بوجوده فى امريقا. ثم المفهوم من كلام الاجلة أن النزاع إنما هو بالنسبة لأحكام الايمان بالله تعالى بخلاف الفروع ، فلا خلاف فى أنها لا تثبت إلا فى حق من بلغته دعوة من ارسل إليه. ثم قال : ثم إن مسئلة عدم الوجوب قبل ورود الشرع إنما يتم الإستدلال عليه بالاية عند المستدلين بها كما قال الاصفهانى : إذا كان المقصود تحصيل غلبة الظن فيها فإن كانت علمية فلا يمكن إثباتها بالدلائل الظنية.هل للتقليد دليل شرعى من دلائل الشرع؟ نعم له دليل شرعى و إليك إثباته:

٨- التقليد:

اعلم أن التقليد(و هو إعتقاد حقية قول الغير على وجه الجزم من غير أن يعرفه دليله) ثابت من زمن الصحابة إلى يومنا هذا و على هذا تعامل الناس و لما انشب الإستعمار أظفاره فى العالم الإسلامى و رأى اتحاد المسلمين و اتفاقهم على المذاهب

الأربعة و تقليد الأئمة علموا أنهم لن يضروهم إلا بطرد التقليد عنهم فأوجدوا رجالاً من بني جلدتنا يستخدمونهم لأن يروجوا الامذهبية في عقول الجهال و طلع سفهاء تلاعبوا بأحاديث الرسول ﷺ كما استخدموا أيضا سفهاء آخرون تكلموا في عقيدة أهل الإسلام المتفقة بين أهاليها و نزاهة الماتريدية و الأشاعرة فبدءوا ينشرون آراء علماء شذوا عن جمهور المسلمين في العقيدة و سمّو أنفسهم السلفية و ليسوا إلا أصحاب التجسيم والتشبيه و لم يعرفوا أن هناك علماء يبينون للناس زيفهم فها نحن الآن نريد أن نبين ثبوت التقليد من القرآن . قال في أحكام القرآن (ص٥٢):"استدل شيخنا رحمه الله ، على جواز نفس التقليد بعموم . قوله تعالى : (١):"واتبع سبيل من اناب إلى"(٢) و قوله تعالى "فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" (٣) : و قوله تعالى " و جعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا " (٤) : و قوله تعالى : " اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده" . و قال : بل جواز التقليد مجمع عليه للأمة.

و تقرير الإستدلال من الآيات ، بان الاولى : دالة على وجوب اتباع الأنبياء بعبارة النص ، و على تنوع المكلفين على التابع والمتبوع بإشارة النص ، و على عموم سبيل المتبوع للثابت بالنص و بالقياس باطلاقه ،فلا محالة تنتج اعتبار الشرع الإجتهاد والتقليد (من عنوان الصفحة الأولى للإقتصاد في التقليد و الإجتهاد لشيخنا".

و قال النواب صديق حسن رئيس فاقدي التقليد في الهند : أن الخطاب لسائر المكلفين أي اتبع أيها المكلف دين من اقبل إلى طاعتي في عبادي الصالحين بالتوبة والإخلاص.

وفي روح المعاني : من أناب أي رجع إليّ بالتوحيد والإخلاص بالطاعة و حاصله

اتبع سبيل المخلصين .

و تقرير شيخنا : على تفسير أن المراد به نبينا ﷺ كما روى عن ابن عباس و غيره .

و الثانية :

دلالتها على المقصود ظاهرة فان الذى لايعلم مأمور بسؤال أهل العلم و دلالتها عليه بعبارة النص .فإن قيل : أن المراد بأهل الذكر ، أهل الكتاب لأنها نزلت جوابا لمشركى مكة و حملوه أهل التفسير عليه .

قلت أولا: أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص المورد . و ثانيا: أنه لا يسأل أهل الكتاب من حيث ذواتهم ،بل لعلمهم و اعتمادهم عليهم ، لأن كفار مكة كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب أهل علم ، فدلالة الآية على المقصود بدلالة النص . و هذا على التفسير الذى روى عن ابن عباس و الحسن و السدى و غيرهم ، و قال الاعمش ، و ابن عيينة ، و ابن جبير : المراد من أسلم منهم . و قال أبو جعفر ، و ابن زيد : أن المراد بالذكر القرآن ، لأنه تعالى سماه ذكرا ، فأهل الذكر على هذا المسلمون . و قال بعض الإمامية : المراد به أهل البيت . لما روى عن أبى جعفر نحن أهل الذكر. ... إلى أن قال :

و التفصيل فى روح المعانى . و قال ، و أنا أقول يجوز أن يراد "من أهل الذكر" أهل القرآن ،وإن قال أبو حيان ما قال و ستعلم وجهه قريبا إنشاء الله تعالى المنان.

و أنا أقول : روى فى الدر المنثور : بتخريج ابن مردويه عن جابر قال ، قال رسول الله ﷺ : "لا ينبغى للعالم أن يسكت على علمه ولا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله". و قد قال الله تعالى "فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" فينبغى للمؤمن أن يعرف عمله على هدى أم على خلافه و بتخريج ابن أبى حاتم : عن سعيد بن جبير ، " أن

الرجل ليصلى ، و يصوم ، و يحج ، يعتمر ، و إنه لمنافق" قيل : يا رسول الله ﷺ بما ذا دخل عليه النفاق ؟ قال ﷺ : "بطعن على إمامه" و إمامه من قال الله تعالى فى كتابه :"فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون".

و فى تفسير النيسابورى ، قال الزجاج: سلوا كل من يذكر بعلم و تحقق .

و قال فى الكشف : و لا اخص أهل الذكر بأهل الكتابين يشمل النبى ﷺ و أصحابه.

والثالثة :

دالة على كون الأنبياء هداة بعبارة النص و على كونهم متبوعين بإشارة النص ، فإن الإمام القدوة المتبوع و على التابعين باقتضاء النص، و على عموم الهداية بالنص و القياس باطلاقها ، فيثبت بها كالأولى اعتبار الشرع ، الإجتهاد، والتقليد ، و هذا على تفسير من قال : أن المراد بهم الأنبياء . و عامة المفسرين : على أن المراد بهم غير الأنبياء.

ففى روح المعانى ، قال قتادة: رؤساء فى الخير سوى الأنبياء عليهم السلام ، و قيل : هم الأنبياء الذين كانوا فى بين اسرائيل.

و بمثله قال البغوى ، و الخازن : و اختار الإمام الرازى ، و ابن جرير ، والسيوطى و غيرهم الأول.و فى تنوير المقياس ، فى تفسير ابن عباس : "أئمة" قادة بالخير "يهدون بامرنا" يدعون الخلق إلى أمرنا "لما صبروا" حين صبروا على الإيمان والطاعة. "وكانوا بأياتنا" بمحمد عليه السلام و القرآن "يوقنون" يصدقون فى كتابهم. فهو على هذا التفسير صريح فى هداية العلماء يلزمها مطاوعها أى اهتداء العوام. و هو التقليد فدلالة الاية على وجوب التقليد التزامية و الله اعلم ... إلى أن قال :....:

والرابعة :

تدل على الأمر باتباعه ﷺ الأنبياء و المتقدم ذكرهم بعبارة النص ، و على كونهم متبوعين و كونه ﷺ تابعا لهم بإشارة النص ، و على كون هداهم عاما للنص والقياس باطلاقه ، فهذه أيضا تدل على حجية القياس ، و الإجتهاد و جواز الإتباع. و قد قال بعض المفسرين : أنه تعالى أمره ﷺ بالإقتداء بجميعهم فى جميع الصفات الحميدة و الاخلاق الشريفة ، حتى استدل البعض به على فضيلته ﷺ منهم أجمعين لأنه جمع أوصافا تفرقت فيهم.

و حقق القطب الرازى فى حواشيه على الكشاف: أنه يتعين أن الإقتداء المأمور به ليس إلا فى الاخلاق الفاضلة و الصفات الكاملة. ثم قال ، و حينئذ يكون أفضل من جميعهم قطعا كما أنه أفضل من كل واحد....... إلى أن قال :

و قال الواحدى ، كما فى الكبير : الإقتداء فى اللغة اتيان الثانى بمثل فعل الأول لأجل أنه فعله.

و استدل قدس سره فى رسالة الإقتصاد : في التقليد و الإجتهاد بأحاديث فليراجع . فإنها عجيبة فى هذا البحث ، و لما استدل قدس سره بعموم الأيات كما سبق. فتقرير الإستدلال ظاهر . فان من أناب و أهل الذكر عام و فى قوله تعالى :"جعلناهم أئمة يهدون" و قوله تعالى : بهداهم اقتده" أنه ذكرهم فى موقع أهل السعادة فالمراد وصفهم السعادة: فالمعنى "جعلنا" السعداء "أئمة يهدون" و بهدى السعداء اقتد و يشير إليه قول بعض الأكابر ، كما سيأتى فى الآية التاسعة والحادية عشر عن ابن عباس رضى الله عنهما : "فمن كان اشد إنابة و ممتازا بكونه أهل الذكر" و أسعد في علمك و

یکون مذهبه التفصیلی مدونا یکون تقلیده واجبا و لهذا إجماع الأمة علی التقلید الأئمة الأربعة لتدوین مذاهبهم بالتفصیل و لکونهم علی تلك الأوصاف و الله أعلم.

۹۔و أما حصر التقلید فی الأئمة الأربعة لا غیر :

فقد قال فی "أحکام القرآن" (ص:۱۸۱)و أما تقلید الأئمة الأربعة: لا غیر فاترجم له تقریرا انیقا لشیخنا حکیم الأمة التهانوی ملخصا قاله فی "امداد الفتاوی: "إن الأحکام إما منصوصة أو غیر منصوصة. و المنصوصة نوعان: متعارضة و غیر متعارضة . و المتعارضة أیضا قسمان: معلومة التقدیم و التأخیر و غیرها . فالمنصوصة الغیر المتعارضة و المتعارضة المعلومة التقدیم و التأخیر لا یجوز فیها القیاس ، و لا اتباع قیاس أحد لقوله تعالی :" و إن هم إلا یظنون" و لقوله تعالی : "أن یتّبعون إلا الظن" . فإن المراد بالظن ما هو یقابل النص.

والغیر المنصوصة و المنصوصة المتعارضة الغیر معلومة التقدیم و التأخیر علی حالین :إما أن لا یعمل منها علی شیئ أو یعمل ، فإن لم یعمل فیخالف نص قوله تعالی :"أیحسب الإنسان أن یترك سدی" و قوله تعالی "أفحسبتم إنما خلقناکم عبثا" . و إن عمل فإما یعمل بدون علم و تعین جانب ، و هو لا یمکن لعدم ما یعمل علیه فی الأول و لمکان التعارض فی الثانی عدم تعین أحد، وإما بعلم و تعیین ، و هوإما بالنص : فلا صورة له لعدم النص فی الأول ، وللتعارض من غیر علم بالتقدیم و التأخیر فی الثانی ، فلا بد من القیاس ، فإما ان یعتبر قیاس کل أحد أو قیاس بعض دون بعض ، لا سبیل إلی الأول لقوله تعالی : "ولو ردّوه إلی الرسول و إلی أولی الأمر منهم لعلمه الذین یستنبطونه منهم" فیعتبر قیاس بعض دون بعض فصاحب القیاس مجتهد و مستنبط و

غير مقلد . و وجب عليه تقليد مجتهد لعموم قوله تعالى :"واتبع سبيل من اناب إلى " و لا بد لإتباع السبيل علم السبيل و علمه التفصيل بالجزئيات و الفروع ليس إلا سبيل الأئمة الأربعة فلا يمكن اتباع غيرهم فانحصر الإتباع فيهم.

ثم المسائل الفرعية إمامتفق عليها فيما بينهم أو مختلف فيها. ففى المتفق عليها حصل إتباع الكل و فى المختلف فيها لا يمكن إلا بترجيح أحدهم ، و كان مدار الترجيح الانابة.

و علمها ،إما تفصيلى أو اجمالى. أما التفصيلى : فبأن ينظر فى كل فرع و جزئى أن الحق مع من. و لا يتأتها إلا لمجتهد و مستنبط و قد كان غيره هذا خلف فلا جرم يعلم الإنابة بالإجمال فمن تحقق عنده بعد تفحص الأحوال أن إنابة فلان من المجتهدين الأربعة اشد اصابة ورأيه ازيد فعليه إتباعه ثم إذا التزم إتباع أحد فإن خالفه فى مسئلة ما من غير ضرورة شديدة فإما يعلم منه و هذا لا يكون إلا بعد كونه مستنبطا و هو ليس كذلك هذا خلف ، و أما بغير علم "فمن اضل ممن اتبع هواه" فثبت بحول الله و قوته وجوب التقليد مطلقا ، و تقليد الأئمة الأربعة خصوصا . و انحصار المذاهب فى الأربعة و وجوب التقليد الشخصى و بطلان التلفيق و الكلام طويل فى المبسوطات و فى ذلك كفاية لطالب الحق و الله اعلم انتهى.

قال : و الإيمان واحد و أهله فى أصله سواء والتفاضل بينهم بالخشية و التقى و مخالفة الهوى و ملازمة الأولى.

الشرح:۔

والإيمان الذى هو ذريعة النجاة واحد والمؤمنون فى أصله سواء لاتفاوت بينهم و

أما الإيمان الذى يتفاوت بين أهله و يفرق بين افراده رتبة فهو الإيمان الذى يتحلى بخوف الله عزوجل و امتثال أوامره واجتناب نواهيه و مخالفة النفس و هواها و ملازمة أحسن الأعمال فليست درجة المتحلى بها كدرجة المتخلى عنها.

آراء العلماء فى زيادة الإيمان و نقصانه:.

ظاهر الكتاب و السنة. و هو مذهب الاشاعرة و المعتزلة و المَحُكى عن الشافعى و كثير من العلماء أن الإيمان يزيد و ينقص و عند أبى حنيفة و كثير من العلماء و هو اختيار الحرمين :أنه لا يزيد و لا ينقص لأنه اسم للتصديق البالغ حد الجزم و الإذعان ، و لا يتصور فيه الزيادة والنقصان ، و لأنه اخذ فى التصديق ملحوظية انتفاء الشك فتعرض إلى مرتبة مخصوصة فكلامه فى الإيمان المنجى الذى ليس بعده إلا الكفر كما يدل عليه قول الإمام الطحاوى هذا و هو أثبت شيئ فى هذا الباب فجعل الإيمان أصلا و جعل الناس كلهم فيه سواء و هو الذى لو انحط الإيمان لجاء الكفر مكانه ، و أبقى التفاضل فى الأمور تتعلق بالإيمان من الخشية و غيرها فالإيمان بمعنى التقوى و الخشية يزيد و ينقص ، و الناس يتفاضلون فيه على نص الطحاوى ، نعم هناك أصل الإيمان و هو واحد ، و لا تفاوت فيه فما يزيدو ينقص عندهم هو إنبساط الإيمان وللأعمال سراية فيه و هو تصديق أيضاً اطلاقا للشيئ على مبدئه ، و نفى الزيادة و النقصان هو فى أصل الإيمان الذى يحصل قبل الأعمال ، و يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية: أى بهاؤه و نماؤه و يظهر من هذا التفصيل أنه لا تفاوت بين إيمان أبى بكرؓ و بين ادنى مؤمن لأنهما التزما الإتيان بجميع الشريعة فلا فرق فى هذا المعنى انما الفرق فى الخشية والتقى فلو وزنت إيمانه بهذا المعنى لترجح إيمانه على جميع أمته.

والجواب عن الآيات التي تدل على زيادة الإيمان :

١. أولًا أن الزيادة فيها راجعة إلى المؤمن به فان القرآن كان ينزل في زمنه صلى الله عليه وسلم نجمًا نجمًا و الأحكام تنزل تدريجا فإذا نزل حكم و آمن به زاد إيمانه، و هذه الزيادة كانت في الحقيقة في المؤمن به، فعبر عنها بزيادة نفس الإيمان.

٢. ثانياً لأن التمسك بها في غير محله، لكونها في شأن الصحابة رضي الله عنهم، و إيمان جميعهم كان كاملاً، فلا معنى للزيادة و النقصان في نفس الإيمان في حقهم فان اراد الزيادة و النقصان بإعتبار النور و الإنفساح فلا ننكره أيضاً. كذا أفاده الإمام الأنور.

فائدة مهمة في تشريح معنى الإيمان:

(و أنه لا إختلاف بين مسلك الإمام و مذهب الجمهور في الإيمان إلا إختلافا يسيرا لا يعبأ به)

و قال الإمام الشاه عبدالعزيز الدهلويؒ واعلم أن الإيمان في الشرع عبارة عن التصديق بمعنى گرويدن وباوركردن و يتعلق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كونه من الدين ضرورة و ذلك لأن الله جعله من افعال القلب في مواضع فقال : ﴿و قلبه مطمئن بالإيمان﴾ (النحل :١٦) و قال : ﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾ (المجادلة :١٢٢) و قال :﴿و لما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾(الحجرات :١٤) و لا شك أن فعل القلب هو التصديق لاغير، ثم إنه ذكره مع الحسنات والمعاصي و قارن بينه و بيننا بالعطف فقال :﴿ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات﴾(البقرة: ٢٧٧) و قال :﴿و ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾(الحجرات :١٩) و قال :﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ﴾(الانفال :٧٢)

فدل على أن الطاعات ليست أجزاءً له ، كما أن المعاصي ليست محيطة له مطلقًا ثم إنه نعى على من أقر باللسان فقط و لم يؤمن قلبه كما في البقرة فقال :﴿و من الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين﴾ (البقرة :٨).

فعلم أن الإقرار فقط ليس إلا حكاية عن الإيمان فإن طابقت تلك الحكاية مع المحكي عنه فبها و إلا فالإقرار المحض لا يزيدإلا الخداع و الكذب و تحقيق المقام أن للإيمان أيضاً وجودات كما هي لسائر الأشياء وجود عينّي و وجود ذهني و وجود لفظيٌ و قد تقرر عندهم أن الأصل فيها الوجود العينيّ و سائرها فروعٌ و توابع فالوجود العيني للإيمان هو نور يقذف في القلب برفع حجاب بينه و بين الحق و هذا هو النور الذي حكى عنه الله تعالى في قوله :﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاح ﴾(النور :٢٥٧)و ذكر تمثيله باشباع .

ثم ذكر سببه في قوله :﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾(البقرة :٢٥٧)و هذا النور مثل سائر المحسوسات قابلٌ للقوّة والضعف ، و اشتداد و انتقاص ، و هو الذي يزيد و ينقص كما في قوله :﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَاناً ﴾(الانفال :٢)و نحوها كثيرًا و السرّ فيه أن الحجب كلما ترتفع يزداد هذا النور ، يزداد الإيمان قوّةً و ثباتًا إلى أن يبلغ الاوج ، ثم أنه يتسع ذلك النور شيئًا فشيئًا حتى يحيط بالاعضاء كلها ، والقوى اجمعها و حينئذٍ ينشرح الصدر للإسلام، و يطلع على حقائق الأشياء و تتحلى على مُدركته غيوب الغيوب ، و يعرف كل شيئ في محله و يذوق من وجدانه ما كان الأنبياء عليهم الصلاةو السلام أخبروا به اجمالاً أو تفصيلاً ، ثم يزيد هذا النور و الانشراح حتي ينبعث القلب إلى الائتمار بأوامر الشرع و

الانتهاء عن مناهيه ، و بعد ذلك ينضم هذا النور مع انوار الأخلاق الفاضلة ، و الملكات الحميدة، و الأعمال الصالحة ، فيضئ ظلمات الطبائع البهمية و الشهوانية فتذل له ، و إليه أُشير في قوله تعالى :﴿نورهم يسعى بين ايديهم و بأيمانهم﴾(التحريم :٨) و فى موضع اخر :﴿ نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء﴾(النور :٣٥)هذا فى الوجود العينيّ أما الوجود الذهنى فله درجتان : (الأولى) ملاحظة المعارف المتجلية اجمالاً والنظر إلى الغيوب المنكشفة كلياً و هو مفاد كلمة (لا اله إلا الله محمد رسول الله) و تسمى تلك الملاحظة تصديقًا اجماليًا و بلفظ آخر : گرويدن باور كردن / او الثانية ملاحظة كل من تلك الغيوب المتجلية تفصيلاً ، بمعنى كل فرد فرد ، مع الارتباط بينها ، و تسمّى تصديقًا تفصيلياً أما الوجود اللفظى ففى اصطلاح الشرع عبارة عن الشهادتين فقط و ظاهر أن الوجود اللفظى للشيئ بدون تحقق حقيقة لايسمن و لا يغنى من جوع ، و إلا لزم أن يروى الغليل من ذكر الماء و يشبع الجائع من اسم الخبز ، و لكن لمّا لم يكن فى عالم البشر للتعبير عمّا فى ضميره سبيل غير النطق و التلفظ ، صار للشهادتين دخل عظيم فى الحكم بالإيمان ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله ، فإذا قالوا ها عصموا منى دماء هم و أموالهم الابحقها و حسابهم على الله) . و من ههنا علم كيفية زيادة الإيمان و نقصانه ، و قوته و ضعفه ، و لاح أن ما ورد فى الحديث الصحيح : (لا يزنى الزانى حين يزنى و هو مؤمن) ، و قوله : (و الحياء من الإيمان).

و قوله : (لا يؤمن احدكم حتى يأمن جاره بوائقه) كلها محمول على كمال الإيمان و الوجود العينى له . و من ذهب إلى نفى الزيادة والنقصان اراد المرتبة الأولى من

الـوجود الذهنى ، و حينئذٍ لم يبق بين الفريقين نزاع ، و لا خلاف ثم الإيمان على نحوين : تـقليدى و تحقيقى و التحقيقى أيضاً ينقسم إلى قسمين : استدلالى و كشفى و كل منهما على نحوين : إما أن يبلغ إلى حدٍّ لا يتجاوزه أولا و الثانى : يسمّى علم اليقين و الأول على ضربيـن : إمـا الـمشـاهدة و يسمى بعين اليقين ، أو الشهود الذاتى ، و يسمى حق اليقين و هـذان الأخيـران يـدخـلان فـى الإيـمـان بـالـغيـب هذا .(كذا فى ذيل فيض البـارى ج:١/ص:٢٣٧)

الفرق بين التشبية والتمثيل و اعتراض سماحة الشيخ ابن باز:

و قـال سماحة الشيخ ابن باز فى تعليقاته على الكتاب تحت هذا المتن (والإيمان واحـد الـخ) (هذا فيه نظر بل هو باطل...) كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين و بقية الـصحابة رضى الله عنهم مثل إيمان غيرهـم الخ... و لا يخفى أن الإمام نفى المثلية لأن الـمثلية تـقتـضـى المساواة فى كل الصفات أما التشبيه فلا يقتضيه فلا أحد يسوى بين آحـاد الـنـاس و إيـمـان الـملائكة و الأنبياء ، بل يتفاوت غير أن ذلك التفاوت بزيادة و نـقـص فـى نـفـس الـذات أو بـأمور زائدة عليها ، فمنعوا يعنى الحنفية و موافقهم الأول (فهنـاك فـرق واضـح بيـن الـمثـلية و التشبيه فنحن ننفى المثلية) كذا فى شرح العقيدة للغنيمى(ص:١٠٠)

بعض المسائل المهمة التى تتعلق بالإيمان:

١ـ المسئلة الأولى:حكم الاستثناء فى قول الرجل أنا مؤمن إن شاء الله :

١. قـال الـكمالان ابن الهمام و ابن أبى شريف : (لا خلاف بين القائلين بدخول الاستثـنـاء والـمـانعين فى أنه لا يقال : (أنا مؤمن إن شاء الله) للشك فى ثبوت الإيمان

حال التكلم بالاستثناء المذكور ، و إلا كان الإيمان منفيًا ، لأن الشك فى ثبوته فى الحال كفر، بل ثبوته فى الحال مجزوم به دون الشك ، غير أن بقاء ه إلى الوفاة عليه و هو المسمى بإيمان الموافاة التى يوافى العبد عليه متصفًا به آخر حياته غير معلوم له ، و لما كان ذلك هو المعتبر فى النجاة كان هو الملحوظ عند المتكلم فى ربطه بالمشيئة ، و هو أمر مستقبل فالإستثناء فيه اتباعًا لقوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً. إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فلا وجه لوجوب تركه ، إلا أنه لما كان ظاهرًا لتركيب أمرين: الا خبار بقيام الإيمان به فى الحال ، وأن الاستثناء يناقض الاخبار بقيام الإيمان به فى الحال: كان تركه أبعد عن التهمة بعدم الجزم بالإيمان فى الحال الذى هو كفر ، فكان تركه واجبًا لذلك ، و أما من علم قصده بأنه إنما استثنى تبركاً خوفًا من سوء الخاتمة ، فربما تعتاد النفس التردد فى الإيمان فى الحال لكثرة اشعارها بترددها فى ثبوت الإيمان و استمراره ، و هذه مفسدة إذ قد تجر إلى وجود التردد آخر الحياة للاعتياد به خصوصًا ، و الشيطان مجرد نفسه فى هلاك ابن آدم ، لا شغل له سواه ، فيجب حينئذٍ تركه ، كذا فى فتح الملهم للشيخ شبير أحمد العثمانى (ص ٣٢٠ . ج ١)

٢. و قال الإمام الملا على القارى فى شرح الفقه الاكبر (ص: ١٤٠) بعد أن فصل بعض التفصيل :(والحاصل أن المستثنى إذا اراد الشك فى أصل إيمانه منع من الإستثناء ، و هذا لا خلاف فيه . و أما إن اراد أنه مؤمن كامل أو ممن يموت على الإيمان فالإستثناء حينئذٍ جائز إلا أن الأولى تركه باللسان و ملاحظته بالجنان).

٣.و قال الإمام الزبيدى : و لعلمائنا الحنفية فى هذا المبحث كلام طويل تركته لما فى أكثره من نسبة التكفير و التضليل و التحريم إلى قائله ، فلم استحسن إيراده إذ قد

أطبق السلف على التكلم به ، فكيف ينسبون إلى شيئ مما ذكر ، و هم و سائطنا إلى الله و رسوله صلى الله عليه وسلم ... ثم قال :إنما صدر من متأخرين منهم ، إذا حقق البحث معه رجع إلى أمر لفظى... ثم قال : فالأولى كف اللسان عن الكلام فى ذلك إلا عند الضرورة مع كمال مراعاة الأدب و الإحترام للمشائخ القائلين بهذه القولة ، و عدم نسبتهم إلى شيئ من الضلال و الابتداع ، فضلاً عن الكفر ، فهذا الخلاف لفظى أو معنوى لا يترتب عليه كفر و لا بدعة نعوذ بالله من ذلك ، و بالله التوفيق) كذا فى فتح الملهم (١ ج . ٣٢٠)

٤ . و قال شارح العقيدة الطحاوية العلامة الميدانى: (ص٨٤) قلت فعلى هذا تكون مسألة الإستثناء فى الإيمان مبنية على مسألة زيادة الإيمان و نقصانه ،كما أن مسألة السعادة و الشقاوة مبنية على مسألة الإستثناء فى الإيمان كما ذكرنا... ثم ذكر التفصيل ثم قال : والحاصل أن الخلاف لفظى كما ذكرنا الخ.

٢ . المسئلة الثانية : النسبة بين الإسلام و الإيمان :

قال الإمام الملاعلى القارى فى شرح الفقه الاكبر بعد أن بحث فى هذا الموضوع : و لهذا عبر الشارع بالإيمان عن الإسلام تارة و بالإسلام عن الإيمان أخرى ، كما فى قوله عليه ا لصلاة السلام لقوم وفدوا عليه: (أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا الله و رسوله أعلم ، قال عليه الصلاة و السلام : شهادة أن لا اله إلا الله و ان محمداً رسول الله : أى عبده و رسوله ، و اقام الصلوة و ايتاء الزكاة والحج و صوم رمضان) وفيه قوله عليه الصلوة و السلام : (الإيمان بضع و سبعون شعبة ، اعلاها قول لا اله إلا الله ، و أدناها إماطة الاذى عن الطريق) الحديث.و روى : (لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة) .

٢. و ذكر في فيض الباری (١٤٢/١) : و قد جَوَّز الغزالی رحمه الله تعالى بينهما (الإسلام . و الإيمان) النسب الثلاث من الاربع غير العموم من وجه (يعنی الخصوص والعموم المطلق و التباين و التساوی) بإعتبارات مختلفة و يقرب منه ما قال الدّوانی : إن الإسلام هو الإنقياد الظاهری ، و هو التلفظ بالشهادتين ، و الإقرار بما يترتب عليهما والإسلام الكامل الصحيح لا يكون إلا مع الإيمان و الإسلام الظاهری قد ينفك عن الإيمان قال الله تعالىٰ: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾(الحجرات:١٤)

و أما الإسلام الحقيقی المعتبر عند الله فلاينفك عن الإيمان . و ما وضح لدّی أن الإيمان يتدرج من القلب إلى الجوارح على عكس الإسلام فهما فی مسافةٍ ذهاباً و إياباً فإن ظهر على الجوارح و رسخ الإسلام فی القلب فهما واحد ، و إن بقی الإيمان فی القلب و اقتصر الإسلام على الجوارح فهما متغايران ، و اعنی باتحاد المسافة و سراية الإسلام إلى الباطن نسبة الاحسان كما سيجئی فی حديث جبريل : (أن تعبد الله كأنك تراه) فالعبادةُ التی هی من الجوارح ، إذا حصلت بحيث يجد العبد ربه بمرأی عينه ، فهذه أمارة على اتحاد المسافتين ، فإن تلك الرؤية من صفة القلب ، فإذا اجتمعت تلك الرؤية مع خشوع الجوارح ، فقد اتحدت المسافتان، و حينئذ صار إيمانه عين إسلامه ، و إسلامه عين إيمانه ، لا فرق بينهما ، والا فالإسلام على جوارحه و الإيمان فی قلبه ، لم يسر ذلك إلى باطنه ، و لم يرق هذا إلى ظاهره والله تعالى اعلم بالصواب.

٣. المسئلة الثالثة : إيمان المقلد :

١. قال الإمام الملا على القاری فی شرح الفقه الاكبر (ص١٤٣) : أن إيمان

المقلد الذى لا دليل معه صحيح .

٢. و قال فى فيض البارى (١٢٨/١) فالمشهور عن الأئمة الأربعة رحمهم الله : أنها أى (المعرفة) ليست بشرط ، بخلاف المعتزلة فإنها شرط عندهم ، و معناه عندهم : أن يكون عنده من الدلائل على التوحيد و الرسالة ما يوجب اليقين ، بحيث لا يزول بتشكيك المشكك ، و يجب عند أئمتنا اليقين ولا يجب سنوح الدلائل معه ، و هو الحق فإنه يعلم من العبرة بإسلام رجال اسلموا فى الحروب والسيوف تلمع عليهم ، كذلك أمرنا أن نكُف سيوفنا عمن قال : لا اله إلا الله ، لأنه دليل صادق على رضائه بالإسلام ، و الترك لدينه ، و حسابهم على الله ، و أين تحضرهم الدلائل فى هذا الحين . و هذا معنى مايقال : إن إيمان المقلد معتبر عندنا ، فمن آمن تقليدًا و اذعن به قلبه ، فإنه مؤمن و إن لم يكن عنده دليل على ذلك بخلاف المعتزلة و زعم بعض السفهاء : أن الاختلاف فى عبرة إيمان مقلدى الأئمة رحمهم الله تعالى و عدمها ، و هو حمق والصواب ماعلمت .

والحاصل : أن أول الواجبات عند المعتزلة : هو المعرفة ، ثم الإيمان . و عندنا: الإيمان هو أول الواجب ، وليست تلك المعرفة شرطاً أصلاً ، ثم رأيت فى (جمع الجوامع) أن لو حصل لرجل ظن ، و لم يكن عنده اعتقاد جازم ، فهو أيضاً كاف لإيمانه ، بشرط أن لا يخطر الكفر فى قلبه ، و لا يوسوس به صدره، و لا تتردد فيه نفسه .اهـ

٣. و قال الإمام أبو منصور الما تريدىؒ : اجمع أصحابنا على أن العوامّ مؤمنون عارفون بربهم ، وأنهم حشو الجنة كماجاء ت به الاخبار ، و انعقد عليه الإجماع لكن منهم من قال : لا بد من نظر عقلى فى العقائد ...) اهـ كذا فى النجوم اللامعة (ص ٤٠)

٤. و فی أحكام القرآن (ص: ١٣٥) : "قال العینی: فی شرح البخاری، قال أهل السنة: من اعتقد أركان الدین من التوحید ، والنبوة ، و الصلوة و الزكوة ، و الصوم ، و الحج تقلیدا . فان اعتقد مع ذلك جواز و رود شبهة علیها ، و قال لا آمن ورود شبهة یفسدها فهو كافر. و إن لم یعتقد جواز ذلك بل جزم علی ذلك الاعتقاد ، فقد اختلفوا فیه . فمنهم من قال : أنه مؤمن. و إن كان عاصیا بترك النظر و الاستدلال الموریین(المؤدین) إلی معرفة قواعد الدین كسائر فساق المؤمنین و هو فی مشیة اللّٰه تعالی إن شاء عفا عنه و ادخله الجنة ، و إن شاء عذبه بقدر ذنبه و عاقبة أمره الجنة لا محالة . و هو مذهب أبی حنیفة ، و مالك ، و شافعی ، و أحمد بن حنبل ، والأوزاعی ، و الثوری ، و أهل الظاهر و عبد اللّٰه بن سعید القطان، والحارث بن أسد ، و عبدالعزیز بن یحی المكی و أكثر المتكلمین... إلی أن قال :

و إذا عرف هذا جئنا إلی بیان وجهی المذهب الأصح . الأول : أن المقلد مأمور بالإیمان و قد ثبت أن الإیمان هو التصدیق القلبی ، و قد اتی به فیكون مؤمنا. و إن لم یعرف الدلیل و نظیر هذا الاحتجاج ما روی أن أبا حنیفة رحمه اللّٰه تعالی لما قیل له : ما بال أقوام یقولون یدخل المؤمن النار؟ فقال : لا یدخل النار إلا المؤمن فقیل له : والكافر ؟ قال : فالكافر كلهم مؤمنون یومئذ ، كذا ذكره فی الفقه الأكبر : فقد جعل الكفار مؤمنین فی الآخرة لوجود التصدیق منهم ، والكافر أیضا عند الموت یصیر مؤمنا لأنه بمعاینة ملك الموت وأمارات عذاب الآخرة یضطر إلی التصدیق . إلا أن الإیمان فی الآخرة و عند معاینة العذاب لا یفید حصول ثواب الآخرة و لا یندفع به عقوبة الكفر ، و هذا هو المعنی من قول العلماء أن إیمان الباس لا یصح. أی لا ینفع و لا یقبل.لا أنه لا

يتحقق إذ حقيقة الإيمان التصديق و هو يتحقق إذا الحقائق لا تتبدل بالأحوال و إنما يتبدل الإعتبار و الأحكام (قلت : و سيجيئ بحث الإيمان وقت البأس فى آخر السورة تحت قوله تعالى :(فلما ادركه الغرق قال آمنت)

الثانى: أن النبى ﷺ كان يعد من صدقه فى جميع ما جاء به مؤمنا و لا يشتغل بتعليمه من الدلائل العقلية فى المسائل الإعتقادية مقدار مايستدل به مستدل و يناظر به الخصوم و يذب عن حريم الدين و يقدر على حل ما يورد عليه من الشبه و لا بتعليم كيفية النظر و الاستدلال و تأليف القياسات العقلية و طرق المناظرة و الإلزام ، و كذا أبوبكر الصديق رضى الله عنه قبل إيمان من آمن أهل الردة و لم يعلمهم الدلائل التى يصيرون بها مستبصرين من طرق العقل. و كذا عمر رضى الله عنه لما فتح سواد العراق قبل هو و عماله إيمان من كان بها من الزط و الأنباط ، و هما صنفان من الناس مع قلة اذهانهم ، و بلادة افهامهم ، و صرفهم اعمارهم فى الفلاحة ، و ضرب المعاول ، و كرى الأنهار والجداول ، و لو لم يكن إيمان المقلد معتبرا لفقد شرطه و هو الإستدلال العقلى لاشتغلوا بأحد أمرين إما بالإعراض عن قبول إسلامهم أو بنصب متكلم حاذق بصير بالأدلة عالم بكيفية المحاجة ليعلمهم صناعة الكلام حتى يحكموا بإيمانهم ، و لما امتنعوا عن كل واحد عن هذين الأمرين و امتنع أيضا كل من قام من مقامهم إلى يومنا هذا عن ذلك ظهر إنما ذهب إليه الخصم باطل . لأنه خلاف صنيع رسول الله ﷺ وأصحابه العظام و غيرهم من الأئمة الأعلام .

قلت : و يمكن أن يستدل على صحة الإيمان التقليدى بقوله تعالى فى الطور : "والذين آمنوا و اتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم" بأن الإتباع بالإيمان لا

يتصور إلا التقليد كما قال بعض المفسرين . ففى المدارك و قيل : ان الذرية و إن لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الإيمان استدلال، و إنما تلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون بالآباء اه.

من عجائب شارح العقيدة الطحاوية:

قال شارح العقيدة الطحاوية الشيخ على فى صحيفة (٣٨٥) و أما ما رواه الفقيه أبو الليث السمرقندى رحمه الله فى تفسيره عنده هذه الآية ، فقال : حدثنا محمد بن الفضل و أبو القاسم الساباذى ، قالا : حدثنا فارس بن مردويه ، قال : حدثنا محمد بن الفضل بن العابد ، قال حدثنا يحيى بن عيسى ، قال : حدثنا أبو مطيع ، عن حماد بن سلمة ، عن أبى المهزّم ، عن أبى هريرة ، قال: جاء وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله، الإيمان يزيد و ينقص ؟ فقال : " لا، الإيمان مكمل فى القلب ، زيادته كفر و نقصانه شرك" .ثم قال: فقد سئل شيخنا الشيخ عمادالدين بن كثير رحمه الله عن هذا الحديث :فاجاب : بأن الاسناد من أبى الليث إلى أبى مطيع مجهولون لايعرفون فى شيئ من كتب التواريخ المشهورة و أما أبو مطيع فهو : الحكم بن عبد الله بن مسلمة البلخى ، ضعفه أحمد ابن حنبل ، و يحيى بن معين و عمرو بن على الفلاس ، والبخارى ، و أبو داود ، والنسائى ، وأبوحاتم الرازى وأبو حاتم محمد بن حبان البستى ، والعقيلى و ابن عدى و الدارقطنى وغيرهم. اهـ . والعجب أن الشارح رحمه الله . قال فى صحيفة (٣٢٢): (و كلام السلف فى اثبات صفة العلو كثيرة جدًا منها ما روى شيخ الإسلام أبو اسماعيل الأنصارى فى كتابه الفاروق ، بسنده إلى مطيع البلخى ثم بعد ذكره المتن قال : و لا يلتفت إلى من انكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبى حنيفةؒ ، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم ، مخالفون له فى كثير من اعتقاداته

اهـ .فإذا كان أبو مطيع هذا يثبت علو الله حساً كما هو رأى الشارح فإن من تكلم فيه لايلتفت إليه ، و أما إذا روى حديث عدم زيادة الإيمان فانه ضعيف ضعفه أحمد بن حنبل و يحيى بن معين الخ.)

و قال فى صحيفة (٣٨٣):(بعد أن رد قول الإمام أبى معين النسفى : و أما الطعن بمخالفة الكتاب فأين فى الكتاب مايدل على خلافه...؟) و أنت تعرف ما قررنا أن القرآن لم يجعل الأعمال أجزاء للإيمان ، فكانت حقيقة الإيمان مغايرة للأعمال كما حقق الإمام الأنور فإخراج الأعمال عن حقيقة الإيمان صنيع القرآن ، و لماأمكن أن يفرط فيه مفرّط أزاحه الحديث و اطلق الإيمان على الأعمال تنبيهًا على اهمية الأعمال . فأين فى الكتاب ما يدل على قوله ؟ ثم قال:(و انما هذا الطعن من ثمرة شؤم التقليد والتعصب) !!! أقول فهذا لعله من باب: (رمتنى بدائها وانسّلت)

و لا يخفى أن الشيخ بن أبى العز شارح العقيدة اعترف أنه تلميذ الحافظ ابن كثيرؒ .و أنه خالف شيخه و شذ فيمن شذ عن جمهور المسلمين، و اتبع شيخه الجمهور و ذلك فى المواضع التالية :

١ .يعد ابن كثير واحدًا من الاشاعرة و ذلك وفق اعترافه بذلك : قال الحافظ ابن حجرؒ فى ترجمة نجل ابن قيم الجوزية فى الدرر الكامنة (٥٨/١)، (١٥٥) ابراهيم بن محمد أبى بكر بن ايوب بن قيم الجوزية و احضر على ايوب الكمال و غيره و سمع من جماعة كإبن الشحنة و من بعده و اشتهر و تقدم و افتى و درس و ذكره الذهبى فى المعجم المختص فقال تفقه بأبيه و شارك فى العربية و سمع و قرأ و اشتغل بالعلم و من

نوادره أنه وقع بينه و بين عماد الدين ابن كثير منازعة فى تدريس الناس فقال له ابن كثير : (أنت تكرهنى لأننى اشعرى) .اه . و الشارح قد أكثر الوقيعة فى الأشاعرة بدون ذكر اسمهم فى شرحه و طعن فيهم و غمزهم.

٢ .يعد ابن كثير واحدًا من فقهاء الشافعية و قد صنف كتابه القيم (طبقات الفقهاء الشافعيين) و لم ينكر على التقليد ولا على الذين يقلدون الأئمة و الشارح يقول فى كتابه (التنبيه) على مشكلات الهداية (٥٤٢/٢) : (فإنه متى اعتقد أنه يجب على الناس اتباع واحد بعينه من هذه الأئمة رضى الله عنهم اجمعين دون الآخرين فقد جعله بمنزلة النبى ﷺ ، و ذلك كفر) إلى أن قال : (و أما من كان محبًا للأئمة مواليًا لهم يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة فهو محسن فى ذلك) : و معنى كلام الشيخ أن لكل أحدٍ أن يفتش فى المسائل و المذاهب فما ظهر له فيها أنه موافق للسنة يجنى فيها ما يطيب له ، و يذوق مذاقه ثم يعرضه على السنة فهو فى هذا احسن... و ما اجتهده المجتهدون لا عبرة له ولا حاجة للاقتداء بإمام من الأئمة فلكل أحد أخذ الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة مع الجهل بطريقة الإستنباط و قلة الحفظ للسنة... و قد منع الإمام أحمدؒ: من حفظ مائة الف حديث أن يستقل بالإجتهاد فكيف بهؤلاء ؟ و الدين المأمون الذى وصل إلينا هو اجتهادات الأئمة والأمة قد أخذت باجتهاد اتهم فتابعوا كل جماعة إمامًا ولم ينكر على هذا الفعل إلا الشرذمة و قد قال الاوزاعىؒ : (من اخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام) سير أعلام النبلاء(١٢٥/٧) .

و من غرائب الشارح أنه قال (٥٤٤/٢) (و من جملة أسباب تسليط الله تعالى

التتر على بعض بلاد الشرق و تسليط الفرنج على بعض بلاد المغرب كثرة التعصب و التفرق بينهم في المذاهب و غيرها) . و قد قلد الشيخ بنفسه فى العقائد الحافظ ابن تيمية فى كل نقير و قطمير حتى فى اثبات الحوادث لا أول لها ، و اثبت لله الحد و غيرها من المسائل المشهورة التى زاغ بصر الحافظ ابن تيمية عنها و ترك فيها رأى الجمهور و شذ عنهم و قلده الشارح فثمرة شؤم التقليد و التعصب الممقوت فاشية فى كثير من العلماء وقى الله منها الأحياء و غفر الله للأموات بفضله و كرمه إنه رحيم كريم.

٣. يعد ابن كثير من المؤولين لبعض آيات الصفات انظر فى تفسيره (ص٢/١١/٢٢١) و (ص٤/٦٣) و غيرها و نقل التأويل عن الإمام أحمد و لو كان التأويل ضلالة كما زعم لانسحب هذا الحكم على شيخه ابن كثير و على الإمام أحمد رحمهما الله و كذلك على الإمام الشافعي و الإمام أبى حنيفة و غيرهما من الأئمة رحمهم الله تعالى . ذكر الإمام ابن كثير فى البداية و النهاية(٣٢٧/١٠) أن الإمام البيهقى روى عن الحاكم عن أبى عمرو بن السّماك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأول قوله تعالى (و جاء ربك) أنه جاء ثوابه ، ثم قال البيهقى : و هذا اسناد لاغبار عليه . قال ابن كثير : و كلامه أى الإمام أحمد فى نفس التشبيه و ترك الخوض فى الكلام و التمسك بما ورد فى الكتاب و السنة عن النبى ﷺ و عن أصحابه.

٤. الإمام ابن كثير يقرا التوسل بالنبى ﷺ و ساق قصة الإمام العتبى فى تفسيره دون الإعتراض عليها بكلمة واحدة أما الشارح كما مرينكر التوسل بالذوات و يؤول ، و ترك فى ذلك رأى الجمهور و فرع التوسل التبرك بآثار الصالحين وقد اقربه الحافظ ابن كثير انظر البداية والنهاية (١٠/ ٣٤٥) و كذلك (١٧٦/١٤)ولزيادة تفصيل فى

هـذا الموضوع انظر كتاب صديقى المحقق الصوفى الدكتور عادل حفظه الله: (عقيدة الإمام الحافظ ابن كثير ص: ٢٤ و مابعدها)

قال: والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن و أكرمهم أطوعهم وأتبعهم للقرآن:

الشرح:۔

قـال الله تعالى :﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

وقـال الله تعالى :﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾وقال الله تعالى :﴿ إن أولياؤه إلا المتقون﴾.

وعـن ايوب بن خالد قال : يبعث أهل الاهواء أو قال : يبعث أهل الفتن . فمن كان هـواه الإيـمـان كـانـت فتنتـه بيضاء مضيئة ، و من كان هواه الكفر كانت فتنته سوداء مـظـلـمة ، ثـم قـرأ هـذه الاية ﴿الـلـه ولـى الـذيـن آمنوا الخ ﴾ كذا فى تفسير ابن كثير (٤٥/٢).

والأولياء جمع ولى بوزن فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول ، أو بمعنى فـاعـل كـعـليـم بـمـعنى عالم ، فعلى الأول يكون الولى من تولى اللهُ عزوجل رعايته و حـفـظـه فـلا يـكـلـه إلـى نـفسه كما يقال تعالى ﴿و هو يتولى الصالحين﴾(الاعراف : ١٩٦).

و على الثانى يكون الولى من تولى عبادة الله عزوجل و طاعته ، فهو يأتى بها على التـوالـى ، آناء الليل ، و اطراف النهار و يجنح إلى هذا ماعرفه به السعد فى شرح العقائد

حيث قال : هو العارف بالله حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك باللذات و الشهوات) و إلى الأول ما عرف به السيد الشريف حيث قال : (الولاية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه . كذا في شرح العقيدة للغنيمي (ص :١٠٣ ـ ١٠٤).

أصول الدين عند أهل السنة والجماعة:

قال : و الإيمان : هو الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و البعث بعد الموت والقدر خيره و شره و حلوه و مُرّه من الله تعالى .

والإيمان بالله : هو التصديق بوجوده ، و انه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص .

و سئل بعض الأعراب عن الدليل على وجود الرب تعالى ، فقال : يا سبحان الله ! إن البعر ليدل على البعير و إن أثر الاقدام لتدل على المسير، فسماء ذات الأبراج والأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن ذلك ، فقال : ههنا حصن حصين أملس ، ليس له باب و لامنفذ ، ظاهره كالفضة البيضاء و باطنه كالذهب الإبريز فبيناهو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ، ذو شكل حسن و صوت مليح يعني بذلك البيضة إذا خرجت منها الدجاجة .

و الإيمان : بالملائكة : هو التصديق بوجود الملائك وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون و أنهم لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون و أنهم اقسام و وظائفهم مقسمة كما اسلفنا. جمع ملائك ، وأصله مألك ، بتقديم الهمزة ، من الألوكة

و هـی الـرسالة ، قدمت اللام علی الهمزة و حذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلی ما قبلها فـصـار مِـلك و لـمـا جـمـعت ردت الهمزة و جمع علی فعائل ، كشمأل و شمائل. ثم تركت همزة المفرد لكثرة الإستعمال و القيت حركتها إلی اللام .

وكتبه : بأنها كلام الله تعالی الازلی القديم المنزه عن الحروف والأصوات و بأنه تـعالی انزلها علی بعض رسله بالفاظ حادثة فی الواح أو علی لسان ملك و بأن جميع ما تضمنه حق و صدق .

و رسله : بـأن الله ارسلهم إلی الخلق لهدايتهم و تكميل معاشهم و معادهم و ايـدهـم بـالـمـعجزات الدالة علی صدقهم فبلغّوا عنه رسالته و بينو ما أمروا ببيانه و بأنهم معصومون عن المعاصی كما ذكرنا التفصيل فی ذلك.

واليوم الآخر : و هو من الموت إلی آخر ما يقع يوم القيامة .

والبعث بعد الموت: تأكيد لليوم الآخر و المراد بالإيمان به التصديق بما يقع من الحساب والميزان و الجنة والنار.

والإيـمان بالقدر خيره و شره : وهـذا الـمتن أخذه الإمام الطحاوی عن حديث صـحيـح جـاء فـی صـحيـح مسـلـم و غيره مع اختلاف فی بعض لفظه و زيد فی رواية :(حـلـوه و مـره) كـمـاقـال الشيخ شبير أحمد العثمانی والمعنی : أن تعتقد بأن الله قدر الخير و الشر و الفرح و الهم قبل خلق الخلائق ، و أن جميع الكائنات متعلق بقضاء الله ،مرتبط بقدره.

البشر أفضل أم الملائكة؟

و فـی" أحـكـام الـقـرآن" للعلامة جميل أحمد التهانوی (ص:١١٧): و فی البحر

الرائق : قال فخرالإسلام : أن مؤمنى البشر أفضل من الملائكة و هو مذهب أهل السنة و الجماعة خلافا للمعتزلة . و ذلك أن عندهم صاحب الكبيرة خارج من الإيمان ، و قلما يسلم مؤمن من الكبائر . و عندنا هو كامل الإيمان ثم هو مبتلى بالإيمان بالغيب فكان أحق من الملائكة . ألا ترى أن الله جعل الملائكة منزلة خدام المؤمنين فى الدنيا والآخرة آه . و ما ذكره عن المعتزلة نسبه الشارح إلى الباقلانى من أئمتنا. و ما اختاره فخر الإسلام من تفضيل الجملة على الجملة نسبه فى المحيط إلى بعض أهل السنة . ثم قال : والمختار عندنا أن خواص بنى آدم و هم الأنبياء والمرسلون أفضل من جملة الملائكة . و عوام بنى آدم من الاتقياء أفضل من عوام الملائكة. و خواص الملائكة أفضل من عوام بنى آدم . و نص قاضى خان على أن هذا هو المذهب المرضى. والمراد هنا بالاتقياء من اتقى الشرك لامن اتقاه مع المعاصى فان ظاهره، أن فسقة المؤمنين أفضل من عوام الملائكة . و يدل عليه ما فى روضة العلماء للإمام أبى الحسن البخارى ، إن الأمة اجتمعت على أن الأنبياء عليهم السلام أفضل الخليقة. و نبينا محمد ﷺ أفضلهم. واتفقوا على أن أفضل الخلائق بعد الأنبياء جبرئيل و مكائيل و اسرافيل و عزرائيل و حملة العرش و الروحانيون و رضوان و مالك. و اجمعوا على أن الصحابة و التابعين و الشهداء والصالحين أفضل من سائر الملائكة . واختلفوا أن سائر الناس بعد هؤلاء أفضل أم سائر الملائكة' فقال أبو حنيفة: سائر الناس من المسلمين أفضل و قال سائر الملائكة أفضل . و لأبى حنيفة قوله تعالى : "يدخلون عليهم من كل باب سلام" الآية ـ فاخبر أنهم يزورون المسلمين فى الجنة والمزور أفضل من الزائر آه . و فى حاشية منحة الخالق . فقد اتفقت العبارتان على أن خواص الشر أفضل من خواص

الملائكة، و أن اوساط البشر أفضل من بقية الملائكة . و هذا بالإجماع كما صرحت به عبارة الروضة . بقى الكلام فيمن عد الأوساط من البشر، فعند الإمام هم كالاوساط أفضل من بقية الملائكة و ظاهر الروضة اختاره فيحمل عليه كلام المحيط بأن يراد بالعوام ما يشمل الاوساط و من دونهم . لقول قاضيخان عما فى المحيط : أنه المذهب المرضى بتوارد الاختياران على شيئ واحد . و ما فى الدر المختار عن مجمع الانهر: قوله عند أكثر المشائخ مشعر بالخلاف . و كلام الروضة يفيد الإجماع . و الظاهر أنه لم يذكر من عدا اوساط البشر لما فيه من الخلاف بين الإمام و صاحبيه و قد علمت ما هو المعول عليه.

و قال فى رد المحتار: و ما هنا (اى قوله عند أكثر المشائخ أولى إذ المسئلة خلافية و هى ظنية أيضا.)

وقول القارى : أن الإيمان يزيد بالإيقان الخ ، فأقول الزيادة لا تستلزم الأفضلية ، فى روح المعانى : فى سنن الدارمى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن الحارث بن قيس قال له عند الله نحتسب ما سبقتمونا إليه من رؤية رسول الله ﷺ . فقال ابن مسعود عند الله نحتسب إيمانكم بمحمد ﷺ و لم تروه إن أمر محمد ﷺ كان بينا لمن راه والذى لا إله إلا هو ما من أحد أفضل من إيمان بغيب . ثم قرأ "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه" إلى قوله : "المفلحون".

ثم أجاب عن ايراد عليه فلينظر فما رجحه قاضى خان و هو من أهل الترجيح فى الفقه هو الراجح عندنا فتدبر و الله اعلم.

قال القارى : و توقف جمع فى هذه المسئلة و منهم (الإمام) رحمه الله على ما

ذکره فی امالی الفتاوی ، أنه لم يقطع فيها بجواب ، قلت فلتكن المسئلة ظنية لا قطعية و هو كذلك بلا شبهة .

قال: و أهل الكبائر من أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم فى النار لا يُخَلَّدون إذا ماتوا و هم مُوَحِّدون و إن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين و هم فى مشيئته و حكمه ، إن شاء غفر لهم و عفا عنهم بفضله كما ذكر عزوجلّ فى كتابه و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء و إن شاء عذّبهم فى النار بعد له ثم يخرجهم منها برحمته و شفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته . و ذلك بأن الله مولى أهل معرفته و لم يجعلهم فى الدارين كاهل نكرته ، الذين خابوا من هدايته و لم ينالوا من ولايته . اللهم يا وليَّ الإسلام و اهله مسكنا بالإسلام حتى نلقاك به .

الشرح:۔

الخلاصة : أن من مات و هو موحد عاص فهو مفوض إلى مشيئة الله إن شاء غفر له بفضله و عفا عنه و إن شاء عذّبه بعد له لكنه لا يُخلد فى النار ، يُدخل ثم يخرج . و يشفع للعاصين من أطاع الله كاالأنبياء و الأولياء والشهداء والصالحين بإذن الله لما ثبتت باالأحاديث الكثيرة المتواترة . والمراد من أهل المعرفة : أهل الإيمان . و المراد من أهل نكرته : أهل الكفر و قوله : بأن الله مولى لاهل معرفته : قوله تعالى ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا و أن الكافرين لامولى لهم﴾ إن شاء غفر ذنوبهم و ادخلهم الجنة و إن شاء عذبهم وادخلهم النار عدلا منه بشرط اماتتهم على الإيمان. أشار الإمام فى هذا المتن إلى الأبحاث المهمة .وهى:

١. إن الذين يرتكبون المعاصى و ماتوا على الذنوب بدون توبة فهم مفوضون إلى

الـلـه تـعـالى إن شاء غفر ذنوبهم و إن شاء عذبهم لكن لا يخلدون فى النار كاالكفرة و هـذا فيـه رد لـقـول الـخـوارج و المعتزلة القائلين بتخليد أهل الكبائر فى النار ١. قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾(النساء:٤٨)

و عـن جـابـرؓ قـال : أتـى الـنبى صلى الله عليه و سلم رَجلٌ فقال : يا رسول الله! ما الموجبتان؟ قال : (من مات لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، و من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار) رواه مسلم.

٢.عـن المعرور بن سويد قال سمعت أبا ذر يحدث عن النبى ﷺ أنه قال : (أتانى جبريل عليه السلام فبشرنى أنه من مات من أمتك لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت : و ان زنى و إن سرق ؟ قال : و إن زنى و إن سرق). رواه مسلم.

٣.عـن أبـى سـعيـد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : (يدخل الله أهـل الـجـنة ، يـدخـل مـن يشـاء بـرحمته و يدخل أهل النار النار، ثم يقول : انظروا من وجـدتـم فـى قـلبـه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون منها حُممًا قد امتـحشوا فيلقون فى نهر الحياة (أوالحيا) فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرج صفراء مُلتوية).

٢. شـفـاعة الشـافـعيـن للمذنبين الموحدين ... و قد ذكرنا بعض البيان فيها فيما مضى .

ذكـر الإمـام رحـمـه الله تعالى لفظ الكبائر فنريد أن نلقى الضوء على المعاصى و الذنوب و الكبائر.

الكبائر والصغائر:

(١) قال الإمام الغزالي رحمه الله في (البسيط) :و الضابط الشامل المعنوي في ضبط الكبيرة : أن كل معصية يقدم المرء عليها من غيراستشعار خوف و حذار و ندم ، كالمتهاون بارتكابها ، و المجترئ عليها اعتيادًا ، فما اشعر بهذا الاستخفاف و التهاون فهو كبيرة ، و ما يحمل على فلتات النفس أو اللسان ، وفترة مراقبة التقوى ، ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة ، و ليس هو بكبيرة .

(٢) و قال الإمام أبومحمد بن عبد السلام في كتابه "القواعد": إذا اردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنوب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها ، فإن نقصت عن اقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر ، و إن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو ربت عليه فهي من الكبائر ، فمن شتم الرب سبحانه و تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو استهان بالرسل او كذب واحدًا منهم ، أو ضمخ الكعبة بالعذرة أو ألقى المصحف في القاذورات ، فهي من أكبر الكبائر و لم يصرح الشرع بأنه كبيرة ، و كذلك لو أمسك امرأةً محصنة لمن يزني بها ، أو أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها ، أو أمسك مسلماً لمن يقتله ، فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من مفسدة أكل مال اليتيم ، مع كونه من الكبائر ، و كذلك لودل الكفار على عورات المسلمين ، مع علمه أنهم يستأصلون بدلالته ، و يسبون حرمهم وأطفالهم ، و يغنمون أموالهم فإن نسبته إلى هذه المفاسد أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر ، مع كونه من الكبائر ، و كذلك لو كذب على إنسان كذبًا يعلم أنه يقتل بسببه ، أما إذا كذب عليه كذبًا يؤخذ منه بسببه تمرة فليس كذبه من الكبائر . قال : وقد نص الشرع على أن شهادة الزور ، و أكل مال اليتيم

من الكبائر ، فإن وقعا فى مال خطير فهذا ظاهر ، و إن وقعا فى مال حقير فيجوز أن يجعل من الكبائر فطامًا عن هذه المفاسد ، كما جعل شرب قطرة من الخمر من الكبائر ، و إن لم تتحقق المفسدة ، و يجوز أن يضبط ذلك بنصاب السرقة . قال : والحكم بغير الحق كبيرة ، فإن شاهد الزور متسبب والحاكم مباشر ، فإذا جعل السبب كبيرة فالمباشر أولى . قال : و قد ضبط بعض العلماء الكبائر : كل ذنب قرن به وعيد ، أو حد ، أو لعن . فعلى هذا كل ذنب علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به الوعيد اوالحد أو اللعن ، أو أكثر من مفسدته فهو كبيرة ثم قال : والأولى أن تضبط الكبيرة بما يشعر بتهاون مرتكبها فى دينه اشعار اصغر الكبائر المنصوص عليها والله اعلم) قال الحافظ رحمه الله فى "الفتح : و هذا ضابط جيد"

٣. و قال مالك بن مغول : (الكبائر ذنوب أهل البدع ، و السيئات ذنوب أهل السنة).

٤. و قال الإمام ولى الله الدهلوى : اعلم أن الكبيرة و الصغيرة تطلقان باعتبارين : أحدهما بحسب حكمة البروالإثم ، و ثانيهما بحسب الشرائع و المناهج المختصة بعصر دون عصر . أما الكبيرة بحسب حكمة البروالإثم ، فهى ذنب يوجب العذاب فى القبر و فى المحشر ايجاباً قوياً ، يفسد الإرتفاقات الصالحة إفسادًا قويًا ، و يكون من الفطرة على الطرف المخالف جدًا ، والصغيرة ما كان مظنة لبعض ذلك ، أما مفضيًا إليه فى الأكثر ، أويوجب بعض ذلك من وجه ، و لا يوجبه من وجه ، كمن ينفق فى سبيل الله و أهله جياع ، فيدفع رذيلة البخل ، و يفسد تدبير المنزل و أما بحسب الشرائع الخاصة ، فما نصبت الشريعة على تحريمه ، أو أوعد الشارع عليه بنار ، أو شرع عليه

حدًا ، أو سمى مرتكبه كافرًا خارجًا عن الملة ، إبانة لقبحه ، و تغليظاً لأمره : فهو كبيرة ، و ربما يكون شيئ صغيرة بحسب حكمة البر و الاثم ، كبيرة بحسب الشريعة ، و ذلك أن الملة الجاهلية ربما ارتكبت شيئاً حتى فشا الرسم به فيه ، لا يخرج منهم إلا أن تتقطع قلوبهم ثم جاء الشرع ناهيًا عنه ، فحصل منهم لجاج و مكابرة ، و حصل من الشرع تغليظ و تهديد بحسب ذلك ، حتى صار إرتكابها كالمناواة الشديدة للملة ، ولا يتأتى الإقدام على مثله إلا من كل مارد متمرد لايستحيى من الله و لامن الناس ، فكتب كبيرة عند ذلك) اهـ و قال الإمام النووىؒ (قال العلماء رحمهم الله تعالىٰ : ان الاصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة ، و روى عن عمرو ابن عباس و غيرهما رضى الله عنهم : (لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع اصرار) كذا فى فتح الملهم شرح مسلم للعلامة شبير أحمد العثمانى (٤٧/٢ـ٤٨ـ٤٩) فمن أراد التفصيل فليراجعه.

الرد على السقاف فيما ذهب إلى مذهب المعتزلة و قال بخلود المسلمين فى النار:

قال السقاف فى صحيفة (٥٧٨): (أن فكرة خروج أحد من النار بعد أن يدخلها فكرة لم تأت فى القرآن و هى فكرة يهودية جاء ت فى أحاديث و لم تأت فى القرآن و تقول أئمة آل البيت القدماء والزيدية و المعتزلة و الإباضية من هذه الأحاديث إنها من حملة الاسرائليات ..... رد عليها القرآن و فندها فى قوله تعالى (و قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم .....) فهذه الأيات صريحة فى الرد على من زعم أن المكث فى النار إنمايكون لمدة معينة)

و قوله هذا باطل. لأن عدم مجيئها فى القرآن لا يلزم منها عدم مجيئها مطلقاً و

ثبوتها بالأحاديث كثبوتها بالقرآن قال الله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً) قال الكرماني المراد بالحبل الكتاب و السنة على سبيل الاستعارة و الجامع كونهما سبباً للمقصود و هو الثواب و النجاة من العذاب كما أن الحبل سبب لحصول المقصود به من السقي و غيره و قد قال الله تعالى:(و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا) فكيف يطلق على أقوال الرسول ﷺ أنها فكرة يهودية و الله عزوجل أمرنا بأخذ أقواله ، و نقل ابن التين عن الداودي أنه قال في قوله تعالى(و انزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) قال انزل سبحانه و تعالى كثيراً من الأمور مجملاً (كركعات الصلاة و افعال الحج بالتفصيل و غيرها من الأحكام) ففسر نبيه ما احتيج إليه في وقته ....) كذا في فتح الباري (٢٤٦/١٣)

و قال الله تعالى: يا أيها الذين امنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول) [سورة النساء] و قال الله تعالى :(قل اطيعوا الله و الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) [ال عمران] قال الألوسي : في جميع الأوامر و النواهي و قال الله تعالى : (يا أيها الذين امنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و لا تبطلوا أعمالكم) [سورة محمد] قال الألوسي و إعادة الفعل في (اطيعوا لرسول) للإهتمام بشأن إطاعته عليه السلام.

و قوله : (فهذه الآيات صريحة في الرد على من زعم أن المكث في النار إنما يكون لمدة معينة.)

أقول: هذا باطل لأن هذه الآيات نزلت في الكفار و لا يبحث فيها عن الموحدين و ديدن الفِرَق الباطلة و من حذى حذوهم أنهم ينطلقون إلى آيات نزلت في الكفار فيجعلونها على المؤمنين ، و هؤلاء كان ابن عمر رضي الله عنه يراهم شرار خلق الله

كما جاء فى البخارى.

١ـ و فى روح المعانى للألوسى (٣٠٥/١) : (بلى من كسب سيئة و أحاطت به خطيئه فأوليك أصحاب النار هم فيها خالدون) جواب عن قولهم المحكى و إبطال له على وجه أعم شامل لهم و لسائر الكفرة، كأنه قال بل تمسكم و غيركم دهراً طويلاً و زماناً مديداً لا كما تزعمون .... ثم قال : و ذهب كثير من السلف إلى أنها هنا الكفر.... و قال و لا حجة فى الآية على خلود صاحب الكبيرة لأن الإحاطة إنما تصح فى شأن الكافر لأن غيره إن لم يكن له سوى تصديق قلبه و إقرار لسانه فلم تحط خطيئته به لكون قلبه و لسانه منزها عن الخطيئة .)

٢ـ و قال الإمام فخر الدين الرازيؒ علم الأمة و إمامها فى تفسيره الكبير (٥٦٦/١) فى قول الله تعالى :(و قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة....)

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من قبائح أقوالهم و أفعالهم و هو جزمهم بأن الله تعالى لا يعذبهم إلا أياماً قليلة، و هذا الجزم لا سبيل إليه بالعقل البتة.... ثم رد شبهة الجبائى الذى استدل بهذه الآية على أن أهل الكبائر لا يخرجون من النار بعد أن يدخلوا فيها بقوله بعد أن ذكر الجوابين قال : وثالثها : أنهم كانوا كافرين وعندنا عذاب الكافر دائم لا ينقطع ... ثم أورد شبهات المعتزلة كلها و أجاب عنها بحيث ما ترك شيئا....

ثم قال : الثانى : أن لا نفسر إحاطة الخطيئة (فى الآية) بكونها كبيرة ، بل نفسرها بأن يكون ظاهره و باطنه موصوفا بالمعصية ، و ذلك إنما يتحقق فى حق الكافر الذى يكون عاصيا لله بقلبه و لسانه و جوارحه ، فالمسلم الذى يكون مطيعاً لله بقلبه و لسانه و يكون عاصياً لله تعالى ببعض أعضائه دون البعض فههنا

لا تتحقق إحاطة الخطيئة بالعبد، و لا شك أن تفسير الإحاطة بما ذكرناه أولى، لأن الجسم إذا مس بعض أجزاء جسم اخر دون بعض لا يقال: إنه محيط به، و عند هذا يظهر أنه لا تتحقق إحاطة الخطيئة بالعبد إلا إذا كان كافراً. إذا ثبت هذا فنقول قوله :(فأولئك أصحاب النار) يقتضى أن أصحاب النار ليسوا إلا هم ذلك يقتضى أن لا يكون صاحب الكبيرة من أهل النار)

ففذلكة الكلام أن السيئات شاملة للكفر، و سائر المعاصى، و قد قامت الأدلة على أنه لا خلود لأصحاب المعاصى فخصصت الآية بمن عداهم.

• و قوله :(و قال تعالى : (والذين لا يدعون ..[الفرقان :٦٩] و زعم بعض الناس بأن سبب الخلود فى النار فى هذه الآية هو الشرك و هو من يدعو مع الله الهاً آخر والجواب : أن كلاً من الزنى و من القتل موجب لوحده دخول النار بصريح قوله تعالى :(و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها و غضب الله عليه و لعنه و أعد له عذاباً عظيماً) [النساء : ٩٣]

أقول: هذه مغالطة من السقاف.

و خلاصة هذه الآيات التى ذكرها السقاف أن الله بين أن من صفة عباد الرحمان الاحتراز عن الشرك و القتل والزنا، ثم ذكر بعد ذلك حكم من يفعل هذه الأشياء من العقاب، ثم استثنى من جملتهم التائب، و المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين و سيرة الكفار فمن اشرك بالله و زنى و قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق يلق أثاماً يضاعف له العذاب و سبب تضعيف العذاب أن المشرك إذا ارتكب المعاصى مع الشرك عذب على الشرك و على المعاصى جميعاً فالكلام فى المشرك و

ليس في المسلم. فأين الذي يريده السقاف ؟!! من الخلود من هذه الآيات.

و أما قوله : أن كلا من الزنا و من القتل موجب لوحده دخول النار ، ففيه تفصيل و ليس على اطلاقه و هو أن من زنى أو قتل و كان مشركا دخل النار و كان فيها خالداً و أما من كان موحداً و زنى أو قتل و مات و لم يتب فهو إلى مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء ادخله النار لكنه لا يخلد فيها.

و هذه الصورة المتنازع فيها بيننا و بين المعتزلة و أين ما ادعاه السقاف؟ و أما قول الله تعالى : (و من يقتل مؤمنا متعمداً ...) فقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : توبة القاتل غير مقبولة و تفرد بهذا الرأى و قال جمهور العلماء : إنها مقبولة لأن الكفر أعظم من القتل فإذا قبلت التوبة عن الكفر فالتوبة من القتل أولى بالقبول ذلك لأن الله وعد بالعفو عن كل ما سوى الكفر فبأن يعفو عنه بعد التوبة أولى قال الله تعالى :(و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . فأين ما اثبته السقاف ؟!!

قوله :(و الأحاديث المعارضة لأحاديث الخروج من النار كثيرة).

والجواب اولاً أن لا نسلم كثرتها.

ثانياً أن عمومات الوعيد معارضة بعمومات الوعد، و لا بد من الترجيح و هو معنا من وجوه : الأول : أن الوفاء بالوعد أدخل في الكرم من الوفاء بالوعيد و الثاني : أنه قد اشتهر في الأخبار أن رحمة الله سابقة على غضبه و غالبة عليه فكان ترجيح عمومات الوعد أولى . كذا أفاده البحر الطمطام الإمام فخر الدين الرازي (٥٧٦/١)

قوله : (و قد ذهب بعض أهل العلم إلى أن مرتكب الكبيرة لا يخرج منها ...)

أقول يقلل من شأن هذه المسئلة بقوله و قد ذهب بعض أهل العلم ، و هذا خطأ لأن هذا

مـذهـب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح و أهل الحديث والفقهاء والمتكلمين على مذهبهم من الأشعريين كما قال القاضى عياض فمن البعض ؟ البعض هم المعتزلة و هم خوارج عما انعقد عليه الاجماع فلا اعتداء بهم كما قال الإمام التفتازانى .

١ ـ قـال الإمـام أبـو حـنيفة رحمه الله تعالى و نور مرقده فى الفقه الأكبر (و ما كان مـن السيئات دون الشرك و الكفر و لم يتب عنها صاحبها حتى مات مؤمناً فإنه بمشيئة الله تـعـالى إن شاء عذبه بالنار و إن شاء عفا عنه) ، و النص الصريح الذى يدل على هذا الـقـول هـو قـول النبى ﷺ :(يا يعونى على ألا تشركوا بالله شيئاً و لا تسرقوا و لا تزنوا ولا تـقـتـلـوا أولادكـم و لا تـأتـوا ببهتـان تـفترونه بين أيديكم و ارجلكم ولا تعصوا فى مـعـروف فمن وفىّ منكم فأجره على الله ، و من أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فى الدنيا فهـو كـفـارة له ، و من أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه و إن شاء عاقبه) [رواه البخارى]

٢ ـ و فـى الـعـقـائـد الـنسفية و شرحه شرح العقائد (٨٥)؛(والله تعالى لا يغفر أن يشـرك بـه بـاجماع المسلمين .... و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء من الصغائر و الكبائر مـع التـوبة أو بدونها خلافاً للمعتزلة و فى تقرير الحكم ملاحظة للآية الدالة على ثبوته و الآيـات والأحـاديـث فى هذا المعنى كثيرة و المعتزلة يخصصونها بالصغائر أو بالكبائر المقرونة بالتوبة ،

٣ ـ وفـى الـهـدية العلائية (٤٧١) : (و اعلم أن مذهب أهل السنة و الجماعة أن مرتكب الكبيرة مؤمن و ليس بكافر و هو فى مشيئة الله إن شاء عذبه و إن شاء عفا عنه.)

و فى شرح مسلم للإمام النووى (٢٥٧/١) نقلا عن القاضى عياض : (و فى رواية معاذ عنه ﷺ : "من كان اخر كلامه لا إلاه إلا الله دخل الجنة" ، و فى رواية عنه ﷺ :"من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة" و عنه ﷺ :" ما من عبد يشهد أن لا إلاه إلا الله و أن محمدًا رسول الله إلا حرمه الله على النار" ونحوه فى حديث عبادة بن الصامت و عتبان بن مالك و زاد فى حديث عبادة "على ما كان من عمل" و فى حديث أبى هريرة :"لا يلقى الله تعالى بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة و إن زنى و إن سرق" وفى حديث أنس : " حرم الله على النار من قال لا إلاه إلا الله يبتغى بذلك وجه الله تعالى " و هذه الأحاديث كلها سردها مسلم رحمه الله . فى كتابه .... ثم قال : فتقرر أولاً أن مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح و أهل الحديث والفقهاء و المتكلمين على مذهبهم من الأشعريين أن أهل الذنوب فى مشيئة الله تعالى ، و أن كل من مات على الإيمان و تشهد مخلصاً من قلبه بالشهادتين فإنه يدخل الجنة فإن كان تائبا أو سليماً من المعاصى دخل الجنة برحمة ربه و حرم على النار بالجملة ..... إلى أن قال : و يمكن أن تستقل الأحاديث بنفسها و يجمع بينها فيكون المراد باستحقاق الجنة ما قدمناه من إجماع أهل السنة أنه لا بد من دخولها لكل موحد إما معجلا معافى و إما مؤخراً بعد عقابه ، والمراد بتحريم النار تحريم الخلود خلافاً للخوارج والمعتزلة فى المسئلتين .....)

و نقل السقاف لقول الإمام النووى :"و اعلم أن مذهب أهل السنة و ما عليه أهل الحق من السلف و الخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال ..." إلى أن قال :"هذا مختصر جامع المذهب أهل الحق فى هذه المسئلة ، و قد تظاهرت

أدلة الـكـتـاب و السـنة و إجـماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة و تواترت بذلك نصوص تحصّل العلم القطعى ...“

ثـم قـولـه : (فـى هـذا نـظـر فقد خالف فى هذا أئمة أهل البيت و الزيدية و المعتزلة والإباضية وغيرهم).

أقـول لا يـعتبـر عـنـد أهـل السـنة و الـجـمـاعة مخالفة هؤلاء و ما ذكر فى الكتب اختلافهم فللرد عليهم فقط .

و قـولـه :”دعـوى الإجـمـاع فى هذه المسئلة متنقض و غير مسلم ...“ باطل لأن الإمـام الـنـووى صرح فى قوله إجماع من يعتد به من الأمة والذى ذكرهم السقاف لا يعتدبهم فى نقضهم الإجماع.

جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر:

قـال : و نـرى الـصـلاة خلف كل بَرٍّ و فاجر من أهل القبلة ، و نصلى على من مات منهم.

الشرح:.

ونـرى الـصـلاة جـائـزة خلف كل مهتد و معتد بشرط أن يكون من أهل القبلة و كذلك نرى الصلاة على من مات من الأبرار و الفجار بالشرط المذكور.

اثبت الإمام الطحاوى فى هذه العبارة المسائل الآتية:

١. الـصـلاة خـلف كـل بـر و فاجر : و الدليل عليه أن علماء الأمة كانوا يصلون خـلف الـفسقة و أهل الاهواء و البدعة من غير نكير و فى صحيح البخارى : أن عبد الله بـن عـمرؓ كان يصلى خلف الحجاج بن يوسف الثقفى ، و كذا أنس بن مالك ، و كان

الحجاج فاسقاً ظالماً ، و ما نقل عن بعض السلف من المنع عن الصلاة خلف المبتدع محمول على الكراهية، إذ لا كلام فى كراهية الصلاة خلف الفاسق والمبتدع ، و هذا إذا لم يؤد الفسق و البدعة إلى حد الكفر ، و إلا فلا كلام فى عدم جواز الصلاة خلفه كذا فى شرح العقائد . و قال فى رد المحتار ص ٣٧٦ ج ١. **تحت قول الماتن :** (قوله وفاسق) من الفسق و هو الخروج عن الاستقامة و لعل المراد به من يرتكب الكبائر كشارب الخمر و الزانى و آكل الربى و نحو ذلك كذا فى البرجندىّ اسماعيل ، وفى المعراج قال أصحابنا لا ينبغى أن يقتدى بالفاسق إلا فى الجمعة لأنه فى غيرها يجد إمامًا غيره اهـ . قال فى الفتح و عليه فيكره فى الجمعة إذا تعددت إقامتها فى المصر على قول محمد المفتى به لأنه بسبيل إلى التحوّل ... ثم قال : و أما الفاسق فقدعللوا كراهة تقديمه بأنه لا يهتم لأمر دينه و بأن فى تقديمه للإمامة تعظيمه وقد وجب عليهم إهانته شرعًا ...) و قال فى أحكام القرآن : (٢٠١/٥/٤) تحت عنوان إمامة الفاسق:

قال ابن العربى : و من العجب أن يجوز الشافعى ونظرائه إمامة الفاسق ، و من لا يؤتمن على حبة مال فكيف يصح أن يؤتمن على قنطار دين ؟ و هذا إنما كان أصله أن الولاة الذين كانوا يصلون بالناس لما فسدت أديانهم و لم يمكن ترك الصلاة و رائهم و لا استطيعت إزالتهم صلى معهم ورائهم كما قال عثمان رضى الله عنه:(الصلاة أحسن ما يفعل الناس ، فإذا أحسنوافأحسن ، و إذا أساؤا فاجتنب إسائتهم) ثم من الناس من إذا صلى معهم تقية أعادوا الصلاة لله ، و منهم من كان يجعلها صلاته ، وبوجوب الإعادة أقول . فلا ينبغى لأحد أن يترك الصلاة مع من لا يرضى من الأئمة ، و لكن يعيد سرًا فى

نفسه، و لا يؤثر ذلك عند غيره (قرطبی) قلت : و الظاهر أن مذهب الإمام أبی حنيفة رحمه الله كراهة الاقتداء بالفاسق مع عدم وجوب الاعادة إذا صلی خلفه، نعم ! يستحب الإعادة عنده أيضاً . و استدل لمذهبه بروايات جاء ت من النبی صلی الله عليه وسلم بقوله : (صلوا خلف كل برّ و فاجر) فلو لا ذلك صلاة لم يأمر عليه الصلاة و السلام بالصلا ة خلفهم) اهـ .

و قال الإمام الملا علی القاری فی شرح الفقه الأكبر (٧٦) عند قول الإمام الأعظم (والصلاة خلف كل برّ و فاجر) أی صالح و طالح (من المؤمنين جائزة) أی لقوله ﷺ (صلوا كل برّ و فاجر) اخرجه الدار قطنی عن أبی هريرة رضی الله عنه و كذا البيهقی، و زاد قوله :(و صلوا علی كل برّ و فاجر، و جاهدوا مع كل برّ و فاجر) فمن ترك الجمعة و الجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء، والصحيح أنه يصليها و لا يعيدها و كان ابن مسعود و غيره يصلون خلف الوليد عقبة بن أبی معيط، و كان يشرب الخمر، حتی إنه صلی بهم الصبح مرة أربعاً ثم قال : أزيدكم ؟ فقال ابن مسعود : ما زلنامعك منذ اليوم فی زيادة . وفی المنتقی سئل أبو حنيفة رحمه الله عن مذهب أهل السنة والجماعة فقال : أن تفضل الشيخين : أی أبا بكر و عمر رضی الله عنهما و تحب الختنين : أی عثمان و علياً رضی الله عنهما، و أن تری المسح علی الخفين و تصلی خلف كل برّ و فاجر.

و فی العقائد النسفية شرح العقائد (١١٥) :(وتجوز الصلاة خلف كل برّ و فاجر) قال شارحه الإمام التفتازانی : لقوله عليه الصلاة والسلام:(صلوا خلف كل برّ و فاجر) لأن علماء الأمة كانوا يصلون خلف الفسقة و أهل الأهواء والبدع من غير نكير).

الصلاة على من مات من أهل الإسلام:

۲۔ المسئلة الثانية : من مات من أهل الإسلام يصلى عليه و يستثنى من هذا الحكم أربعة لا يصلى عليهم قال فى تنوير الأبصار مع شرحه على هامش رد المحتار (ج ۱۔ص ۵۸۳): و هى فرض على كل مسلم مات خلا أربعة بغاة و قطاع طريق فلا يغسلوا و لا يصلى عليهم إذا قتلوا فى الحرب و لو بعده صلى عليهم لأنه حد او قصاص(و كذا) أهل عصبة و (مكابر فى مصر ليلاً بسلاح و خناق) خنق غير مرة فحكمهم كالبغاة (من قتل نفسه) و لو (عمدًا يغسل و يصلى عليه) به يفتى و إن كان أعظمهم وزرًا من قاتل غيره و رجح الكمال قول الثانى بما فى مسلم أنه عليه السلام أتى برجل قتل نفسه فلم يصل عليه و (لا) يصلى على (قاتل) أحد (أبويه) إهانة له و الحقه فى النهر بالبغاة)

الرد على السقاف فى جواز الصلوة خلف الفجار:

قال السقاف فى صحيفة (۶۳۳) :(الصلاة خلف البر و الفاجر مقتبسة من ثلاثة أحاديث واهية (ضعيفة جداً...) إلى أن قال : (و قال الحافظ البيهقى فى السنن(۱۹/۴): (قال على [يعنى الدار قطنى]: مكحول لم يسمع من أبى هريرة و من دونه ثقات، قال الشيخ [يعنى البيهقى] قد روى فى الصلوة على كل برّ و فاجر و الصلاة على من قال لا إلاه إلا الله أحاديث كلها ضعيفة غاية الضعف، و أصح ما روى فى هذا الباب حديث مكحول عن أبى هريرة ، و قد أخرجه أبو داود فى كتاب السنن إلا أن فيه إرسالاً كما ذكره الدار قطنى رحمه الله) انتهى من سنن البيهقى:

أقول: قول السقاف غير صحيح لأن الحديث الذى ورد فى الصلوة خلف الفاجر

مرسل كما نقله، و هو حجة عند الفقهاء و فى بذل المجهود لشيخ مشائخنا ص (٢/٢١٢) قال القارى:(قال ابن الملك أى جاز اقتداء كم خلفه لورود الوجود بمعنى الجواز لاشتراكهما فى جانب الاتيان بهما و هذا يدل على جواز الصلاة خلف الفاسق ، و كذا المبتدع إذا لم يكن ما يقوله كفراً و الحديث حجة على الإمام مالك فى عدم إجازته إمامة الفاسق قلت: فى أمره بالصلاة خلف الفاجر مع أن الصلاة خلف الفاسق و الفاجر مكروهة عندنا دليل على وجوب الجماعة فتأمل .

و رواه الدار قطنى بمعناه و قال : مكحول لم يلق أبا هريرة فالحديث منقطع لا يصلح حجة على الإمام مالك لكن قال ابن الهمام أعله الدار قطنى بأن مكحولاً لم يسمع من أبى هريرة و من دونه ثقات ، و حاصله أنه من مسمى الإرسال عند الفقهاء و هو مقبول عندنا و قد روى هذا المعنى من عدة طرق كلها ضعيفة من قبل بعض الرواة و بذلك يرتقى إلى درجة الحسن عند المحققين و هو الصواب و قال ابن حجر : و يوافقه خبر الدارقطنى "اقتدوا بكل بر و فاجر" و هو و إن كان مرسلاً لكنه اعتضد بفعل السلف فإنهم كانوا يصلون، و راء أئمة الجور ، وروى الشيخان أن ابن عمر كان يصلى خلف الحجاج ، و كذا أنس يصلى خلفه ايضاً ....)

والإمام أبو داود وضع تحت هذا الحديث الباب بقوله : "باب إمامة البر و الفاجر"

و قوله :(و هذه الأحاديث الواهية تثبت ما كان يدعوا إليه بنو أمية و أذنابهم كالحجاج و النواصب من ترسيخ اعتقاد و جوب الرضوح للطغاة و تعزيز القهر فى نفوس الأمة للظلمة و الفجار....)

أقول هذا افتراء على الأمة الإسلامية، و دعوى لا حقيقة لها و لا دليل عليها. و

سوء ظن بالأئمة و الفقهاء و السلف الصالح فالواجب علينا اتباع ما نقله أئمتنا لا ما ظن السقاف.

قوله : (و قد حاولوا أن يدعموا ذلك بإثبات صلاة مثل ابن عمر و سيدنا انس و سيدنا الحسن و سيدنا الحسين عليهما السلام و غيرهم خلف الحجاج و مروان بن الحكم و أمثالهما كما ثبت بعض ذلك في البخاري و غيره و هذا من أبطل الباطل في الاستدلال لعدة وجوه : أولاً : أن ذلك من حالات الإكراه والقهر التي لا يلتفت إليها و لا يعوّل عليها) ــــ

أقول قد نقلنا قبل قليل قول ابن حجر : أن السلف كانوا يصلون وراء أئمة الجور و قوله هذا من أعجب العجاب لأنه قد سبق في التقية من الشيعة لأن الشيعة يخصصون التقية لأنفسهم والسقاف عمم التقية للجميع ، و يظن بمثل سيدنا و اولانا ابن عمر و ذرية البتول و غيرهما أنهم كانو يحابون في دين اللّٰه فإذا كان الأمر كذلك فعلى الدين السلام ، كيف يقول هذا ؟ و أئمة الإسلام هم الذين ما كانوا يخافون في اللّٰه لومة لائم و أيم اللّٰه فإن هذا القول فيهم ذلة لهؤلاء الأئمة ، و وسمة عار على جبينهم ، و ذكرهم بسوء، و وصفهم بوهن و ضعف.

و في نهج البلاغة الذي هو اصح الكتب بعد كتاب اللّٰه في زعم الشيعة:(إن الأمير كرم اللّٰه وجهه قال : علامة الإيمان إيثارك الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك).

و قوله : ثانياً : أن مما يؤكد ذلك أن سيدنا الحسين مثلا و عبد اللّٰه بن زبير و هما من الصحابة و غيرهم ثاروا على الطغاة المتجبرين كيزيد بن معاوية و أبيه و غيرهم من

أذيالهما كعبد الملك بن مروان والحجاج ، و هذا مما يؤكد أيضا أنهم لم يكونوا راضين بل كانوا يعتقدون بأنهم بغاة تسلطوا على الرقاب والعباد والبلاد و تخليصها منهم ، لاموالاتهم و السمع والطاعة لهم و الصلاة خلفهم و عليهم)

أقول و في البخاري ١:. عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف .

٢ـ و في صحيح مسلم : عن أبي سعيد الخدري أنه صلى خلف مروان صلاة العيد .

٣ـو في البخاري : عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه و هو محصور ، فقال إنك إمام عامة ، و نزل بك ما ترى ، و يصلي لنا إمام فتنة ، و نتحرج ، فقال الصلاة أحسن ما يعمل الناس ، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم ، و إذا أساء و ا فاجتنب إساء تهم .

و هناك نصوص كثيرة تدل على أن الصحابة وغيرهم كانو يصلون خلف الأبرار والفجار و لم يذكر لنا السقاف أي دليل على دفع هذه النصوص ، و لم يذكر أيضاً لنا أنهم أجبروا على الصلاة و راء هم ، و التاريخ اثبت لنا أن الحسين رضي الله عنه جاهد حكومة يزيد بسبب أعماله التي تخالف الشريعة لكن أخاه الكبير سلم الامارة لأبيه سيدنا معاوية رضي الله عنه فأخوه أيضا من الصحابة فقد بايع سيدنا الحسن معاويةؓ و قال الحافظ ابن حجر في الفتح الباري (١٠٤/٧) في قول الإمام البخاري: (باب ذكر معاوية و لم يقل فضيلة و لا منقبة لكون الفضيلة لا تؤخذ من حديث الباب ، لأن ظاهر شهادة ابن عباس له بالفقه والصحبة دالة على الفضل الكبير....)

و أقول: إن الإمام البخاري ذكر بعض أصحاب الرسول ﷺ ممن لهم شهرة

ملموسة بل من العشرة المبشرة كطلحة رضى الله عنهم و ذكر بلفظ : ذكر طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه و غيره فمجرد الذكر أيضا يدل على فضيلة الصحابى ، و جرح سيدنا معاوية رضى الله عنه و إطالة اللسان فيه جرح للأشاعرة و الماتريدية و أئمة الإسلام كافة لأنهم عدلوه.

و كيف يكتب السقاف شتائم فلان و فلان و ها هو يهين صهر الرسول ﷺ و كاتب وحيه إذ يتكلم فى هذا الصحابى الجليل و ليس هذا إلا خروج عن مسلك أهل السنة والجماعة .هذا والصلاة خلف أئمة الجور ثابت بالنصوص و أقوال الأئمة ممن يعتدبهم و قول الإمام الطحاوى صحيح و قول السقاف باطل .

و فى العقائد النسفية (و شرحه : (١١٤) و لا ينعزل الإمام بالفسق أى الظلم على عباد الله تعالى لأنه قد ظهر الفسق و انتشر الجور من الأئمة و الأمراء بعد الخلفاء الراشدين و السلف كانوا ينقادون لهم و يقيمون الجمع و الأعياد بإذنهم و لا يرون الخروج عليهم.

قال : و لا ننزل احدًا منهم جنة و لا نارًا و لا نشهد عليهم بالكفر ولا بشرك و لا بنفاقٍ ما لم يظهر منهم شيئٌ من ذلك ، و نذر سرائرهم إلى الله تعالى .

الشرح:۔

و لا نثبت لأحد معين من أهل القبلة جنة و لا ناراً لأنا لا نحيط علمًا بما مات عليه إلا أننا نرجو للمحسنين ، و نخاف على المسيئين ، و لا نشهد على أحد منهم بالكفر و الشرك و النفاق لأنا أمرنا بالظاهر و الذى يتولى السرائر هو الله ، و الظن لا يغنى من الحق شيئًا لذلك نهينا عن الظن السوء بأحد فنترك ما يسرون به إلى الله تعالى

لأنه محاسبهم.

قال الميداني في شرحه للعقيدة الطحاوي (ص:٩٦) واعلم أن للسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال : احدها : أن لا يُشهد لأحد إلا للأنبياء ، و هذا ينقل عن محمد بن الحنفية و الأوزاعي ، و هذا أمر قطعي لانزاع فيه . و الثاني : أن يُشهد لكل مؤمن جاء نصّ في حقه ، و هو قول كثير من العلماء و عليه المصنف كما سيأتي . و الثالث أن يشهد لمن شهد له المؤمنون كما في الصحيحين : أنه مر بجنازة فأثنوا عليها بخير فقال عليه الصلاة والسلام : (وجبت) و مر باخرى فأثنى عليها بشر فقال : (وجبت) فقال عمر: يا رسول الله ما وجبت ؟ فقال : (هذا اثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة ، و هذا اثنيتم عليه شرًا فوجبت له النار ، انتم شهداء الله تعالى في الأرض)

خطورة رمي المسلم بالكفر و الشرك :

١. عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أكفر رجل رجلاً قط إلا باء بها أحدهما إن كان كافرًا و إلا كفر بتكفيره) رواه ابن حبان و رجاله ثقات ، إلا أن ابن اسحاق مدلس و لم يصرح بالتحديث و في هذا المعنى جاء ت روايات كثيرة.

٢.وعن يزيد الرقاشي ، عن انس بن مالك قال : قلت يا ابا حمزة : إنّ ناسًا يشهدون علينا بالكفر و الشرك ، قال انس : أولئك شرُّ الخلق والخليقة ، رواه أبو يعلى ، و فيه : يزيد الرقاشي ، و قد ضعفه الأكثر ، ووثقه أبوأحمد بن عدى ، و قال عنده أحاديث صالحة عن أنس و ارجوا أنه لا بأس به.

٣.وعن أبي سفيان قال : سألت جابراً و هو مجاورٌ بمكة و هو نازل في بني فهر

فسأله رجلٌ هل كنتم تدعون أحدًا من أهل القبلة مشركاً ؟ قال : معاذ الله ففزع لذلك ، قال : هل كنتم تدعون أحداً منهم كافرًا ؟ قال : لا . رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير (...) و رجال رجال الصحيح ...)

٤.و عن عمران بن حصين قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أخوف ما أخاف عليكم بعدى كلّ منافق عليم اللسان) رواه الطبراني في الكبير و البزار و رجاله رجال الصحيح)

٥.عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أتخوف عليكم رجلاً قرأ القرآن حتى إذا رُئى عليه بهجته و كان رداءً للإسلام اعتزل إلى ما شاء الله ، و خرج على جاره بسيفه و رماه بالشرك) و قد حسن البزار سنده . و هذه كلها من الجامع لعبد السلام .

٦. و عن أبي قلابة ، قال : (ما ابتدع الرجل بدعة إلا استحل السيف) قال صاحب سلسلة الآثار صحيح و في الحديث : (من دعا رجلاً بالكفر ، أو قال عدو الله . و ليس كذلك إلا حار عليه) رواه مسلم.

١ . قال الإمام ملاعلى القاري في شرح الفقه الأكبر (ص:١٦٣) : (ثم اعلم أن باب التكفير عظمت فيه المحنة والفتنة ، و كثر فيه الإفتراق و المخالفة و تشتت فيه الأهواء و الآراء و تعارضت فيه دلائلهم و تناقضت فيه وسائلهم ، فالناس في جنس تكفير أهل المقالات الفاسدة و العقائد الكاسدة المخالفة للحق الذى بعث الله تعالى به رسوله إلى الخلق على طرفين ، ووسط من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية فطائفة تقول : لا نكفر من أهل القبلة أحدًا فتنفى التكفير نفياً عاماً مع العلم بأن

فى أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود و النصارى بالكتاب و السنة و إجماع الأمة، و فيهم من قد يظهر بعد ذلك حيث يمكنهم، و هم يتظاهرون بالشهادتين، و أيضاً فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو اظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة و المحرمات الظاهرة المتواترة، فإنه يستتاب، فان تاب فبها و إلا قتل كافرًا مرتدًا والنفاق و الردة مظنّها البدع و الفجور، كما ذكر الخلال فى كتاب السنة بسنده إلى محمد ابن سيرين أنه قال: إن اسرع الناس ردّة أهل الأهوا، و كان يرى هذه الآية نزلت فيهم: (و إذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) . و لهذا امتنع كثير من الأئمة عن اطلاق القول بأنا لا نفكر أحداً بذنب، بل يقال: إنا لا نكفرهم بكل ذنب كما يفعله الخوارج و فرق بين النفى العام و نفى العموم، والواجب إنما هو نفى العموم مناقضة لقول الخوارج الذين يكذبون بكل ذنب، و طوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لايقولون ذلك فى الأعمال، لكن فى الإعتقادات البدعية و ان كان صاحبها متأولا فيقولون بكفر كل من قال هذا القول، لا يفرقّون بين المجتهد المخطئ و غيره و يقولون بكفر كل مبتدع و هذا القول يقرب لى مذهب الخوارج و المعتزلة، فمن عيوب أهل البدعة، أنه يكفّر بعضهم بعضاً، و ـن ممادح أهل السنة و الجماعة: أنهم يخطؤن و لا يكفرون، نعم من اعتقد أن الله لا بعلم الأشياء قبل وقوعها، فهو كافر، و ان عدّ قائله من أهل البدعة.

و كذا من قال بأنه سبحانه جسم و له مكان و يمرعليه زمان، و نحو ذلك كافر، حيث لم نثبت له حقيقة الإيمان.

و أما قوله تعالىٰ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ و قوله

عليه الصلاة و السلام سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر) كمارواه الشيخان فمحمول على الاستحلال أو على قتاله من حيث انه مسلم و قوله عليه الصلاة و السلام (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها احدهما) كما فى الصحيحين يحمل على أنه إذا اعتقد ذلك و لم يرد به أهانة هنالك أو قصد به كفر النعمة...

ثم قال : ثم اعلم أنه إذا تكلم بكلمة الكفر عالما لمعناها و لا يعتقد معناها ، لكن صدرت عنه من غير إكراه ، بل مع طواعية فى تأديته فإنه يحكم عليه بالكفر بناء على القول المختار عند بعضهم من أن الإيمان هو مجموع التصديق و الإقرار فاجرائها يتبدل الإقرار بالإنكار، أما إذا تكلم بكلمة و لم يدر أنها كلمة كفر ، ففى فتاوى قاضيخان حكاية خلاف من غير ترجيح حيث قال : قيل لايكفر لعذره بالجهل و قيل يكفر ولا يعذر بالجهل أقول : و الأظهر الأول إلا إذا كان من قبيل ما يعلم من الدين بالضرورة فإنه حينئذ يكفر ولا يعذر بالجهل .

مسئلة الإرتداد

ثم اعلم أن المرتد يعرض عليه الإسلام على سبيل الندب دون الوجوب لأن الدعوة بلغته ، و هو قول مالك و الشافعى وأحمد رحمهم الله تعالى و تكشف عنه شبهته فإن طلب أن يمهل حبس ثلاثة أيام للمهلة لأنها مدة ضربت لأجل الإعذار ، فإن تاب فبها و إلا قتل و فى النوادر عن أبى حنيفة و أبى يوسف رحمهما الله تعالى يستحب أن يمهل ثلاثة ايام ، طلب ذلك أو لم يطلب و فى أصح قولى الشافعى رحمه الله تعالى : إن تاب فى الحال و إلا قتل و هو اختيار ابن المنذر ، و قال الثورى رحمه الله : يستتاب ما رجى عوده .

و في المبسوط : و إن ارتدّ ثانيًا و ثالثًا فكذلك يستتاب ، و هو قول أكثر أهل العلم و قال مالك وأحمد رحمهم الله : لا يستتاب من تكرر منه كاالزنديق ولنافي الزنديق روايتان : في رواية لا تقبل توبته كقول مالك رحمه الله ، و في رواية تقبل و هو قول الشافعي رحمه الله ، و هو في حق أحكام الدنياو أما فيما بينه و بين الله فتقبل بلا خلاف .

و عن أبي يوسف رحمه الله تعالى : إذا تكررّ منه الإرتداد يقتل من غير عرض الإسلام أيضاً لإستخفافه بالدين . انتهى .

٢. و قال العلامة ابن عابدين في حاشية رد المحتار عى الدر المختار (٤:٢٢٣-٢٢٤) (و روى الطحاوي عن أصحابنا : لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما ادخله فيه ، ثم ما يتيقن أنه ردة يحكم بها ، و ما يشك أنه ردة لا يحكم بها ، إذ الإسلام الثابتُ لايزول بالشك ، مع أن الإسلام يعلو، و ينبغي للعالم إذا رُفع إليه هذا أن لا يبادر بتكفير أهل الإسلام ....و في الفتاوى الصغرى: الكفرُ شيئٌ عظيم ، فلا احعل المؤمن كافرًا متى وحدتُ روايةً أنه لا يكفر . و في (الخلاصة) و غيرها : إذا كان في المسألة وجوهٌ توجب التكفير تحسينًا للظن بالمسلم ....و في (التتارخانية) : لا يُكفرُ بالمحتمل ، لأن الكفر نهاية في العقوبة فيستدعي نهاية في الجناية و مع الاحتمال لانهاية ...، والذين تحرّر أنه لا يفتى بكفر مسلم أَمكن حملُ كلامه على محمل حسن ، أو كان في كفره إختلاف و لو رواية ضعيفةً)

٣.و قال الإمام الغزالي في (الاقتصاد في الاعتقاد ص:١٥٧) والذى ينبغى أن يميل المحصّلُ إليه : الاحتراز من التكفير ما وحد إليه سبيلاً ، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرّحين بقول : لا اله إلا الله محمد رسول الله :

خطأ والخطأ في ترك الف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمةٍ من دم مسلم)

٤.و قال الإمام محمد عُليش المالكي : في (فتح العليّ المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك) إذا كان للتكفير تسعة و تسعون وجهاً و لعدمه وجهٌ واحدٌ فانه يُقدّم و لا يفتى بالكفر الموجب للقتل و حلّ العصمة).

٥.و قال الإمام انور شاه الكشميري في(إكفار الملحدين ص:٥٤) : (فليس من الدين أن يغمض عن كافر كما ليس من الدين أن يكفر المسلم).

قال: و لا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف.

الشرح:۔

أي لا نحكم بقتل أحد من اتصف بالإسلام إلا الذي اوجب قتله الشرع الحنيف ، كالقاتل و الزاني المحصن و المرتد والساحر والباغي.

و عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(لا يحل دم إمرئ مسلم يشهد ان لا اله إلا الله و أني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الشيب الزاني ، و النفس بالنفس و التارك لدينه ، المفارق للجماعة) .(متفق عليه)

خطورة قتل المسلم بغيرحق :

١۔ روى النسائي في الحديث الصحيح : يجئ الرجل آخذ بيد الرجل فيقول أي ربي إن هذا قتلني فيقول الله لم قتلته؟ فيقول لتكن العزة لفلان فيقول:(إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه).

٢۔ روى أبو داود والضياء في المختارة عن عبادة بن الصامت قال:(قال ﷺ: من قتل

مؤمنا فاغتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفا و لا عدلا).

٣ـ روى الترمذى فى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ قال :(لو أن أهل السماء و الأرض اشتركوا فى دم مؤمن لكبهم الله عزوجل فى النار).

٤ـ روى الشيخان (البخارى و مسلم) عن أبى هريرة قال: قال ﷺ : (من قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبية أو يدع لعصبية او ينصر عصبية فقتل ، فقتلته جاهلية، و من خرج على أمتى يضرب برها و فاجرها و لا يتحاشا من مؤمن ، و لا يفى لذى عهد عهده فليس منى و لست منه).

٥ـ و قد روى أبو داود و ابن حبان و الحاكم و صححه و وافقه الذهبى عن النبى ﷺ :(كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركا أو مؤمن قتل مؤمنا متعمداً).

٦ـ و فى الحديث الصحيح : (لا يزال المؤمن معنقا صالحا ما لم يصب دما حراما فإذا أصاب دما حراما بلح). المعنق :طويل العنق الذى له سوابق فى الخير، بلح : أى أعيا و انقطع.

٧ـ روى النسائى والضياء فى المختارة عن بريدة عن النبى ﷺ: (قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا.

٨ـ وفى الصحيحين عن أبى بكرة رضى الله عنه عن النبىﷺ : إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول فى النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه.

فتنة هذه الأيام(داعش):

و لما كانت الأمة الإسلامية تشتكى إلى الله من جور الكفار و ظلمهم ، و كذلك

من أذى السفهاء الذين سموا أنفسهم سلفية وجل أعمالها أنها تفرق بين المرء و زوجه و تضل و تبدع و تكفر جميع المسلمين من العلماء، والفقهاء، والأئمة، الأشاعرة، والماتريدية، والصوفية العظام، والذين يقلدون الأئمة من أحد المذاهب الأربعة كلهم ضالون بزعمهم، و كانت شتائمهم مقصرة على القول إذا بها اشتدت ساعدها و رفعت السيف على الأمة الإسلامية لا تعفو عن الصغير فى المهد و لا الكبير و لا الشيخ و لا العالم و لا المرءة لأنهم بزعمهم مشركون، و قد سفكوا الدماء و قتلوا الابرياء و لم يرقبوا فى مؤمن إلا و لا ذمة، خربوا البلاد و عاثوا فى الأرض الفساد، قد سئم الكفر من ظلم المسلمين فاستعملوا هؤلاء فقاموا بأبشع العقاب على أهل الإسلام، فبرّءوا ساحة الكفار من شناعة الظلم والطغيان، و فاقوا على ظلم التتار والمغول والصلبيين، و اقتفوا فى ذلك كبارهم من الحرورية الذين قتلوا ابن صحابى الرسول ﷺ وبقروا بطن أم ولده و ارتكبوا قتل الخليفة الرابع الذى اسلم و هو صغير ابن عم الرسول ﷺ و زوج بنته، و لما أفسدوا فى البلاد العربية، و قتلوا و شردوا إذا بهم عششوا فى جبال أفغانستان، ليساعدوا الاستعمار، لأن الاستعمار لما استولى على العراق جاء بهم و لما واجه الاستعمار المقاومة الشديدة و واجهوا الانهزام فى أفغانستان جاء بهم هنا ردءاً لهم فتبّروا، و فسدوا فى الأرض، و بدوا بالأبرياء والعلماء والعزل، فأجلسوهم على المتفجرات، و قتلوا من العلماء زهاء ثلاثة آلاف و ذنبهم كان بزعمهم أنهم مشركون، ثم بدءوا يناوشون المجاهدين حتى افتتحوا جبهات القتال ليحاربوا المجاهدين، فنبذ المجاهدون إليهم على سواء، و حاربوهم و قتلوهم إلا من استسلم لعملاء الاستعمار فحملوهم فى طائراتهم إلى مقرهم ليعشوا آمنين مطمئنين، و الآن نذكر

الأحاديث التي جاء فيها بيان هؤلاء فالأحاديث فيها بيان هذه النحلة اسمهم الرسمي هو الخوارج و أنهم مصداق هذه الأحاديث التي بين لنا الرسول ﷺ لنحذرهم و لا نغتر بهم ابداً و هذه الأحاديث التي فيها علاماتهم والتي سننقلها نحن كلها صحيحة و تسميتهم أنفسهم (الداعش) لا يزحزحهم عن اسمهم الحقيقي، و هم دائما يرفعون رؤسهم عند ضعف الأمة الإسلامية، و عدم من يرحمها أو يزود عنها، و إليكم الأحاديث:

١ ﴾......يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان . (رواه البخاري)

هذه العلامة موجودة في هذه النحلة و هي من أبرز العلامات التي عرفها الناس فيهم وقد شاهد جميع المسلمين قتل هؤلاء المسلمين المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا، والذين كانوا يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا و اجعل لنا من لدنك نصيراً، و من قتلهم من المجاهدين المخلصين الأوفياء بالكيد و المكر فلا يحصون .

٢ ﴾......يؤمنون بمحكمه و يهلكون بمتشابههم. (مسلم)

و هذه العلامة موجودة فيهم و لو لا غيرها من العلامة لكفت هذه لهم قال الله تعالى:(فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم يقولون كل من عند ربنا و ما يذكر أولو الألباب) [سورة ال عمران]

و في الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي(١٧/٣):(قال شيخنا أبو العباس رحمة الله عليه: متبعوا المتشابه لا يخلو أن يتبعوه و يجمعوه طلباً للتشكيك في القرآن

و إضلال العوام ، كما فعلته الزنادقة و القرامطة الطاعنون فی القرآن ، أو طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه ، كما فعلته المجسّمة الذين جمعوا ما فی الكتاب و السنة مما ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن الباری تعالی جسم مجسم و صورة مصوّرة ذات وجه و عين و يد و جنب و رجل و أصبع ، تعالی الله عن ذلك ... إلخ)

و ديدن السلفية من يوم خروجها على الجمهور إلى يومنا هذا ينقرون فی المتشابهات و يرون التفويض و التأويل ضلالاً و الأمة من علمائها و فقهائها و سلفها و خلفها ممن فوض أو أول ضالا عندهم و أن ما جاء ت فی الكتاب و السنة من الصفات الالٰهية فهی على ظاهرها سواء شبه الله بخلقه أم لا ، فهم لا يهمهم ذلك فيثبتون له من الأصابع و غيرها ما يثبتونه للبشر ـ معاذ الله ـ كما نقلنا عنهم و رددنا عليهم من قبل.

٣...... يحسنون القيل و يسيؤن الفعل . (مسلم)

هذه علامة ثالثة لهؤلاء ، و هؤلاء لما جاء وا إلى الساحة قالوا نحن نحی الخلافة الراشدة ، والعدل و نبث الأمن و نحی الجهاد ، و ندافع عن أبناء المسلمين و نخدم الإسلام ، و نعمّر البلاد فأحسنوا القول لكن العمل فضحهم ففسدوا فی البلاد و خربوها ، و قتلوا الأبرياء و هلكوا الحرث و النسل ، و نهبوا الذهب و الفضة ، و جبنوا فی الحرب فولوا دبرهم.

٤......و فی صحيح البخاری: (و كان ابن عمر يراهم شرار خلق الله) و قال : (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت فی الكفار ، فجعلوها على المؤمنين):

و نحن نراهم و يراهم كل مؤمن أنهم يطبقون الآيات التی نزلت فی المشركين على المؤمنين فمن توسل بجاه الرسول ﷺ أو رجل صالح قال إنه اشرك بالله لأن

التوسل شرك بزعمهم و يستدلون بهذه الآية : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) مع أن هذه الآية في العبادة لغير الله و من قلد من المسلمين قالوا أشرك لأن التقليد شرك بزعمهم و يستدلون بهذه الآية :(و إذا قيل لهم تعالوا إلى ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباء نا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً و لا يهتدون) [البقرة]

٥﴿......يتعقمون في الدين . (مسند أبي يعلى)

أما التعمق فمن عاداتهم ، و في صحيح مسلم : قال قال : (رسول الله ﷺ :(هلك المتنطعون قالها ثلاثاً) و معنى التنطع التعمق و هو تجاوز الحدود في القول و الفعل و هذا من ديدنهم فإذا سبوا كفرّوا ، و إذا أدبوا الناس قتلوهم ، أو أجلسوهم على الألغام. و هذا يعرفه كل أحد منهم.

٦﴿......تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم . (رواه مسلم)

و معناه تستقلون صلاتكم بالنسبة إلى صلاتهم لأنهم يجتهدون في العبادة بحيث يعجز الكل من صوم النهار و إقامة الليل و غيرها و يقرؤون القرآن و لا يدخل اثر القرآن و ما فيه إلى حلقه فضلا عن قلبه: و هؤلاء إذا رأيتهم اليوم يجتهدون في الطاعة من إقامة الليل و صيام النهار و التلاوة و غيرها ، و لا يعرفون سر العبادة و حلاوتها فإذا تكلم كَفَرَّ المسلم.

٧﴿......أحداث الأسنان . (رواه مسلم) (صغار السّن) و يراهم كل أحد أن فيهم من الصغار الكثيرين الذين لا يعرفون الغث من السمين يحملون البندوق يكاد يسقط منه.

٨﴿......سفهاء الأحلام. (مسلم) (عقولهم ردئية) و هؤلاء أيضا من السفها لأنهم لا يعرفون مصلحتهم يقولون نحن نجاهد فإذا بهم يقتلون المجاهدين ، ثم يساعدون الكفار و يجلسون في احضان عملائهم ثم هؤلاء يستعملونهم لأغراضهم.

٩﴾......(مشمّر الإزار): و هذا من علاماتهم الواضحة و سماتهم البارزة لأنهم يبالغون فی تشمير الإزار و هم متميزون فی هذه الصفة لا تعرف إلا بهذا.

١٠﴾...... يسفكون الدم الحرام. (مسلم) و لقد رأت الأمة الإسلامية و شهدت أن هذه النحلة قد أراقت دم الابرياء من النساء والولدان و الشيوخ والعلماء والمجاهدين على مختلف طبقاتهم.

١١﴾...... (كث اللحية) : و هذه العلامة موجودة فيهم قد يظهر منهم من رأيهم .

١٢﴾......(يطعنون على أمرائهم و يشهدون على ضلالهم) وهذه العلامة موجودة فيهم كانوا فی جبهات القتال مع المجاهدين بجنبهم فخرجوا على أمرائهم و خالفوهم لاجل حصول الفلوس و نصبوا ضدهم القتال ، و خرجوا من طاعتهم ، و اشهدوا عليهم أنهم مشركون ضالون ، والواقع يشهد بذلك، و لست من فرسان من يكفر أحدا فإن ذلك يحتاج إلى التحقيق والتدقيق ، و قد كفر الخوارج محدثوا الحنابلة و جنح إلى تكفيرهم الإمام الأنورؒ .

بحث شريف يتعلق بتكفير الخوارج و غيرهم من أهل الأهواء و الملحدين ، و هل يقاتلون؟ و متى يقاتلون؟:

قال الحافظ :"فی الحديث الكف عن قتل من يعتقد الخروج على الإمام ما لم ينصب لذلك حرباً ، أو يستعد لذلك، لقوله: "فإذا خرجوا فاقتلوهم " . وحكى الطبری الإجماع على ذلك فی حق من لا يكفر باعتقاده، و أسند عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب فی الخوارج بالكفّ عنهم ما لم يسفكوا دماً حراماً ، أو يأخذوا مالاً ، فإن فعلوا فقاتلوهم ، و لو كانوا ولدى . و من طريق ابن جريج : قلت لعطاء: ما يحلّ لی قتال

الخوارج ؟ قال : إذا قطعوا السبيل ، و أخافوا الأمن . و أسند الطبرى عن الحسن: أنه سئل عن رجل كان يرى رأى الخوارج و لم يخرج ، فقال :العمل أملك بالناس من الرأى.

قال الطبرى: و يؤيّده أن النبى ﷺ و صف الخوارج بأنهم يقولون الحق بألسنتهم، ثم أخبر أن قولهم ذلك ، و إن كان حقّاً من جهة القول ، فإنه قول لا يجاوز حلوقهم ، و منه قوله تعالى :(إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فأخبر أن العمل الصالح الموافق للقول الطيّب هو الذى يرفع القول الطيب. . .إلى أن قال:

و ممن جنح إلى ذلك من أئمة المتأخرين الشيخ تقى الدّين السبكى ، فقال فى فتاواه: احتج من كفر الخوارج و غلاة الروافض بتكفيرهم أعلام الصحابة ، لتضمنه تكذيب النبى ﷺ فى شهادته لهم بالجنّة . قال : و هو عندى احتجاج صحيح".

و ممن جنح إلى بعض هذا البحث : الطبرى فى تهذيبه ، فقال بعد أن سرد أحاديث الباب: فيه الردّ على قول من قال : لا يخرج أحد من الإسلام من أهل القبلة بعد استحقاقه حكمه ، إلّا بقصد الخروج منه عالماً ، فإنه مبطل لقوله فى الحديث : "يقولون الحق ، و يقرؤون القرآن ، و يمرقون من الإسلام ، و لا يتعلّقون منه بشيئ" و من المعلوم أنهم لم يرتكبوا استحلال دماء المسلمين و أموالهم إلا بخطأ منهم ، فيما تأوّلوه من أى القرآن ، على غير المراد منه ،ثم أخرج بسند صحيح عن ابن عباس : و ذكر عنده الخوارج و ما يلقون عند قرائة القرآن ، فقال : يؤمنون بمحكمه و يهلكون عند متشابهه ، و يؤيّد القول المذكور الأمر بقتلهم مع ما تقدم من حديث ابن مسعود:"لا يحل قتل امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث" و فيه : "التارك لدينه: المفارق للجماعة" و ورد فى بعض الروايات الصحيحة: "المارق من الدين ، التارك

للجماعة".... إلى أن قال:

قال الشيخ الأنور رحمه الله:"والحق أن حديث المروق يدل على أن المارقة أقرب إلى الكفر من الإيمان ، و من أصرح ما وجدت فيه ما عند ابن ماجه عن أبى أمامة : "قد كان هؤلاء مسلمين ، فصاروا كفّاراً ، قلت : يا أبا أمامة ، هذا شيئ تقوله ؟ قال : بل سمعته من رسول الله ﷺ"..... إلى أن قال:

قال الحافظ رحمه الله:"و هذا إن ثبت عن عليّ يحمل على أنه لم يكن اطلّع على معتقدهم الذى أوجب تكفيرهم عند من كفرهم ، و فى احتجاجه بقوله : "يتمارى فى الفوق " نظر ، فإن فى بعض طرق الحديث المذكور لم يعلق منه بشيئ ، و فى بعضها ، "سبق الفرث و الدم" و فى بعضها : "وينظر فى الفوق فلا يرى بصيرة" كما سيأتى عند مسلم فى الباب و طريق الجمع بينهما: أنه تردّد : هل فى الفوق شيئ أو لا ، ثم تحقق أنه لم يعلق بالسّهم و لا بشى منه من الرمى شيئ ، و يمكن أن يحمل الاختلاف فيه على اختلاف أشخاص منهم ، و يكون فى قوله :"يتمارى" إشارة إلى أن بعضهم قد يبقى معه من الإسلام شيئ"..... إلى أن قال:

و قال أهل الحديث من الحنابلة: يجوز قتلهم . أقول: الظاهر عندى درايةً روايةً قول أهل الحديث ، أما رواية: فقوله ﷺ :"فأينما لقيتموهم فاقتلوهم" و أما قول عليّ رضي الله عنه : فمعناه أن الإنكار على الإمام والطعن فيه لا يوجب قتلا ، حتى ينزع يده من الطاعة ، فيكون باغياً ، أو قاطع الطريق ، و إذا أنكروا ضرورياً من ضروريات الدين يقتل لذلك ، لا للإنكار على الإمام..... إلى أن قال:

و أما دراية : فلأن الشرع كما نصب القتل جزاء للارتداد ليكون مزجرة للمُرتدّين ،

و ذبّاً عن الملّة التى ارتضاها ، فكذلك نصب القتل فى هذا الحديث و أمثاله جزاءً للزنديق ؛ ليكون مزجرة للزنادقة ، و ذبّاً عن تأويلٍ فاسدٍ فى الدّين ، لا يصح القول به.

ثم التأويل تأويلان: تأويل لا يخالف قاطعا من الكتاب والسنة و اتفاق الأمة ، و تأويل يصادم ما ثبت بالقاطع ، فذلك الزندقة ، فكل من أنكر رؤية الله تعالى يوم القيامة ، أو أنكر عذاب القبر ، و سؤال المنكر و النكير ، أو أنكر الصراط والحساب ، سواء قال : لا أثق بهؤلاء الرواة ، أو قال : أثق بهم لكن الحديث مؤوّل ، ثم ذكر تأويلاً فاسداً ، لم يسمع من قبله : فهو الزنديق . و كذلك من قال فى الشيخين أبى بكر و عمر رضي الله عنهما - مثلاً - : ليسا من أهل الجنة ، مع تواتر الحديث فى بشارتهما ، أو قال : إن النبى ﷺ خاتم النبوة و لكن معنى هذا الكلام أنه لا يجوز أن يسمّى بعده أحد بالنبى، و أما معنى النبوة و هو كون الإنسان مبعوثا من الله تعالى إلى الخلق مفترض الطاعة معصُوماً من الذنوب و من البقاء على الخطأ فى ما يرى: فهو موجود فى الأمة بعده ، فذلك الزنديق . و قد اتفق جماهير المتأخرين من الحنفية والشافعية على قتل من يجرى هذا المجرى ، و الله تعالى أعلم بالصواب " اهـ .

قال الشيخ الأنور رحمه الله بعد نقل هذه العبارة :"و استفيد منه تفسير الزندقة و حكمها ، و أن التأويل فى الضروريات لا يدفع الكفر" ، اهـ .

و قال فى موضع آخر من رسالته بعد سرد الأحاديث : "فخرج من هذه الأحاديث بهذا الوجه وجه من كفرهم من أهل الحديث ، كما مرّ عن "المسوى" و قد نسبه "السندى رحمه الله على سنن النسائى " إليهم ، و هو قول فحل ، و كذا نسبه فى "فتح القدير" إليهم ، و خرج عدم الفرق بين الجحود والتأويل فى القطعيات - و الله سبحانه

و تعالى أعلم ـ و خرج أن الكفر قد يلزم من حيث لا يدرى ، مع ما يحقر أحدكم صلاته ، و صيامه مع صلاتهم و صيامهم ، و أعماله مع أعمالهم ، و ليس قراء ته إلى قراء تهم شيئاً ، فخذ هذه الحمل النبوية أصلاً فى مسألة التكفير، فهى كأحرف القرآن ، كلها شاف كاف ، و إنما اختلف العبارات فى أهل الأهواء ، إما لا ختلاف حالاتهم غلوّاً وعدم غلوّ ، و إما لاختلاف أصحاب التصانيف ، فمنهم من بُلى بأهل الأهواء و اختبر حالهم ، و رأى ضررهم على الدّين ، فشدّد النكير عليهم ، بحيث لا تبقى و لا تذر ، و منهم من لم يَبْتَلِ بهم ، و لم يسبر غورهم ، فهو يحذر عن التكفير مشياً على الأصل ، و هو المراد بقولهم : لا يكفر أهل القبلة ، أى : الأصل فيهم ذلك ، لا بناء على خصوص الحال ، و قد احتطنا فى هذه المقالة ما رأيناه احتياطًا ، فإن له مقاماً، فقد يحتاج الرجل نظراً لجانب ، و هو خارج منه من جانب آخر ، فيقع فى عدم الاحتياط من حيث لا يدرى ، فإنما أعلنّا ههنا ما ندين الله به ، و احتطنا ما رأينا حقه ، و الله على ما نقول وكيل ، و له الحمد على كل حال . و قد قال رسول الله ـ كما رواه البيهقى فى المدخل ـ : "يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ، ينفون عنه تحريف الغالين ، و انتحال المبطلين ، و تأويل الجاهلين ..." و هو كلام خرج من مشكاة النبوة و مصابيح السنة ، و حسبنا الله و نعم الوكيل" انتهى كلامه فى رسالته "إكفار الملحدين" و هى رسالة نافعة جدا وحيدة فى بابها محتوية على علوم غزيرة، يجب مطالعتها لمن يريد الخوض فى مسألة التكفير.

قال و لا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا و إن جاروا و لا ندعوا عليهم ، و لا ننزع يدًا من طاعتهم و نرى طاعتهم من طاعة الله عزوجل فريضة ما لم

يأمروا بمعصية و ندعوا لهم بالصلاح و المعافاة.

الشرح:۔

.و لا نجيز الحرب على أئمتنا و لا على من يلى أمورنا و ان ظلموا علينا ، لأن السلف الصالح كانوا ينقادون لهم و لأن العصمة ليست بشرط الإمامة وفى الصحيحين :(من كره من أميره شيئًا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتتة جاهلية) و فى صحيح مسلم : (من ولى عليه و الٍ فرآه يأتى شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتيه من معصية الله ، و لا ينزعنّ يدًا من طاعته) . و لا ينبغى لنا أن ندعوا على أحدمنهم و لا نترك طاعتهم و نعتقد أن طاعتهم فريضةٌ علينا كطاعة الله عزوجل إلى أن يأمروا بمعصية فإذا أمروا فلاطاعة لهم و قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) رواه أحمد والحاكم .و قال الهيثمى رجال أحمد رجال الصحيح و فى البخارى عن عبادة بن الصامت قال :(دعانا النبى ﷺ فبايعنا فكان فيما اخذ علينا أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) و ينبغى لنا أن ندعو لهم بإصلاح نيتهم و نجاح طلبهم و المعافاة مما هم فيه من ظلم رعيتهم.

الخروج على أئمة الجور:

ثم إن ههنا نريد أن نلقى الضو على مسئلة مهمة إلا و هى الخروج على أئمة الحور و لا بأس أن نذكر فيها بعض التفصيل مخافة وقوع الناس فى التخبط قال الشيخ محمد تقى العثمانى فى (فتح الملهم : ۱۸٤/۳): قال الحافظ فى الفتح : (قال ابن بطال : فى الحديث حجة فى ترك الخروج على السلطان و لو جار.و قد اجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلّب و الجهاد معه ، و أن طاعته خير من الخروج عليه

، لما فی ذلک من حقن الدماء ، و تسکین الدهماء ، و حجتهم هذا الخبر وغیره مما یساعده و لم یستثنوا من ذلک إلا إذا وقع من السلطان الکفر الصریح ، فلا تجوز طاعته فی ذلک ، بل تجب مجاهدته لمن قدر علیها ، ثم قال الشیخ : و ربما یفهم منه بعض الناس أن الإمام الجائر لایجوز الخروج علیه فی حال من الأحوال مادام متسمیًّا باسم الإسلام و لیس الأمر علی هذا الإطلاق ، و لا سیمًا علی مذهب الإمام أبی حنیفه رحمه الله تعالی ، یقول الإمام أبو بکر الجصاص رحمه الله فی أحکام القرآن تحت قوله تعالیٰ﴿ لَا یَنَالُ عَهْدِیَ الظّٰلِمِیْن ﴾(و کان مذهبه (یعنی أباحنیفة) مشهورًا فی قتال الظلمة ، و أئمة الجور ، و لذلک قال الأوزاعی : (احتملنا أبا حنیفة علی کل شیئ حتی جاء نا بالسیف) یعنی قتال الظلمة ، فلم نحتمله ... و قضیته فی أمر زید بن علی مشهورة، و فی حمله المال إلیه ، و فتیاه الناس سراً فی وجوب نصرته و القتال معه و کذلک أمره مع محمد و ابراهیم ابنی عبد الله بن حسن) .

ثم بین الشیخ محمد تقی قصة الإمام مع زید بن علی و قصته مع محمد النفس الزکیة و أخیه ثم وضح رأیه فی هذا الموضوع فقال : (و هو فیه ابن بجدة الناس) فالذی یظهر لهذاالعبد الضعیف عفا الله عنه بعد مراجعة النصوص الشرعیة و کلام الفقهاء و المحدثین فی هذا الباب . والله اعلم

أن فسق الإمام علی قسمین :

الأول ما کان مقتصرًاعلی نفسه ، فهذا لا یبیح الخروج علیه ، و علیه یحمل قول من قال : إن الإمام الفاسق أو الجائر لا یجوز الخروج علیه .

والثانی : ما کان متعدیا و ذلک بترویج مظاهر الکفر واقامة شعائره و تحکیم

قوانينه و استخفاف أحكام الدين ، والإمتناع من تحكيم شرع الله مع القدرة على ذلك لإستقباحه و تفضيل شرع غير الله عليه فهذا ما يلحق بالكفر البواح و يجوز حينئذ الخروج بشروطه ثم قال : و أحسن ما رأيت فى هذا الموضوع : كلام نفيس لشيخ مشائخنا حكيم الأمة اشرف على التهانوى رحمه الله فى رسالته (جزل الكلام فى عزل الإمام) و أنها مطبوعة فى المجلد الخامس من امداد الفتاوى و إن خلاصة ما ذكره رحمه الله فى تلك الرسالة أن الأمور المخّلة بالإمامة على سبعة اقسام:

القسم الأول: أن يعزل الإمام نفسه بلاسبب و هذا فيه خلاف كمافى شرح المقاصد.

القسم الثانى : أن يطرأ عليه ما يمنعه من أداء وظائف الإمامة كالجنون ، أو العمى ، أو الصمم أو البكم أو صيرورته أسيرًا لايرجى خلاصه. و هذا ما ينحل به عقد الإمامة فينعزل الإمام فى هذه الصورجميعًا .

والقسم الثالث : أن يطرأ عليه الكفر ، سواء كان كفر تكذيب و جحود أو كفرعناد و مخالفة أو كفر استخفاف أو استقباح لأمور الدين و فى هذة الصورة ينعزل الإمام و ينحل عقد الإمامة . فإن أصرّ على بقائه إمامًا و جب على المسلمين عزله بشرط القدرة . و لكن يشترط فى ذلك أن يكون الكفر متفقا عليه بدليل قول عليه الصلاة والسلام (فى حديث الباب) : (إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فى برهان) و كما يشترط قطعية الكفر يشترط أيضاً ان يكون صدوره منه قطعيًا كرؤية العين ، و لا يكتفى فى ذلك بالروايات الظنّية ، بدليل قوله عليه الصلاة و السلام (إلا أن تروا) والمراد به رؤية العين بدليل تعديته إلى مفعول واحد . ثم قد تختلف الآراء فى كون الصادر من السلطان كفر ، أو فى دلالته على الكفر ، أو فى ثبوته بالقرائن الحالية و

المقالية أو فى قطعية الكفر الصادر منه ، فكل من عمل عند وقوع مثل هذاالخلاف برأيه الذى يراه فيمَا بينه و بين الله، يعتبر مجتهدًا معذورًا ، فلا يجوز تفويق سهام الملامة إليه . على أن وجوب الخروج فى هذه الصورة مشروط بشرط القدرة ، و بأن لا تحدث به مضرّة أكبر من مُضرة بقاء مثل هذا الإمام . يقول الشريف الجرجانى فى شرح المواقف : (وللامة خلع الإمام ، و عزله بسبب يوجبه ، مثل أن يوجد منه ما يوجب إختلال أحوال المسلمين وانتكاس أمور الدين ،... و إن أدى خَلعه إلى فتنة احتمل ادنى المضرتين) . فيمكن أيضاً أن يقع الخلاف فى تعيين ادنى المضرتين ، فكل يعمل بمايراه فيما بينه و بين الله . فلا يجوز لواحد أن يلوم الآخر . و على مثل هذه الأمور الاجتهادية يحمل اختلاف الصحابة و التابعين و من بعدهم فى الخروج على بعض الأئمة فى زمنهم.

القسم الرابع أن يرتكب السلطان فسقًا مقتصرًا على نفسه ، كالزناو شرب الخمر ، و ما إلى ذلك و حكمه أنه لا ينعزل به بنفسه و لكنه يستحق العزل فعلى الأمة أن تعزله إلاأن تترتب على العزل فتنه . قال فى الدر المختار ، باب الإمامة : (يكره تقليد الفاسق و يعزل به إلالفتنة) و قال ابن عابدين تحته : (قوله : و يعزل به ، أى بالفسق لو طرأ عليه ، المراد أنه يستحق العزل كما علمت آنفاً و لذا لم يقل ينعزل). و قال ابن الهمام فى المسايرة : (و إذا قلد عدلاً ثم جار ، و فسق لا ينعزل و لكن يستحق العزل ، إن لم يستلزم فتنة) و حاصله أنه لا يجوز الخروج عليه فى هذه الصورة بما فيه سفك الدماء و إثارة الفتنة ، و لو خرج عليه جماعة من المسلمين حل لنا قتالهم ، و من دعاه الإمام إلى ذلك افترض عليه اجابته ، لأن طاعة الإمام فيما ليس بمعصية فرض، بشرط أن يكون

قادرًا على ذلك، و إلا لزم بيته، كما في الدر المختار.

والقسم الخامس: أن يرتكب فسقًا يتعدى أثره إلى أموال غيره بأن يظلم الناس في أموالهم، و لكن يتأول في ذلك بما فيه شبهة الجواز، مثل أن يحمّل الناس الجبايات متأولاً فيها بمصالح العامة، و حكمه أنه لا ينعزل به، و تجب إطاعته، ولا يجوز به الخروج عليه. كما سيأتي في عبارة ابن عابدين.

والقسم السادس:. أن يظلم الناس في أموالهم، و ليس له في ذلك تأويل ولاشبهة جواز و حكمه أنه يجوز للمظلوم أن يدفع عنه الظلم، و لو بقتال، و يجوز الصبر أيضاً بل يؤجر عليه، و إن هذا القتال ليس للخروج عليه، بل للدفاع عن المال، فلو أمسك الإمام عن الظلم وجب الإمساك عن القتال.

قال ابن عابدين ناقلاً عن فتح القدير: (ويجب على كل من أطاق الدفع أن يقاتل مع الإمام الاأن أبدوا ما يجوز لهم القتال، كأن ظلمهم، أو ظلم غيرهم ظلمًا لاشبهة فيه،... بخلاف ما إذاكان الحال مشتبهاً انه ظلم، مثل تحميل بعض الجبايات التي للإمام أخذها وإلحاق الضرر بها لدفع ضرر أعم منه). و هذا حكم المظلوم الذي يقاتل دفعًا للظلم عن نفسه، أما غيره فهل يجوز له أن ينصر هذا المظلوم المقاتل حتى ينصفه الإمام، و يرجع عن جوره.و ذكر في جامع الفصولين، و المبتغى و السراج أنه لا ينبغي للناس معاونة السلطان و لا معاونتهم ووفق ابن عابدين بين القولين بأن وجوب إعانتهم إذا أمكن امتناعه عن بغيه، و إلا فلا . راجع رد المحتار، باب البغاة . و أما كون الصبر أولى في هذه الحالة، فلما سيأتي عند المصنف من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أخبر فيه عن أئمة الجور،وفيه: (قلت: كيف اصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟

قال: تسمع وتطيع، و إن ضرب ظهرك، و أخذ مالك، فاسمع و أطع). فالمراد من قوله عليه الصلاة و السلام: (فاسمع وأطع) نهيه عن الخروج. و أما القتال لدفع الظلم فجوازه مبنيّ على الأحاديث التى تبيح القتال عن النفس و عن المال، و بما أن هذا القتال يشابه الخروج صورة، فتركه أولى استبراء للدين.

القسم السابع:.أن يرتكب فسقًا متعديًا إلى دين الناس، فيكرههم على المعاصى، و حكمه حكم الإكراه المبسوط فى محلّه، و يدخل هذاالإكراه فى بعض الأحوال فى الكفر حقيقة أو حكما، و ذلك بأن يصّر على تطبيق القوانين المصادمة للشريعة الإسلامية، إما تفضيلاً لها على شرع الله، و ذلك كفر صريح، أو توانيًا و تكاسلاً عن تطبيق شريعة الله بما يغلب منه الظنّ أن العمل المستمرّ على خلاف الشريعة يحدث استخفافًا لها فى القلوب، فإن مثل هذا التوانى و التكاسل، و إن لم يكن كفرًا صريحًا بحيث يكفرّ به مرتكبه، و لكنه فى حكم الكفر بدليل ما ذكره الفقهاء من أنه لو ترك أهل بلدة الأذان حلّ قتالهم، لأنه من أعلام الدين، و فى تركه استخفاف ظاهر به، راجع باب الأذان من رد المحتار .و حينئذٍ يلحق هذا القسم السابع بالقسم الثالث، و هو الكفر البواحّ فيجوز الخروج على التفصيل الذى سبق فى حكمه.

ثم إن وجوب الخروج فى القسم الثالث والسابع مشروط بالقدرة و المنعة و جواز الخروج فيهما مشروط بأن يرجى عقد الإمامة لرجل صالح توجدفيه شروط الإمامة، أما إذا صار الأمر من جائر إلى جائر أو استلزم ذلك مضرة أكبر، مثل استيلاء الكفار على المسلمين، فلا يجوز الخروج فى هاتين الصورتين أيضاً . و ما روى من

خروج سيدنا الحسين بن على رضى الله عنهما على يزيد بن معاوية ، و تأييد الإمام أبى حنيفة زيد بن على ، و محمد النفس الزكيّة ، وابراهيم بن عبد الله فى خروجهم على أئمة زمنهم محمول على القسم الثالث أو السادس أو السابع . و قد ذكرنا أنّ الآراء يمكن أن تختلف فى تعيين ما يبيح الخروج و الله سبحانه و تعالى أعلم . و بهذا التحقيق الأنيق ينحل الإشكالات الكثيرة الواقعة فى الأذهان ولايبقى منها شيئ.

الرد على السقاف فى جوازه الخروج على السلطان مطلقا:

قال السقاف فى صحيفة (٦٢٦) :(ففكرة عدم الخروج على أئمة الجور ليست صحيحة...)

أقول : قول الإمام الطحاوى صحيح و ما يقوله السقاف غير صحيح: و إليك الدلائل: ١ ـ حديث سيدنا عبادة الذى فيه : (بايعنا النبى ﷺ على السمع و الطاعة فى منشطنا و مكرهنا و عسرنا و يسرنا و أثرة علينا و أن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان) رواه البخارى.

قال الحافظ ابن حجر فى شرح هذا الحديث : والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه). يعنى أن المراد من الكفر فى الحديث هو الكفر و هو ظاهر فإذا كفر الإمام يجب الخروج عليه و أما أذا جار فلا يصح الخروج عليه و قوله هذا نقله السقاف ولا أدرى لأى شيئ ؟ ليثبت دعواه أم ماذا؟ و قول ابن حجر هذا واضح.

و كان الإمام الأعظم النعمان يرى فى أول الأمر الخروج على أئمة الجور والتفصيل فى مذهبه قد ذكرناه آنفاً إلا أنه ترك هذا الرأى فى الآخر والدليل على ذلك قول الإمام الطحاوى هذا ، و ما ذكره الإمام الطحاوى هو ما حكاه المحقق ابن الهمام

عن أبي حنيفة رضي الله عنه في المسايرة و أقرّه الإمامان ، ابن أبي الشريف و ابن قطلوبغا، و كذا ذكره الإمام البزدوي و عبارة الإمام البزدوي :(الإمام إذا جار أو فسق لا ينعزل عند أصحاب أبي حنيفة بأجمعهم و هو المذهب المرضي. [١]

قال المحقق ابن الهمام :(و إذا قلّد عدلاً، ثم جار و فسق لم ينعزل ، و يستحق العزل إن لم يستلزم فتنة ، و يجب أن يدعى له ، و لا يجب الخروج عليه كذا عن أبي حنيفة و كلمتهم قاطبة). [٢]

و في العقائد النسفية (و شرحه : (١١٤) و لا ينعزل الإمام بالفسق أي الظلم على عباد الله تعالى لأنه قد ظهر الفسق و انتشر الجور من الأئمة و الأمراء بعد الخلفاء الراشدين و السلف كانوا ينقادون لهم و يقيمون الجمع و الأعياد بإذنهم و لا يرون الخروج عليهم.

و قال الإمام النووي في شرح مسلم: (و أما الخروج عليهم و قتالهم فحرام بإجماع المسلمين ، و إن كانوا فسقة ظالمين . و قد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته) ...

و في كتاب "السنة" للإمام أحمد ضمن شذرات الذهب(٤٦) :(و دفع الصدقات و الأعشار و الخراج والفيء و الغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أو جاروا و الانقياد لمن ولاه الله عزوجل أمركم لاتنزع يداً من طاعته ، و لا تخرج عليه بسيفك

١ـ أصول الدين للبزدوي(١٩٠).

٢ـ المسايرة مع شرحها لابن أبي شريف ، و قاسم بن قطلوبغا(٢٩١).

يجعل الله لك فرجاً و مخرجاً ، و لا تخرج على السلطان ، بل تسمع و تطيع فإن أمرك السلطان بأمر. هولله عزوجل معصية فليس لك أن تطيعه . وليس لك أن تخرج عليه و لا تمنعه حقه و لا تعن على فتنة بيد و لا لسان ، بل كف يدك و لسانك و هواك و الله عزوجل المعين) .

قال : و نتبع السنة و الجماعة و نجتنب الشذوذ و الخلاف و الفرقة.

الشرح:۔

ونتبع أهل السنة والجماعة المشار إليهم فى حديث : (إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث و سبعين ملةً -يعنى الأهواء - كلها فى النار إلا واحدة و هى الجماعة ، وفى رواية : قالوا : من هى يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابى) . رواه الترمذى وغيره.

و نجتنب الإنفراد عن هذه الجماعة والخروج عنها و عن الإفتراق.

خطورة تمزيق اتحاد الأمة الإسلامية:

إن روح الإسلام هو الإتحاد قال الله تعالىٰ:﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون﴾ و قال النبىﷺ : (المسلم أخ المسلم) و قال النبى ﷺ : (مثل المؤمنين فى توادهم و تراحمهم و تعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) رواه فى صحاح.

والمسلم المخلص لاينزع حجر الأساس للإسلام و هو الوحدة بل يعمل جادًا فى تحكيمه و تقويته لأن التحديات للإسلام من العلمنة و التغريب و غيره كثيرة و أى شكوى من المستشرقين و المبشرين حين يثون شبهات حول تعدد الزوجات و انتشار الإسلام بالسيف و حول المرأة فى الإسلام فإن هؤلاء كلهم معروفون.

انما الشكوى من الذين يسمون انفسهم أهل الإسلام ثم هاهم يجتهدون فى إختلاف المسلمين والرسول ﷺ قال : (لا تختلفوا فتهلكوا.) سموا انفسهم باسم السلف و شهروا بالوهابية حل وسعهم و طاقتهم تفرقة أهل الإسلام فإياكم أن يخدعوكم و لا بد أن نبين لكم هؤلاء لتعرفوهم جيدًا و تخلصوا من بنيات الطريق و نريد أن نوضح لكم أولاً.

١-خطأ تسميتهم باسم السلف:

تسميتهم أنفسهم بإسم السلف خطأ لأن كلمة السلف الصالح تطلق حصرًا على من عاش فى القرون الأولى التى بينها النبى ﷺ : (إن خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) و أما الذين جاء وا فى القرن الرابع الهجرى و من بعدهم فهم خلف لمن سلف ، و نظرًا لأنه لا يوجد من عاش فى القرون الأولى و مات فيها ثم بعث فى عصرنا الحالى لذلك تبقى كلمة السلف الصالح محصورة فى مرحلة زمنية مباركة و ليست مذهبًا دينيًا .

ثانيًا :تطلق كلمة (سلفى) و يراد بها أن صاحبها مثل السلف الصالح فى العبادة و الطاعة و الإنفاق و الإهتمام بالإسلام و أهله فى نومه و قراره و ليله و نهاره... يظن أنه يصدق فيه قوله تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾و يعتقد أنه من الطائفة الذين عنا هم الله تعالى بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ فإذا قصد هذا المعنى و كان صادقًا فى دعواه فقد زكى نفسه و خالف القرآن قال تعالى:﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾(النجم ١١) و إذا كان كاذبًا فى دعواه فقد افترى على

الله الكذب قال تعالى :﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾(النحل:١١٦) .

ثالثًا : يقصدون بكلمة (سلفى) أى أنهم مثل السلف الصالح فى الإجتهاد و عدم التقليد لأحد من الأئمة ، و غالبًا ما يعنون هذا ، و لذلك تراهم يتبرؤون من اتباع الأئمة الأربعة ويقولون نحن نأخذ الأحكام من الكتاب و السنة كما كان أصحاب النبى ﷺ والتابعون يفعلون ، و يوهمون الناس أن هذه هى الحقيقة و الواقع خلاف ذلك تمامًا . فالصحابة رضى الله عنهم و قد بلغ عددهم ما يزيد على مائة ألف لم يكن كل واحد منهم قادرًا على استنباط الأحكام من الكتاب و السنة ، و يقول ابن القيم فى كتابه اعلام الموقعين إن المجتهدين من أصحاب النبى ﷺ لم يزيدوا على مائة و ثلاثين رجلاً فقط و أما الباقى فكانوا يرجعون إلى هؤلاء فى الفتوى و تراهم مع هذه الدعوى الفارغة التى لا يشهد لها دليل من الواقع على أهلية هؤلاء للإجتهاد لعدم توفر آلاته عندهم ... و جل ما يتفوهون به هو حكايتهم لفهم و أقوال علماء اقدمهم جاء فى القرن السابع الهجرى أى بعد عصور السلف الصالح بأربعة قرون ، و أكثر ما يستشهدون بأقوال علماء معاصرين لا يصلحون للمقارنة بينهم و بين الأئمة الأربعة .

رابعاً: يقصدون بكلمة (سلفى) أى فى الاعتقاد ، فان السلف بتصورهم كانوا يحملون آيات و أحاديث الصفات على المعنى المتبادر إلى أذهان المشبهين . هذا كان بالنسبة لاسمهم.(١)

---

١ ـ عقيدة الإمام الحافظ ابن كثير للدكتور محمد عادل (ص :٥١) و مابعدها.

٢-حقيقة السلفية:

١ ـ قال العلامة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله فى تاريخ المذاهب الإسلامية (ص:٣٤٦) : (و نقصد بالسلفيّين أولئك الذين نحلوا أنفسهم ذلك الوصف و إن كنا سنناقش بعض آرائهم من حيث كونها مذهب السلف ، و أولئك ظهروا فى القرن الرابع الهجرى ، و كانوا من الحنابلة ، و زعموا أن جملة آرائهم تنتهى إلى الإمام أحمد بن حنبل الذى أحيا عقيدة السلف و حارب دونها ثم تجدّد ظهورهم فى القرن السابع الهجرى ، أحياه الشيخ ابن تيمية و شدّد فى الدعوة إليه ، و أضاف إليه أمورًا أخرى قد بعثت إلى التفكير فيها أحوال عصره ، ثم ظهرت تلك الآراء فى الجزيرة العربية فى القرن الثانى عشر الهجرى أحياها محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية و ما زال الوهابيون ينادون بها) .

٢.و قال صاحب العقيدة الإسلامية فى بحث السلفية و مذاهبها: و ترى كل فرقة من الفرق الإسلامية عمومًا أن آرائها تنتمى إلى رجال السلف لكن السلفيّين اتخذوا من اسم (السلف) علمًا لهم و هم من الحنابلة ، ظهروا فى القرن الرابع الهجرى ، و تكلموا فى التوحيد و التأويل و التشبيه و آراؤهم كما يقولون تنتهى إلى الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه الذى أحيا عقيدة السلف ، و ذاد عنها و كانت آراء بعضهم كالقاضى أبى يعلى محمد بن الحسين الحنبلى البغداديّ المتوفى سنة ٤٥٨هـ ، و ابن الزّاغوانّى علىّ بن عبيد الله الحنبلىّ ، المتوفى فى سنة ٥٢٧هـ مثار انتقاد شديد من الحنابلة انفسهم و انكروا نسبتها إلى الإمام أحمد فابن الجوزى عبد الرحمن بن علىّ البكرّى الحنبّلى ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ،ألف كتاب (دفع شبه التشبيه) ردّ فيه تلك الآراء و قال بعض

فقهاء الحنابلة :(لقد شان أبو يعلى الحنابلة شينًا لا يغسله ماء البحار) و قال بعضهم :(لابن الزّغوانيّ في كتاب الإيضاح من غرائب التشبيه ما يحار فيه النبيه) . و أدى استنكار هولاء الحنابلة و أمثالهم تلك الآراء إلى استتارها في القرنين الخامس و السادس ثم تجدد ظهور هذا المذهب على يد شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ و تلميذه ابن قيّم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر الزُّرعي الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٥١هـ ثم تجدّد أخيرًا في الجزيرة العربية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ .

آراؤهم : و هذا ما بينه ابن تيمية الذين ضبط منهاجهم : قسم التوحيد إلى ثلاثة اقسام هي : توحيد الربوبية ، و توحيد الألوهية و توحيد الأسماء و الصفات (وقد رد عليه العلماء كما ذكرنا في بحث تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة و أن التوحيد إلى هذه الاقسام غير صحيح) و قد بنى ابن تيميّة على قوله بتوحيد ألوهية الأمور التالية :

١. منع التقرب إلى الله سبحانه بالصالحين و الأولياء.

٢. منع الاستغاثة و التوسل بالموتى و غيرهم : و قد رد العلماء عليه فقالوا : إن مذهب أهل السنة و الجماعة هو التوسل بجاه رسول الله ﷺ و الصالحين مشروع جائز ، لا فرق بين كونهم احياءً و أمواتا ، ويتبرك بهم لكونهم احباء الله تعالى ، أما النفع و الضرر و الخلق فهو لله وحده لا شريك له ...... و لا يعلم أى نقاش دار حولِ ذلك في عصر السلف و ظّل الأمر على ذلك حتى جاء الإمام ابن تيمية ، ففرّق بين التوسل بالأنبياء و الصالحين في حال حياتهم و بعد مماتهم فأجازه حال الحياةو حرّمه بعد المماة ، مع أن النصوص لم تفرق بين الحالين (و قد فصلنا الموضوع و ذكرنا

دلائل دامغة في التوسل و ازلنا شبهات المشككين في هذا الموضوع في بحث الشفاعة).

٣. منع زيارة قبور الصالحين و الأنبياء للتيمّن و التقديس . و قد خالف ابن تيمية جمهور علماء المسلمين في زيارة الروضة الشريفة ، لأنهم رأوا أن منع الزيارة في الحديث كان خشية الوثنية ، و لا خشية منها بعد تركز أصول الإسلام في النفوس . و إذا كان فيها تقديس لمحمد ﷺ فهو تقديس للوحدانية والمعاني التي بعث من أجلها .

ثم إن في زيارة الروضة الشريفة تذكيراً بمواقف النبي ﷺ في الجهاد و الصبر والعمل على رفع شأن التوحيد و الدين قال نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنه، كان ابن عمر يسّلم على القبر و رأيته مأة مرة أو اكثر يجئ إلى القبر و رؤى واضحًا يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه. (و قال في فتح الملهم الشيخ شبير أحمد العثماني (٢٣٥/٦) و كذا قال الشيخ الأنور قدس الله روحه : إن دليل الجمهور في مسألة الزيارة النبوية هو ثبوت سفر السلف الصالحين إلى الروضة المنيفة تواترًا عمليًا ، و ما أجاب عنه ابن تيمية و اتباعه بالجواب الشافي، و أما القول بأنهم أرادوا السفر إلى المسجد النبوي و ما أرادوا السفر لزيارة الروضة المطهرة : فقول مصنوع يظهر بطلانه بالرجوع إلى الوجدان السليم . و لو كان الغرض السفر لإرادة المسجد النبوي لارتحلوا إلى المسجد الأقصى أيضاً كارتحالهم إلى المسجد النبوي . والحاصل أنه لم يأت بجواب شاف يقبله الذوق الصحيح . والله اعلم. و قال في الدرالمختار (و زيارة قبره الشريف مندوبة ، بل قيل : واجبة لمن له سعة) اهـ .

و في توحيد الأسماء و الصفات : اثبت لله المحبة و السخط و الغضب و الرضا و

النداء و الكلام و النزول إلى الناس فى ظلل من الغمام و الإستقرار على العرش و الوجه و اليد كما ورد فى القرآن و السنة من غير تأويل و لاتفسير بغير الظاهر. لكن ليست يده كيد الحوادث و لا نزوله كنزولهم و لا وجهه كوجوهم و يرى أن هذا هو مذهب السلف ... إلا أن هذا القول قد سبقه به الحنابلة فى القرن الرابع الهجرى ، و قالوا إن هذا هو مذهب السلف لكن ردّ عليهم علماء أجلاء من الحنابلة كابن الحوزى و نفى أن يكون ذلك مذهب السلف و اثبت أن قولهم يؤدى إلى التشبيه و التجسيم لا محالة و ذهب هؤلاء وغيرهم إلى تأويل هذه النصوص المُوهمة للمشابهة ... و أن التأويل أولى من تفسير ها بمعانيها الظاهرة الحرفية و الجهل بكيفياتها .

(و قد حققنا موضوع الصفات فى بحث العرش.)

٣- وأما الفرقة الوهابية:

قال الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى فى تاريخ المذاهب الإسلامية (١٩٩-٢٠١)(و منشئ الوهابية هو محمد بن عبد الوهاب المتوفى ١٧٨٧ ميلادية، و قد درس مؤلفات ابن تيميّة فراقت فى نظره و تعمقّ فيها ، و أخرجها من حيّز النظر إلى حيّز العمل ، و إنهم فى الحقيقة لم يزيدوا بالنسبة للعقائد شيئًا جاء به ابن تيميّة و لكنهم شددوا فيها أكثر مما تشدّد و رتّبوا أمورًا عمليةً لم يكن قد تَعَرض لها ابنُ تيمية لأنها لم تشتهر فى عهده...

إلى أن قال : إن الوهابية لم تقتصر على الدعوة المجرّدة بل عمدت إلى حمل السيف لمحاربة المخالفين لهم بإعتبار أنهم يحاربون البدع ، و هى منكر تجب محاربته و يجب الأخذ بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و ذلك لتحقيق قوله

تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم ﴾ (آل عمران:١١٠) و لقد قاد الفكرة الوهّابية فى ميدان الحرب و الصراع محمد بن سعود جدّ الأسرة السعودية الحاكمة للاراضى العربية ، و قد كان صهرًا للشيخ محمد بن عبد الوهاب و اعتنق مذهبه , تحمسّ له و أخذ يدعو إلى الفكرة بقوّة ، و أعلن أنه يفعل ذلك لإقامة السنة و إماتة البدعة و لعل هذه الدعوة الدينية التى أخذت طابع العنف كانت تحمل معها تمُرّداً على حكم العثمانيين ـ أى الخلافة العثمانية الإسلامية ـ و مهما يكن من أمر فقد استمرت الدعوة مُؤَيَّدةً بقوة السلاح ، فجرّدت الدولة العثمانية لها القوة و لكهنا لم تنتصر عليها و لم تقو على القضاء على قوتها حتى تصدّى والى مصر محمد على لها فانقضّ على الوهابيين بجيشه القوىّ و هزمهم فى عدة معارك ، و عندئذٍ انقبضت القوّة المسلحّة و اقتصرت على القبائل العربية و كانت الرياض و ماحولها مركزًا لهذه الدعوة المستمرة التى كانت تعنُفُ إن وجدت قوّةً و تنقبض إن وجدت مقاومة عنيفة. و كانت كلما مُكنّ لها من قرية أو مدينة أتت على الأضرحة هدمًا و تخريبًا ، حتى اطلق عليها بعضُ الكتاب الأوروبيين وصف هَدّامى المعابد ، و لعل ذلك الوصف فيه بعض المبالغة لأن الأضرحة ليست معابد ، و لكن يظهر أنهم كانوا يهدمون المسجد مع الضريح اخذًا من الخبر الذى استنكر فيه النبى ﷺ عمل بنى اسرائيل إذا اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد و لم يقف عنفُهم عند هذا ، فإنهم جاؤا إلى القبور الظاهرة فهدموها ، و لمّا آل إليهم السلطان فى البلاد الحجازية هدموا كلّ قبور الصحابة وسوّوها بالأرض ، و لم يبق منها الآن إلا إشاراتٌ تومِئُ إلى موضع

القبر، و قد احازوا زيارتها و الإقتصار فى الزيارة على تحية صاحب القبر، و يقول الزائر: (السلام عليك) . و تعلقوا بأمور صغيرة ليس فيها وثنية و لا ما يؤدّى إلى وثنية و اعلنوا استنكارها، مثل التصوير الفوتو غرافى، و لذا وجدنا ذلك فى فتاواهم و رسائلهم التى يكتبها علماؤهم مع أن أمراء هم لم يكونوا يلتفتون فى هذا إلى أقوالهم و يضربون بها عرض الحائط، ثم إنهم توسعوا فى معنى البدعة توسّعًا غريبًا، حتى إنهم ليزعمون أن وضع ستائر على الروضة الشريفة أمر بدعِيّ و لذلك منعوا تحديدَ الستائر التى عليها حتى صارت أسمالاً بالية تقذى بها الأعينُ لو لا النور الذى يضفى على من يكون فى حضرة النبى ﷺ، أو يحسّ أنه فى هذا المكان الذى كان منزل الوحى على سيد المرسلين ﷺ . و إنّا لنجد فوق ذلك منهم من يَعُدُّ قول المسلم (سيدنا محمد) بدعة لا تجوز، و يغلون فى ذلك غُلُوًّا شديدًا. وفى سبيل دعوتهم يعنفون فى القول، حتى إن أكثر الناس لينفرون منهم أشّد النفور.

و فى الحق أن الوهابيين قد حققّوا آراء ابن تيمية و تحمسّوا لها تحمسًّا شديدًا، و لكنهم توسّعوا فى معنى البدعة، فتوهموا أمرًا لاصلة لها بالعبادات بدعًا، مع أن البدع على التحقيق هى الأمور التى يفعلها العباد على أنها من العبادات و يتقرّبون بها إلى الله تعالى و لم يجئ بها أصل دينى، فوضع ستائر على الروضة الشريفة مثلاً لم يقل احدّإن ذلك فيه عبادة بأى نوع من أنواعها، إنما يفعلون ذلك تزيينًا لها تسر الناظرين رؤيتها، كالشأن فى زخارف المسجد النبوى فكان غريبًا أن يستنكروا تلك الستائر و لا يستنكروا تلك الزخارف، لأن هذا تفريق بين المتماثلين . و يُلاحظ أن علماء الوهابيين يفرضون فى آرائهم الصواب الذى لايقبل الخطاء و فى آراء غيرهم الخطاء الذين لايقبل التصويب . بل

إنهم يعتبرون ما عليه غيرهم من إقامة الأضرحة والطواف حولها قريبًا من الوثنية ، وهم فى هذا يقاربون الخوارج الذين كانوا يكفرون مخالفيهم و يقاتلونهم كما ذكرنا. و لقد كان ذلك لا ضرر منه أيامَ كانوا قابعين فى الصحراء لايتجاوزونها و لكن قد اختلطوا بغيرهم لـمّا آل الأمر فى البلاد الحجازية إلى آل سعود ، فإن الأمر يكون خطيرًا ، و لذلك تصّدى لهم الملك الراحل عبد العزيز آل سعود و جعل آراء هم لأنفسهم دون غيرهم.

٢.و قال عماد الدين صاحب النجوم اللامعة(ص:٣٦٧) و قد انتشر الوهابيّون . مدعوّ السلفية فى زماننا فى أمريكا و أوروبا و ذلك بكثرة ما يملكونه من الأموال الطائلة و الإمكانيات الضخمة ، فتراهم يقومون بنشر آرائهم عبر أشرطة التسجيل و المجلات و الكتيبات التى توزع مجانًا ، و لهم مراكز و مساجد عديدة ، بل إنهم قاموا بفتح جامعة فى أمريكا تتم الدراسة فيها و الالتحاق بها والمراسلة عبر البريد . إلى أن قال : ذكر لى أحد الإخوة من المسلمين الأمريكان الجدد أن أحد الوهابين جاء ه و سأله هل هو مسلم؟ فأجابه الشاب الأمريكى : نعم والحمد لله . فقال له : ما شاء الله الآن عليك باتباع القرآن الكريم والسنة النبوية . فأجاب الشاب الأمريكى : طبعًا و هل فى ذلك شك ! فقال له الوهابى : انتبه يا أخى من هؤلاء أتباع المذاهب الأحناف و المالكية والشافعية و غيرهم ،و خاصّة الأشاعرة و الماتريدية فهولاء أناسٌ مبتدعون و لديهم شركٌ فى أمور كثيرة، فنظر الشابّ الأمريكى بدهشة و تعجُّب ، فقال له الوهابىُّ لا تندهش فالمسئلة لا تحتاج إلى تفكير و لا إلى عالم دين! انظر فى القرآن والسنة هل تجد فيها المذهب الحنفى أو ذكرًا للأشاعرة أو الماتريدية ؟ يا أخى لا أريد لك إلا الخير ، فنحن أناسٌ نتبع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، و

هؤلاء أناس مبتدعة يتبعون مذاهب احدثت بعد ذلك، أليس ذلك بتقليد اعمى؟

انظر يرحمك الله ماذا يقولون : (نتبع القرآن و السنة) ! كلمة حق أريد بها باطل، و كان الأئمة الأعلام أصحاب المذاهب اخترعوا هذه المذاهب من تلقاء أنفسهم دون الرجوع للقرآن الكريم و السنة النبيوة، نعوذ بالله، كما أن علماء المسلمين من فقهاء و محدثين قد اجمعوا على أن الإنسان الفاسق المبتدع غير ثقة، و بالتالی يُرد حديثه ......

ثم قال :و نجيبهم بأن هذا الذی يدّعونه باطلٌ لا قيمة له فی موازين العلم، إذ الخلاف فی الفروع الفقهية موجود من زمن الصحابة رضی الله عنهم كما هو معلوم، و كان للصحابة عدة آراء فی المسألة الواحدة، مع أن مصدرهم فی الفقه والفهم هو الكتاب و السنة، لم يورث ذلك فيه فرقة و لاانقسامًا . و لو سلّمنا جدلاً أن مايدّعونه صحيح فكيف يفسرون أنّ اتباع المذاهب الأربعة ظلوا عبر العصور محافظين على كيانهم العقائدی و الفقهی و تواتر على ذلك مئات الأئمة من علماء الأمة؟

و تعليل ذلك عندنا أن هذه المذاهب الأربعة صدرت عن أصول علمية ثابتة، مرجعها القرآن الكريم و السنة النبوية، لذا نرى الإحترام و التقدير فيما بينهم واضحًا جليًا كالشمس المشرقة، فی حين أنّ ما احدث الوهابيون بادعائهم اتباع القرآن والسنة أدى بالعوام و الجهلة بعلوم الدين بأن يخرجوا لنا بآراء عديدة مختلفة، بل و متناقضة مع بعضها البعض و ذلك لجهلهم البالغ و قصورهم عن النظر فی الأدلة الصادرة من الكتاب و السنة، فبدلاً من أن توجد أربعةُ مذاهب فقهية تحترم بعضها البعض وجدت مئات الآراء والفِرق، و التی اتفقت كلها على شيئ واحد و هو : أن لا تتفق .

قال : و نحبُّ أهل العدل و الأمانة و نبغض أهل الجور والخيانة .

الشرح:۔

وفى هذا المتن اشارة إلى أصل من أصول الإسلام و هو الولاء والبراء و فى الحديث الذى رواه ابوداود . (من احبّ لله و ابغض لله و اعطى لله و منع لله فقد استكمل الإيمان) فالولاء مظهر من مظاهر إخلاص المحبة لله ، ثم لأنبيائه و للمؤمنين ،والبراء مظهر من مظاهر كراهية الباطل وأهله. و أهميتهما كثيرة بالنسبة للوقت الحاضر لأن الناس غافلون عن مميزات المؤمنين الذين يتميزون بها عن الكافرين ، لأنهم يوالون كفرة مردة و زهدوا فى المسلمين وحطو عن قدرهم.

الولاء والبراء فى الإسلام:

قال محمد بن سعيد القحطانى فى كتابه الولاء والبراء(ص:٩)و لقد قامت ألأمة الإسلامية بقيادة البشرية دهرًا طويلاً حيث نشرت هذه العقيدة الغرّاء فى ربوع المعمورة، و أخرجت الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد و من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

ثم ما الذى حدث؟ لقد تقهقرت هذه الأمة إلى الوراء بعد أن تركت الجهاد و أخذت بأذناب البقر: تراجعت بعد أن زهدت فى الجهاد و هو ذروة سنام الإسلام. تبعت الأمم الأخرى بعد أن ركنت إلى حياة الدعة والرفاهية والبذخ و المجون تبلبلت أفكارها بعد أن خلطت نبعها الصافى بالفلسفات الجاهلية والهرطقة البشرية. دخلت هذه الأمة فى طاعة الكافرين واطمأنت إليهم ، و طلبت صلاح دنياها بذهاب دينها فخسرت الدنيا و الآخرة و برزت صور موالاة الكفار فى أمور شتى منها: ١ ـ محبة

الكفار و تعظيمهم و نصرتهم على حرب أولياء الله ، و تنحية شريعة الله عن الحكم فى الأرض ورميها بالقصور و الجمود وعدم مسايرة العصر و مواكبة التقدم الحضارى.

٢. و منهااستيراد القوانين الكافرة. شرقية كانت أم غربية . و احلالها محل شريعة الله الغرّاء و غمز كل مسلم يطالب بشرع الله بـ (التعصب والرجعية والتخلف).

٣. و منها: التشكيك فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطعن فى دواوينها الكريمة والحطّ من قدر أولئك الرجال والأعلام الذين خدموا هذه السنة حتى وصلت إلينا.

٤. قيام دعوات جاهلية جديدة تعتبر ردّة جديدة فى حياة المسلمين . مثل: دعوة القومية الطورانية والقومية العربية و... الخ .

٥. إفساد المجتمعات الإسلامية عن طريق وسائل التربية والتعليم ، و بث سموم الغزو الفكرى فى المناهج والوسائل الإعلامية بكل أصنافها اهـ .

إلى أن قال : و لن يصل المسلمون الصادقون إلى هذه الدرجة الرفيعة إلا البراء من كل منهج و تشريع يخالف شريعة الله و البراء ة أيضاً من كل فكر يناقض هذه العقيدة التى كانت سبب نصرة و عزة السلف الصالح ....

الكلام فى الإعانة على المعصية و كون المسلم أجيراً للكافر والتفصيل فيه:

قال فى أحكام القرآن (٧٤/٣):(احتج أهل العلم باية الباب على المنع من معونة الظلمة و خدمتهم. أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن عبيد الله بن الوليد الرصافى :"أنه سأل عطاء بن أبى رباح عن أخ له كاتب فقال له:"إن أخى ليس له

من أمور السلطان شيئ إلا أنه يكتب له بقلم ما يدخل و ما يخرج ، فإن ترك قلمه صار عليه دين و احتاج ، و إن أخذ به كان له فيه غنى. قال : لمن يكتب ؟ قال : لخالد بن عبد الله القسرى، قال : ألم تسمع إلى ما قال العبد الصالح :"رب بما أنعمت عليه فلن أكون ظهيرا للمجرمين"؟ فلا يهتم أخوك بشيئ و ليرم بقلمه، فإن الله تعالى سيأتيه برزق".

و أخرج ابن أبى حاتم عن أبى حنظلة ـ جابر بن حنظلة الضبى الكاتب ـ "قال قال رجل لعامر : يا أبا عمرو ، إنى رجل كاتب أكتب ما يدخل و ما يخرج ، آخذرزقا أستغنى به أنا و عيالى ، قال : فلعلك تكتب فى دار تهدم، قال : لا ، قال : أسمعت ما قال موسى عليه السلام : "رب بما أنعمت عليه فلن أكون ظهيراً للمجرمين؟ " قال : لقد أبلغت إلى يا أبا عمرو، و الله عزوجل لا أخط لهم بقلم أبداً ، قال : و الله لا يدعك الله تعالى سبحانه بغير رزق أبداً".

و قد كان السلف يجتنبون كل الاجتناب عن خدمة الظلمة . أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر عن سلمة بن نبيط قال : بعث عبد الرحمن بن مسلم إلى الضحاك فقال : اذهب بعطاء أهل بخارى فأعطهم فقال : أعفنى ، فلم يزل يستعفيه حتى أعفاه ، فقال له بعض أصحابه : ما عليك أن تذهب فتعطيهم و أنت لا ترزؤهم شيئاً؟ فقال : لا أحب أن أعين الظلمة فى شيئ من أمرهم . و إذا صح حديث "ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة و أشباه الظلمة و أعوان الظلمة؟ حتى من لاق لهم دوا ة أو برئ لهم قلما ، فيجمعون فى تابوت من حديد فيرمى به فى جهنم" فليبك من علم أنه من أعوانهم على نفسه و ليقلع عما هو عليه قبل حلول رمسه.

و مما يقصم الظهر ما روى عن بعض الأكابر أن خياطاً سأله فقال : أنا ممن يخيط

للظلمة فهل أعد من أعوانهم؟ فقال : لا أنت من أعوانهم بل أنت منهم ـ أى من الظالمين ـ والذى يبيعك الإبرة من أعوانهم . فلا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم(روح بلفظه).

و لكن لا يخفى أن العون و الإعانة والتسبيب بشيئ أمر واسع ، يضيق عنه نطاق الحصر ، و له درجات متفاوتة قرباً و بعداً ، فإطلاق الحرمة على جميعها مطلقاً يلتحق بتكليف ما لا يطاق ، فإن مكاسب الإنسان كلها ينتفع بها كل إنسان براً كان أو فاجراً لا يمكن التحرز عنه ، ألا ترى أن من صنع ثياباً أو أوانى أو شيئاً آخر يحتاج إليه الناس عادة ، لا بد أن ينتفع به كل بر و فاجر و مسلم و كافر ، يشتريه من السوق فيوجد فيه شيئ من الإعانة للكافر والفاجر على كفره و فجوره ، و هو كما ترى ، و حينئذ فلا بد من تفصيل فى الكلام قد تصدى له الفقهاء رحمهم الله تعالى.

الاضطراب فى ظاهر كلام الفقهاء:

قال العبد الضعيف : و لكن ظاهر كلام الفقهاء رحمهم الله فى هذا الباب مضطرب و جزئيات الفتاوى فى أمر الإعانة على الظلم و المعصية بظاهرها متعارضة ، فبعضها تقضى الجواز و بعضها تصرح بالحرمة ، و بعضها بكراهة التحريم و بعضها بكراهة التنزيه ، كما لا يخفى على من تداول كتب الفقه.

الجواب عن الاضطراب:

و لكن يظهر على من أمعن النظر أن فى الإعانة درجات متفاوتة ، و اختلاف الفتاوى والأحكام فى جزئيات الإعانة بحسب درجات الإعانة . نعم ! يشكل على الناظر فى كلام الفقهاء تنفيح ضابطة سالمة عن النقض، يدار عليها الأحكام حرمة و

كراهة و إباحة ، والعبد الضعيف قد جمع مباحث هذا المطلب في جزء و جيز يسمى:"الاستبانة لمعنى التسبب و الإعانة" جمع فيه أولا الجزئيات الواردة في الفتاوى مع أحكامها و عللها من كلام الفقهاء. و اضطراب كلماتهم فيها ظاهراً .ثم ذكر صورة التوفيق بينهما ، و ذكر ضابطة تجمع أشتاتها على ماسنح له ، بعد إمعان النظر و إتعاب الفكر في حل هذه المعضلة . فلله الحمد، فمن رام التفصيل فليراجعه، وأذكر ههنا منها جزء جميلا نكفي للطالب والناظر.. إلى أن قال :

الإعانة على المعصية لا يتحقق إلا بالنية حقيقة أو حكما:

قال العبد الضعيف: الذى ظهر لي بفضل الله و منه في الفرق بينهما هو أن ما قامت المعصية هو ما كانت المعصية في نفس فعل المعين، بحيث لا تنقطع عنه نسبتها عن المعين بحيلولة الفاعل المختار ، سواء وقع عمل المعصية بعين هذا المحل أو بعد تغييره و إحداث صنعة فيه، هو المستفاد من كلام المبسوط والبدائع والزيلعي والعيني والعناية والكفاية والخلاصة والمنح ورد المحتار ، ثم كون المعصية في عين الفعل المعين على ثلاثة وجوه :

الأول : أن ينوى المعين الإعانة على المعصية و بقصدها.

والثاني : أن يصرح بفعل المعصية في صلب العقد فيسقط اعتبار النية.

والثالث : أن يتخصص هذا المحل لفعل المعصية و لا يكون له مصرف سواها ، مثل آلات الطرب التي ليس لها مصرف إلا الغناء والطرب

ففي الأوجه الثلاثة قامت المعصية بعين هذا الفعل، و صار فاعله معيناً على المعصية . و إن أمعنت النظر رجعت الأوجه الثلاثة إلى وجه واحد ، و هو القصد والنية

، فإن القصد متحقق فی الوجه الأول صراحة و فی الثانی والثالث حکما و معنی ، فإن الشرع أقام التصریح باللفظ مقام النیة فی عامة المعاملات : النکاح و الطلاق و العتاق والبیوع و أمثالها . و کذا إذا لم یکن المحل مستعملا عادة إلا فی المعصیة فقام ببیع هذا المحل و شرائه أیضاً مقام نیة المعصیة و قصده. و علی هذا فعاد الأمر کله إلی ما قال السرخسی فی شرح السیر و ما ذکره فی الأشباه. و علی هذا فاتفقت کلمات القوم کلها، فإن من قال : إن المدار علی قیام المعصیة بعینه أو غیره رجع قوله علی ما قلنا إلی قول من قال : إن المدار علی النیة والقصد کما عرفت ، و لله الحمد.

و حاصل ماقلنا کله : إن الإعانة علی المعصیة لا تتحقق إلا بنیة الإعانة حقیقة أو حکما ، بأن یصرح بقصد المعصیة سواء قصدها أولا ، أو کان المحل مخصوصاً بالمعصیة لا یستعمل إلا فیها.. إلی أن قال :

و أما فی زماننا الذی اشتد علی الناس الاجتناب من الحرام الصریح لتسلط الکفار والفجار علی سائر المکاسب . والمسلمون مضطرون إلی رخص یترخصون بها فی کسب المعاش حذراً من الوقوع فی أشد منه ، و قد قال علیه الصلوة و السلام: "کاد الفقر أن یکون کفراً" فلا یفتی بأمثال هذا تیسیراً علی الناس کیف و قد قال سبحانه و تعالی: "ما جعل علیکم فی الدین من حرج"؟

و من ههنا لما شاهد شیخنا أشرف العلماء قدس سره فی بلاد الهند حرجاً بینا و ضررا عظیما بعامة المسلمین فی ترک الخدمات والمناصب للحکومة المتسلطة برأسها ، صنف فیه رسالة سماها :"صائب الکلام فی حکم المناصب الحرام".

و حاصل کلامه فیه : إن اختیار هذه المناصب المحرمة لجلب المنفعة لنفسه أو

لغيره حرام كما هو حقيقة هذه المناصب ، إلا أنه إن أريد به دفع المضرة عن نفسه و عن المسلمين فيرجى أن لا يلحقه به إثم لكونه اختياراً لأهون البليتين و أخف الضررين كما هو معروف في قواعد الأشباه والنظائر. و نظيره : قول الفقهاء دفع النائبة و الظلم عن نفسه أولى ـ إلى قوله ـ و يؤجر من قام بتوزيعه بالعدل ، و إن كان الأخذ باطلا. وقوله : يؤجر من قام بتوزيعها بالعدل أي بالمعادلة كما عبر في القنية أي أن يحمل كل واحد بقدر طاقته ، لأنه لو ترك توزيعها إلى الظالم ربما يحمل بعضهم ما لا يطيق فيصير ظلما على ظلم ، ففي قيام العارف بتوزيعها بالعدل تقليل للظلم فلذا يؤجر (در مختار و رد المحتار قبيل باب المصرف من الزكو ة) ـ انتهى

قلت : و لعله يستأنس له بعمل يوسف عليه السلام في خدمة الخلق تحت امرة فرعون بالاستدعاء حيث قال :"اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" مع أن قانون فرعون كان على خلاف شريعة يوسف عليه السلام كما يستفاد من قوله تعالى : "ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك " الآية فإنه يحتمل أن يكون ذلك جائزاً في شريعة يوسف عليه السلام ، و ممنوعاً منسوخاً في شريعتنا بقوله تعالى : "و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون " و يحتمل أيضاً أنه اختار ذلك مع كونه محظوراً في شريعته في نفسه خدمة لعامة الخلق و دفعاً للضرور عنهم.

والحاصل : أن الاجتناب عن خدمة الظلمة و الكفرة أية خدمة كانت أولى و أحفظ لدين الرجل ما أمكن دفع الضرر عن نفسه و المسلمين بدونها ، و أما عند الاضطرار فالمرجو من كرمه سبحانه و تعالى أن لا يأخذ به عباده ، و لا سيما في الخدمات التي ليست من قبيل الإعانة ، و لا من قبيل التسبب بالسبب القريب بل

لها تسبب فی المعصية بالسبب البعيد . والله الموفق للصواب السداد ، و هو أرحم و أرأف بالعباد.

يجوز الاستعانة بالكفار و المنافقين والفساق فی الجهاد:

قالها الجصاص: أيضا بعدها بقوله : و هذا يدل أيضا على أنه جائز الاستعانة بالكفار فی قتال غيرهم من الكفار . و كذلك قال أصحابنا: إذا كانوا متی غلبوا كان حكم الإسلام هو الجاری دون حكم الكفر ، و متی حضرورا رضح لهم (أی يعطی لهم قليل من الغنيمة لا يبلغ مبلغ السهم للغازی) و ليس فی الآية دلالة على أن الذی استحقه الكافر بحضور القتال هو السهم أو ارضح.

قلت: أما التوفية و عدم البخس فهو لما هو حقه. و ماهو حقه هو السهم أو الرضح. فالآية ساكتة عنه . فی فتح القدير هل يستعان بالكافر عندنا إذا دعت الحاجة جاز . و هو قول الشافعی رحمه الله ، و ابن المنذر . و جماعة لا يجوزون ذلك.

و قال الشوكانی و إلی عدم جواز الاستعانة بالمشر ن ، ذهب جماعه من العلماء و هو مروی عن الشافعی .

وقال النووی : و ن الشافعی ، و آخرون . إن كان الكافر حسن الرای فی المسلمين ودعت الحاجة إلی الاستعانة ، به استعين به ، و إلا فيكره . و حمل الحديثين على هذين الحالين.

و فی المغنی للحنابلة: و لا يستعان بمشرك ثم قال : و عن أحمد ما يدل على جواز الاستعانة به . و كلام الخرقی يدل عليه أيضا عند الحاجة.

و اختاره فی الشرح الكبير. ثم قال إذا ثبت هذا فيشترط أن يكون من يستعان به

حسن الرأی فی المسلمین . فإن کان غیر مأمون علیهم لم تجز الاستعانة بهم. أه . و فی (رحمة الأمة فی اختلاف الأئمة) قال مالك، و أحمد: لا یستعان بهم ولا یعاونون علی الاطلاق . قال مالك إلا ان یکونوا خداماً للمسلمین فیجوز.

فعلم ان الراجح عند الأربعة إذا کانت حاجة، ولا یکون لهم شوکة ، و منعة، جواز الاستعانة بالکفار.

قال ابن حجر: تحت قوله ﷺ (و أن الله لیؤید هذا الدین بالرجل الفاجر) قال المهلب ، و غیره ، لا یعارض هذا قوله ﷺ . (لا نستعین بمشرك) لأنه إما خاص بذلك الوقت . و أما أن یکون المراد به الفاجر، غیر المشرك. قلت الحدیث أخرجه مسلم. و أجاب عنه الشافعی بالأول و حجة النسخ شهود صفوان ابن أمیة حنینا مع النبی ﷺ و هو مشرك. و قصته مشهورة فی المغازی. و قیل أنه ﷺ تفرس فی الذی قال له لا استعین بمشرك الرغبة فی الإسلام فرده رجاء أن یسلم فصدق ظنه. و فیه نظر . من جهة إنها نکرة فی سیاق النفی فیحتاج مدعی التخصیص إلی دلیل... إلی أن قال :

قلت: و لما دلت الآیة علی جواز الاستعانة بالکفار، فبالمنافقین و الفساق بالأولی . أما أن الکفار ما یعطی لهم من المغنم. فمن لا یجوّز الاستعانة لا یجوز شیئا منه . و من جوّزها اختلف فیه . فقال النووی و إذا حضر الکافر بالاذن رضخ له و لا یسهم له . هذا مذهب مالك ، والشافعی ، و أبی حنیفة والجمهور ، و قال الزهری، و الاوزاعی یسهم له.و فی أحکام القرآن للعلامة جمیل أحمد التهانویؒ (ص : ٣٥٦) و مابعدها:

لا یجوز لعن یزید والحجاج:

وقال الشیخ عبد الحق الدهلوی: اتفقوا علی تحریم لعن المعین و إن کان کافرا

إلا أن يعلم جزما أنه مات كافراً كأبى جهل و أمثاله.

و مثله فى المجمع. رامز إلى شرح جامع الأصول و لم ار خلافه إلا عن ابن العربى فى أحكام القرآن. و هو رأيه وحده.

فعلم أن لعن الكافر المعين من غير الله و رسوله لا يجوز إلا اذا تيقين موته على الكفر و إن لعن الكافر الغير المعين يجوز بحسب وصفه فليتنبه من يعتاد لعن المسلمين من حجاج و يزيد وغيرهم. إلى أن قال ...

و قال فى النبراس: قد صح عنه ﷺ اللعن بالوصف العام و على الشخص الهالك على الكفر، فوجب الاقتصار عليهما و بقى القسم الثالث محظورا.

قال ابن العربى فأما العاصى المعين فلا يجوز لعنه اتفاقا. لما روى أن النبى ﷺ جيئ إليه بشارب خمر مرارا فقال بعض : من حضر ماله لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال النبى ﷺ : "لا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم" و قال هذا حديث صحيح . و أما لعن العاصى مطلقا فيجوز اجماعا.

و رد القارى: ما فى شرح العقائد فى شرح الفقه الاكبر. و بالجملة اختلف فى اللعن على يزيد و حجاج و غيرهما و الاحوط عدم اللعن.

و ما فى روح المعانى إلى الجواز . و بسط فى البحث عنه.

و الراجح عندنا السكون. فمحمل أحاديث المنع كما روى فى الأحياء : "المؤمن ليس بلعان" و كما رواه مسلم:"لا يكون اللعّانون شفعاء و لا شهداء يوم القيامة" و مثل ذلك هو ما قال النواوى : و انما قال رسول الله ﷺ : "لا ينبغى لصدّيق ان يكون لعانا" وقال : " لا يكون اللعانون شفعاء" بصيغة التكثير و لم يقل لاعنا و اللاعنون لأن هذا

الذم في الحديث إنما هو لمن كثر منه اللعن لا لمرة و نحوها و لأنه يخرج منه أيضا اللعن المباح . و هو الذى ورد الشرع به و هو "لعنة الله على الظالمين" لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الواصلة والواشمة و شارب الخمر و آكل الربا و موكله و كاتبه و شاهديه و المصوّرين و من انتمى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه أو غير منار الأرض و غيرهم ممن هو مشهور في الأحاديث الصحيحة.

قال : و نقول : الله اعلم فيما اشتبه علينا علمه.

الشرح:۔

وقد قال الإمام الطحاوى : (انه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عزوجل و لرسوله ﷺ و ردّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه) . و قد أمر الرحمان سيدنا محمد ﷺ أن يرد علم ما لا يعلم إليه : قال الله تعالى :﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(الكهف:٢٦) و قال تعالى :﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾(الكهف:٢٢)و قد أخرج البخارى و مسلم في صحيحيهما قوله صلى الله عليه و سلم : لما سئل عن أطفال المشركين (الله اعلم بما كانوا عاملين) لذلك يتحتم علينا أن نقول في كل علم لا نعلمه (الله اعلم).

الفائدة الأولى:

إنكار الحافظ ؒ التفويض و التأويل معاً:

اعلم أن الإمام الطحاوى ؒ أشار في هذه المتن إلى مذهب السلف لأن مذهب السلف في الصفات المتشابهة التى لا يحاط بها العلم هو تفويض علمها إلى الله مع القول بغاية التنزيه والتقديس له تعالى و أما الخلف فتأويلهم كانت صيانة لدفع

الزيغ قال الإمام الكوثري في تعليقه على كتاب "تبين كذب المفتري" حين وصف "الإبانة" : وهي على طريقة المفوّضة في الإمساك عن تعيين المراد، و هو مذهب السلف، و أراد بها انتشال المتورّطين في أوحال التشبيه من الرواة، والتدرج بهم إلى مستوى الاعتقاد الصحيح . و مذهب الخلف ترجيح أحد المعاني المحتملة مما يوافق التنزيه استناداً على قرائن الكلام و استعمال أهل اللسان . فالسلف والخلف متّفقان في صرف المتشابه عن ظاهره الموهم للتشبيه . فالفريق الأول يكتفي بالتأويل الإجمالي و يتورع عن الخوض في تبيين المراد. والفريق الثاني اضطر إلى تطلّب ذلك دفعاً لتمويهات المشبّهة ممن لا حظّ لهم من الإسلام غير أن جعلوا صنمهم الأرضي ضنماً سماوياً ، و لا رابع لهؤلاء الفرق.(١)

وقد سلك شارح العقيدة الطحاوية مسلك الحافظ ابن تيمية في الصفات المتشابهة و كان الحافظ ينكر التفويض والتأويل معاً قال في الموافقة (١١٨/١) بهامش منهاج السنة : (إن التفويض من شر أقوال أهل البدع والإلحاد) و قال في التأسيس: (إن العرش في اللغة السرير، و ذلك بالنسبة إلى ما فوقه كالسقف بالنسبة إلى ما تحته ، فإذا كان القرآن جعل عرشا و ليس هو بالنسبة إليه كالسقف علم أنه بالنسبة إليه كالسرير بالنسبة إلى غيره، و ذلك يقتضي أنه فوق العرش" اهـ فإذن العرش عنده مقعده تعالى، تعالى عن ذلك.

و في الكتاب المذكور له أيضا:" فمن المعلوم أن الكتاب والسنة و الإجماع

---

١ ـ نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه... (ص :٩) للمحقق وهبي سليمان غاوجي.

لم تنطق بأن الأجسام كلها محدثة، و أن الله ليس بجسم، و لا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين، فليس في تركي لهذا القول خروج عن الفطرة و لا عن الشريعة" ا هـ . . . ، و أين ذهبت آيات التنزيه؟

لعله ينتظر أن ينص على كل سخافة يراها سخيف، ألم يكف قوله تعالى:(ليس كمثله شيئ) ؟ أم يبيح أن يقول يأكل هذا و يمضغ هذا و يذوق هذا لأنها لم تذكر؟ . . . .إلخ إلى أن قال:

وقال في موضع آخر منه: "قلتم ليس هو بجسم و لا جوهر و لا متحيز و لا جهة له و لا يشار إليه بحس، و لا يتميز منه شيئ من شيئ، وعبرتم عن ذلك بأنه تعالى ليس بمنقسم و لا مركب و أنه لاحد له و لا غاية، تريدون بذلك أن يمتنع عليه أن يكون له حد و قدر أو يكون له قدر لا يتناهى، فكيف ساغ لكم هذا النفي بلا كتاب و لا سنة" اهـ . و يغني ذكاء المطالع عن التعليق . . . . إلى أن قال:

و في موضع آخر منه أيضا "و من المعلوم بالاضطرار أن اسم الواحد في كلام الله لم يقصد به سلب الصفات - يريد ما يشمل المجيئ و نحوه - و لا سلب إدراكه بالحواس، و لا نفي الحد و القدر و نحو ذلك من المعاني التي ابتدع نفيها الجهمية و أتباعهم و لا يوجد نفيها في كتاب و لا سنة" اهـ . و هذا من الصراحة بمنزلة ما سبق.

و صرح في "موافقة المعقول" له في هامش منهاجه(٢ - ٧٥) بقيام الحوادث بالله سبحانه، و يصرح في منهاجه(١ - ٢٦٤) بأنه تعالى في الجهة على التقديرين. و قد علمت قول الأئمة فيمن يثبت لله جهة قاصداً معناها بدون أن

يكون تلفظه بها من قبيل سبق اللسان أو سبق القلم. و إثبات الحركة له تعالى مع المثبتين في موافقة المعقول في هامش المنهاج (٢-٢٦) و في (٢- ١٣) و قوله في إنكار الخلود في النار قد ملأ الكون . و كذا قوله بالقدم النوعي. راجع ما ذكره ابن تيمية في نقد"مراتب الإجماع لابن حزم ص ١٦٩) (كذا في "المقالات" للإمام الكوثري ص: ٢٤٢ و مابعدها) .

و أما التأويل فكان ينكر عليه أشد الإنكار فمن أوّلَ رماه بالجهمية ولم ينج منه حتى الكبار مثل الإمام الترمذي صاحب الجامع الصحيح .و في مختصر الصواعق(٢/٢٧٥) و أما تأويل الترمذي و غيره له بالعلم فقال شيخنا:(هو ظاهر الفساد من جنس تأويلات الجهمية ...) لذلك قال شيخ مشائخنا الإمام الأنور في حقه :" أما الحافظ ابن تيمية رحمه الله تعالى فإنه و إن نسب الزيادة و النقصان إلى إمامنا رحمه الله تعالى ، لكنّ في طبعه سورة وحِدّة ، فإذا عَطَفَ إلى جانب عَطف ولا يبالي ، و إذا تصدى إلى أحد تصدى و لا يُحاشي، و لا يُؤمَنُ مثله من الإفراط و التفريط ، فالتردد في نقله لهذا، وإن كان حافظاً متبحراً .[1]

الفائدة الثانية:-

الفرق بين الخلف و أهل البدعة في التأويل :

وهو أن أهل البدعة يأولون و ينكرون التفويض والخلف لا ينكرون التفويض بل يستحسنونه فما يقال أن الجويني والغزالي و الرازي رحمهم الله

١- انظر في فيض الباري(ص: ١٣٤).

رجعوا عن التأويل لا يصح النقل عنهم اللهم إلا أن يقال أنهم مع تأويلهم للآيات المتشابهة اختاروا التفويض لأن الأصل هو التفويض والتأويل للضرورة و أن الأفضل والأولى و الأحكم هو التفويض فهؤلاء الأفاضل كانو يؤولون النصوص ثم اختاروا التفويض مع أنهم كانو يرون التفويض من قبل أيضا.

فاختيار وجه من الوجهين الصحيحين لا يعنى الطعن فى أحدهما و رده لذلك نرى المحققين يختارون التفويض مع التنزيه و إن كانوا يرون التأويل كما مال إليه الحافظ ابن حجر فى "الفتح" (٣٨٣/١٣) قال "والصواب الإمساك عن أمثال هذه المباحث والتفويض إلى الله فى جميعها والاكتفاء بالإيمان بكل ما أوجب الله فى كتابه أو على لسانه نبيّه ..." انتهى.

و إلى هذا أشار إليه الملا على القارىؒ فى شرح فقه الأكبر (ص٣٨). و قال الدكتور محمد عادل الحسينى فى كتابه "عقيدة الإمام الشوكانى" (ص:١٠): "قلت: الصواب خلاف ما قال الذهبى فى السير حيث إن الإمام الجوينى والغزالى والرازى لم يثبت عنهم ذلك التراجع على التحقيق و على فرض ثبوته عنهم فإنا نحتاج إلى نص عباراتهم، أما ما نقل عن الجوينى والغزالى والرازى رحمهم الله تعالى فى العبارة "اللهم إيماناً كإيمان العجائز" لا يعنى هذا نقض ما قرروه فى المسالك النظرية و ذلك لأن ما تؤمن به العجائز هو الأمر البدهى و عندهم أن قضايا التوحيد بدهية فى قلوبهم و يحذرون العوام من الخوض فيها و يصرح للعالم فى التحدث فيها بشروط سبعة كما بينها الإمام الرازى فى أساس التقديس.

و رجوع هؤلاء الأئمة على فرض صحته هو رجوعهم من التأويل إلى

التـفـويض . و التفويض كما ذكر الشوكانى : أن لهذه الآيات تأويلاً و لكنا نمسك عـنـه مـع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه و التعطيل لقوله تعالى (و ما يعلم تأويله إلا الله) قال ابن برهان و هذا قول السلف.

و قـال الشـو كـانـى أيـضـا: قال إمام الحرمين الجوينى ذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل و تفويض معانيها إلى الرب تعالى.

قال : و نرى المسح على الخفين فى السفر و الحضر كما جاء فى الأثر.

الشرح:۔

هـذا الـنـص و الـذى بـعـده فيـه رد عـلـى الـروافض و فيه اشارة إلى انحرافهم فى الـعـبـادات و فى التالى اشارة إلى انحرافهم فى العقائد وبعد أن رد على المذاهب والآراء الـهـدامة مـن الـمـعـتـزلة والـخـوارج والـمـجـسـمـة و غيرها الموجودة فى عصره بدء بـالـروافـض، فـالـرافضة تخالف هذه السنة المتواترة و قد قال الحسن البصرى : حدثنى سبعون رجلاً من أصحاب النبى ﷺ أنه مسح على الخفين (معارف السنن: ١/ ٣٣١).

و فـى شـرح الـمـنية : قال الكرخى : أخاف الكفر على من لم ير المسح على الخفين لأن الآثار جاء ت فيـه فى حيز التواتر ، و عن أبى حنيفة : ما قلت : حتى جاء نى فيه مثل ضوء النهار ، و روى عن أبى حنيفة أنه سئل عن مذهب أهل السنة و الجماعة فقال : هو أن تـفـضّـل الشـيـخـيـن (أبـو بـكرؓ و عمرؓ) و أن تحبّ الختنين (عثمانؓ و علىؓ) و أن ترى المسح على الخفين.

بعض النماذج من المسائل الفقهية فى فقه الروافض :

١. يقولون بطهارة المذى.

٢. يقولون بعدم انتقاض الوضوء بخروج المذى ، و قولهم بطهارة الودى.

٣. أن زرق الديك و الدجاجة طاهر عندهم.

٤. ليس عندهم غسل كل الوجه فرضًا.

٥. يقولون : إن الوضوء مع غسل الجنابة حرام.

٦. اداء الصلوة الأربع : يعنى الظهر و العصر و المغرب و العشاء متصلة بينها لانتظار خروج المهدى ، كذا فى مختصر التحفة الاثنى عشرية.

قال الإمام الطحاوىؒ: "و نرى المسح على الخفين فى السفر و الحضر كما جاء فى الأثر"

قال السقاف فى صحيفة (٦٤٣) :"لا معنى لإيراد هذه المسألة هنا فى كتب العقائد ، و إنما مكانها فى باب المسح على الخفين فى كتاب الطهارة من كتب الفقه..."

أقول : غالط السقاف فى هذا أليس الإمام الطحاوى هو الذى كتب شرح معانى الآثار وغيره من كتب الفقه و أصول الاختلاف وغيره ، أفلا يعرف أن ورود هذه المسئلة أو المسئلة الفلانية يجب أن توضع هنا أو هناك ، بل يعرف هذا الإمام كل ذلك .

و ما يجب أن ابينه هو أن هذا الكتاب فيه بيان العقائد و فى العقائد الرد على الفرق الباطلة و من بين هؤلاء الفرق الشيعة و من سلك مسلكهم فالإمام الطحاوىؒ بين لأهل السنة والجماعة أن أهل السنة و الجماعة يرون المسح على الخفين و الشيعة وغيرهم من الفرق الضالة لا يرونه فلهذا ذكره فى هذا الموضع ، و ليس الإمام الطحاوىؒ هو الذى تفرد بذكره فى هذا .

١ ـ و فى الفقه الأكبر للإمام الهمام النعمان رضى الله الذى فيه بيان العقائد قال :(والمسح على الخفين سنة) أى ثابت بالسنة التى كادت أن تكون متواترة .

٢ ـ و فى العقائد النسفية مع شرحه شرح العقائد للامام التفتازانى (١١٧) و نرى المسح على الخفين في السفر والحضر قال شارحه : و إن كان زيادة على الكتاب لكنه بالخبر المشهور . و قال محشيه : أما مسح الخفين للمتخفف فثابت بالمتواتر عن رسول الله ﷺ بلا شبهة قال الإمام تاج العارفين الشيخ الحسن البصرى قد سمعت عن سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ أنه ﷺ مسح على الخفين)

و قول السقاف :(و الأمة لم تجمع على المسح على الخفين فأئمة العترة المطهرة والزيدية و الإمامية و الإباضية و مالك فى اخر أقواله على عدم جواز المسح على الخفين بالاضافة إلى خلاف جار فى عهد الصحابة) باطل بل الكلام على عكس مايقوله و إليك الدليل:

١ ـ قال الإمام النووى فى شرح مسلم (١٧/٢) : أجمع من يعتد به فى الإجماع على جواز المسح على الخفين فى السفر و الحضر، سواء كان لحاجة أو لغيرها حتى يجوز للمرأة الملازمة بيتها والزمن الذى لايمشى ، و إنما أنكرته الشيعة والخوارج و لا يعتد بخلافهم ، و قد روى عن مالك رحمه الله تعالى روايات فيه ، و المشهور من مذهبه كمذهب الجماهير ، و قد روى المسح على الخفين خلائق لا يحصون من الصحابة. قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : حدثنى سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يمسح على الخفين ، و قد بينت أسماء جماعات كثيرين من الصحابة الذين رووه فى شرح المهذب ...)

فثبت من قول الإمام النووی أولاً أن المسح علی الخفین فیه إجماع و بطل قول السقاف أن الأمة لم تجمع علیه.

ثانیاً ثبت منه أن اختلاف الزیدیة و الإمامیة و غیرها من الفرق التی اتخذت طریقاً غیر طریق أهل السنة والجماعة لایعبأ بإختلافهم و لا یعتبر کما مر.

٢۔ نقل الإمام القرافی فی کتابه الزخیرة(١/٣٢٢) :(قال ابن وهب فیها : آخر ما فارقته علیه المسح فی السفر و الحضر)

٢۔ و فی تبیین السالک المالکی (١/٢٣٥) قال : (والمسح علی الخفین جائز عند الأئمة وحدیثه متواتر قال ابن جزی :(أما الخفان فیجوز المسح علیهما عند الأئمة الأربعة ، فی السفر و الحضر) اه.

٣۔ قال المحدث الشهیر شیخ مشائخنا فی کتابه أوجز المسالک (١/٤٣٧):(ثم قال ابن المنذر عن ابن المبارک : لیس فی المسح علی الخفین من الصحابة اختلاف لأن کل من روی عنه فیهم إنکاره روی إثباته ، و صرح جمع من الحفاظ بأن أحادیثه متواترة المعنی ، و جمع بعضهم رواته ، فبلغوا مائیتین ، قال الکرخی أخاف الکفر علی من لا یری المسح علی الخفین ، و سئل أنس بن مالک رضی الله عنه عن علامات أهل السنة والجماعة ؟ فقال : أن تحب الشیخین ، و لا تطعن الختنین، و تمسح علی الخفین ، و روی عن الإمام أبی حنیفة فی شرائط أهل السنة أنه قال : أن تفضّل الشیخین ، و تحب الختنین، و تمسح علی الخفین ، و روی عنه رضی الله عنه أنه قال : ما قلت بالمسح حتی جاء نی مثل ضوء النهار . و لو لا أنه لا خلف فیه ما مسحنا .

و قال ابن عبد البر: لا أعلم أحداً أنکره إلا مالکاً فی روایة . أنکرها أکثر أصحابه .

و الروايات الصحيحة عنه مصرحة بإثباته ، و موطوه يشهد للمسح فى الحضر والسفر ، و عليها جميع أصحابه .آه.

و اثبت الباجى رجوع الإمام إلى المسح فى السفر والحضر ، فاتفقت الأمة كلها على جوازه إلا شر ذمة من المبتدعة كالخوارج ظناً منهم أنه لم يرد به القرآن ، و كالشيعة ظناً منهم أن علياً رضى الله عنه امتنع منه ، و رد الأول بحمل القراء تين فى اية الوضوء على الحالتين ، بيّنهما الحديث ، و رد الثانى بأنه لم يثبت بمثله .

قال فى "الاستذكار" بعد ذكر الحديث الآتى : و فيه دليل على الحكم الحليل الذى فرق بين أهل السنة و أهل البدع ، الذى لا ينكره إلامبتدع خارج عن جماعة المسلمين أهل الفقه و الأثر ، لا خلاف بينهم فى ذلك بالحجاز والعراق والشام و سائر البلدان ، إلا قوم ابتدعوا، فانكروا المسح على الخفين و قالوا : إنه خلاف القرآن و عسى القرآن نسخه ، و معاذ الله أن يخالف رسول الله ﷺ كتاب الذى جاء به قال تعالى :(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِد) الآية۔ والقائلون بالمسح هم الجم الغفير والعدد الكثير ، اللذين لا يجوز عليهم الغلط و لا التواطؤ ، و هم جمهور الصحابة والتابعين و فقهاء المسلمين .

و قد روى مالك الانكار فى الحضر [والسفر] والروايات عنه بإجازة المسح أكثر و أشهر ، و على ذلك بنى موطأه ، و هو مذهبه عنه كل من سلك اليوم سبيله ، لا ينكره منهم أحد ، والحمد لله انتهى .

٤ ـ و قال الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره الشهير (٣٠٧/٤) : (و أما الفقهاء فقالوا : ظهر عن بعض الصحابة القول به و لم يظهر من الباقين إنكار ، فكان ذلك إجماعاً من

الصحابة ، فهذا أقوى ما يقال فيه).

٥- و في الفتح الباري (٣٠٥/١):(نقل ابن المنذر عن ابن المبارك قال : ليس في المسح على الخفين عن الصحابة اختلاف ، لأن كل من روى عنه منهم إنكاره فقد روى عنه إثباته ، و قال ابن عبد البر : لا أعلم روى عن أحد من فقهاء السلف إنكاره إلا عن مالك، مع أن الروايات الصحيحة عنه مصرحة بإثباته .... و قال ابن المنذر اختلف العلماء أيهما أفضل : المسح على الخفين ، أو نزعهما و غسل القدمين قال : و الذي اختاره أن المسح أفضل لأجل من طعن فيه من أهل البدع من الخوارج و الروافض ، قال : و إحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن أفضل من تركه اه.

٦- و في الفتح الملهم شرح مسلم (٥/٢) قال الشيخ بدر الدين العيني رحمه الله : "واعلم أنه قد رودت في المسح على الخفين عدة أحاديث تبلغ التواتر على رأى كثير من العلماء ، قال الميموني عن أحمد : فيها سبعة و ثلاثون صحابياً ، و في رواية الحسن بن محمد عنه : أربعون كذا قاله البزار في مسنده ، و قال ابن أبي حاتم : أحد و أربعون صحابياً . و في الأشراف عن الحسن : حدثني به سبعون صحابياً".

٧- و في البدائع :"المسح على الخفين : جائز عند عامة الفقهاء و عامة الصحابة.... فكان الجحود ردًا على كبار الصحابة ، و نسبة إياهم إلى الخطأ فكان بدعة.... " اه

٨- قال الحافظ :"و قدصرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر ، و جمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين و منهم العشرة" فثبت من أقوال هؤلاء الأئمة الأعلام الاجماع على المسح و من بعضهم تواتره و نقلنا من أصحاب مذهب مالك خلاف ما نقله السقاف.

الإمـام البـاجـی نـقل رجوعه عنه و ابن وهب قال :(اخر ما فارقته عليه المسح فی الحضر والسفر)

توجيه الروايات التى نقلت عن الإمام مالك فى عدم جواز المسح على الخفين:

الرواية التى نقلت فى البحر: (و روى ابن أبى ذئب عن مالك أنه أبطل المسح على الـخـفيـن فـى أخر أيامه) ، فى مقابلها رواية ابن وهب : قال: "اخر ما فارقت مالكا على الـمسح فـى الـحـضر والسفر" و قويت هذه الرواية الإمام الباجى ورد رواية الإنكار بل وجهها بـأن الـمـراد منهـا:" أن الـكـلام فى الأفضلية" قال الباجى : "رواية الإنكار فى "العتبية" و ظاهر ها المنع ، و إنما معناها أن الغسل افضل من ا لمسح (لا أن المسح غير ثـابـت" (أمـا الـكـلام فى الأفضلية فلا بحث لنا فيها) قال : ابن وهب : "اخر ما فارقت مـالـكـا على المسح فى الحضر و السفر و هذا هو الحق الذى لا شك فيه"، فما قال ابن الـحـاجـب عـن مـالك من جوازه فى السفر دون الحضر غير صحيح . لأن المسح على الخف متواتر عن النبى ﷺ . (١)

ثم إن الإمام ابن عبد البر المالكى رد رواية الإنكار و أثبت أن أكثر أصحاب الإمام مـالك ردوا رواية الإنـكـار بـقـولـه: (لا أعلم أحداً أنكره إلا مالكا فى رواية أنكرها أكثر أصـحـابـه ، و الـروايـات الـصـحـيـحة عنه مصرحة بإثباته ، و موطأه ، يشهد للمسح فى الـحـضـر والسـفـر ، و عليه جميع أصحابه ، و جميع أهل السنة). فهؤلاء كبار أصحاب

١ـ تفسير ضواء البيان (١٧/٢)

مذهب مالك و هم أدرى بالبيت بما فيه و هم من كبار محققي مذهبه فقولهم أحق بالقبول بحيث لا يبقى فيه أدنى شك و توجيههم في رواية الإنكار و الإثبات أحق بالاتباع فهم نفوا رواية الإنكار و قالوا بالإثبات ووجهوا الإنكار فانتفى. وبطل في ضمنه قول السقاف هذا :(أقول لقد تراجع الإمام مالك عما يصفه ابن عبد البر بالروايات الصحيحة ...)

و قول السقاف :(واعترف بذلك ابن تيمية كما في الفتاوى الكبرى) ، لا يجديه شيئا لأن قوله :(أنكره بعض الصحابة) صحيح و يشهد له أول حديث البخاري في المسح على الخفين رقم (٢٠٢) و المنكر كان سيدنا ابن عمر رضي الله عنه و رفع انكاره .

و قوله : (و مالك مع سعة علمه و علو قدره أنكره في رواية) و قد بينا الروايات عنه و ما صح عنه وعن أصحابه الكرام و قوله :(أنكر في رواية) يدل على أن له رواية أخرى تثبت المسح وهي التي صححناها و نقلناها و أثبتناها.

و قوله : (هذا صح فيه الخلاف عن الصحابة ....) و لم يفصل.

وقد نقلنا قول ابن المبارك عن الفتح أنه قال : ليس في المسح على الخفين عن الصحابة اختلاف . وانظر إلى قول الحافظ رحمه الله في الفتاوى :(٩٤/٢١) قد استفاض عنه في الصحيح أنه مسح على الخفين، و تلقى أصحابه عنه ذلك فاطلقوا القول بجواز المسح على الخفين).

و في النيل (٢٣٩/١) : و قال الإمام أحمد : فيه أربعون حديثا عن الصحابة مرفوعة.

و قول السقاف : قال المصنف رحمه الله تعالى : (حدثني زيد بن علي عن أبيه ،

عـن جده ، عن على عليهم السلام أن رسول الله ﷺ مسح قبل نزول المائدة فلما نزلت المائدة لم يمسح بعدها)

هـذه الـرواية الشيعية تقضى عليها الرواية السنية و هى التى فى صحيح مسلم : عن شـريـح ابن هانئ قال : أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين ؟ فقالت عليك بإبن أبى طالب فاسأله فإنه كان يسافر مع النبى ﷺ فسألناه فقال :(جعل النبى ﷺ ثلاثة أيام للمسافر و يوماً و ليلة للمقيم)

و روى كـذلك هـذا الـحـديـث الـتـرمـذى والـنسـائـى و أحمد. فلأى شيئ نترك الـروايـات الـصـحـيـحة الـثـابتة عن أئمتنا ونتبع الروايات الشيعية؟ ! و أى فكر هذا الذى يدعوا إليه السقاف؟!!

و قـال الـحافظ ابن حجر فى الفتح البارى (٣٠٧/١) :(و فيه الرد على من زعم أن المسح على الخفين منسوخ باية الوضوء التى فى المائدة لأنها نزلت فى غزوة المريسيع و كانت هذه القصة فى غزوة تبوك ، و هى بعدها باتفاق)

و قول السقاف :الشرح :(أخرج المؤيد بالله من "شرح التجريد" ما يشهد لصحته ...) بطل الأصل وبطل شاهده الذى يشهد لصحته .

و فـى نيـل الأوطـار: (٢٤٠/١)فـقـال ابـن بهـران :(لم أر هذه القصة فى شيئ من كـتـب الـحـديث . و يدل لعدم صحتها عند أئمتنا أن الإمام المهدى نسب القول بمسح الخفين فى البحر إلى على عليه السلام).

و مـا سـاق السـقـاف الـروايـات فى إنكار المسح عن إبن عباس رضي الله عنه و عائشة رضي الله عنها و أبى هريرة رضي الله عنه و على رضي الله عنه فالجواب : أنه قال فى نيل الأوطار :(٢٣٩/١) و ما روى عن عائشة و ابن

عباس و أبى هريرة رضى الله عنهم من إنكار المسح فقال ابن عبد البر: لايثبت قال أحمد لا يصح حديث أبى هريرة فى إنكار المسح و هو باطل .

و قد روى الدار قطنى عن عائشة القول بالمسح ، و ما أخرجه ابن أبى شيبة عن على أنه قال : سبق الكتاب الخفين فهو منقطع . و قد روى عنه مسلم و النسائى القول به بعد موت النبى ﷺ، و ما روى عن عائشة أنها قالت : أقطع رجلى أحب إلى من أن أمسح عليهما ففيه محمد بن مهاجر ، قال ابن حبان كان يضع الحديث.

قوله :(و هذه الأدلة حجة القائلين بنسخ سنية المسح على الخفين بالآية الكريمة)، و هذا باطل لا صحة له و أين الدليل؟ و أين النسخ ؟ قال فى نيل الأوطار (١/ ٢٤٠) و أما دعوى النسخ فالجواب أن الآية عامة مطلقاً باعتبار حالتى لبس الخف و عدمه فتكون أحاديث الخفين مخصصة أو مقيدة فلا نسخ . و قد تقرر فى الأصول رجحان القول ببناء العام على الخاص مطلقاً. و أما من يذهب إلى أن العام المتأخر ناسخ فلا يتم له ذلك إلا بعد تصحيح تأخر الآية وعدم وقوع المسح بعدها . و حديث جرير نص فى موضع النزاع ، والقدح فى جرير بأنه فارق علياً ممنوع)

قوله : و هو إجماع أهل البيت المحقق لانحصارهم فى زمن الصحابة...) باطل قال الشوكانى فى نيل الأوطار (٢٤١) هو إجماع ظنى ، و قد صرح جماعة من الأئمة منهم الإمام يحيى بن حمزة بأنها تجوز مخالفته ، وأيضا فالحجة إجماع جميعهم ، و قد تفرقوا فى البسيطة و سكنوا الأقاليم المتباعدة و تمذهب كل واحد منهم بمذهب أهل بلده فمعرفة إجماعهم فى جانب التعذر.

وقوله : و لكن اهمال الخصوم لدليله كالجواب عنه فى قوله ﷺ "انظروا كيف

تخلفونى فيهما" و أقول : إن محبة ال البيت من الدين فمن أبغضهم أو أساء إليهم فالدين منه برئ ، و أى مؤمن لا يواليهم و لا يحبهم؟لأن رسولنا أمرنا بمحبتهم.

و أما إثبات الدين بالإسناد و لو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء و فى الموضوعات (:٣٩/١): قال حماد بن سلمة: (حدثنى شيخ لهم ـالرافضةـ قال : كنّا إذا اجتمعنا فاستحسنا شيئاً جعلناه حديثاً) فما ثبت من العترة بالإسناد الصحيح كيف لا يقبله علماء الأمة الإسلامية و لم نر فيما نعلم من رد أحاديثهم الصحيحة و آراؤهم الصحيحة.

قال : والحج و الجهاد ماضيان ، مع أولى الأمر من المسلمين، برّهم و فاجرهم إلى قيام الساعة لايبطلهما شيئ و لا ينقضهما

الشرح:ـ

و كما اسلفنا أن الإمام فى هذا النص يشير إلى رد بعض عقائد الرافضة و أصولهم و مسلماتهم وهو زعمهم: أن لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمدﷺ و ينادى منادٍ من السماء اتبعوه و لما كان الجهاد من ضروريات الدين نريد أن نوضح بعض الأبحاث المهمة بالنسبة له .

١ـ الجهاد :

لغة هو بذل الوسع و هو عام يشمل المجاهدبكل أمر بمعروف و نهى عن المنكر و فى الشرع : الدعاء إلى الدين الحق و قتال من لم يقبله وعرفّه ابن الكمال بأنه بذل الوسع فى القتال فى سبيل الله مباشرة ، أو معاونة بمال أو رأى أو تكثير سواد أو غير ذلك و للتفصيل انظر الرد مع الدر (١٩٣/٦).

۲. أغراض الجهاد:

(۱) هو تعبيد الناس لله وحده و اخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد و إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعًا و إخلاء العالم من الفساد قال الإمام محمد بن الحسن فى السير الكبير (۱:۸۸) فرضية القتال المقصود منها اعزاز الدين و قهر المشركين).

(۲) رد اعتداء المعتدين على المسلمين قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ۱۹۰)

(۳) إزالة الفتنة عن الناس حتى يستمعوا إلى دلائل التوحيد من غيرعائق و الفتنة ثلاثة انواع:

۱. ما يمارسه الكفار من أشكال التعذيب و التضيق على المسلمين ليرتدوا عن دينهم.

۲.الأوضاع و الأنظمة الشركية و ما ينتج عنها من فساد فى شتى. مجالات الحياة، و من إزالة الفتنة عن المسلمين فك أسراهم فإن من شأن الكفار أنهم يفتنون الأسرى عن دينهم قال الفقهاء: إن فك الأسير فرض عين على المسلمين، و يتعين عليهم الجهاد حتى يستنقذوا أسرى المسلمين جميعًا.

۳.فتنة الكفار انفسهم و صدّهم عن استماع الحق و قبوله لذا كان من أهداف الجهاد إزالة الفتنة عن الكفار أنفسهم بالإضافة إلى إزالتها عن المسلمين من باب أولى.

۳. حماية الحكومة الإسلامية من شر الكفار:

۴. قتل الكافرين و ابادتهم و محقهم: قال الله تعالى: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا

فضرب الرقاب﴾(محمد : ٤)

٥. ارهاب الكفار و اخزاؤهم و اذلا لهم و ايهان كيدهم و إغاظتهم: قال الله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدو كم﴾(سورة الانفال : ٥٩).

فوائد ممارسة الجهاد فی ذوات المسلمين :

١. كشف المنافقين : ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾(سورة آل عمران ١٧٩)

٢. تمحيص المؤمنين من ذنوبهم : قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾(سورة آل عمران ١٤٠)

٣.تربية المؤمنين على الصبر والثبات و الطاعة و بذل النفس و غير ذلك من الفوائد التربوية:

٤. الحصول على الغنائم و السبى.

و قال الإمام البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه باب الجهاد ماضى مع البر و الفاجر ، لقول النبى ﷺ (الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة) قال الإمام ابن حجر فى شرحه لهذه الترجمة: (سبقه إلى الاستدلال بهذا الإمام أحمد لأنه صلى الله عليه و سلم ذكر بقاء الخير فى نواصى الخيل إلى يوم القيامة و فسّره بالأجر و المغنم و المغنم المقترن بالأجر إنما يكون من الخيل بالجهاد و لم يقيد ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً فدل على أن لا فرق فى حصولِ هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر .(فتح البارى ٦:٤٢) و للتفصيل فى هذا الموضوع و تكميله

انظر أهداف الجهاد للدكتور على بن نفيع العلياني ، و قد نقلنا ما قدمنا عن رسالته كما نقل العلامة الشيخ تقى العثمانى منه.

و الجهاد على قسمين :

١. جهاد الدفع : و هو فرض عين إذا هجم العدو على ثغور المسلمين قال الإمام الجصاص فى أحكام القرآن (١١٤/٣) و معلوم فى اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدوّ ، و لم تكن فيهم مقاومة لهم ، فخافوا على بلادهم و انفسهم و ذراريهم ، أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكفّ عاديتهم عن المسلمين ، و هذا لا خلاف فيه بين الأمة ، إذ ليس من قول أحد من المسلمين اباحة القعود عنهم ، حتى يستبيحوا دماء المسلمين و يسبى ذراريهم).

٢. جهاد الإبتداء : و الجمهور على أنه فرض كفاية بشرط الإستطاعة ، إذ اقام له بعض المسلمين سقط عن الباقين ، إلا أن يتطوعوا بذلك و هدف جهاد الإبتداء أحد الأمرين :

(١) أما أن تعتنق البلاد الكافرة الإسلام .

(٢) و أما أن يؤدوا الجزية و حينئذٍ يتركون على عقيدتهم ، و لكنهم لايتركون لينفذوا فى الأرض قوانينهم على عباد الله ، و إنما تكون الأرض تابعة لحكم الله ، و أحكام الإسلام ، ثم يترك الكفار و ما يدينون فى حياتهم الانفراديّة ، و إنما يؤدون الجزية ، و هى مبلغ يسير من المال ، لأن الحكومة الإسلامية تقوم بحفظ أنفسهم ، و أموالهم ، و أعراضهم و أن هذا الهدف هو الذى بينه الله سبحانه و تعالى فى قوله جل و علا : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾(سورة الأنفال :٣٩)و

الذين ينكرون جهاد الابتداء و يبتدعون آراء في الفقه الإسلامي موافقة لأهواء أهل الغرب و ارضاء للمستغربين و المستشرقين فكأنهم يريدون تطبيق الإسلام على الأفكار الغربية يتناسون أن هذا الجهاد إجماع من العلماء طوال ثلاثة عشر قرنا من تاريخهم و أن جميع الآيات التي يستدل بها هؤلاء متعلقة بظروف مخصوصة في بداية الإسلام، و الذين استقر عليه أمر الجهادما نزل في سورة التوبة، و هو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ (سورة التوبة: ٥) و قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩) و قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة التوبة: ١٢٣) فهذه الآيات كلها تأمر المسلمين بالإبتداء بقتال الكفار فإنها لم تذكر سببًا لقتالهم إلا كفرهم بالله و اليوم الآخر ... و ما إلى ذلك و لم تذكر أن سبب قتالهم هو هجومهم على المسلمين.

و هذه الآيات من آخر ما نزل من القرآن الكريم فهي محكمة باقية الحكم إلى قيام الساعة و كذلك النص الصريح المحكم في مشروعية جهاد الإبتداء لايمكن حمله على جهاد الدفع ابداً و هو قوله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، و يؤمنوا بي، و بما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم و أموالهم إلا بحقها و حسابها على الله) أخرجه مسلم. و هذا الموضوع استوعبه العلامة محمد تقي العثماني في

کتابه الشهیر تکملة فتح الملهم (۳: ۱۰-۱۱-۱۲) و التفصیل فیه و نحن نقلناه من کتابه المذکور.

ذکر بعض المسائل الضروریة المتعلقة بولی الأمر:

۱. مسئلة: استعانة المسلمین بالمشرکین:

الأمر فی الاستعانة بالمشرکین موکول إلی مصلحة الإسلام و المسلمین، فإن کان یؤمن علیهم من الفساد، و کان فی الإستعانة بهم مصلحة، فلابأس بذلك ان شاء الله تعالی، إذا کان حکم الإسلام هو الظاهر و یکون الکفار تبعًا للمسلمین و إن کان للمسلمین عنهم غنی أو کانوا هم القادة و المسلمون تبعًا لهم، أو یخاف منهم الفساد فلا یجوز الإستعانة بهم. کذا فی تکملة فتح الملهم (۳: ۱۵۲).

و قال فی أحکام القرآن (۳۶۱/۲) مسئلة: لا یجوز للمؤمنین الإستنصار بالکفار علی غیرهم من الکفار إذا کانوا متی غلبوا کان حکم الکفر هو الغالب، و بذلك قال أصحابنا: إن الإستعانة بالکفار لا تجوز إذا کانو متی غلبوا کان الغلبة و الظهور للکفار و کان حکم الکفر هو الغالب.

۲. مسئلة: نصب الإمام: فقد اجمعوا علی وجوب نصب الإمام، و إنما الخلاف فی أنه یجب علی الله أو علی الخلق بدلیل سمعی أو عقلی فمذهب أهل السنة و عامة المعتزلة أنه یجب علی الخلق سمعًا لقوله علیه الصلاة و السلام علی ما أخرجه مسلم من حدیث ابن عمر رضی الله عنه بلفظ (من مات بغیر إمام مات میتة جاهلیة، و لأن الصحابة رضی الله عنهم جعلوا أهمّ المهمات نصب الإمام، حتی قدموه علی دفنه علیه الصلاة والسلام، و لأن المسلمین لا بدّ لهم من إمام یقوم

بتنفيذ أحكامهم و إقامة حدودهم، و سّد ثغورهم، و تجهيز جيوشهم، و أخذ صدقاتهم، و قهر المتغلبة و المتلصصة و قطاع الطريق و إقامة الجمع والأعياد و تزويج الصغار و الصغائر الذين لا أولياء لهم، و قسمة الغنائم، ونحو ذلك من الواجبات الشرعية التى لا يتولاها آحاد الأمة.

ثبوت الإمامة :. تثبت الإمامة عند أهل السنة و الجماعة إما باختيار أهل الحل والعقد من العلماء وأصحاب العدل والرأى كما ثبتت إمامة أبى بكر رضى الله عنه و إما بتنصص الإمام و تعيينه كما ثبتت إمامة عمر رضى الله عنه بإستخلاف أبى بكر رضى الله عنه إياه .

التنبيهات المهمة :.

١. و لا يجوز نصب إمامين فى عصر واحد لأنه يؤدى إلى منازعات و مخاصمات مفضية إلى اختلاف أمر الدين و الدنيا.

٢. و لا يشترط أن يكون أفضل أهل زمانه لأنه المساوى فى الفضيلة، بل المفضول الأقل علما و عملاً ربما كان أعرف بمصالح الإمامة ومفاسدها.

٣. ثم ينبغى أن يكون الإمام ظاهرًا ليرجع إليه الأنام فى مهماتهم، فيقوم بمصالح أمورهم، لا مخفيًا خوفًا من الاعداء .

٤. و يشترط فى الإمام أن يكون قريشيا لقوله عليه الصلوة و السلام (الأئمة من قريش) و إن خافوا الفتنة جاز غيره.

٥. و أما إذا لم يوجد من قريش من يصلح لذلك أو لم يقتدر على نصبه لإستيلاء أهل الباطل و شوكة الظلمة و أرباب الضلالة فلا كلام فى جواز تقلد القضاء و تنفيذ

الأحكام و إقامة الحدود و جميع ما يتعلق بالإمام من كل ذى شوكة. (شرح المقاصد)

٦. عزل الإمام: و لا ينعزل الإمام بالفسق و الجور لأنهما قد ظهر على الأمراء بعد الخلفاء و السلف كانوا ينقادون لحكمهم و يقيمون الجمع و الأعياد بإذنهم، و لا يرون الخروج عليهم فكان إجماعًا منهم على صحة إمامة أهل الجور و الفسق.

٧. شروط ثبوت الخلافة: و ليس من شروط ثبوت الخلافة إجماع الأمة على ذلك ،بل من عقد بعض صالحى الأمة لمن هو صالح لذلك انعقدت ، و ليس لغيره بعد ذلك أن يخالفه ولا وجه إلى اشتراط الإجماع لمافيه من تأخير الإمامة عن وقت الحاجة إليهاعلى أن الصحابة رضى الله عنهم لم يشترطوا فيها الإجماع عند الإختيار و المبايعة .كذا فى شرح فقه أكبر للملا على القارى؟:

و من موانع الإمامة نقض التصرف و هو ضربان حجر و قهر والحجر أن يغلب عليه من أعوانه من يستبد بتنفيذ الأمور من غير تظاهر بمعصية و لا مجاهرة بمشاقة الخ و أما القهر: و هو أن يسير ما سورًا فى يد عدوّ قاهر لا يقدر على الخلاص منه فيمتنع ذلك عقد الإمامة له لعجزه عن النظر فى أمور المسلمين سواء كان العدو مشركاً أو مسلماً باغياً الخ و للتفصيل انظر(الأحكام السلطانية للماوردى)

٨. بم يصير الإمام إماما؟: يصير الإمام إمامًا بأمرين بالمبايعة من الأشراف و الأعيان و بأن ينفذ حكمه فى رعيته خوفًا من قهره و جبروته فإن بايع الناس و لم ينفذ حكمه فيهم لعجزه عن قهرهم لا يصير إمامًا فإذا صار فجار لا ينعزل إن كان له قهر و غلبة لعوده بالقهر فلا يفيد و إلا ينعزل و تمامه فى كتب الكلام قال ابن عابدين قوله: و بأن ينفذ حكمه أن يشترط مع وجود المبايعة نفاذ حكم و كذا هو

شرط أيضاً مع الإستخلاف فيما يظهر بل يصير إمامًا بالتغلب و نفاذ الحكم و القهر بدون مبايعة و إستخلاف كذا في رد المحتار على الدر المختار (٣٣٩/٣)

تطبيق الشريعة الإسلامية لازمي:

و قد كانت الحكومة الشرعية في افغانستان بقيادة الإمام الملا محمد عمر مجاهد موجودة فأعلن الحرب الصليبي ضدها فبدأ الجهاد معهم، والحمد لله لقد نصر الله المجاهدين بتضحياتهم، و صدق نياتهم، و إخلاصهم، و هزم الأحزاب، و ذللوا فالجهاد جار إلى أن تقوم الحكومة الشرعية، و إقامة الحكومة الشرعية حتم لازم لأنها من ثمرة التضحيات، و الشريعة لها مميزات، ليست في قوانين البشر لأنها من عند الله، و يلزم على الكل تطبيقها لأنها حكم الله، و ليس لأحد رد حكم الله، و هي للإنسانية كلها و رحمة لها فليست لهذا دون هذا بل للإنسان من أبيض و أسود، عربي و عجمي، في الشرق أو في الغرب، و لا عنصرية، و لا عصبية و لا طبقية فيها كقوانين البشر اليوم، فغايتها تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد و فيها العدل بين الناس كافة من صيانة دمائهم، و أعراضهم و أموالهم و عقولهم كما صانت دينهم و أخلاقهم، و وازنت بين الفرد والجماعة و لم يفرط في أحد منهما، و هي نظام كامل و شامل لجميع نواحي الحياة و لها أبواب فأولها باب السياسة و تعريفها كما في رد المحتار: استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا و الآخرة .... إلى أن قال: و في حاشية مسكين عن الحموي: السياسة شرع مغلظ، و هي نوعان: سياسة ظالمة، فالشريعة تحرمها، و سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم، و تدفع كثيرا من المظالم، و تردع أهل الفساد، و توصل إلى مقاصد الشريعة ...) و طريقة تولّي الامير و عزله قد ذكرناه من قبل، و ما

يتعلق بالدبلوماسية الخارجية و دار الحرب و الحربى ففى الأحكام السلطانية للماوردى والحنبلى و غيرهما من أبواب الفقه فمن أراد التفصيل فليرجع إليهم.

و من أبوابها النظام الاجتماعى و هدفه اسعاد المجتمعات التى عملت بموجبها فهو يهتم بالانسان الصالح الذى يعرف ربه لأن المجتمع هذا مجتمع المكلفين و لما جاء الرسول صلوات الله عليه إلى المدينة بنى المسجد ليربط الخلق بالخالق و هذا النظام رعيت فيه حقوق المرأة. يقول الرسول ﷺ :(إنما النساء شقائق الرجال) فهى إن كانت فى البيت فالواجب على متوليها رعايتها و حسن تأديبها و تعليمها ، و يجب بذلك لأوليائها الجنة حتى تتزوج، فإذا أصبحت زوجة فهى راعية فى بيت زوجها (و لهن مثل الذى عليهن بالمعروف و للرجال عليهن درجة) و يجب على الزوج نفقتها ، و حسن معاملتها (وعا شروهن بالمعروف) و إذا أصبحت أمًا فالجنة تحت أقدامها ، و اعطى لها حظ فى الارث ، و اعطى لها حق أداء الشهادة ، و لما كان اختلاطها قليلاً بالرجال فشهادة امرأتين تساوى شهادة رجل واحد ، و أما الحقوق التى تدعى الغرب أنه اعطاها فهى دجل ليس هدفهم من وراء ذلك إلا اشباع الغرائز الجنسية ، و كان العلامة أحمد وفيق باشا العثمانى سريع الخاطر حاضر الجواب ، سبق أن تقلد كثيرا من الوظائف الدبلوماسية فى عواصم أوروبة قبل أن يتولى الصدارة العظمى فى أوائل سلطنة السلطان عبد الحميد الثانى ، و قد سأله بعض عشرائه من رجال السياسة فى أوربة فى مجلس بإحدى تلك العواصم قائلا :"لما ذا تبقى نساء الشرق محتجبات فى بيوتهن مدى حياتهن من غير أن يخالطن الرجال و يغشين مجامعهم؟" مستنكراً لتلك العادة المتوارثة فى الشرق، فأجاب فى الحال قائلا:"لأنهن لا يرغبن فى أن يلدن من غير أزواجهن" و كان هذا

الجواب كصب ماء بارد على رأس هذا السائل فسكت على مضض كأنه ألقم الحجر.

و هـذا الـنـظـام يتـطـلـب من اتباعه المحبة و الأخوة بين افرادها فالكبير يحب عليها رحم الـصـغـيـر و الـصـغير يحب عليه اكرام الكبير، و تبجيل العلماء لا بد منه فيه ، و فيه القضاء على عاداة شرب الخمر و المخدرات و غيرها مما منعها الشرع و من أبوابها الاقتصاد و الاقتصاد نصف المعيشة و لا بد من تطهير المجتمع من الربا و المرابين لأنه ايذان بالحرب مـع الله و رسـوله قال رسول الله ﷺ :(درهم يأكله الرجل من الربا أشد من ست و ثلاثين زنية)و تشييـد البنية الإنسانية لا تتحقق إلا بالديانة ، و الديانة مرهونة برفع الفساد الظاهرى والباطنى أما الظاهري كالرقص والملاهى و غيرها من المجون والفساد تجر العذاب الهى و لـذلك يهد كيان الحكومة الإسلامية: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، (و كـل أمتـى مـعـافا إلا المجاهرين) ، والعلاج الحقيقى لذلك هو الأمر بالمعروف و نهى عن المنكر فهما من أساسيات الإسلام و مبانيه، ألا يرى إلى كابل لما طبقت الشريعة فيها فـى التسعينات ما كان يتجرأ أحد أن يحلق لحيته أو يأتى بالفساد الظاهرى و كل أحد إذا كـان مـعـه كيـس الـفـلوس ما كان يتجرء أحد أن ينظر إليه، و أما اليوم فقد قال أحد كبار الـعلماء الشيخ الحماسى أنه لا يقدر أن يسافر إلى مكان قريب مخافة الاستهزاء بعمامته و لحيته، و اختطاف الصبيان ، والقتل ، والزنا عام.

شرائـط تـطبيـق الشـريـعة: و مـن اهم شرائط التطبيق أن تؤخذ بكلها لا ببعضها لأن الشـريـعة لا تتبعض و لا تتجزأ فهى اقتصاد اجتماع سياسة و حدود و ما إلى ذلك قال الله تـعالى :(أفتؤمن ببعض الكتاب و تكفرون ببعض) فإقامة الحدود من حد الزنى و الخمر و غيـره لا بـد مـنهـا ، ولـما كان الغرب يخالف الإسلام العملى فلا بد من مخالفته لأن الله

أخبرنا : (و احذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله إليك)

و قال : (ولا تطع الكافرين و المنافقين إن الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى إليك من ربك) و كانت وسيلة الغرب الضغوطات فلا بد من تحرير هذه الضغوطات لأنه زرع فى العالم الإسلامى المخلفات الفكرية والنفسية والعلمية و زين الباطل من الربى والمجون والفجور ، وشيوع الخمر و المسكرات و القمار و عادة الغرب و الكفار عموماً أنهم وضعوا القوانين الوضعية الدولية و سموهم حقوق الإنسان و حقوق المرأة و ما إلى ذلك فإذا اطبق الحاكم الإسلامى حكما من أحكام الإسلام رموه بالإرهاب و نقض حقوق المرأة و حقوق الإنسان و رأى العالم حقوقهم للإنسان فى سجونهم عملياً و نساؤهم الحاملات من غير ازواجهن فى الشوارع فأول ما يجب علينا أن نفهمهم ونجمع بعقلائهم لنبين لهم مزايا الشريعة و خصائصها و فوائدها و الحكم الأسلامى ، و نقطع طمعهم فى ذلك و إلا : (فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (و إن تتولوا يتبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم).

النموذج:

و إليكم نموذج المملكة التى طبقت الشريعة فأعلن الكفر الحرب ضدها بعد التهديدات الكثيرة التى أصبحت مقبرة الغزاة على مر التاريخ . قال فى معجم البلدان (٣٥١/٢): (و قد روى عن شريك عن عبد الله أنه قال : خراسان كنانة الله اذا غضب على قوم رماهم بهم) و هذه الأرض تعرضت لها الإتحاد السوفيتي واستولى عليها فهب المجاهدون و اخرجوها و لما حان وقت قطاف الثمر ألا و هو تطبيق الشريعة فإذا بقادتها تنازعوا على السلطة و هلكوا الحرث و النسل فمن الله على الأفغان بقائد

شهم باسل الإمام العظيم الملا محمد عمر مجاهد رحمه الله فجاهد الفجار من جديد و طبق الشريعة فاعلن الكفار الحرب الصليبي عليه فجاهدهم إلى أن هزمهم الله، و ألجاوا إلى الصلح ، والآن وقت خروجهم فيعدون المجاهدين و يستمليهم لئلا يطبقوا الشريعة فوفق الله القيادة الرشيدة أن تسترد جميع العراقيل التى تلقى فى الطريق و هزم العملاء والمرتزقة و أن يجعل كيد الكفار فى نحورهم، و اطفأ النار التى اوقدتها فى كشمير و بورما والعراق والشام واليمن واللبنان والمالى والصومال و جميع بلدان المسلمين و ما ذلك على الله بعزيز.

قال السقاف فى صحيفة (٦٥١) اعلم أنه ليس من شرط مضيّ الحج والجهاد أن يكون مع أولى الأمر من المسلمين ...)

أقول: قول السقاف لا معنى له. قال الملا على القارى فى شرح الفقة الأكبر:

(أن المسلمين لا بد لهم من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم و إقامة حدودهم و سد ثغورهم و تجهيز جيوشهم و أخذ صدقاتهم و قهرا لمتغلبة والمتلصصة و قطاع الطريق و إقامة الحج و الأعياد و تزويج الصغار الذين لا أولياء لهم و قسمة الغنائم و نحو ذلك من الواجبات الشرعية التى لا يتولاها آحاد الأمة)

أقول هناك أعمال تفعلها الأمة بشكل انفرادى يقوم به كل أحد و أما الأعمال الإجتماعية كأداء فريضة الحج و تنفيذ الأحكام و اقامة الحدود و إقامة الحج و قسمة الغنائم فلا بد فيها من الإمام قال فى العقائد النسفية و قد نقل هذا المتن الملا على القارى عنه :(أن المسلمين لابد لهم من إمام) .

و قوله :(ليس ذلك من شرطه و إنما هو من صور السفر و طلب الإمارة التى حثت

عليها الشريعة في جميع احوال المسلمين و ليس في الحج خاصة).

أقول : و لما كان الحج و الجهاد من أعظم مواقع إجتماع المسلمين فذكر الأمير معهما ليتوجهوا إلى ذلك و ما كان في وقت الإمام الطحاوى إلا أميراً واحداً فاليوم فلكل دولة وزارة الشؤن الإسلامية و رئاسة الأوقاف فكل جماعة تحج مع هؤلاء ، و كان المعمول أوان الخلافة الإسلامية من ابتدائها إلى إنتهائها أن يقرروا أميرا للحج يحج بالناس و أى استغراب في هذا؟ و لأى شيئ هذه المغالطة؟

فإذا اختلف المسلمون و ادعى كل بلد دولة ، و تركوا الوحدة والجهاد ، و تنافسوا على الملك و لم يأخذوا الدرس من الكفار و فرق شملهم و شتت جمعهم و أصبحوا كغثاء السيل و طبقوا الحدود السايكس بيكوئية فأى ذنب للإمام الطحاوى فى هذا ؟ و أوامر الشرع و أحكامه يتجه إلى كل أحد حسب الطاقة فإذا كان المسلم لا زاد له و لا راحلة فكيف يفترض عليه أداء الحج؟! و لذا فكلام الإمام الطحاوى صحيح ، و صاحب العقائد النسفية كما نقلنا عنه ذكر ذلك ، و وجه ورود هذا القول فى هذا الكتاب هو أنه رد على الشيعة فإنهم يرون الجهاد مع إمامهم المختفى إذاظهر وكلما ظهر يرون الجهاد معه. و أما الجهاد مع ولاية الفقيه فلا أصل حتى عندهم.

قال : و نؤمن بالكرام الكاتبين ،فإن الله قد جعلهم علينا حافظين .

الشرح:۔

و نؤمن بالملائكة المكرمين الذين يكتبون أعمال الإنسان و يعلمون ما يفعله الإنسان .

و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله ينهاكم عن التعرّى فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم ، الكرام الكاتبين ، الذين لا يفارقونكم

إلاعند احدیٰ ثلاث حالات : الغائط و الجنابة والغسل . فإذااغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو جرم حائط أو ببعيره) رواه فی مختصر زوائد البزار و فيه حفص بن سليمان لين الحديث ، و قد روى عنه واحتمل حديثه .

و فی الترمذی : إن معكم من لا يفارقكم إلاعند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم.

قال : و نؤمن بملک الموت المؤکل بقبض أرواح العالمين

الشرح:۔

و نؤمن بالملك الذی يتوفی الأنفس والذی فوض إليه قبض الأرواح.

قال الله : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِیْ وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَی رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (السجدة:١١)

قال الحافظ ابن كثير فی تفسير هذه الآية : الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره فی (سورة ابراهيم) ، و قد سمّی فی بعض الآثار بعزرائيل ، و هو المشهور ، قاله قتادة و غير واحد ، و له أعوان ، و هكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد ، حتی إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت . قال مجاهد : حويت له الأرض فجعلت له مثل الطست ، يتناول منها حيث يشاء و رواه زهير بن محمد عن النبی ﷺ بنحوه مرسلاً ، و قاله ابن عباس رضی الله عنهما . اهـ (٩٣/١١)

قال : و بعذاب القبر لمن كان له أهلاً. و سؤال منكر و نكير فی قبره عن ربّه و دينه و نبيّه علی ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلی الله عليه وسلم و عن

الصحابة رضوان الله عليهم و القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفرة النيران.

دلائل ثبوت عذاب القبر:

قال الشيخ ظفر أحمد العثمانی فی أحكام القرآن (٧٧/٤) قلت : قد اجمع أهل السنة والجماعة على أن عذاب القبر لكفار و عصاة المؤمنين حق ثابت بالكتاب و السنة المتواترة و لم ينكره إلا بعض المعتزلة و الرافقة ، و من حوادث الزمن أن بعض المتنورين فی ديارنا انتحلوا مذهب المعتزلة و توغلوا فی إنكارعذاب القبر ، و لذلك مست الحاجة إلى بعض التفصيل فی هذه المسئلة : ثم قال : إن عذاب القبر و ثوابه ثابت بالكتاب و السنة المتواترة .

أماالكتاب :

فآيات عديدة يحتج بها له أورد البخاری فی الصحيح ثلاثا منها . الأولى : هذه الآية ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾(المؤمن:٤٦) استدل بها البخاری فی الصحيح على اثبات عذاب القبر وقال الحافظ : روى الطبری عن طريق الثوری عن أبی قيس عن شرحبيل قال :(أرواح آل فرعون فی طيورسود ، تغدو و تروح على النار ، فذلك عرضها) ووصله ابن أبی حاتم من طريق ليث عن أبی قيس فذكر عبد الله بن مسعود فيه ، و ليث ضعيف ، روى البخاری فی (باب الميت يعرض عليه بالغداة و العشیّ) عن ابن عمر رضی الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن احدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة و العشی، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، و إن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) ، انتهی و ووقع عند مسلم (إن كان

من أهل الجنة فالجنة) أى فالمعروض الجنة ...

ثم نقل عن الإمام ابن كثير : و هذه الآية أصل كبير فى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور . ثم أورد الآيات الأخرى و طريقة الاستدلال بها مع التفصيل ثم قال : قلت فتلك عشرة كاملة من الآيات اكتفيت على ذكرها ، و إن ذكر العلماء سواها من الآيات أيضاً يستدل بها على عذاب القبر و من رضى بالله ربا و بالإسلام دينًا كفاه هذه العشرة و إلا فالقرآن كله لا يجدى نفعًا لمن ختم على قلبه و العياذ بالله تعالى ....

و أما السنة :

فقد ورد فيه أحاديث لا تحصى ، وصرح العلماء بتواترها معنى قال الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله فى شرح الصدور فقد تواترت الأحاديث بذلك مؤكدة من رواية جماعة من الصحابة . و قد سماهم . و قال القارى فى شرح الفقه الأكبر : قد وردت الأحاديث المتظاهرة فى المبنى المتواترة فى المعنى فى تحقيق أحوال البرزخ والعقبى ، قد استوفاها شيخ مشائخنا الجلال السيوطى فى كتابه المسمى بـ (شرح الصدور فى أحوال الموتى والقبور) و فى كتابه الآخر المسمى بـ (البدور السافرة فى أحوال الآخرة) فعليك بها إن كنت تريد الإطلاع و ارتفاع النزاع عن الطباع . و قال فى المواقف و شرحها: (والأحاديث الصحيحة والدالة عليه) أى على عذاب القبر (اكثر من أن تحصى بحيث تواتر القدر المشترك) و إن كان كل واحد فيها من قبيل الآحاد) (٣١٨:٨) و فى شرح العقائد النسفية للتفتازانى : و بالجملة الأحاديث فى هذا المعنى و فى كثير أحوال الآخرة متواترة و إن لم يبلغ آحادها حد التواتر . و قال

الشيخ الجلال السيوطى رحمه الله فى ابيات التثبيت ما نصه :

اعلم هداك الله للرشاد	موفقا لطريق السداد
إن سؤال الملكين من قبر	حق به الإيمان فرض قد شهر
أتى به القرآن بالاشارة	ووافقت آياته الإنارة
تواترت به الأحاديث التى	قد بلغت سبعين عند العدة
والآية السؤال فيها كامن	يثبت الله الذين آمنوا

☆☆☆

قلت: و قد أخرج البخارى فى باب ما جاء فى عذاب القبر ستة أحاديث : عن البراء بن عازب ، و ابن عمر ، و عائشة، و اسماء بنت أبى بكر ، و أنس بن مالك . و قال الحافظ فى الفتح : و قد جاء فى عذاب القبر غير هذه الأحاديث .

منها: عن أبى هريرة وابن عباس و أبى ايوب و اسيد و زيد بن ارقم و أم خالد .فى الصحيحين أو أحدهما . و عن جابر و أبى سعيد عند ابن مردويه و عمر و عبد الرحمن بن حسنة و عبد الله بن عمرو عند أبى داود و ابن مسعود عند الطحاوى و أبى بكره و اسماء بنت يزيد عند النسائى و أم بشر عند ابن أبى شيبة و عن غيرهم (فتح البارى ١٨٦:٣) و ذكر فى شرح الصدور عن تمميم الدارى و بشير بن الكمال و ثوبان و جابر بن عبد الله و عبد الله بن رواحة و عبادة بن الصامت و حذيفة و ضمرة بن حبيب و ابن عباس و عثمان بن عفان و عمروبن العاص و معاذ بن جبل و أبى إمامة و أبى الدرداء و أبى رافع و أبى سعيد الخدرى و أبى قتادة و أبى موسى و ذكر ابن جرير عن على فى تفسير (الهاكم) و عن أبى بكر فى تفسير (يا ايتها النفس المطمئنة) الآية.

قال العبد الضعيف : فهذا جم غفير عددهم اربعين من أئمة الصحابة و فقهائهم ، خيار الخلائق بعد الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى صحابة لصفوة خلقه سيد رسله و خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم . و قد قال فيهم : (أولئك ابرّهم قلوبا و اعمقهم علمًا و أقلهم تكلفًا) و قد اتفقوا على نقل عذاب القبر و ثوابه عن النبى ﷺ بعبارات شتى و الفاظ مختلفة و قصص متعددة ، فلو لم يكن فى ثبوت عذاب القبر إلا هذا لأرى كل ذى عينين و اسمع كل ذى اذنين أن عذاب القبر و ثوابه حق ثابت لا محيد عنه.

بعض الأحاديث الواردة فى ثبوت عذاب القبر :

١.عن اسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها تقول : (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبًا فذكر فتنة القبر التى يفتتن فيها المرء ، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة) أخرجه البخارى فى مواضع من الصحيح والنسائى و غيره.

٢.عن انس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لو لا أن لا تدافنوا الأموات لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر) رواه مسلم (ترغيب)

٣.عن أبن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن احدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة و العشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة و إن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيام) رواه البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى و أبو داود دون قوله : فيقال إلى آخره (ترغيب).

٤.عن ابن عباس رضى الله عنه : (أن النبى صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين فقال : إنهما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لايستنزه من البول و أما الآخر فكان يمشى

بالنميمة) . أخرجه الشيخان فى صحيحهما.

٥.عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إذا فرغ احدكم عن التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم و من عذاب القبر و من فتنة المحيا و الممات و من فتنة المسيح الدجال) رواه مسلم و أصحاب السنن.

٦.عن أبى ايوب قال : (خرج النبى صلى الله عليه وسلم و قد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال : اليهود تعذب فى قبرها) أخرجه البخارى فى الصحيح وغيره.

٧. وروي النسائى فى سننه من حديث عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (هذا الذى تحرك له العرش و فتحت له أبواب السماء و شهد له سبعون ألفًا من الملائكة لقد ضم ضمة ، ثم فرج عنه) قال النسائى : يعنى سعد بن معاذ رضى الله عنه .

٨. وأخرج أبو داود و الحاكم و البيهقى عن عثمان قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة عند قبر و صاحبه يدفن فقال : (استغفروا لأخيكم و سلوا له التثبيت ، فإنه الآن يسأل).

إجماع أهل السنة و الجماعة:قال الحافظ ابن القيم الجوزية (فى كتاب الروح) و هذا كما أنه مقتضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السنة.

الفوائد المهمة التى تتعلق بهذا الباب :

١ ـ قال القرطبى : جاء فى رواية سؤال الملكين و فى أخرى سؤال ملك واحد ، و لا تعارض ، بل ذلك بالنسبة إلى الأشخاص و رب شخص يأتيه اثنان معًا فيسألانه معًا عند انصراف الناس ، فيكون أهول فى حقه و أشد بحسب ما اقترف من الآثام و آخر

يأتيه قبل انصراف الناس تخفيفًا عليه بحصول أنسه بهم و آخر يأتيه ملك واحد ، فيكون أخف عليه و أقل في الراجعة لما قدمه من العمل الصالح . قال : و يحتمل أن يأتيه الإثنان و يكون السائل أحدهما و إن اشتركا في الإتيان ، فتحمل رواية الواحد على هذا قلت : هذا الثاني هو الصواب ، فإن ذكر الملكين هو الموجود في غالب الأحداث .

٢ـ قال : أيضاً اختلفت الأحاديث في كيفية السؤال و الجواب و ذلك بحسب الأشخاص أيضاً فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته و منهم من يسأل عن كلها . قال : و يحتمل أن يكون الاقتصار على البعض من بعض الرواة و أتى به غيره تامًا قلت : هذا الثاني هو الصواب ، لإتفاق أكثر الأحاديث عليه ، نعم! يؤخذ منها و خصوصًا من رواية أبي داود عن انس رضى الله عنه : فمايسئل عن شيئ بعدها و لفظ ابن مردويه: فلا يسأل عن شيئ بعدها و لفظ ابن مردُويه : فلايسأل عن شئ غيرها أنه لايسئل عن شيئ من التكليفات غير الإعتقاد خاصة . و صرح في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى :﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ الآية قال :(الشهادة يسألون عنها في قبورهم بعد موتهم ، قيل لعكرمة : ما هو؟ قال : يسئلون عن الإيمان بمحمد و أمر التوحيد)

٣ـ قال القاضي : إن من لم يدفن ممن بقي على وجه الأرض يقع لهم السؤال و العذاب ، و يحجب الله أبصار المكلفين عن رؤية ذلك كما حجبها عن رؤية الملائكة و الشياطين . قال بعضهم : و ترد الحياة إلى المصلوب و نحن لا نشعر به ، كما اننا نحسب المغمى عليه ميتا و كذلك يضيق عليه الجو كضمة القبر و لا يستنكر شيئًا من

ذلك من خالط الإيمان قلبه ، و كذلك من تفرقت اجزائه يخلق الله الحياة فى بعضها أو كلها و يوجه السؤال عليها.

٤ ـ قال القرطبى : إن قيل : كيف يخاطب الملكان جميع الموتى فى الأماكن المتباعدة فى الوقت الوحد؟ فالجواب : إن عظم جثتهما يقتضى ذلك ، فيخاطبان الخلق الكثير فى الجملة الواحدة فى المرة الواحدة فى مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل واحد من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه ، و يمنعه الله تعالى من سماع جواب بقية الموتى قلت و يحتمل تعدد الملائكة العدة لذلك كمافى الحفظة و نحوهم ، ثم رأيت الحليمى من أصحابنا ذهب إليه ، فقال فى منهاجه : الذى يشبه أن تكون ملائكة السؤال جماعة كثيرة يسمى بعضهم منكر و بعضهم نكيرًا فيبعث إلى كل ميت اثنان منهم ، كما كان المؤكل عليه الكتابة الأعمال ملكين . انتهى.

٥ ـ اختلفت الأحاديث السابقة فى قدر سعة القبر للمؤمن ، و لا تعارض ، فإن ذلك يتفاوت بحسب حال الميت فى الصلاح علوًا و انخفاضًا.

٦ ـ فى اسئلة تتعلق بهذا الباب سألها شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر : (سئل) من الميت إذا سئل هل يقدم أم يسئل و هو راقد؟ (فأجاب) يقعد (وسئل) عن الروح هل يلبس حينئذ الجثة كما كانت ؟ (فأجاب) نعم، لكن ظاهر الخبر أنها تحل فى نصف الأعلى . و (سئل) هل يكشف له حتى يرى النبى صلى الله عليه وسلم؟ (فأجاب) أنه لم يرد حديث ، و إنما ادعاه بعض من لا يحتج به بغير مستند سوى قوله : (فى هذا الرجل) ولا حجة فيه ، لأن الاشارة إلى الحاضر فى الذهن. و(سئل) عن الأطفال هل يسئلون؟ (فأجاب) بأن الذى يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفا.

٧ـ فی أن عذاب القبر یکون علی الروح والبدن جمیعًا ، أم علی الروح فقط ، أو علی البدن فقط؟ و اختلف فیه أقوال أهل السنة وغیرهم ... ثم نقل أن اتفاق أهل السنة والجماعة علی أن النفس تنعم و تعذب منفردة عن البدن ، و تنعم و تعذب متصلة بهما فیکون النعیم والعذاب علیهمافی هذه الحال مجتمعین ، کما تکون علی الروح منفردة عن البدن.

و منکر : بفتح الکاف کما فی القاموس اسم مفعول من أنکر إذا لم یعرفه . و نکیر: فعیل بمعنی مفعول من نکر بالکسر کلاهما ضد المعروف سُمّیا بذلك لأن المیت لم یعرفهماو لم یر صورتمثل صورتهما.

بعض الأحادیث و الآثار فی نکیر و منکر و صوت القبر لصاحبه:

١ . عن أبی هریرة رضی الله عنه أن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال : (إذا قبر أحدکم أتاه ملکان اسودان ازرقان ، یقال لأحدهما : منکر، و الآخر نکیر ، فیقولان : ما کنت تقول فی هذاالرجل محمد؟ فهو قائل ما کان یقول : إن کان مؤمنًا قال : هو عبد الله و رسوله ، اشهد أن لا اله إلاالله ، و اشهد أن محمدًا عبده و رسوله . قال فیقولان : إن کناالنعلم أنك تقول ذلك ثم یفسح له فی قبره سبعون ذراعًا فی سبعین ذراعًاو ینور له فیه ، فیقال له : نم ، فینام کنومة العروس الذی لا یوقظه إلا أحب أهله إلیه ، حتی یبعثه الله من مضجعه ذلك . و إن کان منافقًا قال : لا أدری ، کنت اسمع الناس یقولون کذلك ، فکنت اقول ما یقولون . فیقولان : إن کنا لنعلم أن تقول ذلك ، ثم یقال للأرض : التئمی علیه فتلتئم علیه ، حتی تختلف فیها اضلاعه ، فلا یزال فیها معذبًا حتی یبعثه الله عزوجل من مضجعه ذلك) (رواه الترمذی و ابن ابن عاصم والآجری.

٢. عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا﴾ قال: التثبيت في الحياة الدنيا إذا جاء الملكان إلى الرجل في القبر، فقالا له: من ربك؟ فقال: الله ربي، فقالا له: ما دينك؟ فقال ديني الإسلام و قالا له: من نبيك؟ فقال: نبيي محمد ﷺ فذلك التثبت في الحياة الدنيا. رواه ابن أبي شيبة.

٣. و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إذا توفي العبد بعث الله إليه ملائكة فيقبضون روحه في أكفانه، فإذا وضع في قبره، بعث الله عزوجل الله ملكين يتهرانه، فيقولان: من ربك؟ قال ربي الله، قالا ما دينك؟ قال: ديني الإسلام. قالا: من نبيك؟ قال: محمد، قالا: صدقت، كذلك كنت افرشوه من الجنة، والبسوه منها، و أروه مقعده فيها. و أما الكافر، فيضرب ضربة يلتهب قبره نارًا منها، و يضيق عليه قبره، حتى تختلف عليه اضلاعه، أو تماس، فتبعث عليه حيات هي حيات القبر كأعناق الإبل، فإذا خرج قمع بمقمع من نار أو حديد. (رواه ابن أبي شيبة).

٤. و عن عبيد بن عمير رحمه الله أنه قال: يجعل للقبر لسانًا ينطق به، فيقول: ابن آدم كيف نسيتني؟ أما علمت اني بيت الأكلة، و بيت الدود و بيت الوحدة و بيت الوحشة. أخرجه أبو نعيم في الحلية.

٥. و عنه رحمه الله تعالى أنه قال: إن القبر ليبكي، يقول في بكائه: أنا بيت الوحشة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت الدود. أخرجه ابن أبي شيبة.

٦. و عنه رحمه الله أنه قال: إن القبر ليقول: يا ابن آدم ما ذا أعددت لي؟ ألم تعلم أني بيت الغربة و بيت الوحدة بيت الأكلة و بيت الدود. أخرجه ابن أبي شيبة.

٧. و قال غطيف بن الحارث الكندى : جلست أنا وأصحاب إلى عبد الله بن عمرو قال : فسمعته يقول : إن العبد إذا وضع فى القبر كلمّه فقال : يا ابن آدم ، ألم تعلم أنى بيت الوحدة و بيت الحق يا ابن آدم ما غرك بى؟ قد كنت تمشى حولى فددًا قال غطيف ما فددًا ؟ قال : احيانًا ، قال : فإن كان مؤمنًا ؟ قال :وسع له وجعل منزله اخضر ، و عرج بنفسه إلى الجنة . أخرجه ابن أبى شيبة.

المسئلة الأولى إثبات حيات الأنبياء (فى القبور):

قال فى تكملة فتح الملهم (ج ٥ / ص ـ١٧) و بعدها:

إن الأصل فى هذه المسألة قول الله تبارك و تعالى:(و لا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل أحياء و لكن لا تشعرون) و لما ثبتت الحياة للشهداء ، ثبتت للأنبياء عليهم السلام بدلالة هذا النص، ولأن مرتبة الأنبياء أعلى من مرتبة الشهداء بلا ريب. يقول الشوكانى : " و ورد النص فى كتاب الله فى حق الشهداء أنهم أحياء يرزقون، و أن الحياة فيهم متعلقة بالجسد ، فكيف بالأنبياء و المرسلين".

و قد ورد فى هذا الباب حديث صريح أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : "الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون" و ذكره الهيثمى ، و قال : "رواه أبو يعلى والبزار، و رجال أبى يعلى ثقات". و أعله الذهبى فى الميزان بالحجاج بن الأسود ، و لكن تعقبه الحافظ ابن حجر فى اللسان ، فقال : "إنما هو الحجاج بن أبى زياد الأسود ، يعرف بزق العسل و هو بصرى... قال أحمد: ثقة و رجل صالح ، و قال ابن معين : ثقة ، و قال أبو حاتم : صالح الحديث ، و ذكره ابن حبان فى الثقات . والحديث أخرجه البيهقى أيضا فى جزئه و صححه ، و كذلك صححه المناوى فى فيض القدير.

و كذلك يشهد لهذا الحديث ما رواه أنس رضي الله عنه في هذا الباب . و قد أفرد الإمام البيهقي رحمه الله لهذه المسألة جزءاً لطيفاً ، و جمع فيه الأحاديث التي تدل على حياة الأنبياء عليهم السلام . و للعلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله فيه رسالة باسم "إنباء الأذكياء في حياة الأنبياء" جمع فيها الأحاديث المتعلقة بالمسألة . فمن الأحاديث التي تدل على حياة النبي ﷺ بعد وفاته حديث أوس بن أوس في فضيلة يوم الجمعة ، و فيه : "فأكثروا على من الصلاة ، فان صلاتكم معروضة عليّ ، قال : قالوا : يا رسول الله! و كيف تعرض صلاتنا عليك و قد أرمت. قال : يقولون : قد بليت . فقال : إن الله عزوجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء" .أخرجه النسائي و أبو داود و ابن ماجه والدارمي والحاكم و صححه ، و أقره عليه الذهبي.

و إن ذكر بقاء جسده ﷺ بعد وفاته في سياق عرض الصلاة عليه يدل على لروحه المباركة تعلقاً بجسده و أن عرض الصلاة يكون على مجموع جسده و روحه و إلا لما كان لذكر الجسد في الجواب معنى.

و منها حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :"إن أحداً لن يصلّي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها. قال : و قلت : و بعد الموت ؟ قال : و بعد الموت ، إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فنبيّ الله حيّ يرزق". أخرجه ابن ماجه.

و منها ما أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب بسند جيد عن أبي هريرة مرفوعاً :"من صلّى عند قبري سمعته ، و من صلّى عليّ نائياً بُلِغْتُه" . ذكره الحافظ و أخرجه أبو داود عن أبي هريرة بلفظ : "صلّوا عليّ ! ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"

و منها ما أخرجه أبو داود عن أبى هريرة من وجه آخر مرفوعاً : "من صلّى عند قبرى سمعته، و من صلّى علىّ نائياً بُلِغْتُه". ذكره الحافظ و أخرجه أبو داود عن أبى هريرة بلفظ : صلّوا علىّ ! ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم".

و منها ما أخرجه أبو داود عن أبى هريرة من وجه آخر مرفوعاً : "ما من أحد يسلم على إلا ردّ الله علىّ روحى حتى أردّ عليه السلام" و رواته ثقات ، كما صرح به الحافظ فى الفتح . و ربما يستشكل بأن عود الروح إلى الجسد يقتضى سبق انفصالها عنه، و هو الموت ، فيدل الحديث على أن الروح إنما يعاد عند السلام فقط ، و قد أجاب الإمام البيهقى رحمه الله عن هذاالإشكال فى رسالته : "و إنما أراد ـ و الله أعلم ـ و قد ردّ الله علىّ روحى قبل ذلك ، حتى أردّ عليه السلام". و حاصله أن تقدير العبارة هكذا : "ما من أحد يسلّم علىّ إلا و قد ردّ الله علىّ روحى قبل ذلك ، فأردّ عليه، فقوله ﷺ: "ردّ الله علىّ روحى" توجيه لردّ السلام . و المراد أنى أردّ عليه السلام لكون روحى قد أعيد إلى جسدى.

و قد شرحه العلامة السيوطى رحمه الله على قواعد العربية فقال : "إن قوله " "ردّ الله" جملة حالية، و قاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعت فعلاً ماضياً قدّرت فيها "قد" كقوله تعالى :(جاؤكم حصرت صدورهم) ، أى قد حصرت ، و كذا هنا تقدر ، والجملة الماضية سابقة على السلام الواقع من كل أحد. و "حتى" ليست للتعليل ، بل هو مجرد حرف عطف بمعنى الواو، فصار تقدير الحرف :"ما من أحد يسلّم علىّ إلا قد ردّ الله علىّ روحى قبل ذلك و أردّ عليه ". و قال رحمه الله فى آخر رسالته المذكورة : "ثم بعد ذلك رأيت الحديث المسؤول عنه مخرجاً فى كتاب حياة الأنبياء للبيهقى

بلفظ "إلا و قد ردّ الله عليّ روحي" فصرح فيه بلفظ "و قد"، فحمدت الله كثيراً".

و بالجملة فإن هذه الأحاديث، مع حديث الباب تدل على كون الأنبياء أحياء بعد وفاتهم، و هو من عقائد جمهور أهل السنة والجماعة، و لكن ربما يستشكله بعض الناس بأنهم كيف يحكم عليهم بالحياة، و قد نطقت النصوص الصريحة بأن الموت طرأ عليهم، و بأنهم يحشرون يوم القيامة كسائر الناس، و إنما ينشأ هذا الإشكال عن عدم فهم معنى الحياة الثابتة للأنبياء والشهداء بعد وفاتهم، فيزعم بعض الناس أنها عين الحياة الدنيوية التي عاشوا بها قبل وفاتهم سواء بسواء. والحق أنه لا يقول أحد بإثبات الحياة للأنبياء بعد وفاتهم بهذا المعنى، و إنما المقصود حياتهم بمعنى أن لأرواحهم تعلقا قويا بأجسامهم الشريفة المدفونة في القبور، و بهذا التعلق القويّ حدثت لأجسادهم خصائص كثيرة من خصائص الأحياء، مثل سماع السلام و ردّه، و اشتغالهم بالعبادة، و ما إلى ذلك من الخصائص المنصوصة. و لا يقول أحد من أهل الحق بنسبة جميع الخصائص التي ثبتت لهم في حياتهم السابقة على وفاتهم. و يقول العلامة السبكي رحمه الله: "ولا يلزم من كونها (أي الحياة) حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشّراب، و الامتناع عن النفوذ في الحجاب الكثيف و غير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها، بل قد يكون لها حكم آخر. فليس في العقل ما يمنع من إثبات الحياة الحقيقة لهم".

والذي يتحصل بالنظر في النصوص أن الموت، و إن كان عبارة عن مفارقة الروح للجسد، و لكن يبقى للروح بعد الموت علاقة ما بالجسد الذي فارقته، و بهذه العلاقة يتألم الجسد بعذاب القبر، و يتنعم بنعيم البرزخ، على ما ذهب إليه جمهور أهل السنة

من أن عذاب القبر يقع على الجسد مع الروح، و هو المراد من إعادة الروح إلى الجسد عند السؤال في القبر و عند التعذيب، كما ورد في النصوص الصريحة التي حقق صحتها ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح، و ليس المراد من إعادة الروح في سائر الموتى إحياء هم بعد وفاتهم، و إنما المراد إنشاء علاقة بين أجسادها و أرواحها، و لا سبيل إلى معرفة كنه تلك العلاقة.

و لكن هذه العلاقة لا تكون لجميع الموتى على مستوى واحد، فيتفاوت الموتى في قوة هذه العلاقة وضعفها، بما أن هذه العلاقة في عامّة الموتى ضعيفة جداً. فإن أجسادهم تأكلها الأرض، فلا يطلق عليهم اسم الحياة الجسمانية بعد طروء الموت عليهم عموماً، و إن كان إعادة الروح في أجسادهم قد أطلق عليه بعض العلماء اسم الحياة الجسمانية أيضا، و راجع للجصاص، و أما الشهداء فعلاقة أرواحهم بأجسادهم أقوى بالنسبة لسائر الموتى، حتى إن الأرض لاتأكل أجسادهم، فأطلق القرآن عليهم اسم الأحياء، و لو كان المراد حياتهم البرزخية أو الروحيّة فقط، لما كان بينهم و بين الآخرين فرق . وإنما الفرق بينهم و بين سائر الموتى أن لأرواحهم تعلقاقويّا بالأجساد، فحياتهم جسمانية بهذا المعنى . و أما الأنبياء عليهم السلام فعلاقة أرواحهم بأجسادهم الشريفة أقوى العلاقات التي تتصور في إنسان بعد طريان الموت عليه، و إن هذه العلاقة القويّة قد أثرت على بعض الأحكام الدنيوية أيضا، فلا تقسم أموالهم بين ورثتهم، و لا يجوز لأحد أن ينكح أزواجهم بعد وفاتهم، و كان سيدنا أبو بكر ينفق عليهنّ، كما كان ينفق رسول الله ﷺ و كذلك حصلت للأنبياء عليهم السلام بعض خصائص الحياة التي لم تثبت لغيرهم بعد الوفاة.

فالحياة الجسمانية حقيقة كلّية تطلق على عدة مدارج من تعلق الرّوح بالجسد ، بعضها أقوى من بعض ، و ما ثبت للأنبياء و الشهداء بعد وفاتهم إنما هو حياة جسمانية حقيقية لثبوت كثير من خصائص الحياة السابقة على الموت ، و لكنها تفارق هذه الحيلة الدنيوية التى كانت ثابتة لهم قبل وفاتهم فى كثير من الأحكام . و حاصل هذه الحيلة الجسمانية الحقيقية تعلق الروح بالجسد تعلقا قوياً يفوق التعلق الذى حصل لغيرهم من الموتى...

الفائدة الثانية:. فى سماع الموتىٰ

قال العلامة استاذ المحدثين الشيخ محمد فريد المفتى العام لجامعة دار العلوم الحقانية فى المقالات (٨١) (و هو كتيب صغير بالبشتو و نحن عربنا ما أخذنا منه)

قد نقل الاختلاف فى مسئلة سماع الأموات سلفاً و خلفاً ، وقد روى السماع أبو طلحة و عمرو ابن عمر رضى الله عنهم كما فى مغازى صحيح البخارى ، و كذلك روى عن عبد الله ابن مسعود و عبد الله ابن سيدان كما فى فتح البارى (ج٧/ ص ٣٠٣) عن الطبرانى ، و انكرت عائشة رضى الله عنها السماع فى رواية إلا أنها اثبتت العلم و الادراك للأموات كما فى مغازى صحيح البخارى و بعض العلماء يقولون أنها رجعت عن الإنكار فى روايتى إمام أحمد و محمد بن اسحاق و فيهما اثبات السماع عنها كما فى حديث أبى طلحة رضى الله عنه (الفتح ٣٠٤/٧) و كذلك نقل عنها اثبات السماع فى حديث فى مسند إمام أحمد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: (لما دفن عمر معهم فوالله ما دخلته إلا و أنا مشدودة علىّ ثيابى حياء من عمر رضـ) ففى هذا الحديث اثبات الرؤية للميت و السماع مثل الرؤية ، و كذلك جاء فى رواية

الترمذی عنها أنها خاطبت أخاها عبد الرحمن بعد ما مات (فی باب زیارة القبور) فإذا کان المیت لا یسمع فکان خطابها بمنزلة خطابها إلی المعدوم و الجماد (هذا خلف) ، و أما قول قتادة فی صحیح البخاری : (أحیاهم الله حتی اسمعهم قوله) فرأی تابعی لا یقاوم رأی الصحابة (المثبتین للسماع بدون قید) و لا روایة عن الإمام أبی حنیفة فی نفی السماع و لا اثباته ، و من قال أن الإمام أبا حنیفة ینکر السماع فهم یخرجون إنکاره علی مسئلة الإیمان و هی: أن من حلف لا یکلمه اقتصر علی الحیاة فلو کلّمه بعد موته لا یحنث لأن المقصود منه الافهام و الموت ینافیه... إلی أن قال : و من القائلین بالسماع الإمام البخاری و ابن جریر و ابن کثیر و الإمام السیوطی، و کذلك العلامة الألوسی حیث یقول :(والحق أن الموتی یسمعون فی الجملة ، إما بأن یخلق الله تعالی فی بعض أجزاء المیت قوة یسمع بها متی ما شاء الله تعالی ، و إما أن یکون ذلك السماع للروح بلا واسطة قوة من البدن انتهی (روح المعانی ج ٢١ ص ٥٧) قلت: (قائله الشیخ المفتی محمد فرید رح) و فی الشق الثانی نظر و هو أن الروح بعد الموت فی علیین أو فی سجین مثلا و بعدهما من فناء القبر و من سائر المواضع سواء فیلزم جواز المخاطبة بالاموات من کل موضع ـ اللهم إلا أن یقال أن التکلم من قرب البدن شرط لسماع الروح ، کما أن التکلم والسماع عند الهاتف شرط للسماع)

و الذین ینکرون السماع لیس عندهم من الحدیث الصریح أو القوی أو الضعیف ، یستدلون بقول الله تعالی : (فإنك لا تسمع الموتی) (فاطر) و بقول الله تعالی :(و ما أنت بمسمع من فی القبور) (النمل) و یقولون فی هذه الآیات نفی الاسماع و نفی الاسماع مستلزم لنفی السماع ... إلی أن قال : ویزعم المنکرون للسماع أن

الأحاديث التى جاء ت فى السماع ظنية و معارضة للقرآن ، و يؤولون الأحاديث بأنها محمولة على أول الوضع فى القبر ،والذين يثبتون السماع يستدلون بحديث البخارى :(أنه يسمع خفق نعالهم) و هذا الحديث صريح فى سماع الأموات ، و ليس فى هذا الحديث احتمال معجزة أو كناية ، و كذلك يستدلون بحديث البخارى حين وقف الرسول ﷺ فى اليوم الثالث ببدر على شفة الرّكيّ فجعل يناديهم.... فقال عمرؓ: يا رسول الله ﷺ : (والذين نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) فهذا الحديث صريح فى سماع الأموات ، و يقطع دابر من يؤول فيه أن السماع خاص بأول الوضع فى القبر ۔ دحضَ دلائل المنكرين : فالجواب عن الآيات أن الآيات ساكتة عن السماع و عن عدمه و صريحة فى نفى الاسماع و لكن لا يلزم من نفى الاسماع نفى السماع و لا يلزم من نفى الملزوم نفى اللازم و لا من نفى المطاوَع نفى المطاوِع والآيات نزلت تسلية للرسول قال الله له: إذا لم ينفعوا بتذكيرك فلا تحزن فالمراد من الموتى ، و من فى القبورهم الكفار الأحيا لإنهم يشبهون الموتى ، و لا بد التشبيه من أمر جامع يكون بين المشبه و المشبه به معا، و يكون أقوى فى المشبه به، و فى هذه الآيات لا يمكن أن يكون الأمر الجامع عدم السماع لأنه لا يوجد فى الطرفين فاالأمر الجامع هو عدم السماع النافع و كون الأمر الجامع عدم الانتفاع بالمسموع قول الله فى اخر الآية (إن تسمع إلا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون) و فى الأمر الجامع نفى المقيد و فى العرف بنفى المقيد ينفى القيد و فى اللغة هذه القاعدة على ثلاثة أقسام :

١ ـ بنفى القيد: كنفى غلام زيد :أنه غلام لكنه ليس لزيد ٢ ـ بنفى الأصل والمطلق : مملوك لزيد لكنه ليس بغلام بل فرس ٣ ـ بنفى كليهما : أنه ليس بغلام و لا لزيد بل

فرس لعمرو... إلى أن قال: فبناءاً على هذه القاعدة فالقرآن محتمل للسماع و عدمه... و الأحاديث غير معارضة للقرآن فلا ضرورة للتأويل.

والأحناف الذى استخرجوا المسئلة (عدم السماع) على كتاب الإيمان فالجواب أن بعد هذه المسئلة ذكر مسئلة أخرى و هى : أنه لو حلف الرجل و قال إن ضربتك فعبدى حر فضربه بعد موته لا يحنث ، و استدل الفقهاء على ذلك بأن الضرب اسم لفعل مؤلم يتصل بالبدن ، و الإمام لا يتحقق فى الميت كما فى الهداية فالاستخراج من هذه المسئلة بأن الامام أبا حنيفة ينكر عذاب القبر خطأ، وكذلك خطأ الاستخراج على هذه المسئلة أن الميت لا يسمع لأن بناء الإيمان على العرف ، وليس فى العرف الميت قابل الإيلام و لا يحنث به أحد، و أما على الشرع فإنه قابل للإيلام لأن الله يوضع فيه نوع من أنوا ع الحياة و بها يدرك العذاب و كذلك بها يدرك كلام الملائكة و الزائرين و يسمع و يجيب و كذلك لا يقال للميت فى العرف أنه قابل لنفهم و الإجابة إذا لا يحنث الحالف فى هذا القول.

الأحاديث فى اثبات سماع الموتى:

١ ـ روى الإمام البخارى (٣٠١/٧) و مسلم(٦٤٣/٢) فى صحيحيهما من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: "وقف النبى ﷺ على قليب بدر فقال : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ ثم قال : إنهم الآن يسمعون ما أقول...".

و فى رواية فى الصحيح (البخارى٣٠١/٧): أن النبى ﷺ جعل يناديهم بأسمائهم و أسماء آبائهم: يا فلان بن فلان ، و يا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله و رسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال عمر :

يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ : "والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" انتهى.

٢- عن سيدنا ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ : "إن لله تعالى ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام" رواه الحاكم فى "المستدرك" (٤٢١/٢) و قال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، و فى "فيض القدير" (٤٢١/٢) و قال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، "رواه أحمد فى المسند و النسائى و ابن حبان والحاكم، قال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح، و قال الحافظ العراقى :الحديث متفق عليه دون قوله سياحين" انتهى

٣- قال الحافظ السيوطى "فى اللمعة فى أجوبة الأسئلة السبعة" (احاوى ١٧٠/٢): [روى الحافظ ابن عبد البر فى الاستذكار و التمهيد من حديث ابن عباس قال رسول الله ﷺ : "ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلّم عليه إلا عرفه و رد عليه السلام" صححه الحافظ أبو محمد بن عبدالحق].

٤- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : "ما من أحد يسلم على إلا رَدَّ الله إلىّ روحى حتى أرد عليه السلام" رواه أبو داود و غيره، و صححه النووى فى "رياض الصالحين" وفى "الأذكار"، و قال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات، كما فى "فيض القدير" (٤٦٠/٥).

٥- و عن أبى هريرةؓ قال رسول الله ﷺ : "والذى نفس أبى القاسم بيده لينزلن عيسى ابن مريم إماماً مقسطاً و حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب و يقتلن الخنزير و ليصلحن ذات البين و ليذهبن الشحناء و ليعرضن المال فلايقبله أحد، ثم لئن قام على قبرى فقال

يـا مـحـمـد لأجبته " رواه أبو يعلى (٤٦٢/١١ برقم ٦٥٨٤) والحاكم(٥٩٥/٢). قال الـحـافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد " (٢١١/٨) "قلت هو في الصحيح باختصار رواه أبو يعلى و ورجاله رجال الصحيح " .

٦ـو جاء في الصحيحين البخاري (الفتح ٣٠٥/٣) و مسلم و كذا عند أحمد والسُّدّى والبزار و ابن حبان مرفوعاً: "إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم".

٧ـ جـاء فـي حـديـث أبـي هريرة والسيدة عائشة و بُريدة و اللفظ له عند مسلم و غيره كـمـا فـي "تـلخيص الحبير"(١٣٧/٢) :[أن النبي ﷺ كان يقول إذا ذهب إلى المقابر :"السـلام عـليـكـم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين و إنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا و لكم العافية"] رواه مسلم (٢٤٩)

الفائدة الثالثة:ـ

عقيدة اشاعة التوحيد والسنة (و الفنجيرية أو المماتية أو الفنرية):

١ـ عقيدة أهل السنة والجماعة أن الأنبياء أحياء في قبورهم بالأجساد العنصرية الدنيوية و هم ينكرون ذلك.

٢ـ سماع النبيﷺ عند القبر حق كما ثبت في الحديث وهم ينكرون ذلك.

٣ـ الاستشفاع بالنبيﷺ جائز عند أهل السنة والجماعة و هم ينكرون ذلك.

٤ـ عرض الأعمال على الرسولﷺ حق عند أهل السنة والجماعة و هم ينكرون ذلك.

٥ـ السـفـر إلى المدينة المنورة بنية زيارة الرسول ﷺ حق عند أهل السنة والجماعة و هم ينكرون ذلك.

٦ـروضة الـنـبـيﷺ(موضع مس جسد النبي ﷺ بالأرض) أفضل من العرش عند أهل

السنة والجماعة و هم ينكرون ذلك.

٧ـ التوسل بالأنبياء والأولياء أحياء و أمواتاً جائز عند أهل السنة والجماعة و هم ينكرون ذلك.

٨ـ الشهيد حيٌّ بالجسم عند أهل السنة والجماعة و هم ينكرون ذلك.

٩ـ الكرامة بعد الوفاة حق عند أهل السنة والجماعة و هم ينكرون ذلك.

١٠ـ القبر فی الكتاب والسنة هو الشرعی والعرفی (موضع دفن الإنسان فيه) و هم يقولون هذا عرفی.

١١ـ إعادة الروح حق بعد الموت عند أهل السنة والجماعة و هم ينكرون ذلك.

١٢ـ تعلق الروح بالجسد ثابت عند أهل السنة والجماعة و هم ينكرون ذلك.

١٣ـ سماع الأموات فيه اختلاف عند أهل السنة والجماعة و هم ينكرون ذلك.

١٤ـأن محمدﷺ رسول مع الروح والجسد و هم يقولون أنه نبیٌّ بالروح فقط.(١)

و شيخنا العلامة حمد الله الداجوی نور الله مرقده كان شديدا على هؤلاء و كان يسميهم (خمسيان) و كان يناظرهم ويغلب عليهم و له كتاب فی ردهم اسمه "البصائر لمنكری التوسل بأهل المقابر" و كان يرى الاحتفال بالمولد النبوی ويشارك فيه إلا أنه كان من ابعد الناس من البدع، وقد جعله العلامة عبد الحی اللكهنویؒ من البدع الحسنة والحفاظ الثلثة كتبوا فيه رسالات لاثباته، و بعض العلماء يتشددون فی مثل

١ـو لمزيد من المعلومات انظر ما قال الشيخ العلامة رحيم الله الحقانی حفظه الله فيهم فإنه قد اجاد و افاد فی احقاق الحق.)

هـذه الـمسـائـل لـمـا يرون فيها من البدع، و فى "فيض البارى" (١٩٩/٢) : (ثم ههنا دقيـقة تـفيدك فى مواضع ، و هى : أن الشيئ قد يكون جائزا فى نفسه و محظورا لكونه موهـمـا لـجـانـب آخر ، فلا يحكم عليه بالجواز أو بالحرمة كلياً ، و لكن الأمر فيه إلى الـمفتى ، فإن رَأى أن الناس يتضررون منه لإيهامه خلاف المقصود ، عليه أن يمنع عنه. و ان لـم يَرَ فيه ضرراً ، فله أن يتركه على الجواز فى نفسه على ما كان . و هذا الباب مما تعرض إليه القرآن ، بل أقامه فقا ل: (لا تقولوا رٰعنا و قولوا انظرنا) [البقرة: ١٠٤] فقول (رٰعنا) و إن جاز فى نفسه ، إلا أنه لما أوهم بخلاف المقصود حيث كان اليهود يَلْوُون به ألسنتهم ، ويشبعون الكسر، و يقولون : راعينا ، لعنهم اللّٰه ـ نهى عنه القرآن . فمتى ما يـرتفع هذا الايهام ، يعود جواز الاطلاق على حاله . فالمسألة فى مثل هذه الأشياء أيضا كـذلك ، هـكذا يعلم من باب الحظر و الإباحة من "الكنز"). (فلكل وجهة هو موليها)

و كـان يـدافـع عـن جـمـاعة التبليغ و كان معنا أحد الطلاب فى الدرس يطعن عليهم و يـقـول أن فيهـم الـوهابية فكان يقول له: إذا وجد فى الحبة القملة فهل تطرح الحبة فى الـنـار أم تـخـرج مـنها القملة و كان شيخه فى الحديث العلامة محمد زكريا ؒ مهر أمير التبليغ الشيخ محمد الياس ؒ و ابن أخيه ، و بايع سيف الرحمن (البارو ى) ثم اقاله فقال: هذا رجل خبيث لا يستحق البيعة لأن فى عقائده شيئ.

الإيمان بالبعث و متعلقاته:

قـال : و نومن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الـكتاب والثواب و العقاب و الصراط والميزان الذى يوزن به أعمال المؤمنين من الخير والشر والطاعة و المعصية.

الشرح:۔

أی نؤمن و نعتقد الإعتقاد الجازم بأن الله يبعث الخلائق بعد موتها فيجمع اجزاء ها بعد تمزقها و يعيد إليها أروحها بعد مفارقتها، و يعيدها كما بدأها قال الله تعالىٰ:﴿وَهُوَ الَّذِىْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾(الروم: ٢٧) و أما السنة فقد ورد فی ذلك ما يبلغ جملته مبلغ التواتر المعنوی و أن الحشر من ضروريات الدين فإنكاره كفر بلاشك . و كذلك نؤمن بجزاء الأعمال قال الله تعالىٰ:﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً.وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيْرا﴾(النساء ـ ١٢٣)

و كذلك نؤمن بالعرض: قال الله تعالىٰ: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾فهذا اليوم يوم عظيم الهول والمخاوف فعن ابن عمر رضی الله عنهما : ان النبی ﷺ قال :(يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فی رشحه - أی عَرَقِه - إلى أنصاف اذنيه) متفق عليه.

و كذلك نؤمن بالحساب وقراء ة كتاب عملٍ قال الله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِيْنِهِ .فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً .وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا .وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ .فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً . وَيَصْلَى سَعِيْراً ﴾ وقال الله تعالى : ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾(الاسراء ـ ١٣) و كذلك نؤمن بالثواب للمطيع و العقاب للعاصی حسب وعده و وعيده قال الله تعالىٰ: ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنو ا و عملوا الصالحات لهم مغفرة و أجر كبير ﴾(فاطر).

و مما يجب الإيمان به هو الصراط و أنه حق إذ بعد وزن الأعمال يعرف كل إنسان

مصيره ، قال الإمام القرطبى رحمه الله : الصراط لغة هو : الطريق ، و عرفًا هو جسر يضرب علـى ظهر جهنـم ، تـمرّ الناس عليه إلى الجنة فينجوا المؤمنون على كيفيات متعدّدة ، و يسقط المنافقون . قال تعالى ﴿و إن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا. ثم ننجى الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيًا﴾(مريم :٧١ـ٧٢)

قال أهل السنة :. إن وجود الصراط من الممكنات العقلية ، و قد وردت النصوص القواطع بـه ، فيجـب الإيمـان بـه عـملاً بـالنصوص القطعية قال تعالىٰ: ﴿فاستبقوا الصراط﴾(يسين :٦٦) ، و قال ﷺ : (يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا و أُمتى أول ما يجوزه ...) متفق عليه ، والأنبياء والأتقياء يَمرُ عليه من غير تعب ولا نصب فمنهم من يمُر عليه كالبرق الخاطف ، و منهم من يمُر عليه كالريح العاصف إلى آخر ما ورد فى ذلك و الحقّ وجوب اعتقاد وجود الصراط عملاً بظواهر النصوص مع تفويض حقيقته إلى الله تعالى ، و هذا القدر متفق عليه [1] . ومما يجب الإيمان به : الميزان ، حيث توزن به الأعمال يوم القيامة قال الله تعالى :﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (الاعراف :٨.٩)

فالذى يجب الإيمان به على المكلف هو ما تدل عليه الأدلة القطعية ، و هو أن لله ميزانًا توزن به أعمال العباد يوم القيامة و إن كنا لا نعرف حقيقة جوهره ، و لا يجب علينا البحث عن ذلك و لا عن كيفيته ، بل نؤمن به و نفوّض العلم بحقيقة كيفية إلى الله.

١ـ النجوم اللامعة لابن أبى حجلة(ص:٣٢١)

بيان أن الجنة والنار لا تفنيان:

قال : و الجنة و النار مخلوقتان لا تفنيان ابدًا و لا تبيدان.

الشرح:۔

و نقول الجنة و النار مخلوقتان موجودتان الآن لا كما زعمت المعتزلة من أنهما توجدان يوم القيامة و دليل ذلك قصة آدم عليه الصلاة و السلام حيث كان في الجنة. و قال الله تعالى :﴿أعدت للمتقين﴾(آل عمران :٢٣) و قال تعالى :﴿أعدت للكافرين﴾ (آل عمران :١٣١) وهما باقيتان لا تفنيان قال شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى في رسالته (الإعتبار ببقاء الجنة والنار: ص ـ ١) : و بعد : فإنّ اعتقاد المسلمين أن الجنة و النار لا تفنيان ، و قد نقل أبو محمد ابن حزم الإجماع على ذلك ، و أن من خالفه كافر بإجماع ، و لا شك في ذلك ، فإنه معلوم من الدين بالضرورة ، و تواردت الأدلة عليه قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِيْنَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة : ٣٩)

و ذكر بعد ذلك رحمه الله تعالى طائفة من الآيات الدالة على خلود الجنة و النار ، و اتبع ذلك بتفنيد شبه من خالف في هذه المسئلة [1] و قال الإمام الكوثري ؒ في مقالاته : ٢٧٦ : (دوام نعيم أهل الجنة ، و استمرار عذاب أهل الجحيم مما علم من الدين بالضرورة ، و قد تواردت الأدلة على بقاء الجنة والنار ، و مضت الأمة على هذه العقيدة مدى الدهور فجهم بن صفوان بزعمه فناء الجنة و النار قد نابذ الكتاب و السنة

١ـ النجوم اللامعة (ص: ٢٣٣)

و خرق الإجماع اليقيني ، و هو الذى نسب إليه كثير من البدع المكفرة بإتفاق بين الفرق الإسلامية ، فأصبح منبوذاً عند أهل السنة....

ثم قال : كيف و قد تضافرت الأدلة من الكتاب و السنة و الإجماع على بقاء الجنة والنار لا إلى نهاية بعد دخول أهلهما فيهما ، بحيث لا يدع أى مجال لزائغ فى التشكيك و قد ورد فى القرآن الكريم وحده من الأدلة نحو مائة آية فى الخلود فنحو ستين منها فى النار ، و نحو أربعين منها فى الجنة ، و قد ذكر الخلد أو ما اشتق منه فى أربع و ثلاثين فى النار ، و ثمان و ثلاثين فى الجنة ، و ذكر التأبيد فى أربع فى النار مع الخلود ، و فى ثمان فى الجنة منها سبع مع الخلود ، و ذكر الصريح بعدم الخروج أو معناه فى أكثر من ثلاثين ، و تضافر هذه الآيات و نظائرها يفيد القطع بإرادة حقيقتها ...

ثم قال : و أما ما ورد فى السنة مما يدل على بقاء الجنة والنار فأكثر من أن يحصى . و ما فى الأصول الستة و (مجمع الزوائد) من ذلك كاف شاف ، و لذلك اجمع المسلمون على اعتقاد ذلك و تلقوه خلفًا عن سلف عن النبى ﷺ و هو مركوز فى فطرة المسلمين ، معلوم من الدين بالضرورة كما يقوله التقى السبكى . و من المعلوم أن ابن حزم بالغ التشدد كثير الإنكار على دعوى الإجماع فى المسائل ، و مثله إذا أقر بالإجماع فى مسئلة تكون تلك المسئلة فى أعلى مراتب الإجماع ،فدونك (مراتب الإجماع) له وهو يقول فى أوله : إن من خالف مسألة من مسائل الإجماع المدونة فى كتابه المذكور يكفر بالإجماع . ثم ذكر فى عداد تلك المسائل مسألة الخلود حيث قال فى (ص ١٧٣): (و إن الجنة حق و إنها دار نعيم أبدًا لا تفنى و لا يفنى أهلها بلا نهاية، و إنها أعدت للمسلمين و النبيين و اتباعهم على حقيقة الدين كما

أتوا بـه قبل أن ينسخ الله أديانهم بدين الإسلام ، و إن النار حق و إنها دارعذاب أبدًا لا تفنى و لا يفنى أهلها ابدًا بلا نهاية و إنها أعدت لكل كافر مخالف لدين الإسلام و لمن خالف الأنبياء السالفين قبل مبعث رسول الله عليه و عليهم الصلاة والتسليم و بلوغ خبره إليه ....

ثـم قـال : و الـكـلام فـى أنـواع الـتـقدم و التأخر طويل الذيل ، و ليس فيها ما يبرر تمسك جهم و من لف لفه بقوله تعالى ﴿هو الأول و الآخر﴾ و إنما دلالة القول الكريم على أن وجود الله سبحانه ليس له إبتداء و لا إنتهاء و أنه هو القديم الباقى بذاته ، و المحكمات الدالة على الخلود دلالة باتة لايناهضها مجمل محتمل ، بل رده إليها هو الأصل الأصيل ، عـلـى أنـه قـد ورد بيانه ممن إليه البيان حيث قال النبى ﷺ: (انت الأول فليس قبلك شيئ و أنت الآخر فليس بعدك شيئ) كما فى سنن أبى داود و جامع الترمذى و غيرهما ، فهذا يقطع دابرالوساوس و الهواجس ، و قد قال الإمام أبو عبد الله الحليمى فى منهاجه : (الأول هو الذى لا قبل له ، و الآخرهوالذى لا بعد له) فبان بذلك أن بقاء الجنة و النار بإبقاء الله الباقى بذاته ، لا ينافى كونه تعالى هو الآخر بالمعنى الذى بينه الرسول ﷺ و بالمعنى الذى لا يختلف و محكمات القرآن الكريم اهـ.

مسئلة الإستطاعة فى بحث القدروالتفصيل فيه:

قـال : و أن الـلـه تـعالى خلق الجنة و النار قبل الخلق ، و خلق لهما أهلاً فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه ، و من شاء منهم إلى النار عدلاً منه ، و كل يعمل لما قد فرغ له ، و صائر إلى ما خلق له. و الخير و الشر مقدران على العباد والاستطاعة

التى يجب بها الفعل من نحوا لتوفيق الذى لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهى مع الفعل ، و أما الاستطاعة من جهة الصحة و الوسع و التمكن و سلامة الآلات فهى قبل الفعل ، و بها يتعلق الخطاب و هو كما قال تعالى :﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة :٢٨٦) و أفعال العباد خلق لله و كسب من العباد

الشرح:ـ

و نقول إن الله عزوجل خلق الجنة والنار و خلق لكل واحد منهما من يستحقهما وفى الحديث القدسى كما رواه أحمد: (إن الله عزوجل قبض قبضة بيمينه وقال هذه لهذه ولا أبالى...).

و فى الحديث الذى أخرجه الترمذى قال : (فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة و فريق فى السعير) . فمن شاء ادخلهم الجنة فضلا منه و رحمة و احسانًا فهؤلاء من قبضة اليمين و أما من الأخرى فمن شاء عقوبتهم فادخلهم النار فبعدله لأن الكل فى ملكه يتصرف فيه كيف يشاء والخلق خلقه فكل من يعمل فعمله الذى يعمله مكتوب فى صحف قد جفت و أقلام عنها رفعت كما ذكر فى الحديث و صائر بتقدير الله و مشيئته إلى الذى خلق له.

وقوله : والاستطاعة الخ حاصله : أن القدرة لها اطلاقان : ١. فتطلق تارة و يراد بها حقيقة القدرة و هى مع الفعل ٢. و تطلق أخرى و يراد بها الوسع و السلامة وهى قبل الفعل والخطاب والتكليف يتعلق بالمعنى الثانى كما قال الله﴿ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾:

و قوله تعالى :﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران :٩٧).

و تفصيل المقام و إن كنا أشرنا إليه فيما مضى إلا أن مسئلة القدر لما كانت من المهمات نريد أن نوضحها فى ضوء أقوال العلماء حتى لا يبقى فيها شيئ قال الإمام الملا على القارى فى شرح الفقه الأكبر (ص: ٥٥) (والحاصل أن الاستطاعة صفة يخلقها الله عند اكتساب الفعل بعد سلامة الأسباب والآلات ، فإن قصد العبد فعل الخير خلق الله قدرة فعل الخير و إن قصد العبد فعلِ الشر خلق الله قدرة فعل الشر فكان العبد هو المضيع لقدرة فعل الخير فيستحق الذم و العقاب ، و لذا ذم الله الكافرين بأنهم لايستطيعون السمع أى لا يقصدون استماع كلام الرسول على وجه التأمل مطلب الحق حتى يعلموا و يعملوا به ، بل يستمعون على وجه الإنكار، و قد يقع لفظ الاستطاعة على سلامة الأسباب و الآلات و الجوارح كما فى قوله تعالى ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ وصحة التكليف تعتمد على هذه الاستطاعة التى هى سلامة الأسباب و الآلات لا الاستطاعة بالمعنى الأول.

وقال فى (ص-٤٢) فللعباد أفعال اختيارية يثابون عليها إن كانت طاعة،و يعاقبون عليها إن كانت معصية لا كما زعمت الجبرية أن لا فعل للعبد أصلاً كسبا ولا خلقاً ، و أن حركاته بمنزلة حركات الجمادات لا قدرة له عليها لا مؤثرة و لا كاسبة فى مقام الإعتبار و لا قصد ولا إرادة و لا إختيار ، و هذا باطل لأنا نفرق بين حركة البطش و حركة الرعش ، و نعلم أن الأول بإختياره دون الثانى لإضطراره. فإن قيل بعد تعلق علم الله و إرادته الجبر لازم قطعًا ، لأنهما إما أن يتعلقا بوجود الفعل فيجب ، أو بعدمه فيمتنع لإمتناع انقلاب علمه سبحانه جهلا ، و إمتناع تخلف مراده عن إرادته أصلاوحينئذ لا إختيار مع الوجوب و الإمتناع قطعًا . فالجواب أنه سبحانه يعلم و يريد

أن العبد يفعله أو يتركه بإختياره فلا إشكال فى هذا المقال ، و تحقيقه أن صرف العبد قدرته أو إرادته إلى الفعل كسب ، و ايجاد الله تعالى الفعل عقيب ذلك خلق ، فالله تعالى خالق والعبد كاسب ، و من اضلّ ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر و الطاعة من الفاجر و الكافر شاء الكفر ، و الفاجر شاء الفجور، فغلبت مشيئتهما مشيئة الله سبحانه . اهـ

توضيح معنى الاستطاعة بقول الشيخ السعيد:

و قال محمد سعيد رمضان فى كتابه (لايأتيه الباطل) (ص-١٢٧) إن تلبّس الإنسان بفعل مايحتاج إلى أمرين اثنين : الأمر الأول : وجود المقومات المادية والمعنوية التى لا بدّ منها لصدور الفعل ، من الاعضاء و القدرة المبثوثة فى داخل الجسم و السارية فيها ، والوسائل الخارجية التى يتوقف عليها ولادة الفعل و صدوره ، كالقلم و الورق للكتابة ، و الطعام للأكل و الهواء للتنفس . الأمر الثانى : انبعاث القصد إلى استخدام الأعضاء و ما فيها من قوة مع الأدوات الخارجية الأخرى لإيجاد الفعل المطلوب . فالأمر الأول مخلوق كله لله عزوجل أى إن الله هو الخالق للعناصر التى لا بدّ منها لولادة الفعل و ظهوره و هى الأعضاء والقوة السارية فيها والأدوات الخارجية التى لا بد منها. و لكن هب أن هذه العناصر كلها موجودة مهيأة لديك ، بما فيها القوة السارية فى الاعضاء هل يعنى ذلك وحده أنك قد فعلت شيئا؟ من الواضح أن تكامل هذه العناصر كلها لا يعنى ولادة الفعل و وجوده على صعيد الواقع والسبب فى ذلك أن الأمر الثانى لم يتحقق .

و الأمر الثانى - كما علمت - انبعاث القصد إلى استخدام هذه العناصر بما فيها

القوة ، لإيجاد الفعل المراد و تنفيذه ، و هذا الانبعاث الداخلي الذي قد نسميه العزم ، أو التوجه أو الإختيار ، أو إتخاذ القرار ، هبة من الله متع بها الإنسان ، جعله بها مريدًا مختارًا ، و جعلها مناط و أساس التكليف للإنسان فإذا توجه قصد الإنسان إلى القيام بفعل ما ، و عزم على تنفيذ ذلك الفعل بدون تأخير ، اخضع الله لعزمه تلك العناصر التي ذكرناها ، و أجرى ذلك الفعل على يديه . إذن فمادة الفعل و عناصره بخلق الله ، و استيلاده حصولاً و تنفيذًا ثمرةٌ لقصد الإنسان و عزمه.

و لما كان الشئ الذي ينسب من ذلك كله إلى الشخص الفاعل إنما هو قصده و عزمه فقد كان ذلك هو مصدر الجزاء في أفعاله و إذا عدت إلى كتاب الله تتدبر قراره بهذا الشأن رأيته يربط الثواب والعقاب بالقصد لا بالفعل و عناصره التي هي من خلق الله فيقول : ﴿لايُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦) و يقول : ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (البقرة : ٢٢٥) والكسب هو تحرى الشيئ بالقصد إليه والعزم على فعله ، سواء كان المكتسب خيرًا أو شرًا و لو كان الجزاء الإلهي ، على عناصر الأفعال الصادررة من أصحابها بعد الذي علمناه من أن هذه العناصر كلها بخلق الله لا ستدعى ذلك أن نقول بأن الله هو الفاعل لها لا الإنسان ، و عندئذٍ ينسب كل ما يصدر عن الإنسان من المعاصي و الطاعات إلى الله فيقال : الله هو الذي صلى أو صام أو سرق أو بغى ... تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا . إن الذي يزيح هذا الوهم عن العقل ما أوضحته لك من أن تكامل عناصر الفعل لا يعني ولادة الفعل ، و من ثم فإن هذه العناصر ليست بحد ذاتها مناط ثواب و لا عقاب ، و إنما الذي يحيل هذه العناصر إلى فعل صادر منفذ ، توجه القصد الذي يرقى إلى درجة العزم

، إلى استخدام هذه العناصر لإستيلاد الفعل منها . و هذا التوجه انما هو من الإنسان بموجب الهبة التى منحه الله إياها ، و من ثم فهو مصدر الثواب والعقاب و سبب كل منهما اهـ.

❁...قال السقاف فى قول الامام الطحاوىؒ (كلّ يعمل لماقد فرغ له ، و صائر إلى ما خلق له ، هذا هو الجبر بعينه.....)

أقول : قول الإمام الطحاوى موافق مع النصوص و لا جبر فيه و هو قول صحيح و قد قدمنا إثبات هذه الأقول و أنها قائمة على عقيدة أهل السنة والجماعة خلافاً للقدرية و من لف لفهم.

و قال السقاف فى قول الإمام الطحاوىؒ: (والخير والشر مقدران على العباد)أيها الناس لو كان الشر مقدّر عليكم فَلِمَ ينكر اللّٰه الشر و الكفر والطغيان على الكفار والمشركين و هو مقدره عليهم؟!)

أقول : و أحسن الأجوبة لهذه الشبهة الواهية القدرية ما قال الإمام الألوسىؒ فى تفسيره(٣٤/٣٣/١) "فلهذا قال﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ (الأنعام : ١٤٩) لكنه لم يشأ إذ لم يسبق به العلم لكونه كاشفاً للمعلوم و ما فى استعداده الأزلى فالمعلوم المستعد للهداية فى نفسه كشفه عما هو عليه من قبوله لها، والمستعد للغواية تعلق به على ما هو عليه من عدم قبوله لها فلم يشأ إلا ما سبق به على ما هو عليه من عدم قبوله لها فلم يشأ إلا ما سبق به العلم من مقتضيات الإستعداد فلم تبرز القدرة إلا ما شاء اللّٰه تعالى فصح أن للّٰه الحجة البالغة سبحانه إذا نوزع لأن اللّٰه قد "اعطى كل شيئ خلقه" و ما يقتضيه استعداده و ما نقص منه شيئاً و لهذا قال ﷺ :"

فمن وجد خيراً فليحمده الله" فإن الله متفضل بالإيجاد لا واجب عليه و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه لأنه ما أبرز قدرته بجوده و رحمته مما اقتضيته الحكمة من الأمر الذي لا خير فيه له إلا لكونه مقتضى استعداده فالحمد لله على كل حال و نعوذ به من أحوال أهل الزيغ و الضلال) انتهى

و قد قدمنا الدلائل النقلية على هذا الموضوع فلا حاجة إلى الإعادة.

و قال السعد: "إن الكفر و المعاصي مقضي و مقدر لاقضاء و قدر، والواجب الإيمان به إنما هو القضاء والقدر، و ليس المقضي والمقدر، فالمؤمن بهما يسلم لله في (قضائه و قدره) و لا يعترض عليه فيهما و يعتقد أنه (لحكمة) و إن كنا لا نحيط بها، و إنما يعترض على الكافر والفاسق في إختيارهما الكفر والفسوق، و اكتسابهما لهما)

و أما الآية فالجواب عنها : أن الله تعالى حكى عن الكفار أنهم يتمسكون بمشيئة الله في إبطال نبوة الأنبياء، و رد الله عليهم أن هذا الإستدلال باطل فإنه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله تعالى في كل الأمور دفع دعوة الأنبياء لأن الله يفعل ما يشاء و لا إعتراض عليه لأحد في فعله فالآية دليل لنا.

وقال السقاف في قول الإمام الطحاوي (والاستطاعة التي يجب بها الفعل....) كلام المصنف هذا لا معنى له.....) والجواب أن الإمام الطحاوي بين في هذا الكلام أن القدرة لها اطلاقان : ١ـ فتطلق تارة و يراد بها حقيقة القدر و هي مع الفعل. ٢ـ و تطلق أخرى و يراد بها الوسع والسلامة و هي قبل الفعل والخطاب والتكليف يتعلق بالمعنى الثاني و فكر في قول الإمام ملا علي القاري و كذلك في قول العلامة سعيد سترى جواب الشبهة.

قوله :(و لذلك اضطرب القوم و تخبطوا....)

و هذا باطل و أين الاضطراب فى موقف أهل السنة والجماعة و أما مسئلة تكليف ما لا يطاق فالماتريدية ترى لزوم الحكمة فى أفعاله تعالى و الأشاعرة يرون أن الحكمة فى أفعاله على سبيل الجواز لا الوجوب، و أنه لا يجب على الله شيئ حتى و لو كان حكمة علا أن ابن عذبة حاول تبرئة الأشعرى من هذا القول إلا أن الصحيح خلافه كما صرح بذلك صاحب نشأة الأشعرية و تطورها. فالنزاع بين أهل السنة والجماعة لفظى لا يترتب عليه الشيئ الكبير ، و اختلاف الإمام السبكى فى جزئية مع إمامه لا يلزم منه التخبط فى مسئلة الكسب لأن أهل السنة والجماعة متفقون على أن الأفعال بخلق الله و كسب من العباد.

قوله (هذه قضية باطلة لما اسلفنا و هذا تصريح بالمعنى الفاسد! و هذا مما علم العلماء أنه من ابتداعات و ابتكارات الأشعرى و هو المسمى (بكسب الأشعرى) و الطحاوىؒ توفى قبل الأشعرى ....)

أقول : لا اختلاف بين أهل السنة والجماعة فى موضوع الكسب .

و على هذا اتفاق أهل السنة و الجماعة و ليس فيه أى فساد فمن ادعاه فعليه البيان والإمام الطحاوىؒ بين أنه يذكر عقيدة أهل السنة والجماعة و أئمتهم و الكسب الذى ذكره الإمام الطحاوى لا إختلاف فيه ، و أقوال الأئمة بينها اتفاق و تخصيص الكسب بالأشعرى لا يلزم منه أن الإمام الطحاوى كان بخلافه فإن أئمة أهل السنة لا اختلاف بينهم فى هذا الموضوع المهم قال الإمام الملا على القارى فى شرح الفقه الأكبر (٤٢) و تحقيقه أن صرف العبد قدرته أو إرادته إلى الفعل كسب ، و ايجاد الله تعالى

الفعل عقيب ذلك خلق ، فالله خالق والعبد كاسب)و هذه عبارة شرح العقائد للإمام التفتازانى، و قد نقله الإمام ملا على القارئ فلا اختلاف فى هذا .

و قوله: (و هذا مما يشككنا فى نسبة هذا المتن للطحاوى) باطل غير صحيح و قد ذكرنا أن كتاب الإمام الطحاوى لا شك فيه و أنه وصل إلينا بالتواتر و كل شارح لم يوافق الإمام الطحاوى مع عقيدته الباطلة يشكك فى الكتاب. والكسب أثبت الإمام الأعظم نعمان قبل الطحاوى والأشعرى . قال فى كتاب الوصية : و جميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم و الله تعالى خالقها و هى كلها بمشيئته و علمه و قضائه و قدره و قال فى الفقه الأكبر: و جميع أفعال العباد من الحركة و السكون كسبهم على الحقيقة و الله تعالى خالقها) الفقه الأكبر و شرحه لملا على القارى (ص: ٤٩)

والفرق بسيط بين الإمام الأشعرى و بين الإمام أبى حنيفة ، و هو أن القدرة عند أبى حنيفة قدرة على الضدين ، وليست قدرة مجبرة على ضد واحد فكما أنها قدرة على الإرادة فهى قدرة على الكراهة ، و كما هى قدرة على الإيمان فهى قدرة على الكفر، و للعبد أن يختار الطريق الذى يسير فيه ، و على أساس اختياره يكون الثواب والعقاب و لكن الأفعال تتعلق بالبارى خلقا و بالعبد كسباً ، و الله خالق أجسام العباد ، و لا بد من اقتران قدرة العبد بالفعل أماعند الأشعرى فقدرة العبد تقترن بالفعل ، وليست قدرة على الضدين كذا فى نشأة الأشعرية (٢٩١) و الذين يضربون هذا المثل و هو(هذا أدق من كسب الأشعرى) فمعناه أنه أدق لأن فى فهمه كانت صعوبة للمعتزلة لذلك شهروا هذا المثل لا أن الإمام الأشعرى هو الذى ابتكره لأن الإمام الأعظم النعمان قد ذكر الكسب فى كتابه الوصية و غيره كما ذكرنا.

قوله:(هذا تصريح بمخالفة الأشعرى) قوله هذا لا يستحق التفنيد.

قال : و لم يكلفهم الله إلا ما يطيقون و لايطيقون إلا ما كلفهم به

الشرح:۔

قال فى أحكام القرآن للعلامة جميل أحمد التهانوى (ص ٤٨) و فى حاشية النبراس عن العمدة شرح أحياء العلوم ، و فى عقيدة الإمام أبى جعفر الطحاوى ، و لم يكلفهم إلا ما يطيقون و لا يطيقون إلا ما كلفهم به ثم قال فهذه النصوص صريحة فى عدم جواز تكليف ما لا يطاق ، و عليه أى مع الأحناف جمهور المعتزله، و اختاره أبواسحق الاسفرائنى كما فى التبصرة و أبو حاركما فى شرح السبكى لعقيدة أبى منصور و لأبى حنيفة و من وافقه من النقل قوله تعالى ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ أى طاقتها . ووجه الدلالة أنه لو جاز التكليف به لجاز كذب هذا الخبر وكذب هذا الخبر محال فالملزوم مثله كما فى التلويح ، و من العقل أن تكليف العاجز بالفعل ليس سعة له فى الشاهد كتكليف الأعمى بالنظر ، فكذا فى الغائب و لأن فائدة التكليف الاداء كما هو مذهب المعتزلة ، اوالإبتلاء كما هو مذهبنا.

و هذا لايتصور فيما لا يطاق أما الأداء فظاهرو أما الابتلاء فكأنه إذا كان بحال لايتصور وجوده لا يتحقق معنى الابتلاء و إنما يتحقق فيمن لو أتى به يثاب عليه و لو امتنع عنه يعاقب عليه ، وذا فيما يتصور وجوده ، لا فيما يمتنع وجوده و قوله تعالى:﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ استعاذة عن تحميل ما لايطاق نحو أن يلقى عليه جدارًا أو جبلا لا يطيقه تعذيبًا فيموت به. اهـ

قوله :(فالحج مثلا فرضه الله على العبد مرة فى العمر و العبد يستطيع أن يحج أكثر

مـن مرة) . هذا غير صحيح لأن من يحج مثلاً من بلاد بعيدة كقفقاز و غيرها من البلاد حجه مرة واحدة شيئ عظيم بالنسبة له كما شاهدنا ذلك فكيف يصح كلامه هذا ؟!!

قال : و هو تفسير لا حول و لا قوة إلا بالله نقول

لا حيلة لأحد و لا حركة لأحد و لا تحوّل لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله و لا قوة لأحد على اقامة طاعة الله و الثبات عليهما إلا بتوفيق الله

الشرح:۔

و لـفظ الحول يتناول كل تحول من حال إلى حال ، والقوة هى القدرة على ذلك التـحول فالمعنى أنه ليس هناك أى حركة للعالمَين من حال إلى حال و لا أى قدرة على ذلك إلا بالله و معنى قول الإمام الطحاوى أخص وهذا المعنى كما قيل أعم .

و قـول السـقـاف: (وتـفسيـره (إلا بالله) بقوله (إلا بمعونة الله) تحكم مبنى على عقيدة غير صحيحة حقيقتها الجبر) باطل لأن الحافظ ذكر معنى هذا القول و هو قريب إلـى قـول الإمـام الـطحاوى قال فى الفتح : (١١/٥٠٠) (لأن معنى لا حول و لا قوة له عـلـى طـاعة الله إلا بتـوفيـق الله.... و قـال النووى: هى كلمة استسلام وتفويض و أن الـعبد لا يملك من أمره شيئًا و ليس له حيلة فى دفع شر و لا قوة فى جلب خير إلا بإرادة الله تعالى) فانتفى التحكم الذى يدعيه السقاف و لا جبر فى مذهبنا.

قـال: و كـل شيـئ يـجرى بمشيئة الله تعالى و علمه و قضائه و قدره غلبت مشيئته الـمشيـئـات كـلها و غلب قضاؤه الحِيَل كلها، يفعل ما يشاء و هو غير ظالم أبدا لايسأل عما يفعل و هم يسألون .

الشرح:۔

و القضاء علی قسمین:

۱:. التکوینی: کقوله تعالی :﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾

۲:. التشریعی : هو کقول الله تعالی:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾

قوله : و هو غیر ظالم أبدًا: قال الله تعالی:﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(الکهف:۴۹)

وقال تعالی:﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(ق:۴۹)

و فی الحدیث القدسی: یا عبادی إنی حرمت الظلم علی نفسی و جعلته بینکم محرّمًا فلا تظالموا)

و قال السقاف فی قول الإمام الطحاوی:(و کل شیئ یجری بمشیئة الله تعالی و علمه و قضائه و قدره) (نعم لکن بخلاف مراد المصنف فقد جرت مشیئة الله تعالی و علم و قضاؤه و قدره أن یکون الإنسان مختاراً یفعل ما یشاء من خیر أو شر).

و قوله هذا غیر صحیح لأنا قدمنا أن الإنسان هو الکاسب و الله خالق الأفعال یمدح و یثاب بإختیاره الخیر و یذم و یعاقب بإختیاره الشر . قال الإمام المجدد السرهندیؒ (فی المکتوبات ۲۰/۱) :(من کمال رأفة الحق أن جعل خلقه تابعاً لقصد العبد فی فعله حیث یوجد الفعل فی العبد بعد تعلق القصد به فیکون العبد بالضرورة ممدوحاً و ملوماً ، و معاقباً و مثاباً ، قصدا لعبد و اختیاره اللذان أعطیهما من قبل الحق یتعلقان بجهتی الفعل والترک و ما نقله الإمام الطحاویؒ هو عین عقیدة الأئمة العظام و منهم الإمام النعمان و أصحابه و اتباعه و جمیع أهل السنة والجماعة.

و قال السقاف فی قول الإمام الطحاویؒ :(یفعل ما یشاء ، و هو غیر ظالم أبداً) لا شک بأن الله تعالی یفعل ما یشاء) و لکنها عند المصنف ههنا حق أرید به باطل! والله

تعالى لا يظلم الناس شيئاً و لكنها عند المصنف و من يقول بقوله يقولون بأنه تعالى قدّر على أناس أن يعملوا عمل أهل النار و لا يستطيعون أن يفعلوا خلاف ذلك ويدخلهم النار و لا يكون ظالماً ! و هذا خلاف الحقيقة لأن جبر الناس على الكفر والشرك و محاسبتهم عليه و إدخالهم النار ظلم بيّن و هذا الذى نفاه سبحانه و تعالى عن نفسه بقوله(من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها و ما ربك بظلام للعبيد). (فصلت:٤٦)

أقول هذا الفكر القدرى قد فندناه و يعيده بمرات كثيرة (قال الإمام الغزالىؒ :(أن انفراد اللّٰه سبحانه و تعالى بإختراع حركات العباد و أفعالهم لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل اللّٰه تعالى خلق القدرة و المقدور جميعاً ، و خلق الإختيار و المختار جميعاً، فأما القدرة فوصف للعبد و خلق للرب سبحانه ، و ليست بكسب له ، و أما الحركة فخلق للرب تعالى ، و وصف للعبد و كسب له فإنما خلقت مقدورة بقدرة هى و صفه ، وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسباً.

و كيف تكون جبراً محضاً و هو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية؟ أو كيف يكون خلقاً للعبد و هو لا يحيط علمًا بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة و أعدادها؟ و إذابطل الطرفان ، والنصوص ناطقة ببطلانها ، لم يبق إلا الاقتصاد فى الاعتقاد ، و هو أنها مقدورة بقدرة اللّٰه تعالى اختراعاً و بقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبّر عنه بالاكتساب)

و نأتى إلى قوله:(أن إدخالهم النار هو ظلم) إذ كيف يكون ظلما بعد أن كسبوا

بأنفسهم الكفر والمعاصي و لم يجبر هم الله.

و أما استدلاله بالآية فمعنى الآية أن الله لايعذب غير المسيئ ، أو أن يأخذهم بلاجرم كما ذكر المفسرون و أما قوله تعالى:(و ما ظلمناهم) فنعم إن الله تعالى نفى عن نفسه الظلم لأنه يتصرف في ملك نفسه، و من كان كذلك لم يكن ظالماً و إنما قال :(و لكن كانوا أنفسهم يظلمون) لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب.

وقول السقاف :(هذا باطل في تعريف الظلم) لم يذكر السقاف عن أحد أئمة اللغة تعريف الظلم والعدل حتى يستدل به و من يسلم معه تحقيقه الذى لا يساعده النقل والعقل ؟!

و قوله:"أنه لا معنى للآيات" و قد ذكرناه وجهه فى الآية انفاً.

و قوله :(أن الانسان عند ما يفهم أو يمنع ما يملك من الرقيق...)هذا المثال الذى وضعه لايتأتى فى الخالق و المخلوق و بطلانه ظاهر لكل ذى عينين.

و قوله:(و قد انكر الماتريدية هذا الذى جاء به الأشعرى...) الإختلاف بين الأشاعرة والماتريدية كلا اختلاف فلا حاجة إلى تكراره و قد ذكرنا أن الاختلاف بينهما ليس مما يترتب عليه التبديع و التفسيق و التكفير كإختلاف بين المذاهب الأربعة فى الفروع فلا يعبأ فى هذا إلى قول الخصم و فى (نشأة الأشعرية و تطورها:(من ذلك يتضح أن الخلاف بين الأشعرية والماتريدية إنما هو فى تحديد المراد بلفظى القضاء والقدر فى اللغة ، و هو خلاف لفظى بحت.أما الإيمان بالقضاء والقدر و كونها جزءاً من الإيمان فهذا لا خلاف فيه بين الفريقين و لذلك يرى ابن عذبة أن الأشعرية و الماتريدية متفقون فى أصل عقيدة أهل السنة والجماعة و أن

الخلاف الظاهر بينهما فی بعض المسائل لا يطعن فی عقيدتهما فهی أمور جزئية فرعية نمت إلی الفروع دون الأصول و يؤكد ابن عذبة أن الخلاف بينهما لا يوجب الفساد).

وصدقات الأحياء و جميع أنواع البر من صلاة أو صوم أو حج أو قراء ة قرآن تصل إلى الأموات:

قال: و فی دعاء الأحياء و صدقاتهم منفعة للميت:

الشرح:۔

قال العلامة شبير أحمد العثمانی فی فتح الملهم شرح صحيح مسلم (٥/٦٨)

قال العلامة ابن عابدين رحمه الله فی ردّ المحتار :(صرّح علماؤنا فی باب الحج عن الغير بأن للإنسان أن يحعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صومًا أو صدقة اوغيرها . كذا فی الهداية، بل فی زكاة التتارخانية عن المحيط :(الأفضل لمن يتصدق نفلاً أن ينوی لحميع المؤمنين و المؤمنات ، لأنها تصِل إليهم و لا ينقص من أجره شیئ اهـ.

و هو مذهب أهل السنة والحماعةلكن استثنی مالك و الشافعی رحمهما الله العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة ، فلا يصل صوابها إلی الميت عندهما بخلاف غيرها كالصدقة والحج وخالف المعتزلة فی الكل اهـ.

و قال العلامة ابن عابدين رحمه الله : (ما مرّعن الشافعی هو المشهور عنه ، والذی حررّه المتأخرون من الشافعية وصول القراء ة للميّت إذا كانت بحضرته ، أو دعی له عقبها و لو غائبا، لأن محل القراء ة تنزل الرحمة والبركة والدعاء عقبها ارجی اللقبول ...)

٢:مـ و قال ابن قدامة رحمة الله فى المغنى (٢:٥٢٤) و لنا ما ذكرناه و أنه اجماع المسلمين فإنهم فى كل عصر و مصر يجتمعون و يقرؤون القرآن و يهدون ثوابه إلى موتاهم من غير نكير و لأن الحديث صح عن النبى ﷺ : (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه) و الله اكرم من أن يوصل عقوبة المعصية إليه و يحجب المثوبة عنه و لأن الموصل لثواب ما سلموه قادر على ايصال ثواب ما منعوه و الآية مخصوصة بما سلموه ، و ما اختلفنا فيه فى معناه فنقيسه عليه و لا حجة لهم فى الخبر الذى احتجوا به فإنما دل على انقطاع عمله فلا دلالة فيه عليه.

ثم لو دلّ على انقطاع عمله فلا دلالة فيه عليه . ثم لو دلّ عليه كان مخصوصًا بما سلموه و فى معناه ما منعوه فيخصص به أيضاً بالقياس عليه ، و ما ذكروه من المعنى غير صحيح فإن تعدي الثواب ليس بفرع لتعدى النفع ثم هو باطل بالصوم و الدعاء والحج وليس له أصل يعتبر والله اعلم.

٣:مـ و قال الإمام المجمع على فضله أبو زكريا النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم (١:٨٩) فإن الصدقة تصل إلى الميت و ينتفع بها بلا خلاف بين المسلمين و هذا هو الصواب و أما ما حكاه أقضى القضاة أبو الحسن الماوردى البصرى الفقيه الشافعى فى كتاب (الحاوى) عن بعض أصحاب الكلام من أن الميت لا يلحقه بعد موته ثواب فهو مذهب باطل قطعًا و خطأ بين مخالف لنصوص الكتاب والسنة و إجماع الأمة فلا التفات إليه و لا تعريج عليه) اهـ

٤:مـ و قال الخلال فى كتاب الجامع : (القراءة عند القبور) اخبرنا العباس بن محمد الدورى ، حدثنا يحيى بن معين ، ثنا مبشر الحلبى ، حدثنى عبد الرحمن بن العلاء بن

اللحلاج عن أبيه قال : قال أبی : إذا أنا مت فضعنی فی اللحد ، و قل: بسم الله و علی سنة رسول الله ، و سن علی التراب سنا و اقرأ عند رأسی بفاتحة البقرة و خاتمتها ، فإنی سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك ...... قال الخلال : و اخبرنی الحسن بن أحمد الوراق حدثنی علی بن موسی الحداد ، و كان صدوقا ، قال كنت مع أحمد بن حنبل و محمد بن قدامة الجوهری فی جنازة ، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد : يا هذا إن القراء ة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله ما تقول فی مبشر الحلبی ؟ قال ثقة ، قال : كتبت عنه قال : نعم . قال فأخبرنی مبشر عن عبد الرحمن بن اللحلاج عن ابيه أنه اوصی إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة و خاتمتها ، و قال سمعت ابن عمر يوصی بذلك ، فقال له أحمد : فارجع و قل للرجل : يقرأ.

و قال الزعفرانی : سألت الشافعی عن القراء ة عند القبر ، فقال لا بأس بها.

و ذكر الخلال عن الشعبی قال : كانت الانصار إذا مات لهم الميت اختلفو إلی قبره يقرؤون عنده القرآن. و يستأنس لذلك بما ذكره الحافظ ابن كثير فی كتاب البداية والنهاية فی وفاة الحافظ ابن تيمية الحنبلی(١٤ : ١٣٥ـ١٤٠)

قال البرزالی: و فی ليلة الاثنين والعشرين من ذی القعدة توفی الإمام العالم (ابو العباس أحمد بن شيخنا العلامة) إلی أن قال :بقلعة دمشق بالقاعة التی كان محبوسًا بها و حضر جمع كثير إلی القلعة و أذن لهم فی الدخول عليه و جلس جماعة عنده قبل الغسل و قرؤا القرآن و تبركوا برؤيته و تقبيله ... إلی أن قال : و حصل فی الجنازة ضجيج و بكاء كثير و تضرع و ختمت له ختمات كثيرة بالصالحية و بالبلد و تردد الناس إلی قبره ايامًا كثيرة ليلا و نهارًا و يبيتون عنده و يصبحون) كذافی رفع الافتتات للشيخ آل مبارك.

و قال فی اسعاف المسلمین ص ٧٠ و مابعدها :

قد تحقق وتلخصّ من كلام العلماء أنّ أربعة يصل ثوابها للميت بالإجماع ، و هى الصدقة و الدعاء و الاستغفار و أداء الواجبات التى تقبل النيابة كأداء الدين عنه ، و أن الصوم يصح عنه و يصله ثوابه عند الإمام الشافعى فى القديم و أبى ثور و المحققين من المحدثين لعموم حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال :(من مات و عليه صوم صام عنه وليّه) و تحقق أيضاً أن القراء ة على الأموات فعلها السلف الصالح من كلام ابن قدامة و ابن القيم و غيرهما عن الأئمة الأقدمين من أهل الاثر كالخلال و غيره ، و أن عمل المسلمين شرقًا و غربًا لم يزل مستمرا عليه ، و أنهم وقفوا على ذلك اوقافًا كما فى فتوى الإمام ابن رشد المالكى و كلام السيوطى الشافعى المنقول عن ابن عبد الواحد المقدسى الحنبلى وعن غيره ، و كلام ابن قدامة فى مغنيه ، و ابن القيم فى كتابه الروح ، بل صرّح ابن قدامة و ابن عبد الواحد المقدسى فيما نقله عنه السيوطىُّ بإجماع المسلمين فيها ، و خصها الثانى منهما بتأليف ، كما ألفّ فيها السروجى و سعدالدين الديرى الحنفيّان و غيرهما ، و ابن القيم قال : و هذا عمل الناس حتى المنكرين فى سائر الأعصار و الأمصار من غير نكير من العلماء ، و نسب وصولها لجمهور السلف و الإمام أحمد و عدمه إلى أهل البدع من أهل الكلام و كذلك قال السُّيوطى و جمهور السلف الأئمة الثلاثة على الوصول ، والعلامة المرغينانى الحنفى قال :

للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاةً أو صومًا أو صدقةً أو غيرها عند أهل السنة والجماعة، و كذلك قال البدر العينى الحنفى :يصل إلى الميت جميعُ انواع البرّ من صلاة أو صومٍ أو حجٍ اوصدقة أو قراء ة قرآنٍ أو ذكرٍ إلى غير ذلك .

والآثـار الـدالة عـلى جواز انتفاع الشخص بعمل الغير كثيرةٌ ، قال العلامة المحقق الـكـمـال بـن الـهـمـام : يـبـلـغ الـقـدر الـمشـتـرك بين الكل . و هو أنّ من جعل شيئًا من الـصـالـحـات لـغـيـره نـفـعه الله به . مبلغ التواتر وقال الحافظ السيوطى و استدّلوا (اى الـجـمـهـور) عـلـى الـوصـول بـالقياس على الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق ، و بالأحاديث الآتى ذكرها(وذكرها فى شرح الصدورعن الخلال وغيره) .

قال : وهى وإن كانت ضعيفةً فمجموعها يدّل على أن لذلك أصلاً و بأن المسلمين مازالوا فى كل عصريجتمعون ويقرؤن لموتاهم من غير نكير ، فكان اجماعًا .اهـ

تـوضيح بعض المسائل التى تحتاج إلى البيان فى مذهبنا الحنفى (و هذه المسائل بالبشتو و نحن عربناها):

المسئلة الأولى:۔ حكم أخذ الأجرة على الرقية و قراء ةالقرآن لايصال الثواب واعطاء شيئ لحافظ القرآن الذى قرأ فى التراويح:

قـال الـعـلامة مفتى فريدؒ فى المقالات(ص:٩٤) :١ ـ اعلم(أن أخذ الأجرة على الرقية جائز لما ثبت فى حديث البخارى:(إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب اللّٰه).

و قـال الإمـام الـطحاوى فى كتاب الإجارات و كذلك نقول نحن أيضا . لا بأس بـالاستيـجـار عـلـى الـرقـىٰ والـعـلاجـات كلها. وإن كنا نعلم ان المستاجر على ذلك قديدخل فى ما يرقى به بعضَ القرآن . (شرح معانى الآثار ج ٢ ـ ص ٢٢٣)

و قـال بـدر الـديـن الـعـينى فى عمدة القارى فى شرح حديث أبى سعيد الخدريؓ بإحالة الإمام القرطبى : و مذهب أبى حنيفةؒ جواز الأجرة على الرقية...

٢ ـ واعـلـم أن ختـم الـقرآن لايصال الثواب(للميت) جائز و التصدق على القارى

جائز أيضا باعطائه المال لكن أخذ الأجرة على تلاوة القرآن مختلف فيه بين الفقهاء.

و قد لمح بعض الفقهاء إلى أن الأصح هو الجواز ... كما فی الهندية (٤٦١/٤) واختلفوا فی الاستيجار على القبر مدة معلومة قال بعضهم لا يجوز. و قال بعضهم يجوز و هو المختار كذا فی السراج الوهاج. و كما فی وقف البحر (ج٥ـ ص ٢٢٨) . فان المفتی به جواز الاخذ على القراء ة ، و كما فی رد المحتار فی الاجارة الفاسدة ـ عن الجوهرة ـ و اختلفو فی الاستيجار على قراء ة القرآن مدة معلومة قال بعضهم لا يجوز. و قال بعضهم يجوز ، و هو المختار. انتهی. هذا كان قول بعض الفقهاء، و أما الفقهاء الآخرون قالوا بعدم الجواز. كما فی حاشية البحر (ج٥ـ ص ٢٢٨) . عن الرملی ، اقول المفتی به جواز الأخذ استحسانا على تعليم القرآن لا على القراء ة المجردة كما صرح به فی التتارخانية . و فی رد المحتار (ج٦ ـ ص ٥٦) قال العينی فی شرح الهداية ، و يمنع القاری للدنيا و الآخذ والمعطی اثمان.

٣ـإذا صلی بالناس حافظ القرآن التراويح وقرأ فيه القرآن فاعطاه الناس المال فهذا يجوز ، و هذه ليست بأجرة كما فی حديث أنس رضی الله عنه : أن رجلا من كلاب سأل النبی ﷺ عن عسب الفحل ، فنهاه فقال يا رسول اللّٰه أنا نُطرق الفحل فنكرَم ، فرخّص له فی الكرامة. (رواه الترمذی)

المسئلة الثانية:. حكم التصدق لأهل الميت على المساكين:

و قال فی المقالات (ص:٩٩) يجوز لأهل الميت التصدق على المساكين كل وقت بشرط أن لا يكون فی الورثة صغار أو غائب كمافی الهندية (٣٤٤/٥) .(اتخذ طعاما للفقراء كان حسنا إذا كانت الورثة بالغين فإن كان فی الورثة صغير لم يتخذ ذلك

من تركة) كذا فى التتارخانية .

و الاهتمام بالرسوم فى مراسم الميت غير جائز كما فى البزازية على هامش الهندية (٨١/٤). (و يكره إتخاذ الطعام فى يوم الأول والثالث و بعد الاسبوع والأعياد) و فى جنايز رد المحتار عن المعراج (قال هذه الأفعال كلها للسمعة والرياء فيتحرز عنهما لأنهم لا يريدون بها وجه الله). و إتخاذ الضيافة من أهل الميت ممنوع إلى ثلثة أيام و هذا عمل ممنوع و أما أكل الطعام الذى هيأه أهل الميت فلا يمنع من أكله كما فى الهندية (٣٤٤/٥):(و لا يباح إتخاذ الضيافة ثلاثة أيام المصيبة و إذا اتخذ لا بأس فى الأكل منها كذا فى خزانة المفتين، و لا بد للخواص أن يمنعوا عن هذا الطعام لأنهم لو لم يمنعوا ما منع الناس عن الطبخ ، و يجوز لأهل الميت تهيئة الطعام للضرورة مثلاً لو لم يكن لأهل الميت أقرباء أو كانوا بجانبه لثماء أو لم تكن السهولة اللازمة لشراء الطعام .

المسئلة الثالثة :ـ حكم حيلة الاسقاط:

قال فى المقالات (ص ٥١): مبحث فى حيلة الاسقاط إذا فات من المسلم العاقل والبالغ الصلوات والصيام عمدا أو بلا عمدٍ فيفرض عليه قضائهما و إذا لم يقضهما أثم. فإذا أيس من حياته يجب عليه الوصية من تركته من الأموال المنقولة و غير المنقولة أن يؤخذ من ثلث ماله فيعطى لكل صلوة و صوم نصف صاع من برّ و لولم يوص فمات أثم و لو لم يكن له مال أو لم يكن ثلثه فارغا أو لم يوص فسقا و جهالة فيجوز لوارثه أن يتبرع عنه فيعطى الفقراء نصف صاع من بر . (رد المحتار ٤٩٢/١)

قال فى "مفردات "(ص١٣٨) : الحيلة ما يتوصل به إلى حالة ما فى خفية.

و قال ابن حجرؒ: الحيلة ما يتوصل به إلى مقصود بطريق خفى. (فتح البارى ٢٧٤/١٢)

و قال صاحب الاشباه والنظائر: هى تقليب المنكر حتى يهتدى إلى المقصود (ص- ٤١٧)

اعلم أن للحيل أقسام كثيرة و نحن نذكر ههنا قسمان منها:

١- الحيلة التى تحلل الحرام أو تبطل الشريعة كما احتال أصحاب السبت لتحليل الصيد. واحتال اليهود لتحليل الشحوم (البخارى) هذه الحيلة حرام لا شك فيها.

٢- الحيلة التى تخلص من الحرام و تفعلها لفراغة ذمة أو اسقاط واجب و هذا يجوز. كما فعل أيوب عليه السلام، قال الله تعالى :(و خذ بيدك ضغثا فاضرب به و لا تحنث) [سورة ص] و كما فعل الرسول ﷺ لتخليص مريض وجب عليه الحد، (قالوا ما رأينا بأحد من الناس من الضر مثل الذى هو به، لو حملنا إليك لتفسخت عظامه، ما هو إلا جلد على عظم، فأمر رسول الله أن يأخذوا له مأة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة). (رواه ابو داود ص ٦١٤) و هذه الحيلة جائزة ليست مخصوصة و لا منسوخة و اختارها الأحناف والشافعية والحنابلة، ولا تشرع عند المالكية والسلفية. فليراجع إلى تفسير القرطبى (٢١٣/١٥، و شرح الاشباه للحموى ص ٤١٨، وفتح البارى ٢٧٥/١٢)

و حيلة الاسقاط ثابتة بأصلها كما أن الفقهاء الكرام صرحوا بمشروعيتها فليراجع إلى (رد المحتار ٦٨٧/١)(والطحطاوى ص ٢٦٣) (و الشرح الكبير ص ٤٩٧) و (خلاصة الفتاوى ١٥٣/١)(والبحر ٩١/٢) (والاشباه والنظائر ص ٤١٨)

و غير ذلك.

و لمشروعية هذه الحيلة شرائط لا بد من رعايتها :

١ـ لو لم يوص الميت و كان فی الورثة صغار أو غائب فلا يجوز التبرع من ماله .

٢ـ أن يكون فی القطار و الدائرة المساكين فلو أعطی للغنی لا يفرغ ذمته.

٣ـأن يملكونهم تمليكا حقيقيا واقعيا لا خياليا كما صرح به ابن عابدين فی منة الجليل ص ٢٢٥ حيث قال: و يجب أن يدفعها حقيقة لا تحيلا ملاحظاً أن الفقير إذا أبیٰ عن الهبة إلی الوصی كان له ذلك و لا يجبر علی الهبة انتهی... إلی أن قال... و لما كان فی حيلة المروجة فقد الشرائط وبالخصوص الشرط الثالث لهذا لا يفرغ ذمة الميت فیٰ لحيلة المروجة، فاسمه حيلة الاسقاط وفی الحقيقة حيلة الاستحصال فيجب علی أهل العلم أن يدفعوا المفاسد عنها أو يسدوا هذه الحيلة لأن لا يقع العوام فی الفهم السوء و حسن الظن.

قال : والله تعالی يستجيب الدعوات و يقضی الحاجات و يملك كلَّ شيئ ؛ لا يملكه شيئ و لا غنی عن الله طرفة عين و من استغنی عن الله طرفة عين فقد كفر .وصار من أهل الحيَن:

الشرح:ـ

والله تعالی يقبل الدعوات و يؤدی حاجات الناس والله المالك لكل شيئ كائن فی الكون وغيره و لا يملك الله أحدٌ ولا يوجد أحد يغنی عن الله عزوجل قدر تحرك جفنيه و من استغنی عنه بقدر لمحه بالبصر فقد كفر و صار من الذين هلكوا و ما نجوا و قد خسروا خسرانًا مبينًا.

فضل الدعاء:

الأحاديث فی فضيلة الدعاء:

قال ﷺ : ١. الدعاء هو العبادة : ثم تلا قوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ الحديث أخرجه ابن حبان فی صحيحه و ابن أبی شيبة فی مصنفه و أهل السنن الأربع.

٢:. وفی الترمذی : قال قال رسول الله ﷺ : (الدعاء مخ العبادة).

٣:.و قال رسول الله ﷺ : لا يرد القضاء إلاالدعاء، و لا يزيد فی العمر إلا البرّ رواه الترمذی و ابن حبان. و قال الترمذی حسن غريب .

٤:. و قال ﷺ : (لا يغنی حذرٌ من قدرٍ والدعاء ينفع مما نزل و مما لم ينزل ، و إن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلی يوم القيامة) رواه البزار و الحاكم فی المستدرك.

٥:. و قال ﷺ : (ليس شيئ اكرم على الله من الدعاء) رواه الترمذی و ابن حبان.

٦:.و قال ﷺ : (لا تعجزوا فی الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد) . أخرجه ابن حبان فی صحيحه .

٧:.وقال :ﷺ : (من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد و الكرب فليكثر الدعاء فی الرخاء) . أخرجه الترمذی والحاكم فی المستدرك و أقرّه الذهبی .

٨:.و قال ﷺ : (الدعاء سلاح المؤمن و عماد الدين و نور السموات والأرض) . رواه الحاكم فی المستدرك.

٩:.قال ﷺ : (إن الله حيٌّ كريم يستحی من عبده إذا رفع الرجل إليه يديه أن

يردهماصفرًا خائبتين) . كذا فى تحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين.

١٠:.قال ﷺ:(ما من مسلم يدعوا الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطعية رحم إلااعطاه الله بها احدى ثلاث : إماأن يعجل له دعوته ، و إما أن يدخرها له فى الآخرة ، و إما أن يصرف عنه السوء مثلها)

آداب الدعاء:

من أهمها:

١ ـ استقبال القبلة: عن عبد الله بن زيدؓ قال : خرج النبى ﷺ إلى هذا المصلى يستسقى فدعا و استسقى ، و استقبل القبلةَ.(رواه البخارى)

٢ ـ رفع اليدين: و عن أبى موسىؓ قال : "دعا النبيُّ ﷺ ثم رفع يديه و رأيت بياض إبطيه". (رواه البخارى)

٣ ـ و ٤ ـ البدء بحمد الله ... والصلاة على النبى:قال عبد الله بن مسعودؓ كنت أصلى و النبى و أبو بكر و عمر معه فلما جلست بدأت بالثناء على الله و الصلاة على النبىﷺ ثم دعوتُ لنفسى فقال النبى ﷺ : سَل تعطه سل تعطه". (رواه الترمذى)

٥ ـ البدء بالنفس: عن أبى بن كعبؓ قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه. (رواه الترمذى بسند صحيح)

٦ و ٧ ـ العزم و الالحاح : عن عبد الله بن مسعودؓ أن رسول الله ﷺ كان يعجبه أن يدعو ثلاثاً و يستغفر ثلاثاً. (رواه أبو داود بسند صالح)

٨ و ٩ ـ الايقان بالاجابة والبعد من المحرمات : عن أبى هريرةؓ عن النبى ﷺ قال ، ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة و اعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ .

(رواه الترمذى والحاكم)

١٠ ـ لا تعجل: و عنه عن النبى ﷺ قال "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لى. (رواه الأربعة)

(١١) و عنه عن النبى ﷺ قال "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم او قطعيه رحم".

(رواه مسلم و أبو داود)

الإعتبارات الزمنية لقبول الدعاء:

الدعاء فى ثلث الليل الأخير مستجاب:

عن أبى هريرةؓ عن النبىﷺ قال : "ينزل ربّنا تبارك و تعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له" . (رواه الأربعة)

الدعاء بعد الصلوات المكتوبة مستجاب:

عن أبى أمامةؓ قال : " قيل يا رسول الله أىُّ الدعاء أسمع قال : جوف الليل الآخر ، و دبر الصلوات المكتوبات".

الدعاء بين الأذان و الاقامة مستجاب :

عن أنسؓ عن النبى ﷺ قال "لا يرد الدعاء بين الأذان و الإقامة". (رواه أصحاب السنن) بسند حسن.

الدعاء فى السجود مستجاب:

عن أبى هريرةؓ عن النبى ﷺ قال : أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد فأكثروا الدعاء فقمنٌ أن يستجاب لكم. (رواه مسلم و أبو داود)

الإعتبارات التي تتصل بحال الداعي:

الدعوة بظهر الغيب مستجابة:

عن عمر رضي الله عنه قال : "استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن لي و قال : لا تنسنا يا أخي من دعائك فقال عمر : كلمةً ما يسرني أن لي بها الدنيا" (رواه أبو داود والترمذي) بسند حسن صحيح.

و لهما بسند صحيح "إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب".

دعوة الوالد والمسافر والمظلوم مستجابة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، و دعوة المسافر و دعوة المظلوم". (رواه أبو داود و أحمد والترمذي) بسند حسن.

دعوة الصائم و الإمام العادل و المظلوم مستجابة:

و عنه عن النبي ﷺ قال : " ثلاثة لا ترد دعوتهم . الصائم حتى يفطر، و الإمام العادل، و دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام و يفتح لها أبواب السماء و يقول الرب و عزتي لأنصرنك و لو بعد حين". (رواه الترمذي) بسند حسن.

وقال ﷺ:(لا تدعوا على أنفسكم على أولادكم و لا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيه إعطاءً ا فيستجيب لكم) رواه مسلم.

الإعتبارات التي تتصل بوصف الدعاء و صيغته:

من دعا بدعوة ذي النون أجيب :

عن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : دعوة ذي النون إذ دعا و هو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيئ قطُّ إلا

استجاب الله. (رواه الترمذی)

من دعا الله باسمه العظیم أجیب:

عن أنس رضی الله عنه أنه کان مع رسول الله جالساً فی المسجد و رجل یصلی ثم دعا.

اللهم إنی أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بدیع السموات و الارض یا ذا الجلال و الإکرام ، یا حیُّ یا قیُّوم فقال النبیُّ ﷺ لقد دعا الله باسمه العظیم الذی إذا دعی به أجاب ، و إذا سئل به أعطی. (رواه أبو داود و الترمذی) بسند غریب .

دعوة النبی مستجابة :

و عنه عن النبی ﷺ قال : "لکل نبی دعوة قد دعا بها فاستجیبت فجعلت دعوتی شفاعة لأمتی یوم القیامة". (رواه الشیخان والترمذی)

الدعاء فی الرخاء مدعاة الاجابة فی الشدة:

عن أبی هریرة رضی الله عنه عن النبی ﷺ قال : "من سره أن یستجیب الله عند الشدائد و الکرب فلیکثر الدعاء فی الرخاء". (رواه الترمذی) بسند غریب.

الدعاء بالمأثور من جوامع الکلم:

عن أنس رضی الله عنه قال : کان أکثر دعاء النبی ﷺ : "اللهم ربنا آتنا فی الدنیا حسنة ، و فی الآخرة حسنة و قنا عذاب النار". (رواه الثلاثة) (١)

الذین یستجاب دعاؤهم و بم یستجاب؟

(المفطر والمظلوم مطلقًا و لو کان فاجرًا أو کافرًا ، و الوالد علی ولده، و الإمام العادل، و الرجل الصالح ، و الولد البّار بوالدیه ، و المسافر، و الصائم حین یفطر، والمسلم لأخیه بظهر الغیب ،و المسلم ما لم یدع بظلم أو قطیعة رحم أو یقول دعوت .

فلم احب ، والتائب فقد قال ﷺ :(إن لله عزوجل عتقاء فى كل يوم و ليلة لكل عبد منهم دعوة مستجابة) [كذا فى تحفة الذاكرين]و اسانيدها و تفصيل كل حديث فيه فلينظر هناك.

بعض آداب الدعاء:

قال (فى البركة فى فضل السعى و الحركة) آداب ا الدعاء (ص ٤٦١):

وهى أن يكون على طهارة و أن يفتتحه و يختمه بحمد الله تعالى و الثناء عليه سبحانه و تعالى و الصلاة و السلام على رسول الله ﷺ و على سائر النبيين و آلهم رضى الله عنهم ، و أن يستقبل القبلة إن أمكنه و يكرر الدعاء ، ثلاثًا فأكثر ، و أن يحزم بالطلب و لا يقول اغفرلى إن شئت و نحوه و لا يستبطئ الاجابة ، فقد قال ﷺ : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، فيقول قد دعوته فلم يستجب لى ...) و لا يتكلف السجع ، و يكون صوته بين المخافتة و الجهر متضرعا خاشعًا ، و يرد المظالم والديون إن قدر عليها ، و يتوب إلى الله تعالى و يستغفره ، و يكون مطعمه و مسكنه و ملبسه و كل ما معه حلالاً ، فقد ذكر ﷺ :(إن الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يا رب ، و مطعمه حرام و مشربه حرام و ملبسه حرام و غذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك) و أن يحدّ فى دعائه و يحضر قلبه و أن يغتنم الأزمان الشريفة كيوم عرفة و شهر رمضان و يوم عاشوراء ، ويوم سبعة و عشرين من رجب ، و يوم النصف من شعبان و يومى العيدين و الأيام المعلومات والمعدودات و كيوم الجمعة و ليلتها و ليلة النصف من شعبان و ليلتى العيدين و الثلث الأخير من الليل ووقت السحر ، و أن يغتنم الأحوال الشريفة كحال السجود و الطواف والصيام و نزول

الغيث ، و إقامة الصلاة و عقبها و ختم القرآن ، و حال رقة القلب و يغتنم المواضع الشريفة كالكعبة و عرفات و تحت الميزاب بمكة و المساجد الفاضلة و المشاهدا لكريم و المواضع النظيفة و الخالية ، و أن يوقن بالإجابة و يصدق رجاؤ ه.

قال سفيان بن عينية: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه ، فإن الله اجاب شر خلقه ابليس قال ﴿رب انظرنى فقال إنك من المنظرين﴾ ، و ان يرفع يده كالمغترف بهما معا حتى يرى بياض ابطيه و لا يحاوز بهما رأسه و قال ابن عباس رضى الله عنهما: المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك و الاستغفار أن تشير بأصبع واحدة ، والابتهال أن تمد يديك جميعًا هكذا و رفع يديه و جعلهما ممايلى وجهه ثم يمسح بهما وجهه إذا فرغ و لا يمسح غير وجهه من بدنه و لايرفع يدًا واحدة إلا لعذر و إذا دعا لدفع بلاء جعل ظهر كفيه إلى السماء نص عليه الرافعى و النووى و غيرهما و يختم دعاء ه بآمين . و من آدابه استعمال خصال النظافة و لا يرفع بصره إلى السماء.

الدعاء بعد الصلاة مشروع أمر به النبى ﷺ و فعله:

(ا) ......ثبوته من الكتاب:

قال الإمام السمرقندى فى تفسيره المسمى بحر العلوم عند قوله تعالى: (فاذا فرغت فانصب و الى ربك فارغب) قال قتادة فإذا فرغت من الصلاة فانصب للدعاء . و هكذا قال الضحاك، و به قال السيوطى فى الدر المنثور، و قال الفخر الرازى فى كتابه مفاتيح الغيب : إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك بالدعاء ، وارغب إليه فى المسألة . و قال ابن عباس : إذا فرغت من الصلاة المكتوبة ، فانصب إلى ربك فى الدعاء إليه فى المسألة ، و إلى ربك فارغب : أى تضرع إليه واجعل رغبتك إلى الله

تعالی فی جمیع أحوالك ، لا إلی أحد سواه . نقل ذلك الإمام الخازن فی تفسیره.(١)

(ب) ......ثبوته من الأحادیث:

١ـ أخرج أبو داود و النسائی و اللفظ له و ابن خزیمة و ابن حبان فی صحیحیهماوالحاکم و صححه علی شرط الشیخین عن معاذ بن جبل رضی الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بیده یوماً ثم قال یا معاذ و الله إنی لأحبك : أوصیك یا معاذ لا تدعن فی دبر کل صلاة أن تقول : "اللهم أعنی علی ذکرك و شکرك و حسن عبادتك".(٢)

٢ـ و أخرج الترمذی بسند حسن عن أبی أمامة رضی الله عنه قال : قیل یا رسول الله أی الدعاء أسمع ؟ قال : جوف اللیل الأخیر ، و دبر الصلوات والمکتوبات.(٣)

٣ـ و أخرج الطبرانی و أحمد و ابن ماجه وابن أبی شیبة عن أم سلمة رضی الله عنها قالت : کان النبی ﷺ یقول بعد صلاة الفجر : "اللهم إنی أسألك رزقاً طیباً ، و علماً نافعاً ،و عملاً متقبلاً".(٤)

١ـ کذا فی عقیدة السلف الصالح (ص : ٣٩٥).

٢ـ أخرجه ابو داود ح (١٥٢٢) و أحمد (٢٤٤/٥) و ابن حجر فی نتائج الأفکار ، و قال : هذا حدیث صحیح ـ و هو فی حیاة الصحابة(١٠٦/٤).

٣ـ أخرجه الترمذی فی الدعوات ح (٣٥٧٩).

٤ـ الطبرانی فی الکبیر (٣٠٥/٢٣) و أحمد فی المسند (٣٢٢/٦) ، و ابن ماجه ح(٩٢٥) و ابن أبی شیبة فی المصنف (٢٣٤/١٠) والهیثمی فی مجمع الزوائد (١١١/١٠).

٤م و عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا قضى الصلاة قال :"اللهم إنى أسألك من الخير كله ما علمت منه و ما لم أعلم و أعوذبك من الشر كله ما علمت منه و ما لم أعلم" (١)

٥م و عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يقول فى دبر كل صلاة: اللهم رب جبريل و ميكائيل و إسرافيل أعذنى من حر النار و عذاب القبر". (٢)

٦م و عن أبى برزة الأسلمى قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح يرفع صوته حتى يسمع أصحابه يقول : اللهم أصلح لى دينى الذى جعلته لى عصمة "ثلاث مرات" اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، و أعوذبك منك"ثلاث مرات" ، اللهم لا مانع لما أعطيت و لا معطى لما منعت ، و لا ينفع ذا الجد منك الجد. (٣)

٧م و عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :كان رسول الله ﷺ اذا صلى بأصحابه أقبل على القوم فقال : اللهم إنى أعوذ بك من عمل يخزينى ، اللهم إنى أعوذ بك من غنى يطغينى ، اللهم إنى أعوذبك من صاحب يردينى ، اللهم إنى أعوذبك من أملٍ يلهينى ، اللهم إنى أعوذبك من فقر ينسينى". (٤)

١ـ كتاب الدعاء للطبرانى ح(٦٥٥) (١٠٩٤/٢) و هو فى حياة الصحابة (١٠٩/٤).

٢ـ رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد (١١٠/١٠).

٣ـ رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد (١١٠:١٠).

٤ـ الطبرانى فى كتاب الدعاء رقم(٦٥٧)(١٠٩٥/١٠) والهيثمى فى مجمع الزوائد (١١٥/١٠).

٨م- وعن أبي موسى قال كان النبي ﷺ إذا صلى الصبح يرفع صوته حتى يسمع أصحابه يقول: "اللهم أصلح لي ديني ... الخ" كما في الحديث الذي قبل قبله. (١)

٩م- وعن أبي أيوب قال ما صليت خلف نبيكم ﷺ إلا سمعته يقول حين ينصرف: اللهم اغفر خطاياي و ذنوبي كلها، اللهم وانعشني و اجبرني و اهدني بصالح الأعمال و الأخلاق لا يهدى لصالحها إلا أنت، و لا يصرف سيئها إلا أنت" (٢)

١٠م- و عن سعد أنه كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات و يقول: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بهن دُبُرَ كل صلاة: "اللهم إني أعوذ بك من الجبن و أعوذبك من البخل و أعوذبك أن ارد إلى أرذل العمر و أعوذ بك من فتنة الدنيا و أعوذ بك من عذاب القبر". (٣)

١١م- وعن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ أقبل علينا بوجهه كالقمر فيقول: "اللهم إني أعوذبك من الهم والحزن، والعجز و الكسل، و الذل و الصغار، والفواحش ما ظهر منها و ما بطن" فتعلمناه من غير أن يعلمناه من كثرة ما كان يردده. (٤)

١٢م- و أخرج أبو داود والحاكم و صححه السيوطي عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة: "اللهم عافني في بصري، اللهم إني أعوذبك من الكفر و الفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت". (٥)

١- رواه الهيثمي في الزوائد (١١٠/١٠).

٢- رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١١١/١٠) و هو في حياة الصحابة (١٠٧/٤).

٣- أخرجه الإمام البخاري في الصحيح (٢٠٩/٣).

٤- كتاب الدعاء للطبراني ح (٦٦٠)(١٠٩٦/٢). ٥- الكاندهلوي في حياة الصحابة (١٠٨/٤).

١٣ـ وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : من دعا بهذا الدعاء في دبر كل صلاة مكتوبة حلت له الشفاعة يوم القيامة "اللهم اعط محمداً الوسيلة و اجعل في المصطفين محبته ، و في العالمين درجته و في المقربين داره". (١)

١٤ـ عن ثوبان رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ: إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا و قال :(اللهم أنت السلام و منك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام) رواه مسلم .

والاستغفار معناه طلب المغفرة و هذا الحديث صريح في أن الدعاء بعد انتهاء الصلاة المكتوبة سنة قد فصل رواية الاستغفار أبا داود في باب مايقول الرجل إذا سلم: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا سلّم من الصلاة قال :(اللهم اغفرلي ماقدمت و ما أخرت و مأسررت و مأعلنت و ما اسرفت و ما أنت اعلم به مني أنت المقدم وانت المؤخر إلا إله إلا أنت) .

و أخرجه ابن حبان عن عليّ رضي الله عنه أيضاً وعنوانه : ذكر ما يستحب للمرء أن يسأل الله جل و علا في عقيب الصلاة و قد بوب لهذه المسألة الإمام البخاري في كتاب الدعوات فقال :(باب الدعاء بعد الصلاة) .انظر "عقيدة السلف الصالح" للدكتور عادل عزيزة الكيالي الحسيني.

١ـ رواه الهيثمي في محجمع الزوائد (١٠ / ١١٢).

و رفع اليدين فی الدعاء والمسح بهما علی الوجه سنةٌ:

١ـ أخرج البخاری: عن أبی موسی الأشعری رضی الله عنه قال دعا النبی ﷺ ثم رفع يديه حتی رأيت بياض إبطيه.

٢ـ و روی مسدد برجال الصحيح عن عائشة رضی الله عنها أنها رأت رسول الله ﷺ يدعو يرفع يديه" وفی رواية صحيحة حتی أنی لأسأم له مما يرفعهما.

٣ـ و عن انس رضی الله عنه قال:(رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه فی الدعاء) رواه مسلم و لفظ الدعاء عام يشمل كل دعاء فی ای وقت .

قال الإمام النووی : بل لقد ثبت رفع يديه ﷺ فی الدعاء فی مواطن كثيرة وهی أكثر من أن تحصر و قد جمعت منها نحوًا من ثلاثين حديثا من الصحيحين أو أحدهما ذكرتها أواخر صفة الصلاة من شرح المهذب (المجموع:٤٨٧/٣) فنفی تخصيص رفع اليدين بالاستسقاء أو غيره و قد روی الطبرانی فی معجمه الكبير : ما رفع قوم أكفهم إلی الله عزوجل يسألونه شيئًا إلا كان حقا علی الله أن يضع فی أيديهم الذی سألوا) قال فی مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح . و هذا الحديث صريح فی الحث علی عموم رفع اليدين فی الدعاء و هو موافق لحديث أنس السابق :(رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه فی الدعاء) و من لم يرض بهذا العموم الصريح دليلا و زعم أنه يريد ثبوت عمل النبی ﷺ فی كل حالة بخصوصها فلينقل لنا عمن أخذ هذه القاعدة من السلف و غيرهم .

٤ـ و أخرج الحاكم و الترمذی و صححه عن عمر رضی الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذ رفع يديه فی الدعاء لم يحطهما حتی يمسح بهما وجهه.

٥ـ و أخرج البخاری فی الأدب المفرد عن أبی نعيم وهب قال: و روی أبو الحسن بن

الضحاك عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : ما مدّ رسول الله ﷺ يديه فى دعاء فقبضهما إليه حتى يمسح بهما وجهه.

أدلة الدعاء بعد الصلوة و غيرها بالهيئة الإجتماعية:

١ ـ ثبوته من القرآن:

١ ـ قال صاحب المقالات ص ٢٨ : و فى التفسير القرطبى (٣٧٥/٨) عن أبى العالية كان موسى عليه السلام يدعوو هارون عليه السلام يؤمّن ... إلى أن قال : ١ ـ روى الدارمى و ذكره الحافظ فى الفتح :(ما اجتمع ثلاثة قط بدعوة الا كان حقا على الله أن لا يرد ايديهم) ،

٢ ـ و أخرج الطبرانى فى الأوسط عن زيد بن ثابت قال : بينا أنا و أبو هريرة و فلان فى المسجد ندعو و نذكر ربنا عزوجل ، إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ و جلس إلينا ، فسكتنا ، فقال عودوا للذى كنتم فيه ، فقال زيد : فدعوت أنا و صاحبى قبل أبى هريرة و جعل النبى ﷺ يؤمن على دعائنا ، ثم دعا أبو هريرة فقال : "اللهم إنى سائلك بمثل ما سألك صاحباى ، و أسألك علماً لا ينسى، فقال النبى ﷺ سبقكما بها الغلام الدوسى.[1]

و قال الدكتور محمد الزين (فى الدعاء بعد الصلاة المفروضة) بالهيئة الإجتماعية :

قال الله تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ و الخطاب للجماعة ، فهو و إن كان ينطبق على الأفراد إلا أن صورته للمجماعة فلا أقل من أن تكون الجماعة مشروعة ، إن لم تكن هى الأصل سواء كانوا يدعون معا أو يدعون بعضهم و يؤمن بعضهم.

---

١ ـ الكاندهلوى فى حياة الصحابة (٨٥/٤)

ثم إن العمومات فيه كثيرة كقوله تعالى :﴿اجيب دعوة الداع﴾
والداعي: معروف بالالف و اللام فهو للعموم و كذا قوله سبحانه :﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾ يشمل كل دعاء جماعي أو فردي فمن استثنى شيئًا بدون نص خاص فقد خالف كتاب الله ومن قال : لا نعمل به حتى ينقل إلينا عمل النبي ﷺ به ، فقد زعم أن القرآن لا يكون وحده حجة شرعية ، ويتأيد ذلك العموم بحديث مجالس الذكر ، لأن الدعاء ذكر لأنه جاء في الحديث :(أفضل الدعاء الحمد لله) ، و هو مذكور صراحة في حديث الصحيحين في الحديث المشهور:(إن لله ملائكة..... و فيه : فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنماجاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم) و في هذاالحديث فوائد منها :

أن الدعاء من الذكر ، ومنها أنهم جماعة لقوله تعالى :﴿هم الجلساء﴾ و لقول الملائكة:﴿فيهم فلان﴾ بضمير الجمع ، والجلساء عام يشمل الدعاء معا ، والتأمين على دعاء الإمام ، ودعاء كل لنفسه والمتأمل في الحديث يرى التسبيحات واحدة والدعولة واحدة وهذا إنما يكون في الدعاء إذا كانوا جماعة و كانوا يدعون معا أو يدعو بعض و يؤمن بعض ، و إلا فكيف اتفقوا و هناك دليل آخر أقرب إلى الصراحة و هو حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال (قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه : اللهم اقسم لنامن خشيتك ما تحول به بيننا و بين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك...) رواه الترمذي و قال : حسن غريب.

و معلوم أن كلمة المجلس لفظة عامة فيكون الاجتماع على الدعاء سنة نبوية في كل مجلس ، والجلوس بعد الصلاة منها ، و قد روى الطبراني في الكبير حديثا خاصًا

بفضيلة الاجتماع على الدعاء عن حبيب بن مسلمة الفهرى رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول:(لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم و يؤمن سائرهم إلا أجابهم الله) قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة و هو حسن الحديث.

و إنما حسن الهيثمى حديث ابن لهيعة هنا لأن الراوى عنه عبد الله بن يزيد المقرئ أبو عبد الرحمن ، و هو ممن روى عنه قديما كما نصه عليه الذهبى فى ميزان الاعتدال : ٤٧٧/٢ .

وهذا يشمل الاجتماع على الدعاء بعد الصلاة لأن الاجتماع و الملأ كلاهما جاء فى سياق النفى فيعم كل اجتماع و كل ملأ ، فأى دليل يطلب المنصف فوق ذلك كله . فإنكار الدعاء الجماعى بعد الصلاة المفروضة أو رفع اليدين فيه أو الاجتماع عليه ، و الاحتجاج بأن النبى ﷺ لم يفعله! فمعناه : أن كل دليل شرعى سواء قول الله تعالى ، و قول رسوله ﷺ و إقراره . لا يعمل به حتى يثبت عمل النبى ﷺ به فهذا الدليل ليس عندنا فى الأصول.

ثبوت الدعاء بعد الصلوة بالهيئة الإجتماعية فى أقوال الفقهاء:

و هل الدعاء بعد الفرض أفضل أم بعد الرواتب؟

١- نقل الشيخ العلامة المفتى محمد فريد فى المقالات (٣٧) :١- و يختتم الدعاء بعد المكتوبة قبل السنة على ما روى عن البقالى (المعتزلى فى الاصول ، الحنفى فى الفروع مثل صاحب الكشاف) من أنه قال ، الأفضل أن يشتغل بالدعاء ثم بالسنة ، و بعد السنن و الاوراد على ما روى عن غيره و هو المشهور المعمول فى زماننا فإنه مستحاب بالحديث . (تعليق الكوكب الدرى ج٢ ـ ص ٢٩١)قلت و مثل قول

البقالی مروی عن الإمام جعفر الصادق فی الطبرانی. فالدعاء بعد الفرائض أفضل عند الإمام البقالی و إلیه یمیل أکثر الأکابر، و أفضل بعد السنن عند الجمهور و اختاره الفقهاء و قد قدمنا إلیکم رأی ابن الهمام و رأی ابن عابدین و هو :

٢- (١- قال فی فتح القدیر : و ما ورد أنه ﷺ کان یقول دبر کل صلاة لا إله إلا الله وحده، إلی أن قال... لا یقتضی وصل هذه الأذکار بل کونها عقیب السنة من غیر اشتغال بما لیس من توابع الصلاة یصحح کونها دبرها. انتهی (ج١ ص٣١٣)

٣- و فی رد المحتار (١/٤٩٤) : (و اما ما ورد من الأحادیث فی الأذکار عقیب الصلاة فلا دلالة فیها علی الاتیان بها بعدها لأن السنة من لواحق الفریضة و توابعها فلم تکن اجنبیة عنها، فلما یفعل بعدها یطلق علیه انه عقیب الفرائض). انتهی.

٤- و قال ابن النجیم صاحب البحر لکن عندنا السنة مقدمة علی الدعاء الذی هو عقب الفراغ. (٨/٤٠٣)

٥- و قال حسن شرنبلالی صاحب مراقی الفلاح : و یستحب للإمام بعد سلامه أن یتحول إلی جهة یساره للتطوع بعد الفرض، و یستحب أن یستقبل بعده أی بعد التطوع، و عقب الفرض إن لم یکن بعده نافلة . یستقبل الناس (إلی أن قال) ثم یدعون لأنفسهم و للمسلمین رافعی أیدیهم ثم یمسحون بها وجوههم، انتهی بحذف . (الطحطاوی علی مراقی الفلاح ص ٢٥٣ إلی ص ٢٥٧)

٦- و قال ابن نجیم فی الاشباه والنظائر و الحموی فی شرح الاشباه : الإشتغال بالسنة عقیب الفرض أفضل من الدعاء. (ص ١٢٧-١٢٨)

٧- و قال صاحب خلاصة الفتاوی : بعد الفریضة الاشتغال (بالرواتب) أولی من

الإشتغال بالدعاء.(ج ١ ـ ص ٩٥)

٨ـ و قال القسطلانی فی إرشاد الساری شرح البخاری: و عند الحنيفية يكره له المكث قاعدا ليشتغل بالدعاء لأن القيام إلى السنة بعد اداء الفريضة أفضل من الدعاء والتسبيح والصلاة .(١٤٤/٢)

الفائدة الأولى:ـ

و لفظ (دبر الصلوة) المذكور فی الحديث له اطلاقان :

١ ـ قبل السلام ٢ ـ خارج الصلوة ، كما جاء فی حديث مسلم (معقبات لا يخيب قائلهن ...)

فالمراد من الحديث (دبر الصلاة المكتوبات) بعد الفرض سواء كان متصلا بالصلاة أو منفصلا عنها و لا يخص بالإتصال لأن النبی ﷺ رغب فی الدعاء والتسبيحات و لا يمكن أن يؤتی بهما معا بعد الفرائض فأيهما أتی منهما أولًا لا يكون مخالفا للسنة و صرح الفقهاء بأن من أتی بالأذكار بعد سنن الرواتب يطلق أنه أتی بها دبر المكتوبات .

الفائدة الثانية:

إلتزام ما لا يلزم على الإنسان من البدع لأننا أمرنا أن نهتم بالمراتب .قال ابن مسعود: (لا يجعل أحدكم للشيطان شيئا من صلاته يری أن حقا عليه أن لا ينصرف إلا عن يمينه) .(بخاری ١١٨/١)

و قال ملا علی القاری :(من اصر على أمر مندوب و جعله عزما و لم يعمل بالرخصة فقد أصاب منه الشيطان من الإضلال).(مرقاة ٥٣/٢)

والإلتزام على قسمين:ـ ١ ـ الحقيقى وهو الشيئ الذى لم يجب فيعتقد وجوبه و هذه بدعة و مكروه فيما سوى النذر ٢ ـ الحكمى و هو الشيئ الذى لا يلزمه على نفسه لكنه يهتم به و يقيمه فوق درجته التى يليق به . ولما عظم عبد الله ابن سلام السبت و كره أكل لحم الإبل بعد الإسلام أنكر الله عليه بقوله :(يا ايها الذين امنوا ادخلوا فيه السلم كافة) ٢ـ و أنكر الله على الأنصار حين كانوا يدخلون حالة الإحرام البيوت من ظهورها فقال ابن مسعود:(وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها و لكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها).

و من الواجب على كل أحد أن يعرف الفرق بين الدوام والإلتزام ، فإلتزام المستحبات ممنوع و أما دوامه فمطلوب قال رسول الله ﷺ :(خيرالعمل ما ديم عليه) ، و قال رسول الله ﷺ :(أحب الأعمال إلى الله أدومها و إن قل.) (رواه البخارى ومسلم)

و بين الإلتزام والدوام عموم و خصوص من وجه .

مسئلة فقهية:

كل صلاة ليس بعدها الرواتب فللإمام الإختيار سواء يقوم أو يجلس لكن لا يجلس مستقبل القبلة إلا بقدر قراء ة اللهم أنت السلام إلخ . كذا فى البدائع و كذا ورد فى حديث الترمذى (مراقى الفلاح و طحطاوى ٢ ٥ ٢) ، و للإمام أن يتيامن أو يتياسر أو مستقبل الرجال لولم يكن أمامه من يصلى بدائع.

و كل صلاة بعده سنن الرواتب فليجلس الإمام على قدر ما يقال (اللهم أنت السلام...) ثم يقوم للرواتب مراقى الفلاح طحطاوى (٢٥٢) و ليس فى موضع أدى

فيه الفرائض .

حكم الدعاء بعد صلوة الجنازة:

و أما الدعاء بعد صلاة الجنازة فقبل كسر الصفوف مكروه و بعد كسرها جائز إلا أن الإكتفاء بالصلاة موافق مع تعامل السلف . والدعاء بعد الجنازة سكت عنه الرسول ﷺ وذخيرة الأحاديث عن هذا الدعاء ساكتة و ليس في الروايات الدعاء أو عدمه فمن ادعى أن الرسول ﷺ أو السلف الصالح لم يدع فهذا افتراء فالدعاء بالذات عبادة و هو مخ العبادة لكن هذا الدعاء في هذا المقام لا مطلوب و لا ممنوع بل مباح لأن الأصل في الأشياء الاباحة كما صرح به ابن الهمام و غيره، و يؤيده ما رواه أبو داود أن ما سكت عنه فهو عفو، و قياسه على أذان يوم العيد قياس فاسد لأن هذا الدعاء يتعلق بعدم الذكر و عدم الرواية فيه والسكوت عنه ثابت ، و أما الأذان لصلاة العيد فذكر العدم ثابت و هو ما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ صلى العيد بغير آذان و لا إقامة و أبا بكر و عمر (ص ١٥٩) فحمل عدم ذكر الرواية في شيئ على ذكر العدم من ديدن السلفية (ثم ذكر الشيخ فريدؒ بعض أقوال الفقهاء من الذين منعوا هذا الدعاء و أجاب عنهم فمن أراد التفصيل فليرجع إليها.)

البحث المهم في موضوع الصفات المتشابهة ورأي الإمام ابن الجوزيؒ وتناقض السلفية في موقفها:

قال : و أن الله تعالى يغضب و يرضى لا كأحد من الورى .

الشرح:

أي نقول أن الله يغضب و يرضى ، و كذلك نثبت كل صفة لله وصف بها نفسه ،

أو صح أن رسول الله ﷺ بها وصفه و لكن على المعنى الذى أراده و (لا) يصح أن يتخيل أنها صفة (كأحد) الصفات (من) صفات (الورى) لأنه تعالى منفرد بصفاته كذاته.

وفى الفقه الأكبر و شرحه لملا على القارى ص ٣٧: (و غضبه و رضاه صفتان من صفاته بلا كيف) أى بلا تفصيل أنهما من صفات أفعاله أو من نعوت ذاته. والمعنى وصف غضب الله و رضاه ليس كوصف ماسواه من الخلق، فهما من الصفات المتشابهات فى حق الحق على ما ذهب إليه الإمام تبعا لجمهور السلف، و اقتدى به جمع من الخلف، فلا يؤولان بأن المراد بغضبه و رضاه إرادة الانتقام و مشيئة الإنعام، و المراد بهما غايتهما من النقمة والنعمة . قال فخر الإسلام : إثبات اليد والوجه حق عندنا، لكنه معلوم بأصله متشابه بوصفه، و لا يجوز إبطال الأصل بالعجز عن الوصف بالكيف، إنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه فإنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات على الوجه المعقول، فصاروا معطلة، و كذا ذكره شمس الأئمة السرخسى ثم قال : و أهل السنة والجماعة أثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص : أى بالآيات القطعية والدلالات اليقينية، و توقفوا فيما هو المتشابه و هو الكيفية، و لم يجوّزوا الاشتغال بطلب ذلك كما وصف الله به الراسخين فى العلم فقال "يقولون آمنا به كل من عند ربنا و ما يذكر إلا أولو الألباب" اه. و كذا ما ورد فى الأحاديث المرويات من العبارات المتشابهات كقوله ﷺ "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، و عجنت بالمياه المختلفه، و سوّاه ونفخ فيه الروح فصار حيوانا حساسا بعد أن كان جمادا" الحديث، و كقوله عليه الصلاة والسلام على ما رواه مسلم "إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه كيف يشاء" و كقوله عليه

الصلاة و السلام " لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها ربّ العزة قدمه فينزوى بعضها إلى بعض فتقول قط قط " الحديث ، و كقوله عليه الصلاة والسلام إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار ، و يبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " كما رواه مسلم ، و كقوله عليه الصلاة والسلام "الحجر الأسود يمين الله فى أرضه يصافح بها عباده" و روى ابن ماجه نحوه من حديث أبى هريرة مرفوعا و لفظه "من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن " و قد سئل أبو حنيفة رحمه الله عما ورد : من أنه سبحانه ينزل من السماء ، فقال ينزل بلا كيف ، و كقوله عليه الصلاة والسلام "إن الله خلق آدم على صورته " و فى وراية "على صورة الرحمن" و أمثاله ، فيجب أن يجرى على ظاهره و يفوّض أمره علمه إلى قائله ، و ينزّه البارى عن الجارحة و مشابهة صفات المحدثات .

قال الحافظ ابن الجوزى فى كتابه الشهير صيد الخاطر (ص-١٣) تحت عنوان سلفيون جهال:

عجبت من اقوام يدعون العلم ، ويميلون إلى التشبيه بحملهم الأحاديث على ظواهرها ، فلو أنهم أمرُّوها كما جائت سلموا ، لأن من أمرّ ما جاء و مرّ من غير اعتراض ، فما قال شيئًا لا له و لا عليه و لكنّ اقواما قصرت علومهم ، فرأت أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل ، و لو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا . و ما هم إلا بمثابة قول الحجاج لكاتبه و قد مدحتهالخنساء فقالت :

إذا هبط الحجاج أرضًا مريضة

تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذى بها

غلام إذ اهز القناة شفاها

فلما اتمت القصيدة قال : لكاتبه اقطع لسانها ، فجاء ذاك الكاتب المغفل بالموسى فقالت له : ويلك إنما قال أجزل لها العطاء ثم ذهبت إلى الحجاج فقال : كاد والله يقطع مقولي . فكذلك الظاهرية الذين لم يسلموا بالتسليم ، فإنه من قرأ الآيات والأحاديث و لم يزد ، لم ألمه و هذه طريقة السلف . فأما من قال الحديث يقتضي كذا ، و يحمل على كذا ، مثل أن يقول : استوى على العرش بذاته ، و ينزل إلى سماء الدنيا بذاته فهذه زيادة فهمها قائلها من الحس لا من النقل.

و لقد عجبت لرجل اندلسى يقال له ابن عبد البر ، صنف كتاب التمهيد ، فذكر فيه حديث النزول إلى سماء الدنيافقال : هذا يدل على أن الله تعالى على العرش لأنه لو لا ذلك لما كان لقوله ينزل معنى . و هذاكلام جاهل بمعرفة الله عزوجل لأن هذا استسلف من حسه ما يعرفه من نزول الأجسام فقاس من صفة الحق عليه فأين هؤلاء و اتباع الأثر؟و لقد تكلموا بأقبح ما يتكلم به المتأولون ، ثم عابو المتكلمين .

واعلم أيها الطالب للرشاد ، أنه هبق إلينا من العقل والنقل أصلان راسخان عليهما مر الأحاديث كلها . أما النقل فقوله سبحانه و تعالى :﴿ليس كمثله شيئ﴾ و من فهم هذا يحمل وصفا له على ما يوجبه الحس. و أما العقل فإنه قد علم مباينة الصانع للمصنوعات ، واستدل على حدوثها بتغيرها ، و دخول الانفعال عليها ، فثبت له قدم الصانع . و اعجبا كل العجب من رادّ لم يفهم طبيعة الكلام؟ أليس في الحديث الصحيح . أن الموت يذبح بين الحنة والنار؟ أو ليس العقل إذا استغنى فى هذا صرف

الأمر عن حقيقته لما ثبت عند من يفهم ماهية الموت أنه لا يذبح ؟ هب أن رجلاً تأول فقال : الموت عرض يوجب بطلان الحياة . فكيف يمات الموت؟ فإذا قيل له فما تصنع بالحديث ؟ قال : هذا ضربُ مثل بإقامة صورة ليُعلم بتلك الصورة الحسية فوات ذلك المعنى فقلنا له : فقد روى في الصحيح . تأتي البقرة و آل عمران كأنهما غمامتان فقال الكلام لا يكون غمامة، و لا يتشبه : قلنا له أفتعطل النقل ، قال : لا ، و لكن أقول يأتي ثوابهما . قلنا: فما الدليل الصارف لك عن هذه الحقائق . فقال : علمي بأن الكلام لا يتشبه بالأجسام و الموت لا يذبح ذبح الأنعام.

و لقد علمتم سعة لغة العرب . إن احدًا لو صرف الكلام على هذا النحو ما ضاقت اعطانكم من سماع مثل هذا منه و إذن لقال له: العلماء صدقت . هكذا نقول في تفسير محئ البقرة ، و في ذبح الموت . أليس من حقه أن يقول : واعجبًا لكم ، صرفتم عن الموت والكلام ما لا يليق بهما حفظا لما علمتم من حقائقهما فكيف لم تصرفوا عن الاله القديم مايوجب التشبيه له بخلقه ، بما قد دل الدليل على تنزيهه عنه؟ فما زال يجادل الخصوم بهذه الأدلة . يقول: لا أقطع حتى اقطع ، فماقطع حتى قطع.

قال محمد عبد العظيم الزرقاني في "مناهل العرفان في علوم القرآن" [ج٢-ص١٨٨] ولقد علمت أن حمل المتشابهات في الصفات على ظواهرها مع القول بأنها باقية على حقيقتها، ليس رأيا لأحد من المسلمين ، و إنما هو رأى لبعض أصحاب الأديان الأخرى كاليهود و النصارى، و أهل النحل الضالة كالمشبهة والجسمة - أما نحن - معاشر المسلمين - فالعمدة عندنا في أمور العقائد هي الأدلة القطعية ، التي توافرت على أنه تعالى ليس جسما و لا متحيزا ولا متجزئا و لا متركبا ، و

لا محتاجا لأحد ، و لا إلى مكان ولا إلى زمان ، و لا نحو ذلك : و لقد جاء القرآن بهذا في محكماته إذ يقول:"ليس كمثله شيئ" و يقول: "قل هو الله أحد ـ الله الصمد ـ لم يلد و لم يولدو لم يكن له كفواً أحد " .... فكل ماجاء مخالفا بظاهره لتلك القطعيات والمحكمات ، فهو من المتشابهات التي لا يجوز اتباعها ، كما تبين لك فيما سلف.

ثم إن هؤلاء المتمسحين في السلف متناقضون ، لأنهم يثبتون تلك المتشابهات على حقائقها ، و لا ريب أن حقائقها تستلزم الحدوث و أعراض الحدوث كالجسمية والتحزؤ والحركة و الانتقال ، لكنهم بعد أن يثبتوا تلك المتشابهات على حقائقها ينفون هذه اللوازم ، مع أن القول بثبوت الملزومات و نفي لوازمها تناقض لا يرضاه لنفسه عاقل فضلا عن طالب أو عالم. فقولهم من مسألة الاستواء الآنفة: إن الاستواء باق على حقيقته يفيد أنه الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز ، و قولهم بعد ذلك ليس هذا الاستواء على ما نعرف ، يفيد أنه ليس الجلوس المعروف المستلزم للجسمية والتحيز . فكأنهم يقولون: إنه مستو غير مستو ، و مستقر فوق العرش غير مستقر ، أو متحيز غير متحيز و جسم غير جسم ، أو أن الاستواء على العرش ليس هو الاستواء على العرش والاستقرار فوقه ليس هو الاستقرار فوقه إلى غير ذلك من الإسفاف و التهافت ! ؛ ...لو أنصف هؤلاء لسكتوا عن الآيات و الأخبار المتشابهة واكتفوا بتنزيه الله تعالى عما توهمه ظواهرها من الحدوث و لوازمه ؛ ثم فوضوا الأمرفي تعيين معانيها إلى الله وحده، و بذلك يكونون سلفيين حقا لكنها شبهات عرضت لهم في هذا المقام ، فشوشت حالهم، وبلبلت أفكارهم... الخ

قال : و نحبّ أصحاب رسول الله ﷺ ولانفرط في حُبّ أحد منهم و لا

نتبرأ من أحد منهم و نبغض من يبغضهم و بغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير . و حبهم دينٌ إيمانٌ و احسانٌ و بغضهم كفرٌ و نفاقٌ و طغيانٌ

الشرح:۔

.ونحب أصحاب رسول الله ﷺ و لا نتجاوز الحد في أحد من الصحابة كالشيعة و من لفّ لفّهم يتجاوزن الحد في حب علي رضي الله عنه و لا نتبرأ من أحد منهم و نكره من يمقتهم (كالروافض يسبون أكثر الصحابة و يعلنون البراءة منهم.)

و كذلك نكره من يذكرهم بشر و نحن لا نذكرهم إلا بثناء جميل ، و حبهم عين الدين و الإيمان والإحسان ، و كراهيتهم بمثابة كفر و نفاق و تجاوز عن الحد الذى قرره الشرع المنيف.

تعريف الصحابي: والأصحاب واحده صاحب بمعنى الصحابي و هو: من اجتمع بنبينا محمد ﷺ مؤمنا به بعد نبوته في حال حياة كل ، اجتماعًا متعارفًا بأن يكون في الأرض على العادة و أما قولهم (و مات على الإسلام)!! فهو شرط لدوام الصحبة لا لأصلها[1].

......﴿فضيلة الصحابة﴾......

وإثبات عدالة جميعهم والكف عن الطعن فيهم :

الصحابة كلهم مغفورن مأجورون و على الأمة الكف عن ذكرهم إلا بخير والدلائل على ذلك:

---

١ ـ منتهى السول على وسايل الوصول (٤١٥).

١:۔ فأما الكتاب:

☆..قال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ فإن الآية استوعبت بوعد الحسنى والجنة لجميع الصحابة السابقين الأولين و من بعدهم.

☆..وقال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ فإنه نصّ في جميع من كان معه من الأصحاب .

☆..وقال الله تعالى: ﴿يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه﴾

☆..وقال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

٢:۔ والدليل من السنة:

❁...عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهبًا ما ادرك مد أحدهم ولا نصيفه) متفق عليه.

❁...وروى أحمدؒ فى مسنده مرفوعًا : (دعوا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده : لو انفقتم مثل أحد ذهبًا ما بلغتم أعمالهم.

❁...وروى ابن عساكر عن النبى ﷺ :(دعوا لى أصحابى واصهارى ، فمن آذانى فى أصحابى و أصهارى آذاه الله يوم القيامة.)

❁...و عن عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) قال عمران : فلا أدرى اذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة). متفق عليه.

❁... و عن أبی عمرؓ قال قال رسول الله ﷺ :(اذا رأيتم الذين يسبون أصحابی فقولوا لعنة الله على شركم) . رواه الترمذی .

٣:۔ اقوال الأئمة والعلماء فی عدالة الصحابة و تزكية جميعهم و تعظيمهم:

❁...قال فی العقائد النسفية (١٠٢): و يكف عن ذكر الصحابة إلا بخير.

❁...و فی شرح المسامرة للشيخ ابن الهمام رحمة الله عليه : و اعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة رضی الله عنهم وجوبًا بإثبات العدالة لكل منهم و الكف عن الطعن فيهم و الثناء عليهم كمااثنى الله سبحانه و تعالى . و ذكر آيات عديدة ثم قال و اثنى عليهم الرسول ﷺ .ثم سرد الأحاديث ثم قال : و ما جرى بين معاوية و علی رضی الله عنهما من الحروب كان مبنيا على الاجتهاد . (مسامره :١٣٢ طبع ديوبند)

❁...و فی شرح المواقف للسيد الجرجانی : المقصد السابع : إنه يجب تعظيم الصحابة كلهم و الكف عن القدح فيهم لأن الله تعالى عظّمهم و اثنى عليهم فی غير موضوع من كتابه .ثم ذكر الآيات المنزلة فی الباب ثم قال والرسول ﷺ قد احبهم وأثنى عليهم فی الأحاديث الكثيرة . ثم سرد أحاديث الباب...).

❁....وقال الإمام ابوزيد القروانی رحمة الله عليه فی رسالته المشهورة عاطفًا على ما يجب الإيمان به ما نصه : و إن خيرالقرون القرن الذی رؤا الرسول ﷺ و آمنوا به ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم و أفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علی رضی الله عنهم اجمعين ، و أن لايذكر أحد من صحابة الرسول ﷺ إلا بأحسن ذكر و الامساك عما شجر بينهم و أنهم احق الناس أن يلتمس لهم احسن المخارج و يظن بهم احسن المذاهب اهـ. تحذير العبقری من المحاضرات

الخضرى : (٠:٢٢٠)

❁...قال الإمام أبو زرعة الرازى من اجل شيوخ مسلم (إذا رأيت الرجل ينقص احدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، و ذلك أن القرآن حق ، و الرسل حق و ما جاء به حق ، و ما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة ، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب و السنة فيكون الجرح به أليق ، والحكم عليهم بالضلال و الزندقة أقوم و أحق.

❁...وفى رسالة الإمام أحمد الذى رواها الاصطخرى:

لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم ، بعيب و لا نقص ، فمن فعل ذلك و جب تأديبه ...)

❁....وقال الملا على القارى رحمه الله فى شرح الفقه الأكبر[ص:١٠١-١٠٢] (ولا نذكر احدًا من أصحاب رسول الله ﷺ (إلا بالخير) ، يعنى و إن صدر من بعضهم بعض ما هو فى الصورة شرٌّ ، فإنه إما كان عن اجتهاد و لم يكن على وجه افسادٍ من اصرار و عناد ، بل كان رجوعهم عنه إلى خير معاد بناء على حسن الظن بهم، و لقوله عليه الصلاة و السلام :(خيرالقرون قرنى) ولقوله عليه الصلاة و السلام:(إذا ذكر أصحابى فأمسكوا) ، و لذلك ذهب جمهور العلماء إلى أن الصحابة رضى الله عنهم كلّهم عدول قبل فتنة عثمان و كذا بعدها. قال ابن دقيق العبد فى (عقيدته): و ما نقل فيما شجر بينهم واختلفوا فيه فمنه ما هو باطل ، و كذب فلا يلتفت إليه ، و ما كان صحيحًا أولّناه تأويلاً حسنا، لأن الثناء عليهم من الله سابق ، ومانقل من الكلام اللاحق محتمل للتأويل ، و المشكوك والموهوم لا يبطل المحقق والمعلوم هذا و قال الشافعى رحمه الله تعالى تلك دماءٌ طهّر الله أيدينا منها فلا نلوث السنتنا بها و سئل الإمام أحمد

عن أمر علي و عائشة رضي الله عنهما قال : تلك أمة قد خلت لها ما كسبت و لكم ماكسبتم و لا تسئلون عما كانو يعملون)

✽... و قال الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى في الصواعق المحرقة ص ٢١٠-٢١١:

اعلم أنّ الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم ، والكفّ عن الطعن فيهم و الثناء عليهم ، فقد أثنى الله سبحانه و تعالى عليهم في آيات من كتابه... و بعد أن ذكر رحمه الله الكثير من الآيات و الأحاديث النبوية في فضائلهم رضي الله عنهم و أرضاهم قال : فعلم أن جميع ماقدمناه من الآيات هنا و من الأحاديث الكثيرة و الشهيرة في المقدمة يقتضي القطع بتعديلهم ، و لا يحتاج أحدمنهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق ، على أنه لو لم يرد من الله و رسوله فيهم شيئ مماذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد و نصرة الإسلام ببذل المُهج و الأموال و قتل الآباء والأولاد و المناصحة في الدين و قوة الإيمان واليقين القطع بتعديلهم و الاعتقاد بنزاهتهم ، و أنهم أفضل من جميع الجائين بعدهم و المعدّلين الذين يجيئون من بعدهم ، هذا مذهب كافة العلماء و من يعتمد قوله ، ولم يخالف فيه إلا شذوذ من المبتدعة الذين ضلّوا و أضلوا فلا يلتفت إليهم ولا يعّول عليهم...)

فأهل السنة والجماعة كلهم متفقون على حب الصحابة والكف عن الخوض في مساويئهم، و لابد أ ن نذكر بعض الفرق التي تنقم الصحابة وتقع في أعراضهم و يبغضونهم فهذه الفرق تسمى بالشيعة وإليك التفصيل:

...﴿الشيعة﴾...

الشيعة فى اللغة الأتباع والأنصار و شايعته على الأمر مشايعةً تابعته متابعة:(المصباح المنير)

و فى الاصطلاح : الشيعة هم الذين تابعو عليًا على الخصوص . و قالوا بإمامته نصًا و وصيةً به (بدءُ هم):أنها حركة سياسية ظهرت بعد قتل على رضى الله عنه بيد الخوارج واعتقدوا أن الإمامة لا تخرجُ من أولادهِ و إن خرجت فبظلمٍ يكون من غيرهِ، و بتقيةٍ من عنده.

فرق الشيعة:

وهى فرق كثيرة أوصل المقريزى إلى ثلاثة مائة فرقةٍ ، و كلها ترجع إلى ثلاثة اقسام:

القسم الأول: الغلاة: و هولاء هم الذين غلوا فى حق الأئمة حتى أخرجوهم من حد البشر و حكموا فيهم بأحكام إلهية ، و منها : الاسماعلية (و تسمى الباطنية) نسبةٌ إلى اسماعيل بن الإمام جعفر ، يقولون : أن الإمام جعفر قد نص ان الاسماعيل هو الإمام بعده و جعل الوسيلة إليه ، واختلفت فى وفات اسماعيل فى حياة أبيه :

(۱) إنّ اسماعيل حيّ لم يمت ، و لا يموت حتى يملك الأرض ، و يكون إمامًا بعد أبيهِ.

(۲) إن موت اسماعيل صحيحٌ ثم افترقت إلى شعبتين رئيستين:

❁...وقفت فى موت محمد بن اسماعيل الملقب بالمكتوم و قالت برجعته بعد موته و انتظرته مهديا يبعث و هم القرامطة.

اعتقاداتهم:

١:ـ لايكون بعد النبي محمد ﷺ إلا سبعة أئمة هم ، على بن أبى طالب و هو إمام رسول، و الحسن و الحسين و على بن الحسين و محمد بن على و جعفر بن محمد، ومحمد بن اسماعيل بن جعفر و هو الإمام القائم المهدى وهو رسولٌ.

٢:ـ ان النبى محمدًا ﷺ انقطعت عنه الرسالة فى حياته فى اليوم الذى أمر فيه بنصب على بن أبى طالب للناس بغد يرخم فصارت الرسالة فى ذلك اليوم فى علىؓ.

٣:ـ محمد بن اسماعيل حى لم يمت. و أنه فى بلاد الروم و أنه القائم المهدى و معنى القائم عندهم انه يبعث بالرسالة و بشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد ﷺ .

٤:ـ محمد بن اسماعيل من أولى العزم من الرسلؑ و هم عندهم سبعة نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و محمد و على و محمد بن اسماعيل و أن محمد بن اسماعيل هو خاتم النبيين .

٥:ـ الله تعالى جعل لمحمد بن اسماعيل جنة آدم و معناها عندهم الاباحة للمحارم و جميع ما خلق فى الدنيا.

٦:ـ استحلوا اعراض الناس بالسيف و قتلهم و اخذ اموالهم و الشهادة عليهم بالكفر واستحلوا سبى النساء و قتل الأطفال.

٧:ـ اوجبوا قتل من قال بالإمامة ممن ليس على قولهم و خاصة من قال بإمامة موسى بن جعفر و ولده من بعده.

الإمامة من بعد اسماعيل فى أئمة مستورين أو لهم ابنه محمد المكتوم ، إلى أن ظهر الإمام فى شخص عبيدالله المهدى ، أُسس الدولة الفاطمية فى المغرب،

(المتوفی :٣٢٢ هـ)

و فی القرن الخامس صارت الاسماعیلة فرقًا مختلفةً فانشقت إلی فرقتین :.

١:ـ المستعلیة : نسبة إلی المستعلی أبی القاسم أحمد و انتقل مرکز دعوتها بعد سقوط الدولة الفاطمیة، إلی الیمن ثم إلی الهند ، و حدثت لها انشقاقات عدیدة و منها البهرة الموجودون الآن فی الهند .

و انقسمت البهرة إلی فرقتین :

١. البهرة الداودیة و ینتشرون فی باکستان والهند و مرکزهم فی بومبای.

٢. البهرة السلمانیة و مرکزهم فی الیمن.

(٢)ـ الاسماعیلیة الآغاخانیة ظهرت فی ایران و من شخصیاتهم : حسن علی شاه : و هو آغا خان الأول لقبه الإنجلیز بذلك اللقب لأنه کان عمیلاً لهم سکن افغانستان ثم جاء إلی بومبای. مات ١٨٨١ء ثم بعده آغا علی شاه و هو الآغا خان الثانی ثم ابن محمد الحسینی ثم کریم آغا خان هو رابعهم.

٢ـ النزاریة: و یسمون الاسماعلیة الحشاشون و کان بعد قتل النزار و اعتلاء أخیه المستعلی نقل ابنه القاصر المهتدی إلی بلاد الفارس . فنشأ علی یدی کبیر الدعاة الحسن بن صباح.

معتقدات الاسماعلیة:

١. کتب الظاهر : و هی التی کتبت للناس عامة اسماعیلین و غیرهم و هذه متداولة و هی لا تمثل عقائدهم الحقیقة:

٢. کتب الباطن : وهی التی لایطلع علیها إلا الخاصة المتعمقون فی فهم عقیدتهم بل

إن هؤلاء المتعمقين لايسمح لهم بإقتنائها إلا بعد أخذ المواثيق على لا يعطوها لأحد.

...آراؤهم في التوحيد:

١ .التوحيد عندهم تجريد الله عن جميع الأسماء والصفات فالله لا يوصف بوصف و لايسمى باسم والله ليس بموجود و لا معدوم والعقل الأول متصف بصفات الخالق و الرازق و يماثله في العالم السفلي : الناطق ، و هو النبي والعقل الثاني و هو الوصي .

...رأيهم في النبي:

النبي عندهم هو الناطق و النبوة مكتسبة عندهم و الإنسان يستطيع أن يكون نبيًا بالرياضيات والمجاهدة.

...رأيهم في الوصاية:

إن لكل نبي وصيًا ووصي رسول الله ﷺ هو عليّ و قالوا أن محمدًا و عليًا من نور الله أمر الله ذلك النور أن ينشق إلى نصفين فقال : للنصف الأول كن محمدًا و للنصف الثاني كن عليًا . والوصي أفضل من النبي .

...رأيهم في الإمامة:

أنها فرض من الله و لاتخلو الأرض من إمام ابدًا ظاهرًا كان أم مستورًا ، و كذلك من من آرائهم البشعة الحلول و التناسخ و هذه عين عقيدة الهنود، و يعتقدون بتحريف القرآن .

يقولون بتكفير الصحابة و على رأسهم ابوبكرؓ و عمرؓ و عثمان .

يقولون أن محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد ﷺ . هذه فرقة من فرق الغلاة

و قد اتفق جميع أهل الإسلام والشيعة على كفر هذه الفرقة و غيرها من الغلاة مثل النصيرية والسبئية والدروز و المنصورية لأن دعوتهم مبنى على ابطال الشرائع قال ابن بابويه الشيعى الإمام (اعتقادنا فى الغلاة ... أنهم كفار بالله جل اسمه و أنهم شر من اليهود و النصارى والمجوس) (دراسات فى الفرق ٧٦)

القسم الثانى من فرق الشيعة:

من فرق الشيعة الزيدية وهم أتباع زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم. الذين قالوا بإمامه.

❁...**فرقهم:** انقسمت الزيدية إلى فرق عديدة اشهرها الجارودية السلمانية البترية.

❁...**اعتقاداتهم:**

١:ـ أجمعوا على تصويب على ابن أبى طالب رضي الله عنه فى حربه و على تخطئة من خالفه و أن عليًا كان مصيبًا فى تحكميه الحكمين.

٢:ـ أتفقوا على أن أصحاب الكبائر كلهم معذبون فى النارمخلدون ابدًا لايخرجون منها.

٣:ـ أتفقوا على محاربةأئمة الجور و إزالة الظلم و إقامة الحق.

٤:ـ يعتقدون بأن الإمام عليًا و هو افضل الصحابة . مع قولهم بشرعية خلافة أبى بكر و عمر و لم يتبرؤوا منهما لاعتقادهم بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، ماعدا الجارودية منهم.

٥:ـ لا يشترط أن يكون الإمام معصومًا ، و لم يجوزوا ثبوت الإمام فى غير أولاد فاطمة رضي الله عنها.

٦:ـ يرجع زيد فى أصول الدين إلى الاعتزال ، لأنه تتلمذ لواصل بن عطاء شيخ المعتزلة

و لم يخالفه إلا فى أصل (المنزلة بين المنزلتين) .

القسم الثالث من فرق الشيعة:

الإمامية : أو "دوازده إمام" أو الاثنا عشرية: و هم اكثرية الشيعة .

...معتقداتهم:

١. الإمامة واجبة مستمرة:

وهى أصل من أصول الدين ولا يتم الإيمان إلى بالاعتقاد بها و هى استمرار بالنبوة ، والدليل الذى يوجب ارسال الرسل و بعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول ، و لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة ، منصوب من الله تعالى . سواء اطاعه الناس أم لم يطيعوه ، و سواء كان حاضرًا أو غائبًا من أعين الناس.

٢. عصمة الإمام:

الإمام كالنبى ﷺ يجب أن يكون معصومًا من جميع الرزائل والفواحش ، ما ظهر منها ، و ما بطن ، من سن الطفولة إلى الموت ، عمدًا و سهوًا . كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان ، لأن الأئمة حفظة الشرع ، فحالهم فى ذلك حال النبى ﷺ ...و يترتب على القول بالعصمة أمران :

(١).اثبات : ان الإمامة ليس من المصالح الدنيوية التى تفوض إلى نظر الأمة ، بل هى ركن الدين ، و لا يجوز لنبى إغفالها و لا تفويضها إلى الأمة ، بل يجب أن يعين الإمام لها عن طريق الوحى أو الإلهام الموجب للعلم اليقينى.

(٢).يتضمن هذا القول ابطال خلافة الراشدين الثلاثة الذين سبقوا عليًا . لأنهم لم يتصفوا بالعصمة بالإجماع ...

(٣). النص و التعيين: و هو الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله، و ليس هي بالإختيار و الإنتخاب من الناس.

أئمتهم:

يقولون أن الأئمة اثنا عشر إمامًا، علي بن أبي طالب المتوفى ٤٠ هـ، ثم الحسن بن علي المتوفى ٥٠ هـ، ثم الحسين بن علي المتوفى ٦١هـ، و علي زين العابدين بن الحسين المتوفى ٩٥ هـ، ثم محمد الباقر بن علي المتوفى ١١٤ هـ، ثم جعفر الصادق بن محمد المتوفى ١٤٨هـ، ثم موسىٰ الكاظم بن جعفر المتوفى ١٨٣هـ، ثم علي الرضا بن موسىٰ المتوفى ٢٠٣هـ، ثم محمد الجواد بن علي المتوفى ٢٢٠هـ، ثم علي الهادي بن محمد المتوفى ٢٥٤هـ، ثم الحسن العسكري بن علي المتوفى ٢٦٠ هـ، ثم محمد المهدي المنتظر بن الحسن المولود ٢٦٥ هـ، و محمد المهدي هو الحجة في عصرنا، الغائب المنتظر، و هو لا يزال حيًا، و سيخرج يملأ الأرض عدلاً بعدان ملئت جورًا و فسادًا".

(٤). يقولون بالرجعة و هي أن الله يعيد قومًا من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها يعز فريقًا و يذل فريقًا آخر، و ذلك عند القيام المهدي المنتظر.

(٥). يقولون بالتقية: و قد رووا عن الإمام الصادق قوله (التقية ديني و دين آبائي (و من لا تقية له، لا دين له).[1]

١ـ انظر العقيدة الإسلامية و مذاهبها للاستاذ الدكتور القحطان الدوري [ص: ٥٤ و مابعدها بتصرف].

قال السقاف في صحيفة (٦٥٣): (أي و نحب أصحاب النبي ﷺ الذين ذكرناهم و غيرهم ممن لم يسئ و يغير أحكام الإسلام بعد وفا النبي ﷺ) .

أقول: أدرج في كتاب العقيدة الطحاوية (عقيدة أهل السنة والجماعة) العقيدة الشيعية المخالفة لجميع أهل السنة والجماعة و اتبع الروافض الذين يسبون الصحابة و يرون سبهم ديناً و إيماناً واعلم أنه لم يسيئ أي صحابي و لم يغير أي حكم من أحكام الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ أي صحابي من الصحابة المشهورين إلا بعض الأعراب الجفاة الذي ارتدوا بعد الرسول ﷺ و حالهم معلوم لكل أحد فبعضهم قتلوا بيد سيف الله و بعضهم تابوا و أسلموا و حسن إسلامهم و قوله : (حب جميع الصحابة دين ... لأن الله اثنى على جمهورهم) هذا باطل. لأن الله اثنى على جميع الصحابة و أين الدليل على الجمهور ؟ ثم في قوله من التناقض البين لأنه يقول حب جميع الصحابة دين ثم يستثنى منهم البعض فيقول لأن الله اثنى على جمهور هم ، و كل أحد يعرف أن من رأى الرسول ﷺ و مات على الإسلام فهو صحابي فكما أن حب جميع الصحابة دين فكذلك اثنى الله على الجميع .

و قصده من هذا التمهيد التكلم في اعراض بعض الصحابة (والعياذ بالله) إذ يقول : (و قد وقع في جناية بغضهم معاوية(رضى الله عنه) و أصحابه و آله ،و بنو أمية إلا نفراً يسيراً منهم كعمر بن عبد العزيز رحمه الله).

أقول :هذا افتراء و تجنى على هذا الصحابي الجليل و عقيدة جميع أهل السنة والجماعة أن سيدنا معاوية رضى الله عنه اجتهد في حربه مع سيدنا و أولانا و حبيبنا على المرتضى ؓ و الرسول ﷺ يقول : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران و إن اخطأ

فله أجر واحد)، و أن الناس فى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ثلاث جماعات مفرطة و مفرّطة و معتدلة فالنواصب و الشيعة هم المفرطون و المفرطون والمعتدلة هم أهل السنة والجماعة من بين فرث و دم لبناً خالصاً سائغا للشاربين فهم يحبون جميع الصحابة و يكفون عن مثالبهم .

يحبون كل الصحابة و لا يقعون فى أعراض أحد منهم و يرون أن كل من تكلم فى معاوية رضى الله و غيره فمنبعه من الروافض أيا كان و بأى صفة كان

و قوله مردود عليه، و ليس فى كبار علماء أهل السنة من ينسبون إلى النواصب إلا الشرذمة و لا إلى الشيعة فما يدعيه السقاف أن فلاناً ناصبى ليس له إلا الروايات التى اقترفتها الروافض و لم يذهب أحد من علماء الأمة و أكابر الأئمة المحدثين من أهل السنة والجماعة إلى ما يدعيه السقاف و كل يعرف أنه يرد أحاديث الصحيحين باسم التنزيه و غيره و يذهب مسلك المعتزلة فى كثير من آرائه، و دعاويه كلها دعاوى سخيفة أخذ البعض من الروافض و البعض الآخر من المعتزلة و ليس له رأس ثابت ، و شرحه للعقيده ليروج على الناس آراؤه الباطلة الخارجة من عقيدة أهل السنة والجماعة ، ثم ذكر ...أنه كتب كتاباً اسمه "زهر الريحان حول معاوية ابن أبى سفيان" رضى الله عنهما، أقول : و لعله كتب فى مثالب معاوية رضى الله عنه الصحابى الشهير و كان الأنسب أن يضع عليه : سم الثعبان لازهر الريحان لأن ما ينفث فى المسلمين الأبرياء هو سم لوهن عقيدة أهل السنة والجماعة، و سوء الظن بأصحاب الرسول من شيم الروافض .

قال : ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبى بكر الصديق رضى الله عنه تفضيلاً له و تقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم

لعثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه و هم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون.

الشرح:۔

قال الإمام الماوردى: (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة ... موضوعة لحراسة الدين والدنيا ... و هى نظام واجب بالاجماع... و يقيمه البعض الآخر على الشرع دون العقل ، و ذلك لأن أول إختصاص للخليفة حفظ الشرع... فتعيين الإمام واجب حتم على الجماعة الإسلامية والقرآن يوصى بطاعة ولى الأمر ، و إذن فمصدر سلطة الإمام هو الله تبارك و تعالى[1] .

واجبات الخليفة:

(١). حفظ الدين على أصوله المستقرة ، و ما اجمع عليه سلف الأمة.

(٢). تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين و قطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة فلا يتعدى ظالم ، و لا يضعف مظلوم.

(٣). حماية البيضة ، و الذبّ عن الحريم ، ليتصّرف الناس فى المعايش ، و ينتشروا فى الأسفار آمنين .

(٤). إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى ، و تحفظ حقوق عباده.

(٥). تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الواثقة.

(٦). جهاد من عاند الإسلام.

---

١ ـ الخلافة والإمامة لعبد الكريم الخطيب (٢٤٣).

(۷). جبایة الفیء.

(۸). تقدیر العطایا و ما یستحق فی بیت المال.

(۹).استکفاء الأمناء، و تقلید النصحاء فیمایفوض إلیهم من الأعمال.

(۱۰).أن یباشربنفسه مشارفة الأمور و تصفح الأحوال.[1]

قال ابن الدیبع الشیبانی فی حدائق الأنوار (۷۷۷) أجمع أهل السنة سلفًا و خلفًا علی أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ (ابو بکر ثم عمر ثم عثمان ثم علی) علی ترتیبهم فی الخلافة رضی الله عنهم و قال الغنیمی فی شرح العقیدة(ص۱۳٦) و قد ثبتت خلافته بالإجماع بعد توقف أولًا لماجتمعوا فی سقیفة بنی ساعدة فاستقر الرأی بعد المشاورة و المراجعة علی خلافته و بایعوه ما عدی علیًا ثم بایعه رضی الله عنه علی رؤس الأشهاد فصارت خلافته مجمعًا علیه من غیر مدافع.

✿...(۱) سیدنا أبو بکر الصدیق رضي الله عنه:

هو خلیفة رسول الله ﷺ اسمه: عبد الله بن أبی قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن کعب بن سعد بن تیم بن مرة بن کعب بن لؤی بن غالب، القرشی، التیمی، یلتقی مع رسول الله ﷺ فی مُرة . و قد ولد بعد مولد النبی علیه الصلاة والسلام بسنتین وأشهر، و کان منشؤه بمکة لا یخرج منها إلا لتجارة، و کان ذا مال جزیل فی قومه، و مرؤة تامة، واحسان و تفضل فیهم.

قال الإمام النووی عنه: بأنه کان من رؤساء قریش فی الجاهلیة، و أهل مشورتهم،

۱ـ الخلافة و الإمامة لعبد الکریم (۳۲۵).

ومحبّباً فيهم واعلم لمعالمهم ، فلما جاء الإسلام أثره على ما سواه ، ودخل فيه أكمل دخول ، و لقّب بالصديق في الجاهلية لماعُرِف منه من الصدق ، والصديق رضى الله عنه أولُ من أسلم من الرجال ، و أول الخلفاء الراشدين ، أحد العشرة المبشرين بالجنة و أحد أصهار النبى عليه الصلاة والسلام،و أفضل الناس من بعده،ثم عمر ثم عثمان ثم على ، ثم باقى العشرة المبشرين بالجنة ، و أول من جمع القرآن ، وأول من سماه مصحفاً تولى الخلافة سنة احدى عشرة للهجرة ، و ذلك بعد أن اجتمعت كلمة المسلمين على أن يكون خليفةَ رسول الله ﷺ لأنه استخلفه ليصلى بالمسلمين أثناء مرضه ، و لأنه صدّيقه الأكبر وصاحبه فى هجرته من مكة إلى المدينة . قال تعالى:﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾(التوبة: ٤٠) .

قال الحافظ السيوطى: أجمع المسلمون على أن الصاحب المذكور : أبو بكر ثم إنه رضى الله عنه ما أن تولى الخلافة حتى قام بتيسير جيش أسامة الذى كان ينتظر بالقرب من المدينة أثناء مرض رسول الله ﷺ . أخرج من عبد الرحمن بن حميد فى (مسنده) وأبو نعيم و غيرما من طرق عن أبى الدرداء أن رسول الله ﷺ قال:(ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر ، إلا أن يكون نبىّ) و فى لفظ (على أحد من المسلمين بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر). [1]

و قد ورد أيضاً من حديث جابر ، و لفظه : (ماطلعت الشمس على أحد منكم

---

١ ـ النجوم اللامعة لعمادالدين (٦٧١.١٦٧).

أفضل منه أخرجه الطبراني وغيره، و له شواهد من وجوه أُخر تقضي له بالصحة أو الحسن و قد أشار ابن كثير إلى الحكم بصحته).

و أخرج الشيخان عن عمرو بن العاص قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أحبّ اليك؟ قال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، و قد ورد هذا الحديث بدون (ثم عمر) في رواية أنس و ابن عمرو وابن عباس.[1]

و أخرج الواقدي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خَلَوْنَ من جمادى الآخرة و كان يومًا باردًا فَحُمَّ خمسة عشر يومًا لا يخرج الى الصلاة، و توفيّ ليلة الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة و له ثلاث و ستّون سنة و قد دفن في بيت عائشة رضي الله عنها بجانب قبر النبي ﷺ و كانت مدة خلافة سنتين و ثلاثة اشهرٍ و ثلاثة ايام.[2]

...(٢) سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن العزى بن رياح بن قرط بن زراح بن عدي بن كعب بن لؤي أمير المؤمنين، ابو حفص، القرشي، العدوي، الملقب الفاروق.

أسلم في السنة السادسة من النبوة و له سبع وعشرون سنة، قاله الذهبي و قال النووي، ولد عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، و كان من أشراف قريش، وإليه كانت

١ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي (٤٢/٤٣).

٢ـ النجوم اللامعة لعماد الدين (٦٧٤).

السفارة فی الجاهلية... و هو أحد السابقين الأولين، و أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة، و أحد الخلفاء الراشدين و أحد اصهار النبی عليه الصلاةو السلام، و أحد كبار علماء الصحابة وزّهادهم، رُوِیَ له عن النبی عليه الصلاة و السلام، أخرج البخاری عن ابن مسعود رضی الله عنه قال:(مازلنا أعزّة منذ أسلم عمر).

عهد له بالخلافة بعد أبو بكر رضی الله عنه بعد أن شاور صحابة رسول الله ﷺ، و أجمع المسلمون علی شرعية إستخلافه، و تولّی الخلافة فی اليوم الذی تُوفی فيه أبو بكر رضی الله عنه، و كان ذلك فی السنة الثالثة عشرة للهجرة، و شهد بيت المقدس و أقام بمدينة القدس الشريفة ـ أعادها الله ـ عشرة ايام .

وأخرج مسلم عن عمر رضی الله عنه قال: وافقت ربی فی ثلاث: فی الحجاب و فی أساری بدر، و فی مقام ابراهيم . و كثرت الفتوحات فی زمانه فی مشارق الأرض و مغاربها، وفی سنة ثلاثٍ و عشرين حجّ و دعا فيما أخرجه البخاری قائلاً (اللهم ارزقنی شهادة فی سبيلك واجعل موتی فی بلد رسولك) ... فكان موته رضی الله عنه كما دعا،فقد قتله أبو لؤلؤة المجوسی بخنجر مسموم، طعنه به فی المسجد و هو داخل للصلاة، فقال: الحمد لله الذی لم يجعل منيتی بيد رجل يدّعی الإسلام... ثم قال: إذهب إلی أم المؤمنين عائشةفقل : يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه فذهب إليها فقالت: كنت أريده لنفسی ـ أی المكان ـ ولأوثرنّه اليوم علی نفسی . فلما رجع و أخبر عمر بذلك حمدَ الله عزوجل . ثم إنه رضی الله عنه جعل الشوری فی اختيارخليفةٍ من بعده بين ستة اشخاص هم : عثمان بن عفان، وعلی بن أبی طالب، و طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوّام، وسعدُ بن أبی وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضی الله

عنهم ، و كلهم من العشرة المبشرين بالجنة.

و أوصى رضى الله عنه أن يحضر مجلس الشورى ابنه عبدالله مستشارًا و ناصحًا لا مرشّحًا ولا منتخبًا ، و أوصى أن يصلى بالناس صهيبٌ الرُّومى ثلاثة أيام ريثما ينقض التشاور فى الأمر و يجتمع المسلمون على خليفةٍ لهم توفّى رضى الله عنه فى ٢٤ من ذى الحجة سنة ٢٣ للهجرة ، و دُفِنَ مع صاحبيه النبى ﷺ و أبى بكر فى حجرة السيدةعائشة رضى الله عنها. (١)

...(٣) سيدنا عثمان رضي الله عنه:

بايعوه بالخلافة يوم السبت غُرّة المُحرّم أول سنة أربع و عشرين من الهجرة و هو : عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أُمية بن عبدشمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤى بن غالب ، القرشى ، الأموى ، أبو عمرو ، و يقال : أبو عبدالله ،و أبو ليلى .

ولد فى السنة السادسة من الفيل ، و أسلم قديمًا ، و هو ممن دعاه الصديق إلى الإسلام ، و هاجر الهجرتين : الأولى إلى الحبشة ، والثانية إلى المدينة ، و تزوّج رقية بنت رسول الله ﷺ قبل النبوة ، و ماتت عنده فى ليالى غزوة بدر فتأخر عن بدرٍ لتمريضها بإذن رسول الله ﷺ ، و ضرب له بسهمه و أجره، فهو معدود من البدريين بذلك .

و فى حدائق الأنوار (٨٠٣) و مع شهادة (الرسول ﷺ (لعثمان) الشهيد بإستحياء الملائكة الكرام منه إجلالاً و احترامًا ، و ضربه له بسهمه و أجره(يوم بدرٍ) وضربه بيده

١ـ المرجع السابق (٦٧٥ و مابعده)

الیمنی علی الیسری عنه فی (بیعة الرضوان) وتزویجه له بإبنتیه رضی الله عنهما . ثم قال : (لو کان عندی ثالثة لزوجتکها) ، مع ما اشتهر من جمعه لمصاحف (القرآن) ، و مواظبته علی تلاوته ، و کثرة الصیام والقیام ، و شفقته علی الأمة بوضع السلاح تورُّعًا عن سفك الدماء ، و صدقاته المشهورة کتجهیز (جیش العسرة) ، و حفر (بئر رومة) الموعود علیها الجنة .

و فی سنة خمسٍ و ثلاثین کان مقتل عثمان رضی الله عنه.

الفتنة و سبب قتل سیدنا عثمان رضی الله عنه:

قال الإمام ابن حجر الهیتمی رحمه الله تعالی فی کتابه تطهیر الجنان واللسان (ص٤٤)

"... و منها قضیة قتل عثمان رضی الله عنه و هی عجیبة مبسوطة فی کتب السیر والتواریخ ، و فیها اشیاء کثیرة لم تصح فلاتغترّ بها ، و حاصل ما جاء فی ذلك بإختصار أن عثمان زُوِّر علیه الأمر بقتل محمد بن أبی بکر و جماعة اخرین ، فاجتمعوا إلیه لحصاره حتی قتلوه ، و أنه علم أنه مقتول لإخباره ﷺ له بذلك فی روایات کثیرة و لم یعزل نفسه کما طلبوه منه ، و رضوا منه به ..."

و أحسن الکتب فی هذا الموضوع (العواصم و القواصم) للإمام ابن العربی رحمه الله تعالی فمن أراد التفصیل فلیراجعه.

...(٤) سیدنا علی رضی الله عنه:

هو علی بن أبی طالب ،واسم أبی طالب عبد مناف بن عبد المطلب، و اسمه شیبة بن هاشم، و اسمه عمرو بن عبد مناف و اسمه المغیرة بن قصی و اسمه زید بن کلاب

بن مُرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، أبو الحسن ، و أبو تراب ، كناه بها النبى ﷺ و أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، و هى أول هاشمية ولدت هاشميًا ، و على رضى الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، و أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة ، وصهره على فاطمة الزهراء رضى الله عنها، و أحد السابقين إلى الإسلام ، و أحد العلماء الرّبانيّين ، و الشجعان المشهورين ، والزهّاد المذكورين ، والخطباء المعروفين ، و أحد من جمع القرآن و عرضه على النبى ﷺ .

أسلم قديمًا ... و شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا و أُحدًا و سائر المشاهد ، إلا تبوك فإن النبى ﷺ استخلفه على المدينة ، و له فى جميع المشاهد آثار مشهورة ، و أعطاه النبى ﷺ اللواء فى مواطن كثيرة. (١)

و بعد أن قتل عثمان رضى الله عنه هرِعَ الناس إلى علىّ من كل صَوبٍ ليبايعوه و كان رضى الله عنه يتردد ، و قال لهم: ليس لكم ذلك و إنما ذلك لأهل بدر ، فمن رضى به أهل بدرٍ فهو الخليفة ، فجاء أهل بدرٍ و لم يبق منه أحد إلا و بايعه .، فشرع فى عزل الولاة الذين ولّاهم عثمان رضى الله عنه و أبى معاوية بن أبى سفيان الإذعان لأمره . و طالبه أن يأخذ بثأر عثمان فيتتبع قتلته و يقتلهم ، و لكن عليًا رضى الله طالبه أن يدخل فى الطاعة أولًا ، ثم يتقدم إليه ولىّ دمه ، فيتبع معه ما يوجبه الشرع إذا كان يرى أن القصاص من غير دعوى و لا إقامة بينة مخالف لكتاب الله فأبى معاوية رضى الله عنه إلا القصاص لذلك وقعت موقعة الجمل.

١ـ تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص:١٥٦) و مابعدها.)

...موقعة الجمل:

سميت باسم الجمل الذى كان عليه هودج السيدة عائشة رضى الله عنها و سببها : أن طلحة والزبير و بعض الصحابة و أهل الشام ممن لم يبايعوا عليًا ، و لم يقتنعوا بسياسته حيال الثوار الذين قتلوا الخليفة عثمان ، فاجتمع طلحة و الزبير و أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بمكة، و قرروا الخروج إلى البصرة ليطالبوا عليًا رضى الله عنه بدم عثمان ، و استعظم أمير المؤمنين علىؓ أن يحارب المسلمون بعضهم بعضًا فمكث ثلاثة أيام يبعث برسله إلى طلحة والزبير و من معها يدعوهم جميعًا إلى الرجوع فرجع الزبير ثم قتل فى طريق عودته غدرًا بَيد أن أطرافًا أخرى أُركسوا فى الفتنة ، و هم من أشبّوا الحرب بعد أن كاد الناس يصطلحون فاندلعت الحرب بين الفريقين فى آواخر جمادى الآخرة سنة ٣٦ .

و قتل طلحة و بعث علىؓ من عقر جمل عائشة رضى الله عنها و جئ بهاالى الإمام علىؓ فرعى قدرها ، و شَيّعها إلى ظاهر الكوفة و أرسل معها أخاها محمد بن أبى بكر حتى وصلت إلى المدينة المنورة.

...معركة صفين:

ثم دارت بين جند علىؓ و جند معاوية رضى الله عنه فى صفين و هى أرض على شاطئ الفرات الغربى ، و كان المعركة سنة (٣٧هـ) كان عدد جيش معاوية قد بلغ نحوًا من (٨٣) ألفًا و كان هو قائدهم و كان عدد جيش علىؓ تسعين ألف مقاتل عسكرالفريقان أمام بعضها بعضًا.

قرابة شهرين إلى أن اشتعلت نار المعركة فوقع قتل كثير حتى خاف الطرفان الفناء

،و بحيلة من عمرو بن العاص قبلها معاوية ، و رفضها علىؓ أول الأمر ، و هى رفع المصاحف على أسنة الرماح، و طلب التحكيم ، توقفت أعمال الحربية واتفقوا على التحكيم .

...الخوارج و ما جرى بعد التحكيم:

الخوارج هم الفرقة التى خرجت من جيش على رضى الله عنه ، و ثارت عليه ، لأنه قبل التحكيم بعد معركة صفين و احتجوا على أمير المؤمنين لأنه قَبِل وقف القتال ، و اتهمّوه ، و قالوا حكّمت فى دين الله و لا حكم إلا لله ثم أخذ وا يخرجون من الكوفة مُتسلّلين من جيش علىؓ وتجمعوا فى مكان يسمى حروراء من ضواحى الكوفة ، و عسكروا فيه ، و قد عرف هؤلاء باسم الخوارج كما عرفوا باسم الحرورية نسبة إلى هذا المكان. فأخذ على رضى الله عنه يستمليهم و يناظرهم حتى رجع إلى صفوفه ثمانية آلاف ، و بقى آخرون على عدائهم لكلٍّ من علىؓ و معاويةؓ ومن بايعهما من المسلمين بل كفّروا عليًا و معاوية رضى الله عنهما و أتباعهما فبايعوا عبد الله بن وهب خليفة عليهم و خرجوا إلى النهروان. و بينما كان على رضى الله عنه يَعُد الجيش ليتوجّه به إلى الشام ، بلغه أن الخوارج قد عاثوا فى الأرض فسادًا ، وقتلوا عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله ﷺ وقتلوا زوجته ، و كانت حاملاً ، فلّما ذاع صنيعهم هذا بين أهل العراق أشاروا على أمير المؤمنين علىؓ بأن يبدأ بالخوارج فقاتلهم على رضى الله عنه و فرّق شملهم .

...استشهاد علىؓ:

صمّم الخوارج أن يتخلصوا من ثلاثة زعماء فى آن واحد : علىؓ فى العراق ،و

معاوية رضي الله عنه فى الشام ، و عمرو بن العاص رضي الله عنه فى مصر ، واتفق ثلاثة منهم على قتل هؤلاء فتكفّل عبد الرحمن بن ملجم المرادى الحميرى بقتل علي رضي الله عنه و تكفّل البرك بن عبد الله التميمى بقتل معاوية رضي الله عنه و تكفّل عمروبن بكر بقتل عمرو ابن العاص و تواعدوا على أن يكون التنفيذ ليلة السابع عشر من رمضان سنه(٤٠هـ) و فى صبيحة يوم الجمعة من شهر رمضان تربّص لعلي ثلاثة من الخوارج داخل المسجد ، فلّما خرج علي رضي الله عنه عاجله شبيب الأشجعى بضربة من سيفه على رأسه ، و لكنها لم تنفذ من عمامة علي رضي الله عنه فأعقبه ابن ملجم بضربة أخرى قوية ، فسال دمه على لحيته ، فأمسك الحاضرون بإبن ملجم و قيدوه ، و حمل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى بيته و هو يكرر (لا إله إلا الله) و بعد يومين توفى عن ثلاث و ستين عامًا و كانت خلافته أربع سنوات و تسعة أشهر ، و دفن ليلاً ، و اخفى قبره فى دار الامارة بالكوفة. (١)

و موقف أهل السنة من مشاجرات الصحابة معلوم و قد ذكرناه بالتفصيل مع رأى أئمة أهل السنة والجماعة فى ذلك و لمزيد التأكيد نذكر قول الإمام الباجورى:

وقد وقع تشاجربين سيدنا على و سيدنا معاوية رضى الله عنهما ، و افترقت الصحابة إلى ثلاثة فرق :

الأولىٰ : اجتهدت فظهر لها الحقّ مع على رضى الله عنه فقاتلت معه .

والثانية: اجتهدت فظهر لها الحقّ مع معاوية رضى الله عنه فقاتلت معه .

والثالثة: توقفت .

---

١ ـ انظر العنف للدكتور محمد مطر الكعبى (٣٠ بتصرف و مابعدها).

وقال العلماء كلّهم مجتهد، فالمصيب بأجرين والمخطئ بأجر، و قد شهد الله لهم بالعدالة، و يصرف المكلّف ما وقع بينهم إلى محمل حسن، لتحسين الظن بهم، فإنهم كانوا مجتهدين فيماحصل بينهم.

وقد قال ﷺ فيهم: (لا تسبّوا أصحابي، فمن سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا و لاعدلاً.) (١)

تنبيه: وقد صحح ابن حبان وغيره من المحدثين حديث أبي سعيد الخدري رض أن عليًا بايع أبا بكر في أول الأمر، وفي رواية البخاري أنه بايعه بعد ستة اشهر و يمكن أن يجمع بين الروايتين بأنه بايعه مرتين... والمرة الثانية على ملأ من الناس لئلا يقولوا أنه لم يبايع.

... لطيفة:

جمع السلطان نادرشاه بين علماء أهل السنة والجماعة والروافض وكان يترأس أهل السنة عبد الله السويدي و كان من جانب الروافض الملا باشي فبعد أن سأل الملا باشي عبد الله عن بعض المسائل و إجابته له... سأله عبد الله السويدي فقال: أريد أن أسألك عن مسألتين لاتستطيع الشيعة الجواب عنهما! فقال: و ما هما: قال: الأولى كيف حكم الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين عند الشيعة؟ فقال: ارتدوا(إلا خمسة: عليًا، والمقداد، و أباذر، و سلمان الفارسي، وعمار بن ياسر) حيث لم يبايعوا عليًا على الخلافة.

١ـ شرح جوهرة التوحيد بتصرف (٣٣٤.٣٣٥).

قال : إن كان الأمر كذلك ، فكيف زوّج عليٌّ بنته أم كلثوم من عمربن الخطاب رضى الله عنهم ؟؟!

فقال : إنه مكرهٌ ! قال : والله إنكم اعتقدتم فى على منقصة لا يرضى بها أدنى العرب !! فضلاً عن بنى هاشم الذين هم سادات العرب !!...فكيف تثبتون لعلى . وهو الشجاع الصنديد ،ليث بنى غالب ، أسدالله فى المشارق والمغارب مثل هذه المنقصة التى لا يرضى بها أجلاف العرب؟! بل كم رأينا من قاتل دون عياله فقتل . قال: يحتمل أن تكون زُفت لعمر جنِّيةٌ تصورت بصورة أم كلثوم ! قال : هذا أشنع من الأول فكيف يعقل مثل هذا؟! و لو فتحنا هذا الباب لانسدت جميع أبواب الشريعة حتى لو إن الرجل جاء إلى زوجته لاحتمل أن تقول : أنت جنيٌّ تصورت بصورة زوجى ، فتمنعه من الإتيان إليها . فإن أتى بشاهدين عدلين على أنه فلان ، لاحتمل أن يقال فيهما : إنهما جنيان تصورا بصورة هذين العدلين ، و هلم جرًا....

ثم قال له: ما حكم أفعال الخليفة الجائر ؟ هل هى نافذة عند الشيعة ؟ فقال : لا تصح ولا تنفذ فقال له أنشدك الله ،من أى عشيرة أم محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب؟ فقال : من بنى حنيفة . فقال : من سبى بنى حنيفة؟!

قال : لا أدرى (وهو كاذب) فقال بعض الحاضرين من علمائهم : سباهم أبو بكر (رضى الله عنه) فقال له: كيف ساغ لعلى أن يأخذ جارية من السبى ، و يتولدها ، و الإمام على زعمكم لا تنفذ أحكامه لجوره ، والإحتياط فى الفروج أمر مقرر : فقال :لعله: استوهبها من أهلها ، يعنى زوجوه بها . قلت يحتاج هذا إلى دليل فانقطع !! [1]

١ـ انظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب (١٠٩ ومابعدها)

تنبيه:- قال المحدث الكبير محمد يوسف البنوري رحمه الله في كتابه : الاستاذ المودودي و شيئ من حياته و أفكاره (ص٤٤) :

" و أما أصحاب رسول الله ﷺ فلم ينج منه "اى من المودودي" مثل سيدنا عثمان رضي الله عنه الخليفة الراشد ذى النورين ، وهتك أعراضهم بحب الدنيا ، والطمع والبخل ، والحرص ، والحسد ، والبغض ، فضلاً عن التابعين لهم بإحسان و عن السلف الصالحين في كل عصر و زمان."

العشرة الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة:

قال: وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ و بشّرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله ﷺ و قوله الحق ، و هم : أبو بكر ، و عمر ، و عثمان ، و طلحة ، و الزبير ، سعد ، و سعيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، و أبو عبيدة بن الجراح ، و هو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم.

الشرح:-

هؤلاء الصحابة هم المشهورون بالعشرة المبشرة و هم الذين سماهم رسول الله ﷺ و شهد لهم بالجنة ووجه شهرتهم بهذا الاسم لأنهم ذكروا بهذا الوصف في حديث واحد رواه الترمذي و أبو داود.

و روى الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ :(ان لكل نبى أمينا و أمين أبو عبيدة عامر بن الجراح) . و كذلك رواه في الجامع الصغير رامزًا للبخاري: وفي كتاب منتهى السول (٤٩٧/١) : قال أبو منصور البغدادي : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ، ثم تمام العشرة المشهود لهم بالجنة : سعد

بـن أبی وقاص و سعید بن زید بن عمرو بن نفیل ، وطلحة بن عبید الله ، والزبیر بن العوام ، و عبـد الرحمن بن عوف ، و أبو عبیدة : عامر بن الجراح ، ثم أهل بدر وهـم ثلاثمائة و بضعة عشر ، ثم أهل أحد ، ثم أهل بیعة الرضوان بالحدیبیة. و ممن له مزیّة أهل العقبتین من الانصار والسابقون الأولون ؟ وهم من صلی إلی القبلتین).

قـال الإمـا م الـمـلا عـلـی الـقـاری فـی شرح الفقـه الأکبر (ص١١٩) و قد روی أصـحاب السنن و صححه الترمذی عن أبی سعید رضی الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :(عشـرة فی الجنة أبوبکر و عمر و عثمان و علی والزبیر و طلحة وعبد الرحمن و أبو عبیـدة و سـعد بن أبی وقاص ، و سعید بن زید رضی الله عنهم) وقد ورد : (إن فاطمة رضی الله عنها سیدة نساء أهل الجنة ، والحسن والحسین سیدا (شباب أهل الجنة) . و أمـا عـدة أهل بدر فثلاثمائة و بضعة عشر. وقد روی ابن ماجه عن رافع بن خدیج رضی الله عنه قال : (جاء جبریل أو ملك إلی النبی ﷺ فقال :ما تعدّون من شهد بدرًا فیکم ؟ قال خیارنا ، قال کذلك هم عندنا خیار الملائکة) و روی أبو داود والترمذی و صححه أنه ﷺ قال : (لا یدخل النار أحد ممن بایع تحت الشجرة).

و بـالـجـمـلة فالسابقون الأولون من المهاجرین و الانصار أفضل من غیرهم لقوله تعالی :﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾

﴿بیان أزواجه ﷺ المطهرات﴾

قـال: و من أحسن القول فی أصحاب النبی ﷺ و أزواجه الطاهرات من کل دنس و ذریاته المقدسین من کل رجس فقد بریء من النفاق.

الشرح:۔

من ذكر بالجميل أصحاب النبى ﷺ الذين خدموا لإسلام و كذلك أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين من كل الأوساخ و ذرياته المطهرين من كل نجس و قذر فقد برئ من النفاق و الضلال لأن الله قد طهرهم من كل رجس قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ و أزواج النبى ﷺ .

١ . خديجة الكبرى رضى الله عنها : آمنت بالرسول إذ كفر به الناس و صدقته إذ كذبه الناس و واسته بما لها يوم حرمه الناس عاشت مع الرسول ﷺ خمس عشرة سنة قبل البعثة ، و عشرًا بعدها . تزوجها رسول الله ﷺ فى أول شبابه و هو ابن خمس و عشرين سنة ، و هى ثيب بنت أربعين سنة.

و قد رزق النبى ﷺ منها بجميع أولاده الذكور والأناث ما عدى ابراهيم فإنه من ماريه القبطية . و أولاد النبى عليه الصلاة والسلام الذكور من خديجة رضى الله عنها هم : القاسم ، الطيب ، الطاهر.

و أما بناته منها فهن : زينب و رقية ، و أم كلثوم ، و فاطمة الزهراء و الدة سيدى شباب أهل الجنة الحسن و الحسين رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ : (خير نسائها مريم بنت عمران و خير نسائها خديجة بنت خويلد ، و أشار الراوى إلى السماء و الأرض) أخرجه الشيخان.

٢ . سودة بنت زمعة رضى الله عنها: بعد أن انتقلت خديجة الكبرى إلى جوار ربها ،تزوج النبى ﷺ بالسيدة (سودة بن زمعة) أرملة السكران بن عمرو و هى من المؤمنات المهاجرات.

٣. عائشة الصديقة رضى الله عنها : و قد كانت بحرًا زاخرًا فى الدين ، و خزانة حكمة و تشريع و كانت مدرسة قائمة بذاتها . و رد عن الإمام على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ :خير نسائهاخديجة بنت خويلد . و أشار الراوى . و هو وكيع بن الجراح إلى السماء والأرض . أخرجه الشيخان والترمذى و زاد رزين فى رواية : قال : ﷺ : كمل من الرجال كثيرًا و لم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران ، و آسية امرأة فرعون ، و خديجة بنت خويلد ، و فاطمة بنت محمد ، و فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام...و مما يشهد بفضلها و بحر علمها الزاخر ما ورد عن أبى موسى رضى الله عنه قال : ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً. أخرجه الترمذى.

٤. حفصة بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه العبقرى الذى (لم ير الرسول ﷺ عبقريا من الناس يفرى فرية).

٥. زينب بنت خزيمة رضى الله عنها : و كان زوجها من ابطال (بدر) و هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب .

٦. أم سلمة هند بنت أبى أمية المخزومية رضى الله عنها: أبلى زوجها فى غزوة أحد بلاء حسنا و قاتل حتى جرح و لزم فراشه و مات.

٧. زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها و كان زوج زيد فطلقها و قصة تبنيه مشهورة.

٨. أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان الأموية رضى الله عنها:

و كانت فى الحبشة فارتد زوجها عبد الله بن جحش فكتب النبى ﷺ إلى

النجاشي ملك الحبشة ليزوجه إياها فأبلغها النجاشي ذلك ففرحت ثم لما وصلت تزوجها النبي عليه الصلاة و السلام.

٩. جويرية بنت الحارث رضى الله عنها: كانت من سبايا بني المصطلق فتزوجها النبي ﷺ ليقتدى به أصحابه من بعده.

١٠. صفيه بنت حيي بن اخطب رضى الله عنها.

١١. ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها(١).

و أما ريحانة رضى الله عنها : فقد قال الإمام شرف الدين في كتابه (نساء رسول الله ﷺ ص:٨٦)في أزواج النبي ﷺ مع ذكر الاختلاف فيها . و أما مارية القبطية رضى الله عنها أم ولده ابراهيم أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية فلما ولدته قال ﷺ (اعتقها ولدها) كذا ذكر في كتابه المذكور .

و قال الإمام الملا على القارى في شرح الفقه الأكبر [ص ٣٢١] و منها: القول بتفضيل أولاد الصحابة رضى الله عنهم ، فقال بعضهم: لا نفضل بعد الصحابة رضى الله عنهم أحدًا إلا بالعلم و التقوى ، و الأصح أن فضل ابنائهم على ترتيب فضل آبائهم إلا أولاد فاطمة رضى الله عنها ، فإنهم يفضلون على أولاد أبي بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم لقربهم من رسول الله ﷺ فهم العترة الطاهرة و الذرية الطيبة ، الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرًا.

١ـ انظر كتاب زوجات النبي الطاهرات لمحمد الصواف .

تفضیل عائشة و ضلالة من سبها:

و قال الملا علی القاری فی شرح الفقه الأکبر [ص ۱۱۰] :

(وقال الإمام الأعظم رحمه الله فی کتاب الوصیة : و عائشة رضی الله عنها بعد خدیجة الکبری رضی الله عنها أفضل نساء العالمین ، و هی أم المؤمنین ، و مطهرة من الزنا ، و بریئة مما قال الروافض ، فمن شهد علیها بالزنا فهو ولد الزنا انتهی.

و لا یخفی أن من قذفها بالزنا فهو کافر بالآیات القرآنیة الواردة فی براءة ساحتها ممانسب إلیها من الأمور النفسانیة ، و أما من سبها بسبب محاربتها و مخالفتها لعلیّ رضی الله عنه فهو ضالّ مبتدع غال فاجر ، والله أعلم بالسرائر .

وقول السقاف فی صحیفة (۶۵۷): و أهل البیت هم سیدنا علی و السیدة فاطمة و سیدنا الحسن و سیدنا الحسین علیهم السلام و ذریتهم من بعدهم و من تناسل منهم للحدیث الصحیح الذی نص النبی ﷺ فیه علی ذلک .....إلخ. باطل لأن الزوجات داخلة فی أهل البیت ، و من وتیرة الشیعة أنهم یخرجون الزوجات عن الآل عداوة لسیدتنا و أمنا الطیبة الطاهرة زوج النبی ﷺ عائشةؓ .

و فی "احکام القرآن " (ص : ۲۴۱ و مابعدها)قال الجصاصؒ : هذا یدل علی أن أزواج النبی ﷺ من أهل بیته لأن الملائکة قد سمیت امراة ابراهیم من أهل بیته . و کذلک قال الله تعالی فی مخاطبة أزواج النبی ﷺ فی قوله "و من یقنت منکن لله و رسوله و تعمل صالحا" إلی قوله " و اطعن الله و رسوله إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت" قد دخل فیه أزواج النبی ﷺ لأن إبتداء الخطاب لهن.

و فیه خلاف للشیعة: و لعل الذی دعاهم لذلک بغضهم لعائشةؓ فراموا اخراجها

من حكم "يريد الله" إلخ . و محمل كلامه آية "إنما يريد الله" إلخ فى سورة الأحزاب .
نعم أترجم ما حققه شيخنا تحت تلك الآية. فإن كلامه موجز و كاف و واف لما عليه
أهل السنة والجماعة. قال رحمه الله تعالى: مصداق لفظ أهل البيت فى آية التطهير نظرا
إلى السياق، والسباق الأزواج المطهرات يقينا كما قال ابن عباس: نزلت فى نساء
النبى ﷺ خاصة . و قال عكرمة : من شاء باهلته إنها نزلت فى أزواج النبى ﷺ . و قال
أيضا: ليس بالذى تذهبون إليه إنما هو نساء النبى ﷺ آه . هذا كله فى الدر المنثور .
فهذا لا شبهة فيه . و ضمير "عنكم" اما للتغليب لشموله النبى ﷺ واما للفظ الأهل كما
فى "لأهله امكثوا" اما أنه مصداقهم أهل العباء كما فى حديث جللهم رسول الله ﷺ
بكساء "قال اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا" أو أن
الأزواج المطهرات ليست من مصداقهم كما فى حديث (قالت أم سلمة فرفعت لا
دخل معهم فجذبه ﷺ من يدى و قال إنك على خير و لم يدخلها) فالمحقق فيه أن
مفهوم أهل البيت فى الآية والحديث ليس بمتحد ، بل المراد فى الحديث العترة ، و فى
الآية اما عام فنوع منه مدلول الآية ، و بين ﷺ كون النوع الثانى مدلولا بفعله هذا ، و
يكون معنى عدم إدخال أم سلمة أن كونك من مدلول الآية ظاهر و من خفى كونه
مدلولها فابينه فلا حاجة لك إلى الإهتمام به . و يراد بالخير هذه المدلولية ، واما أن يراد
فى الآية الأزواج فقط فالإدخال فى العباد تلاوة أو الدعاء بالألفاظ المناسبة للآية.
يكون من علم الاعتبار كما تلا ﷺ فى الخيبر اية "فساء صباح المنذرين" و كان نزولها
فى المشركين و كما حمل الشاه ولى الله: فى مسئلة القدر تلاوته ﷺ اية "فأما من
اعطى" إلخ ، على هذا كذا فى الفوز الكبير .فالمعنى : اللهم ان نوعا من أهل البيت

هؤلاء فادعولهم . ثم اذهاب الرجس فى الدعاء والتطهير الذى يراد به التطهير التكوينى أكبر مويد ، لأن الإدخال على طريق علم الإعتبار فإن المراد فى الاية تطهير شرعى و ليس مراد ا فى الحديث ، و إلا لم يكن لهذ ا الدعاء معنى محصل فعلى هذا أن يقصد من قوله عليه السلام (إنك على خير إنك لست من أهل البيت) أى من هذا النوع المراد إذا فلا إشكال فيه رأساً ، و هذا معنى قول ابن ارقم إذا سئل عن معنى أهل البيت (و لكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده يعني العترة) رواه مسلم فبين هذا المعنى بقرينة السؤال و لم يسئل عن تفسير الاية و لا قال فى الاية فلا يثبت من قوله عدم كون الأزواج من أهل البيت بل فى هذه الرواية أيضا نساؤه من أهل بيته وروى فى المعالم بسند متصل عن النبى ﷺ على سؤال أم سلمة(أما أنا من أهل البيت فقال بلى إن شاء الله تعالى) فالحاصل أن لأهل البيت معنيان : الأول الأزواج ، و الثانى العترة ، و يراد الأول بخصوص القرائن فى مقام ، و آخر فى مقام ، و فى مقام يعم ، والظاهر فى الاية أن المراد الأول و إن إحتمل الثالث أيضا ، و فى حديث الثقلين و حرمة الصدقة و حديث عباس الثانى فبعد هذا التحقيق لا إشكال فى الاية و لا فى حديث ، و لا تعارض فيما بينهما . و لا يراد الشبهة على أهل الحق و لا حاجة لهم إلى تعسف و تاويل . و لصاحب رو ح المعانى بحث عجيب. انتهى.

و علماء السلف من الصالحين و التابعين و من بعدهم من أهل الخير و الأثر و أهل الفقه و النظر لايذكرون إلا بالجميل و من ذكرهم بسوء فهوعلى غير السبيل.

الشرح:۔

السلف الصالح كمابيناهم أهل القرون القرون الثلاثة الأولى ، و هم الذين قال

عليه الصلاة و السلام فيهم كما فى الحديث الصحيح : (خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) . أخرجه البخارى و مسلم ، فهم الصحابة و التابعون و تابعوهم ، والأئمة الأربعة . أبو حنيفة و مالك و الشافعى و أحمد بن حنبل و كذلك المحدثين الكبار كالإمام الأوزاعى والثورى و الإمام البخارى و يحيى بن معين و غيرهم من أئمة تلك الطبقة كانوا ختام فترة السلف المباركة.

و المراد من قوله : (و من بعدهم من أهل الخير و الأثر، و أهل الفقه و النظر) : هم الفقهاء و المحدثون لأن الفقهاء اعتنوا بدراية الحديث و أما المحدثون فقد اعتنوا برواية الحديث فهما كالظهر والبطن لا يستغنى أحدهما عن الآخر.

احترام العلماء و توقيرهم واجب:

١.. عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ليس من أمتى من لم يُجِلَّ كبيرنا ، و يرحم صغيرنا ، و يعرف لعالمنا حقه) رواه الإمام أحمد والطبرانى والحاكم بلفظ (ليس منا) و قد نص المنذرى والهيثمى على حسن سنده.

٢.. عن أبى أمامة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (ثلاث لا يستخف بهم إلا منافق : ذوالشيبة فى الإسلام ، و ذوالعلم ، و إمام مقسط) رواه المنذرى و الهيثمى، والطبرانى فى الاوسط.

٣.. قال الإمام ابوالقاسم ابن عساكر رحمه الله فى بعض رسالاته:

اعلم يا أخى وفقنا الله و إياك لمرضاته ، و جعلنا ممن يخشاه و يتقيه حق تقاته ، أن لحوم العلماء مسمومة ، و عادة الله فى هتك استار منتقصهم معلومة. و أن من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب ، بلاه الله قبل موته بموت القلب ، (فليحذر الذين يخالفون عن

أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) كذا حكاه عنه الإمام النووى رحمهما الله في كتاب (التبيان).[١]

٤.. وذكر الإمام أبو القاسم الرافعي رحمه الله و تبعه النووى و الأصبحي و غيرهم رضى الله عنهم أن الوقيعة فى العلماء محرّمة أشد تحريم ، و ألحقوها بالكبائر التى تُرد بها الشهادات ، و تسقط بها الولايات ، و هذا ما لم يقصد بذلك استهزاء ، فإن قصد الاستهزاء بالعلم أو بالعلماء أو بالشريعة العظمى أو بشيئ من أحكام الدين ، فقد كفر بالله ربّ العالمين ، و صار مُرتدًا تجرى عليه أحكام المرتدين.[٢]

٥.. و قال الملا على القارى فى شرح الفقه الأكبر (١٢٠) والحاصل أن التابعين أفضل الأمة بعد الصحابة لقوله عليه الصلاة والسلام (خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم) فنعتقد أن الإمام الأعظم و الهمام الأقدم أبو حنيفة رضى الله عنه أفضل الأئمة المجتهدين ، و اكمل الفقهاء فى علوم الدين ، ثم الإمام مالك رضى الله عنه فإنه من أتباع التابعين ثم الإمام الشافعى رضى الله عنه لكونه تلميذ الإمام مالك رضى الله عنه ،بل تلميذ الإمام محمد رضى الله عنه ، ثم الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فإنه كالتلميذ للشافعى رحمه الله.

الاستهزاء بالعلماء و الملائكة و أهل التقوى يكون كفراً:

قال فى أحكام القرآن (ص ١٥٥): يفهم منه دلالة ذم الاستهزاء بالعلماء و أهل

١- كتاب نشرطيّ التعريف لجمال الدين الحبيشى (٤٥).

٢_ نفس المرجع.

التقوى و الملائكة ، بأن علة ذم السخرية بأهل الدين . و الاستهزاء بهم استهزاء بالدين. و الاستهزاء بالدين استخفاف الانبياء . و فى العالمگيرية : فى النصاب من ابغض عالما من غير سبب ظاهر خيف عليه الكفر.

رجل يجلس على مكان مرتفع و يسألون عنه مسائل بطريق الاستهزاء ثم يضربونه بالوسائد و هم يضحكون يكفرون جميعا. و كذا لو لم يجلس على المكان المرتفع.

و قال القارى فى شرح الفقه الأكبر: الظاهر أنه يكفر لأنه إذا أبغض العالم من غير سبب دنيوى و أخروى ، فيكون بغضه لعلم الشريعة ولا شك فى كفر من انكره فضلا عمن ابغضه. وقال : و الاستخفاف بالعلماء مستلزم لاستخفاف الأنبياء ، لأن العلماء ورثة الانبياء . ثم نقل فروعا منها ، من تشبه بالمعلم على وجه السخرية و اخذ الخشبة و ضرب الصبيان كفر . يعنى لأن معلم القرآن من جملة علماء الشريعة فالاستهزاء به و بمعلمه يكون كفرا.

قال: و لا نُفَضِّلُ أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام و نقول نَبِيٌّ واحد أفضل من جميع الأولياء .

الشرح:۔

قال الإمام الملا على القارى فى شرح الفقه الأكبر [ص ۱۲۱] : و منها أن الولى لا يبلغ درجة النبى لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون مأمونون عن خوف الخاتمة مكرّمون بالوحى حتى فى المنام و بمشاهدة الملائكة الكرام ، مأمورون بتبليغ الأحكام و ارشاد الأنام بعد الإتصاف بكمالات الأولياء العظام فما نقل عن بعض الكرامية من جواز كون الولى افضل من النبى كفر وضلالة و الحاد و جهالة.

قال : و نؤمن بما جاء من كرامتهم و صح عن الثقات من روايتهم .

الشرح:۔

اعـلـم أن جـمهـور أهـل السنة متـفـقـون عـلى جواز وقوع الكرامـات للأوليـاء الـصـالـحين في الحياة و بعد المماة لكثرة النصوص والأخبار المتواترة في ذلك ، و هي دلالةٌ و علامةٌ على صدقهم ، والوليّ كما عرفه السعد في (شرحه على المقاصد) : (هو الـعـارف بـالـلـه تـعالى ، االمواظب على الطاعات ، المجتنب للمعاصي ، المعرض عن الإنهماك في اللذات و الشهوات). (١)

علامات الأولياء:

١ . أنهم إذا رؤا ذُكِرَ الله : و هو مروى عن ابن عباس رضي الله عنه .

٢ . الإيمان والتقوى .

٣ . أن يكون حبه في الله .

٤ . تولى الله تعالى إياه.

٥ . أن يكون شغله بالله.

٦ . و من علاماته : التلذذ بطاعة الله تعالى و وجدان حلاوتها.

٧ .و من علامات الولى تعجيل البشرى له قال تعالى : (لهم البشرى)

٨ . و مـن عـلامـاته : حفظه من المعصية و توفيقه للطاعة ففي الحديث الشريف :

(احفظ الله يحفظك)

---

١ ـ النجوم اللامعة لعماد الدين (٧١٥)

تعريف الكرامة:

هى أمر خارق للعادة ، يظهر على يد مَن ظاهره الصلاح ، يكرم الله بها عباده الصالحين ، و أوليائه المتقين .

و الفرق بين المعجزة و الكرامة :

١. أن المعجزة تظهر مع دعوى الرسالة مقرونة بالتحدى ، و الكرامة لا تظهر إلا على يد من يتبع الرسول و لا تقترن بالتحدى .

٢. أن المعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة ، والكرامة يجوز معارضتها بما يماثلها أو يكون اعلى منها من جهة خرقها للعادة .

٣. أن الرسل الكرام مأمورون بإظهار المعجزة و أصحاب الكرامة لا يؤمرون باظهارها بل ويحبون اخفاء ها.[كذا فى النجوم اللامعة ص :٢٢٠]

اثبات الكرامات:

☆...الدليل من الكتاب :

١. قصة أصحاب الكهف و بقائهم فى النوم احياء سالمين عن الآفات مدة ثلاثمائه و تسع سنين و أنه تعالى كان يحفظهم من حرالشمس و قصتهم مبسوطة فى سورة الكهف .

٢. هزّ مريم جذع النخلة اليابس ، فاخضّر و تساقط منه الرطب الجنى فى غير أوانه ، قال تعالى ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾(مريم: ٢٥)

٣. ما قص الله علينا فى القرآن ، من أن زكريا عليه السلام كان كلما دخل على مريم المحراب وجد عنها رزقاً و كان لا يدخل عليها أحد غيره عليه السلام فيقول : (يا

مـريـم أنـى لك هـذا ؟ تـقـول : هو من عند الله قال الله تعالى : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾(آل عمران :١٣٧)

٤ . قـصة آصف بـن بـرخيا مع سليمان عليه السلام على ما قاله جمهور المفسرين في قـولـه تعالى ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(النمل : ٤٠) فجاء بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد الطرف .

☆...الدليل من السنة الصحيحة :

١ ـقـصة جـريـج الـعـابد الذى كلمه الطفل فى المهد و هو حديث صحيح أخرجاه فى الصحيحين .

٢ـ قـصة الـغـلام الـذى تـكـلم فى المهد رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب ذكر بنى اسرائيل ، و مسلم فى كتاب بر الوالدين .

٣ـ قـصة الثـلاثة الذين دخلوا الغار ، و انفراج الصخرة عنهم بعد أن سدت عليهم الباب و هو حديث متفق عليه .

٤ـقصة البقرة التى كلمت صاحبها و هو حديث صحيح مشهور .

☆...الدليل من آثار الصحابة:

١ـ قـصة أبـى بـكر رضى الله عنه مع أضيافه فى تكثير الطعام ، حتى صاربعد الأكل أكثر مما كان و هو حديث صحيح فى البخارى .

٢ـ قـصة عـمـر رضى الله عنه ، و هو على منبر المدينة ينادى قائده : يا سارية الجبل ! و هو حديث حسن .

٣- قصة عثمان رضى الله عنه مع الرجل الذى دخل عليه، فأخبره عما أحدث فى طريقه من نظره إلى المرأة الأجنبية. الحديث.

٤- سماع على بن أبى طالب رضى الله كلام الموتى . كما أخرجه البيهقى.

٥- قصة عباد بن بشر و أسيد بن حضير رضى الله عنهما الذين أضاء ت لهم عصا أحدهما عند ما خرجا من عند رسول الله ﷺ فى ليلة مظلمة و هو حديث صحيح أخرجه البخارى.

٦-قصة خبيب رضى الله عنه فى قطف العنب الذى وجد فى يده يأكله فى غير أوانه. و هو حديث صحيح.

٧-قصة سعد و سعيد رضى الله عنهما ، و هى أنّ كلاً منهما دعا على من كذب عليه ، فاستجيب له . أخرجه البخارى و مسلم .

٨-قصة عبور العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه البحر على فرسه ونبع الماء بدعائه أخرجه ابن سعد بن الطبقات .

٩-قصة خالد بن الوليد رضى الله عنه في شربه السم . أخرجه البيهقى و أبو نعيم ، الطبرانى وابن سعد بإسناد صحيح.

١٠-إضاءة أصابع حمزة الأسلمي رضى الله عنه فى ليلة مظلمة . أخرجه البخارى فى التاريخ .

١١- قصة أم أيمن و كيف عطشت فى طريق هجرتها فنزل عليها دلو من السماء فشربت . رواه أبو نعيم فى الحلية.

١٢-سماع بعض الصحابة سورة الملك من قبر بعد أن ضرب خباء فوقه . رواه الترمذى

١٣-تسبيح القصعة التى أكل منها سلمان الفارسى وابو الدرداء رضى الله عنهما و سماعهما التسبيح . رواه أبو نعيم.

١٤- قصة سفينة رضى الله عنه مولى رسول الله ﷺ مع الأسد . أخرجه الحاكم فى المستدرك.

وهذا غيض من فيض ، وقليل من كثير مما ورد من كرامات صحابة رسول الله ﷺ ، ثم توالى ورود الكرامات الكثيرة على يد الأولياء فى عهد التابعين و تابعى التابعين إلى يومنا هذا مما يصعب عده و يضيق حصره. كذا فى "حقائق التصوف".قال أبو تراب النخشبى رضى الله : إذا ألف القلب الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة فى أولياء الله تعالى .اعلم أن صفوة أولياء الله هم الصوفية رحمهم الله .

تعريف التصوف :

قال أبو الفتح البستى رحمه الله تعالى :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا

و ظنه البعض مشتقًا من الصوف

و لست أمنح هذا الاسم غير فتىً

صفا فصوفى حتى سُمى الصوفى

قال القاضى شيخ الإسلام زكريا الأنصارى رحمه الله تعالى (التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس ، و تصفية الأخلاق و تعمير االظاهر و الباطن لنيل السعادة الأبدية) و لقد كان علماء الشريعة الإسلامية من الفقهاء والمحدثين يسيرون على أثر

الرسول الأعظم ﷺ فيجمعون بين الشريعة والطريقة والحقيقة :

(أ) ......ثبوت التصوف من الكتاب والسنة:

قال في "حقائق عن التصوف"(ص-٢٦): إن التكاليف الشرعية التي أمر بها الإنسان في خاصة نفسه ترجع إلى قسمين : أحكام تتعلق بالأعمال الظاهرة ، و أحكام تتعلق بالأعمال الباطنة ، أو بعبارة أخرى : أحكام تتعلق ببدن الإنسان و جسمه ، و أعمال تتعلق بقلبه.

فالأعمال الجسمية نوعان: أوامر و نواه ؛ أما الأوامر : فكالإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله ... و كالإخلاص و الرضا والصدق والخشوع والتوكل ... و أما النواهي : فكالكفر و النفاق والكبر والعجب والرياء والغرور والحقد و الحسد . و هذا القسم الثاني المتعلق بالقلب أهم من القسم الأول عند الشارع - و إن كان الكل مُهمّاً - لأن الباطن أساس الظاهر و مصدره ، و أعماله مبدأ أعمال الظاهر ، ففي فساده إخلال بقيمة الأعمال الظاهرة ، و في ذلك قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالح و لا يشرك بعبادة ربه أحداً)

و لهذا كان رسول الله ﷺ يوجه اهتمام الصحابة لإصلاح قلوبهم ، و يبين لهم أن صلاح الإنسان متوقف على إصلاح قلبه و شقائه من الأمراض الخفية و العلل الكامنة و هو الذي يقول :(ألا و إن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا و هي القلب).

كما كان عليه الصلاة و السلام يعلمهم أن محل نظر الله إلى عباده إنما هو القلب :(إن الله لا ينظر إلى أجسادكم و لا إلى صوركم و لكن ينظر إلى قلوبكم)

فما دام صلاح الإنسان مربوطاً بصلاح قلبه الذى هو مصدر أعماله الظاهرة تعيّن عليه العمل على إصلاحه بتخليته من الصفات المذمومة التى نهانا الله عنها ، و تحليته بالصفات الحسنة التى أمرنا الله بها ، و عندئذ يكون القلب سليماً صحيحاً ، و يكون صاحبه من الفائزين الناجين (يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)

قال الإمام جلال الدين السيوطى ؒ : "و أما علم القلب و معرفة أمراضه من الحسد والعجب والرياء و نحوها ، فقال الغزالى : إنها فرض عين" .

فتنقية القلب و تهذيب النفس من أهم الفرائض العينية و أوجب الأوامر الإلهية ، بدليل ما ورد فى الكتاب والسنة و أقوال العلماء.

آ ـ فمن الكتاب

١ ـ قوله تعالى : (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها و ما بطن)

٢ ـ و قوله تعالى :(و لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن)

والفواحش الباطنة كما قال المفسرون هى : الحقد والرياء والحسد والنفاق ...

ب ـ و من السنة :

ا ـ كل الأحاديث التى وردت فى النهى عن الحقد والكبر والرياء والحسد ... و أيضاً الأحاديث الآمرة بالتحلى بالأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة فلتراجع فى مواضعها.

٢ ـ والحديث "الإيمان بضعٌ و سبعون شعبة: فأعلاها قول لا إله إلا الله ، و أدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان" .

فكمال الإيمان بكمال هذه الشعب والتحلى بها ، و زيادته بزيادة هذه الصفات ،

و نقصه بنقصها ، و إنّ الأمراض الباطنة كافية لإحباط أعمال الإنسان و لو كانت كثيرة.

جـ ـ و أما أقوال العلماء :

لقد عد العلماء الأمراض القلبية من الكبائر التى تحتاج إلى توبة مستقلة ، قال صاحب جوهرة التوحيد:

و أمُر بعرفٍ واجتنب نميمة   و غيبةً و خَصلةً ذميمة
كالعجبِ والكبرِ و داءِ الحسد   و كالمراءِ والجدل فاعتمد

يقول شارحها عند قوله ـ و خصلة ذميمة ـ : أى واجتنب كل خصلة ذميمة شرعاً ،و إنما خص المصنف ما ذكره يعد اهتماماً بعيوب النفس ، قال بقائها مع إصلاح الظاهر كلبس ثياب حسنة على جسم ملطّخ بالقاذورات و يكون أيضا كالعجب و هو رؤية العبادة و استعظامها كما يعجب العابد بعبادته و العالم بعلمه ، فهذا حرام ، و كذلك الرياء فهو حرام . و مثل العجب الظلم و البغى والكبر و داء الحسد والمراء والجدل...

و يقول الفقيه الكبير العلامة ابن عابدين فى حاشيته الشهيرة : "إن علم الإخلاص والعجب والحسد و الرياء فرض عين ، و مثلها غير ها من آفات النفوس ، كالكبر والشح والحقد والغش والغضب والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والبطر والخيلاء والخيانة والمداهنة و الاستكبار عن الحق والمكر والمخادعة و القسوة و طول الأمل و نحوها مما هو مبين فى ربع المهلكات من الإحياء . قال فيه : و لا ينفك عنها بشر ، فلزمه أن يتعلم منها ما يرى نفسه محتاجًا إليه.

وازلتها فرض عين ، و لا يمكن إلا بمعرفة حدودها و أسبابها و علاماتها و علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه ".

ويقول صاحب الهدية العلايئة :"و قد نظاهرت نصوص الشرع و الإجماع على تحريم الحسد ، و احتقار المسلمين ،و إرادة مكروه بهم والكبر والعجب والرياء و النفاق و حملة الخبائث من أعمال القلوب ، بل السمع والبصر و الفؤاد ، و كل ذلك كان عنه مسؤولاً ، مما يدخل تحت الاختيار "

و يقول صاحب مراقى الفلاح : " لا تنفع الطهار ة الظاهرة إلا مع الطهارة الباطنة ، بالإخلاص ، والنزاهة عن الغلّ والغش و الحقد والحسد، و تطهير القلب عما سوى الله من الكونين ، فيعبده لذاته لا لعلة ، مفتقراً إليه و هو يتفضل بالمن بقضاء حوائجه المضطر بها عطفاً عليه ، فتكون عبداً فرداً للمالك الأحد الفرد ، لا يسترقك شيئ من الأشياء سواه ، و لا يستملكُ هواك عن خدمتك إياه. انتهى.

التصوف و الأئمة الأربعة:

١ - نقل الفقيه الحصكفى صاحب الدر المختار:أن أبا على الدقاق رحمه الله تعالى قال :(أنا أخذت هذه الطريقة من أبى القاسم النصرآباذى ، و قال ابوالقاسم : أنا أخذتها من الشبلى ، و هو من السرى السقطى ، و هو من معروف الكرخى ، و هو من داود الطائى ، و هو اخذ العلم و الطريقة من أبى حنيفة رضى الله عنه ، و كل منهم أثنى عليه و أقّر بفضله ...)

ثم قال صاحب الدر المختار معلقاً : (فياعجباً لك يا أخى ! ألم يكن لك أسوة حسنة فى هؤلاء السادات الكبار ؟ أكانو مُتّهمين فى هذا الإقرار والإفتخار ، و هم

أئمة هـذه الطريقة و ارباب الشريعة و الحقيقة ؟و من بعدهم فى هذا لأمر فلهم تبع ، و كل ما خالف ما اعتمدوه مردود مبتدع كذا فى در المختار على هامش رد المحتار .

٢. الإمـام مـالك رحـمـه الـلـه تعالى: يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى: (من تفقه و لم يتصوف فقد تفسق ، و من تصوف و لم يتفقه فقد تزندق ، و من جمع بينهما فقد تحقق).

٣.الإمـام الشـافـعـى رحـمـه الـلـه تـعـالى : قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : صحبت الـصـوفية فـلـم استفد منهم سوى حرفين ، و فى رواية سوى ثلاث كلمات : قولهم: (الـوقـت سيف إن لـم تـقـطـعـه قطعك و قولهم : نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

و قولهم: العدم عصمة . كذا فى تأييد الحقيقة العلية للإمام جلال الدين السيوطى (ص١٥) و قـال أيـضـاً : (حبب الىّ من دنياكم ثلاث : ترك التكلف ، و عشرة الخلق بالتلطف ، والاقتداء بطريق أهل التصوف) كذا فى كشف الخفاء للإمام العجلونى.

٤.الإمام أحمد رحمه الله تعالى : كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى قبل مصاحبته لـلـصـوفية يـقـول لولده عبد الله رحمه الله تعالى:(يا ولدى عليك بالحديث ، و إياك و محالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه فـلـمـا صـحـب أبا حمزة البغدادى الصوفى ، و عرف أحوال القوم اصبح يقول لولده: يا ولـدى عـليك بمجالسة هؤلاء القوم فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم و المراقبة والخشية و الزهد و علوالهمة) كذا فى تنوير القلوب (ص٤٠٥) للعلامة الشيخ امين الكردى. كذا فى "حقائق عن التصوف".

(ب) ......ثبوت بيعة التصوف من الشريعة:

قال فی "أحكام القرآن"(٥٤/٥) : والمسئلة الثانية فی أقسام البيعة: قال الشاه ولی الله الدهلوی قدس الله سره: استفاض عن رسول الله ﷺ أن الناس كانوا يبايعونه تارة علی الهجرة والجهاد ، و تارة علی إقامة أركان الإسلام ، و تارة علی الثبات والقرار فی معركة الكفار ، و تارة علی التمسك بالسنة و الاجتناب عن البدعة والحرص علی الطاعات، كما صح أنه ﷺ بايع نسوة من الأنصار علی أن لا ينحن، و روی ابن ماجة أنه بايع ناسا من فقراء المهاجرين علی أن لا يسألوا الناس شيئا ، فكان أحدهم يسقط سوطه فينزل عن فرسه فيأخذه لا يسأل أحداً ـ و مما لا شك فيه ولا شبهة أنه إذا ثبت عن رسول الله ﷺ فعل علی سبيل العبادة والإهتمام بشأنه فإنه لا ينزل عن كونه سنة فی الدين. بقی أنه ﷺ كان خليفة الله فی أرضه ، و عالما بما أنزله الله من القرآن والحكمة ، معلما للكتاب والسنة ، و مزكياً للأمة ، فما فعله علی جهة الخلافة كان سنة للخلفاء ، و ما فعله علی جهة كونه معلما للكتاب و الحكمة و مزكياً للأمة كان سنة للعلماء الراسخين فلنبحث عن البيعة من أی قسم هی ؟ فظن قوم أنها مقصورة علی قبول الخلافة و أن الذی تعتاده الصوفية ليس شيئ. و هذا ظن فاسد ، لما ذكرنا أن النبی ﷺ كان يبايع تارة علی إقامة أركان الإسلام، و تارة علی التمسك بالسنة ـ و هذا صحيح البخاری شاهد علی أنه ﷺ اشترط علی جرير عند مبايعته فقال : "و النصح لكل مسلم " و أنه بايع قوما من الأنصار فاشترط أن لا يخافوا فی الله لومة لائم و يقولوا بالحق حيث كانوا ، فكان أحدهم يجاهر الأمراء و الملوك بالرد و الإنكار ، و أنه ﷺ بايع نسوة من الأنصار و اشترط الاجتناب عن النوحة إلی غير ذلك ، و كل ذلك من

باب التزكية و الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فالحق أن البيعة على أقسام: منها بيعة الخلافة ، و منها بيعة الإسلام ، و منها بيعة التمسك بحبل التقوى ، و منها بيعة الهجرة والجهاد ، و منها بيعة التوثق فى الجهاد . و كانت بيعة الإسلام متروكة فى زمن الخلفاء، أما فى زمن الراشدين منهم فلأن دخول الناس فى الإسلام فى أيامهم كان غالبا بالقهر والسيف لا بالتأليف و إظهار البرهان ، لا طوعا و لا رغبة، و أما فى غيرهم فلأنهم كانوا فى الأكثر ظلمة فسقة لا يهتمون بإقامة السنن. و كذلك بيعة التمسك بحبل التقوى كانت متروكة ، أما فى زمن الخلفاء الراشدين فلكثرة الصحابة الذين استناروا بصحبة النبى ﷺ تأدبوا فى حضرته فكانوا لا يحتاجون إلى بيعة الخلفاء، و أما فى زمن غيرهم فخوفاً عن افتراق الكلمة و أن يظن بهم مبايعة الخلافة فتهيج الفتن وكانت الصوفية يومئذ يقيمون الخرقة مقام البيعة ، ثم لما اندرس هذا الرسم فى الخلف انتهز الصوفية الفرصة و تمسكوا بسنة البيعة . والله أعلم. ... إلى أن قال :

والمسئلة الرابعة فى حكمة البيعة : اعلم أن الله تعالى أجرى سنة أن يضبط الأمور الخفية المضمرة فى النفوس بأفعال و أقوال ظاهرة ينصبها مقامها ، كما أن التصديق بالله و رسوله واليوم الآخر خفى فأقيم الإقرار مقامه ، و كما أن رضى المتعاقدين ببدل الثمن و المبيع أمر خفى مضمر فأقيم الإيجاب والقبول مقامه ، فكذلك التوبة والعزيمة على ترك المعاصى والتمسك بحبل التقوى خفى فأقيمت البيعة مقامها.

المسئلة الخامسة فى شرائط الشيخ المرشد: اعلم أن شرط من يأخذ البيعة أمور ، أحدها : علم الكتاب والسنة ، و لا أريد المرتبة القصوى بل يكفى من علم الكتاب أن يكون قد ضبط تفسير المدارك أو الجلالين أو غيرهما ، و حققه على عالم ، و عرف من

معانيه و تفسير الغريب والأسباب و الإعراب والنقص و ما يتصل بذلك ، و من السنة أن يكون قد ضبط وحقق مثل كتاب المصابيح ، و عرف معانيه و شرح غريبه و إعراب مشكله و تأويل معضله على رأى الفقهاء. ولا يكلف بحفظ القرآن و لا الفحص عن حال الأسانيد ، ألا ترى أن التابعين و أتباعهم كانوا يأخذون بالمنقطع والمرسل ؟ إنما المقصود حصول الظن ببلوغ الخبر إلى رسول الله ، و لا بعلم الأصول والكلام و جزئيات الفقه والفتاوى ، لأن الغرض من البيعة أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر و إرشاده إلى تحصيل السكينة الباطنة و إزالة الرذائل و اكتساب الحمائد ثم امتثال المسترشد به فى كل ذلك ، فمن لم يكن عالما كيف يتصور منه هذا ؟ و قد اتفق كلمة المشائخ على أن لا يتكلم على الناس إلا من كتب الحديث و قرأ القرآن ، اللهم إلا أن يكون رجل صحب العلماء الأتقياء دهرا طويلا، و تأدب عليهم ، و كان متفحصا عن الحلال و الحرام ، و قافا عند كتاب اللّٰهو سنة رسوله ، فعسى أن يكفيه ذلك . و اللّٰه أعلم.

والشرط الثانى : العدالة والتقوى ، فيجب أن يكون مجتنبا عن الكبائر غير مصر على الصغائر .

والشرط الثالث : أن يكون زاهداً فى الدنيا ، راغبا فى الآخرة ، مواظبا على الطاعات المؤكدة والأذكار الماثورة فى صحاح الأحاديث ، مواظبا على تعلق القلب باللّٰه تعالى ، و كان يادداشت له ملكة له راسخة.

والشرط الرابع: أن يكون امرا بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، مستبداً برأيه لا امعة ليس له رأى و لا أمر ، ذا مروة و عقل تام ، ليعتمد عليه فى كل ما يأمر به و ينهى عنه ، قال اللّٰه تعالى : "ممن ترضون من الشهداء" فما ظنك لصاحب البيعة ؟

والشرط الخامس أن يكون صحب المشائخ و تأدب بهم دهراً طويلاً ، و أخذ منهم النور الباطن والسكينة . و هذا لأن سنة الله جرت بأن الرجل لا يفلح إلا إذا رأى المفلحين ، كما أن الرجل لا يتعلم إلا بصحبة العلماء . و على هذا القياس غير ذلك من الصناعات .

و لا يشترط في ذلك ظهور الكرامات أو الخوارق ، و لا ترك الاكتساب، لأن الأول ثمرة المجاهدات لاشتراط الكمال ، والثاني مخالف للشرع . و لا تغتر بما فعله المغلوبون في أحوالهم ، و إنما المأثور : القناعة بالقليل ، والورع من الشبهات .

والمسئلة السادسة في شرائط المريد: اعلم أنه يجب أن يكون المبايع بالغاً عاقلا راغباً ، و قد جاء في الحديث أنه عرض على النبي ﷺ صبي ليبايعه فمسح على رأسه و دعا له بالبركة و لم يبايع . و من المشائخ من يجوز بيعة الصغار تبركاً و تفاولاً . و الله أعلم.

والمسئلة السابعة في بيان البيعة المتوارثة بين الصوفية : اعلم أن البيعة المتوارثة بين الصوفية على وجوه ، أحدها : بيعة التوبة من المعاصي . والثاني :بيعة التبرك في سلسلة الصالحين بمنزلة سلسلة إسناد الحديث ، فان فيها بركة. والثالث : بيعة تأكده العزيمة على التجرد الأمر الله عزوجل ، و ترك ما نهى عنه ظاهراً و باطناً ، و تعليق القلب بالله تعالى ، و هو الأصل . و أما الأولان فالوفاء بالبيعة فيهما : ترك الكبائر ، و عدم الإصرار على الصغائر ، والتمسك بالطاعات المذكورة من الواجبات والسنن . و النكث : بالإخلال في ما ذكرنا . و أما الثالث فالوفاء : البقاء على هذه الهجرة والمجاهدة حتى يكون متنوراً بنور السكينة ، و يصير ذلك ديدنا له و خلقا و جبلة ، فعند ذلك قد يرخص فيما أباحه الشرع من اللذات ، و الاشتغال ببعض ما يحتاج إلى طول التعهد كالتدريس

و القضاء و غيرها . والنكث : بالإخلال فی ذلك.

والمسئلة الثامنة فی تكرار البيعة : اعلم أن تكرار البيعة من رسول الله ﷺ مأثور، و كذلك عن الصوفية ، أما من الشخصين فإن كان بظهور خلل فی من بايعه فلا بأس ، و كذلك بعد موته أو غيبته المنقطعة ، و أما بلا عذر فإنه يشبه التلاعب ، و يذهب بالبركة ، و يصرف قلوب المشائخ عن تعهده. والله أعلم.

والمسئلة التاسعة فی لفظ البيعة: اعلم أن اللفظ المأثور عن السلف عند البيعة أن يخطب الشيخ الخطبة المسنونة ، و هی : الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره، نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له و من يضلله فلا هادی له . و أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً عبده و رسوله صلی الله عليه و علی آله و صحبه و بارك و سلم.

ثم يلقنه الإيمان الإجمالی ، فيقول : قل : آمنت بالله ، و بما جاء من عند الله علی مراد الله و آمنت برسول الله ﷺ ، و بما جاء من عند رسول الله ، علی مراد رسول الله ﷺ ، و تبرأت من جميع العصيان ، و أسلمت الآن و أقول : أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً عبده و رسوله.

ثم يقول : قل : بايعت رسول الله بواسطة خلفائه علی خمس : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، و إقام الصلوة ، و إيتاء الزكوة ، و صوم رمضان ، و حج البيت إن استطعت إليه سبيلا.

ثم يقول : قل : بايعت رسول الله ﷺ بواسطة خلفائه علی أن لا أشرك بالله شيئاً ، و لا أسرق ، و لا أزنی ، و لا أقتل ، و لا آتی ببهتان أفتريه بين يدی و رجلی ، و لا

أعصيه فى معروف .

ثـم يتـلوا الشيخ هاتين الآيتين : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة و جـاهـدوا فـى سبيله ، لعلكم تفلحون) (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيـديهـم ، فـمـن نـكـث فإنما ينكث على نفسه ، و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما) . ثم يدعوا النفسه و للتلميذ و للحاضرين ، فيقول : بارك الله لنا و لكم ، و نفعنا و إياكم.

و لا بـأس أن يـلـقـنـه فيـقول: اخترت الطريقة النقشبندية ، أو القادرية أو الحشتية الـمـنسـوبة : إلى الشيخ الأعظم و القطب الأفخم خواجه نقشبند، أو الشيخ محى الدين عبـد القادر الحيلانى ، أو الشيخ محى الدين السنجرى . اللهم ارزقنا فتوحها ، واحشرنا فى زمرة أولياء ها ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

سـمـعت سيدى الوالد يقول : رأيت رسول الله ﷺ فى مبشرة ، فبايعته فأخذ عليه الـصلاة والسلام يدى بين يديه، فأنا أصافح عند البيعة على هذه الصفة . أما بيعة النساء فبـأن يـأخـذ الشيخ طرف ثوب والتى تبايع طرفه الآخر ، و الله أعلم . انتهى كلام الشاه ولى الله الدهلوى قدس الله سره فى كتابه المعروف بالقول الحميل.

والـمسـئـلة العاشرة فى كيفية بيعة النساء: أخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل : إن هذه الآية نـزلـت يـوم الـفتح ، فبايع رسول الله ﷺ الرجال على الصفاء و عمر رضى الله عنه بـايـع الـنساء تحتها عن رسول الله ﷺ . و حاء أنه عليه السلام بايع النساء أيضا بنفسه الـكـريمة . أخرج الإمام أحمد ، والنسائى ، و ابن ماحة والترمذى و صححه ، و غيرهم عـن أميمة بنت رقية قالت : أتيت النبى ﷺ لنبايعه ، فأخذ علينا ما فى القرآن أن لا نشرك

باللّٰه شيئا حتى بلغ "ولا يعصينك فى معروف" فقال : فيما استطعن . قلنا : اللّٰه و رسوله أرحم بنا من أنفسنا يا رسول اللّٰه ﷺ ، ألا تصافحنا؟ قال : "إنى لا أصافح النساء ، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة".

و أخرج سعيد بن منصور و ابن سعد عن الشعبى قال : كان رسول اللّٰه ﷺ إذا بايع النساء وضع على يديه ثوبا . و فى بعض الروايات أنه ﷺ يبايعهن و بين يديه و أيديهن ثوب قطوى . و من يثبت ذلك يقول بالمصافحة وقت المبايعة، والأشهر المعول عليه أن لا مصافحة . و أخرج ابن سعد و ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : "كان رسول اللّٰه ﷺ إذا بايع النساء دعا بقدح من ماء ، فغمس يديه فيه ، ثم يغمس أيديهن فيه ، و كان هذا بدل المصافحة" . واللّٰه تعالى أعلم بصحته . كذا فى روح المعانى. انتهى.

(جـ) ......ثبوت حكم الذكر بالاسم المفرد[اللّٰه]:

أما الذكر بالاسم المفرد(اللّٰه) فجائز بدليل قول اللّٰه تعالى : (واذكر اسم ربك و تبتل إليه تبتيلاً) و قوله تعالى : (واذكر اسم ربك بكرة و أصيلاً)

و قد ورد فى الحديث الشريف الذى رواه أنس بن مالك عن النبى ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى لا يقالَ فى الأرض : اللّٰه ، اللّٰه) . فهذا اسم مفرد و رد ذكره مكرراً فى هذا الحديث.

و فى رواية أخرى عن أنس رضی اللہ عنہ قال : قال رسول اللّٰه ﷺ (لا تقوم الساعة على أحد يقول : اللّٰه ، اللّٰه) .قال العلامة على القارى فى شرح هذا الحديث : " أى لا يذكر اللّٰه فلا يبقى حكمة فى بقاء الناس، و من هذا يُعرَفُ أن بقاء العالم ببركة العلماء العاملين

والـعُبّـاد الصالحين و عموم المؤمنين ، و هو المراد بما قال الطيبي: معنى حتى لا يقالَ [اللّٰه ، اللّٰه] حتى لا يُذكر اسم اللّٰه و لا يُعبَد ".

ثـم إن الآيـات الـكريمة و الأحاديث الشريفة التى رغَّبَتْ فى الذكر جاء ت عامة و مطلقه لم تخصص ذكراً معيناً ، و لم يرد نص شرعى يُحَرِّمُ الذكر بالاسم المفرد(اللّٰه).

و مـن هـنـا يـظهـر خـطـأ بعض المتسرعين بالاعتراض على الذكر بالاسم المفرد بـحـجة أنـه لـم يـرِدُ بـه نـص فى الكتاب و السنة ، مع أن النصوص المذكور أنفاً ظاهرة جليلة كما بينا.

و اعترض بـعـضهم أيضاً على الذكر بالاسم المفرد بحجة أنه لا يؤلف جملة تامة مفيدة كما فى قولنا : اللّٰه جليل.

والـجـواب على ذلك أن الذاكر بهذا الاسم المفرد لا يكلم مخلوقاً فلا يُشترط أن يـكون كلامه تاماً مفيداً؛ لأنه يذكر اللّٰه سبحانه الذى هو عالم بنفسه مطلع على قلبه. و لقد نص جمهور العلماء على جواز الذكر بالاسم المفرد [اللّٰه] ، و إليك بعض أقوالهم:

يـقـول العلامة ابن عابدين فى حاشيته الشهيرة عند شرح البسملة و بحثه عن لفظة [اللّٰه] : " روى هشـام عـن مـحـمـد أبى حنيفة أنه [أى اللّٰه] اسم اللّٰه الأعظم ، و به قال الـطـحـاوى: و كثيـر مـن العلماء و أكثر العارفين حتى إنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به ، كما فى شرح التحرير لابن أمير حاج" .

و قـال الـعلامة الخادمى:"واعلم أن اسم الجلالة [اللّٰه] هو الاسم الأعظم عند أبى حنيفة و الكسائى والشعبى و إسماعيل بن إسحق و أبى حفص و سائر جمهور العلماء ، و هـو اعتقاد جماهير مشايخ الصوفية و محققى العارفين ، فإنه لا ذكر عندهم لصاحب

مقام فوق مقام الذكر باسم [الله] مجرداً. قال الله لنبيه عليه الصلاة و السلام : (قل الله ثم ذرهم) .

و قال العلامة المحدث المناوي شارحاً حديث رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى يقول : أنا مع عبدي ما ذكرني و تحركت ى بي شفتاه) : "فهو مع من يذكره بقلبه، و مع من يذكره بلسانه، لكن معيته مع الذكر القلبي أتم، و خص اللسان لإفهامه دخول الأعلى بالأولى، لكن محبته و ذكره لما استولى على قلبه و روحه صار معه و جليسه . و لزوم الذكر عند أهل الطريق من الأركان الموصلة إلى الله تعالى، و هو ثلاثة أقسام: ذكر العوام باللسان، و ذكر الخواص بالقلب، و ذكر خواص الخواص بفنائهم عن ذكرهم عند مشاهدتهم مذكورهم، حتى يكون الحق مشهوداً لهم في كل حال.

قالوا : و ليس للمسافر إلى الله في سلوكه أنفع من الذكر المفرد القاطع من الأفئدة الأغيارَ، و هو [الله] . و قد ورد في حقيقة الذكر و اثاره و تجلياته ما لا يفهمه إلا أهل الذوق".

قال الإمام الجنيد رح: "ذاكر هذا الاسم [الله] ذاهب عن نفسه، متصل بربه قائم بأداء حقه، ناظرٌ إليه بقلبه قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته". انتهى.(١)

و في مكتوبات التصوف لشيخ مشائخنا العلامة محمد زكريا رح (ص: ١٢٥) نقل عن الإمام الغزالي رح أنه قال : السالك له ثلاثة أحوال.....و إذا كنت في عالم الجذبة فواظب على قول الله الله إلخ، ثم قال أن الإمام الغزالي محدث و فقيه أيضاً. و قد

١ـ انظر "حقائق عن التصوف" لعبدالقادر عيسىٰ رح (ص: ١٨٠) و مابعدها بتصرف.

وردت الأحاديث الكثيرة التي فيها إن لله تسعة و تسعين اسماً مائة إلا واحدة من احصاها دخل الجنة و في الرواية من حفظها دخل الجنة ، فتكرار هذه الاسماء و قرائتها ثابتٌ و لازمٌ.... إلى أن نقل عن جامع الأصول (ص:١٣) أول صيغ الذكر لفظ الله عند النقشبنديه و قول لا اله إلا الله عند الشاذلية و هما مع الصلوة و الاستغفار عند سائر الطرق و معنى لفظة الله أى الله مقصودى أو مطلوبى أو محبوبى إلخ و الأصح عند النقشبنديه لا تركيب له بل يقول الله و يلاحظ بحت الذات بلا تركيب له و ردّ على الذين ينكرون ذكر اسم [الله] مفرداً). (و هى بالأردية و نحن عربناها).

(د) ......حكم السماع أنه لا خير فيه في هذا الزمان و أما تكلف الوجد فمن بدع أهل البدع:

و قد بحث فيه العلامة ظفر أحمد العثمانى بحثا واسعا فى أحكام القران (ج٣/) فافاد و اجاد قال فى (ص: ٢٥٠) : قد تلخص من المذاهب الأربعة و أقوال مشايخها و مشايخ الصوفية كان الله لهم : أن من الغناء ما هو محرم بإجماعهم و إجماع طوائف المسلمين كلهم من أولهم إلى آخرهم و هو أقسام :

الغناء المحرم إجماعاً:

١ ـ كل غناء كان لمحض اللهو واللعب من دون غرض صحيح دينى أو دنيوى ، سواء كان لنفسه أو لغيره مع المزامير و بدونها.

٢ ـ استعمال آلات المعازف والمزامير المطربة بنفسها الموضوعة للهو و الإطراب سواء كان معها غناء أو لم يكن.

٣ ـ كل غناء أفضى إلى ترك واجب الإلهاء و الانهماك ، أو إلى ارتكاب محرم

لاشتماله على ما لا يجوز من الكلام أو لاستماعه عمن لا يجوز السماع منه، أو لتضمنه شيئاً آخر من المنكرات.

٤ـ اتخاذ الغناء و ضرب الآلات مكسبة و صنعة، فهذه الأربعة لم يجوزها أحد من المسلمين و ليس بجوازها شبهة فى الكتاب و لا فى السنة و لا فى عمل الصحابة والتابعين، و لا فى عمل المشايخ المقتدى بهم، و من نسب شيئاً منها إلى أحد المشايخ الصوفية فقد افترى و كذب على تلك الطائفة المقدسة . و هذا النوع هو محمل الآيات و الروايات المحرمة للغناء اتفاقاً.

الغناء المباح إجماعاً:

و من الغناء ما هو مباح بالإجماع و هو ترنم الرجل بترقيق الصوت و تحسينه على السذاجة الطبيعة من دون أن يتكلف برعاية الموسيقى و يتشبه بالمغنيين بشرط أن لا يكون ذلك أيضاً لهو المجرد، بل لغرض صحيح كدفع الوحشة عن نفسه فى الخلوة ،أو لقطع مفاوزالسفر أو لحمل ثقيل، و حفر خندق و أمثاله، أو لتنويم الصبى، أو لحداء الإبل، أو لتعلم القوافى، أو دفع الكلال عن نفسه؛ و بشرط أن لا يكون فى الكلام ما لا يجوز، و بشرط أن لا يتخذه ديدناً وعادة فى الأوقات، بحيث يلهيه عما يهمه . فهذا النوع من الغناء مباح بالإجماع، و قد ذكرناالجواب عن خلاف شيخ الإسلام فيه. و من الآلات المباحة إجماعاً، هو الدف فى النكاح إذا لم يكن فيه جلاجل، و إن أمعنت النظر وجدته خارجاً عن الغناء المعروف المعتاد اليوم، و عامة روايات الحديث و الآثار المنقولة فى إباحة الغناء لا تجاوز هذا النوع، و لم يرو من أحد من المتقدمين الاشتغال إلا بمثله.

الغناء المختلف فيه:

و من الغناء ما هو مختلف فيه بين الأئمة ـ و هو ما سوى هذين القسمين، أعني المحرم إجماعاً والمباح إجماعاً ـ و هو أيضاً أقسام، الاول : الدف فى غير النكاح و الدف الذى فيه جلاجل، والقضيب فى النكاح و غيره، و كذلك غيرهما من الآلات التى لم تتمحض للهو و لم توضع له و لا تطرب بنفسها من دون الغناء و يدخل فيه التصفيق باليدين و الكحكحة والضرب على الجرة، و أمثالها ؛ فإنهم اختلفوا فى حرمته و إباحته، أباحها بعض الشوافع و بعض مشايخ الصوفية بشرائط و كرهها الجمهور.

الثانى : من المختلف فيه التغنى للناس المشروط بالشرائط التى ذكرناها عن الخيرية معزياً للتتارخانية و نصاب الاحتساب، و هى أن يكون السامع ممن تخلى عن الهوى و تحلى بالتقوى، و احتاج إلى ذلك احتياج المريض إلى الدواء، و أن لا يكون منهم أمرد، و أن لا يكون جميعهم إلا من جنس واحد ليس منهم فاسق و لا أهل الدنيا و لا امرأة، و أن يكون نية القوال الإخلاص لا أخذ الأجر والطعام و أن لا يجتمعوا لأجل طعام أو فتوح، وأن لا يقوموا إلا مغلوبين صادقين فى وجدهم.

فمثل هذا الغناء المشروط بالشرائط إذا كان غناء مجرداً عن الآلات المحرمة إجماعاً فهو مختلف فيه. أباحه الشافعية و بعض مشايخ الحنفية كصاحب النصاب والتتارخانية و قد مر نقله، و إليه مال الآلوسى مفتى بغداد فى الروح، حيث قال : و إن كان للناس لا للهو بل لتنشيطهم على ذكر الله تعالى كما يفعل فى بعض حلق التهليل فى بلادنا فمحتمل الإباحة إن لم يتضمن مفسدة، و لعله إلى الكراهة أقرب. (روح ٦: ٤٦٨).

إلى أن قال ...فى (ص: ٢٥٩) : والحاصل : أن استجماع شرائط الجواز فى هذا

العصر أعز من الكبريت الأحمر والياقوت الأخضر، بل مما لا يمكن عادة. و إن سلمنا اجتماع الشرائط و خلوه عن المنكرات فى شاذ من المحالس فهو أيضاً ذريعة و سبب لابتلاء الناس فى المعصية، و التسبب إلى المعصية معصية . و إن سلمنا عدم تسببه أيضاً فأى حاجة فى هذا الاهتمام و تجشم المشاق ؟ فإن غاية ما يستفاد من خلاف الأئمة أو فعل بعض المشايخ هو جواز الفعل لا وجوبه، أو استحبابه و لا الأمر به فى حال من الأحوال. أو لا ترى طبقات الصوفية كلهم لم يجعل أحدهم الغناء والسماع فى شيئ من معمولات الطريق، و لم يلقن المريدين تلقين ماسواه من الأوراد والأشغال؟ و ما أحسن ما قال الإمام السبكى قدس سره فى هذا المعنى:

اعلم بأن الرقص والدف الذى ... سألت عنه و قلت بالأصوات

فيه خلاف للأئمة قبلنا ... شرح الهداية سادة السادات

لكنه لم يأت قط شريعة ... طلبته أو جعلته فى القربات

والقائلون بحله قالوا به ... كسواه من حالاتنا العادات

......☆......

وقد مر تمامه من كف الرعاع.

و قال الشيخ أحمد المعروف بملاجيون فى التفسير الأحمدى بعد بسط القول و ذكر الاختلاف فى الغناء: و أما ما رسمه أهل زماننا من أنهم يهيئون المحالس و يرتكبون فيها بالشرب والفواحش، و يجمعون الفساق و الأمارد، و يطلبون المغنيين و الطوائف، و يسمعون منهم الغناء: فلا شك أن ذلك ذنب كبير و استحلاله كفر قطعاً و يقيناً، و أنه عين لهو الحديث فى شأنهم، بخلاف أولياء الحق فإنه لم يبق حديث لهو

فی شأنهم ، و لعل فی ذکره تعالی لهو الحدیث دون التغنی ، و کذا فی ذکر(من) التبعیضیة و (لام) الغایة ، إشارة إلی هذه التفرقة ، و هذا لا ینبغی أن یفتی بجوازه للأهل فی زماننا ، لأنه قد بلغ من فساد الزمان حیث یدعی کل أحد أن أهله. و قد صح أن جنیداً رضی الله تعالی عنه تاب عن السماع فی زمانه مع تلك المعرفة والحال ، فالأولی هو الترك دفعاً للتهمة و الفساد.

و حاصل هذا کله : أن الواجب علی المؤمن التقی الاجتناب عن الغناء المحرم و المختلف فیه کل الاجتناب ، فإنه إن سلم خلوه عن المنکرات والمعاصی فی بعض الأحیان فهو مظنة الوقوع فیها له أو لغیره فی المستقبل ، و مع هذا لیس فیه کثیر منفعة بل المحقق عند المحققین أنه یضر بالمبتدی ، و لا یحتاج إلیه المنهی.

قال فی روح المعانی (٤٦٧/٦) : و نقل بعضهم عن الجنید قدس سره أنه سئل عن السماع ،فقال : هوضلال للمبتدی ، و المنتهی لا یحتاج إلیه. و قال التاج السبکی فی توشیحه : ثم الأولی عندی لمن لیس من أهل الذوق الإعراض عنه مطلقاً ، لأن غایة ما فیه حصول لذة نفسانیة ، و هی لیست من المطالب الشرعیة؛ و أما أهل الذوق فحالهم مسلم إلیهم ، و هم علی حسب ما یجدونهم من أنفسهم ـ انتهی (روح المعانی ٦/ ٤٧٠).

فوجب للناس عامة أن یکفوا أنفسهم من الغناء والسماع ، و ألسنتهم من النکیر علی من یحکی عنه من المشایخ المقتدی بهم ،حملا لفعلهم علی السماع الجائز ، إحساناً للظن بأهل التقی ، و هم بذلك أحری و أولی ، فإن سعیهم فی الله بالسعی الحثیث ، قد نوه شأنهم عن الاشتغال بلهو الحدیث . و هذا فلیکن خاتمة الغناء فی

باب اللهو والغناء . و الله سبحانه و تعالى المسئول أن ينفع به المسلمين و يتقبله بقبول حسن فهو أكرم الأكرمين). انتهى.

و في رد المحتار (٥٧٧/٩): و في الملتقى : و عن النبي ﷺ أنه كره رفع الصوت عند قرائة القرآن والجنازة والزحف والتذكير ، فما ظنك به عند الغناء الذى يسمونه وجداً ومحبة فإنه مكروه لا أصل له في الدين . قال الشارح : زاد في الجوهرة : و ما يفعله متصوفة زماننا حرام لا يجوز القصد والجلوس إليه ، و من قبلهم لم يفعل كذلك ، و ما نقل أنه عليه الصلاة والسلام سمع الشعر لم يدل على إباحة الغناء . و يجوز حمله على الشعر المباح المشتمل على الحكمة والوعظ ، و حديث تواجده عليه الصلاة و السلام لم يصح ، و كان النصراباذى يسمع فعوتب فقال : إنه خير من الغيبة ، فقيل له هيهات بل زلة السماع شر من كذا و كذا سنة يغتاب الناس . و قال السرى : شرط الواجد في غيبته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع اهـ.

قلت : و في التتارخانية عن العيون إن كان السماع سماع القرآن والموعظة يجوز و إن كان سماع غناء فهو حرام بإجماع العلماء ، و من أباحه من الصوفية ، فلمن تخلى عن اللهو، و تحلى بالتقوى ، و احتاج إل ذلك احتياج المريض إلى الدواء . و له شرائط ستة : أن لا يكون فيهم أمرد ، و أن تكون جماعتهم من جنسهم ، و أن تكون نية القول الإخلاص لا أخذ الأجر والطعام ، و أن لا يجتمعوا لأجل طعام أو فتوح ، و أن لا يقوموا إلا مغلوبين ، و أن لا يظهروا وجداً إلا صادقين .

والحاصل : أنه لا رخصة في السماع في زماننا ؛ لأن الجنيد رحمه الله تعالى تاب عن السماع في زمانه اهـ . وانظر ما في الفتاوى الخيرية). انتهى.

(هـ) ......توضيح مسئلة وحدة الوجود ووحدة الشهود عند الصوفيّة:

قال العلامة محمد تقى العثمانى حفظه الله فى "تكملة فتح الملهم" (٢٥٢/٤):

و قد استدل بعض الناس بشعر لبيدٌ على صحة نظريّة "وحدة الوجود"، و هذه النّظريّة مع ما يقابلها من نظرية "وحدة الشهود" ليست من النظريات التى يجب فى الدين معرفتها أو الاعتقاد بحقيتها أو بطلانها، بل الأحسن ترك التشاغل بها والخوض فيها؛ لأنها مسألة خطيرة ربّما أدّى الخوض فيها إلى الزندقة والإلحاد،والحقّ أنها مسألة فلسفيّة و كلاميّة تعجز عن إدراك كنهها العقول البشرية، و لم نؤمر فى الدين بالتدقيق فى هذه المسائل، والسبيل الأسلم فى مثلها ما سلكه الأسلاف الصالحون من تفويض حقيقتها إلى الله سبحانه، و ترك التصدى لمثل هذه التدقيقات الفسلفيّة التى لم تصرح فيها النصوص الشرعية بشيئ.

و من أجل هذا ما كنّا نريد الخوض فى هذه المسألة و لا تطويل الكتاب بتحقيق حقيقتها، و لكن لما كثرت المناقشات فى هذا الباب فيما بين الفلاسفة و المتصوفة المسلمين، و قد ظهرت فيها أنواع من الغلوّ من نواح شتى، فالمناسب أن نذكر ههنا نبذة وجيزة من المذاهب المختلفة فى هذا الباب تحذيراً للناس عن الغلوّ، سواء كان ذلك الغلوّ فى نفس المسألة، أو فى الحكم على أهل هذه المذاهب بالتصويب أو التخطئة، والله سبحانه هو الموفق.

فالأمر الذى اتفق عليه أهل الإسلام بل أهل الأديان السماوية كلّهم: هو أن الوجود المستقل الأزلىّ القديم ليس إلا لله سبحانه و تعالى، و أنه تبارك و تعالى هو الذى خلق الكون و أبدعه، و أن المخلوقات كلّها كانت معدومة، و جاء ت فى حيّز

الوجود بخلق الله تعالى و إبداعه ، و لكنّهم اختلفوا في كيفية اتصاف هذه المخلوقات بالوجود على مذاهب أربعة.

فمذهب جمهور علماء الشريعة إلى أن وجود المخلوقات الممكنات وجود حقيقي مكتسب بمعنى أنّه متوقف على إرادة الله تعالى و خلقه و إبداعه ، و قال بعض الفلاسفة المسلمين ، إن وجودها إضافيّ ، و قال أصحاب نظرية وحدة الوجود (و من مقدمتهم الشيخ ابن عربيؒ): إن وجودها خياليّ محض ، و قال أصحاب نظريّة وحدة الشّهود و من مقدمتهم (مجدّد الألف الثاني رحمه الله) إن وجودها وجود ظلّي.

أما الفرق بين الوجود الحقيقي المكتسب ، و بين الوجود الإضافي والخيالي والظلي ، فيتضح بمثال أو بنظير و ذلك أننا لو وضعنا زجاجاً أمام الشمس ، فإن الشمس تحدث في الزجاج حالات أربعاً : الحال الأول : أن الزجاج يتسخّن بحرارة الشّمس ، و إن وجود الحرارة أو السخونة في الزجاج في هذا الحال وجود حقيقي مغاير لوجود حرارة الشمس ، بدليل أنه لو فاتت مقابلة الشمس بالزجاج بقيت حرارة الزجاج لمدّة ، فهذا دليل لمغايرة وجود السخونة بوجود الحرار ة ، و لكن سخونة الزجاج مكتسبة من حرارة الشمس متوقفة عليها. فهذا مثال ، أو نظير للوجود الحقيقي المكتسب.

فذهب جمهور العلماء إلى أن وجود الممكنات والمخلوقات وجود حقيقيّ مكتسب ، بمعنى أن الله تبارك و تعالى هو الذي خلق فيها الوجود ، و لكنه وجود حقيقيّ مغاير لوجود الله تعالى ، فالوجود والموجود كلاهما كلّيان مشككان ، فالوجود الحقيقي على قسمين : وجود قديم مستقل بذاته ، و ليس ذلك الوجود إلا لله

سبحانه ، و وجود مكتسب حادث ، و هو صفة لجميع الممكنات ، و كذلك الموجود على قسمين : موجود قديم مستقل ، و ليس إلا الله تبارك و تعالى ، و موجود حادث مخلوق ، و يتضمن جميع الممكنات.

والحال الثانى للزجاج فى مقابلة الشمس أنه يتنور بنور الشمس ، و لكن هذا النور الذى يتنور به الزجاج ليس مغايراً لنور الشمس ، بل هو عين نور الشمس ، غير أنه تميّز عنه بنسبة خاصة حصلت له باتصاف الزجاج به . و دليل كونه عين نور الشمس أنه يفوت بفوات المقابلة بين الشمس والزجاج . فهذا نظير الوجود الإضافى ، فإن وجود نور الزجاج (من حيث إنه نور الزجاج) ليس حقيقياً ، و إنما هو نور الشمس حصلت للزجاج نسبة خاصة به ، فنور الزجاج عين نور الشمس ، غير أنه تميز عنه بهذه النسبة الخاصة.

فذهب بعض الفلاسفة الإسلاميين إلى أن اتصاف الممكنات بالوجود ليس إلا كاتصاف الزجاج بالنور فى هذا المثال ، و إن الله سبحانه و تعالى لما أراد خلق الممكنات أعطاها نسبة خاصة (غير معلومة الكنه) بالوجود الذى هو قائم بذاته ، و لم يعطها وجوداً مغايراً عن ذلك الوجود ، و لكنّها اتصف بالوجود بفضل هذه النسبة التى أعطاها الله تعالى إيّاها ، فالوجود عندهم جزئى حقيقى ، والموجود كلى مشكك.

والحال الثالث للزجاج فى مقابلة الشمس أن قرص الشمس يتراء ى فى الزجاج كأنه حال فيه ، و لكن الواقع أن صورة الشمس التى تتراء ى فى الزجاج ليس لها وجود حقيقى ؛ فإنها ليست عين الشمس ، كما هو ظاهر ، و لا شبحها و مثالها ، بل هو محض و هم و خيال ، و ليست حقيقته إلا أن الشّعاع البصرى حينما يقع على الزجاج فإنه ينقلب إلى الشمس ، فتتراء ى الشمس فى ذلك الشعاع البصرى ، فصورة الشمس

المنعكسة في الزجاج صورة وهميّة إنما نشأت بالشّعاع البصری ، فلو أغمض أحد عينه ، لا يبقى في الزجاج شيئ من صورة الشمس ، فلو كان لها وجود حقيقی فی الزجاج لما زال ذلك الوجود بإغماض العين . فهذا مثال للوجود الخيالی.

فيقول أصحاب نظرية وحدة الوجود (و من مقدمتهم الشيخ ابن عربی) : إن الله تبارك و تعالى وجوده أزلی قديم ، و لم يكن قبل خلق العالم إلا هذا الوجود الأزلیّ القديم مع أسمائه و صفاته ، و هو الذی يسمى في الاصطلاح ظاهر الوجود ، و كانت جميع الممكنات معدومة في الخارج ، و لكن علمها التفصيلیّ كان حاصلاً لله سبحانه و تعالى ، و إن هذه الممكنات من حيث كونها معلومة لله تعالى تسمّى في الاصطلاح "الأعيان الثابتة" على "ظاهر الوجود" بمراتب مختلفة من التحلی ، و بكيفية لا يعلم كنهها إلا الله ، فتجلت في ظاهر الوجود عكوس هذه الأعيان الثابتة بحيث لم يحصل لها وجود في الخارج ، و لا حصل لها حلول في ظاهر الوجود ، و إنما حصل لها وجود خيالی يتراء ى في الظاهر كأنه وجود خارجی ، كما يحصل لقرص الشمس وجود خيالی في الزجاج بدون أن يحصل له وجود حقيقی في الخارج ، فالموجود الحقيقی ليس إلا الله تبارك و تعالى ، والعالم كله عكس للأعيان الثابتة ، و ليس إلا خيالاً محضاً ، يتراء ى كأنه موجود في الخارج ، و ليس موجوداً بوجود حقيقی.

ثم و إن كان الشيخ ابن عربیؒ يدعی أن وجود العالم كله وجود خيالی محض ، ولكنه مع ذلك يعتقد أن الخيال له مراتب مختلفة ، فمن الموجود الخيالی ما يرتفع برفع الخيال ، فلا يتعلق به حكم ،و منه ما لا يرتفع برفعه ، فيصح أن تتعلق به بعض الأحكام ، و إن وجود العالم من هذا القسم الثانی للوجود الخيالی الذی لا يرتفع برفع الخيال ،

فلذلك يصح أن تتعلق به الأحكام الشرعيّة .

فـما اعتـرض عـليـه بـعض الناس أن القول بكون العالم كله خيالا محضاً يستلزم القول بنفى الشرائع والأحكام: اعتراض غير وارد على ما قال به الشيخ ابن عربى.

والـحـال الرابع للزجاج فى مقابلة الشمس أن ظلّ الزجاج يقع على الأرض ، و إن هـذا الـظل ليس له وجود حقيقى ، و إنما هو ظلام أصلى أحاط به النور ، فتكوّنت بهذه الإحاطة صورة فى الخارج تسمى ظلاً . فهذا مثال الوجود الظلى.

فيـقـول أصحاب نظرية وحدة الشهود (و من مقدمتهم الشيخ مجدد الألف الثانى رحـمـه الله تـعـالـى) إن قبل خلق العالم لم يكن هناك موجود إلا الله تبارك و تعالى ، و الـممكنات كلها كانت معدومة ، فأسماء الله تعالى و صفاته موجودة بوجود قديم ، و هى عبارة عن صفات الكمال ، و كانت فى مقابلها نقائص معدومة ، كالعجز فى مقابل الـقـدرة ، و الـجـهـل فى مقابل العلم ، فلمّا أراد الله تعالى خلق العالم فإنه جلّى صفات كـمـالـه عـلى هذه العدمات،فانعكست صورة الكمالات فى هذه العدمات ، و ظهرت بهذا الانـعـكـاس حـقـائـق مـادتهـا الـعدمات ، و صورها هذه العكوس . فإنها ليست مـوجـودة بـوجـود حقيقى ، لكونها فى الأصل عدمات و نقائص ، و لكنّها بفضل هذا الانـعـكـاس لـم تـعـد عـدمـات مـحـضة ، فوجودها ليس وجوداً حقيقيا ؛ لأن الوجود الحقيقى ليس إلا لله تعالى ، و لا وجوداً خيالياً محضا ، كما ذهب إليه الشيخ ابن عربى ، و لكن له مرتبة بين المرتبتين ، كوجود الظل ، فيسمى وجودا ظليا.

و هـذه خـلاصة الـمذاهب الأربعة فى هذا الباب ، و قد لخّصتها من كتاب "بوادر النوادر" لشيخ مشايخنا محمد أشرف على التهانوى :

و أما الموقف السليم في مثل هذه المسائل ، فإنه ما قدّمنا من ترك الخوض فيها و تفويض حقيقتها إلى الله سبحانه و تعالى ، فنؤمن إجمالا بأن وجود الله تعالى وجود مستقل كامل أزلي قديم ، ووجود المخلوقات بأسرها وجود حادث متوقف على إرادة الله تعالى ، و هو ناقص كل النقصان بالنسبة إلى وجود الله تعالى . أما معرفة حقيقة هذا الوجود الناقص ، و كيفية اتصاف المخلوقات به ، فلسنا مأمورين بتحقيقها والوصول إلى كنهها ، و لا سبيل لنا إلى الجزم في ذلك بشيئ . والظاهر أن مذهب جمهور العلماء (وهو المذهب الأول من المذاهب الأربعة التي ذكرناها): هو الراجح ؛ لكونه أقرب إلى قوله تعالى :(إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون). و أما ما ذهب إليه الشيخ ابن عربي أو الشيخ مجدد الألف الثاني رحمهما الله تعالى ، فنكل حقيقته إلى الله تعالى ، و لا نطيل ألسنتنا فيهم ، فإنهم تكلموا في هذه المسائل لدواع هم أعلم بها ، و ليس فيما قالوه ما يصادم النصوص صراحة، و لكن لا يوجد في النصوص في نفس الوقت ما يوجب التمسك بقولهم أو الجزم بما ذهبوا إليه . و من أول النصوص الشرعية إلى قول من هذه الأقوال : فإن تأويله لا يخلو من كونه تحريفاً، أو تكلفاً و تعسفاً ؛ فإن النصوص الشرعية ساكتة من هذه المسائل التي تعجز عن إدراك كنهها العقول البشرية.

فمن تمسك بحديث الباب على صحة نظرية وحدة الوجود من حيث أن رسول الله ﷺ أقرّ الحكم ببطلان جميع الأشياء سوى الله تعالى : فإنه توغّل في الأمر و أبعد النجعة ؛ لأنه ليس مرا د الشّعر الخوض في كيفية اتصاف المخلوقات بالوجود ، و إنما المراد أن كل شيئ ما سوى الله ناقص يطرأ عليه الفناء ، و إن الله تبارك و

تعالى لا يطرأ عليه نقص و لا فناء. و لنعم ما قال شيخ مشايخنا التهانوى رحمه الله تعالى فى بوادر النوادر:

"إن مسألة وحدة الوجود، و وحدة الشهود من المسائل الكشفية التى ليست مدلولاً لنصّ من النصوص، و غاية هذه المسائل أن لا تكون مصادمة لنص من النصوص. أما السعى فى إثباتها بالنصوص، فإن كان النص يحتملها فإن ذكرها على سبيل الاحتمال و إن لم يكن غلواً، و لكن تكلف، و إن تعديتها من درجة الاحتمال (إلى درجة الحزم والوثوق) غلوّ، و إن لم يحتمله النص فادّعاء إثبات تلك المسألة بالنصّ، سواء كان احتمالاً أو جزماً: تحريف صريح للنصوص. أما إذا لم يكن هذا الادّعاء على طريق التفسير والتأويل بل كان على سبيل الاعتبار، فإن الحكم المدعى إن كان ثابتاً بنص آخر، فإن هذا الاعتبار داخل فى الحدود الشرعية. أما إذا لم يكن الحكم المدعى ثابتاً بنص من النصوص، فإن ذكره على سبيل الاعتبار فيه تكلف أي". و الله سبحانه و تعالى أعلم.

(و) ......لا عبرة بالصوفية التي تخالف الشريعة:

وفى شرح الاحياء للعلامة الزبيدى [ج:١/ص:١٧٤]: وقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق، الامن اقتفى أثر الرسول ﷺ و هى فى ترجمة فى الرسالة (القشيرية) ١٩ و فيها: قال الجنيد: من لم يحفظ القرآن، و لم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر، لأن علمنا مقيد بالكتاب و السنة... وفى شذرات الذهب [ج ٥ ص ٢٧٩] فى ترجمة أبى الحسن الشاذلى، و من كلامه: كل علم تسبق إليك فيه الخواطر، و تميل النفس و تلتذ به فارم به، و خذ بالكتاب والسنة... ولغيرهم فى هذا

الباب عبارات كثيرة تجدها منثورة فى كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف للإمام الكلاباذى و فى الرسالة القشيرية و غيرهما ...

و قال الإمام الربانى الشيخ أحمد السرهندى ؒ : "إن القطعى الحقيقَ بالاعتماد هو الكتاب والسنة فإنهما ثبتا بالوحى القطعى و تقررا بنزول المَلَكِ . و إجماع العلماء و اجتهادُ المجتهدين (يعني القياس) راجعان إلى هذين الأصلين ، و ما وراء هذه الأصول الأربعة ـ كائناً ما كان ـ إن كان موافقاً لهذه الأصول فهو مقبول ، و إلا فلا و إن كان من علوم الصوفيّة و معارفهم البهيّة و من الإلهام والكشوفات السنيّة . فإن الوَجد والحال لا يُشترى هناك بنصف شعيرة ما لم يوزن بميزان الشريعة ، والإلهام والكشوف لا يقبل بنصف دانق ما يُجرَّب بمحك الكتاب والسنة " [الرسالة :٢١٧].

و قال الإمام الرفاعى ؓ :

مالى و قولُ زيدٍ	و وهم بكرٍ و عمرو
وجه الشريعة أهدى	من سرّ ذاك و سرِّىَ

......☆......

جليل أعمال الصوفية:

و يذكر الشيخ أبوالحسن الندوى من جليل أعمال الصوفية فى طريق الدعوة ونشر الإسلام و خدمة الدين فى كتابه القيم "ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين" [ص:٢٣٦] و هذا الشيخ محمد معصوم (م ١٠٧٩) ابن الشيخ الكبير أحمد السرهندى قد بايعه و تاب على يده تسعمائة ألف من الرجال ، و استخلف فى دعاء الخلق إلى الله و إرشاد الناس و تربيتهم الدينية سبعة آلاف من الرجال.

و هذا ابنه الشيخ سيف الدين السرهندى (م١٠٩٦) كان يأكل على مائدته ألف و أربعمائة ، و يقترحون الأطعمة و يتخيرونها.......و يحدثنا مؤرخ عن زاوية الشيخ غلام على الدهلوى ، (م ١٢٤٠) فيقول:

"رأيت بعينى فى هذه الزاوية رجالاً من الروم و الشام و بغداد ومصر والحبشة قد بايعوا الشيخ ، و عدوا المثول بين يديه حسنة الدهر و سعادة العمر. أما الوافدون من البلاد القريبة كالهند و أفغانستان فكانوا كالجراد ، ولا يقل عدد المقيمين فى هذه الزاوية عن خمسمائة رجل تقوم الزاوية بنفقاتهم". (قلت شيخنا و مرشدنا "صوفى آغا حفظه الله" تصل سلسلة اجازته فى طريقة النقشبندية إلى غلام على الدهلوىؒ)

و يحيل الشيخ رؤف أحمد المجددى نظره فى رجال هذه الزاوية اليوم الثامن والعشرين من جمادى الأول عام ١٢٣١ هـ فيجد رجالاً من سمرقند و بخارى و تاشقند و حصار و قندهار و كابل و بشاور و كشمير و الملتان و لاهور وسرهند و أمروهه و سبنهل و رامبور و بريلى و لكهنؤ و جائس و بهرائچ و كوركهبور و عظيم آباد و دهاكه ، وحيدر آباد ، وبونه و غيرها.اهـ

و من جليل اعمالهم ... فى الأمة الإسلامية أن الملوك و الأمراء متى قصدوا الجهاد ، كان الكثير من هؤلاء بإيعاز، و بغير إيعاز يحرضون أتباعهم على الخروج إلى الجهاد و لعظيم اعتقادهم فيهم ... كانوا يتبدرون إلى الإنتظام فى سلك المجاهدين فيكون ذلك سببًا للنصر و الظفر. و لمزيد من المعلومات فى هذا الموضوع راجع كتاب "حقائق عن التصوف".

قال : و نؤمن بأشراط الساعة منها : خروج الدجال و نزول عيسى عليه السلام من السماء و نؤمن بطلوع الشمس من مغربها و خروج دابة الأرض من موضعها.

الشرح:

اعلم أن الإمام الطحاوی ذكر بعض علامات الساعة ، وننقل ههنا على الترتيب علامات الساعة الصغرى ثم علامات الساعة الكبرى ، (و قد أخذت هذه المعلومات عن كتاب الشيخ عماد الدين بن أحمد بن أبی حجلة "النجوم اللامعة") (من ص: ١٦١ إلی ص: ٢٠٦ بتصرف)، على الترتيب:

علامات الساعةِ الصغرى:

وهی التی تتقدم يومَ القيامة بأزمان و معظمُها ظهرَ و تحقّق ، و لم يبقَ منها إلا القليل ، و هی كثيرةٌ جدًا منثورةٌ فی كتب الحديث ، منها:

(١) **ظهورُ نبیٍّ آخرِ ازمان:** و هو سيدُنا محمد ﷺ فقد روى الإمام أحمد (٥:٣٤٨) عن بُرَيدةَ رضی الله عنه قال : سمعتُ النبیَّ ﷺ يقول : "بعثتُ أنا و الساعة جميعًا إن كادت لتسبِقُنی".

(٢) **انشقاق القمر:** و قد حدث ذلك فی عهد النبی ﷺ قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر: ١) و عن ابن مسعودٍ رضی الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمِنَى فانشق القمر فلقتَين: فلقةٌ من وراء الجبل و فلقةٌ دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ : **اشهدوا** يعنی : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ . رواه الترمذی (٣٢٨٥) و قال : حديثٌ حسنٌ صحيح ، و حادثة شق القمر فی "الصحيحين" (البخاری ٣٦٣٦ و

مسلم ٢٨٠٠) و غيرِهما، هي متواترةٌ مقطوعٌ بها.

(٣) **مقتلُ سيدنا عمر:** روى البخاري روى البخاري (١٤٣٥) و مسلمٌ (١٤٤) عن شَقِيقٍ قال: سمعتُ حذيفةَ يقول: بينما نحن جلوسٌ عندَ عمرَ إذا قال: أيكم يحفظ قولَ النبي ﷺ في الفتنة؟ قال: فتنةُ الرجل في أهله و ماله وولده و جاره يكفِّرُها الصلاةُ و الصدقةُ و الأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر، قال: ليس عن هذا الأمر أسألك، و لكن التي تموج كمَوج البحر، فقال: ليس عليك منها بأس يا أميرَ المؤمنين، إن بينك و بينها بابًا مغلقًا، قال عمر: أيُكسر البابُ أم يُفتح؟ قال: لا بل يُكسر. قال عمر: إذن لا يغلَقُ أبدًا. قلتُ: أجل. قلنا لحذيفةَ: أكان عمرُ يعلمُ البابَ؟ قال: نعم، كما يعلم أن دونَ غدٍ ليلةً، و ذلك أني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط. فهِبْنا أن نسأله مَن الباب، فأمرنا مسروقًا فسأله فقال: مَن الباب؟ قال: عمر"، أي: بعدَ موته تبدأ الفِتَن.

(٤) **مقتلُ سيدنا عثمان:** روى الترمذي (٢١٧٠) و ابنُ ماجه (٤٠٤٣) و غيرهما عن حذيفةَ بن اليمانِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا تقومُ الساعةُ حتى تقتلوا إمامَكم، و تجتلدوا بأسيافكم، و يَرِثَ دنياكم شِرارُكم"، و قد وقع ذلك بمقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه على أيدي رؤوس الفتنة.

(٥) **اقتتال طائفتَين من المسلمين:** فقد روى البخاري (٣٩٠٦) و مسلمٌ (١٥٧) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقومُ الساعةُ حتى تقتتل فئتان من المسلمين فيكون بينهما مَقتَلةٌ عظيمةٌ دعواهما واحدٌ"، و هذا إشارةٌ إلى ما وقع بين سيدنا علي و بين عائشةَ و طلحةَ و الزُّبَير رضي الله عنهم أجمعين، فكلا الطرفين دعواه

نُصرةُ الحق ، و كذلك ما وقع بين سيدنا على و معاويةَ رضى الله عنهما ، فالجهتانِ محتهدتانِ والصوابُ مع على رضى الله عنه.

(٦) **سقوط دولتَى الروم والفرس:** فقدروى البخارى (٣١٢٠) و مسلمٌ (٢٩١٨) عن رسول الله ﷺ قال : "إذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعدَه، وإذا هلك كِسرَى فلا كِسرَى بعدَه، والذى نفسى بيده لَتُنفَقَنَّ كنوزُهما فى سبيل الله"، و قد حدث ذلك بسقوط دولة الفرس أولاً على أيدى الأُمَوِيين ، و بسقوط دولة القَياصرِة بفتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح رحمه الله ، فبعدَ أن سقط كسرى لم يظهر بعدَه ، و بعد أن سقط قَيصَرُ لم يظهر قيصَرُ بعدَه.

(٧) **تقارُبُ الزمان:** روى البخارى(٧٠٦١) و مسلمٌ(١٥٧) عن أبى هريرةَ رضى الله عنه عن النبى قال : "يتقاربُ الزمان ، و ينقص العمل ، و يُلقَى الشُّحَ، وتظهر الفِتَنَ، و يكثُرُ الهَرْجُ ، قالوا: يا رسول الله ، أيما هو؟ قال : القتلُ القتل". قال الحافظ ابن حجر : "قال ابنُ بَطّال : يتقارب الزمانُ و معناه ـ واللهُ أعلمُ ـ تقاربُ احوال أهله فى قلة الدِّين ، حتى لا يكونَ فيهم من يأمر بمعروفٍ ولا ينهى عن منكر ، لغلبةِ الفسق و ظهور أهله"

(٨) **قبض العلم:** قال ﷺ "إنّ اللهَ لايقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزِعُهُ من الناس ، ولكن يقبِضُ العلمَ بقبضِ العلماء ، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتّخذَ الناسُ رؤوسًا جُهّالاً ، فسُئلوا فأفتَوا بغير علمٍ فضلُّوا و أضلُّوا" رواه البخارى (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

قال الحافظ ابن حَجَر: "بقاءُ الكتب بعد رفع العلم بموت العلماء لا يغنى مَن ليس بعالم شيئًا"

(٩) **كثرةُ الأموال :** لقوله ﷺ" لا تقومُ الساعةُ حتى يكثر المالُ و يفيض ، حتى يُهِمَّ

رَبُّ المال من يقبله منه صدقةً ، و يدعو اليه الرجلَ ، فيقول: لا أَرَبَ لى فيه" ، رواه مسلم (١٥٧. و قد وقع ذلك فى عهد الخليفة العادل عمرَ بن عبد العزيز رضى الله عنه، أو يكون ذلك عند ظهور المهدىِّ عليه السلام كما سيأتى فى الأحاديث المصرِّحةِ بذلك ، والله أعلم.

(١٠) **ظهورُ من يدَّعى النبوة:** فقد روى البخارىُّ (٣٦٠٩) و مسلمٌ (١٥٧) عن أبى هريرةَ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " لا تقومُ الساعةُ حتى يُبعَثَ كذّابون دَجّالون ، قريبًا من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسولُ الله". و قد وقع ذلك و ظهر الكثيرةُ من الدجّالين الكذّابين،و على رأسهم مُسَيلمةُ الكذّاب وغيره ، كالبهاء مؤسِّس الطائفة البهائية ،و أحمد غلام مؤسِّس الطائفة القاديانية، ومحمد فَرْد مؤسِّس طائفة nation of Islam، أى فرقةُ "أمةّ الإسلام" الموجودة فى أمريكا حاليًا و غيرها.

(١١) **كثرةُ الزلازل:** قال الحافظُ ابن حجر: " و قد وقعَ فى كثيرٍ فى البلاد الشمالية والشرقية والغربية كثيرٌ من الزلازل، و لكن يظهر أن المرادَ بكثرتها شمولُها و دوامُها".

(١٢) **أن تَلِدَ الأَمَةُ رَبّتَها:** روى مسلمٌ(٨) فى حديث سؤال جبريلَ للنبى ﷺ عن أركان الدين قولَه : أخبرنى عن أماراتها ، قال : "أن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها ، و أن ترَى الحُفاةَ العُراةَ العالةَ رِعاءَ الشاء يتطاولون فى البنيان " ، و قد حصل ذلك إبّانَ الفتوحاتِ الإسلامية ، حيث كثرت الإماء، فكان ما تَلِدُه الأمةُ من ذكرٍ أو أنثى يصبحُ سيِّدَها ، لأنه ابنُ أو بنت سيِّدُها ، و قيل : كنايةٌ عن معاملةِ الابن لأمّه معامةً فيها قسوةٌ و جفاءٌ كأنه سيِّدُها ، و هذا واقعٌ أيضاً.

(١٣) **تطاوُل الناس فى البنيان:** كما فى حديث جبريل السابق، و نرى اليومَ أن

هذاقد حصلَ فی شبه الجزيرة العربية منذ مدة ، بل لا تكاد تخلو دولةٌ من هذه البنايات العالية الضخمة ، والتی تُسمّی فی بعض البلاد بناطِحاتِ السَّحاب!

(١٤) عودة بلاد العَرَب مُروجًا وأنهارًا: قال ﷺ : "لا تقومُ الساعةُ حتی يكثُرُ فيكم المالُ و يفيض ، و حتی يخرجَ الرجلُ بزكاةِ ماله فلا يجدَ أحدًا يقبلُها منه ، و حتی تعودَ أرضُ العرب مُرُوجًا و أنهارًا ، رواه البُخاری (١٤١٢) ، و مسلمٌ (١٥٧)

و هذاكنايةٌ عن كثرة الخيرات والأموال ، وحصل ذلك بظهور البترول فی شبة جزيرة العرب أيضاً ، اويكون ذلك عند ظهور المهدیِّ عليه .

(١٥) فتح القُسطَنطِنية: روی الدارمیُّ (٤٨٦) و أحمد (٢:١٧٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضی الله عنه قال: بينما نحن عند النبی ﷺ نكتب إذ سئل: أی المدينتَين تُفتَح أولاً : قسطنطنيةُ أو رُوما؟ فقال : " لا ، بل مدينةُ هِرَقْل أولاً"، و قد فُتحت القسطنطينية علی أيدی العثمانيين ، و فيه بشارة للمسلمين بفتح روما بإذن الله تعالی.

(١٦) قتال المَغُول والتتار: فقدروی البخاری (٢٩٢٩) و مسلمٌ(٢٩١٢) عن أبی هريرةَ رضی الله عنه: أن النبیَّ ﷺ قال: " لا تقومُ الساعةُ حتی تقاتلوا قومًا نِعالُهم الشَّعر، و لا تقومُ الساعةُ حتی تقاتلوا قومًا كأن وجوهَهم المِجَانُّ المُطرَّقة". قد وقع ذلك حيث قاتل المسلمون كلاً من المغول والتتار، و كانو يلبَسون نِعالاً مصنوعةً من الشعر الكثيف نتيجةً لكثافة الثلوج فی بلادهم.

(١٧) خروج النار من أرض الحجاز: فقد روی البخاری (٧١١٨) و مسلمٌ (٢٩٠٢) عن أبی هريرةَ رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "لا تقومُ الساعةُ حتی

تخرجَ نارٌ من أرض الحجاز تضيُّ أعناقَ الابل ببُصُرَى". قال الإمامُ القرطبي في "التذكرة" ص ٧٢١: إنه خرجَت نارٌ بالحجاز بالمدينة، و كان بدؤها زلزلةً عظيمة ، و كان ذلك في ليلة الأربعاء الثالثِ من جمادَى الآخرة سنةَ أربعٍ وخمسين و ستمئة ، واستمرت إلى ضحى النهار يومَ الجمعة.

(١٨) **غربة الإسلام:** فقد روى مسلمٌ(١٤٥) أن رسولَ الله ﷺ قال : "بدأ الإسلام غريبًا ، و سيعودُ كما بدأ غريبًا ، فطُوبى للغُرباء" ، زاد الترمذي (٢٦٣٠): قالوا: يا رسولَ الله ، و مَن الغُرباء ؟ قال : "الذين يُصلِحُون ماأفسدَ الناس". و هذا ظاهرٌ في عصرنا بوضوح ، فقد طغت على أرض الإسلام أفكارُ العِلمانية والماسُونية و الشيوعية و غيرِها من الأحزاب الأخرى الكافرة ، كما أن المناهجَ الدراسيةَ أصبحت ضعيفةً و بعيدةً عن الإسلام مقارَنةً بما كانت عليه من قبل.

(١٩) **الموسيقى والغناء الماجِنُ و شربُ الخمر وما نتجَ عنه:** فقد روى الترمذي (٢٢١٢) عن عِمرانَ بن حُصَين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "في هذه الأمةِ خَسفٌ و مَسْخٌ و قَذفٌ" ، فقال له رجلٌ من المسلمين : يا رسولَ الله ، و متى ذلك ؟ قال :" إذا ظهرت القِيَانُ والمعازفُ و شُرِبَت الخمور" .

القِيَان: جمعُ قَينة، و هي المغَنِّية ،و قد وقع ذلك كله و لاحولَ و لا قوةَ إلا بالله ، فأجهزةُ الإعلام و دُورُ السينما و أماكن اللهو وصالاتُ الرقص في بلدان العالم الإسلامي اكبرُ دليلٍ على ذلك ، كما أنه يشربون الخمرَ في تلك الأماكن و يسمُّونَها بغير اسمها ، كالمشروبات الرُّوحية! و ذلك مِصداقًالقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه النسائي(٨:٢١٣) و أبو داود (٣٦٨٨):"يشرب ناسٌ من أُمتي الخمرَ يسمُّونها بغير

اسمها"، فماحذّرنا منه ﷺ وقع، و نتيجةَ وقوعه حدث ما ذُكِرَ لنا من الخَسْفِ والمَسْخِ والقَذْف، فقد خُسِفَ بمدينة أغادير فی المغرب، وخُسِفَ بمدينة الأصنام فی الجزائر، و غيرهما، و أما المسخُ: فقد ظهر عيانًا، انظر إلى الحروب المدمِّرة و ما حصل للمسلمين من وَيلاتِها، ففی العراق مثلاً ترى تغيُّراتٍ و تشوُّهاتٍ فی خِلْقة المواليد نتيجةَ إلقاء الموادِّ المشِعّة عبر القاذفات المدمِّرة".

(٢٠) **ظهور الزنا وقلةُ الرجل و كثرةُ النساء:** روى البخاری (٥٢٣١) و مسلمٌ (٢٦٧١) عن أنس بن مالكٍ رضی الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: " إن من اشراط الساعة: أن يُرفَع العلم، و يكثُر الجهل، ويفشُوَ الزنا، ويُشربُ الخمر، و يقِلُّ الرجل، وتكثُر النساء حتى يكون لخمسين إمرأةً القَيّمُ الواحد". قال العلامةالشيخ عبد الفتاح أبو غُدّة رحمه الله تعالی: و معنی الجملة الأخيرة ـ أی فی الحديث المذكور ـ أن الرجلَ الواحدَ يكون راعيًا و قائمًا بمصالح خمسين امرأة، له فيهن الزوجةُ من الواحدة إلى الأربع، والباقی لَسْنَ زوجاتٍ له، و إنما هُنَّ قريباتٌ من أخواتٍ، وأمهاتٍ، و خالاتٍ، و عمّاتٍ، و جَدّات، ونحو ذلك.

أما ظاهرةُ الزنا فأصبحت للأسف ظاهرةً عاديةً و مألوفة، بل إن الدولَ الإسلاميةَ لا تعاقب عليها إذا كانت بالتراضی، و صار يوجد أناسٌ مختصون فی المتاجرةُ بالزنا، و توجد بيوتٌ مفتوحةٌ مرخّصةٌ للدّعارة أمام الأعين، كما أن عدد الرجل أصبح يتناقص بالمقابل لعدد النساء، و ذلك لكثرة الحروب التی أودت بحياة الكثير من الشباب، ولكثرة الفتن التی أدّت إلى ادخالِ معظمِهم السجونَ المظلمة، و نتيجةً للأوضاع الاقتصادية المتدَنّية فی العالم الإسلامی سافر كثيرٌ ممن تبقى من الشباب إلى بلاد

أوروبا و أمريكا ، إما للتعليم أو للعمل ، وأكثرهم تزوّجَ واستقرّ هناك ، و بالمقابل كَثُر عددُ النساء لعدم تعرُّضِهِنّ إلى جميع ما ذكر ، لذلك تجدُ بيوتًا كثيرةً فى عالمنا الإسلامى فيهاواحدةٌ أو اثنتان من البنات دون زواج ، والعمرُ يمرُّ وفتى الأحلام لم يطرق البابَ بعد ، إما لأنه غيرُ متوفرٍ للظروف المتقدّمة ، أو إن وُجِدَ فليس لديه المالُ الكافى ليدفعَ المهرَ المضنى و ما يتبعه من قاعاتٍ للحَفَلات وغيرها.

(٢١) كثرة القتل : فقد روى البخارى (٧٠٦٣) و مسلمٌ (٢٦٧٢) عن عبد الله بن مسعود و أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ : " إن بين يدَى الساعة أياماً يَنزِلُ فيها الجهل ، و يُرفَعُ فيها العلم ، و يكثُرُ فيها الهَرْج ، والهَرْجُ القتل" ، و قدتقدم حديثٌ آخر بنحوه فى الكلام عن تقارب الزمان.

قال الحافظ ابن حجر: " و جاء تفسيرُ ايام الهرج فيماأخرجه أحمد و الطبرانى بسندٍ حسنٍ من حديث خالد بن الوليد أن رجلاً قال له : يا أبا سليمان اتق الله ، فإن الفِتَنَ ظهرت ، فقال : أما و ابنُ الخطّاب حيٌّ فلا إنما تكونُ بعدَه ، فينظر الرجل فيفَكِّرُ هل يجدُ مكاناً لم ينزل به مثل ما نزل بمكانه الذى هو به من الفتنة فلايجد ، فتلك الأيام التى ذكرَ رسولُ الله ﷺ بين يدى الساعة"

وقد وقع القتلُ سابقاً و يحصل الكثيرُ منه الآن يومياً ، فمذابح الجزائر السابقة فى ثورة (المليون) شهيد و مايحصل حالياً فيها أيضاً من المجازرِ البَشِعة، و فى افغانستان حصل الكثيرُ أيامَ الحروب مع الرُّوس (ثم ما قتل الاستعمار الأمريكى و حلفائه و عملائه لا يحصون) و ما زال يحصل الآن مع غيرهم ، و فى لبنانَ و فلسطينَ و الهندِ والبوسنةِ والعراقِ (و ليبيا و سوريا و اليمن ،والبورما ، والكشمير) و غيرها كثيرٌ من

الصُّوَر المؤلمة لذلك ، بل قلَّ أن تجد قطرًا إسلاميًا لم تحصل فيه مذابحُ سواءٌ فى الزمان السابق اوفى الوقت الحاضر ، و لكنه فى عصرنا ظهر جلياً مع فقدِ الأمان والاطمئنان ، نسأل الله العفوَ و العافية.

(٢٢) **التماسُ العلم عندَ الأصاغر**: روى الطبرانى (٢٢ : ٣٦١ برقم ٩٠٨) عن أبى أمية الجُمَحِىِّ رَفَعَه: "إن من أشراطِ الساعة أن يُلْتَمَسَ العلمُ عند الأصاغر". (وبعض الذين ينسبون أنفسهم للسلفية إذا حفظوا حديثا أو حديثين يتكلمون فى العلم ، فيفتون الناس ، و يقولون لهم أن التقليد شرك، و أن صلاة الحنفية لا تصح، و ما إلى ذلك).

و مصداقُ ذلك أنه نَشِطَ فى أيامنا هذه فى مجال الدعوة شبّانٌ غيرُ مؤهَّلين علميًا و تربوياً لتوجيه غيرهم من الشباب والنشئة، بل إن بعضهم لا يفقه من الدين ما هو معلومٌ بالضرورة! و ترى الكثيرَ من العوام يلتَفُّون حولَهم و يلقِّبُونَهم بالشيوخ !مما يُجَرِّؤهم على الفتيا أيضاً فيقولون بغير علم فيَضِلُّون و يُضِلُّون ، و للأسف ترى ذلك واضحاً كالشمس الساطعة فى أمريكا و أوربا.

(٢٣) **التعذيب فى السجون** : فقد روى مسلمٌ (٢٨٥٧) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "يُوشِكُ إن طالت بكَ مدةٌ أن ترى قومًا فى أيديهم مثل أذنابِ البقر يغدُونَ فى غضبِ الله و يرُوحُون فى سَخَطِ الله". ففى الحديث إشارةٌ إلى السِّياطِ والعِصِىِّ و غيرها من وسائل التعذيب التى وُجدت على مَرِّ العصور إلى عصرنا هذا. (و قد رأيناو رأى الأمة الإسلامية الظلم القاسى من أمريكا و حلفائها فى كونتانامو و أبو غريب و بكرام ما يعجز البشر عن ذكره و استعملت القنبلة الذرية فى جلال آباد فأذلهم اللهو اجبروا على الصلح).

(٢٤) المشيُّ بتَبَخْتُرٍ وخدمةُ فارسٍ و الرُّوم للمسلمين: روى الطبراني في "الاوسط" (٥٣:٤ برقم ٣٥٨٧) عن أبي هريرة أن النبيَّ ﷺ قال: "اذا مَشَت أمتي المُطَيطاء و خدَمَتْهُم فارسُ والرُّوم تسلَّط بعضهم على بعض". و قد خدمت فارس والرُّومُ المسلمين وذلك بعد انتصاراتهم عليهم أيامَ الفتوحات الإسلامية، ولكن نَشَبَت بعدَ ذلك كثيرٌ من النزاعات المؤلمة بين المسلمين تنافُساً على السلطة، فنشأت كثيرٌ من الدُّوَلِ القوية و الدُّوَيلات و تقلَّبت، و في كتب التاريخ صورةٌ واضحةٌ لتوالي الأحداث عبر القرون، وهكذا هو التاريخ، فيه من الصورِ المؤلمة القاتمة كما في أكثر الصور إشراقاً و بهجةً.

و أما مِشيةُ المُطَيطاء فهي مِشيةُ التَّبَخْتُرِ والخُيَلاء، وهذا لا يكاد مجتمعٌ يسلَمُ منه، و قد شاع.

(٢٥) ارتفاع منزلة الاشرار و هبوط منزلة الاخيار: روى الطبراني. كما في "المجمع" (٣٢٦:٧) و قال: رجاله رجال الصحيح. عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال: "مِن اقترابِ الساعة أن تُرفَعَ الأشرارُ و يُوضَع الأخيار، ويَفْتَحَ القول، ويُخْبَسَ العمل، و تُتلَى في القوم المَثْناة"، قلت: و ما المَثْناة؟ قال: "ما كُتِبَ سوى كتابِ الله". قلت: و هذا ما يشهده عصرنا من علو الأشرار على الأخيار، و ذلك بما يسمُّونه بالتقدُّمية، و ما يطلقونه على الإسلام من الرجعية و التخلُّفية، و نتيجة لذلك أصبح كثيرٌ من الجيلِ الجديد جيلِ المستقبل يجري وراءَ تلك التقدمية المزعومة و ما تنشره في كتبها و مجلاتها من ضلالٍ وانحراف، و أعرض في المقابل عن كتاب الله عزوجل و سنة رسوله ﷺ.(و رأينا بعض رؤساء الحكومات الإسلامية مثل اشرف

غنی و غیره لا یعرفون الغث من السمین سماه الاستعمار مفکرا).

(٢٦) **أسعدُ الناس بالدنیا الحقیرُ التافة:** روی الترمذی(٢٢٠٩) عن حذیفَة بنِ الیَمان رضی الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "لا تقوم الساعةُ حتی یکونَ أسعدَالناسِ بالدنیا لُکَعُ بنُ لُکَع"، قوله ﷺ "لُکَعُ بن لُکَع" أی الحقیرُ التافه ، اللئیمُ القَذِرُ ، و هذا موجودٌ فی عصرنا بکثرة ، فتری أشخاصاً کالذی وصف الحدیث و قد اجتمعت لهم أسباب الدنیاء فهم بها مسرورُون ، و فی غَیِّهم سادِرُون ، و قد عمَّتهم الغفلةُ عمابعد ذلك...! نسأل الله الهدایةَ و التوفیق.

(٢٧) **الرجل یُصبح مؤمناً و یُمسی کافراً و بالعکس :** فقد روی أبو داود (٤٢٥٩) و ابنُ ماجه (٣٩٦) و الإمام أحمد (٤١٦:٤) عن أبی موسی الاشعری رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" إن بین یدَی الساعة فتَناً کقطع اللیل المظلم ، یُصبح الرجلُ فیها مؤمناً و یُمسی کافراً ، و یُمسی مؤمناً و یصبح کافراً القاعدُ فیهاخیرٌ من القائم ، والقائمُ فیهاخیرٌ من الماشی ، و الماشی فیها خیرٌ من الساعی ، فکسِّرُوا قِسِیَّکُم ، و قَطِّعوا أوتارَکُم ، و اضربوا بسیوفِکُمُ الحجارة ، فإن دُخِلَ علی أحدٍ فلیکُن کخیرِ ابنَی آدم".

و قد حصل هذا فی الماضی کثیراً ، حیث کان الرجلُ یمسی مؤمناً ویصبح کافراً لاتباعه الزنادقةَ والباطنیةَ وغیرها من طوائف الکفر والضلال ، وفی زماننا تری الرجلَ یصبح مؤمناً و یمسی کافراً لاتباعه حزباً کافراً أو فرقةً کالماسونیة أو البهائیة أو غیرها .

(٢٨) **قلةُ الأمطار بسبب منع الزکاة:** روی البزار (١٠٤:٤) برقم ٣٢٩٩ کشف الأستار) عن بُرَیدةَ رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "ما نقضَ قومٌ العهدَ إلا

كـان الـقتلُ بينهم ، و لا ظهرت فاحشةٌ فى قوم إلا سَلَّطَ الله عليهم الموت ، ولا منعَ قومٌ قطُّ الزكاةَ إلاحبسَ الله عنهم القَطْر" ، أى المطر.

(٢٩) تـداعى الأممَ على المسلمين رغمَ كثرتهم: روىٰ الإمامُ أحمد (٥:٢٧٨) و أبو دادو (٤٢٩٧) عن ثَوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "يُوشِكُ الأُمَمُ أن تداعىٰ عليكم كما تداعىٰ الأَكَلةُ على قَصْعَتِها" ، فقال قائلٌ : و مِن قلةٍ نحنُ يومئذٍ ؟ قال : "بـل انتـم يـومـئـذ كثيـر ، لكنكم غُثاً كغُثاء السّبيل ، و لَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صدور عدوِّكم الـمهـابةَ مـنـكـم، و ليـقـذِفَـنَّ فى قلوبكم الوهن قيل : و ما الوهَنُ يا رسولَ الله ؟ قال : "حـبُّ الـدنيـا و كـراهيةُ الـموت". و هذا قد تحقَّق ولا حولَ و لا قوةَ إلا بالله ، فالدولُ الـغـربيةُ وأمـريـكـا يتـحـكّمون فى العالم الإسلامى سياسياً و اقتصادياً رغم سَعةِ أراضى الـمسـلـمـيـن و ضـخـامة عـددهـم ، و تـرى الـوَهَنَ فى المقابل قد دبَّ فى قلوبهم رغم كثـرتهـم.(و قـد رأيـنـا الحلفاء و على رأسها أمريكا قد جمعوا على حكومة افغانستان الشرعية فـقـمعوها و حلف النيتو هدفهم ضرب المسلمين فى كل مكان أرادوا تطبيق الإسـلام والـحـمـد لله الذى خيب أملهم فى افغانستان و نصر جنده و سيطبق الشريعة الإسلامية بأيدى المجاهدين بإذن الله).

(٣٠) فتنة النساء : روى مسـلـمٌ (٢١٢٨) عن أبى هريرةَ رضى الله قال : قال رسول الـلـه ﷺ : "صِـنـفـانِ مـن أهـل النارِ لم أرَهُما : قومٌ معهم سِياطٌ كأذنابِ البقر يضربون الناس ، و نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مميلاتٌ رؤوسهنّ كأسنِمةِ البُخْتِ المائلة ، لا يدخُلْنَ الجنةَ ولا يَجِدْنَ ريحَها ، و إنّ رِيحَها لتُوجَدُ من مسيرةِ كذا و كذا".

و تـلك النساء هُنّ الكاسياتُ فى الظاهر العارياتُ باطناً ، اللائى يَمِلْنَ فى مشيهنّ ،

و يَمِلْنَ بالرجال إلى الفتنة بهن ، يغطِّين بعضَ أجسادهن و يكشِفن بعضا ، أو يلبَسْنَ الملابسَ الضيقةَ التي تَشِفُّ عن الجسد أو التي تصفُ ماتحت الثياب ، رؤوسُهنّ كسِنام الجَمَل ، و هو وصفٌ دقيقٌ لبعض قصّات العصر التي ظهرت في وقتنا هذا.

(٣١) **التباهي بالمساجد:** روى أبو داود (٤٤٩) والنّسائي (٣٢:٢) و الإمامُ أحمد (١٣٤:٣) عن انس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ "لا تقومُ الساعةُ حتى يتباهى الناسُ في المساجد" أي يتباهَون في عمارتها و نَقْشِها و زخرفتها كما يفعل اليهود والنصارى في كنائسهم.

(٣٢) **إذا ضُيِّعَت الأمانة:** روى البخاري (٦٤٩٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ في مجلسٍ يحدِّثُ القومَ إذ جاء ه أعرابيٌّ فقال : متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه ، ثم قال : " أين السائلُ عن الساعة؟ " ، قال : ها أنا ذا يا رسول الله ﷺ ، قال " إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظر الساعة" ، قال : و كيف إضاعتُها؟ قال : "اذ وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة".

(٣٣) **أن تكلِّمَ الرجلَ عَذَبةُ سَوطِه:** روى الترمذي (٢١٨١) و أحمد (٨٤:٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "والذي نفسي بيده لا تقومُ الساعةُ حتى تكلِّمَ السباعُ الإنسَ ، وحتى تكلِّمَ الرجلَ عَذَبةُ سَوطه و شِراكُ نعله ، وتخبرهُ فَخِذُهُ بماأحدث أهله بعدَه".

قد يكون المقصودَ بقوله عليه الصلاة والسلام: " حتى تكلِّمَ الرجل عذبة سوطه " هو الهاتفُ اللاسِلكي ، فله هوائيٌّ صغيرٌ كالسّوط ، و قوله " تُخبِرَهُ فَخِذه" قد يكون كنايةً عن جهاز الهاتف المذكور ، فالشخص يحمله معه و يضعه على وسطه فيكون

ملاصقاً لفخذه، والله اعلم.

(٣٤) **انحسارُ نهر الفُرات عن جبلٍ من ذهب**: أخرج مسلمٌ (٢٨٩٤) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقومُ الساعةُ حتى يُحْسَرَ الفُراتُ عن جبلٍ من ذهبٍ يقتتل الناس عليه، فيُقتَلُ من كل مئةٍ تسعةٌ و تسعون، فيقول كل رجلٍ منهم: لعلّي أكون أنا أنجو"، وفي روايةٍ أخرى عندَ البخاري (٧١١٩) و مسلمٍ (٢٨٩٤) قوله ﷺ: "يوشك الفُراتُ أن يُحْسَرَ عن كنزٍ من ذهب، فمَن حضرَهُ فلايأخذ منه شيئا، و يكون ذلك قبل ظهور المهدي أوبعد ظهوره وقبل ظهور العلامات الكبرى، والله تعالى اعلم.

(٣٥) **تمني الموت**: أخرج مسلم في "صحيحه" (١٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيديه لا تذهبُ الدنيا حتى يَمُرُّ الرجلُ على القبر فيتمَرَّغ عليه و يقول: يا ليتني كنتُ مكانَ صاحب هذاالقبر، وليس به الدينُ الا البلاء". قال الشيخ عبد الفتاح ابوغُدّة رحمه الله تعالى: أي ليس الحامل له على التمنّي هو الدين بل البلاءُ و كثرة المِحَن والفتن والوانِ الضّراء.

(٣٦) **كثرة الفتن**: آخرج البخاري في "صحيحه" (٣٦٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ستكون فِتَنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرّفَ لها تستَشْرِفْهُ، فمن وجد ملجأً أو معاذاً فليَعُذْ به".

قال الحافظ ابن حجر: "فَلْيَعُذْ به: أي ليعتزل فيه ليسلَم من شر الفتنة، ... قال الطبري: والصواب أن يقال إن الفتنةَ أصلها الابتلاء، وانكار المنكرِ واجبٌ على كل

من قدر عليه ، فمن أعان المحِقَّ اصاب ، و من أعان المخطِئ أخطأ ، و إن اشكل الأمرُ فهى الحالةُ التى ورد النهىُ عن القتال فيها .

(٣٧) **الفُحشُ والتَفَحُّش فى القول:** روى الإمام أحمد (٢: ١٩٩) عن ابن عمرَ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : "من أشراطِ الساعة الفُحشُ و التفحُّشُ و قطيعةُ الرَّحِم و تخوينُ الأمين وائتمانُ الخائن"

والفحش والتفحش: بذاءةُ اللسان بكثرة السباب و الشتم و جريان الألفاظ الوضيعة البذيئة على الألسنة .

(٣٨) **قَطيعةُ الرَّحِم:** و أول مافشا هذا الأمر فى بلاد الغرب ، فتجد و شائجَ الصلة فى العائلة مقطَّعة ، و ذلك لاستيلاء الأهواء عليهم ، فلا يريدُ أىٌّ منهم أن يكون مسؤولاً من غير ، لذا تجد البنتَ فى جهةٍ و الابنَ فى أخرى ، و يلقى الوالدان مصيراً مؤلماً فى شيخوخَتهِما نتيجةً لإهمال الأبناء و فقدهم دفءَ الحنان تجاهَ الوالدين ، لذا شاعت عندَهم فى الغرب دُور العَجَزة والمُسِنين . و من جهةٍ أخرى تجد الجيرانَ لا يكاد احدُهم يعرف جارَه ، وقدانطفأت من نفوسهم جَذْوةُ النخوة و الشهامة والمسارعة إلى عون الآخرين ، هذا فضلاً عن تفقُّد الجار و السؤال عن أحواله.

و للأسف فقد بدأت هذه الظاهرة تنتشرُ بين المسلمين بشكلٍ واضح ، ولاحولَ و لا قوةَ إلا بالله ، حتى صاروا لا يتزاورون إلا فى المناسبات القاهرة كموتِ قريبٍ ونحوه !

(٣٩) **تخوينُ الأمين و ائتمان الخائن:** وقد حدث ذلك حين أصبح يُؤتَمَنُ صاحب القوة المَنَعةِ رغم خيانته ، و يخوَّنُ الفقيرُ المغلوب على أمره رغم أمانته

☆... **حديثٌ جامعٌ** : عن علی بن أبی طالبٍ رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " إذا فعلت أمتی خمس عشرةَ خَصلةً حلّ بها البلاءُ".

قيل: و ما هی رسولَ الله ؟ قال :"اذا كان المغنمُ دُوَلاً ، والأمانةُ مغنماً ، و الزكاةُ مغرَماً ، و أطاعَ الرجلُ زوجتَهُ و عَقّ أُمّه ، و بَرَّ صديقَه و جفا أباه ، و ارتفعت الأصواتُ فی المساجد ، كان زعيمُ القوم ارذَلَهم، و أكرِمَ الرجلُ مخافةَ شرّه ، و شُرِبت الخمور ، و لُبِسَ الحرير ، والقِيانُ والمعازِف، و لعنَ آخرُ هذه الأمةِ أولَها ، فيرتقبوا عندَ ذلك ريحًا حمراء ، أو خَسفاً أو مَسخاً، أخرجه الترمذی فی "جامعه" (٢٢١٠) ، و لنَشرح ما فی هذا الحديث من علاماتٍ مرتبةً مع ما سبقها ، فنقول :

(٤٠) **إذا كان المغنمُ دُوَلاً** : أی أن الأغنياء و أصحابَ المناصب يستأثرون بحقوق الفقراء ، أو أن يكون المرادُ منه أن أموالَ الفَیْ تُؤخذُ غلَبةً و أثَرةً كصنيعِ أهل الجاهلية .

(٤١) **و الأمانة مغنَماً**: أی يذهبَ الناسُ بودائعِ بعضهم و أماناتِهم فيتخذونها كالمغانم يغنمونها.

(٤٢) **والزكاةُ مغرَماً** : أی بأن يَشقّ عليهم أداؤها بحيث يعدُّون إخراجَها غرامةً .

(٤٣) **و أطاعَ الرجلُ زوجته و عَقّ أمّه**: أی يطيعُ زوجتَه فيماتأمره و تهواه مخالفاً لأمر الله ، و يخالف أمه فيماتأمره و تنهاه.

(٤٤) **و برَّ صديقه و جفا أباه**: أی احسن الی صديقه و أدناه و حَبّاه ، و أبعدَ أباه و أقصاه.

(٤٥) **وارتفعت الأصوات فی المساجد**: أی عَلَت أصواتُ الناس فی المساجد بنحو الخصوماتِ و المبايعاتِ واللهو واللعب ، و هذا مما كَثُرَ فی هذا الزمان.

(٤٦) **و كان زعيمُ القومِ أرذَلهم:** أى سيدُ القوم و رئيسُهم و المتكلمُ عنهم أرذَلَهم، لأن الرئاسةَ والسيادةَ تكون حينئذٍ لمن له المَنَعةُ و المالُ و لو كان أرذلَ القوم.

(٤٧) **و اكرِمَ الرجلُ مخافةَ شرِّه:** أى عَظَّم الناسُ الإنسان مخافةَ شره لا لفضله و تقواه و أمانته و نحوها.

(٤٨) **و شُرِبَت الخُمُور و لُبِسَ الحرير:** و قد تقدَّمَ الكلامُ عن الخمور و أنهم يسمُّونها بغيراسمها، و أما لبسُ الحرير فالمقصودُ به لبسُ الرجل له بلا ضرورة.

(٤٩) **ولعنَ آخرُ هذه الأمةِ أولَها :** أى اشتغلَ الخَلَفُ بالطعن فى السَّلف الصالحين والأئمة المهديين، و هذه العلامةُ ظاهرةٌ فى الذين طعنوا فى خلافةِ أبى بكرٍ و عمرَ وعثمانَ و قالوا بأنها حقٌ لعلى، و كذلك فى الذين جعلوا من الخلافِ الذى دار بين الصحابة أساساً يبنون عليه عقيدتهم، و فيمَن يطعنُ فى الصحابة إجمالاً ،او من يطعن فى احدٍ من الأئمة المرضيين المتفقِ على إمامتهم و جلالتهم و عظيمِ مكانتهم فى الدين، كالشافعى و مالكٍ و أبى حنيفةَ و أحمدَ و اضرابِهم من أئمة الهدى.

(٥٠) **مشاركةُ المرأةِ زوجَها فى العمل و التجارة:** قال ﷺ: بين يدَى الساعة تسليم الخاصة، و فُشُوّ التجارة حتى تعين المرأةُ زوجَها على التجارة "، رواه أحمد (١:٤١٩). و ترى ذلك واضحاً فى البلاد الإسلامية عامةً، حيث امتدت إلينا النُظُم الرأسمالية نتيجةَ تأثرنا و انبهارنا بالغرب، فأصبح الرجل يتطلّع إلى المرأةِ التى تعملُ و لها وظيفةٌ ليتزوجها، لأن ذلك فى نظره يُعَدُّ امتيازاً لهايميزها به عن غيره من النساء، و ما ضَياعُ الجيل الحالى من أبناء المسلمين إلا بسبب اختلالِ موازين توزيع المسئولية، فكيف نطلبُ نشأً صالحاً والأمُّ منهَكةٌ من عملها خارجَ البيت و داخِلَه، و الأبُ اكثر

وقته خارج البيت ، فمن الذى سيتولّى تربيةَ النّش ء المسلم على الصلاح والاستقامة و متابعة المتابعةَ الحَثيثةَ لكى لاتجرفَه تياراتُ الانحلال والفساد؟ فليتنبه إلى هذا الأمر الغافلون من الأباء و الأمهات وإلا فسيكون أولادهم اخطر و بالٍ عليهم.

(٥١) **تخضيبُ الشعر باللون الأسود:** قال رسول الله ﷺ : ، يكون قومٌ يخضبُون آخرَ الزمان بالسواد كَحَواصِل الحَمَام ، ولا يريحُون رائحةَ الجنة" ، أخرجه أحمد فى مسنده (١:٢٧٣) و أبو داود (٤٢١٢) ، والنسائى (٨:١٣٨) و غيرهم.

☆... **حديثٌ جامع: قال** ﷺ :"أُعدِّدُ ستاً بين يدَى الساعة: مَوتى ، ثم فتحُ بيت المقدس ، ثم مَوتانٌ يأخذُ فيكم كقُعاصِ الغَنَم ، ثم استفاضةُ المال حتى يُعطىٰ الرجلُ مئةَ دينارٍ فيظل ساخِطاً ، ثم فتنةٌ لايبقى بيتٌ من العرب إلا دخلته ، ثم هُدنةٌ تكون بينكم و بين بنى الاصفر ، فيغدِرون فيأتونكم تحتَ ثمانين غاية ، تحت كل غايةٍ اثنا عشر الفاً "، رواه البخارى (٣١٧٦) . و نفصِّل قليلاً فى هذه العلامات فنقول:

(٥٢) **موتُ النبى** ﷺ: و قد توفى عليه الصلاة و السلامُ عن ثلاثةٍ و ستينَ عاماً ، فى أول العام الحادى عشرَ من الهجرة.

(٥٣) **فتحُ بيتِ المقدِس** : تمّت المرةُ الأولى فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ الَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا ﴾ إلى قوله تعالى :﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾(الإسراء : ٧،١) و فى هذا بشارةٌ للمسلمين بأنهم سيدخلون المسجدَ الأقصى مرةً ثانيةً فاتحين غانمين منتصرين على أعدائهم باذن الله تعالى.

(٥٤) **مَوتانٌ يأخذُ فيكم كقُعاصِ الغَنَم:** هو إشارةٌ إلى الأوبئة المختلفة كالسرطان و

الإيدز ونحوها أو المقصود به مرض الطاعون الذى أصاب الناس زمنَ سيدنا عمر رضى الله عنه ، و الطواعينُ الكبرى التى حدثت بعدَ ذلك فى المسلمين .

(٥٥) **عدمُ الرضا رغمَ كثرة المال** : و ذلك إما لارتفاع الأسعارالذى يذهب بالمال رغم كثرته، أو لقلةِ البَرَكة فيه.

(٥٦) **فتنةٌ لا يبقى بيتٌ من العرب إلا دخلته** :قال بعضُ العلماء المعاصرين إنها فتنةُ التلفاز والمِذْياع لماتبثّه من أغانىَ ماجنةٍ و مسلسلاتٍ خليعةٍ و غيرها من المخالفات الشرعية.

(٥٧) **هُدنةٌ تكون بينكم و بين بنى الأصفر**: و بنو الأصفرهم الرُّوم ، ولعلهم المتمثلون الآن فى روسيا و أوروبا و أمريكا ، حيث يكون بينهم و بين المسلمين صلحٌ و سلامٌ ثم يغدرون بالمسلمين ويأتون بقواتٍ و معداتٍ حربيةٍ ضخمة.

و قد يكون المقصودُ بالصلح: ذلك الصلح الذى وقعه العرب مع أمريكا و أروبا ، وبدايةُ الغدر بالمسلمين قد ظهرت بوادِرُها و علاماتُها بالحشود العسكرية والمعدّات الحربية الأمريكية والأوربية والقواعد المتفرِّقة فى منطقة الخليج و غيرها ، والله تعالى اعلم.

المهدِىُّ عليه السّلام:

و آخر علاماتِ الساعة الصغرى ظهورُ المهدى رضى الله عنه ، حيث أن ظهوره يتزامن مع ظهور سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام و ظهور الدجال لعنه الله.

فقد روى النسائى و غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " لن تهلِكَ أمّةٌ أنا فى أولها ، وعيسى بنُ مريمَ فى آخرها، والمهدِىُّ فى وسطها". قال العلامة الشيخ عبد الفتاح أبوغُدّة رحمه الله تعالى : المرادُ بالوسط ماقبلَ الآخر ، لأن

نزولَ عيسى عليه السلامُ لقتل الدجّال يكون في زمن المهدى ، و يصلى سيدُناعيسى خلفَه كماجاء ت الأخبار.

و سنذكر بعضا من هذه الأحاديث على سبيل الإطلاع لا الإحاطة فنقول: روى أبو داود (٤٢٨٢) عن ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه : "لو لم يَبقَ من الدنيا الا يومٌ واحدٌ لطوّلَ الله ذلك اليومَ حتى يبعثَ فيه رجلاً منى أو من أهل بيتى ، يُواطِئُ اسمُهُ اسمى ، و اسمُ ابيه اسمَ أبى يملأُ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً و جَوارًا" ، و المعنى أن اسمَه محمدُ بن عبد الله ، و هو من ولدِ فاطمةَ رضى الله عنها.

وروى أبو داودَ أيضاً (٤٢٨٤) و ابن ماجه (٤٠٨٦) عن أم سَلمةَ رضى الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "المهدِيُّ من عِترَتى مِن ولدِ فاطمة".

و مما رُوىَ فى وصفه ما أخرج أبو داود (٤٢٨٥) والحاكم (٤:٥٥٧) و نُعَيم بن حمّاد فى "كتاب الفِتَن" (١:٣٥٩) عن أبى سعيد الخُدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "المهديُّ منى ، أَجْلَى الجَبهة ، أقنَى الأنف ، يملأ الأرض قِسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً و جَوراً ، يملك سبعَ سنين".

﴿علامات الساعة الكبرى﴾

وهى العلامات التى تقاربُ قيامَ الساعة ، و ما أن تظهر إحداها حتى تتابع بالظهور الواحدةَ تلوَ الأخرى ، قال ﷺ : "الآياتُ كخَرزاتٍ منظُوماتٍ فى سِلْكٍ فانقطع السلكُ فتبعَ بعضُها بعضاً" ، رواه أحمد (٢:٢١٩).

و عن حذيفة بن أُسيدِ الغِفارى رضى الله عنه قال : اطّلَع النبيُّ ﷺ علينا و نحن نتذاكر ، فقال : "ما تَذاكرون ؟" قالوا : نذكُر الساعة ، قال : "إنها لن تقومَ حتى تروا

قبلَها عشرَ آياتٍ "، فذكر الدُّخان ، والدجّال ، والدابة ، و طلوع الشمس من مغربها ، و نزولَ عيسى بن مريم ، يأجوج و مأجوج ، و ثلاثةَ خُسُوف: خسفٌ بالمشرق ، وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناسَ إلى محشرهم . أخرجه مسلمٌ (٢٩٠١) ، والترمذی (٢١٨٣) ، و غيرهما .

قال العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غُدّة رحمه الله تعالى : "أی عشرَ علامات، و قد جاء ت العلاماتُ العشرُ هنا معطوفاً بينها بالواو ، والواو لمطلَق الجمع ، فلا تفيد أنها ستقع بالترتيب المذكور هنا . و هذه الآياتُ كما قال الطِّيبی رحمه الله تعالى . ونقله عنه الحافظ ابنُ حجر فی "فتح الباری" (١١:٣٠٣) . أماراتٌ و علاماتٌ للساعة إما على قُرُبها ، وأما على حصولها و قيامها ، فمن إماراتِ قربها : الدجال ، ونزولُ عيسى عليه السلام ، و يأجوج و مأجوج ، والخَسف . و من أماراتِ قيامها : الدُّخان ، و طلوع الشمس من مغربها ، و خروج الدابّة ، والنارُ التی تحشر الناسِ .

وسنقوم بذكرها الآن مفصّلةً حسبَ الترتيب الذی ذكر الشيخ رحمه الله فنقول:

(١) خروج الدجال:

والأحاديثُ التی وردت فيه بالغةٌ حدّ التواتر من كثرتها ، و كتبُ السنة مملوّةٌ بها.

أما اوصاف الدجال و أحواله فی ذلك الزمان فقد ذكرها العلامة الشيخ محمد شفيع مفتی باكستان رحمه الله تعالى مرتبةً فی نقاط ، على النحو التالی:

❁......يخرج الدجال بين الشام والعراق.

❁......مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ بشكل (ك ف ر) ويكون أعور العين اليسرى، و بعينه اليمنى ظَفَرة غليظة .

۞......يدور فی جميع أنحاء العالم ، ولا يبقى على وجه الأرض موضعٌ محفوظٌ من شرّه الا مكةَ والمدينة ، يحرسُ الملائكة أبوابهما ولايستطيع الدجال أن يدخلهما ، و يقيمُ حيث تنتهي السبَخةُ من الظريب الأحمر بعد مايدفعه الملائكة من الحرمين ، ويأخذ أرض المدينة زلازلُ تخرج المنافقين من المدينة ، فيلتحق المنافقون رجالهم ونساؤهم بالدجال ، وهكذا تنفی المدينة خَبثهاعنها كما ينفی الكِيرُ خَبَثَ الحديد.

۞...... يكون معه نهران يقول لأحدهما إنه جنةٌ و لثانيهما إنه نارٌ ، فمن أدخل الذی يسميه الجنة فهو النار ، و من أدخل الذی يسميه النار فهو الجنة .

۞...... يكون فی زمنه يومٌ كالسنة، و يومٌ كالشهر، و آخرُ كالأسبوع ، ثم سائرُ أيامه كالأيام العادية.

۞......يركب حماراً عَرُضُ ما بين أذنيه أربعون ذراعاً ، و يكون معه شياطينُ تكلّم الناس.

۞...... يأمر السحابَ فيمْطر ، وتجدب الأرض متى شاء.

۞......يبرئُ الأكْمَهَ و الأبرص ، و يأمرُ كنوزَ الأرض فتخرج و تتبعه.

۞......يقتل شاباً ويقطعه بالسيف نصفَين ثم يدعوه فيأتی حيّاً ضاحكاً.

۞......يكون معه سبعون ألفَ يهودی كلهم ذو سيفٍ مُحلّیً وساج.

۞......يفترق الناسُ ثلاثَ فرقٍ : فرقةٌ تتبعه ، و فرقةٌ تلحقُ بأرض آبائها ، و فرقةٌ تقاتله على شاطئ الفُرات.

۞......يجتمع المسلمون بقرى الشام فيبعثون اليه طليعةً ، و يكون فی هذه الطليعة فارسٌ على فرسٍ أشقرَ او أبْلَق ، فيُقتَلون و لا يرجع منه أحدٌ.

۞......حینما ینظر الدجّال إلی المسیح علیه السلام یذوبُ کمایذوبُ الملحُ فی الماء، و حینئذ ینهزم جمیعُ الیهود.

قال العلامةُ السَّفّارِینی فی کتابه "لوامع الاسرار البهیّة" (١٠٦:٢):"ینبغی لکل عالمٍ أن یبُثَّ أحادیثَ الدجّال بین الأولاد و النساء والرجال، ولاسیّما فی زماننا هذاالذی اشرَأبَّت فیه الفِتَن، و کثرت فیه المِحَن، و اندرسَت فیه معالِمُ السنن، و صارت السّنة فیه کالبِدَع، والبدعةُ شرعاً یُتّبع".

و قد ورد أنه من علاماتِ خروجه نسیانُ ذکره علی المنابر، و إلیه الاشارة بما أخرجه أحمد (٣٦٧:٣) والحاکم (٥٣٠:٤) عن جابر بن عبد الله مرفوعاً :"یخرجُ الدجّال فی خفةٍ من الدین و إدبارٍ من العلم".

(٢) نزولُ سیدنا عیسی علیه السلام الصلاةُ والسلام:

و یکون ذلك فی آخر الزمان، وقدورد فی القرآن الکریم مایدُلُّ علیه، قال تعالی:﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ (النساء:١٥٩)، و هذا دلیلٌ علی أنه لم یَمُت و أنه سینزل فی آخر الزمان و سیؤمن به النصاری و غیرهم. قال تعالی:﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾(الزخرف:٦١)وقد فسّرَها جمهورُ العلماء علی أن المسیحَ هوعَلَمٌ من أعلام الساعة، کما ورد فی نزوله علیه السلامُ أحادیثُ بلغت من کثرتها حدَّ التواتر، و معظَمُها مرتبطٌ بأحادیث ظهور الدجّال وأحادیث یأجوجَ و مأجوج ،....... و قد ألّفَ العلماءُ کتباً جامعةً للأحادیث و الآثار الدالة علی نزوله فی آخر الزمان، منها "التصریح بما تواتر فی نزول المسیح" للإمام الکشمیری، و هومطبوعٌ بتحقیق الشیخ عبدالفتاح أبوغُدّة رحمه الله تعالی، و کتاب "نظرةٌ عابرةٌ فی مزاعم من

ینکر نزولَ عیسی قبلَ الآخرة" للإمام محمد زاهد الکوثری ، و "إقامةُ البرهان علی نزول عیسی آخِرَالزمان" للمحدّث عبدالله الغماری ، و هما مطبوعان ، و غیرها کثیر.

أما أوصافه علیه الصلاة و السلام فکان:

وجیهاً فی الدنیا والآخرة ، و قامتُه معتدلةٌ ، و لو نه أبیض مُشربٌ بالحُمرة ، شعرُ رأسه ممتداً إلی منکِبَیه و لونُه أسود ، کأنه یقطُرُ و إن لم یُصِبهُ بَلَل ، یشابهه من الصحابة عُروةُ بن مسعود رضی الله عنه ، و کان غذاء عیسی علیه السلام : الباقِلا و ما لم تُغیِّره النار.

(ویظهر مماتقدم کذبُ و کفرُ میرزا غلام أحمد القادیانی الهندی الذی ادّعی أنه المسیحُ المنتظَر ، فقد کانت حلیة میرزا القادیانی مضادّة لجمیع هذه الصفات ، و کان یأکل البَیض واللحوم)

خصائص عیسی الموعودِ علیه السلام:

❁...... إحیاء الموتی بإذنِ الله ، قال تعالی:﴿ وَأُحْیِ الْمَوْتَی بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(آل عمران:٤٩).

❁...... إبراء الأکمهِ والأبرصِ بإذن الله ، قال تعالی:﴿ وَأُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ﴾(آل عمران:٤٩).

❁...... النفخ فی ترابٍ حتی یصیرَ طیراً، قال تعالی:﴿ وَرَسُولًا إِلَی بَنِی إِسْرَائِیلَ أَنِّی قَدْ جِئْتُکُم بِآیَةٍ مِّن رَّبِّکُمْ أَنِّی أَخْلُقُ لَکُم مِّنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ فَأَنفُخُ فِیهِ فَیَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾(آل عمران:٤٩).

❁...... الإخبارُ بما یأکله الناسُ و ما یدّخرونه فی بیوتهم ، قال الله تعالی:﴿ وَأُنَبِّئُکُم بِمَا تَأْکُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُمْ ﴾(آل عمران:٤٩).

۞......عَـزْمُ بنی إسرائیلَ علی قتله و حفظُ الله تعالی له،:﴿ وَمَـكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(آل عمران:٥٤).

۞...... رَفْـعُ الله تعالی له إلی السماء حیّاً ، قال تعالی:﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾(آل عمران:٥٥).

۞......نـزولـهُ عـلیـه الـسلام من السماء إلی الدنیا ثانیاً فی قربٍ من یوم القیامة کما ثبت ذلك و تواتر فی الأحادیث الصحیحة.

(و کل هذه الخصائص لم یحصل للمتنبئ القادیانی . لعنه ا لله . شیئٌ منها!)

حِلْیته علیه السلام وقت نزوله:

۞......یلبس ثوبَین أصفرَین ، و علی رأسه قُلُنْسُوَةٌ طویلةٌ ، و یلبس دِرْعاً.

بعضُ أحواله علیه السلامُ وقت نزوله

۞......ینزل واضعاً یدیه علی أجنحةِ ملکَین ، و فی یده حَرْبَةٌ یقتل به الدجّال.

۞...... لایـجـدُ کـافـرٌ ریـحَ نَفَسِه إلا یموت ، و یبلغُ طَرْفُه.(و لم یحصل لِمرزا القادیانی شیئٌ من ذلك).

محلُّ نزوله علیه السلامُ ووقتُه:

یـنـزل فـی الشـام فی الجانب الشرقی من دمشق ، عندَ المنارةِ البیضاء . ـو لم یَزُر القادیانیُّ دمشقَ فی ساعةٍمن حیاته ـ وقتُ نزوله :عندَ صلاة الفجر.

أحوالُ الحاضرین فی المسجدِوقتَ نزوله علیه السلام:

جـماعةٌ من المسلمین یقُودُهم المهدی یجتمعون لقتال الدجّال ،و عددُهم حینئذٍ یبلغ ثمانمئةِ رجلٍ و أربعمئة امرأة.

۞...... كلهم يُسوِّى الصفوفَ عندما ينزل عيسى عليه السلام ، يؤمُّهم الإمامُ المهديّ.

۞...... يدعوه الإمام المهدى لإقامة الصلاة بالناس فيأبَى ، و حينما يريدُ الإمام المهديُّ أن يتخلَّفَ يضع عيسى عليه السلام يده على ظهره و لا يرضَى إلا أن يكون المهديُّ إماماً ، ثم يتقدم الإمام المهدى و يصلى بهم.

۞...... إقامته فى الدنيا بعد نزوله أربعون سنةً . (أما القاديانى المتنبئ فقد كان عمره أكثرَ من أربعين سنة، و لم يحصل له شيئٌ من الأمور السابقة ، و انّى له ذلك!).

۞......يتزوج عيسى عليه السلام بعدَ النزول بامرأةٍ من قوم شعيب عليهماالسلام ، و يُولَدُ له بعدَ نزوله أولادٌ.

المشروعاتُ التى يقوم بها بعدَ نزوله عليه السلام:

۞...... يكسر الصليبَ و يستأصلُ عبادته، و لا يُبقى فى الدنيا من النصرانية شيئاً . (أما فى زمن القاديانى فقدشاعت النصرانيةُ و شملت كثيراً من البلاد).

۞...... يقتل الخنازير.

۞......يفتح باب المسجد بعدَ الفراغ من الصلاة فيرى وراءه الدجّالَ و قوماً من اليهود.

۞......يقاتلُ عليه السلام الدجّالَ و أعوانه من اليهود.(ولم يشهد مرزا القاديانى القتالَ قط).

۞......يقتلُ الدجّال . و زعم القاديانى أنّ الدجال هم الإنكليز!) ولكنه لم يقتل منهم أحداً !).

۞...... يقتل عيسى عليه السلامُ الدجّالَ فى أرض فلسطين عند بابِ لُدّ . (والقاديانى لم يَرَ بابَ لُدّ قط).

۞...... يكون العالمُ بعدَ نزوله عليه السلامُ جميعُه مسلماً .(وقد كفرَ جميع العالم- على

قول مرزا القادیانی ۔ بمجیئه إلی الدنیا).

۞...... ثم یقتل علیه السلامُ ما بقیَ من الیهود.(ولم یقتل القادیانی یهودیاً واحداً)

۞......و لا یجدُ یهودیٌ ملجأً .(و کان الیهودُ فی زمن القادیانی مرفَّهین منعَّمِین). حتی تشهدَ الحجارةُ والاشجارُ علی أن وراء ها یهودیاً.

۞...... تندَرِسُ حینئذٍ جمیعُ المذاهبِ المنحرفة والأدیانِ الباطلةِ سوی الإسلام.

۞...... و لا یبقی حکمُ الجهاد إذ لایبقی احدٌ من الکفار . (و کان الکفار فی زمن القادیانی کثیرین ، حتی إن بعض المسلمین جاهدوهم ، و مع ذلك لم یُرزق القادیانی نصیباً من الجهاد).

۞...... و من أجل ذلك لایبقی حکمُ الجزیة ، و یعمُّ السلام الناس بالمال حتی لا یبقی علی وجه الأرض من یقبل الصدقات.(و قد ازداد الناس فی زمن القادیانی فقراً و جَدْباً).

۞......و یؤُمُّ علیه السلامُ الناسَ بعدَ صلاة الفجر الأولی التی صلّاها مقتدیاً بالمهدیّ.

۞......یسافر إلی موضع فَجِّ الرَّوْحاء .(و لم یسافر إلیه القادیانی قط).

۞...... یحجُّ أو یعتمر اویؤدّی کلا النُّسُکین .(و حُرِمَ القادیانیُّ من کلَیهما).

۞......یسافر الی روضة سید الأنبیاء ﷺ ، و یرُدُّ علی سلامه سید الأنبیاء ﷺ (وحُرِمَ القادیانیُّ من ذلك کله).

۞...... مذهبه الذی یدعو الیه الناسَ أنه یعملُ بالقرآن والسنةِ و یحثُّ الناسَ علیهما .(بینما کان القادیانی یرُدُّ أحادیثَ النبی ﷺ).

البرکاتُ الظاهرةُ والباطنةُ فی زمنه علیه السلام:

۞......تنزل فی زمنه برکاتٌ دینیةٌ و دنیویةٌ من کل نوع .(و انعکس الأمر فی زمن مرزا

القاديانى فقد وقعت الفتن فى زمنه كوَقْعِ المطر).

۞......و يخرج الحقدُ والضَّغِينةُ من أفئدة الناس . (و قد كثُرَ كل ذلك فى زمن القاديانى).

۞......و يكون الرُّمان فى زمانه كبيراً حتى تكفى الرمّانةُ الواحدة لجماعةٍ من الناس، ويكفى لبنُ ناقةٍ واحدةٍ لجماعةٍ من الناس ويكفى لبنُ شاةٍ واحدةٍ لقبيلة واحدة.

۞......وتُنزَع الحُمَةُ من كل ذى حُمةٍ حتى يُدخِلَ الوليدُ يَدَه فى فم الحيّة فلاتضُرُّه، و تكشف الوليدةُ عن أسنان الأسد فلايضرُّها.

۞......و يكون الذئبُ مع الغَنَم كأنه كلبُها .(والأمرُ بالعكس فى كل ذلك فى زمن القاديانى).

۞...... تُملَأ الأرضُ من السِّلمِ كمايمتلئ الإناءُ من الماء، ولا يوجدُ فقيرٌ، و تترَكُ الصدقة .(بينما مدارُ النبوة فى زعم مرزا على أخذ الصدقات).

۞......و كلُّ هذا يكون فى مدّة سبعِ سنين .(و لم تحدث هذه البركاتُ يوماً من الأيام فى حياة مرزا).

رد السقاف التواتر فى عيسى عليه السلام و الدجال:

قال السقاف فى كتابه "صحيح شرح العقيدة الطحاوية" صحيفة ٥١٢: (و قد صرح جماعة من العلماء المحدثين المحققين بتواتر خروج الدجال و نزول سيدنا عيسى عليه السلام و ليس ذلك متواتراً على التحقيق، آخرهم تأليفاً شيخنا الإمام المحدث عبد الله ابن الصديق و قبله الإمام العلامة الكوثرى رحمهما الله تعالى ...) و قوله هذا باطل. و قد أثبت تواترهما كثير من العلماء لتواتر الأحاديث فيهما.

قال الإمام محمد انور شاه الكشميرى الهندى فى "تصريح بما تواتر فى نزول المسيح" فى (ص: ٥٦) : "و لعلك قد عرفت مما ذكرنا أن الأحاديث فى هذا الباب متواترة ، و قد صرح به جماعة من المحدثين:

فقال العلامة السيد محمود الآلوسى فى تفسيره :"روح المعانى" " و لا يقدح فى ذلك ـ أى فى ختم النبوة ـ ما أجمعت الأمة عليه ، و اشهرت فى الأخبار ـ و لعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوى ـ و نطق به الكتاب ـ على قول ـ و وجب الإيمان به ،و أكفر منكره كالفلاسفة : من نزول عليسى عليه السلام آخر الزمان ، لأنه كان نبياً قبل تحلى نبينا ﷺ بالنبوة فى هذه النشأة"

و به صرح الحافظ عماد الدين ابن كثير ، حيث قال فى "تفسيره" فى تفسير سورة الزخرف عند قوله تعالى : (و إنه لعلم للساعة) : " و قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً ، حكماً مقسطاً" . و صرح به فى تفسير سورة النساء أيضا.

و ذكر الحافظ ابن حجر فى كتابه "فتح البارى" تواتر نزول عيسى عليه السلام ، عن أبى الحسين الآبرى . و قال فى "التلخيص الحبير" من كتاب الطلاق :"و أما رفع عيسى عليه السلام ، فاتفق أصحاب الأخبار و التفسير على أنه رفع ببدنه حيا. و إنما اختلفوا هل مات قبل أن يرفع ؟ أو نام فرفع؟". و قال فى "فتح البارى" من باب ذكر إدريس:"إن عيسى رفع و هو حى على الصحيح".

و قال محقق الكتاب الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة فى (ص :٦٢) قلت: أوجز شيخنا محمد شفيع حفظه الله تعالى فى ذكر من نص على تواتر نزول سيدنا

عيسى عليه الصلاة والسلام ، هناك غير واحد من الأئمة المتقدمين و المتأخرين نصوا على تواتر نزوله ﷺ ، و إليك طائفة منهم غير الذين ذكرهم شيخنا هنا:

فمنهم الإمام ابن جرير الطبرى فى "تفسيره" عند قوله تعالى فى سورة آل عمران: "إن متوفيك و رافعك إليّ" ٣: ٢٠٣، فقد قال بعد أن ذكر الأقوال فى معنى التوفى :"و أولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك: أني قابضك من الأرض و رافعك إلي . لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال...".

٢ـ قال شيخنا الإمام الكوثرى رحمه الله تعالى فى كتابه:"نظرة عابرة فى مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة" ص ٣١:"وليس فى قول الإمام ابن جرير الطبرى:(و أولى الأقوال بالصحة) ما يحتج به أن تلك الأقوال مشتركة فى أصل الصحة، كيف و قد ذكر بينها ما هو مُعزو إلى النصارى؟ و لا يتصور ـ أن يصح ذلك فى نظره ، بل كلامه هذا من قبيل ما يقال: فلانٌ أذكى من حمار، و أفقه من جدار ، كما يظهر من عادة ابن جرير فى "تفسيره" عند نقله لروايات مختلفة ، كائنة ما كانت قيمتها العلمية العلمية ، و قد يكون بينها ما هو باطل حتما ، فلا يكون لأحد إمكان التمسك بمثل تلك العبارة فى تقوية الروايات المردودة".

قلت : و هذه قاعدة و فائدة تستفاد لفهم كلام ابن جرير فى "تفسيره" فاعلمها واشدد عليها بيدك ، فإنها من العلم المكنون.

٣ـ و منهم : الإمام المفسر ابن عطية الغرناطى الأندلسى ، فقد قال فى "تفسيره" : "أجمعت الأمة على تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى فى السماء حى ، و أنه ينزل

فی آخر الزمان فیقتل الخنزیر ، و یکسر الصلیب ، و یقتل الدجال ، و یفیض العدل ، و تظهر به ملة محمد ﷺ ، و یحج البیت ،و یعتمر". انتهی. نقله عنه الامام أبو حیان الأندلسی فی تفسیره:"البحر المحیط" فی سورة آل عمران ٢: ٤٧٣. و قال أبو حیان نفسه فی تفسیره الصغیر المسمی : "النهر المادّ من البحر" المطبوع علی حاشیة "البحر المحیط": ٢:٤٧٣:"و أجمعت الأمة علی أن عیسی علیه السلام حی فی السماء ، و سینزل إلی الأرض ، إلی آخر الحدیث الذی صح عن رسول الله ﷺ فی ذلك".

٤ـ و منهم : الإمام الفقیه أبو الولید ابن رشد ، فقد نقل عنه العلامة أبو عبد الله الأبی فی "شرحه علی صحیح مسلم " :١:٢٦٥ قوله : "و لا بد من نزول عیسی علیه السلام ، لتواتر الأحادیث بذلك ، و فی "العتبیة" : كان أبو هریرة یلقی الفتی الشاب فیقول : یا ابن أخی إنك عسی أن تلقی عیسی ابن مریم فاقرأه منی السلام . تحقیقا لنزوله".

٥ـو منهم: العلامة السفارینی الحنبلی فی شرح منظومته فی العقیدة المسمی "لوامع الأنوار البهیة" ٢: ٩٤ ـ ٩٥ قال "قد أجمعت الأمة علی نزول عیسی ابن مریم علیه السلام ، و لم یخالف فیه أحد من أهل الشریعة ، و إنما أنكر ذلك الفلاسفة و الملاحدة ممن لا یعتد بخلافه ، و قد انعقد إجماع الأمة علی أنه ینزل و یحكم بهذه الشریعة المحمدیة ، و لیس ینزل بشریعة مستقلة عند نزوله من السماء ، و إن كانت النبوة قائمة به و هو متصف بها".

٦ـ و منهم : العلامة الشوكانی الیمنی ، قال فی كتابه : "التوضیح فی تواتر ما جاء فی المنتظر و الدجال و المسیح" بعد أن ساق الأحادیث الواردة فی ذلك :"فتقرر أن

الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة ، و الأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم متواترة". كما نقله عنه أستاذنا العلامة الشيخ عبد الله ابن الصديق الغماري فرج الله عنه في كتابه : "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام" ص ١١.

٧ـ و منهم : شيخ شيوخنا العلامة المحدث الشريف سيدي محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله تعالى في كتابه : "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" : ص ١٤٧ حيث قال : " و قد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة والاجماع . ثم قال : والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، و كذا الواردة في الدجال و في نزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام.

٨ـ و منهم شيخنا الإمام محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في كتابه : نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة " حيث قال في ص ٣٦ بعد أن استوفى تفسير الآيات الدالة على نزول عيسى عليه السلام : "فظهر مما سبق أن نصوص القرآن الكريم وحدها تحتم القول برفع عيسى حيا ، و بنزوله في آخر الزمان حيث لا اعتداد باحتمالات خيالية لم تنشأ من دليل ، كيف الأحاديث قد تواترت في ذلك ، و استمرت الأمة خلفا عن سلف على الأخذ بها و تدوين موجبها في كتاب الاعتقاد من أقدم العصور إلى اليوم ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!.

و قال رحمه الله تعالى أيضا في ص ٤٩ : "و أما تواتر أحاديث المهدي والدجال والمسيح فليس بموضع ريبة عند أهل العلم بالحديث . و تشكك بعض المتكلمين في تواتر بعضها مع اعترافهم بوجوب اعتقاد أن أشراط الساعة كلها حق ـ فمن قلة خبرتهم بالحديث !". انتهى.

و فی شرح مسلم للإمام النوویؒ (٣٠٤/٩): قال القاضیؒ: نزول عیسی علیه السلام و قتله الدجال حق و صحیح عند أهل السنة؛ للأحادیث الصحیحة فی ذلك، و لیس فی العقل و لا فی الشرع ما یبطله، فوجب إثباته، و أنكر ذلك بعض المعتزلة و الجهمیة و من وافقهم، و زعموا أن هذه الأحادیث مردودة بقوله تعالی: (و خاتم النبیین) و بقوله ﷺ: "لا نبی بعدی"، و بإجماع المسلمین أنه لا نبی بعد نبینا ﷺ، و أن شریعته مؤبدة إلی یوم القیامة لا تنسخ، و هذا استدلال فاسد؛ لأنه لیس المراد بنزول عیسی علیه السلام أنه ینزل نبیا بشرع ینسخ شرعنا، و لا فی هذه الأحادیث و لا فی غیرها أنه ینزل حكما مقسطا بحكم شرعنا، و یحی من أمور شرعنا ما هجره الناس.

(٣) خروج یأجوج و مأجوج:

وهم قومٌ من سلالةِ سیّدنا آدمَ علیه الصلاةو السلام كما ثبت فی "الصحیحین" (البخاری ٤٧٤١) و مسلم ٢٢٢، وعندَما عاثوا فی الأرض الفسادَ وأتلفوا الحقولَ و الزروعَ بعثَ الله تعالی ذا القرنَین فقام ببناء سَدٍّ منیعٍ بین جبلَین، و حُصِرُوا خلفَهُ فلم یستطیعوا نَقْبَهُ ولا الصعودَ فوقَه.

وقد ورد ذكرُ یأجوجَ و مأجوجَ فی القرآن الكریم فی موضعَین:

الأول: فی سورة الكهف عندما تحدثت الآیات الكریمة عن ذی القرنَین وبنائه للسّدّ، قال تعالی:﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾(الكهف: ٩٤).

الثانی: فی سورة الأنبیاء، فیها یَصِفُ خروجَهم، قال تعالی:﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ .وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾(الانبیاء: ٩٦-٩٧)

و قد ورد ذكرهم كذلك في الأحاديث الشريفة، فمنها ما رواه البخاري (٣٥٩٨) و مسلم (٢٨٨٠) عن زينبَ بنتِ جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخلَ عليها فَزِعاً يقول: "لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب، من شرٍّ قد اقترب، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوجَ و مأجوجَ مثل هذه" وحَلَّقَ بأُصبعِهِ الإبهامِ والتي تليها، فقالت زينب: فقلت يا رسول الله، أنَهلِكُ وفيناالصالحون؟ قال: "نعم، إذا كَثُرَ الخَبَثُ" ....

و قد لخّص العلامة الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان رحمه الله تعالى ما يتعلق بخروج يأجُوج و مأجُوج في نقاطٍ مرتبة، وها أناأنقله تامّاً لو فائه بالموضوع:

۞...... يخرجُ يأجُوج و مأجُوجَ و هم من كل حدبٍ ينسلون فيخرج نبي الله عيسى عليه السلام إلى الطور و معه المسلمون.

۞...... يمر أول يأجوج و مأجوج على بحيرة طَبَرِيَةَ فيشربون جميعَ مافيها.

۞...... يكون رأس الثَّور للمسلمين في تلك الأيام خيراً من مئةٍ دينارٍ بسبب الفقر أو لقلةالرغبة في الدنيا.

۞...... دعاءُ المسيح عليه السلام على يأجُوج و مأجُوج و هلاكُهُم، حيث يرسلُ الله تعالى عليهم النَّغَفَ في رقائهم فيصبحون صَرْعى كموتِ نفسٍ واحدة.

۞...... ثم يهبط المسيح عليه السلامُ و من معه إلى الأرض، أي من جبل الطُّور إلى الأرض، فيجدون الأرضَ ممتلئةً بزَهَمِهِم و نَتَنِهِم ...

۞...... ثم يدعو المسيحُ عليه السلام لأن يزول النَّتَن، فيرسل الله تعالى مَطَراً يزيله، ثم تعودُ الأرض كما كانت ممتلئةً بالثمار والأزهار.

۞...... و يأمرالمسيحُ عليه السلام بأن يستخلفوا بعده رجلاً من بني تميم اسمُهُ المُقْعَد.

❁...... ثم يتوفاه الله تعالى و يُدفَنُ فى روضة النبى ﷺ بجنب أبى بكر و عمرَ رضى الله عنهما . أما مرزا القاديانى فقد سقطَ على وجهه ميتاً فى بيت الخلاء و دفن فى قاديان ، فأين مقامُ من يُدفن فى مسجد رسول الله ﷺ فى الروضة المشرَّفة ممن يسقط على وجهه ميتاً فى بيت الخلاء بالهَيْضة (زحار)؟!

أحوالُ المسلمين بعدَ وفاة المسيح عليه السلام

❁...... و يستخلفُ الناسُ المُقْعَدَ كماأمرهم المسيح عليه السلام، ثم يُتَوَفَّى المُقْعَدُ بعد ذلك.

❁......ثم يُرفَعِ القرآن من صدور الناس بعدَ ثلاثِ سنين من وفاة المقعد.

❁...... و تقتربُ الساعة حينئذٍ ، حتى إنّ رجلاً إذا أنتج فرساً لم يُركَب مُهرها حتى تقوم الساعة ثم تظهرُ أشراط الساعةالقريبة.

(٤)،(٥)،(٦) : الثلاثة خُسُوف:

❁......وهى خسوفٌ أرضيةٌتقع فى الأماكن التى ذكرها الحديث الشريف ، وهى خسفٌ بالمشرق ، وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بجزيرة العرب.

(٧) الدُّخان:

قال جمهورُ المفسرين إنه هو الدُّخانُ الذى ذُكر فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ .يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الدخان: ١٠.١١)

عن عبد الله بن عمرَرضى الله عنهما: "يخرجُ الدّخان فيأخُذُ المؤمنَ كهيئةِ الزُّكام ، ويدخُلُ فى مسامع الكافر والمنافق حتى يكونَ كالرأس الحَنيذ" ، أى : كالرأس المشوى على الحَمُر. رواه عن ابن عمرَ ابنُ جرير الطبرى فى "تفسيره" وثبت بنحوه

عن ابن عباس ، وهو قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضی الله عنهم أجمعين ، فضلاً عمّا ثبت فی ذلك من الأحاديث المرفوعة الصحاح والحسان . قاله ابن كثير فی تفسره (٤:١٣٩).

(٨) طلوعُ الشمس من مغربها:

وقد تفرّدت السّنةُ بذكرها ، قال رسول الله ﷺ : "لاتقوم الساعةُ حتى تطلُعَ الشمسُ من مغربها ، فإذا طلعت فرآها الناسُ آمنوا أجمعون ، فذاك حين :﴿لا يَنفَعُ نَفساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبلُ أَوْ كَسَبَتْ فِی إِيمَانِهَا خَيراً ﴾(النساء:١٥٨) ولتَقُومَنَّ الساعةُ وقدنَشرَ الرجلان ثوبَهمابينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، و لتقومَنّ الساعةُ و قد انصرف الرجل بلبَن لِقْحَتِهِ ـ أى ناقته ـ فلا يَطْعَمُه، ولتقومَنّ الساعةُ و هو يَلِيطُ حَوضَه ـ أى يُطيِّنُهُ و يصلِحُه ـ فلا يسقی فيه ، و لتقومنّ الساعةُ و قد رفعَ أحدكم أكلته إلی فيه فلايطعَمُها" ، رواه البخاری (٦٥٠٦).

و معنى أن تطلُعَ الشمسُ من المغرب أی تظهر للناس فی الصباح من جهة المغرب علی عكس عادة ظهورها ، فعندها يُغلَقُ بابُ التوبة فلاتُقبَلُ من كافرٍ ولا فاسق.

(٩) خروج الدابّة:

وهی المعنيّةُ بقوله تعالى فی سورة النمل:﴿وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾(النمل:٨٢) . قال الحافظ ابن كثير فی "تفسيره" (٣:٣٧٤) : "وهذه الدابةُ تخرجُ فی آخر الزمان عندَ فساد الناس و تركهم أوامرَ الله ، وتبديلهم الدينَ الحق ، يُخرِجُ اللهُ لهم دابةً من الأرض فتكلِّمُ الناسَ على ذلك". وقال العلامة الآلوسیّ فی "روح المعانی" (٦:٣١٤): " أی تكلمهم بأنهم

لا يتيقّنون بآياتِ الله تعالى ، و قُصارَى . أى غايةُ . ما أقول فى هذه الدابّة أنها دابةٌ عظيمةٌ ذاتُ قوائم ، ليست من نوع الإنسان أصلا، يُخرِجُها الله تعالى آخرَ الزمان من الأرض ، وتخرج وفى الناس مؤمنٌ و كافرٌ".

و يدل على ذلك ما أخرجه أبو داد الطيالِيسىُّ فى "مسنده" ص ٣٣٤،و أحمد فى "مسنده" (٢:٢٩٥،٤٩١) ، والترمذى فى "جامعه"(٣١٨٧) و حسّنه ، وابن ماجه فى سننه (٤٠٦٦) واللفظُ له ، عن أبى هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال : "تخرُجُ الدابّةُ ومعها خاتَمُ سُلَيمان بنِ داود، و عصا موسى بن عمران ، عليهما السلام ، فتَجلو وجهَ المؤمن ـ أى تنوِّرُه و تبيِّضُه ـ بالعصا، و تَخْطِمُ أنفَ الكافر ـ أى تَسِمُهُ تجعل علامةً ـ بالخاتم ، حتى إن أهلَ الحِواءِ ـ أى أهل الحى الذين يجمعهم ماء يستقُون منه ـ ليجتمعون ، فيقول هذا : يا مؤمن ، و يقول هذا : يا كافر". ثم قال الآلوسى : "و هذا الخبرُ أقربُ الاخبار المذكورة فى الدابّةِ للقبول".

(١٠) خروجُ نارٍ من اليَمَن:

وهذه الإمارةُ من آخر أماراتِ الساعة ،و تكون الساعةُ بعدَها ، قال ﷺ : "ستخرُج نارٌ من حَضرَمَوت قبلَ يومِ القيامة تحشُرُ الناس"،قلنا :يارسولَ الله ، فما تأمُرنا ؟ قال :عليكم بالشام "، رواه الترمذى (٢٢١٧).

وعن أنس بن مالكٍ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "أولُ أشراطِ الساعةِ نارٌتَحْشُرُ الناسَ من المشرقِ إلى المغرب" . رواه البخارى (٣٣٢٩).

قال الحافظ ابن حجر : "ووجهُ الجمع بين هذه الأخبار أن كونَ النار تخرج من قعرِ عَدَنٍ لا ينافى حشرها من المشرق إلى المغرب ، و ذلك أن ابتداء خروجِها من قعر

عدن ، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها ، والمقصود بقوله ﷺ: "تحشرُ الناس من المشرق إلى المغرب" ارادةُ تعميمِ الحشر ، لا خصوصَ المشرقِ والمغرب ، و أما الغايةُ إلى المغرب فلأن الشامَ بالنسبة إلى المشرقِ مغربٌ ".انتهى.

وقد تضمنت هذه الأحاديث بيانَ مكانِ خروج النار ، و بيانَ وقت خروجها ، و كيفيةَ سَوْقِهاللناس و منتهاها بهم . و جاء في حديثٍ آخرَ بيانُ حالِ الناس حين يُساقون إلى المحشر في الشام ، حيث روى البخارى (٦٥٢٢)و مسلم (٢٨٦١) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال : "يُحشرُ الناس ـ أى إلى الشام قبلَ الساعة وهم أحياء على ثلاثِ طرائق ـ أى على ثلاث احوال ـ راغبين و راهبين ، و اثنان على بعير ، هذا معطوفٌ على محذوفٍ تقديره: واحدٌ على بعير ، و اثنان على بعير . و ثلاثةٌ على بعير ، وأربعةٌ على بعير ، و عشرةٌ على بعير ، . أى أنهم يتعاقبون على ركوب البعير الواحد ، فيركب بعضهم ويمشى بعضهم . ، و تحشرُ بقيتَهم النارُ، و تَقِيلُ معهم حيث قالوا ، و تَبيتُ معهم حيث باتوا، وتصبحُ معهم حيث أصبحوا ، و تُمسِى معهم حيث أمسَوا" أى تلازمهم كلَّ الملازمة إلى أن يصلوا إلى مكان الحشر ، نسألُ الله السلامةَ والعَون .

لا تقوم الساعةُ إلا على شرارِ الناس:

و عندَنهاية الزمان و قبلَ قيام الساعةيرسل الله ريحاً فتقبض روحَ كل مسلم ، قال ﷺ : "إنّ الله يبعثُ ريحاً من اليمن ، ألينَ من الحرير ، فلا تَدَعُ أحداً في قلبه مثقالُ حبّةٍ من إيمان إلا قبَضَتْه"، رواه مسلم (١١٧).

و لذلك قال العلماء : لا تقومُ الساعة إلا بانقطاع التعبُّد ، لأن الله تعالى يقول:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات :٥٦) ، و قد روى أحمد

فى "مسنده" (٣:٢٦٨) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعةُ حتى لايُقالَ فى الأرض لا إله إلا الله"، و روى الإمام أحمد (٤:١٨٢) ومسلمٌ (٢٩٣٧) فى الحديث الطويل: ".. فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبةً فتأخذهم تحت آباطِهم، فتقبِضُ روحَ كل مؤمنٍ و كل مسلم، و يبقى شِرَارُ الناس، يتهارَجُونَ فيها تَهارُجَ الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة"، .. و فى الحديث أيضاً: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض: الله الله"، و فى رواية: "لا تقوم الساعةُ على أحدٍ يقول: الله الله"، أخرجهما مسلمٌ فى "صحيحه" (٢٣٤) من حديث أنسٍ رضى الله عنه.

بيان بطلان الكهانة والعرافة و متعلقاتهما:

قال: و لا نُصَدِّقُ كاهناً و لا عرافاً و لا من يدعى شيئا يخالف الكتاب والسنة واجماع الأمة.

الشرح:.

.الكاهن هو الذى يخبر عن المغيبات. قال القاضى عياض رحمه الله: (كانت الكهانة فى العرب ثلاث أضرب: أحدها: أن يكون للإنسان ولىّ من الجنّ يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، و هذا القسم بطل من حيث بعث الله نبيّنا ﷺ.

الثانى: . أن يخبره بما يطرأ أو يكون فى أقطار الأرض، و ما خفى عنه مما قرب أو بعد. و هذا لا يبعد وجوده، و نفت المعتزلة و بعض المتكلمين هذين الضربين وأحالوهما، و لا استحالة فى ذلك و لا بعد فى وجوده، لكنهم يصدقون و يكذبون، والنهى عن تصديقهم والسماع منهم عامّ.

الثالث:. المنجمّون، و هذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن

الكذب فيه أغلب قال: ومن هذا الفن العراف ، و صاحبها عرّاف ، و هو الذی يستدل على الأمور بأسباب و مقدمات يدعی معرفتها بها. (١)

و قوله : ولا من يدعی شيئًا يخالف الكتاب والسنة :

المراد منه ملحقات الكهانة و العرافة و نذكر نبذة منها:

١ .التنجيم: قال الشيخ أحمد عزالدين البيانونی : التنجيم هو دعوى معرفة الغيب بالنظر إلى النجوم و سيرها ، و فی الحديث الشريف : (من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبةً من السحر ، و كلما زاد فيه زاد من السحر) و هذا مذموم إذا كان يفهم منه أن للنجوم تأثيراً فی الكون : كنجم كذا يجئ بالأمطار ، و نجم كذا يجئ بالرياح ، و نجم كذا يأتی بالقحط و غلاء الأسعار ، و نجم كذا يأتی بالوباء ، و نجم كذا يأتی بالحروب ، و نحو ذلك ... ، أما معرفة النجوم للاهتداء بها إلى عِظَم الخالق جَلّ شأنه ، أو إلى الأوقات والقبلة والشهور ، أو إلى جهة المسير : فذلك مباح ...) .

و قال العلامة ملا علی القاری :(قال الزجاج : ولا فرق بين هذا . أی الكهانة و بين قول المنجّمين : لا تخرج من أجل نجم كذا ، و أخرج لطلوع نجم كذا قلت و لإبطال هذه الأشياء جعل النبی ﷺ صلاة الإستخارة و بعدها الدعاء المأثور ، كما هو المشهور و قد ورد ما خاب من استخار ، و لا ندم من استشار)

٢ .مسألة تحضير الأرواح: و استحضار الأرواح الذی يزعمه الزاعمون كذب و خداعٌ ، و ما الروح المزعومة إلا الشياطين من الجنّ تتلاعب بالإنسان و تخادعه،

١ـ تكملة فتح الملهم (٢٢٦/٤/ ٢٢٧)

والذى يحضر فى الواقع هو القرين ، و هو الشيطان الذى يرافق الإنسان طيلة حياته . و يعرف تفاصيل كثيرة عنه ، بل يستطيع أن يُقلد صوته. (١)

تعريف السحر:

٣. السحر: و هو فى اللغة تطلق على كل ما خفى و لطف . ثم نقل هذا الاسم إلى كل ما خفى سببه أو تخيّل على غير حقيقته و هو السحر المصطلح المقصود بهذا الباب .

هل السحر خداع و تخييلات لا حقيقة لها أم أنه يحدث فى المسحور تغيراً و اقعيّاً مثل أن يصير المريض صحيحاً أو بالعكس اوبأن يصير الجماد حيواناً اوالحيوان جماداً ؟

الثانى :. انكرته جماعة من العلماء و قالوا : إن السحر لا يحدث فى المسحور تغيّراً واقعياً بل هو تخييل فقط و لكن جمهور العلماء ذهبوا إلى أن وقوع النوع الثانى من السحر غيرممتنع عقلاً و لا شرعاً. (٢)

أقسام السحر :

١. مايقع بخداع وتمويه فيحدث تخيّلات لا حقيقة لها ، و هو ما يفعله المشعوِذُون بحذق ... فيصرفون الأنظار عما يتعاطونه بشعوذتهم .

١ـ النجوم اللامعة (ص: ٣٥٠) بتصرف.

٢ـ انظر تكملة فتح الملهم (١٧٧:١٧٨) للشيخ تقى العثمانى .

٢. ما يقع بالرقى و النفثِ فى العقد و تصويره صورة المسحور ، و التأثير فيه بأمور يصنعونها من تلاوة و قراءةٍ و كتابةٍ و رسوم يتوصّلون بها إلى الأذى و الشر...، و هذه الرقى و العزائم التى يتلونها قد تكون مشتملة على أسماء الله الحسنى ، أو أسماء ملائكته الكرام ، و قد تكون العزيمة مشتملة على أيمان و أقسام عظيمة تلجئ الأرواح إلى الطاعة لتنفيذ مايطلبونه منها ، و هذه الرقى التى يقرؤهاالسحرة قد تكون معلومة و قد تكون غير معلومة المعنى ، بل هى ألفاظ مجهولة كأنها رطانة أو كلمات سريانية ، كأنها أسماء للجنّ .

٣. ما يقع عن طريق الطلسمات و الخواتيم التى تكتب بطريقة خاصة مغايرة للكلمات العربية ، أو أحرف عربية مقطعة لاصلة بينها ، موضوعة بطريقة خاصة ، و حقيقتها نفس أسماءٍ خاصة لها تعّلقٌ بالأفلاك ، و كذلك الأوقات التى ترجع إلى مناسبات الأعداد ، وجعلها على شكل مخصوص .

٤. مايقع بواسطة الكواكب والنجوم.

٥. مايقع باستخدام الشياطين بضرب من التقرّب إليهم والإتصال بهم واستخدامهم وتسخيرهم فى قضاء المصالح ، أو ايقاع الضرر و الأذى بالخلق ، اوالإتيان بأخبارهم الماضية عن طريق إتصاله بالقرين و هذا أشد أنواع السحر و اخطره ... ، فالشياطين لا تُسخرَله و لا تقضى حوائجه إلا إذاا أطاعها فيما تطلبه منه ، و هى خبيثة كافرة ، لا تطلب من المؤمن إلا الكفر و الضلال.[1]

١ـ الفقه على المذاهب الأربعة (٥: ٤٦٥ـ ٤٦٨)مع بعض اختصار .

حكم السحر وجزائه:

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله في كتابه المغني (١٠:١١٤ - ١١٥) :(إذا ثبت هذا فإنه تعلمه و تعليمه حرام ، لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم . قال أصحابنا أي الحنابلة و يكفر الساحر بتعلمه و فعله سواء اعتقد تحريمه أو اباحته ...، و قال أصحاب أبي حنيفة : إن اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء كفر ، و إن اعتقد أنه تخيّل لم يكفر . و قال الشافعي : إن اعتقد ما يوجب الكفر مثل التقرب إلى الكواكب السبعة و أنها تفعل ما يلتمس ، أو اعتقد حل السحر كفر ، لأن القرآن نطق بتحريمه ،وثبت بالنقل المتواتر والإجماع عليه و إلا فسق و لم يكفر). ثم قال (وحد الساحر القتل رُوِيَ ذلك عن عمر ، و عثمان بن عفان ، وابن عمر ، و حفصة ، و جندب بن عبد الله ، و جندب بن كعب ، و قيس بن سعد ، و عمر بن عبد العزيز ، و هو قول أبي حنيفة و مالك ، و لم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر ، و هو قولُ ابن المنذر و رواية عن أحمد قد ذكرنا ها فيما تقدم ، ووجه ذلك أن عائشة رضي الله عنها باعت مدّبرة سحرتها و لو وجب قتلها لما حلّ بيعها ، و لأن النبي ﷺ قال : (لا يحّلُ دمُ امرىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، اوزناً بعد احصان أو قتل نفس بغير حق). رواه البخاري و مسلم ، و لم يصدر منها إحدى الثلاثة فوجب أن لا يحلّ دمه و لنا أي - الحنابلة - ما روى جندب ابن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال : (حد الساحر ضربه بالسيف) رواه الترمذي .

العلاج للعين والسحر :

١ .تخلط ملعقة سدر مطحون ٢. ملعقة شب مطحون ٣. ملعقة ملح مطحون ، و توضع في وعاء الماء المجهّز للإغتسال فقط و تقرأ في الماء المخلوط معه السدر و

الملح و الشب تقرأ فيه بنفسك أو بغيرك السور والآيات التالية :

سورة الفاتحة و سورة الإخلاص و المعوذتين سورة الفلق و سورة الناس و سورة قريش و آية الكرسي و آخر ثلاث آيات من سورة يونس و آخر آية من سورة الاسراء و آخر آية من سورة الكهف و آيات السحر في سورة طه وسورة يونس و الشعراء و سورة الأعراف ثم هذا الدعاء : (اللهم ربّ النّاس أذهب البأس اشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً) . ثم يتم الإغتسال بهذا الماء المقروء فيه في أي مكان مستور أو داخل دورة المياه.و مما يقرب إلى ملحقات الكهانة والعرافة :

١ـالمسّ:

و هو دخول الجنّ في بدن الإنسان مما يؤدي إلى الصرع فيقال به مسّ أو صرع

١ . قال تعالى :﴿الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ الرِّبَا لَا يَقُوْمُوْنَ إِلَّا كَمَا يَقُوْمُ الَّذِيْ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾(البقرة:٢٧٥) قال الإمام القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) (٣:٣٥٥) . في هذه الآية دليل على فساد إنكار من أنكر الصرع من جهة الجنّ و زعم أنه من فعل الطبائع و أن الشيطان لا يسلك في الإنسان و لا يكون منه مسٌّ) و ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه : أن الجن يدخلون بدن المصروع مستدلاً بهذه الآية و قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قلت لأبي : إن قوماً يقولون إن الجنّ لا يدخل المصروع من الإنس ، فقال :يا بُنَيَّ يكذبون ، و هو ذا يتكلم على لسانه كذا في لقط المرجان في أحكام الجان (ص٨٨ـ٨٩) .

٢ . و عن جابر رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرّقاع حتى إذا كنا بحرة واقم عرضت امرأة بدوية بإبن لها فجاء ت إلى رسول الله ﷺ فقالت

: يـا رسـول الله هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان ، فقال : (ادنيه منى) فأدنته منه قال افتحى فـمـه فـفـتـحـه فبـصق فيه رسول الله ﷺ ثم قال (اخسأ عدو الله و أنا رسول الله) ، قالها ثلاث مرات ثم قال : (شأنك بإبنك ليس عليه فلن يعود إليه شيئ مما كان يصيبه ...)

قـال الهيثـمـى : رواه الـطبرانى فى الأوسط و البزار بإختصار و فيه عبد الحكيم بن سفيان ذكره ابن أبى حاتم و لم يجرحه أحد ، و بقية رجاله ثقات.

٣.عـن يـعلـى بـن مرة قال و كيع مرة عن أبيه أن امرأة جاء ت إلى النبى ﷺ معها صبـى لهـا به لمم فقال النبى ﷺ : أخرج عدو الله أنا رسول الله قال فبرئ قال : فأهدت اليـه كبشين و شيئاً من سمن و أقط ، قال :فقال النبى ﷺ : (خذ الأقط و السمن و أحد الـكبشيـن و رد عليها الآخر) رواه أحمد و قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح . كذا فى "وقاية الإنسان".

علاج المس :

عـن عبـد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال : كنت جالساً عند النبى ﷺ إذا جاءه اعـرابـى فـقـال : إن لـى أخـا و جـعاً قال : (و ما وجع أخيك ، قال : به لمم قال : إذهب فـائتـنـى به قال : فذهب فجاء به فأجلسه بين يديه فسمعته عوذه بفاتحة الكتاب و أربعة آيـات مـن أول سـورة البـقـرة و آيتين من وسطها (إلهكم إله واحد) و آية الكرسى و ثلاث آيات من خاتمتها و آية من آل عمران أحسبه قال : (شهد الله أنه لا إله إلا هو) و آية من الأعراف:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾و آية من المؤمنين :﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ و آية من الجن:﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ و عشـر آيـات مـن أول الـصافـات و ثـلاث مـن آخـر الحشر :﴿قل هو الله أحد﴾

والمعوذتين فقام الأعرابی قد برأ ليس به بأس . رواه ابن ماجه و فی اسناده أبو جناب و رواه الحاكم و قال : هذا الحديث محفوظ صحيح اهـ .

كذا قال رغم أنه رواه من طريق أبی جناب و رواه أبو يعلی عن عبد الرحمن بن أبی ليلی عن رجل عن ابيه.. كذا فی "وقاية الإنسان".

٢. الاصابة بالعين : قال رسول الله ﷺ : (العين حق) ، و نهی عن الوشم ، رواه البخاری قال الحافظ ابن حجر فی كتاب الطب من فتح الباری (١:٢) (والعين نظر باستحسان مشوبٌ بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظورمنه ضررٌ و قد وقع عند أحمد ، من وجه آخر ، عن أبی هريرةؓ رفعه : (العين حق ، و يحضرها الشيطان و حسد ابن آدم) ، قال الخطابی : فی الحديث أن للعين تأثيراً فی النفوس ، و إبطال قول الطبائعيين إنه لا شيئ إلا ما تدركه الحواس الخمس ، و ما عدی ذلك لا حقيقة له ...) أن الذی يتمشی علی طريقة أهل السنة أن العين إنما تضُر عند نظر العائن بعادة أجراها الله أن يحدث الضرر عند مقابلة شخص لآخر ، و هل ثم جواهر خفية أو لا ؟ هو أمر محتمل لا يقطع بإثباته و لا نفيه". ثم قال الحافظ بعد ذلك : (و أخرج البزّار بسندٍ حسن عن جابر رفعه : (أكثر من يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس) ، قال الراوی : يعنی بالعين ...).

قال الشيخ أحمد عز الدين البيانونی فی كتابه (الإيمان بالملائكة) ص ٢١٧-٢١٨ : (فی الحديث الشريف (العين حق) و زاد فی رواية : (و لو كان شيئ سابق القدر لسبقته العين ، و إذا استغسلتم . طلب منكم الغسل ، فاغسلوا) رواه مسلم و الترمذی و بيان الغسل كما جاء فی الحديث أنه يغسل العائن و جهه و يديه إلی

المرفقين، و من سُرّته إلى أسفل جسم، و يوضع الماء فى قدح، و يُصبّ على المعين على رأسه و ظهره، ثم يكفأ القدح فيبرأ بإذن الله كذا جاء فى حديث رواه أحمد والنسائى وابن حبان.

و فى حديث آخر: (كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين) رواه أبو داود ... وعن أم سلمة رضى لله عنها أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة. أى سوادٌ أو حمرةٌ يعلوها سواد أو صفرةٌ. فقال: (استرقوا لها فإن بها النظرة) رواه البخارى و مسلم.

و من الرقى رقية جبريل عليه السلام لسيدنا محمد ﷺ ففى الحديث الشريف عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ فقال: اشتكيت ؟ أى مرضت. قال: (نعم) قال: باسم الله أرقيك من كل شيئ يوذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك (رواه مسلم و الترمذى)

و كان النبى ﷺ يُعوذ الحسن و الحسين يقول: (أعيذ كما بكلمات الله التامة، من كل شيطان و هامّة، و من كل عين لامّة) ثم يقول: (كان أبو كما ابراهيم يُعوذ بها اسماعيل و اسحاق) رواه البخاى و الترمذى و أبو داود) و مما يدفع العين التبريك قال عليه الصلاة و السلام لعامر: (ألا برّكتَ من حديث طويل) رواه مسلم مالك و غيره، والتبريك أن يقول: (تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم بارك فيه) و فى الخبر: (من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم تضرّه عين) كذا فى كتاب الإيمان بالملائكة.

حكم الرقى وكتابة التعويذات:

و فى أحكام القرآن (ص ٢٧٥) : و قال النواوى : اما الرقى بآيات القرآن و بالأذكار المعروفة فلا نهى فيه بل هو سنة . و قال بعد سطر: و قد نقلوا الإجماع على جواز الرقى بالآيات و اذكار الله تعالى قال المازرى : جميع الرقى جائزة إذ كانت بكتاب الله أو بذكره و منهى عنها إذا كانت باللغة العجمية أو بما لا يدرى معناه لجواز أن يكون فيه كفر.

قال ابن حجر : قد اجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

١): أن يكون بكلام الله أوباسمائه و صفاته.

٢) : باللسان العربى و بما يعرف معناه من غيره.

٣): أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى . ثم قال : و قال قوم لا تجوز الرقية إلا من عين أو حمة (كما فى الحديث) : و اجيب: بأن معنى الحصر فيه أنهما أصل كل ما يحتاج إلى الرقية فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل أو مس و نحو ذلك لإشتراكها فى كونها تنشأ عن أحوال شيطانية من انسى أو جنى و يلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح و نحوه من المواد السمية . و قيل : المراد بالحصر معنى الأفضل أى لا رقية انفع ، كما قيل لا سيف إلا ذوالفقار. و قال قوم : المنهى عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء ، و الماذون فيه ما يكون بعد وقوعه ذكره ابن عبد البر ، و البيهقى ، و غيرهما . و فيه نظر : كأنه مأخذ من الخبر الذى قرنت فيه التمائم بالرقى . فاخرج أبو داود و ابن ماجة و صححه الحاكم ، من طريق ابن أخى زينب امرأة ابن مسعود عنها ، عن مسعود رفعه : "إن الرقى و التمائم و التولة شرك" و إنما كان ذلك من الشرك لأنهم

أرادوا دفع المضار و جلب المنافع من عند غير الله و لا يدخل في ذلك ما كان باسماء الله و كلامه.... إلى أن قال :

قال العيني: قال ابن الأثير : و قد جاء في بعض الأحاديث جواز الرقى ، و في بعضها النهى عنها ، فمن الجواز قوله ﷺ : "استرقوا لها فإن بها النظرة" أى اطلبوا لها من يرقيها . و من النهى قوله ﷺ : "لايسترقون و لا يكتوون". و الأحاديث في القسمين كثيرة و وجه الجمع بينهما أن الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان العربى و بغير اسماء الله تعالى و صفاته و كلامه في كتبه المنزلة و أن يعتقد أن الرقية نافعة لا محالة فيتكل عليها و اياها اراد بقوله ﷺ ما توكل من استرقى و لا يكره منها ما كان بخلاف ذلك كالتعوّذ بالقرآن و اسماء الله تعالى والرقى المروية.

و قال النواوى : فأجاب العلماء عنه بأجوبة . احدها : كان نهى اوّلا ثم نسخ ذلك و اذن فيها وفعلها واستقر الشرع على الاذن . و الثانى : إن النهى عن الرقى المجهولة كما سبق. و الثالث : أن النهى لقوم كانوا يعتقدون منفعتها و تأثيرها بطبعها كما كانت الجاهلية تزعمه في اشياء كثيرة.

و قال العلامة محمد تقى العثمانى فى كتابه الشهير "تكملة فتح الملهم" [۱۸۷:٤-۱۸۸] : ثم إن الأصل في باب الرقية أن تكون بقراءة القرآن الكريم أو بعض أسماء الله تعالى أوصفاته ، و ينفث بها المريض ، و قد ثبت ذلك من النبى ﷺ في عدة أحاديث . أما كتابة المعوّذات و تعليقها في عنق الصبيان و المرضى ، أو كتابتها و سقى مدادها للمريض ، فقد ثبت عن عدة من الصحابة و التابعين رضى الله عنهم .

و قد أخرج ابن أبى شيبة فى مصنفه عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ،

قال: قال رسول الله ﷺ : إذا فزع أحدكم فی نومه فلیقل : بسم الله ، أعوذ بكلمات التّامات من غضبه و سؤ عقابه ، و من شرّ عباده ، و من شرّ الشیاطین و أن یحضرون . فكان عبد الله (یعنی ابن عمرو رضی الله عنه یعّلمها ولده ، من أدرك منهم ، ومن لم یدرك كتبها و علّقها علیه) .

وأخرج ابن أبی شیبة أیضاً عن أبی عصمة قال : سألت سعید بن المسیّب عن التعویذ ، فقال :(لا بأس إذا كان فی أدیم)، و أخرج عن عطاء فی الحائض یكون علیها التعویذ ، قال : (إن كان فی أدیم فلتنتزعه ، و إن كان فی قصبة فضة فإن شاء ت وضعته ، و إن شاء ت لم تضعه) ، و أخرج عن مجاهد أنه كان یكتب للناس التعویذ فیعلقه علیهم و أخرج عن أبی جعفر، و محمد بن سیرین ، و عبید الله بن عبد الله بن عمر ، و الضحاك ما یدل علی أنهم كانوا یبیحون كتابة التعویذ و تعلیقه ، أو ربطه بالعضد و نحوه و قال الحافظ ابن تیمیة رحمه الله فی فتاواه : (و یجوز أن یكتب للمصاب وغیره من المرضی شیئًا من كتاب الله و ذكره بالمداد المباح ، و یغسل و یسقی ، كما نصّ علی ذلك أحمد و غیره ، قال عبد الله بن أحمد : قرأت علی أبی ، ثنا یعلی بن عبید ، ثنا سفیان ، عن محمد بن أبی لیلی ، عن الحكم ، عن سعید بن جبیر ، عن ابن عباس قال : إذا عسر علی المرأة ولادتها فلیكتب : بسم الله لا إله إلا الله الحلیم الكریم سبحان الله رب العرش العظیم ، الحمد لله رب العالمین (كأنهم یوم یرونها لم یلبثوا إلا عشیّة أو ضحاها) ، (كأنهم یوم یرون ما یوعدون لم یلبثوا إلا ساعة من نهار . بلغ فهل یهلك إلا القوم الفاسقون).

قال أبی : حدثنا أسود بن عامر بإسناده بمعناه و قال : یكتب فی إناء نظیف

فيسقى . قال أبى : وزاد فيه وكيع : فتَسقى و ينضح ما دون سُرّتها . قال عبد الله :رأيت أبى يكتب للمرأة فى جام أو شيئ نظيف)

ثم أخرج ابن تيمية رحمه الله أثر ابن عباس هذا من طريق آخر ، و قال فى آخره :(قال علىّ (يعنى ابن الحسن بن شقيق راوى الأثر) :يكتب فى كاغدة فيعلق على عضد المرأة . قال على : و قد جرّ بناه فلم نر شيئاً أعجب منه . فإذا وضعت تحّله سريعاً ، ثم تجعله فى خرقة أو تحرقه).

و فى هذه الآثار حجة على من زعم فى عصرنا أن كتابة التعاويذ و سقيها أو تعليقها ممنوع شرعاً ، وقد توغل بعضهم حتى زعم أنه شرك ، و استدل بما أخرجه أبو داود عن زينب امرأة عبد الله ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الرّقى والتمائم والتولة شرك) ولكن فى تمام هذا الحديث ما يرد على هذا الاستدلال و فيه : (قالت : قلت : لم تقول هذا و الله لقد كانت عينى تقذف و كنت اختلف إلى فلان اليهودىّ يرقينى ، فإذا رقانى سكنت ، فقال عبد الله : إنما ذلك عمل الشيطان ، كان ينخسها بيده ، فإذا رقاها كف عنها : إنما كان يكفيك أن تقولى كما كان رسول الله ﷺ يقول : إذهب البأس ربّ الناس ... الخ)

فدل هذا الحديث صراحة على أن الرقية الممنوعة فى الحديث إنما هى رقية أهل الشرك التى يستمدون فيها لشياطين وغيرها ، أما الرقية التى لا شرك فيها ، فإنها مباحة ، و قد ثبتت عن النبى ﷺ بأحاديث كثيرة ، كذلك الحال فى التمائم ، فإنها جمع تميمة و كانت خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم ، يزعمون أنها مؤثرة بذاتها.

قال الشوكانى ، وهو يشرح حديث أبى داود فى نيل الأوطار : (جعل هذه الثلاثة

من الشرك لاعتقادهم أن ذلك يؤثر بنفسه) و قال ابن عابدين فى رد المحتار :(و فى الشلبى عن ابن الأثير : (التمائم جمع تميمة ، و هى خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين فى زعمهم ، فأبطلها الإسلام ... لأنهم يعتقدون أنها تمام الدواء و الشفاء ، بل جعلوها شركاً ، لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم ، و طلبوا دفع الأذى من غير الله تعالى الذى هو دافعه) . فتبيّن بهذا أن التمائم المحرمة لا علاقة لها بالتعاويذ المكتوبة المشتملة على آيات من القرآن أو شيئ من الذكر، فإنها مباحة عند جماهير فقهاء الأمة ، بل استحبها بعض العلماء إذا كانت بأذكار مأثورة ، كمانقل عنه الشوكانى فى النيل . والله اعلم.اهـ

تنبيه:- و لا يعنى جواز تعليق التعاويذ و كتابتها للناس أن يتخذ هذا الجواز ذريعة لنهب أموال الناس وهتك اعراضهم فإنا نرى اليوم بعض الذين يتزيون بزى العلماء و أهل الصلاح يخدعون الناس و يقولون لهم إذا راجعوهم فى مرض أو شكوى فلان سحرك ... و عندى طريقة إبطاله فيطلبون منه التيس الأسود و الديك الأحمر و غير ذلك من الأموال فهؤلاء الطرقية لهم تجربة فى تخديع النساء و إيقاعهن فى الأوهام و الأباطيل حتى يقعن فى شبكتهم و أكثر هؤلاء السحرة! فلذلك يجب على العلماء أن يفهموا الناس والنساء خصوصاً أن لا يراجعوا إلا من له الصلاح والدين و إلا فنتائج هذه الأعمال خطيرة حفظ الله الأمة الإسلامية من شرورهم.

قال : و نرى الجماعة حقاً و صواباً والفرقة زيغاً و عذاباً و دين الله فى الأرض و السماء واحد ، و هو دين الإسلام قال الله تعالى:﴿ إِنَّ الدِّيْنَ عِندَ اللّٰهِ الإِسْلاَمُ ﴾ (آل عمران : ١٩) و قال تعالى:﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيْناً ﴾و هو

بين الغلو والتقصير ، و بين التشبيه و التعطيل و بين الجبر و القدر ، و بين الأمن و اليأس ، فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً . و نحن برء اء إلى الله من كل من خالف الذى ذكرناه و بيناه .

الشرح:۔

و نعتقد أن جماعة أهل السنة والجماعة على الحق والسداد و الرشد والهداية ، و أن الفرقة ميلان عن القصد و ضلال و غواية و عذاب من الله لأن من شذّ شُذ فى النار و يد الله على الجماعة و الدين الذى كلفنا الله به هو واحد فى الأرض والسماء و هو دين الإسلام . قال الله تعالى :﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(آل عمران :٨٣) و قال الله تعالى﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ﴾ (آل عمرا ن :١٩) قال فى تفسير ابن كثير (٣٦:٢) : (إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام ، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به فى كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ ، الذى سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ فمن لقى الله بعد بعثة محمدﷺ بدين على غير شريعة فليس بمتقبل).

و قوله تعالى ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾ أى اخترت لكم الإسلام دينا . فهذا الإسلام الذى اختار الله لنا هو الوسط بين الإفراط والتفريط و بين التشبيه : يشبه أصحابه الخالق بالمخلوقات والتعطيل : يهمل أصحابه النصوص القطعية فلا يعملون بها و بين الجبر : يرى أصحابه أن العباد مجبورون على افعالهم لا اختيار لهم فيها والقدر : يرى أصحابه أن كل إنسان خالق لفاعله ، و ينكرون القدر و بين الامن : من تدبير الله له من العقوبة و اطمئنانه و عدم خوفه و اليأس : من انقطاع أمله و انتفاء طمعه

، و قنوط من رحمة الله فهذا الذى ذكرناه من عدم الإفراط و التفريط و غيرها فهو اعتقادنا و ديننا ظاهراً و باطناً و نحن برئيون من كل من خالف هذا الاعتقاد الذى وضحناه.

ضرورة الوحدة:

الوحدة ركن أساسى لبنيان الإسلام وهو أمر قد أمرنا الله به قال تعالى :﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾(آل عمران:١٠٣)وقال رسول الله ﷺ : (عليكم بالجماعة و إياكم والتفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، و هو مع الإثنين أبعد ، و من أراد بحبوحة الجنة فليزم الجماعة) رواه أحمد والترمذى والنسائى .

و اخطر الأسلحة الفتاكة التى يحارب بها الوجود الإسلامى فى بلاد المسلمين هو تقطيع جذور التواصل والتضامن والتآخى بين المسلمين والدليل عليه هو التقرير الصادر عام ١٩٩١م من مجلس الأمن القومى الأمريكى فقد تضمن شطره الأول بيان خطورة الإسلام على الحضارة الغربية بشطريها الأوربى و الأمريكى ، و تضمن شطره الثانى البنود التى يجب أن تنفذ للقضاء عليه فى مهده ، و تجفيف معينه و أول هذه البنود : إثارة التناقض فى مضمون الأفكار و العقائد الإسلامية !! ... على حد تعبير التقرير ، ثانيهما : تأليب المسلمين بعضهم على بعض !! إلى آخر التقرير فعلى المسلم المخلص الصادق أن يسعى جهد استطاعته على سد الثغرات المصطنعة بين فئات المسلمين و مد المزيد من جسور التآلف و التضامن ، ولا يكونوا من جنود الذين يسهرون على وضع المخططات المتتابعة للقضاء على الإسلام و أهله ، ينفذون خططهم ، يبعثون المزيد من أسباب الشقاق فيما بينهم و يوقظون عوامل الفتنة فيما بينهم لأتفه الأسباب التى كان المسلمون من سلفنا الصالح يغمضون العين عنها و

يجعلونها فداء لوحدة الأمة و جمع شملها.

ففى هذا اليوم العصيب والوقت الذى تعصف فيه بالأمة الإسلامية ريح هو جاء ، تكاد تأتى على جذورها وفى الوقت الذى يجب فيه وأد الخلافات ، والوقوف صفاً واحداً أمام هجمات أعداء الإسلام التى تحاصر و تحاول القضاء على جذوة هذا الدين يأبى فريق من الناس إلا نكأ جراح الأمة و إثارة الخلافات بدافع سوء الظن بالأمة الإسلامية دون تعقل ، و إنما ركوباً لمسالك الهوى و عصبية فى الرأى يتحولون فى الناس أن الاختلاف حرام و هم يقصدون بالاختلاف إختلاف الأئمة أصحاب الإجتهاد و هذا باطل لأن الصحابة والتابعين اختلفوا فى كثير من المسائل فعائشة رضى الله عنها خالفت ابن عباس رضي الله عنه وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم فى أن محمداً ﷺ رأى ربه ... وجمهور الأمة على قول ابن عباس رضي الله عنه مع أنهم لا ينكرون على المانعين الذين وافقوا أم المؤمنين رضى الله عنها ... ، كما ثبت عن رسول الله ﷺ ... و أم المؤمنين تأولت ، و كذلك معاوية رضى الله عنه نقل عنه فى أمر المعراج أنه قال : إنما كان بروحه ، والناس على خلاف معاوية رضى الله عنه و مثل هذا كثير ، و أما الاختلاف فى الأحكام فأمثلته فى الترمذى و غيره من كتب الحديث اكثر من أن تحصر .

واختلاف الأئمة فى الاجتهادات فى الواقع رحمة. يفترون على المذاهب ليبدأ الناس تقليدهم و إليك ما جاء فى مجلس المجمع الفقهى الإسلامى :(فهذا النوع الثانى من اختلاف المذاهب ، و هو الاختلاف الفقهى ،ليس نقيصة و لا تناقضاً فى ديننا ، و لا يمكن أن لا يكون لأن النصوص الأصلية كثيراً ما تحتمل أكثر من معنى واحد ، كما أن النص لا يمكن أن يستوعب جميع الوقائع المحتملة ، لأن النصوص

محدودة،والوقائع غير محدودة ، كما قال جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى ، فلا بد من اللجوء إلى القياس ، والنظر إلى علل الأحكام و غرض الشارع والمقاصد العامة للشريعة، و تحكيمها في الواقع والنوازل المستجدّة .

و في هذا تختلف فهوم العلماء و ترجيحاتهم بين الاحتمالات ، فتختلف أحكامهم في الموضوع الواحد ، و كل منهم يقصد الحق و يبحث عنه ، فمن أصاب فله أجران و من أخطأ فله أجر و احد و من هناتنشأ السعة ويزول الحرج فأين النقيصة في وجود هذا الاختلاف المذهبي الذى اوضحنا ما فيه من الخير والرحمة ، و أنه في الواقع نعمة و رحمة من الله بعباده المؤمنين ، و هو في الوقت ذاته ثروة تشريعية عظمى و مزية جديرة بأن تتباهى بها الأمة الإسلامية، و لكن المضلّلين من الأجانب الذين يستغلّون ضعف الثقافة الإسلامية لدى بعض الشباب المسلم ، و لا سيما الذين يدرسون لديهم في الخارج ، فيصورون لهم اختلاف المذاهب الفقهية هذا ، كما لو كان اختلافاً اعتقادياً ليوحوا إليهم ظلما و زوراً . بأنه يدُلُّ على تناقض الشريعة دون أن ينتبهوا إلى الفرق بين النوعين ، و شتان ما بينهما !!

ثانياً : و اما تلك الفئة الأخرى التى تدعوا إلى نبذ المذاهب ، و تريد أن تحمل الناس على خط إجتهادى جديد لها ، تطعن في المذاهب الفقهية القائمة ، وفي أئمتها ، أو بعضهم : ففي بياننا الآنف عن المذاهب الفقهية ، و مزايا وجودها و أئمتها : ما يوجب عليهم أن يكفّوا عن هذا الأسلوب البغيض الذى ينتهجونه و يضللّون به الناس و يشقّون صفوفهم ويفرّقون كلمتهم ، في وقت نحن أحوج ما تكون إلى جمع الكلمة في مواجهة التحديات الخطيرة من اعداء الإسلام بدلاً من هذه الدعوة المفرّقة التى لاحاجة إليها)

نموذج الدعاة الصادقين:

لا يوجد عالم مخلص إلا ويسعى فى إحياء السنة النقية و إماتة البدعة لكن المنع من البدع المنكرة غير رمى الناس بالشرك بأتفه الأسباب ، و إن لابس زيارة بعض العامة أو توسله شيئ من البدع فالواجب على العالم أن يرشده إلى السنة برفق لا أن يرميه بالشرك و يستبيح ما له و دمه مع أن فى الزيارة والتوسل أدلة من الكتاب والسنة و أقوال الأئمة يخضع له كل من يعى ما يقال له كما قال الإمام الكوثرى وإليك نموذج الدعاة الذين دعوا الناس بالحكمة و الموعظة الحسنة و طريقتهم أنجح الطرق فى أساليب الدعوة : و هو أنه لما وقعت مزار شريف فى أيدى العلماء فى التسعينات رأوا ضريحاً منسوباً إلى على رضى الله عنه فى قلب مزار شريف و ليس أىّ ثبوت أن هذا القبر لسيدنا على رضى الله عنه، وكان مركزاً للبدع: إذا وصل الزائرون إلى عتبة باب الزيارة بدأوا يمسحون العتبة ثم يمرون الأيدى على الوجه فإذا دخلوا الصفة التى قبل الضريح فإذا بقدر كبيرة منسوبة و عليها اقفال فيجرون الاقفال و يمسحون بالقدر تبركا بها فإذا دخلوا الضريح إذا هم يطوفون عليه و يمسحون بأسواره فاتفقوا على أن يأمروا بعض السدنة فى الضريح أن يقف البعض عند الباب المركزى و من تمسح بعتبته منعه و وعظه بلطف و البعض مع القدر ، فمن جاء من الزوار إلى القدر ليمسحوا بها منعه، والبعض الآخر منهم كانو واقفين فى داخل الضريح فكان إذا تمسح أحد بالضريح منعوه و ضربوا من الضريح إلى الجدار سوراً حديدياً فمنعوا من الطواف ثم وضعوا فى الضريح مسجلا مشغولا سجل فيه تقرير العلماء يبين فيه طريقة الزيارة و آداب الزيارة و ما يجوز فيها و ما لا يجوز باللغة البشتو والفارسية و الأزبكية و التركمنية فهذه الطريقة

كانت أنجح الطرق.

وكما أن أكبر الكبائر الإشراك بالله فكذلك من أكبر الكبائر قتل المسلم، فتعليم المسلم أحسن من قتله والدين النصيحة، فإن من كان بين العامة من يخطئ في مراعاة أدب الزيارة و التوسل فمن واجب أهل العلم إرشادهم إلى الصواب برفق، و أن رمي المسلم بالإشراك بسبب التوسل ما هو إلا تصور يرجع ضرره إلى الرامي.

قال السقاف في صحيفة (٦٢٧): (فصل في بيان بطلان حديث الإفتراق و أما حديث الإفتراق فهو حديث باطل لضعف اسناده و لبطلان معناه)

أقول لا حقيقة لكلامه أما أولا فلأن الحديث الذي رواه الترمذي قال فيه: قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح فلأي غرض يريد ضعفه و قوله في اسناده من حديث أبي هريرة محمد بن عمرو بن علقمة و هو ضعيف.

فصير في الحديث الإمام الذهبي يقول فيه في الميزان (٦٤١/٧): (حسن الحديث) و نقل بعض من وثقه.

و قوله في صحيفة (٦٢٩): (فمعنى ذلك الحديث باطل بصريح القرآن الكريم الذي قرّر بأن هذه الأمة خير الأمم و أفضلها)

أقول أفضلية هذه الأمة لا يلزم منها أن لا تكون في هذه الأمة الفرق قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) (الأنعام:١٥٩) والقول الثالث قال مجاهد: إن الذين فرقوا دينهم من هذه الأمة، هم أهل البدع و الشبهات.

واعلم أن المراد من الآية الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة، و أن لا يتفرقوا في الدين و لا يبتدعوا البدع. فأصبح معنى الآية و الحديث صحيحاً لأن في

الآية الاجتناب عن الفرق والحديث كذلك يعلمنا أن نجتنب الفرق الباطلة و نتمسك بطريق الصحابة الكرام رضى الله عنهم فكيف يقول ببطلان الحديث بهذه الآيات.

قوله : (و يؤكد بطلان هذا الحديث من حيث متنه و معناه أيضا أن كل من صنف فى الفرق كتب اسماء فرق يغاير فى كتابه لما كتبه الآخر....)

أقول وهذه مغالطة و فى المرقاة: (و اعلم أن أصول البدع كما نقل فى المواقف ثمانية: المعتزلة القائلون بأن العباد خالقوا أعمالهم (كمايقول به السقاف) و بنفى الرؤية (كما يقول به السقاف) و بوجوب الثواب والعقاب و هم عشرون فرقة. والشيعة المفرطون فى محبة على كرم الله وجهه و هم اثنان و عشرون فرقة، والخوارج المفرطة الكفرة له رضى الله عنه ، و من أذنب كبيرة و هم عشرون فرقة و المرجئة القائلة بأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة و هى خمس فرق ،و البخارية الموافقة لأهل السنة فى خلق الأفعال و المعتزلة فى نفى الصفات و حدوث الكلام و هم ثلاث فرق ، والجبرية القائلة بسلب الاختيار عن العباد فرق واحدة ، والمشبهة الذى يشبهون الحق بالخلق فى الجسمية و الحلول فرقة أيضا فتلك اثنتان وسبعون فرقة كلهم فى النار ، والفرقة الناجية هم أهل السنة والبيضاء المحمدية و الطريقة النقية الأحمدية .

فالأصول لهؤلاء الفرق ثمانية والواقع يشهد بذلك و يثبته .

و قوله : أن متن الحديث مضطرب: لم يذكر لنا السقاف من قال فى الحديث أنه مضطرب و إذا نظر فى الحديث بنظر غائر يدفع الاضطراب و يوفق بين الإختلاف والحديث مشهور اخذ به العلماء و رفعوا الاضطراب و فى "كشف الخفاء و مزيل

الالباس" (١٦٩/١ و مابعدها) : "رواه ابن أبي الدنيا عن عوف بن مالك و رواه أبو داود والترمذي و الحاكم و ان حبان و صححوه عن أبي هريرة بلفظ افترقت اليهود على احدى أو اثنتين و سبعين فرقة، والنصارى كذلك، و تفترق أمتي على ثلاث و سبعين فرقة، و كلهم في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه و أصحابي، و رواه الشعراني في الميزان من حديث ابن النجار و صححه الحاكم بلفظ غريب، و هو ستفترق أمتي على نيف و سبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة، و في رواية عند الديلمي الهالك منها واحدة، قال العلماء هي الزنادقة انتهى، و في هامش الميزان المذكور عن أنس عن النبي ﷺ بلفظ تفترق أمتي على بضع و سبعين فرقة، كلها في الجنة إلا واحدة و هي الزنادقة، قال و في رواية عنه أيضا تفترق هذه الأمة على بضع و سبعين فرقة، إني أعلم أهداها : الجماعة انتهى، ثم رأيت ما في هامش الميزان مذكوراً في تخريج أحاديث مسند الفردوس للحافظ ابن حجر و لفظه تفترق أمتي على بضع و سبعين فرقة، كلها في الجنة إلا واحدة و هي الزنادقة، أسنده عن أنس، قال و أخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن أنس بلفظِ أهداها فرقة الجماعة انتهى، فلينظر مع المشهور، و لعل وجه التوفيق أن المراد بأهل الجنة في الرواية الثانية و لو مآلا فتأمل، و في الباب عن معاوية و أبي الدرداء و ابن عمرو و ابن عباس و سعد بن أبي وقاص و ابن عمر و واثلة و أبي أمامة، و رواه الترمذي عن ابن عمر بلفظ ستفترق أمتي ثلاثا و سبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قيل و من هم ؟ قال الذين هم على ما أنا عليه و أصحابي؛ و رواه ابن الجوزي في كتاب تلبيس ابليس بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال تفرقت اليهود على إحدى و سبعين فرقة، أو إثنتين و سبعين فرقة،

والنصارى مثل ذلك ، و تفترق أمتى على ثلاث و سبعين فرقة ، قال الترمذى حديث حسن صحيح ، و فيه أيضاً بسنده إلى عبد الله بن عمر أنه قال قال رسول الله ﷺ ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان فيهم من اتى أمه علانية لكان فى امتى من يصنع ذلك ، و إن بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين و سبعين ملة ، و تفترق أمتى على ثلاث و سبعين ملة ، كلهم فى النار إلا ملة واحدة قالوا من هى يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه و أصحابى ، قال الترمذى حديث حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ، و فيه ايضا بسنده إلى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى و سبعين فرقة ، فهلكت سبعون فرقة ، و خلصت فرقة واحدة ، و إن أمتى ستفترق على إثنتين و سبعين فرقة ، يهلك إحدى و سبعون و يخلص فرقة ، قالوا يا رسول الله ما تلك الفرقة؟ قال فرقة الجماعة ، و قال فيه أيضا فان قيل و هل هذه الفرقة معروفة؟ فالجواب انا نعرف الافتراق و أصول الفرق و إن كان كل طائفة من الفرق انقسمت إلى فرق و إن لم نحط باسماء تلك الفرق و مذاهبها ، قال و قد ظهر لنا من أصول الفرق: الحرورية ، والقدرية ، والجهمية، والمرجئة ، والرافضة ، والجبرية ،وقد قال بعض أهل العلم أصل الفرق هذه الست، و قد انقسمت كل فرقة منها أثنتا عشرة فرقة فصارت اثنتين و سبعين فرقة انتهى ، ثم فصلها و عرف كل فرقة منها فيه ، و قد ذكرنا ذلك جميعه مع كلام الموافق و شرحه و الملل والنحل مبسوطا فى رحلتنا المسملة بالبسط لاتام فى الرحلة إلى بعض بلاد الشام ، فراجعها. كذا و فى كشف الخفاء و مزيل الألباس.

و قول السقاف : أن الصحابة افترقوا فى عهد رابع الخلفاء ، سيدنا و مولانا أمير

المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه و أرضاه إلى ثلاث فرق...)

أقول هذه ليست فرق والحق كان مع سيدنا على رضى الله و ارضاه و معاوية رضى الله عنه كان مجتهداً و عليٍ الاجتهاد أجران إن أصاب و أجر إن أخطأ و هذا هو حكم الجماعة من ا الذين اعتزلوا . و الأحاديث التى نقلها قد أجبنا وفق عقيدة أهل السنة والجماعة فلا حاجة إلى الإعادة، والذين يقولون بإرتداد الصحابة المشهورين هم الروافض و هم الخارجون عن أهل السنة والجماعة و غدرهم و عداوتهم مع الإسلام لا يخفى على أخد و أن أهدافهم المؤامرات على أهل الإسلام من يوم تأسيس نحلتها إلى يومنا هذا فلماذا يدافع السقاف عن رأى هؤلاء و يدرج عقيدتهم فى كتب أهل السنة والجماعة و يخدم الروافض فما تحت أديم السماء سنى يقول بسب الصحابة المشهورين فضلا عن ارتدادهم والعياذ بالله ، فإذا جاء الحديث فى الصحيح يوافق هواه و بدعته يكرره ، و إما إذا لم يوافق بدعته رده بزعم أنه من الآحاد ، أو أنه يخالف التنزيه (تنزيه المعتزلة)!!

و قوله : أن هذا الحديث مخالف للأحاديث الكثيرة المتواترة فى معناها التى تنص على أن "من شهد أن لا إلاه إلا الله و أن محمداً رسول الله وجبت له الجنة" . الخ و هذا باطل لأن من شهد أن لا إلاه إلا الله و أن محمداً رسول الله و انكر صحبة الصديق رضى الله عنه ، و أن الصحابة أكثرهم مرتدون إلا سبعة فهل يبقى على إسلام أم لا ؟ و دخول النار ليس فقط بسبب الكفر بل بالكبائر والبدع أيضا و هذا مذهب أهل السنة .

و قوله : (الصلاة خلف المعتزلة) أى معتزلة يقصد فإن فيهم الجماعات المتشددة و غيرها وما وضح لنا هو ذلك.

الإجتناب عن الفرق الضالة:

قال و نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، و يختم لنا به و يعصمنا من الأهواء المختلفة، و الآراء المتفرقة و المذاهب الردية مثل: المشبهة و المعتزلة والجهمية والجبرية و القدرية و غيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم برء اء و هم عندنا ضلال و أردياء، و بالله والتوفيق.

الشرح:۔

ونسأل الله تعالى أن يقيمنا على الإيمان حتى يميتنا عليه و يحفظنا من الفرق المتشتتة والأفكار المتنوعة والعقائد الهدامة، و هؤلاء المذاهب الردية نشئت من الفكر الخاطئ والفهم الزائغ فبعد صفين برزت فكرة الخوارج و بدؤا يكفرون مرتكب الكبيرة، ونتيجة للفكر الزائغ اعتزل واصل بن عطاء وأخذ ينشر مذهب الاعتزال، وقبله ظهر معبد الجهنى ودعا الناس إلى بدعة القدر وقام جهم يدفع رأى معبد و يرد عليه فوقع فى بدعة الجبر، و كان مقاتل ينشر فكرة التجسيم فقام جهم يرد عليه و ينفى ما يثبته مقاتل فأفرط في النفى فهؤلاء وغيرهم، هم من الذين خالفوا عقيدة أهل السنة والجماعة و صاحبوا أهل الضلال لأن رسولنا الكريم أمرنا أن لانخرج عن أهل السنة والجماعة قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخارى: (من خرج من الطاعة و فارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية). فهؤلاء نحن منهم برء اء و هم عندنا على الضلالة فهم سالكون غير سبيل المؤمنين و هم عندنا من أهل المنكر والمكروه والفساد فالله يحفظنا من هؤلاء و هو أملنا و هو الذى يهيء لنا أسباب الخير والهداية و مآلنا هو الله لا غير نذكر هنا الفرق الضالةالمذكورة فى المتن مع بعض التفصيل:

(١) المشبهة:

قال أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في الملل و النحل (١٠٣)

إعلم أن السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة في علم الكلام و مخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين ... تحيروا في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في متشابهات آيات الكتاب الحكيم، وأخبار النبي الأمين ﷺ فأما أحمد بن حنبل و داود بن علي الأصفهاني و جماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل: مالك بن أنس، .... و سلكوا طريق السلامة فقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة، ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعا أن الله عزوجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات، و أن كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه و مُقدِّره، و كانوا يحترزون عن التشبيه إلى غاية أن قالوا من حرك يده عند قراءة قوله تعالى: ﴿خلقت بيدي﴾ أو أشار بأصبعيه عند روايته (قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن) وجب قطع يده و قلع أصبعيه، و قالوا إنما توقفنا في تفسير الآيات و تأويلها لأمرين:

١ ـ أحدهما المنع الوارد في التنزيل... ٢ ـ الثاني: أن التأويل أمر مظنون بالاتفاق، والقول في صفات الباري بالظن غير جائز، فربما أولنا الآية على غير مراد الباري تعالى فوقعنا في الزيغ، بل نقول كما قال الراسخون في العلم (كُلٌّ من عند ربنا) آمنا بظاهره، و صدقنا بباطنه، ووكلنا علمه إلى الله تعالى، ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك، إذ ليس ذلك من شرائط الإيمان و أركانه، و احتاط بعضهم أكثر احتياط حتى لم يقرأ اليد بالفارسية، و لا الوجه، و لا الاستواء، و لا ما ورد من جنس ذلك، بل إن احتاج في

ذكره إلى عبارة عبر عنها بما ورد لفظا بلفظ فهذا هو طريق السلامة، و ليس هو من التشبيه فى شيئ.

غير أن جماعة من الشيعة الغالية ، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل : الهشاميين من الشيعة ، ومثل مضر ، و كهمس ، وأحمد الهجيمي و غيرهم من الحشوية قالوا : معبودهم على صورة ذات أعضاء و أبعاض ، إما روحانية ، و إما جسمانية ، و يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار و التمكن . . . .

ثم قال : و أما ما ورد فى التنزيل من الإستواء والوجه ، واليدين ، و الجنب ، والمجئ ، و الإتيان ، والفوقية ، و غيرذلك فأجروها على ظاهرها ، أعنى ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام ، و كذلك ما ورد فى الأخبار من الصورة وغيرها فى قوله عليه الصلاة والسلام:(خلق آدم على صورة الرحمن) و قوله (حتى يضع الجبّار قدمه فى النار) و قوله (قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ... أجروها على ما يتعارف فى صفات الأجسام . و زادوا فى الأخبار أكاذيب وضعوها و نسبوها إلى النبى عيه الصلاة و السلام ، و أكثرها مقتبسة من اليهود ، فإن التشبيه فيهم طباع) اهـ.

(٢) المعتزلة :

سبب تسميتهم بهذا الاسم : سئل الحسن البصرى الزاهد المتوفى سنة ١١٠ عن صاحب الكبيرة هل يكفر ؟ ففكر الحسن فيه و قبل أن يجيب قال واصل بن عطاء المتوفى سنه ١٣١ أنا لا أقول إن صاحب الكبير ة مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق بل هو فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن و لا كافر ثم اعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به ، فقال الحسن اعتزلنا فسمى هو و أصحابه معتزلة.

أصول الدين عند المعتزلة:

١.التوحيد : و هو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً و إثباتاً على الحد الذى يستحقه ، و الإقرار به . و بنوا على هذا الأصل : قولهم بنفى الصفات الإلٰهية ، و استحالة رؤية الله تعالى من قبل المؤمنين فى الآخرة.

٢. العدل: و هو الاعتقاد بأن أفعاله كلها حسنة و أنه لا يفعل القبيح و لا يخلّ بما هو واجب عليه . و بنوا عليه : قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين ، و باللطف الإلهى ، وبالصلاح و الأصلح ، ووجوب بعثة الرسل على الله تعالى.

٣. الوعد والوعيد : و هو الإعتقاد بأن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب ، وتوّعد العاصى بالعقاب ، و أنه يفعل ما وعد به و توّعد عليه لا محالة، و لا يجوز عليه الخلف و لا الكذب و بنو ا عليه : إنكارهم شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته و قصروها على التائبين من المؤمنين.

٤. المنزلة بين المنزلتين : و هو أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا كما تقوله المرجئة ، و ليس كافرًا كما تقول الخوارج ، و إنّما هو فى منزلة بين منزلتى الكفر و الإيمان .

٥.الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر زوال المنكر و بناءً على هذا الأصل : تصدوا للزنادقة والمبطلين و جاهدوا من خالف حكم الله).[1]

(٣) القدرية:

هى جماعة تقول بالقدر أى : يسندون أفعال العباد إلى قدرهم فالعبادهم الذين يخلقون أفعالهم و يختارونها .

١ـ انظر العقيدة الإسلام و أهميتها للدكتور قحطان عبد الرحمن الدورى(ص:١٢١ـ١٢٣) .

سبب تسمية القدرية:

القدرية نسبتة إلى القدر و سبب هذه النسبة مع أنهم نفوا القدر (بمعنى العلم و التقدير) عن الله تعالى ، هو : لأنهم حين نفوا القدر عن الله تعالى أثبتوه للعبد ، فجعلوا كل شيئ لإرادة الإنسان و قدرته المستقلة عن إرادة الله تعالى ، فكأنهم اعطوا الإنسان سلطاناً على القدر فمعبد الجهنّى و هو رأسهم ردّ على من تعلل فى المعصية بالقدر بقوله : (لا قدر و الأمر أُنُفٌ) أى أن الأمور يستأف العلم بها ، و بالتالى تسأنف إرادتها ، و بهذا نفى الإرادة الأزلية والعلم الأزلى ليخرج فعل الإنسان عن نطاق القدرة الإلهية.

٢. القدرية من قبيل النسبة إلى الضّد إذ قد يسمى الشيئ بضده ، كتسمية الأعمى بالبصير ، فهم نُسبوا إلى القدر و هم نُفاتُه.

أراء القدرية:

١. القدر خيره و شره من العبد .

٢. الإيمان هو المعرفة الثانية بالله (أى المعرفة المكتسبة ، أى الناشئة عن النظر و الاستدلال أما المعرفة الأولى فهى فطرية ضرورية)

٣. القرآن مخلوق ليس بقديم. .

٤. نفى صفات ثبوتية عن الله كالقدرة و الإرادة والعلم.

٥. الإمامة تصلح فى غير قريش . (١)

١ـ انظر العقيدة الإسلامية و أهميتها للدكتور قحطان عبد الرحمن الدورى(ص: ٩١ـ٩٢) و مابعدها.

(٤) الجبرية:

هم القائلون بأن الإنسان مُسيَّرٌ غير مخير و رئيس هذه النحلة هو الجعد بن درهم كان من التابعين ، و كان يسكن دمشق و هو أول من قال بخلق القرآن بدمشق فطلبه بنو أمية فهرب و سكن الكوفة قتله خالد بن عبد الله يوم الأضحى بعد أن أفتاه العلماء بقتله و هو أول من نفى الصفات عن الله عزوجل و تتلمذ عليه الجهم بن صفوان و هو الذى نسبت إليه آراء الجبرية حتى اطلقوا اسم (الجهمية) على الجبرية.

آراؤهم:

١. أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط و أن الكفر هو الجهل بالله فقط و مكان الإيمان القلب فقط .

٢. الإيمان لا يتبعضّ ، و لا يتفاضل أهله فيه فإيمان الأنبياء و إيمان الأمة سواء .

٣. الإنسان مجبور لا إختيار له و لا قدرة فهو كالجماد و انتساب الأفعال لهم بطريق المجاز و أن الله يخلق فيه الأفعال كما يخلق فى الجماد .

٤. نفى الصفات عن الله و امتنعوا عن وصف الله بأنه حى أو عالم و نحو ذلك و اثبتوا لله صفتى الفعل والخلق .

٥. علم الله حادث : فهو تعالى لا يعلم ما يكون حتى يكون.

٦. أن الجنة والنار تفنيان و تبيد ان ويفنى أهلهما. [1]

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك.

و قد اختتم هذا الشرح بفضل الله و منّه و احسانه و لطفه ١٤٤٢هـ فى شهر الله المحرم الحرام ٢٠/، و اخر دعوانا عن الحمد لله رب العالمين.

١ـ انظر العقيدة الإسلامية و أهميتها للدكتور قحطان عبد الرحمن الدورى (ص:٩٧) و مابعدها.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

